إلى والديّ العزيزين ومن لهما الفضل بعد الله

اسأل الله أن يجعله في ميزان حسناتكما ..

ابنكم المحب إبراهيم ..

تدبُّر مركز تدبر للدراسات والاستشارات

لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ

حَصادُ سَبعِ سَنواتٍ مِنَ التدبُّر

إعدادُ اللجنةِ العِلميةِ في مَركزِ تدبُّر

لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ حصادُ سبعِ سنواتٍ مِنَ التدبُّر

تدبر مركز تدبر للدراسات والاستشارات

لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ

حصادُ سبع سنواتٍ مِنَ التدبُّر

إعدادُ اللجنةِ العلميةِ في مركز تدبُّر

بسم الله الرحمن الرحيم

لِيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ

حصاد سبع سنوات من التدبُّر

تدبر

مركز تدبر للدراسات والاستشارات

ليدبروا آياته

حصادُ ٧ سَنواتٍ مِنَ التدبُّر

إعداد اللجنة العلمية في مركز تدبر

الطبعة الثانية

١٤٣٨هـ / ٢٠١٧م

الرياض ـ الدائري الشرقي ـ مخرج ١٥

هاتف: ٢٥٤٩٩٩٣ ٠١١ ـ تحويلة: ٣٣٣

ناسوخ: ٢٥٤٩٩٩٦ ٠١١

ص.ب: ٩٣٤٠٤ الرمز: ١١٦٨٤

البريد الحاسوبي: tadabbor@tadabbor.com

@tadabbor　　www.tadabbor.com

ⓒ دار الحضارة للنشر والتوزيع، ١٤٣٨هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

مركز تدبر للاستشارات التربوية والتعليمية

ليدبروا آياته (حصاد سبع سنوات من التدبر). / مركز تدبر للاستشارات التربوية والتعليمية - ط٢ - الرياض، ١٤٣٨هـ

٨٠٠ ص؛ ١٧ × ٢٤ سم

ردمك: ٩-٤٠١-٥٠٦-٦٠٣-٩٧٨

١- القرآن - التفسير الحديث ٢- القرآن - مباحث عامة أ. العنوان

ديوي ٢٧٧,٦　　٦٠٠ /١٤٣٨

رقم الإيداع: ٦٠٠ /١٤٣٨

ردمك: ٩-٤٠١-٥٠٦-٦٠٣-٩٧٨

مُقَدِّمَة

الحمد لله الذي بنعمته تتمُّ الصالحات، والصلاة والسلام على من أرسله ربه بالآيات، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه ما دامت الأرض والسماوات، أما بعد:

فيسرّنا في «مركز تدبر» أن نقدّم لأهل القرآن هذا الإصدار الذي يجمع حصيلة سبع سنوات من التدبر، شارك في زرعه وسقيه أئمةٌ أكابر، وعلماءٌ وطلبةُ علم، ومحبون لكتاب الله تعالى في الغابر والحاضر.

والمؤمل أن يحقق هذا الإصدار أهدافًا أخرى من إصدار هذه السلسلة، حيث يجتمع للقارئ جميع ما سبق من تدبّرات في السنوات الماضية للسورة الواحدة في موضع واحد، وهو ما يضاعف من فائدة هذا الجمع.

نسأل الله تعالى أن يبارك في هذا الكتاب، وأن ينفع به كما نفع بأجزائه السابقة، وأن يضاعف المثوبة لإخواني في الفريق العلمي الذين أسهموا في جمعه ومراجعته وتصنيفه موضوعيًا، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا وسيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وكتبه

أ. د. عمر بن عبدالله المقبل

أستاذ الحديث بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة القصيم

رئيس مجلس إدارة الهيئة العالمية لتدبّر القرآن الكريم

رجب ١٤٣٦هـ

لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ

كلماتٌ في التدَبُّر

أهمية التدَبُّر وفضله

١) محاسبة أهل القرآن لأنفسهم، قال أبو الدرداء ﵁: أَخوَف ما أخاف أن يقال لي يوم القيامة: يا عويمر! أعلمت أم جهلت؟ فإن قلت: علمت، لا تبقى آية آمرة أو زاجرة إلا أُخذتُ بفريضتها.. الآمرة هل ائتمرت؟ والزاجرة هل ازدجرت؟ وأعوذ بالله من عِلم لا ينفع، ونفس لا تشبع، ودعاء لا يُسمع.

حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم ٢١٣/١

٢) قال الحسن البصري ﵀: إن هذا القرآن قد قرأه عبيدٌ وصبيان لا عِلم لهم بتأويله، وما تدبُّر آياته إلا باتباعه، وما هو بحفظ حروفه وإضاعة حدوده، حتى إن أحدهم ليقول: لقد قرأتُ القرآنَ فما أسقطت منه حرفًا وقد - والله - أسقطه كله، ما يُرى القرآن له في خُلق ولا عمل.

فهم القرآن للمحاسبي ٢٧٦

٣) قال الحسن البصري ﵀ أيضًا: تفقَّدوا الحلاوة في ثلاث: في الصلاة، وفي القرآن، وفي الذكر.. فإن وجدتموها؛ فامضوا وأبشروا، فإن لم تجدوها؛ فاعلموا أنَّ الباب مغلق.

حلية الأولياء لأبي نعيم ٣١٨/٤

٤) مَنْ هو الأُمِّي في نظر الإمام مقاتل بن سليمان (ت: ١٥٠)؟

قال ﵀ في مقدمة تفسيره: «من قرأ القرآن فلم يعلم تأويله، فهو أُمِّي».

تفسير مقاتل ٢٧

٥) قال سفيان بن عيينة ﷺ: إنما آيات القرآن خزائن؛ فإذا دخلتَ خزانةً فاجتهد أن لا تخرجَ منها حتى تعرف ما فيها.

زاد المسير لابن الجوزي ٣٧٠/٢

٦) حين تقرأ وردك من القرآن يَحْسُن تَذكّر هذه الكلمة من الإمام الرباني سفيان بن عيينة ﷺ: «من قرأ القرآن سُئل عما يُسأل عنه الأنبياء ﷺ إلا تبليغ الرسالة».

حلية الأولياء لأبي نعيم ٢٨١/٧

٧) إذا كان كلام العالِم أولى بالاستماع من كلام الجاهل، وكلام الوالدة الرؤوم أحق بالاستماع من كلام غيرها؛ فالله أعلمُ العلماء وأرحمُ الرحماء؛ فكلامه أولى كلام بالاستماع، والتدبر، والفهم.

الحارث المحاسبي، فهم القرآن/٢٤٧

٨) قال أبو زرعة الرازي -وسئل عن كتب فيها بدع وضلالات-: «إياك وهذه الكتب.. عليك بالأثر فإنك تجد فيه ما يغنيك، ومن لم يكن له في كتاب الله عبرة فليس له في هذه الكتب عبرة».

الآداب الشرعية لابن مفلح ١٥٧/٢

٩) القليل من الدرس للقرآن مع الفكر فيه وتدبُّرِه، أحبُّ إليّ من قراءة الكثير من القرآن بغير تدبرٍ ولا تفكُّرٍ فيه، وظاهرُ القرآن يدل على ذلك والسنة وقول أئمة المسلمين.

الآجري، أخلاق أهل القرآن/١٦٩

١٠) إذا التبستْ عليك الطرق، واشتبهتْ عليك الأمور، وصرت في حيرة من أمرك، وضاق بها صدرك؛ فارجع إلى القرآن الذي لا حيرة فيه، وقف على دلائله من الترغيب والترهيب، والوعد والوعيد، وإلى ما ندب الله إليه المؤمنين من الطاعة وترك المعصية؛ فإنك تخرج من حيرتك، وترجع عن جهالتك، وتأنس بعد وحشتك، وتقوى بعد ضعفك.

١١) لما كان القرآن العزيز أشرفَ العلوم، كان الفهم لمعانيه أوفى المفهوم؛ لأن شرف العلم بشرف المعلوم.

ابن الجوزي، زاد المسير - ٣/١

١٢) ومن أوتي علم القرآن فلم ينتفع، وزجرته نواهيه فلم يرتدع، وارتكب من الإثم قبيحًا، ومن الجرائم فضوحًا؛ كان القرآن حجة عليه، وخصمًا لديه، قال ﷺ: **«القرآن حجة لك أو عليك»**[1].

القرطبي، الجامع لأحكام القرآن - ٢/١

(١) أخرجه مسلم (٢٢٣)، والترمذي (٣٥١٧)، والنسائي (٢٤٣٧)، وابن ماجه (٢٨٠)، وأحمد (٢٢٩٠٨).

١٣) ينبغي للقارئ أن يكون شأنه الخشوع، والتدبر، والخضوع؛ فهذا هو المقصود المطلوب، وبه تنشرح الصدور، وتستنير القلوب، وقد بات جماعة من السلف يتلو الواحد منهم آية واحدة ليلة كاملة، أو معظم ليلة، يتدبرها عند القراءة.

النووي، الأذكار - ١٠٧

١٤) قد عُلم أنه من قرأ كتابًا في الطب أو الحساب أو غيرهما، فإنه لا بد أن يكون راغبًا في فهمه وتصور معانيه، فكيف بمن يقرأ كتاب الله تعالى الذي به هداه، وبه يعرف الحق والباطل، والخير والشر؟ فإن معرفة الحروف بدون المعاني لا يحصل معها المقصود؛ إذ اللفظ إنما يراد للمعنى.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى - ١٥٧/٥

١٥) دخل في قوله ﷺ: «**خيركم من تعلّم القرآن وعلّمه**»(١) تعليمُ حروفه ومعانيه جميعًا، بل تعلّم معانيه هو المقصود الأول من تعلّم حروفه، وذلك الذي يزيد الإيمان، كما قال جندب بن عبد الله وعبد الله بن عمر وغيرهما: «تعلمنا الإيمان، ثم تعلمنا القرآن، فازددنا إيمانًا، وأنتم تعلمتم القرآن، ثم تتعلمون الإيمان»(٢)؛ ولهذا كانوا يبقون مدة في حفظ السورة.

ابن تيمية، الفتاوى - ٣٠٤/١٣

١٦) فما أشدَّها من حسرة وما أعظمها من غبنة على من أفنى أوقاته في طلب العلم، ثم يخرج من الدنيا وما فهم حقائق القرآن، ولا باشر قلبُه أسرارَه ومعانيه، فالله المستعان.

ابن القيم، بدائع الفوائد - ٣٢٤/٢

١٧) فإن القرآن لم ينزل لمجرد التلاوة، وانعقاد الصلاة عليه؛ بل أُنزل ليُتدبّر، ويُعقل، ويُهدى به علمًا وعملًا، ويبصر من العمى، ويرشد من الغي، ويعلم من الجهل، ويشفي من الغي، ويهدي إلى صراط مستقيم.

ابن القيم، الصواعق المرسلة - ٣١٦/١

١٨) من مشاعر الأئمة تجاه القرآن: هو ينبوع الحكمة، وآية الرسالة، ونور الأبصار والبصائر، من اتخذه سميره وأنيسه، وجعله جليسه على مرّ الأيام والليالي، نظرًا وعملاً، لا اقتصارًا على أحدهما؛ فيوشك أن يفوز بالبغية، وأن يظفر بالطلبة، ويجد نفسه من السابقين في الرعيل الأول.

الشاطبي، الموافقات - ١٩٥/٨

(١) أخرجه البخاري (٥٠٢٧)، وأبو داود (١٤٥٢)، والترمذي (٢٩٠٧).

(٢) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٥٠).

١٩) ومن لم يكن له علم وفهم وتقوى وتدبر؛ لم يدرك من لذة القرآن شيئًا.

الزركشي، البرهان في علوم القرآن - ٢/١٥٥

٢٠) من النصح لكتاب الله: شدّةُ حبه، وتعظيمُ قدره، والرغبة في فهمه، والعناية بتدبره؛ لفهم ما أحبَّ مولاه أنْ يفهمه عنه، وكذلك الناصح من الناس يفهم وصية من ينصحه، وإن ورد عليه كتاب منه عُني بفهمه؛ ليقوم عليه بما كتب به فيه إليه.. فكذلك الناصح لكتاب ربه، يُعنى بفهمه؛ ليقوم لله بما أمر به كما يحب ويرضى، ويتخلق بأخلاقه، ويتأدّب بآدابه.

ابن رجب، جامع العلوم والحكم - ٧٦

٢١) لو أن المسلمين استقاموا على تدبر القرآن والاهتداء به في كل زمان، لما فسدت أخلاقهم وآدابهم، ولما زال مُلكهم وسلطانهم، ولما صاروا عالة في معايشهم وأسبابها على سواهم.

محمد رشيد رضا، تفسير المنار - ٥/٢٤١

فوائد التدبُّر

١) قال ابن عباس ﷺ: «من قرأ القرآن قبل أن يحتلم فهو ممن أوتي الحكم صبيًّا».

المدخل إلى السنن للبيهقي ٢/٣٨

ولا شك في أن ابن عباس ﷺ إنما يعني بمن قرأ القرآن: من قرأه بتدبر وفقهٍ لمعانيه، إذ كانوا يطلقون القراءة على فهم القرآن وفقهه، والذي لا يُتأتى إلا بالتدبر.

٢) لو تدبر إنسان القرآن كان فيه ما يردُّ على كل مبتدع وبدعته.

أحمد بن حنبل، السنة للخلال/ ٩١٢

٣) من تدبر القرآن طالبًا الهدى منه؛ تبيّن له طريق الحق.

ابن تيمية، الواسطية/ ٨

وكلمة هذا الإمام جاءت بعد سنين طويلة من الجهاد في سبيل بيان الحق الذي كان عليه سلف هذه الأمة، والرد على أهل البدع.. فهل من معتبر؟!

٤) ومن أصغى إلى كلام الله وكلام رسوله ﷺ بعقله، وتدبَّره بقلبه، وجد فيه من الفهم، والحلاوة، والهدى، وشفاء القلوب، والبركة، والمنفعة؛ ما لا يجده في شيء من الكلام: لا نظمًا، ولا نثرًا.

ابن تيمية، اقتضاء الصراط المستقيم - ١/٣٨٤

٥) من أهم فوائد التدبُّر: «وإذا تدبرت كتاب الله تبيّن أنه يفصل النزاع بين من يحسن الرد إليه، وأن من لم يهتدِ إلى ذلك فهو: إما لعدم استطاعته فيُعذر، أو لتفريطه فيُلام».

ابن تيمية، مجموع الفتاوى - ٦٣/٣٤

٦) فتدبَّرِ القرآنَ إن رمتَ الهدى * فالعلم تحت تدبُّر القرآنِ

ابن القيم، النونية/ ٤٩

٧) سؤالٌ طالما طرحه الشباب على أهل العلم: كيف أتخلص من الذنوب؟.. لذلك أسباب كثيرة، لكن لما تحدث ابن القيم ﷺ عن تلك الأسباب في كتابه «الجواب الكافي» قال: «ومِنْ أنفع ما في ذلك: تدبُّر القرآن؛ فإنه كفيل بذلك على أكمل الوجوه، وفيه أسباب الخير والشر جميعًا مفصّلة مبيّنة».

الجواب الكافي ٢١

٨) فوالله الذي لا إله إلا هو! ما رأيت - وأنا ذو النفس الملأى بالذنوب والعيوب - أعظم إلانة للقلب، واستدرارًا للدمع، وإحضارًا للخشية، وأبعث على التوبة؛ من تلاوة القرآن وسماعه.

ابن باديس، تفسير ابن باديس/ ٣٩

٩) تدبر كتاب الله مفتاح للعلوم والمعارف، وبه يستنتج كل خير وتستخرج منه جميع العلوم، وبه يزداد الإيمان في القلب وترسخ شجرته.

ابن سعدي، تيسير الكريم الرحمن/ ١٨٩

١٠) ومن تدبر كتاب الله وأكثر من تلاوته، عرف صفات الرابحين وصفات الخاسرين على التفصيل.

ابن باز، مجموع فتاوى ابن باز - ٩٥/٥

توجيه الأمة نحو التدبُّر

١) قال الشاعر محمد إقبال في آخر عمره وهو يحث المسلمين على تدبر القرآن:

«أقول لكم ما أؤمن به وأدين: إنه ليس بكتاب فحسب، إنه أكثر من ذلك؛ إذا دخل في القلب تغير الإنسان، وإذا تغير الإنسان تغير العالم.. إنه كتاب حي خالد ناطق، إنه يحتوي على حدود الشعوب، والأمم، ومصير الإنسانية».

روائع إقبال ١١٥-١١٦

٢) وصية عالِم مجرّب: «وإنَّ من أحكم الوسائل لجذب الأمة إلى القرآن: وصف القرآن، وتشويق الناس إلى الإقبال عليه وتدبره وفهمه، ومعرفة ما ضيعت من خير وما خسرت من هداية بتضييعها للقرآن، وإنما تعرف ذلك ويبلغ مكامن الوجدان من نفوسها من وصفه والإشادة بشأنه والتنويه بجلاله وخطره والتنبيه على ما يحتوي عليه من العلوم الكثيرة بألفاظ قليلة».

البشير الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي - ٣٢٣/١

٣) الأمة برجوعها إلى القرآن تجدِّدُ نفسَها، وتستأنفُ في الحياة تاريخَها.

البشير الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي - ٢٨٤/١

٤) عليك بتدبر القرآن حتى تعرف المعنى، تدبَّره من أوله إلى آخره، واقرأه بتدبر وتعقّل، ورغبة في العمل والفائدة.. لا تقرأه بقلب غافل، اقرأه بقلب حاضر، واسأل أهل العلم عما أشكل عليك، مع أن أكثره - بحمد الله - واضح للعامة والخاصة ممن يعرف اللغة العربية.

ابن باز، فتاوى ابن باز - ٢٥/٩

٥) وإني أحثكم أيها الشباب على الحرص التام على تدبر القرآن ومعرفة معانيه؛ لأن القرآن إنما نزل ليدبَّر الناس آياته، وليتذكروا به؛ إذ لا فائدة بتلاوة اللفظ دون فهمٍ للمعنى، وإذا أشكل عليكم شيء فاسألوا عنه.

ابن عثيمين، لقاءات الباب المفتوح رقم (١٧١)

٦) اختبر حفظك! إن حفظ القرآن أو بعضه مهم، لكنه لا يمثل بمفرده حقيقة ما نحن فيه، بل هو أحد خطوات السير فيه! إن الحفظ المطلوب هو حفظ الصحابة ﷺ، الذين كانوا يتلقّون القرآن خمس آيات أو عشرًا، فيدخلون في مكابدة حقائقها الإيمانية، فلا ينتقلون إلى غيرها إلا بعد نجاحهم في ابتلاءاتها! ومن ثم يصير حفظ القرآن بهذا المسلك مشروعَ حياة! وليس مجرد هدف لسنة أو سنتين، أو لبضع سنوات!

د. فريد الأنصاري، مقال: اختبر حفظك

٧) يا صاحب القرآن: إذا أخذت في تلاوة أو استماع حزب المفصل (ق-الناس) فتنبّه، فإنه مسك ختامه، وأفضل أحزابه، قال ابن مسعود ﷺ فيه: «هو لباب القرآن»[1]، وسمَّاه ابن عباس ﷺ: «المحكم»[2]؛ لندرة متشابهه، ولا يُزهدنّك فيه قِصَر سوره، فالمعوذتان أحب إلى الله من سورتي هود ويوسف بالنصِّ الثابت عن رسوله، وقد تواتر أن غالب قراءته ﷺ في الفريضة كانت من المفصل.. فأحضر قلبك وتدبر تجد ﴿عَجَبًا ۝١ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ﴾ (الجن: ١-٢).

د. عصام العويد

(١) أخرجه الدارمي (٣٤٢٠)، والبيهقي في شعب الإيمان (٢٢٥٨)، ومصنف ابن أبي شيبة (٣٠٢٩٤).

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٧٤/١).

٨) إذا كان القرآن الذي بين أيدينا هو نفسه الذي نزل على الجيل الأول، وإذا كان الإنسان هو الإنسان؛ فلماذا توقف عن البناء والعطاء المأمول؟ ولماذا توقفت أمة القرآن عن الشهادة والقيادة؟ الإجابة رغم بساطتها إلا أنها معقّدة ومتراكبة ومتداخلة: إنه غياب التدبر - الذي يمكّن الإنسان من البصيرة والتدبير -، وغياب فقه البينات والهدى والفرقان.

عمر عبيد حسنة، رسالة القرآن/ ٦٠٢

٩) مجالس مدارسة القرآن من خير ما يوصى به في رمضان، الذي ثبت في الصحيح أن جبريل كان يفعلها مع النبي ﷺ، والمساجد والبيوت ميدان لعقد هذه المجالس، التي حقًّا سيكون لها الأثر المبارك.

د. محمد الربيعة

من أساليب التدبُّر

١) وصية إمام مجرّب: يقول الشعبي ﷺ: «إذا قرأت القرآن فاقرأه قراءة تُسمع أذنيك، ويفقه قلبك؛ فإن الأذن عدل بين اللسان والقلب».

الزهد لابن المبارك ٤٢٢

٢) إنما يعرف فضل القرآن من كثر نظره، واتسع علمه، وفهم مذاهب العرب وافتنانها في الأساليب، وما خص الله به لغتها دون جميع اللغات، فإنه ليس في جميع الأمم أمة أوتيت من العارضة، والبيان، واتساع المجال؛ ما أوتيته العرب.

ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن/ ١٧

٣) المؤمن العاقل إذا تلا القرآن استعرضه فكان كالمرآة يرى بها ما حسن من فعله وما قبح، فما خوّفه به مولاه من عقابه خافه، وما رغّب فيه مولاه رغّب فيه ورجاه، فمن كانت هذه صفته - أو ما قاربها - فقد تلاه حق تلاوته، وكان له القرآن شاهدًا وشفيعًا، وأنيسًا وحرزًا، ونفع نفسه، وأهله، وعاد على والديه وولده كل خير في الدنيا والآخرة.

الآجري، أخلاق حملة القرآن/ ٢٧

٤) البكاء مستحب مع القراءة، وطريق ذلك: أن يحضر قلبه الحزن، فمن الحزن ينشأ البكاء، وذلك بأن يتأمل ما فيه من التهديد والوعيد، والمواثيق والعهود، ثم يتأمل تقصيره في أوامره وزواجره، فيحزن لا محالة ويبكي، فإن لم يحضره حزن وبكاء، فليبكِ على فقد الحزن والبكاء، فإن ذلك أعظم المصائب.

أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين - ٣٧/٢

٥) فمن تدبر القرآن، وتدبر ما قبل الآية وما بعدها، وعرف مقصود القرآن، تبيّن له المراد، وعرف الهدى والرسالة، وعرف السداد من الانحراف والاعوجاج.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى - ٩٤/١٥

٦) قال البقاعي - مبيّنًا تناسق ما قبل الآية مع ما بعدها -: «ومن تدبر الابتداء عرف الختم، ومن تأمل الختم لاح له الابتداء».

نظم الدرر ٩٧/١

ومعنى كلامه: أن من تدبر بداية الآية التي هو فيها؛ عرف سر ختام الآية التي قبلها، وكذلك من تأمل ختام الآية التي هو فيها؛ ظهر له ارتباطها بالآية التي بعدها. وظهور هذا وخفاؤه يتفاوت بحسب علم الإنسان وقوة تدبره.

٧) نقرأ آيات فلربما نغفل عن تدبر كثير من معانيها ودلالاتها، فتأتي الأحداث والفتن، فيدرك المتدبّرون الرابط القرآني بين هذه الدلالات وتلك الفتن، وكأن القرآن يتحدث عن ذات الفتنة الواقعة، والمحنة النازلة، ولكنه حظ من كان القرآن آياتٍ بينات في صدورهم.

أ. د. عبد العزيز العويد

٨) الأحداث الجارية والمتغيرة تحتاج منا عكوفًا على كتاب الله تعالى؛ لاستلهام المنهج الرباني في الحكم والتعامل. وجرب أن تقرأ القرآن قراءة خاصة لهذا الغرض، فستجد القرآن وكأنه يتنزل على الأحداث، ويكشف لك سنن الله في الأمم والمجتمعات.

د. محمد الربيعة

الأمور المعينة على التدبُّر

١) مقياس آخر للحب: قال ابن مسعود ﷺ: لا يسأل عبد عن نفسه إلا القرآن، فإن كان يحب القرآن فإنه يحب الله ورسوله ﷺ.

تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢٢/١

٢) مِنْ هدي السلف مع القرآن في رمضان: كان ابن مسعود ﷺ يختم في رمضان في ثلاث، وفي غير رمضان من الجمعة للجمعة.

فضائل القرآن للفريابي ٢١٩

قال ابن باز ﷺ: وهذا هو الموافق للسنة، وهو أدعى للتدبر والتفكر.

٣) إذا عظم في صدرك تعظيم المتكلم بالقرآن، لم يكن عندك شيء أرفع، ولا أشرف، ولا أنفع، ولا ألذ، ولا أحلى من استماع كلام الله ﷻ، وفهم معاني قوله تعظيمًا وحبًا له، وإجلالاً؛ إذ كان تعالى قائله، فحب القول على قدر حب قائله.

الحارث المحاسبي، فقه القرآن/ ٣٠٢

٤) فإذا استمع العبد إلى كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ بنية صادقة على ما يحب الله، أفهمه كما يحب، وجعل له في قلبه نورًا.

القرطبي، الجامع لأحكام القرآن - ١٧٦/١١

٥) من مفاتيح الانتفاع بالقرآن: «الحضور والفهم، والشعور بأن القرآن رسالة الله إلى كل عبد، وأن هذا دعوة عامة لجميع الخلق، وأن هذا العبد التالي منهم».

ابن شيخ الحزاميين، مفتاح الطريق إلى سلوك التحقيق - ٩٩/٢

٦) وليس في القرآن لفظ إلا وهو مقرون بما يبيّن به المراد، ومن غلط في فهم القرآن فمن قصوره أو تقصيره.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى - ٤٧٤/٢٠

٧) ذكر ابن كثير ﷺ في حوادث سنة ٣٩٤هـأن قافلة اعترضت إحدى قوافل الحجيج، فتقدم شابان فقرآ بقراءة مدهشة مطربة، فأطلق جميع الحجيج تأثرًا بهذه القراءة، فلما كان يوم عرفة قرأ هذان الشابان بقراءة عظيمة ضج لها كل من سمعها.

البداية والنهاية ٣٣٣/١١

٨) لمن يشكو عدم تأثره بالقرآن خذها من مجرِّب:

القلب محل تلقي الوحي، فإذا أردت الانتفاع بالوحي فلا بد من تفريغ القلب من ضده؛ لأن إصغاء القلب كإصغاء الأذن، فإذا أصغى إلى غير حديث الله لم يبقَ فيه إصغاء ولا فهم لحديثه، وإذا امتلأ بالشبه والشكوك، والمضحكات، والصور المحرمة، والغناء الذي يصد عن الوحي؛ جاءته حقائق القرآن، فلم تجد فيه فراغًا لها ولا قبولًا، فتعدته وجاوزته إلى محل سواه.

ابن القيم، الفوائد/ ٣١ (بتصرف)

٩) ومن أعظم ما يُتقرَّب به العبد إلى الله تعالى مِنَ النَّوافل: كثرة تلاوة القرآن، وسماعه بتفكُّر وتدبُّرٍ وتفهُّمٍ، قال خباب بن الأرت ﷺ لرجل: «تقرَّب إلى الله ما استطعت، واعلم أنَّك لن تتقرب إليه بشيءٍ هو أحبُّ إليه من كلامه».

ابن رجب، جامع العلوم والحكم/ ٣٦٤

١٠) وقد سمعت من الشيخ الشنقيطي -صاحب أضواء البيان رحمة الله تعالى علينا وعليه- قوله: «لا يثبت القرآن في الصدر، ولا يسهل حفظه وييسر فهمه؛ إلا القيام به من جوف الليل». وقد كان ﷺ لا يترك ورده من الليل صيفًا أو شتاءً.

الشيخ عطية سالم، تتمة أضواء البيان - ٣٥٩/٨

١١) خمس خطوات عمليَّة لتدبُّر القرآن:

١- افتح صفحات القلب مع فتحك أوراق المصحف، وهذا ركن التدبر الأكبر.

٢- ليكن بين يديك كتاب مختصر في التفسير كالمصباح المنير.

٣- كثير من السور لها فضائل وخصائص ومقاصد، فمثلاً: قبل قراءة سورة الأنعام قِف طويلاً في معنى الآثار الواردة في فضلها.

٤- اقرأ على مكث، رتل ولا تعجل.

٥- بعد القراءة انظر إلى الأثر، فإن وجدت أثرًا في قلبك وإلا فعد رتِّلها ثانية وثالثة.

د. عصام العويد

١٢) من أهم وأول وسائل تدبر الآيات: معرفة معنى الكلمات الغريبة، فهي مفتاح لفهم المراد، ولتحقيق ذلك:

١- احرص على القراءة في مصحف وُضع معه تفسير لغريب القرآن.

٢- لا تتجاوز آية إلا إذا أدركت مفرداتها.

د. محمد الخضيري

١٣) من الأسباب المعينة على التدبُّر: استعراض موضوعات السورة قبل قراءتها، وسيكون حسنًا لو وضعتها في جدول، أو في شجرة تكون أمامك عند قراءتك؛ هناك ستتجلى فوائد لم تكن بالحسبان.

د. مساعد الطيار

١٤) قال أبو حمزة ﵀: قلت لابن عباس ﵄: إني سريع القراءة، إني أقرأ القرآن في ثلاثٍ، فقال: لأن أقرأ البقرة في ليلة فأتدبرها وأرتلها، أحب إليَّ أن أقرأها كما تقرأ.

أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (٢/٣٦٩)

١٥) ومن أبلغ ما يعين على التدبُّر: أن يعرض المؤمن نفسه على كتاب ربه، فهو يتصفح القرآن؛ ليؤدب به نفسه وهمَّته: متى أكون من المتقين؟ متى أكون من الخاشعين؟ متى أكون من الصابرين؟ متى أزهد في الدنيا؟ متى أنهى نفسي عن الهوى؟

الآجري، أخلاق أهل القرآن/ ٧٩

١٦) من أراد حسن التدبر فليكن له عناية بأسباب النزول وبالسيرة والتاريخ؛ فإن فيها عيشًا مع القرآن. قال الحسن البصري ﵀: «والله ما أنزل الله آية إلا أحب أن يعلم فيمن أنزلت، وما يعني بها».

المحرر الوجيز لابن عطية (١/٣٩)

والسؤال: كم أعطينا القرآن من وقتنا لتحقيق هذه الغاية؟

١٧) إذا أردت الانتفاع بالقرآن فاجمع قلبك عند تلاوته وسماعه، وألقِ سمعك، واحضر حضور من يخاطبه به من تكلَّم به سبحانه منه إليه؛ فإنه خطاب منه لك على لسان رسوله ﷺ.

ابن القيم، الفوائد/ ٣

١٨) يقول ابن القيم ﵀: فانظر محبة القرآن من قلبك، والتذاذك بسماعه، أهي أعظم من التذاذ أصحاب الملاهي والغناء المطرب بسماعهم؟ فإنَّ من المعلوم أن من أحب محبوبًا كان كلامه وحديثه أحبَّ شيء إليه.

الجواب الكافي (١٧٠)

دقَّتُك في الجواب على السؤال السابق لها أثر بالغ في الانتفاع بهذا المفتاح من مفاتيح التدبُّر!

١٩) صفة التدبر: أن يشغل قلبه بالتفكر في معنى ما يلفظ به، ويتأمّل الأوامر والنواهي، فإن كان مما قصَّر عنه فيما مضى استغفر، وإذا مرَّ بآية رحمة سأل واستبشر، أو عذاب أشفق وتعوَّذ، أو تنزيه نزَّه وعظم، أو دعاء تضرع وطلب.

السيوطي، الإتقان في علوم القرآن - ١/ ١٢٧

٢٠) على متدبّر كتاب الله أن يبحث في معاني الكلمات الواردة فيه بحثًا لغويًّا، وكيف استعملها العرب، وكيف استُعملت وقت نزول القرآن، لا وَفق ما تطورت إليه الكلمة بعد انقطاع الوحي؛ فإن ذلك من شأنه أن يساعد - بتوفيق الله - على فهم المعنى، وأن يكون تدبره أقرب إلى الصواب.

عبدالرحمن الميداني، قواعد التدبر الأمثل للقرآن/ ٣١٧ (بتصرف)

٢١) من طرق التدبر: أن تقرأ القرآن آيةً آية، ثم ترجع للآية كلمةً كلمة، وما يُشكِل معناه من الألفاظ تبحث عنه في كتب التفاسير الموثوقة، أو كتب غريب القرآن؛ لأنها أيسر، فتحلل معناها تحليلًا لفظيًّا؛ لتفهم المعنى، ثم بعد ذلك تنظر في معاني الآية الكلية.

د. عبد الكريم الخضير

٢٢) التدبر مهارة يمكن التدرب عليها إذا تخيَّلت نفسك طالبًا والأستاذ يقول لك: استنبط من الآية عشر فوائد بدون الرجوع إلى أحد.

د. عبد الله السكاكر

٢٣) من طرق التدبر: تدارس القرآن، والتدارس لا يكون إلا بين طرفين فأكثر، فينظرون في آية أو في سورة أو في موضوع، ويتبادلون الحديث، ويرجعون للكتب، ويسألون أهل العلم؛ بحثًا عن النفع، بغير تغالب أو مماراة.

د. عويض العطوي

٢٤) من طرق التدبر: التفاعل مع الآيات بالسؤال والتعوذ والاستغفار ونحوه عند مناسبة ذلك؛ فهو دالٌّ على التفاعل الحي، وأن القارئ حاضر القلب مع التلاوة، وهو من أظهر صفات التفاعل الدالة على التدبر، وقد كان هذا هو الهدي النبوي وهدي السلف الصالح.

د. محمد الربيعة

٢٥) مِنْ أوَّل ما يعين على التدبر أن يعلم القارئ أنه المقصود بالتلاوة، فإن من تلاوة القرآن حق تلاوته: التدبر؛ لأنه طريق الإيمان، ألم يقل الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَتۡلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦ﴾ (البقرة: ١٢١).

د. محمد السيد

٢٦) كرِّر الآية التي تجد قلبك قد انفتح لها، وخشع معها، فقد قام نبيك ﷺ بآية واحدة حتى أصبح: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ﴾ (المائدة: ١١٨)(١). وكان أحد العامة يقرأ قوله تعالى: ﴿أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ (إبراهيم: ١٠)، فما زال يُردِّدها كثيرًا، وكلما قرأها قال: لا والله يا رب ما فيك شك! فبكى وأبكى من كان يسمعه.

٢٧) مما يعين على التدبر: أن يربط الإنسان الأحداث التي تمر به بكتاب الله، مثال: في الهزات الأرضية، اجمع الآيات التي حوت لفظ (الزلزلة، الرجفة، البأساء، الابتلاء...) ونحوها، واقرأها في ضوء الواقع، تجد لها معانيَ لم تنكشف لك وقت الأمن.. إنها عظمة القرآن.

٢٨) من طرق التدبر: أن يجعل لنفسه في كل وقت آية يتأملها بخصوصها، ويمكن أن يعلق في ورقة ليراها طول اليوم، وبجانبها ورقة، فكلما طرأ له معنى كتبه فيها.

٢٩) الوقوف على أقوال السلف بالذات في تفسير الآية، والتأمل في مضامينها - خاصة إذا تنوَّعت عباراتهم والمقصود واحد -، ما يعين على التدبّر والتفكّر في معانٍ أكثر للآية، مثال: تنوُّع عباراتهم في تفسير (الفتنة) في قوله تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ﴾ (النور: ٦٣).

موانع التدبُّر

١) من موانع فهم القرآن والتلذذ به: «أن يكون التالي مصرًا على ذنب، أو متصفًا بكبر، أو مبتلى بهوى مطاع؛ فإن ذلك سبب ظلمة القلب وصدئه؛ فالقلب مثل المرآة، والشهوات مثل الصدأ، ومعاني القرآن مثل الصور التي تتراءى في المرآة، والرياضة للقلب بإماطة الشهوات مثل الجلاء للمرآة».

ابن قدامة، مختصر منهاج القاصدين/ ٥٣-٥٤

٢) العناية بالتجويد مهمة، ولكن يجب ألا تكون على حساب العناية بالتدبر والفهم لكلام الله، قال ابن تيمية ﵀: «ولا يجعل همته فيما حجب به أكثر الناس من العلوم عن حقائق القرآن: إما بالوسوسة في خروج حروفه، وترقيقها، وتفخيمها، وإمالتها، والنطق بالمد الطويل والقصير والمتوسط وغير ذلك؛ فإن هذا حائل للقلوب قاطع لها عن فهم مراد الرب من كلامه».

مجموع الفتاوى ١٦/٥٠

(١) النسائي (١٠١٠)، وابن ماجه (١٣٥٠)، وأحمد (٢١٣٢٨).

٣) مراجعة الاهتمامات: يقول ابن تيمية ﷺ: «مَن أكثر مِن سماع القصائد لطلب صلاح قلبه، تنقص رغبته في سماع القرآن.. ومن أدمن أخذ الحكمة والآداب من كلام فارس والروم، لا يبقى لحكمة الإسلام وآدابه في قلبه ذاك الموقع.. ومن أدمن قصص الملوك وسيرهم لا يبقى لقصص الأنبياء وسيرهم في قلبه ذاك الاهتمام.. ونظير هذا كثير».

اقتضاء الصراط المستقيم ٤٨٤/١

٤) من موانع التدبر: الغناء، فهو «يُلهي القلب ويصده عن فهم القرآن وتدبره، والعمل بما فيه؛ فالقرآن والغناء لا يجتمعان في القلب أبدًا لما بينهما من التضاد؛ فالقرآن ينهى عن اتباع الهوى، ويأمر بالعفة ومجانبة الشهوات، والغناء يأمر بضد ذلك كله، ويحسنه، ويهيج النفوس إلى الشهوات، فيثير كامنها، ويحركها إلى كل قبيح».

ابن القيم، إغاثة اللهفان/ ٢٤٨

٥) قال ابن مسعود ﷺ: «اقرؤوا القرآن وحركوا به القلوب، ولا يكن همُّ أحدكم آخر السورة»[1].. فمما يعين على قراءة (التدبر) المحرِّكة للقلوب أن يكون حزب القارئ (وقت القراءة) لا (مقدار القراءة)، فمثلًا: بدلًا من تحديد جزء يوميًا، يكون نصف ساعة يوميًا؛ لئلا يكون الهمّ آخر السورة.

عبد الكريم البرادي

٦) من الصوارف عن التدبر:

تشبيه القرآن بالغناء يورِث أن يبقى قلب القارئ مصروفًا إلى وزن اللفظ بميزان الغناء، لا يتدبره ولا يعقله، وأن يبقى المستمعون يصغون إليه لأجل الصوتِ الملَحن كما يُصغى إلى الغناء، لا لأجلِ استماعِ القرآن وفهمه وتدبره والانتفاع به.

ابن تيمية، جامع المسائل - ٣٠٥/٣

واقع الأمة مع التدبُّر

١) القرآن لا يأتي بالمعجزات، ولا يؤتي آثاره في إصلاح النفوس إلا إذا تولته بالفهم عقول كعقول السلف، وتولته بالتطبيق العملي نفوس سامية وهمم بعيدة كنفوسهم وهممهم، أما انتشاره بين المسلمين بهذه الصورة الجافة من الحفظ المجرد، والفهم السطحي، والتفسير اللفظي؛ فإنه لا يفيدهم شيئًا.

ابن باديس، تفسير ابن باديس/ ١٦

(١) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (٤٧١٦).

٢) لقد نجح سلفنا الصالح بهذا القرآن نجاحًا مدهشًا، مع قلة عددهم، وخشونة عيشهم، وندرة المصاحف بأيديهم، وقلة الحفّاظ إذا ما قورنوا بأعدادهم اليوم، والسر في ذلك: أنهم توفروا على دراسة القرآن واستخراج كنوز هداياته، أما غالب المسلمين اليوم فاكتفوا بألفاظ يردّدونها، وأنغام يلحّنونها، وبمصاحف يحملونها، ونسوا أو تناسوا أن بركة القرآن العظمى إنما هي في تدبر آياته وتفهمها والتأدب بها.

الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن - ٢/٧

٣) القرآن يملأ النفوس بعظم الهمة، وهذا العِظَم هو الذي قذف بأوليائه ذات اليمين وذات الشمال، حتى رفعوا لواء العدل، وفجّروا أنهار العلوم تفجيرًا، وإذا رأينا من بعض قُرائه هممًا ضئيلة خاملة؛ فلأنهم لم يتدبروا آياته، ولم يتفقهوا في حكمه.

الخضر حسين، «الحديقة» لمحب الدين الخطيب - ١/٥٣٤

٤) لو عمل المسلمون بأدب قرآنهم، للفتوا الأنظار إلى روعته أكثر من ألف جمعية، وألف خطاب، وألف كتاب.

مصطفى السباعي، هكذا علمتني الحياة/ ٢٥٢

٥) إن تحويل القرآن إلى ألحان منغومة فحسب، يستمع إليه عشاق الطرب؛ هو الذي جعل اليهود والنصارى يذيعون القرآن في الآفاق، وهم واثقون أنه لن يحيي موتى!

محمد الغزالي، فقه السيرة/ ٧-٨

٦) إن المسلم لتأخذه الدهشة بلُبِّه كل مأخذ حين يرى مواقفَ الكثيرِ من كتاب ربهم أحاط بهم ظلام، وادلهمت عليهم خطوب، ثم هم يتخبطون خبط عشواء، أفلست النظم، وتدهورت القوميات، وهشت العولميات، فلله العجب! النور بأيدينا، فكيف نلهث خلف ركاب غيرنا؟!

د. سعود الشريم، خطبة: رمضان شهر القرآن

٧) إن أمة الإسلام - في كثير من مواقعها وأحوالها - تحتاج إلى أن تراجع نفسها في موقفها من قرآن ربها؛ فإن كثيرًا منهم يجهلون أن للقرآن العظيم تأثيرًا حقيقيًا في حياتهم المعاشية والمدنية، يتشككون ويترددون في أثره في تحقيق السعادة المنشودة في الدين والدنيا معًا.

د. صالح بن حميد

٨) مع أهمية حفظ القرآن الكريم، إلا أننا نجد أمرًا غريبًا في عالمنا الإسلامي، حيث إن فيه مئات الألوف من المدارس التي تعتني بحفظ القرآن، على حين أننا لا نكاد نجد مدرسة واحدة متخصصة بتدبره وفهمه والتفكر فيه!

أ. د. عبد الكريم بكار

٩) لو سألت أي مسلم: أتؤمن بأن القرآن هدى، ونور، ورحمة، وشفاء، وحياة للقلب؟ لأجابك - وبلا تردد -: نعم! ولكنك تأسف إذا علمت أن الكثير من المسلمين لا يعرف القرآن إلا في (رمضان)! فإنَّ حال هذا في الحقيقة هي كمن يعلن استغناءه عن هدى الله، ونوره، ورحمته، وشفائه، وحياة قلبه؛ أحد عشر شهرًا!

د. عمر المقبل

نماذجُ تدبّرية

١) استقراء عالِم: الصدقة إذا أطلقت في القرآن فهي صدقة الفرض.

القرطبي، الجامع لأحكام القرآن - ٢٤٥/١٠

٢) قصَّ الله سبحانه في كتابه نصره لرسله ولعباده المؤمنين على الكفار، في قصة نوح، وهود، وصالح، وشعيب، ولوط، وفرعون، وغير ذلك، وحصول النصر - وغيره من أنواع النعيم - لطائفة أو شخص لا ينافي ما يقع في خلال ذلك من قتل بعضهم وجرحه، فمن عدَّ القتل في سبيل الله مصيبة مختصة بالجهاد، كان من أجهل الناس.

ابن تيمية، قاعدة في المحبة/ ١٤٩

٣) قال ابن تيمية ﷺ: «وصف الله أهل الفواحش - الذين لا يغضون أبصارهم ولا يحفظون فروجهم - بخمسة عشر وصفًا: السكرة، والعَمَه، والجهالة، وعدم العقل، وعدم الرشد، والبغض، وطمس الأبصار، والخبث، والفسوق، والعدوان، والإسراف، والسوء، والفحش، والفساد، والإجرام» ا. هـ، ثم ذكر الآيات.

مجموع الفتاوى ٤٠٢/١٥

٤) ومن ظن أن الذنوب لا تضره - لكون الله يحبه - مع إصراره عليها، كان بمنزلة من زعم أن تناول السم لا يضره مع مداومته عليه! ولو تدبر الأحمق ما قصَّ الله في كتابه من قصص أنبيائه، وما جرى لهم من التوبة والاستغفار، وما أصيبوا به من أنواع البلاء الذي فيه تمحيص لهم وتطهير؛ علم بعض ضرر الذنوب بأصحابها، ولو كان أرفع الناس مقامًا.

ابن تيمية، رسالة العبودية/ ١١٤

٥) القرآن كلام الله، وقد تجلى الله فيه لعباده بصفاته؛ فتارة يتجلى في جلباب الهيبة والعظمة والجلال، فتخضع الأعناق، وتنكسر النفوس؛ وتارة يتجلى بصفات الجلال والكمال، فيستنفد حبه من قلب العبد قوة الحب كلها، بحسب ما عرفه من صفات جماله وكماله.

ابن القيم، الفوائد/ ٦٩

٦) ينبغي للمفتي - إذا أراد أن يصدر حكمًا قد تستغربه النفوس بسبب إلف ما يخالفه - أن يهيِّئ قبله ما يكون مؤذنًا به؛ فتأمل ذكره سبحانه قصة زكريا وإخراج الولد منه بعد انصرام عصر الشيبة وبلوغه السن الذي لا يولد فيه لمثله في العادة، فذكر قصته مقدمة بين يدي قصة المسيح وولادته من غير أب؛ فإن النفوس لما أنست بولد بين شيخين كبيرين لا يولد لهما عادة، سهل عليها التصديق بولادة ولد من غير أب بأمر الله.

ابن القيم، إعلام الموقعين - ١٢٥/٤

٧) استقراء إمام: ولم يُقْسِم الله تعالى في كتابه بشيءٍ من مخلوقاته أكثرَ من السماء والنجوم والشمس والقمر.

ابن القيم، مفتاح دار السعادة - ١٩٧/١

٨) الفقهاء المصنِّفون يتبِعون كتاب الصيام بكتاب الاعتكاف؛ اقتداء بالقرآن العظيم، فإنه نبَّه على ذكر الاعتكاف بعد ذكر الصوم، وفي ذلك إرشاد وتنبيه على الاعتكاف في الصيام، أو في آخر شهر الصيام، كما ثبتت السنة عن رسول الله ﷺ.

ابن كثير، تفسير القرآن العظيم - ٥٢٠/١

٩) كل سماع في القرآن مدح الله أصحابه وأثنى عليهم وأمر به أولياءه، فهو السماع الذي تضمن أمورًا ثلاثة: فهمًا وإدراكًا، وتدبرًا، وإجابةً.

فمن اختار هذا السماع، لم يعدم إرشادًا لحجة، وتبصرة لعبرة، وفكرة في آية، ودلالة على رشد، وردًا على ضلالة، وإرشادًا من غي، وبصيرة من عمى، وحياة لقلب.

ابن القيم، مدارج السالكين - ٤٨٥/١

١٠) الهلاك الذي أصاب قوم شعيب ذكر الله تعالى في سورة الأعراف أنه رجفة، وذكر في سورة هود أنه صيحة، وذكر في سورة الشعراء أنه عذاب يوم الظلة، فكيف كان ذلك؟ قال ابن كثير رحمه الله: «وقد اجتمع عليهم ذلك كله، أصابهم عذاب يوم الظلة، وهي سحابة أظلتهم فيها شرر من نار ولهب ووهج عظيم، ثم جاءتهم صيحة من السماء ورجفة من الأرض شديدة من أسفل منهم، فزهقت الأرواح منه».

ابن كثير، تفسير القرآن العظيم - ٢٨٤/٢

١١) كل حكاية وقعت في القرآن فلا يخلو أن يقع قبلها أو بعدها - وهو الأكثر - رد لها أو لا، فإن وقع رد، فلا إشكال في بطلان ذلك المحكي وكذبه، وإن لم يقع معها رد، فذلك دليل صحة المحكي وصدقه.. ومن قرأ القرآن وأحضره في ذهنه عرف هذا بيسر.

الشاطبي، الموافقات، ٤/١٥٨-١٦٠

١٢) يقول الفيروز أبادي: وقد أمر الله بالتوكل في خمسة عشر موضعًا من القرآن، فساقها سياقًا بديعًا، محلى بتعليقات مليحة، من المستحسن مراجعتها في كتابه.

بصائر ذوي التمييز ٢/٣١٣

١٣) فسر الشيخ الشنقيطي ﷺ آية، ثم ذكر أنه لم ينص أحد من المفسِّرين على ما ذكره مع احتمال الآية له، ثم قال: «لكن كتاب الله لا تزال تظهر غرائبه، وعجائبه متجددة على مرّ الليالي والأيام، ففي كلِّ حين تفهم منه أشياء لم تكن مفهومة من قبل».. فأين المتدبرون؟

أضواء البيان ٢/٢٥٨

١٤) عُرِضَ للعلامة الشنقيطي إشكال في فهم آية، فقال ﷺ: «وقد مكثت زمنًا طويلاً أفكر في حل هذا الإشكال حتى هداني الله إليه ذات يوم، ففهمته من القرآن العظيم».

دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب/ ٤

فانظر - أيها المبارك - بركة التدبر والتأمل، وكلما ازداد علم الإنسان، تفتحت له أنواع وكنوز من علوم هذا الكتاب العظيم.

١٥) إن من أعظم المهام التي تتولاها المرأة: الأمومة، وقد رعى القرآن حقَّ هذه القائدة الأم؛ فكرر ذكرها في سُوَرِهِ المكية والمدنية، وتدبر جيدًا حديثه عن حملها ورضاعها ووهنها وشفقتها، والأمر ببرها ورعايتها، وتأمل كيف جسَّد القرآنُ البرَّ الحقيقي بها، من غير ربط لذلك بيوم في العام، فالأم في نفوس أهل القرآن ملء السمع والبصر.

أ. د. إبتسام الجابري

١٦) من يظهر الغش في ثوب النصيحة والإصلاح يفضحه الله، وهم أربعة أصناف ورد تعيينهم في القرآن، وهم: محرّفو الكتاب (البقرة: ٨٥)، ومانعو الذكر في المساجد (البقرة: ١١٤)، والمفسدون في الأرض (المائدة: ٣٣)، والمجادل الجهول المحادد لله (براءة: ٦٣) - (الحج: ٦).

د. خالد المزيني

١٧) تدبَّر مصارع الأمم في كتاب الله، تجد أن الله لم يهلك أمة إلا وهي في حال قوتها وجبروتها! أهلك الله عادًا وهي ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد، حتى قالوا: من أشد منَّا قوة. وأهلك ثمود الذين جابوا الصخر بالواد، فنحتوا الجبال وبنوا المصانع. وأهلك فرعون ذا الأوتاد الذي قال: أنا ربكم الأعلى، وأراد صرحًا يبلغ به السماء؛ وكل هؤلاء دمرهم الله في قمة قوتهم وجبروتهم.

د. سفر الحوالي

١٨) من أعظم الغبن أن يخبرنا الله في كتابه بأن جنته - التي أعدها لعباده المتقين - عرضها السماوات والأرض، ثم لا يجد أحدنا فيها موضع قدم!

صالح المغامسي

١٩) عصا موسى كانت سببًا لإسلام السحرة، وسببًا لفلق البحر والنجاة من فرعون، وسببًا لتفجير الماء من الصخرة. وقميص يوسف كان سببًا لكشف كذب إخوة يوسف عند يعقوب، وسببًا لنجاة يوسف من افتراء امرأة العزيز، وسببًا لرد بصر يعقوب.

اعتصم بالله تعالى وسيكفيك سبحانه من حيث لا تحتسب.

د. عبد المحسن المطيري

٢٠) من مواضع العبرة في موضوع (الوقت):

حديث القرآن عن ندم الكفار يوم القيامة، وطلبهم المهلة والرجعة من جديد؛ ليعملوا!

إن (المهلة والرجعة) تعني مزيدًا من الوقت!

فهل نتذكر أمثال هذه المعاني ونحن نستقبل عامًا هجريًا مضى سابقه كأنه أيام؟!

د. عمر المقبل

٢١) تأمّل هذه الآيات: ﴿ وَأَنْ أَتْلُوَاْ ﴾ (النمل: ٩٢)، ﴿ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ﴾ (التوبة: ٦)، ﴿ ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ (العنكبوت: ٤٥)، ونحوها من الآيات التي تشير إلى ضرورة الدعوة بالقرآن، وأنه أبلغ وأنفع ما توعظ به القلوب وتتأثر به -كما هو مشاهد-، وهي تشير - أيضًا - إلى أن البلاغ والوعظ بكلام الله من أعظم ما يُطلب من الرسول ﷺ وأتباعه.

فهد العيبان

٢٢) ورد ذكر القلب في القرآن أكثر من (١٣٠ مرة)، وأضيف إليه أكثر من (٣٦ عملًا ووصفًا)، وكل ذلك دال على عظيم محله، وأنه ملك الجوارح، وأعمال القلب هي الأصل، ومع ذلك نرى إهمال العباد لقلوبهم فلا يزكونها، ولا يتعلمون حق الله فيها، وينشغلون عنها بأعمال الجوارح.

د. محمد الخضيري

٢٣) كثيرًا ما تختم الآيات بقوله: ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾، وفي ذلك دعوة للعلم الذي يَبعث على العمل، وهذا يبيّن أهمية العلم بفضائل الأعمال، وأنه أعظم دافع للعمل والامتثال، وهو منهج قرآني عظيم.

د. محمد الربيعة

٢٤) تأمّل في استسقاء موسى لقومه، ودعاء إبراهيم لأهل مكة بالأمن والرزق، وعلاج عيسى للأكمه والأبرص؛ ألا يدلك هذا أن على الدعاة وطلبة العلم أن يحرصوا على إصلاح دنيا الناس مع حرصهم على دينهم؟ ففيها معاشهم وقوام عبادتهم، وهذا داعٍ إلى خلطتهم أيضًا.

د. محمد السيد

٢٥) تأمّل.. جبل عظيم، شاهق، لو نزل عليه القرآن لخشع، بل تشقق وتصدع، وقلبك هذا، الذي هو في حجمه كقطعة صغيرة من هذا الجبل، كم سمع القرآن وقرأه؟ ومع ذلك لم يخشع ولم يتأثر! والسر في ذلك كلمة واحدة: إنه لم يتدبر.

أ. د. ناصر العمر

٢٦) الأزمات والشدائد من أخصب ميادين تخريج القادة والعظماء والمصلحين. تأمل في المعاناة التي مرَّ بها يوسف ﷺ قبل أن يصبح عزيزَ مصر، والشدائد التي عانى منها موسى ﷺ قبل بعثه لأعظم طاغية من البشر؛ بل تدبر سورة الضحى لتعلم من هو محمد ﷺ.

أ. د. ناصر العمر

٢٧) خيانة الدين أعظم من خيانة العرض - مع قبحه ونفور الناس منه -؛ لذا جعل الله من امرأتي نوح ولوط ﷺ مثلًا للكافرين إلى يوم القيامة، فما بال بعض نساء المسلمين أصبحن رمزًا ومثلًا في خيانة أمتهن، ومجتمعهن، وعونًا لأعدائهم؟!

أ. د. ناصر العمر

٢٨) ورد الصوم في القرآن كفارة لعدد من الذنوب العظيمة، وعند التأمل تجد أن من أبرز أسباب وقوعها ضعف الإرادة، والصوم من أعظم وسائل تقويتها وتوجيهها، فهل نستثمر هذه الشعيرة لتهذيب هذه الملكة وبنائها ابتداءً قبل أن يكون الصوم كفارة وجزاءً؟

أ. د. ناصر العمر

٢٩) يتعامل القرآن مع النفس البشرية حسب طبيعتها وميولها لا بما ينتظر منها أن تفعله فيعالج الخلل في ذلك؛ لذا تجد الأمر ببر الوالدين والوصية بهما في مواضع عدة، بينما لم يوصِ بالأولاد إلا في قسمة الميراث أو عرَضًا -كما في الحديث عن الأيتام-، مع أن فضل الوالدين على الأبناء كان يتوقع أن يكون دافعًا للبر بهما دون وصيَّة، بخلاف الأولاد الذين لا فضل لهم على آبائهم، لكن واقع أكثر الناس بخلاف ذلك.. فتأمّل.

أ. د. ناصر العمر

من أخبار المتدبِّرين

١) كان عمر ﷺ يمر بالآية في ورده، فتخنقه، فيبكي حتى يلزم بيته، فيعوده الناس يحسبونه مريضًا.

مصنف ابن أبي شيبة ٩٥/٧

٢) وصفت أسماء بنت أبي بكر ﷺ حال الصحابة مع القرآن فقالت: «كانوا - كما نعتهم الله تعالى - تدمع أعينهم وتقشعر جلودهم».

تفسير ابن أبي حاتم ٣٢٤٩/١٠

٣) قيل لعيسى بن وردان ﷺ: ما غاية شهوتك من الدنيا؟ فبكى، ثم قال: أشتهي أن ينفرج لي عن صدري، فأنظر إلى قلبي ماذا صنع القرآن فيه وما نكأ؟

المتمنين لابن أبي الدنيا ٤٩

فتأمّل - يا مؤمن - كيف كان السلف يعتنون بالتفتيش عن أثر القرآن في قلوبهم، وقارنه بالواقع!

٤) استقراء إمام: سأل رجلٌ الإمامَ مالكًا ﷺ: حلفتُ أنَّ شرَّ ما يدخل جوف الإنسان هو الخمر. فأجابه الإمام بعد يومين: تصفّحتُ كتابَ الله وسنة نبيه ﷺ فلم أرَ شيئًا أشرَّ من الربا.

الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٣/ ٣٦٤

٥) قيل ليوسف بن أسباط ﷺ: بأي شيء تدعو إذا ختمت القرآن؟ فقال: أستغفر الله؛ لأني إذا ختمته ثم تذكرت ما فيه من الأعمال خشيت المقت، فأعدل إلى الاستغفار والتسبيح.

إحياء علوم الدين للغزالي ٥٥/٢

٦) ما سر العبرة التي خنقت إمام أهل السنة أحمد ابن حنبل؟

قال المروذي ﷺ: سمعت أبا عبد الله يقول لرجل: اقعد اقرأ. فجئته أنا بالمصحف، فقعد فقرأ عليه، فكان يمر بالآية فيقف أبو عبد الله فيقول له: ما تفسيرها؟ فيقول: لا أدري. فيفسرها لنا، فربما خنقته العبرة فيردها.

بدائع الفوائد لابن القيم ١٦٧/٤

٧) كان أبو العباس بن عطاء ﷺ يختم القرآن كثيرًا، إلا أنه جعل له ختمة يستنبط منها معاني

القرآن، فبقي بضع عشرة سنة، فمات قبل أن يختمها.

حلية الأولياء لأبي نعيم ٣٠٢/١٠

٨) الاستفادة من منهج القرآن في تربية الناس: لما تولى عمر بن عبد العزيز ﷺ قال له ابنه عبد الملك: «ما لك لا تنفذ الأمور؟ فو الله ما أبالي لو أن القدور غلت بي وبك في الحق». قال له عمر: «لا تعجل يا بني، فإن الله ذم الخمر في القرآن مرتين، وحرمها في الثالثة، وإني أخاف أن أحمل الحق على الناس جملة فيدفعوه جملة، ويكون من ذا فتنة».

الشاطبي، الموافقات - ١٤٨/٢

٩) تقول عائشة برجت هوني - امرأة إنجليزية - وهي تصف قصة إسلامها: «لن أستطيع - مهما حاولت - أن أصف الأثر الطيب الذي تركه القرآن في قلبي، فلم أكد أنتهي من قراءة السورة الثالثة من القرآن حتى وجدتني ساجدة لخالق هذا الكون، فكانت هذه أول صلاة لي في الإسلام».

قالوا عن الإسلام للدكتور عماد خليل/ ٨٨

١٠) يقين.. وليس تعطيلًا للأسباب:

أعرف امرأة مسنة آلمتها حصوات في جسمها جعلت الطبيب يقرر إجراء عملية لإزالتها، فرفضت المرأة، وبعد مدة راجعت الطبيب فتبيّن بعد الكشف عليها أن الحصوات زالت، فسألها الطبيب متعجبًا؟ فقالت: قرأت عليها القرآن الذي لو قرئ على جبل لصدعه، ألا يصدع حصوات صغيرة في جسمي؟!

د. عبد الكريم الخضير

١١) كانت بداية رحلتي مع القرآن من قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ الآية (البقرة: ٣٠)، فقد رسمت لي منهجًا لا يحتاج إلى تفاصيلَ كثيرةٍ، وجعلتني لا أكره شيئًا من مخلوقاته أكثر من إبليس، وجعلتني أبحث عن صفات الله تعالى بتمعُّن لأُحسن الخلافة في الأرض.

متدبِّر

١٢) ذكرت صيدلية نصرانية أنَّ من أسباب إسلامها هو سماعها قول الله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ (المائدة: ١٧)، وتقول: لا أستطيع وصف شعوري

حينها، فكل حياتي الماضية هُدمت أمامي؛ لأنها حياةُ كفرٍ، وهنا أعلنت إسلامي.

صحيفة اليوم الإلكترونية

١٣) لما نزل قوله تعالى: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾ (مريم: ٧١)، ذهب عبد الله بن رواحة إلى بيته فبكى، فبكى أهل بيته لبكائه، فلما انقطعت عبرته قال: يا أهلاه! ما الذي أبكاكم؟ قالوا: لا ندري! ولكن رأيناك بكيت فبكينا! قال: لقد أُنزلت على رسول الله ﷺ آية ينبّئني فيها ربي أنّي واردُ النار، ولم ينبّئني أني صادرٌ عنها، فذلك الذي أبكاني.

الزهد لابن المبارك/ ١٠٤

١٤) خرج عمر رضي الله عنه يعس المدينة ذات ليلة، فمرَّ بدار رجل من المسلمين، فوافقه قائمًا يصلّي، فوقف يسمع قراءته، فقرأ: ﴿وَالطُّورِ﴾، حتى بلغ: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ﴾ (الطور: ١-٧)، قال: قسم ورب الكعبة حقّ، فنزل عن حماره، فاستند إلى حائط، فمكث مليًّا، ثم رجع إلى منزله، فمرض شهرًا يعوده الناس لا يدرون ما مرضه.

الرقة والبكاء لابن قدامة (١٦٦)

١٥) ناظر أحدُ العلماء يهوديًّا شهرًا كاملًا، فأبى أن يُذعن، فجاء اليهودي يومًا وقت الصبح وكان ذلك العالم مشتغلًا بتلاوة القرآن، فلما دخل الباب وسمع القرآن أثّر في قلبه تأثيرًا بليغًا، فأعلن اليهودي إسلامه، فسأله ذلك العالم عن السبب؟ فقال: لما وصلت إلى الباب سمعت منك القرآن - رغم قبح صوتك -، فأثّر بي تأثيرًا بليغًا؛ فعلمتُ أنّه وحي.

إظهار الحق (٢/٥٤)

كلماتٌ متفرِّقة

١) ولو كان القرآن كله ظاهرًا مكشوفًا حتى يستوي في معرفته العالم والجاهل، لبطل التفاضل بين الناس، وماتت الخواطر، ومع الحاجة: تقع الفكرة والحيلة، ومع الكفاية: يقع العجز والبلادة.

ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن/ ٥٨

٢) من أصول التدبر: «أن تكون معاني كتاب الله المنزّل على نبينا محمد ﷺ لمعاني كلامِ العربِ موافِقةً، وظاهرهُ لظاهرِ كلامها ملائمًا».

ابن جرير، جامع البيان - ١/ ١٢

٣) وقد أعلم الله تعالى خلقه أن من تلا القرآن وأراد به متاجرة مولاه الكريم؛ فإنه يربّحه

الربح الذي لا بعده ربح، ويعرّفه بركة المتاجرة في الدنيا والآخرة.

الآجري، أخلاق حملة القرآن/ ٢

٤) من القضايا المسلَّمَةِ أنه مهما تأنق الإنسان في تحبير العبارات -وهو يوضح معاني كلام الله-، فما هو إلا كالشرح لشذرة من معانيه الظاهرة، وكالكشف للمعة يسيرة من أنواره الباهرة؛ إذ لا قدرة لأحد على استيفاء جميع ما اشتمل عليه الكتاب، وما تضمنه من لب اللباب.

جمال الدين القاسمي، محاسن التأويل - ٥/١

٥) آفاق زمنية واسعة للمتدبر:

«من معجزات القرآن الكريم: أنه يدّخر في الألفاظ المعروفة في كل زمن حقائق غير معروفة لكل زمن؛ فيجليها لوقتها».

مصطفى الرافعي، وحي القلم - ٦٥/٢

٦) دعوة للتدبُّر من عالِم مجرّب:

فالآية من كتاب الله، والأثر من حديث رسول الله ﷺ، تجد فيه من أصول الهداية، ودقيق العلم، ولطيف الإشارة في لفظ بيِّن وكلام بيِّن؛ ما فيه الكفاية وفوق الكفاية، لمن أُوتِي العلم ومُنِح التوفيق.

ابن باديس، تفسير ابن باديس/ ٦١

٧) تجربة عالِم: قلوبنا معرّضة للضعف عن القيام بأعباء التكليف، وما نحن مطالبون به من الأعمال، والذي يجدد لنا فيها القوة، ويبعث فيها الهمة؛ هو القرآن العظيم، فحاجتنا إلى تجديد تلاوته، وتدبره، أكيدة جدًا؛ لتقوية قلوبنا باليقين، وبالعلم، وبالهمة والنشاط للقيام بالعمل.

ابن باديس، آثار ابن باديس - ٤١٧/١

٨) القرآن هو الذي بلغ بصدر هذه الأمة تلك الدرجة العالية من التربية، ووضع موازين القسط؛ فلزم كل واحد قدره، وأفرغ في النفوس من الأدب الإلهي ما صير به كل فرد مطمئنًا إلى مكانه من المجموع، واقفًا عند حدوده، فلا المرأة تخشى ظلم الرجل، ولا العبد يخاف من جور سيده.

البشير الإبراهيمي، آثار البشير الإبراهيمي - ٩٥/٤

٩) القرآن يعطيك بمقدار ما تعطيه، ويتفتح عليك في كل مرة بإشراقات وإيحاءات بقدر ما تفتح له نفسك، ويبدو لك في كل مرة جديدًا كأنك تتلقاه اللحظة.

سيد قطب، في ظلال القرآن - ٢٠٣٩/٤

١٠) إياك - يا أخي - ثم إياك أن يزهدك في كتاب الله تعالى كثرة الزاهدين فيه، ولا كثرة

المحتقرين لمن يعمل به ويدعو إليه، واعلم أن العاقل الكيس الحكيم لا يكترث بانتقاد المجانين.

الشنقيطي، أضواء البيان - ١/٥

١١) ما أحسن وقع القرآن وبلَّ نداه على القلوب التي ما تحجّرت ولا غلب عليها الأشر والبطر والكفر والنفاق والزندقة والإلحاد! هو والله نهر الحياة المتدفق على قلوب القابلين له، والمؤمنين به، يغذيها بالإيمان والتقوى لله تعالى، ويحميها من التعفن والفساد، ويحملها على كل خير وفضيلة.

الشيخ صالح البليهي، الهدى والبيان في أسماء القرآن/ ١٢

١٢) تجد القرآن الكريم عندما يقصُّ أخبار الماضين فإنما ينفخ فيها روح الحياة، فإذا هي حية تسعى، نسمع فيها ضجيج العراك بين المحقين والمبطلين.. إن قصص القرآن قطع من الحياة الماضية، استرجعها الوحي الأعلى للتعليم والاعتبار.

محمد الغزالي، المحاور الخمسة للقرآن/ ١٠٠

١٣) تأمّل كيف تكون قوة الصلة بالقرآن!

في محاضرة واحدة فقط استدل سماحة الشيخ ابن باز ﷺ فيها بأكثر من مائة آية.

عن تلميذ الشيخ: د. عمر العيد

١٤) لو رأيتم رجلًا يقرأ جريدة من أولها إلى آخرها ثم لما فرغ سألتموه: ما أخبارها؟ قال: لا أدري! لم أحاول أن أتفهم معناها! فما تقولون فيه؟ أما تنكرون عليه؟ فكيف لا تنكرون على من يعكف على المصحف حتى يتم الختمة وقد خرج منها بمثل ما دخل فيها ما فهم من معانيها شيئًا؟ من أين جاءت هذه المصيبة؟ وكيف حرم المسلمون من قرآنهم وهو بين أيديهم وملء أنظارهم وأسماعهم؟

الشيخ علي الطنطاوي

١٥) هل يوجد شيء أهم في حياة الأمة من القرآن حتى نقدمه عليه؟ كلا! فيجب أن يصبح القرآن هو الأساس في التعليم وبناء الشخصية، هذه نصيحة لله، وحقيقة نعلنها ونسرها، هذا عين الحق الذي يجب أن يتبع.. والطريق: هو أن يتجه الجميع نحو قبلة واحدة؛ هي التركيز على القرآن والوحي جملة، فالإدلاج الإدلاج.. وعند الصباح يحمد القوم السرى.

د. الشاهد البو شيخي

١٦) سأقرأ القرآن باحثًا عن دهشة الحياة.. عن الخلوص من وساوس الغواة. سأفهم القرآن للبناء والعمران، ولن أراه فكرة عديمة، أو تحفة قديمة.. سأقرأ القرآن باليقين.. بالشفوف.. بالتسليم والإذعان. لن أقرأ القرآن للنكوص أو لأجل لقمة حقيرة. لن ألوي الحروف عامدًا، لن أقرأه بغية

صرف الوجوه، أو لأطعن الخصوم.

د. خالد المزيني

١٧) أجريت دراسة سلوكية على (١٨٥ سجينًا) ممن حفظ القرآن داخل السجن، واستفادوا من العفو المشروط بالحفظ، على أنه لم يعد منهم أحد إلى سابق عهده، وأن نسبة العودة: (٠٪).

د. سليمان الصغير، كتاب عظمة القرآن

١٨) ربما تعجبون من اعتراف رجل أوروبي مثلي بهذه الطريقة: فقد درست القرآن فوجدت فيه تلك المعاني العالية، والأنظمة المحكمة، والبلاغة الرائعة التي لم أجد مثلها قط في حياتي، جملة واحدة منه تغني عن مؤلفات، هذا ولا شك أكبر معجزة أتى بها محمد عن ربه.

المستشرق الألماني د.شومبس، بالقرآن أسلم هؤلاء لعبدالعزيز الغزاوي

١٩) كان جدي لأمي أميًا، لكن توجيهاته لنا كانت بمثابة دروس تربوية عظيمة، ففي أحد اجتماعاته بنا قال: إنكم مسؤولون أمام الله ﷻ عن كل حرف تتعلمونه، فخذوا مني هذه النصيحة: «إذا أردتم أن تكونوا أقوياء في مواجهة الحياة ومصاعبها؛ فما عليكم إلا أن تكونوا أصحاب علاقة وثيقة مع القرآن الكريم، وأن تكون علاقتكم بالقرآن علاقة التدبر والتأمل، وليست علاقة التلاوة والحفظ فقط» فكان لهذه النصيحة الأثر الكبير في نجاحي وبناء ذاتي، وبلوغ آمالي وطموحاتي.

د. عبدالرحمن العشماوي

٢٠) سألت أحد الشباب -الذين مَنَّ الله عليهم بحفظ القرآن، والعيش معه، كما أحسبه- فقلت له: أنت في بيئة عُرِف عنها النزاعات والخلافات والتفرق، فكيف نجوت من ذلك؟ فقال: لا أعرف سببًا أعزو الأمر إليه إلا الإقبال على القرآن؛ فقد رباني على حفظ اللسان، والإعراض عما لا ينفعني في الآخرة. فأعجبني هذا منه، فاللَّهُمَّ أكثِر من أمثاله.

عبدالرحمن العقل

٢١) ما أعظم أثر التدبر! أحد العلمانيين وباقتراح من أحد العلماء يقرأ القرآن قراءة تدبرية في ظرف أسبوع؛ فيقرر بعدها التراجع عما كان يحمله من أفكار منحرفة!

إنه أسلوب عظيم يمكن سلوكه مع كل من يحمل فكرًا منحرفًا، أليس الله يصفه بأنه هدى وشفاء؟

عبدالله بن منيع، مقالة: (الذهب ذهب وإن علاه الصدأ)، جريدة الرياض عدد ١٥٤١٥ (بتصرف)

٢٢) كم هو مبهج ما يرى من غضب إسلامي تجاه قضية حرق المصحف من قبل بعض النصارى!

إلا أنه من المهم -أيضًا- أن نفتش عن غيرتنا على احتراق بعض مقاصده في قلوبنا:

كم بذلنا من وقت لتعلمه وفهمه؟!

كم تدبرناه؟!

كم طبقنا أوامره؟!

كم انتهينا عما نهانا عنه؟!

كم علمناه أهلنا؟!

كم دعونا الناس به وإليه؟!

د.عبدالمحسن الأحمد

٢٣) كلمة عالِم عاش مع القرآن:

هذا الكتاب المبارك انتقل بالإنسان من حدود الدنيا وضيقها إلى سعة الآخرة ونعيمها، فجعل من سعي الآخرة برًا بالدنيا، ومن العمل الصالح في الدنيا نعيمًا في الآخرة؛ فلم يعد الإنسان -بفقه القرآن- حبيس غم وهم على فوات دنياه.

محمد الراوي، حديث القرآن عن القرآن ٣٣٥

٢٤) فائدة: من تأمل موضوعات القرآن وطريقة عرضها، ثم نظر في نفائس أشعار العرب -كالمعلقات التي لا تعدو أن تكون تجارب شخصية للشاعر، كالفخر بالذات أو القبيلة-؛ تبيَّن له شيء مما أحدثه القرآن من تغيير في نفوس العرب.

د. مساعد الطيار

٢٥) تأمل في هذا النموذج التطبيقي في حياة ابن عباس ﷺ حين قال: «إني لأسمع الحاكم من حكام المسلمين يعدل في حكمه فأحبه ولعله لا أقاضي إليه أبدًا، وإني لأسمع بالغيث يصيب البلدة من بلدان المسلمين فأفرح به وما لي بها سائمة ولا راعية، وإني لآتي على آية في كتاب الله، فوددت أن المسلمين كلهم يعلمون منها مثل ما أعلم»[1].

---

(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (١٠٦٢٤).

إنه حب الخير للناس، وسلامة الصدر لهم، والنصح كل النصح للخليقة.

٢٦) أعظم الرسائل التي تبلغ للحجاج: أقام ابن عباس رضي الله عنهما للناس الحج في بعض السنين، فخطب بهم في عرفات خطبة، وفسر فيها سورة البقرة -وفي رواية سورة النور- قال من سمعه: فسر ذلك تفسيرًا لو سمعته الروم والترك والديلم لأسلموا!

ابن كثير، البداية والنهاية ٨/٢٩٩

٢٧) لمن قسا قلبه.. إليك دواءً قرآنيًا:

تدبر قصص القرآن، فإن ممن خوطب بهذه القصص: قلوب كانت قاسية، غافلة عن تدبره، «فكُوثِرت بالوعظ والتذكير، ورُوجعت بالترديد والتكرير؛ لعل ذلك يفتح أذنًا، أو يشق ذهنًا، أو يصقل عقلًا طال عهده بالصقل، أو يجلو فهمًا قد غطى عليه تراكم الصدأ».

الخطيب الشربيني، السراج المنير٣/٣٣

تدبرات من المتابعين والمشتركين بجوال تدبر

١) من ثمار المجاهدة: حاولت أن أتدبَّر فأخذت تفسير السعدي، وبدأت أرتل وأكرِّر وأفهم؛ فأحسست بانفتاحٍ وراحة عجيبة، ثم صليت الضحى، وبدأت أتأمل في الآيات والأدعية، ولو أقسمت ما حنثت: أني لا أذكر صلاة صليتها أسكن وألذ منها، فكيف أضعنا تلك الفرص العظيمة؟

٢) ما تلذذت بوقت مثلما تلذذت بجلسة الفجر مع القرآن إلى الشروق، يشرق القلب فيها بنور القرآن، وإنها والله لتذهب سريعًا مع تدبر كلام الله، يخرج بعدها القارئ المتدبر بسرور لا يعادله سرور، وهمة جديدة في يوم جديد.

٣) كانت دار الأرقم بن أبي الأرقم مكانًا يربي فيه نبينا ﷺ أصحابه بالقرآن: تلاوة وتدبرًا، فهل يكون رمضان فرصة لنا لنعمر بيوتنا بأمثال تلك المجالس التي يتربى فيها أهل البيت على معاني القرآن وهداياته؟ ولعل هذا المجلس القرآني -إذا استمر- من خير ما يبقى في ذاكرة أهل البيت لوليهم الذي غرس فيهم حب أشرف المجالس.

٤) يقول أحد أعضاء أسرة تدبر (أستاذ جامعي): زرت والدي (قرابة ٧٠ سنة) في المستشفى فسألته عن نومه؟ فقال: نمت بحمد الله، وأنا أفرح إذا طار عني النوم! فقلت: لم؟ فقال: لأعيش مع كلام ربي! فقلت: كم تقرأ؟ قال: سبعة أجزاء! يقول هذا الأستاذ: وأنا لا أعرف عن قراءة والدي إلا التدبر والسؤال، والتكرار، والوقوف الطويل عند الآيات.

٥) «**إني أحب أن أسمعه من غيري**»[١] هكذا قال النبي ﷺ حين سمع قراءة ابن مسعود ﵁، وذرفت عيناه من التأثر، وهذا مفتاح من مفاتيح التدبر، فانظر من ترتاح له في الأشرطة أو في صلاة التراويح، فاسمع له بتدبر؛ فلعلك ترزق دمعات تنجيك من النار.

٦) من مفاتيح التدبر: التأني في القراءة؛ فقد روى الترمذي وصححه أن أم سلمة ﵂ نعتت قراءة النبي ﷺ؛ فإذا هي قراءة مفسرة حرفًا حرفًا[٢]، وهذا كقول أنس -كما في البخاري-: كانت قراءة النبي ﷺ مدًا[٣]. وقال ابن أبي مليكة: «سافرت مع ابن عباس ﵄، فكان يقوم نصف الليل، فيقرأ القرآن حرفًا حرفًا، ثم يبكي حتى تسمع له نشيجًا»[٤].

٧) تجد اقترانًا لذكر آيات الجهاد مع آيات الحج، تكرر هذا في سورة البقرة والتوبة والحج، ولعل من مناسبة ذلك: أن الحج نوع جهاد، بل هو جهاد كل ضعيف وامرأة.

٨) رأى أحد طلبة العلم رجلًا من الأتراك -لا يحسن العربية- ولكنه إذا قرأ القرآن يبكي، فسأله: كيف تبكي وأنت لا تعرف معنى ما تقرأ؟ فقال له -عن طريق المترجم-: إنه كلام الله، ولكن أنتم عرب، فلماذا لا تبكون؟!

٩) قد يتعجب بعضهم ويتساءل: لماذا لا ينتقم الله لأوليائه الذين يعذبون ويقتلون بأيدي أعدائه في هذه الدنيا؟! والجواب: أن الله تعالى لم يجعل الدنيا دار جزاء لأوليائه، فقد يدركون انتقام الله لهم، وقد لا يدركه إلا من يأتي بعدهم، والنصر الحقيقي هو انتصار المبادئ، ولو فنيت الأبدان، ومن تدبر قصة تحريق أصحاب الأخدود -الموحدين- تبين له الجواب جليًّا.

١٠) تجربة مثمرة: يقول أحد أئمة المساجد: أردت أن أُجرِّب طريقة مع جماعة مسجدي في ربط الناس بكتاب ربهم، فبدأت أقرأ من كتاب «ليدبروا آياته» بعد صلاة العصر، بحيث أقتصر على فائدتين كل يوم. يقول هذا الإمام: وجدت لذلك أثرًا عظيمًا على جماعة المسجد، فجزاكم الله خيرًا.

١١) من بركات رمضان على أهل القرآن:

---

(١) أخرجه البخاري ح (٥٠٤٩)، ومسلم ح (٨٠٠)، وأبو داود (٣٦٦٨)، والترمذي (٣٠٢٥).

(٢) أخرجه أبو داود (١٤٦٦)، والترمذي (٢٩٢٣)، والنسائي (١٠٢٢).

(٣) أخرجه البخاري ح (٥٠٤٦).

(٤) مختصر قيام الليل للمروزي ١٣١.

١- صنف الحافظ السيوطي النصف الأول من «الجلالين» في ٤٠ يومًا، بدأت في ١ رمضان ٨٧٠هـ، وانتهت في ١٠ شوال ٨٧٠هـ.

٢- وصنف العلامة السعدي كتابه «القواعد الحسان» في ١ رمضان ١٣٦٥هـوختمه في ٦ شوال من العام نفسه.

فكم هو حسن أن ندون ما يمر بنا من تأملات، ثم نعرضها بعد ذلك على من نثق به في علمه قبل نشره.

١٢) نشر أحد المواقع الإلكترونية خبرًا مفاده: أن فلبينيًا أشهر إسلامه بعد أن (تدبر معاني القرآن) في أحد كتب الترجمة، عثر عليه مصادفة داخل سكن أحد أصدقائه في مدينة الرياض.

تعليق: اهتدى هذا الأخ بسبب تدبر المعاني، فكيف بمن يمن الله عليه بذوق معاني الألفاظ؟ ومعرفة المعاني بدون ترجمة؟!

١٣) بعد رحلة طويلة مع العلمانية، قال عن نفسه في «تويتر»: (صاحب تجربة لا دينية، عاد إلى الإسلام عن قناعة حقيقية)، ثم قال في أحد تغريداته: «كل سؤال أو شبهة في بالي وجدت الإجابة عليها في القرآن، وكأنّ كل آية تعنيني، وكل حجة عندي إلا رد القرآن عليها بحجة أقوى وأبين» (انتهى).

تعليق: هذا الأخ استعمل مفتاحًا مهمًّا (وكأن كل آية تعنيني) + التدبر العميق.. (كل حجة عندي إلخ) فاللَّهُمَّ ثبته واهدِ ضال المسلمين.

١٤) الله يخاطبك! فما دمت تتلو القرآن بهذا الشعور، وأن كل آية فيه إنما هي رسالة من الله إليك، فسيكون شعورك مختلفًا تمامًا. قال الحسن البصري رحمه الله: «إن من كان قبلكم رأوه رسائل إليهم من ربهم، فكانوا يتدبرونها بالليل، وينفذونها بالنهار»(١).

وإذا كانت الرسالة من الله، أليست جديرة بالتعظيم والإجلال؟

١٥) استعن على فهم ما يشكل عليك بقراءة بعض الكتب المعينة في هذا، ومنها: التفسير الميسر (ط. مجمع الملك فهد)، أو كتاب د. الأشقر (زبدة التفسير)، أو ما تيسر من التفاسير الموثوقة كتفسير السعدي، رحمهم الله جميعًا.

(١) المحرر الوجيز لابن عطية (١/ ٣٩).

١٦) تجنب ذنوب النظر، والكلام، والسماع، وذنوب القلب؛ فإن لهذه تأثيرًا في عدم اكتمال التأثر بالقرآن، فالذنوب من الحجب عن التدبر، وتزداد كلما عظمت الذنوب. وقبل هذا وبعده: عليك بالدعاء والانطراح بين يدي مولاك بأن يفتح الله قلبك لفهم كتابه والعيش معه.

١٧) كنتُ متأثرًا ببعض الذين سلكوا منهج ما يسمى بـ(التنوير)؛ لأني كنت أرى فيهم استقلالًا فكريًا وشرعيًا! فلما تدبرت كتاب الله بتجرد، وتأملت في واقعهم وتفكيرهم، استبان لي ميلهم عن المنهج الصحيح، رأيت فيهم تمييعًا لأحكام الدين، وتنازلًا بسبب ضغط الواقع، فرجعت للمنهج الحق، هدانا الله وإياهم للحق.

ليدبروا آياته

سورة الفاتحة

١) يؤخذ من سورة الفاتحة إيجاز المقدمة مع بلاغتها؛ لئلا تمل نفوس السامعين بطول انتظار المقصود، وهذا سنة للخطباء ألا يطيلوا المقدمة فينسبوا إلى العي؛ فإنه بمقدار ما تطال المقدمة يقصر الغرض، ومن هذا يظهر وجه وضعها قبل السور الطوال مع أنها سورة قصيرة.

ابن عاشور، التحرير والتنوير ١/١٥٣

٢) ما أحسنها من تربية يربينا بها ربنا، لما أثبت في سوره الفاتحة أن الحمد كله له؛ علل ذلك بأنه ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ و ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ أو ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾..! وبهذا تطمئن القلوب، وتنقاد النفوس، ويزداد إقبالها على ما أمرت به.

د. محمد الخضيري

٣) مبنى الفاتحة على العبودية؛ فإن العبودية إما محبة، أو رجاء، أو خوف، و ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ محبة، و﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ رجاء، و ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ خوف، وهذه هي أصول العبادة، فرحم الله عبدًا استشعرها، وأثرت في قلبه، وحياته.

٤) كثيرًا ما يستعجل الإمام أو يغفل المأموم عن تدبُّر سورة الفاتحة، خاصة مع تكررها في مثل التراويح، طلبًا لتدبُّر ما بعدها من تلاوة وربما لتدبر قنوت مع أنَّ الفاتحة أولى السور بالتدبر؛ لأنها أعظم سورة، والله تعالى يقول: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِي وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾﴾ (الحجر)، والفاتحة هي السبع المثاني والقرآن العظيم.

باسل الرشود

٥) من أحسن ما يفتح لك باب فهم الفاتحة قوله تعالى -في الحديث القدسي-: «**قال الله تعالى: قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين، ولعبدي ما سأل، فإذا قال العبد:** ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾، **قال الله تعالى: حمدني عبدي، وإذا قال:** ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣﴾، **قال الله تعالى: أثنى علي عبدي، وإذا قال:** ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾، **قال: مجدني عبدي -وقال مرة فوض إلي عبدي- فإذا قال:** ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ **قال: هذا بيني وبين عبدي، ولعبدي ما سأل، فإذا قال:** ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾ **قال: هذا لعبدي ولعبدي ما سأل**»[1]. فإذا تأمل العبد هذا، وعلم أنها نصفان: نصف لله، ووصف للعبد، وتأمل أن الذي علمه هذا هو الله، وأمره أن يدعو به ويكرره في كل ركعة، وأنه سبحانه ضمن إجابة هذا الدعاء -إذا دعاه بإخلاص وحضور قلب-؛ تبيَّن له ما أضاع أكثر الناس.

محمد بن عبد الوهاب، تفسير سورة الفاتحة ص ٨

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾

١) الحمد هو المدح المقرون بالمحبة التامة والتعظيم التام، وهذا مناسب جدًّا للوصف الذي جاء بعد الحمد: (رب العالمين = الربوبية)، فإذا كان الله هو من ربَّى العبد وجب عليه أن يحبَّه، وإذا كان هو القادر على ذلك وجب عليه تعظيمه.

ابن القيم، بدائع الفوائد ١٣٢/٣ (بتصرف)

٢) لو لم يكن لهذا القرآن من وظيفة إلا أنه أتاح لنا أن نشكر الله ونحمده بكمال حمده وشكرانه؛ لكفى به نعمة عظمى على العالمين، فـ ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

٣) وصف الله تعالى نفسه بعد قوله ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ بأنه ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾؛ لأنه لما كان في اتصافه بـ ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ ترهيب؛ قرنه بـ ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ لما تضمنه من الترغيب؛ ليجمع في صفاته بين الرهبة منه والرغبة إليه، فيكون أعون على طاعته وأمنع.

القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ١٣٩/١

---

(١) مسلم ح (٣٩٥).

﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٣﴾

قال أهل العلم: هذان الاسمان يفتحان -لمن عقل- أوسع أبواب المحبَّة لله، والرجاء فيه، وتنويع الاسمين -مع أنَّ المصدر واحد وهو الرحمة- دليل سعتها، وفي الحديث القدسي: «**أنا عند ظنِّ عبدي بي**»(١).

صالح آل الشيخ

﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ٤﴾

١) تأمَّل كيف تضمَّنت هذه الآية:

١- إثبات المعاد.

٢- جزاء العباد بأعمالهم -حسنها وسيِّئها-.

٣- تفرُّد الرب تعالى بالحكم إذ ذاك بين الخلائق.

٤- كون حكمه تعالى بالعدل.

ابن القيم، مدارج السالكين ١/٧

٢) إنما قال ﴿يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ ولم يقل مالك الدين؛ لتعريفنا بأن للدين يومًا ممتازًا عن سائر الأيام، وهو اليوم الذي يلقى فيه كل عامل عمله ويوفى جزاءه.

محمد رشيد رضا، تفسير المنار١/٤٦

﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ٥﴾

١) تدبر عملي: يقول مزاحم بن زفر ﵀: «صلى بنا سفيان الثوري ﵀ المغرب، فقرأ حتى بلغ: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾ فبكى حتى انقطعت قراءته، ثم عاد فقرأ: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ﴾».

حلية الأولياء ٧/١٧

كم في الفاتحة ما يبكي، ولكن إلى الله المشتكى من قسوة القلوب!

٢) قال محمد بن عوف الحمصي: «رأيت أحمد بن أبي الحواري ﵀ قام يصلي العشاء، فاستفتح بـ ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ إلى ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾، فطفت الحائط كله، ثم رجعت، فإذا هو لا يجاوزها ثم نمت، ومررت في السحر، وهو يقرأ: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾ فلم يزل يرددها إلى الصبح».

سير أعلام النبلاء ١٢/ ٨٧

---

(١) البخاري ح (٧٤٠٥).

٣) قال ابن تيمية ﷺ: «تأملت أنفع الدعاء فإذا هو سؤال العون على مرضاته تعالى، ثم رأيته في الفاتحة: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾».

مدارج السالكين ٧٣/١

٤) ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ الغاية، و ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ الوسيلة، فلن تستطيع أن تعبد الله إلا بالله، فالبداية من الله والنهاية إلى الله، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

العبودية لابن تيمية، ص٩٧ (بتصرف)

٥) ولا أنفع للقلب من التوحيد وإخلاص الدين لله، ولا أضر عليه من الإشراك، فإذا وجد حقيقة الإخلاص التي هي حقيقة: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ مع حقيقة التوكل التي هي حقيقة: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، كان هذا فوق ما يجده كل أحد لم يجد مثل هذا.

ابن تيمية، الزهد والورع، ٨٣

٦) وكثيرًا ما يقرن الناس بين الرياء والعُجب؛ فالرياء من باب الإشراك بالخلق، والعُجب من باب الإشراك بالنفس، وهذا حال المستكبر، فالمرائي لا يحقق قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾، والمعجب لا يحقق قوله: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى ٢٧٧/١٠

٧) قدم العبادة على الاستعانة في قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾؛ لأن العبادة قسم الرب، وحقه، والاستعانة مراد العبد، ومن الطبيعي أن يقدم العبد ما يستوجب رضا الرب ويستدعي إجابته قبل أن يطلب منه شيئًا، وهو هنا التذلل لله والخضوع بين يديه بالعبادة؛ فكان القيام بالعبادة مظنة استجابة طلب الاستعانة.

ابن القيم، مدارج السالكين ٧٦/١ (بتصرف)

٨) قال ابن القيم ﷺ في «المدارج»: فأنفع الدعاء طلب العون على مرضاته، وأفضل المواهب إسعافه بهذا المطلوب، وجميع الأدعية المأثورة مدارها على هذا، وعلى دفع ما يضاده، وعلى تكميله وتيسير أسبابه.

وقد ذكر في موضع آخر أن قوله ﷺ: «**اللَّهُمَّ أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك**»[1] من أجمع الدعاء.

مدارج السالكين ١٠٠/١

---

(١) رواه أبو داود ح (١٥٢٢).

٩) القلب يعرض له مرضان عظيمان، إن لم يتداركهما تراميا به إلى التلف ولا بد، وهما: الرياء، والكبر، فدواء الرياء بـ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾، ودواء الكبر بـ ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾.

كما ذكر ذلك ابن القيم رحمه الله، ونقل عن شيخه ابن تيمية رحمه الله أن ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ تدفع الرياء، ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ تدفع الكبرياء.

يقول ابن القيم رحمه الله: «فإذا عوفي من مرض الرياء بـ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾، ومن مرض الكبر والعُجب بـ ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، ومن مرض الضلال والجهل بـ ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ عوفي من أمراضه وأسقامه ورفل في أثواب العافية، وتمت عليه النعمة، وكان من المنعم عليهم، ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾، وهم أهل فساد القلب، الذين عرفوا الحق وعدلوا عنه، و ﴿الضَّالِّينَ﴾ وهم أهل فساد العلم الذين جهلوا الحق ولم يعرفوه، وحُق لسورة تشتمل على هذين الشفاءين أن يستشفى بها من كل مرض».

مدارج السالكين ٥٤/١ (بتصرف)

١٠) العبد محتاج إلى الاستعانة بالله في فعل المأمورات وترك المحظورات والصبر على المقدورات كلها في الدنيا وعند الموت وبعده من أهوال البرزخ ويوم القيامة، ولا يقدر على الإعانة على ذلك إلا الله عز وجل، فمن حقَّق الاستعانة عليه في ذلك كلِّه، أعانه.

ابن رجب، تفسير ابن رجب ٧٣/١

١١) قد يسأل بعضنا عن وجه ذكر الاستعانة بعد العبادة مع دخولها فيها؟

والجواب: أن ذلك لاحتياج العبد في جميع عباداته إلى الاستعانة بالله تعالى؛ فإنه إن لم يعنه الله لم يحصل له ما يريده من فعل الأوامر واجتناب النواهي.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن ص ٣٩ (بتصرف)

١٢) كل نقض لصفاء الإخلاص؛ إنما هو نقض لعهد الله، وخيانة له جل علاه، كيف لا؟ وها أنت ذا تقطعه شهادة على نفسك صباح مساء: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ الفاتحة:٥، ثم تنصرف خلفها إلى سواه! فمن يقيك بعد ذلك من عذاب الله؟

د. فريد الأنصاري، مجالس القرآن، ص١٣٨

١٣) صليت خلف الشيخ عبدالرحمن الدوسري ﷺ كثيرًا، فما أذكر أنه استقامت له قراءة الفاتحة بدون بكاء، خصوصًا عند قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾.

د. عبدالعزيز العويد

١٤) لن يبلغَ العبدُ مراتبَ التوفيق والفضل بمجرَّد الرغبة، بل لا بد من الاستعانة به، والافتقار إليه، وسؤاله الفتح على القلب واللسان بألوان العبودية القلبية والبدنية: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾.

متدبر

١٥) الاستعانة فرع عن العبادة، ولكن لأهميتها أفردت لذاتها؛ فكانت مسلكًا خاصًا إلى توحيد الله وإفراده رغبًا ورهبًا، فلا استقامة على العبادة -ابتداء- إلا بالاستعانة بالله، ولا ثبات على العبادة -انتهاء- إلا بالله.

﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ ﴾

١) من أدب الدعاء أن يكون ذلك بعد الثناء، وفي قوله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ ثناء، وهذا مناسب أن يكون قبل الدعاء: ﴿اهْدِنَا﴾.

ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ١٣٦/١

٢) أنفع الدعاء وأعظمه وأحكمه دعاء الفاتحة: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾﴾؛ فإنه إذا هداه هذا الصراط أعانه على طاعته، وترك معصيته، فلم يصبه شيء لا في الدنيا ولا في الآخرة.

ابن تيمية، الحسنة والسيئة ص٨٣

٣) الصراط المستقيم: هو أمور باطنة في القلب من اعتقادات وإرادات، وغير ذلك، وأمور ظاهرة من أقوال وأفعال قد تكون عبادات، وقد تكون أيضًا عادات في الطعام واللباس والنكاح والمسكن، والاجتماع والافتراق، والسفر والإقامة، والركوب، وغير ذلك.. وهذه الأمور الباطنة والظاهرة بينهما ارتباط ومناسبة؛ فإنما يقوم في القلب من الشعور والحال يوجب أمورًا ظاهرة، وما يقوم في الظاهر من سائر الأعمال يوجب للقلب شعورًا وأحوالًا.

ابن تيمية، اقتضاء الصراط المستقيم ص١١

٤) قد يسأل المسلم عن وجه هذا الدعاء بالهداية إلى الصراط المستقيم، مع أن الله قد هدانا إلى الإسلام، فيقال: بأن الهداية هي البيان والدلالة، ثم التوفيق والإلهام، وهو بعد البيان والدلالة، ولا سبيل إلى البيان والدلالة إلا من جهة الرسل، فإذا حصل البيان والدلالة والتعريف؛ ترتب عليه هداية التوفيق، وجعل الإيمان في القلب، وتحبيبه إليه وتزيينه في قلبه، وجعله مؤثرًا له، راضيًا به، راغبًا فيه، وهي هدايتان مستقلتان، لا يحصل الفلاح إلا بهما، وهما متضمنتان تعريف ما لا نعلمه من الحق تفصيلًا وإجمالًا وإلهامنا له، وجعلنا مريدين لاتباعه ظاهرًا وباطنًا، ثم خلق القدرة لنا على القيام بموجب الهدى بالقول والعمل والعزم، ثم إدامة ذلك لنا وتثبيتنا عليه إلى الوفاة؛ ومن هنا يعلم اضطرار العبد إلى سؤال هذه الدعوة فوق كل ضرورة، وبطلان قول من يقول: إذا كنا مهتدين فكيف نسأل الهداية؟ فإن المجهول لنا من الحق أضعاف المعلوم، وما لا نريد فعله تهاونًا وكسلًا مثل ما نريده أو أكثر منه، أو دونه، وما لا نقدر عليه مما نريده كذلك، وما نعرف جملته ولا نهتدي إلى تفاصيله فأمر يفوت الحصر، ونحن محتاجون إلى الهداية التامة، فمن كملت له هذه الأمور كان سؤال الهداية له سؤال التثبيت والدوام.

وللهداية مرتبة أخرى، وهي آخر مراتبها، وهي الهداية يوم القيامة إلى طريق الجنة، وهو الصراط الموصل إليها، فمن هدي في هذه الدار إلى صراط الله المستقيم الذي أرسل به رسله وأنزل به كتبه؛ هدي هناك إلى الصراط المستقيم الموصل إلى جنته ودار ثوابه، وعلى قدر ثبوت قدم العبد على هذا الصراط الذي نصبه الله لعباده في هذه الدار؛ يكون ثبوت قدمه على الصراط المنصوب على متن جهنم، وعلى قدر سيره على هذه الصراط؛ يكون سيره على ذاك الصراط: فمنهم من يمر كالبرق، ومنهم من يمر كالريح، ومنهم من يمر كشد الركاب، ومنهم من يسعى سعيًا، ومنهم من يمشي مشيًا، ومنهم من يحبو حبوًا، ومنهم المخدوش المسلم، ومنهم المكردس في النار، فلينظر العبد سيره على ذلك الصراط من سيره على هذا، حذو القذة بالقذة، جزاءً وفاقًا، ﴿هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٠﴾﴾ (النمل)، ولينظر الشبهات والشهوات التي تعوقه عن سيره على هذا الصراط المستقيم، فإنها الكلاليب التي بجنبتي ذاك الصراط تخطفه وتعوقه عن المرور عليه، فإن كثرت هنا وقويت، فكذلك هي هناك، ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ (فصلت: ٤٦)، فسؤال الهداية متضمن لحصول كل خير والسلامة من كل شر.

ابن القيم، مدارج السالكين ١/ ١٠

٥) هدايات متجددة: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ من علم حقيقة الهداية وحاجة العبد إليها؛ أدرك أن الذي لم يحصل له منها أضعاف ما حصل له، وأنه كل وقت محتاج إلى هداية متجددة.

ابن القيم، مفتاح دار السعادة١/ ٢٣٢

٦) دعاء الهدى هو الغاية التي تنتهي إليها سورة الفاتحة، فإذا كانت آية: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ هي خلاصتها وروحها، فإن دعاء ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ۝٧﴾ هو ثمرة تلك الخلاصة، وبشارتها المتنزلة على العبد، هدية تملأ قلبه بالأمن والسلام، تحية من الله السلام، وإذنًا منه سبحانه بدخول جنات القرآن، فكانت هذه الآيات هي مصب روافد سورة الفاتحة، ومجمع بحورها، وخزائن أسرارها.

د. فريد الأنصاري، مجالس القرآن ص ١٤٥ وما بعدها

٧) فالصراط المستقيم: إنما هو طريق أهل اليقين وكمال الإيمان، ودونه مفاوز من المجاهدة والمكابدة، فمن تحقق به فقد نال تاج النعم، وكمال الهدى، فأكرم به وأنعم؛ ولذلك وجب السعي إليه في كل صلاة؛ دعاء أبديًا يستغرق العمر كله.

د. فريد الأنصاري، مجالس القرآن، ١٤٣

٨) تأمل كم من الأسرار العظيمة في سورة الفاتحة، وخاصة تحت قوله تعالى: ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾، إنها دعوة جماعية للهداية، تُكرِّس التفوق على الـ(أنا) التي تحاصر الآخرين بالخطأ وتختص نفسها بالصواب، فهو هتاف جماعي ينشد الهداية، ويتضرع إلى الله بتحصيلها.

د. سلمان العودة، موقع الإسلام اليوم. مقال: نقطة توازن

٩) حقيقة الصراط المستقيم هو: معرفة الحقِّ والعمل به؛ لأنَّ الله لما ذكره في الفاتحة بيّن من انحرفوا عنه وهم اليهود المغضوب عليهم، الذين عرفوا الحق ولم يعملوا به، والنصارى الذين ضلُّوا عن الحق وعملوا بغيره.

د. محمد الخضيري

﴿ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ۝٧﴾

١) وقد يسأل بعضنا عن إضافة الصراط هنا إلى المنعم عليه، ولم يكتف بقوله: ﴿الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾؟ قال ابن القيم في الجواب عن ذلك: لما كان طالب الصراط المستقيم طالب أمر أكثر الناس ناكبون عنه، مريدًا لسلوك طريق مرافقه فيها في غاية القلة والعزة، والنفوس مجبولة على وحشة التفرد، وعلى الأنس بالرفيق؛ نبه الله سبحانه على الرفيق في هذه الطريق، وأنهم هم ﴿الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا ۝٦٩﴾ (النساء)، فأضاف الصراط إلى الرفيق السالكين له، وهم الذين أنعم الله عليهم؛ ليزول عن الطالب للهداية وسلوك الصراط وحشة تفرده عن أهل زمانه وبني جنسه، وليعلم أن رفيقه في هذا الصراط هم الذين أنعم الله عليهم فلا يكترث بمخالفة الناكبين عنه له، فإنهم هم الأقلون قدرًا، وإن كانوا

الأكثرين عددًا، كما قال بعض السلف: «عليك بطريق الحق، ولا تستوحش لقلة السالكين، وإياك وطريق الباطل ولا تغتر بكثرة الهالكين».

ابن القيم، مدارج السالكين ١/٤٥-٤٦

٢) وقد يسأل بعضنا عن وجه إضافة النعمة إليه ﴿أَنْعَمْتَ﴾، وحذف فاعل الغضب ﴿ٱلْمَغْضُوبِ﴾ لم يقل (غضبتَ)؟

والجواب عن ذلك -والله تعالى أعلم-: يمكن أن يكون باعتبار أن النعمة هي الخير والفضل، كما أن الغضب من باب الانتقام والعدل، ومعلوم أن الرحمة تغلب الغضب، فأضاف إلى نفسه أكمل الأمرين، وأسبقهما وأقواهما، وهذا جاء على الطريقة المعهودة في القرآن، وهي أن أفعال الإحسان والرحمة والجود تضاف إلى الله ﷻ، فيُذكر فاعلها منسوبة إليه، ولا يُبنى الفعل معها للمفعول، فإذا جيء بأفعال العدل والجزاء والعقوبة، حُذف الفاعل وبُني الفعل معها للمفعول، أدبًا في الخطاب، وإضافةً إلى الله أشرف قسمي أفعاله فمنه هذه الآية.

فإنه ذكر النعمة وأضافها إليه ولم يحذف فاعلها، ولما ذكر الغضب حَذف الفاعل وبَنى الفعل للمفعول، فقال: ﴿ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ وقال في الإحسان، ﴿ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾.

ابن القيم، مدارج السالكين، (١٢/١) بدائع الفوائد: (٢٩/٣، ٣٠٩) (بتصرف)

٣) ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ فيها إشارة وبشارة للمهتدي أنَّه ليس وحده على هذا الطريق، وأنه وإن كان غريبًا بين العابثين من البشر؛ فإن طريقه مليء بالصالحين، الذين حازوا أعلى نعمة؛ فليأنس بذلك.

٤) كثير من الناس إذا رأى في التفسير أنَّ اليهود مغضوب عليهم والنصارى ضالُّون؛ ظن أنَّ ذلك مخصوص بهم، مع أن الله أَمَرَ بقراءة الفاتحة كل صلاة، فيا سبحان الله! كيف يأمره الله أن يستعيذ من شيء لا حذر عليه منه، ولا يتصوَّر أنه يفعله؟ بل يدخل في المغضوب عليهم من لم يعمل بعلمه، وفي الضالين العاملون بلا علم.

محمد بن عبدالوهاب، تفسير سورة الفاتحة ص ٩

٥) في لفظة: ﴿أَنْعَمْتَ﴾ فوائد:

١- أنَّ الهداية إلى الصراط المستقيم نعمة من أعظم النعم.

٢- أنَّ الهداية ليست بعمل العبد؛ بل نعمة من غيره أُسديت إليه.

٣- أنَّ المنعم بالهداية هو الله وحده.

٤- وفيه أدب النعمة أن تنسب لمسديها خاصة حال مخاطبته بها.

باسل الرشود

٦) أسباب الخروج عن الصراط المستقيم إما الجهل أو العناد، فالذين خرجوا عنه لعنادهم: المغضوب عليهم، وعلى رأسهم اليهود، والذين خرجوا لجهلهم: كل من لا يعلم الحق وعلى رأسهم النصارى، وهذا بالنسبة لحالهم قبل البعثة -أي النصارى- أما بعد البعثة فقد علموا الحق، وخالفوه؛ فصاروا هم واليهود سواء، كلهم مغضوب عليهم.

ابن عثيمين، تفسير جزء عم ص٢٣

٧) ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ دال على أن المسلم غير المتحقق بصراط أهل اليقين، وغير المتأسي بهديهم، لا يأمن على نفسه أن تزيغ به الشهوات والأهواء؛ فيتردى في جحيم العذاب؛ بما يقع عليه من غضب الله، أو يضيع في متاهات الضلال؛ بما يعبد من هواه! تمامًا كما وقع لليهود من قبل، وكما وقع للنصارى بعدهم.

٨) نمدُّ الأيدي في كل يوم لنعاهد الله ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، وهذا يعني أن تكون حياتنا كلها تمتد بين ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ وحتى (آمين)، لا بد للوفاء بالعهد من قلبٍ يطرب أنسًا بسماع ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، ويقف إجلالًا مع ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾، وينكسر راجيًا ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾، ويرتعد خوفًا من سبيل ﴿ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾، إنه أعظم عهد في أعظم سورة، فهل وعت قلوبُنا لوازم ذلك العهد؟

د. عصام العويد

٩) من أعظم ما يذكر به الذين يتساهلون بالتشبه بالكفار: تدبر سورة الفاتحة؛ فإنها تقتلع أصول التشبه من جذوره، لكن المؤسف: أن يسأل المصلي ربه -في كل ركعة- أن يجنبه صراط المغضوب عليهم والضالين، ثم يتشبه بهم! إنه ليعز على الإنسان أن يصعب على هؤلاء التشبه بالنبي ﷺ وصحابته، ويسهل عليهم التشبه بأعداء الله!

د. عمر المقبل

١٠) كثيرًا ما ترد في سورة قضية مجملة، ثمَّ تفصل في التي تليها، فذكر في الفاتحة المغضوب عليهم والضالون، وجاء التفصيل في البقرة وآل عمران، وذكرت القرون المكذبة إجمالًا في الأنعام والفرقان ويس، وجاء التفصيل فيما يليهن الأعراف والشعراء والصافات.

د. محمد الخضيري

سُورَةُ البَقَرَةِ

﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢ ﴾

١) لما قال العبد بتوفيق ربه: ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ ﴾، قيل له: ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ هو مطلوبك، وفيه أربك وحاجتك، وهو الصراط المستقيم: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ القائلين: ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ ﴾، والخائفين من حال: المغضوب عليهم والضالين.

ابن الزبير الغرناطي، البرهان في تناسب سور القرآن ٨٤

٢) لما كان القرآن هو أصفى الكلام وأعلاه وأحسنه، احتاج إلى محل صاف وخالص -وهو قلوب المتقين-؛ ولهذا قال الله: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ ثم ذكر الدليل على تحققه، وهو أنهم ﴿يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾ (الآيات)؛ فإن هذه الأعمال ناتجة عن تفاعل القلب بهداية القرآن مع تقوى الإنسان.

الرازي، مفاتيح الغيب ٣٢/٢

٣) إنما يهتدي من يقبل الاهتداء، وهم المتقون لا كل أحد.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى ٥٨٨/١٦

٤) إذا عمر القلب بالتقوى انتفع العبد بالقرآن، مثله كمطر نزل من السماء، فإن وجد أرضًا طيبة، كان الربيع الذي يدهش العقول ويخلب الأبصار، ألم تقرأ في أول القرآن هذه الحقيقة؟ تأمل: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾؛ وبهذا يعرف سر عدم انتفاع كثير من الناس بالقرآن!

د. محمد الخضيري

﴿ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ ﴾

اهتم القرآن الكريم بمدح المنفقين والحث على الإنفاق؛ إذ كان من أعظم الوسائل إلى رقي الأمم وسلامتها من كوارث شتى: كالفقر، والجهل، والأمراض المتفشية، فببذل المال تسد حاجات الفقراء، وتشاد معاهد التعليم، وتقام وسائل حفظ الصحة، إلى ما يشاكل هذا من جلائل الأعمال.

محمد الخضر حسين، موسوعة الأعمال الكاملة ١٨/١

﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ٥﴾

قال ابن القيم ﷺ: «الله تعالى إذا ذكر (الفلاح) في القرآن، علقه بفعل المفلح».

التبيان في أقسام القرآن ١٥

وليتضح كلامه ﷺ تأمل أوائل سورة البقرة؛ فإن الله تعالى بين أن سبب فلاح أولئك المتقين هو إيمانهم بالغيب، وإقامتهم للصلاة، والإنفاق مما رزقهم الله... إلى آخر صفاتهم، وعلى هذا فقس، زادك الله فهمًا.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَمَا هُم بِمُؤۡمِنِينَ ٨﴾

كرر حرف الجر (الباء) مع العطف، وهذا لا يكون إلا للتأكيد، وهذه الآية حكاية كلام المنافقين، وهم أكدوا كلامهم نفيًا للريبة وإبعادًا للتهمة؛ فنفى الله الإيمان عنهم بأوكد الألفاظ، فقال: ﴿وَمَا هُم بِمُؤۡمِنِينَ﴾.

الكرماني، أسرار التكرار في القرآن ٦٧

﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخۡدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ ٩﴾

نفى عنهم الشعور -وهو أول مبادئ الإدراك-؛ فبنفي أول مبادئ الإدراك ينتفي كل الإدراك من باب أحرى.

ابن عرفة، تفسيره ١/١٣٩

﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضٗاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡذِبُونَ ١٠﴾

قوله تعالى في وصف المنافقين: ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضٗا﴾، المريض يجد طعم الطعام على خلاف ما هو عليه، فيرى الحامض حلوًا، والحلو مرًّا، وكذلك هؤلاء المنافقون يرون الحقَّ باطلًا، والباطل حقًّا.

ابن هبيرة، ذيل طبقات الحنابلة ١/٢٤٣

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ لَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحۡنُ مُصۡلِحُونَ ١١ أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡمُفۡسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشۡعُرُونَ ١٢﴾

ليس كل من ادعى شيئًا يصدق في دعواه؛ لأن المنافقين قالوا: ﴿إِنَّمَا نَحۡنُ مُصۡلِحُونَ﴾؛ فقال الله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡمُفۡسِدُونَ﴾؛ وليس كل ما زينته النفس يكون حسنًا؛ كما قال تعالى: ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنٗاۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ﴾ (فاطر:٨).

ابن عثيمين، تفسير سورة الفاتحة والبقرة ١/٤٨

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ ۗ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ ﴾

من مظاهر التكبر العقلي: عدم الرضا بما يرضى به بسطاء الناس، ﴿أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ﴾، ﴿وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ ﴿١١١﴾﴾ (الشعراء)، ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْىِ ﴿٢٧﴾﴾(هود) ثم تبدأ صورة أشد من هذه حين يجعل المتكبر انقياده للأمر دليلًا على أنه صحيح، وعدم انقياده للأمر دليلًا على أنه خاطئ! ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ ۚ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا۟ بِهِۦ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ ﴿١١﴾﴾ (الأحقاف)!

ناصر المدلج

﴿ وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ ﴾

تأمل كيف قالوا: ﴿إِنَّا مَعَكُمْ﴾ مع أن مقتضى الظاهر أن يكون كلامهم بعكس ذلك؛ لأن المؤمنين يشكون في إيمان المنافقين، وقومهم لا يشكون في بقائهم على دينهم؛ لأنه لما بدا من إبداعهم في النفاق عند لقاء المسلمين ما يوجب شك كبرائهم في البقاء على الكفر، وتطرق به التهمة أبواب قلوبهم: احتاجوا إلى تأكيد ما يدل على أنهم باقون على دينهم!

ابن عاشور، التحرير والتنوير ٢٨٧/١

﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾﴾

١) الأمثال المضروبة في القرآن قسمان: قسم يصرح فيه بتسميته مثلًا، كقوله: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا﴾، وقسم لا يصرح فيه باسم المثل: كقوله تعالى: ﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾ في ثلاثة مواضع من القرآن، وكقول يوسف: ﴿ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾﴾(يوسف).

ابن تيمية، مجموع الفتاوى ٦٥/١٤

٢) تأمل في قوله تعالى عن المنافقين: ﴿ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ﴾ كيف قال: ﴿بِنُورِهِمْ﴾ فجعله واحدًا، ولما ذكر ﴿ظُلُمَٰتٍ﴾ جمعها؛ لأن الحق واحد -وهو الصراط المستقيم- بخلاف طرق الباطل، فإنها متعددة متشعبة؛ ولهذا يفرد الله الحق ويجمع الباطل كقوله: ﴿ٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾(البقرة: ٢٥٧).

ابن القيم، الفوائد ١٢٧

٣) قال: ﴿بِنُورِهِمْ﴾ ولم يقل: (بنارهم)؛ لأن النار فيها الإحراق والإشراق، فذهب بما فيه الإضاءة والإشراق، وأبقى عليهم ما فيه الأذى والإحراق، وكذلك حال المنافقين! ذهب نور إيمانهم بالنفاق، وبقي في قلوبهم حرارة الكفر والشكوك والشبهات تغلي في قلوبهم.

ابن القيم، الوابل الصيب من الكلم الطيب ٥٤

﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ۚ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾﴾

في قوله تعالى: ﴿ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ﴾ جمع الظلمات، وأفرد الرعد والبرق! إن المقتضى للرعد والبرق واحد وهو: السحاب، والمقتضى للظلمة متعدد وهو: الليل والسحاب والمطر؛ فجمع لذلك.

ابن جماعة، كشف المعاني ٩٠

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾﴾

من لطائف اسم الربوبية (رب): أن أول أمر في القرآن معلل بـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ﴾، فكأن أول علة للأمر بالعبادة أنه ربكم.

د. مساعد الطيار

﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾﴾

ذكر سبحانه رسوله بالعبودية في أشرف مقاماته: فقال في التحدي: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ﴾، وفي مقام الإسراء: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾ (الإسراء:١)، وفي مقام الدعوة: ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ﴾ (الجن:١٩)، فأشرف صفات العبد صفة العبودية، وأحب أسمائه إلى الله اسم العبودية.

ابن القيم، الجواب الكافي ١٣٢

﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾﴾

من أشد أنواع العقوبات أن تكون نفس الإنسان وجسده مصدرًا لعقوبته، وهذا مما توعد الله به أهل النار؛ زيادة في إيلامهم: ﴿وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾.

أ. د. عبدالعزيز العويد

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾﴾

في القرآن بضعة وأربعون مثلًا، والله تعالى -بحكمته- يجعل ضرب المثل سببًا لهداية قوم فهموه، وسببًا لضلال قوم لم يفهموا حكمته، كما قال تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا﴾.

الشنقيطي، أضواء البيان ٣/٩٧

﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾﴾

يمكن أن أسيغ من عبيد البقر أن يجهلوا الكون وربه، ولكني لا أسيغ أبدًا من أتباع القرآن أن يعيشوا عَجَزَةً محجوبين بين أسرار الكون وقواه، وما أودع الله فيه من مرافق ومنافع! كيف وفي الصفحات الأولى من كتابهم: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾.

محمد الغزالي، المحاور الخمسة، ٥٥

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾﴾

١) قال ابن عباس ﷺ: إذا كانت خطيئة الرجل في كِبْرٍ فلا تَرْجه، وإذا كانت خطيئته في معصية فارجه؛ فإن خطيئة آدم في معصية، وخطيئة إبليس في كبره.

جامع البيان للطبري ١٥/٢٨٨

٢) من لطائف اللغة العربية: أن مادة الاتصاف بالكبر لم تجيء منها إلا بصيغة (الاستفعال) أو (التفعل)؛ إشارة إلى أن صاحب صفة الكبر لا يكون إلا متطلبًا الكبر، أو متكلفًا له، وما هو بكبير حقًا.

ابن عاشور، التحرير والتنوير ١/٤١٠

﴿ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ ﴾

١) قال تعالى في سورة البقرة: ﴿ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ ﴾، وقال تعالى في سورة الأعراف: ﴿ وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ ﴾(١٩) الحكمة في التعبير بلفظ ﴿ٱسْكُنْ﴾ في الآيتين دون غيره من الألفاظ التي تؤدي نفس المعنى إشارة إلى قصر وقت الإقامة في الجنة حينذاك؛ لأن الله تعالى إنما خلق آدم لخلافة الأرض.

الرازي، مفاتيح الغيب ٣/٤٥١

٢) قال سهل بن عبدالله ﷺ: ترك الأمر أعظم من ارتكاب النهي؛ لأن آدم نهي عن أكل الشجرة فأكل منها فتاب الله عليه، وإبليس أمر أن يسجد لآدم فلم يسجد فلم يتب عليه.

الفوائد لابن القيم ١٧١

﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾ ﴾

إن الله رحيم ودود، يلهم عبده المخطئ كيف يعتذر عن خطئه، فإذا أقبل عليه معتذرًا هش للقائه، وكان إليه بكل خير أسرع؛ لذلك لم يترك آدم يواجه عاقبة عصيانه، بل علمه كيف يرجع إلى ربه ويتخلص من ذنبه: ﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾.

محمد الغزالي، المحاور الخمسة٩٨

﴿ قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾

﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى ﴾ لا تسأل الهدى إلا من الله عزّ وجلّ؛ لأنه هو الذي يأتي به.

ابن عثيمين، تفسير الفاتحة والبقرة ١/١٣٩

﴿ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِىٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ ﴿٤٠﴾ ﴾.

من وسائل الدعوة إلى الله: تذكير العبد بنعمة الله عليه؛ وذلك أدعى لقبوله الحق، وأقوم للحجة عليه.

ابن عثيمين، تفسير الفاتحة والبقرة ١/١٤٤

﴿ وَءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوٓا۟ أَوَّلَ كَافِرٍۭ بِهِۦ ۖ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّٰىَ فَٱتَّقُونِ ﴿٤١﴾ ﴾

إنما قال ﴿أَوَّلَ كَافِرٍۭ﴾ مع أنه تقدمهم إلى الكفر به كفار قريش؛ لأن المراد أول كافر به من أهل الكتاب، لأنهم العارفون بما يجب للأنبياء، وما يلزم من التصديق.

الشوكاني، فتح القدير ١/ ٨٨

﴿ وَلَا تَلْبِسُوا۟ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُوا۟ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾

١) حالتان: من عمل بهذا من أهل العلم، فهو من خلفاء الرسل وهداة الأمم، ومن لبس الحق بالباطل، فلم يميز هذا من هذا مع علمه بذلك، فهو من دعاة جهنم؛ لأن الناس لا يقتدون في أمر دينهم بغير علمائهم، فاختاروا لأنفسكم إحدى الحالتين.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن ٥٠

٢) لدعاة الضلالة في إغواء الناس طريقتان: طريقة لبس الحق بالباطل، وهي المشار إليها بقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَلْبِسُوا۟ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ ﴾، وطريقة جحد الحق وإخفائه، وهي المشار إليها بقوله: ﴿وَتَكْتُمُوا۟ ٱلْحَقَّ ﴾.

محمد الخضر حسين، الأعمال الكاملة ٨٣/١

٣) الحريصون على ضبابية المصطلحات يريدون بقاء الحق ملتبسًا، يُسوِّقون لرفض الحق بمزجه بالباطل.

د. عبدالله بن بلقاسم

﴿ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾

الناس مجبولة على عدم الانقياد لمن يخالف قوله فعلَه؛ فاقتداؤهم بالأفعال أبلغ من اقتدائهم بالأقوال المجرَّدة.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن ٦٠/١

﴿ وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾

١) ﴿وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ﴾ فهما أعظم عون للعبد؛ ولذلك احتُفّا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في قوله تعالى: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ﴾، وتلك العبادات الثلاث مجتمعات هن ﴿مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴾ (لقمان: ١٧).

د. عبد الله الغفيلي

٢) الصبر زاد، لكنه قد ينفد؛ لذا أمرنا أن نستعين بالصلاة الخاشعة؛ لتمد الصبر وتقويه.

د. محمد الخضيري

٣) معالم قرآنية في الاختبارات:

أمان نفسي: ﴿وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾.

قوة في التحصيل: ﴿يَٰيَحۡيَىٰ خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ بِقُوَّةٖ﴾(مريم:١٢).

صبر فعاقبة حسنة: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ﴾(العنكبوت:٦٩).

مقدمة ونتيجة: ﴿إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا﴾(الأنفال:٢٩).

فخذ بهذه المعالم، تنجح وتفلح في الدارين.

د. محمد الربيعة

٤) من أعظم أسباب المحافظة على الصلاة والصبر عليها أمران:

١- تذوق لذة الخشوع فيها.

٢- تذكر ملاقاة الله والجزاء العظيم عنده، تدبّر قوله تعالى: ﴿وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلۡخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ وَأَنَّهُمۡ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ﴿٤٦﴾﴾.

د. محمد الربيعة

٥) تدبر عملي: كان عالم القصيم في وقته الشيخ عمر بن سليم ﷺ إذا أصيب بمصيبة فإنه يستعين عليها بكثرة الصلاة، وقد يترك التدريس بين العشائين ويفزع إلى صلاته من المغرب إلى العشاء.

تذكرة أولي النهى والعرفان ١٥٦/٤

٦) خفة الطاعة من آثار محبة المطاع وإجلاله، فإن قرة عين المحب في طاعة المحبوب، وفي الحديث: «**وجعلت قرة عيني في الصلاة**»[1]؛ لما فيها من المحاضرة والمؤانسة، ولذة القرب، وأنس المناجاة.

العز بن عبد السلام، شجرة المعارف والأحوال ٧٤

٧) ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلۡخَٰشِعِينَ﴾، المعنى: أن الصلاة صعبة إلا على الخاضعين الذين أسلموا وجوههم لله، والصلاة من حيث إنها قيام وركوع وسجود وجلوس ليس فيها صعوبة، والصعوبة من جهة أن الصلاة بحق هي التي يدخلها المصلي بقلب حاضر، فيؤديها مبتغيًا رضا الله، تاليًا القرآن بتدبر، ناطقًا بالدعوات والأذكار التي تشتمل عليها عن قصد إلى كل معنى، دون أن تجري على لسانه، وهو في غفلة عن معانيها التي هي روح العبادة.

محمد الخضر حسين، موسوعة الأعمال الكاملة ٨٩/١

(١) النسائي ح (٣٩٤٠).

٨) وإنما أخبر الله جل ثناؤه أن الصلاة كبيرة إلا على من هذه صفته؛ لأن من كان غير موقن بمعاد، ولا مصدق بمرجع ولا ثواب ولا عقاب، فالصلاة عنده عناء وضلال؛ لأنه لا يرجو بإقامتها إدراك نفع ولا دفع ضر، وحق لمن كانت هذه الصفة صفته أن تكون الصلاة عليه كبيرة، وإقامتها عليه ثقيلة، وله فادحة.

ابن جرير، جامع البيان١/٢٢

٩) تذكُّر لقاء الله تعالى وعظيم ثوابه للمطيعين، من أعظم ما يخفف العبادات، ويصبر عن المعاصي، ويسلي عند المصائب، تأمل قوله تعالى -بعد أن ذكر خفة الصلاة على الخاشعين-: ﴿ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن ٥١

﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَٰكُمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾

١) لما كان الغرق من أعسر الموتات وأعظمها شدة، جعله الله تعالى نكالًا لمن ادعى الربوبية، وعلى قدر الذنب يكون العقاب، ويناسب دعوى الربوبية والاعتلاء؛ انحطاط المدعي وتغييبه في قعر الماء.

الألوسي، روح المعاني ١ / ٣١٠

٢) إغراق العدو أو إهلاكه نعمة، وكونه ينظر إلى عدوه -وهو يغرق- نعمة أخرى؛ لأنه يشفي صدره؛ وعند عجز الناس لا يبقى إلا فعل الله ﷻ؛ ولهذا في غزوة الأحزاب نُصروا بالريح التي أرسلها الله تعالى.

ابن عثيمين، تفسير القرآن ١/١٧٩-١٨٠

٣) في يوم عاشوراء تذكر أنَّ البحر الذي حفظ الله تعالى موسى عليه السلام فيه صبيًّا هو من جنس البحر الذي أغرق فيه فرعون، وأنَّ الأنهار التي افتخر فرعون أنها تجري من تحته هي من جنس الأنهار التي أصبحت تجري من فوقه.

﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾

إذا قال أحدٌ قولًا ولم ينكره مَن عنده، فإنه يعزى للجميع؛ لأنه دليلُ رضاهم به، وهذه قاعدة فيما ذكر الله تعالى عن بني إسرائيل الذين كانوا في العهد النبوي، حيث وبَّخهم الله على أفعال أسلافهم، كما في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً ﴾ وغيرها من الآيات، ومعلوم أنَّ اليهود في عصر النبوَّة ليسوا هم الذين قالوا ذلك.

ابن عثيمين

﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ۚ ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۗ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾﴾

١) يجوز للإنسان أن يعتذر عن الوساطة إذا لم يكن لها داعٍ؛ لأن موسى ﷺ عندما قال له بنو إسرائيل: ﴿فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ﴾، قال لهم: ﴿ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ﴾؛ وكأنه قال: لا حاجة أن أدعو الله أن يخرج لكم مما تنبت الأرض.

ابن عثيمين، تفسير الفاتحة والبقرة ٢١٨/١- ٢١٩

٢) ﴿ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۗ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ ﴾ لا تلازم بين عطاء الله وَجُودِه بمتاع الدنيا، وبين رضاه!

د. عبدالله السكاكر

﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿٦٥﴾ ﴾

بيان حكمة الله في مناسبة العقوبة للذنب؛ فالذنب الذي فعلوه أنهم فعلوا شيئًا صورته صورة المباح؛ ولكن حقيقته غير مباح؛ فصورة القرد شبيهة بالآدمي، ولكنه ليس بآدمي؛ وهذا لأن الجزاء من جنس العمل.

ابن عثيمين، تفسير الفاتحة والبقرة ٢٣١/١

﴿ فَجَعَلْنَٰهَا نَكَٰلًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾

التحايل على النصوص: قال تعالى عن أصحاب السبت من بني إسرائيل ﴿ فَجَعَلْنَٰهَا نَكَٰلًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴾، إذا كان الله نكّل بعقوبة هؤلاء سائر من بعدهم، ووعظ بها المتقين، فحقيقٌ بالمؤمن أن يحذرَ استحلالَ محارمِ الله تعالى بأدنى الحيل؛ فذلك من أشد أسباب العقوبة.

ابن تيمية، بيان الدليل ٤٧

﴿ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ ۖ فَٱفْعَلُوا۟ مَا تُؤْمَرُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾

كان الحسين بن الفضل معروفًا بإخراج أمثال العرب والعجم من القرآن، فقيل له: هل تجد في كتاب الله «خير الأمور أوساطها»؟ قال: نعم، في أربعة مواضع!

١- ﴿ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ ۖ فَٱفْعَلُوا۟ مَا تُؤْمَرُونَ ﴾.
٢- ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴾. (الفرقان: ٦٧)
٣- ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ ﴾. (الإسراء: ٢٩)
٤- ﴿ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴾. (الإسراء:١١٠)

الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ٤٨/٤

﴿ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا ۚ قَالُوا۟ ٱلْـَٰٔنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ ۚ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾ ﴾

﴿ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴾ لم يعد لامتثالهم قيمة، بل هو إلى الذم أقرب. كم يستفزك الذين لا يمتثلون إلا بعد عناءٍ وتردد!

د. محمد القحطاني

﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٧٤﴾ ﴾

١) فائدة تشبيه قسوة القلب بالحجارة مع أن في الموجودات ما هو أشد صلابة مِنها: هي أن الحديد والرصاص إذا أذيب في النار ذاب، بخلاف الحجارة.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن ٥٥

٢) كما ترى الأحجار تتهاوى، تستبدُّ بالمؤمن أيضًا رغبةٌ قويةٌ في الهبوط من خشية الله، وتشتدُّ رياح الشوق على غصنه الضعيف؛ فينحني راكعًا لله.

د. فريد الأنصاري، قناديل الصلاة ٣٨

﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُواْ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾﴾

خص الله اليهود بتحريف كلامه في مواضع كثيرة، وها هم اليوم يجددون هذا المسلك بما أعلنت عنه وزارة خارجية الكيان الصهيوني من إطلاق مشروع عالمي لتفسير القرآن بعنوان: «قرآنت» ليكون -بزعمها- وسيلة تربوية؛ فعلى المسلمين أن يحذروا من الوقوع في هذا الفخ، وليتأملوا جيدًا قول الذي خلقهم وكشف أستارهم: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُواْ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾﴾.

﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾﴾

فمن جعل أهل القرآن كذلك، وأمرهم أن يكونوا فيه أميين، لا يعلمون الكتاب إلا تلاوة، فقد أمرهم بنظير ما ذم الله عليه أهل الكتاب.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى ١٦/٤١٥

﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُواْ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾﴾

١) ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ﴾ الكتابة لا تكون إلا بالأيدي، وذِكْر الأيدي، مع أن كلمة: ﴿يَكْتُبُونَ﴾ تغني عنها، فائدته تحقيق مباشرتهم ما حرفوه بأنفسهم؛ زيادة في تقبيح فعلهم.

زكريا الأنصاري، فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن ٣٢

٢) فذكر ﴿يَكْسِبُونَ﴾ بلفظ المستقبل، و ﴿كَتَبَتْ﴾ بلفظ الماضي؛ تنبيهًا على ما دل عليه حديث: **«من سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة»**(١)، وعبر بالكتابة دون القول؛ لأنها متضمنة له وزيادة، فهي كذب باللسان واليد، وكلام اليد يبقى رسمه، أما القول فقد يضمحل أثره.

الراغب، تفسيره ١/٢٤١

---

(١) مسلم ح (١٠١٧) ولفظه: «من سن في الإسلام سنة سيئة، كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده، من غير أن ينقص من أوزارهم شيء».

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾﴾

١) إذا تكلم المرء فليقل خيرًا، وليعود لسانه الجميل من القول؛ فإن التعبير الحسن عما يجول في النفس أدب عال، أخذ الله به أهل الديانات جميعًا ﴿وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾.

محمد الغزالي، خلق المسلم ٦٩

٢) ﴿وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾، تأمّل ﴿لِلنَّاسِ﴾ دون تفريق بين جنس ولون ودين، فالعبرة بنوع الخطاب لا المخاطب.

أ. د. ناصر العمر

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ ۖ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾﴾

لما أراد الله إكرام نبيِّه بالشهادة، ظهر أثر سم اليهودية، وظهر سر قوله تعالى لأعدائه من اليهود: ﴿أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾؛ فجاء بلفظ: ﴿كَذَّبْتُمْ﴾ بالماضي الذي قد وقع وتحقَّق، وجاء بلفظ: ﴿تَقْتُلُونَ﴾ بالمستقبل الذي يتوقعونه وينتظرونه.

ابن القيم، زاد المعاد ١١١/٤

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱسْمَعُوا۟ ۖ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ۚ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩٣﴾﴾

قال تعالى في حق عباد العجل: ﴿وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ﴾ أي: أشربوا حبه، فإذا كان المخلوق قد يحبه القلب حبًا يجعل ذلك شرابًا للقلب، فحب الرب تعالى حتى يكون شرابًا تشربه قلوب المؤمنين أولى وأحرى.

ابن تيمية، جامع المسائل ١٣٣/١

﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ۝٩٥﴾

دل على أنه يكره الموت من له ذنوب يخاف القدوم عليها، كما قال بعض السلف: ما يكره الموت إلا مريب.

ابن رجب، لطائف المعارف ٣٢١

﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَىٰ حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ۝٩٦﴾

﴿يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾، كذا أخبرنا ربُّنا عن أماني بعض اليهود، فما سرُّ ذلك؟ لعلَّ من أسرار ذلك ما نبَّه عليه مجاهد ﵀ بقوله: «حَبّبت إليهم الخطيئة طول العمر».

تفسير ابن أبي حاتم ١/٢٥٠

﴿نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۝١٠١ وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ﴾ الآية

١) من ترك ما ينفعه، وأمكنه الانتفاع به فلم ينتفع، ابتلي بالاشتغال بما يضره.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن ٦٠

٢) إذا أعرض الإنسان عن الوحي الذي تلاه الله على رسوله ﷺ؛ ابتلي باتّباع وحي الشياطين؛ فتأمل قوله ﷻ عن اليهود لما نبذوا كتاب الله وراءَ ظهورهم: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ﴾ وهي سنة ماضية في كل معرضٍ ومستبدل: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾ (الزخرف: ٣٦).

د. عمر المقبل

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝١٠٤﴾

١) البديل الشرعي: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا﴾ جرت العادة أن الله ﷻ في كتابه إذا نهى عن شيء؛ بيّن وجهًا آخرَ غير منهيٍّ عنه؛ فلا ينبغي للإنسان إذا تصدّى لتعليم أحكام الشريعة أن ينهاهم عن شيء، حتى يبين لهم بابَ الحلال.

ابن عثيمين، تفسير سورة النساء ٢/٢٤-٢٥

٢) هذا أول نداء في القرآن لأهل الإيمان -في ترتيب المصحف-. وقد اشتمل على الآتي:

١- أصل عقدي: النهي عن التشبه بالكفار، وخاصة اليهود.

٢- قاعدة شرعية: قاعدة سد الذرائع.

٣- أدب شريف: انتقاء أنسب الألفاظ والعبارات.

٤- طريقة تربوية: وهي إيجاد البدائل لما ننهى عنه قدر الإمكان.

د. محمد القحطاني

﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْۗ وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ١٠٥﴾

١) ولم يقل: (ما يودُّ أهل الكتاب)، ففيه تنبيه إلى أنهم قد كفروا بكتُبهم؛ لأنهم لو كانوا مؤمنين بها لصدَّقوا محمَّدًا ﷺ الذي أمرتهم كتبُهم بتصديقه واتِّباعه.

ابن عاشور، التحرير والتنوير ١/٦٣٥

٢) حتى الخير لا يودُّون أن يأتينا من ربِّنا، فكيف يودون أن يأتينا منهم أو يفعلون؟! ولكن ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ﴾ (الحج: ٤٦).

أ. د. ناصر العمر

﴿۞ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآۗ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ١٠٦﴾

إذا منع الله عباده المؤمنين شيئًا تتعلق به إرادتهم، فتح لهم بابًا أنفع لهم منه وأسهل وأولى، كقوله تعالى: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآۗ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾، وقوله: ﴿وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِۦ﴾ (النساء: ١٣٠)، وفي هذا المعنى آيات كثيرة.

السعدي، القواعد الحسان في تفسير القرآن ١٠٣

﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١٠٩) ﴾

١) تدبر قوله تعالى: ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ ﴾، تجده دليلًا واضحًا على أن حرمان التوفيق أقعدهم عن الإيمان؛ فإنهم لم يحسدوا غيرهم عليه، إلا بعد أن تبينت لهم حقيقته إذ محال أن يحسدوا غيرهم على ما هو باطل عندهم، وفي أيديهم ما يزعمون أنه خير منه.

القصاب، نكت القرآن ١٣٢/١

٢) ﴿حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم ﴾ الحسد قد يهجم على الإنسان، ولا يكون في وسعه دفعه؛ وإنما يؤاخذ الإنسان على رضاه به وإظهار القدح في المحسود، والقصد إلى إزالة النعمة عنه.

محمد الخضر حسين، الأعمال الكاملة ١٩٩/١

﴿ وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (١١١) ﴾

١) دليل على أن كل مدعي دعوى، محتاج إلى تثبيتها وإقامة البرهان عليها، ثم لا يقبل ذلك البرهان، إلا أن يكون مأخوذًا عن الله -جل وتعالى- لقوله في الآية التي قبل هذه حيث ادعى القوم أن لا تمسهم النار إلا أيامًا معدودة: ﴿قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٨٠) ﴾، فلم يصحح لهم دعواهم إلا بعهد لهم يكون عنده، أو ضمان يسبق منه لهم، ليكون الارتياب زايلًا عن صحتها ومحققًا لها.

القصاب، نكت القرآن ١٣٦/١

٢) شريعتنا مبرهنة، ففي كلِّ جزئية من جزئياتها تتبعها الحجة، ودليل من كتاب أو سنة، لا نقول: اعتقد وأنت أعمى، لما قال اليهود والنصارى كما حكى الله عنهم في سورة البقرة: ﴿ وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ ﴾، قال الله: ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾.

د. عمر العيد

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١٤﴾ ﴾

١) اللَّهُمَّ إنك تعلم أنهم ارتكبوا الجريمتين: فمنعوا من ذكرك في مساجدك وخرَّبوها، وقتلوا عبادك وآذوهم، فاللَّهُمَّ عجل بخزيهم وعذابهم[١].

٢) قلَّما تجبَّر متجبر في الأرض إلا أهانه الله قبل موته، فسخر به الصغير والكبير، وأضحى حديث مجالس، قال ابن كثير ﷺ: "لما استكبروا، لقاهم الله المذلة في الدنيا قبل الآخرة".

تفسير القرآن العظيم ٣٩٩/٥

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوْ تَأْتِينَآ ءَايَةٌ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ ۘ تَشَٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْ ۗ قَدْ بَيَّنَّا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿١١٨﴾ ﴾

هناك علاقة سببية بين الأقوال اللسانية والأحوال القلبية، فإذا تشابهت القلوب تشابهت الأقوال.

أ. د. جعفر شيخ إدريس

﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٢١﴾ ﴾

إذا ذكر أهل الكتاب -في القرآن- بصيغة: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ ﴾، فهذا لا يذكر الله إلا في معرض المدح، وإذا ذكروا بصيغة: ﴿ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ (آل عمران: ٢٣)، فلا تكون إلا في معرض الذم، وإن قيل فيهم: (أوتوا الكتاب) فقد يتناول الفريقين؛ لكنه لا يفرد به الممدوحون فقط، وإذا جاءت (أهل الكتاب) عمت الفريقين كليهما.

ابن القيم، مفتاح دار السعادة ١/ ١٠٤

﴿ ۞ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِۦمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٢٤﴾ ﴾

١) لما قال الله تعالى لإبراهيم ﷺ: ﴿ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ ﴾، قال: ﴿ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾؛ فأراد الخير لذرِّيَّته وهو قوله: ﴿ وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴾ (إبراهيم:٣٥)، فصلاح الولد صلاح للوالد: «**إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقةٍ جارية، أو علمٍ ينتفع به، أو ولدٍ صالح يدعو له**»[٢].

ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ٤٤٢/١ (تصرف)

---

(١) أرسلت إبان حرب غزة مطلع عام ١٤٣٠ هـ.

(٢) مسلم ح(١٦٣١).

٢) وإنما قال إبراهيم: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِي﴾ ولم يقل: (وذريتي)؛ لأنه يعلم أن حكمة الله لم تجر بأن يكون جميع نسل الإنسان ممن يصلحون لأن يُقتدى بهم، فلم يسأل ما هو مستحيل عادة؛ لأن سؤال ذلك ليس من آداب الدعاء.

ابن عاشور، التحرير والتنوير١/٦٨٦

٣) تأمل كيف نصب: ﴿الظَّالِمِينَ﴾؛ حيث إنَّ عهدَ الله اصطفاءٌ من الله لمن هو أهلٌ له.

أ. د. ناصر العمر

﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ (١٢٥)﴾

١) ذكرُ التَّطهير لا يدلُّ على أنَّ البيت نجسٌ، بل المقصود تطهير التعبد لا إزالة النجاسة، كما أنَّ الجنب يؤمر بالتطهُّر وليس بنجس بمجرد حدوث الجنابة.

القصاب، نكت القرآن ٨١/١

٢) من أسرار الترتيب في القرآن الترقي من الأخص إلى ما هو أعم منه، إلى ما هو أعم: ﴿أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ فذكر أخص هذه الثلاثة وهو الطواف الذي لا يجوز إلا بالبيت، ثم ذكر الاعتكاف -وهو أعم من الطواف-؛ لأنه لا يكون إلا في المساجد فقط، ثم ذكر الصلاة التي تعم سائر بقاع الأرض سوى ما استثني شرعًا.

ابن القيم، بدائع الفوائد١/١٤٢

٣) عهد الله إلى إبراهيم وإسماعيل أن يطهرا البيت الحرام للمعتكفين أسوة بالطائفين والمصلين، وبين بعض أحكامه في آيات الصيام؛ مما يدل على مكانة الاعتكاف ومنزلة المعتكفين، فحريٌّ بنا أن نحييَ هذه الشعيرة العظيمة في العشر الأواخر من رمضان، متحرِّينَ فيها ليلةَ القدر.

أ. د. ناصر العمر

٤) انظر كيف أمر الله أفضل رجلين في ذلك الزمان -وهما نبيَّان رسولان- بإعانة العاكفين؛ فعلى أهل الإحسان إعانة المعتكفين من القيام بطعامهم وحاجتهم من أمتعةٍ ولباسٍ وغيرها.

متدبر

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾﴾

١) قال في هذه السورة: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا﴾ أي: اجعل هذه البقعة بلدًا آمنًا، وناسب هذا؛ لأنه قبل بناء الكعبة. وقال تعالى في سورة إبراهيم: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا﴾ (إبراهيم:٣٥) وناسب هذا هناك لأنه - والله أعلم - كأنه وقع دعاء ثانيًا بعد بناء البيت واستقرار أهله به، وبعد مولد إسحاق الذي هو أصغر سنًا من إسماعيل بثلاث عشرة سنة؛ ولهذا قال في آخر الدعاء: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ﴾ (إبراهيم:٣٩).

ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ٤٢٥/١

٢) قال تعالى في سورة البقرة: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا﴾ وقال في إبراهيم: ﴿هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا﴾ فجاءت آية البقرة بدون تعريف، وآية إبراهيم معرفة، والسر في ذلك: أن آية (البقرة) دعا به الخليل ﷺ قبل أن يكون بلدًا، بل قاله عند ترك هاجر وإسماعيل به وهو واد، فدعا بأن يصير بلدًا، أما آية (إبراهيم) فإنه دعا به بعد عودته، وسكنى جرهم به، وبعد أن صار بلدًا، فدعا بأمنه.

السيوطي، الإتقان في علوم القرآن٣٩٤/٣

٣) تأمل التلازم الوثيق بين الأمن والرزق، وبين الخوف والجوع تجده مطردًا في القرآن كله، مما يؤكد أهمية ووجوب المحافظة على الأمن؛ لما يترتب على ذلك من آثار كبرى في حياة الناس وعباداتهم واستقرارهم البدني والنفسي، وأي طعم للحياة والعبادة إذا حل الخوف؟ بل تتعثر مشاريع الدين والدنيا، وتدبر سورة قريش تجد ذلك جليًا.

أ. د. ناصر العمر

﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾﴾

كثيرًا ما يأمر الله بذكره بعد قضاء العبادات. عن وهيب بن الورد أنه قرأ: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ﴾، ثم بكى، وقال: يا خليل الرحمن! ترفع قوائم بيت الرحمن وأنت مُشفق أن لا يُتقبَّل منك؟[1]

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ح(١٢٤٠).

﴿ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (١٢٨) ﴾

يفرغان من بناء أعظم بيوت الله في الأرض ويسألان ربهما التوبة! ما أجمل الأدب مع الله!

د. عبدالله بلقاسم

﴿ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١٢٩) ﴾

١) حفظ القرآن وفهمه والعمل به جاء في آيةٍ واحدة:

﴿يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ﴾، لفظًا وحفظًا وتحفيظًا ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ معنى ﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾ بالتربية على الأعمال الصالحة، والتبرؤ من الأعمال الرديئة.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن ٦٦/١

٢) لقد كان نبي الله إبراهيم عليه السلام يحمل هم هداية الأجيال القادمة، ولم يقصر نظره على جيله، أو على بيته، أو على أهله؛ فقال: ﴿ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ ﴾، فيا له من هم ما أكمله، ويا لها من نفس ما أزكاها!

د. محمد الخضيري

٣) قال تعالى: ﴿ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ ﴾، ثم قال في آخر الآية: ﴿إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾؛ فما وجه المناسبة؟ قال الشيخ ابن عثيمين: «مناسبة العزّة والحكمة لبعث الرسول ظاهرة جدًّا؛ لأن ما يجيء به الرسول كله حكمة، وفيه العزة: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾، للمؤمنين عربًا وعجمًا، فمن كان مؤمنًا فله العزّة؛ ومن لم يكن كذلك فاته من العزة بقدر ما أخلّ به من الإيمان».

تفسير الفاتحة والبقرة ٦٨/٢

﴿ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾ ﴾

١) أُدرج العم ضمن الآباء؛ تغليبًا، يقول ابن كثير ﵀: «وهذا من باب التغليب؛ لأن إسماعيل عم يعقوب».

تفسير القرآن العظيم ١/٤٤٧

٢) ﴿قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ ﴾، ﴿وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ ﴾(يوسف:٣٨)، ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴾(الزخرف:٢٣) قوة التأثر والالتزام بما عليه الآباء والأجداد حقيقة غالبة وأمر لا ينكر، فالهداية تتوارث فطرة، والضلال يورثه التعصب؛ لذا لا بد أن يعي الآباء ذلك، فكيفما تحب أن يكون أبناؤك وأحفادك فكن ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا ﴾(الكهف:٨٢).

أ. د. ناصر العمر

﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ۖ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ ۖ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٣٤﴾ ﴾

قال إبراهيم بن آزر: حضرت أحمد بن حنبل وسأله رجل عمَّا جرى بين عليٍّ ومعاوية؟ فأعرض عنه، فقيل له: يا أبا عبد الله، هو رجلٌ من بني هاشم، فأقبل عليه، فقال: اقرأ: ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ۖ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ ۖ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾.

ابن الجوزي، مناقب الإمام أحمد ٢٢١

﴿وَقَالُوا۟ كُونُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُوا۟ ۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾ ﴾

استقراء إمام: (الحنيف) تكرر في القرآن، وهو في جميع مواضع القرآن يدل على أن الحنيفية ملة إبراهيم، وتشمل أمرين:

١- إفراد الله بالعبادة، والبراءة من الشرك.

٢- سلامة الدين من الابتداع.

فكل من بدّل في دين الأنبياء فليس بحنيف؛ ولذا أمر الله أهل الكتاب وغيرهم بالحنيفية، لكنهم بدلوا وتصرفوا من بعدما جاءتهم البينة، وكلام السلف وأهل اللغة يدل على هذا وإن تنوعت عباراتهم.

ابن تيمية، جامع المسائل ٥/١٧٩-١٨٠

﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ١٣٦ ﴾

قال تعالى في سورة البقرة: ﴿وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ﴾ وفى آل عمران: ﴿ٱلنَّبِيُّونَ﴾ بدون ذكر الإيتاء، والحكمة من هذا: أن آل عمران تقدم فيها: ﴿وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيۡتُكُم مِّن كِتَٰبٖ وَحِكۡمَةٖ﴾(آل عمران: ٨١)؛ فأغنى عن إعادة إيتائهم ثانيًا، ولم يتقدم مثل ذلك في البقرة، فصرح فيه بإيتائهم ذلك.

ابن جماعة، كشف المعاني ١٠٨

﴿فَإِنۡ ءَامَنُواْ بِمِثۡلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا هُمۡ فِي شِقَاقٖۖ فَسَيَكۡفِيكَهُمُ ٱللَّهُۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ١٣٧﴾

الشقاق بين أهل الكتاب والمسلمين أمرٌ قدريٌّ، فلا يمكن أن يتَّفق المسلمون وأهل الكتاب، فتبطل دعوة أهل الضلال الداعين إلى توحيد الأديان؛ لقوله تعالى: ﴿فَإِنۡ ءَامَنُواْ بِمِثۡلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا هُمۡ فِي شِقَاقٖ﴾، فلما لم يؤمنوا صاروا معنا في شقاق، وهذا الشقاق لا بد أن يؤدِّي إلى عداوةٍ وبغضاء، وبالتالي إلى مدافعة، وهكذا وقع.

ابن عثيمين، تفسير سورة البقرة ٩٤/٢

﴿ صِبۡغَةَ ٱللَّهِ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبۡغَةٗۖ وَنَحۡنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ١٣٨ ﴾

فسمي الدين صبغة استعارة ومجازًا؛ حيث تظهر أعماله وسمته على المتدين، كما يظهر أثر الصبغ في الثوب.

القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ١٤٤/٢

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗاۗ وَمَا جَعَلۡنَا ٱلۡقِبۡلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيۡهَآ إِلَّا لِنَعۡلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِۚ وَإِن كَانَتۡ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ١٤٣ ﴾

١) دليل على شرف هذه الأمة من وجوه، منها: وصف الأمة بالعدل والخيرية، ومنها: أن المزكِّي يجب أن يكون أفضل وأعدل من المُزكّى، ومنها: أن المزكي لا يحتاج للتزكية.

ابن عاشور، التحرير والتنوير ٢١/٢

٢) التقدُّم حقيقةً بالإسلام، والرجعية حقيقةً بمخالفة الإسلام؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ﴾، فإنَّ هذا حقيقة الرجوع على غير هدى؛ لأنَّ الذي ينقلب على عقبيه لا يبصر ما وراءه؛ فمن قال للمتمسكين بكتاب الله وسنة رسوله رجعيون، قلنا له: بل أنت الرجعي حقيقة.

ابن عثيمين، تفسير سورة البقرة ١١٩/٢

﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾﴾

قوله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا﴾، دون قوله: تحبها أو تهواها فيه دلالة على أن ميل الرسول إلى الكعبة ميل لقصد الخير لا لهوى النفس؛ وذلك أن الكعبة أجدر بيوت الله بأن يكون قبلة، فهو أول بيت وضع للناس بالتوحيد، وفي استقبال بيت المقدس أولًا ثم التحول إلى الكعبة إشارة إلى استقلال هذا الدين عن دين أهل الكتاب.

ابن عاشور، التحرير والتنوير٢/٢٨

﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُوا۟ قِبْلَتَكَ ۚ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ۚ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٤٥﴾﴾

١) ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم﴾ إنما قال: ﴿أَهْوَآءَهُم﴾ بلفظ الجمع؛ تنبيهًا على أن لكل واحد منهم هوى غير هوى الآخر، ثم هوى كل واحد منهم لا يتناهى.

الراغب الأصفهاني، تفسيره ٣٠٦/١

٢) إنما قال: ﴿أَهْوَآءَهُم﴾ ولم يقل: دينهم؛ لأن ما هم عليه مجرد أهواء نفس، حتى هم في قلوبهم يعلمون أنه ليس بدين، ومن ترك الدين؛ اتبع الهوى ولا محالة، قال تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ (الجاثية:٢٣).

السعدي، تيسير الكريم الرحمن ٧٢

﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾﴾

إنما قال: ﴿كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ﴾ ولم يقل (أنفسهم)؛ لأن الإنسان لا يعرف نفسه إلا بعد انقضاء برهة من دهره، ويعرف ولده من حين وجوده، ثم في ذكر الابن ما ليس في ذكر النفس؛ فإن ابن الإنسان عصارة ذاته ونسخة صورته.

الراغب الأصفهاني، تفسيره ٣٣٨/١

﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ أَيْنَ مَا تَكُونُوا۟ يَأْتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٤٨﴾﴾

١) ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾، إشارة إلى تنوُّع الناس في أعمالهم وعباداتهم، ما بين صلوات وتعليم ودعوة وإغاثة، وكل ميسر لما خلق له، لكن المهم أن يكون المرء سابقًا في المجال الذي يذهب إليه مع مراعاة أنه محاسب، وهنا يُرَبِّينا القرآن لنكون الأوائل دائمًا.

د. محمد السيد

٢) ﴿فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ الأمر بالاستباق إلى الخيرات قدر زائد على الأمر بفعل الخيرات؛ فإن الاستباق إليها يتضمن فعلها، وتكميلها، وإيقاعها على أكمل الأحوال، والمبادرة إليها، ومن سبق في الدنيا إلى الخيرات، فهو السابق في الآخرة إلى الجنات.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن ٧٣

٣) تجارة رابحة، وسباق إلى الجنة تفتح أبوابه ليلة القدر، ونداء القرآن يعلو: ﴿فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ ومن الحرمان البين أن تكون أوقات التجارة مع الله، ومواسم الآخرة كغيرها من الأوقات عند أكثر الناس!

د. عمر المقبل

﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾﴾

١) من حفظ معاملته عن المخادعة في البيع وخلف الوعد؛ فقد وفق لأمر عظيم، وأفضل ما يستعين به من له عناية بدينه: القناعة، وحسن الظن بالله، والثقة بما ضمن له من الرزق، وخوف الحساب، ومراقبة الجليل، فإنه قال وقوله الحق: ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ﴾(البقرة:١٥٢).

ابن تيمية، شرح حديث النزول (٦١٠)

٢) ﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ ﴾ يقول خالد الرَّبَعي: قف عند هذه الآية ولا تعجل، فلو استقر يقينها في قلبك، ما جفت شفتاك.

الدر المنثور٢/٦٥

٣) ﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ ﴾ قال ثابت البناني ﷺ: «إني أعلم متى يذكرني ربي ﷻ، ففزعوا منه! وقالوا: كيف تعلم ذلك؟ فقال إذا ذكرته ذكرني».

الإحياء للغزالي٢/٧١

٤) ﴿وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴾ العجب ممن يعلم أنَّ كلَّ ما به من النعم من الله، ثم لا يستحي من الاستعانة بها على ارتكاب ما نهاه!

ابن رجب، تفسير ابن رجب ١/١٣٠

٥) ﴿وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴾ قال جمع من السلف: الشكر ترك المعصية.

وسئل بعضهم: ما الشكر؟ فقال: الشكر أن لا يستعان على المعاصي بشيء من نعمه.

الدر المنثور للسيوطي ١/٣٧١

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ ۚ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٣﴾ ﴾

١) لما فرغ تعالى من بيان الأمر بالشكر، شرع في بيان الصبر، والإرشاد إلى الاستعانة بالصبر والصلاة؛ فإن العبد إما أن يكون في نعمة فيشكر عليها، أو في نقمة فيصبر عليها.

ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ١/ ٤٤٦

٢) ﴿اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ ۚ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾، توجيه رباني وجدت بركته أخت لنا فجعت بفقد والديها وأخيها وأختها جميعًا في حادث؛ إذ لما اشتدت عليها المصيبة تذكرت هذه الآية ففزعت للصلاة، موقنة بكلام ربها، فتقسم أنه نزل على قلبها سكينة عظيمة خففت عليها مصيبتها. وذلك تأكيد عملي على أثر تدبر القرآن والعمل به في حياة العبد في ظروفه كلها.

﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ ۚ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَٰكِنْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿١٥٤﴾ ﴾

لا نقول: ربحنا أو خسرنا؛ فالربح والخسارة من مفردات قاموس التجار، أما الجهاد الذي غايته تثبيت الحقائق الإلهية في الأرض، وغرس البذور الروحية في الوجود، فلغته سماوية لا تحمل معنى التراب، متسامية لا تسف إلى ما تحت السحاب، فهي أرباح مستمرة.

محمد البشير الإبراهيمي، آثاره ٤/٢٧٦

﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (١٥٦) ﴾

١) الرضا بالأقدار المكروهة فضلٌ مندوبٌ إليه، ولكنَّ الصبرَ واجبٌ.. قال الحسن البصري ﷺ: «الرضا عزيز، ولكنَّ الصبرَ معوَّلُ المؤمن».

تفسير ابن رجب ١/١٣١

٢) ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ ﴾، تأمَّل كيف قال: ﴿بِشَيْءٍ﴾ فهو شيء يسير؛ لأنه ابتلاء تمحيص لا ابتلاء إهلاك.

د. عبدالمحسن المطيري

٣) عندما تجعل القرآن منطلق تفسيرك لكل حدث يواجهك في الحياة؛ ستكتشف أن المصائب تتحول بعد لحظات من وقوعها إلى منح دافعة للتفاؤل والعطاء المثمر والصبر الجميل، تدبر هذه الآية وما بعدها؛ لتدرك هذا المنهج الفريد الذي خص الله به المؤمن دون غيره: ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (١٥٦)﴾.

أ. د. ناصر العمر

﴿ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ (١٥٧) ﴾

١) إنما قال: ﴿صَلَوَاتٌ﴾ على الجمع؛ تنبيهًا على كثرتها منه، وأنها حاصلة في الدنيا توفيقًا وإرشادًا، وفي الآخرة ثوابًا ومغفرة.

الراغب الأصفهاني، تفسيره ١/٣٥٤

٢) ما أحوج الناس -في ظل غلاء الأسعار- أن يقفوا مع هذه الآيات: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (١٥٦) أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ (١٥٧)﴾، فتأمل ما فيها من العبر في تفسير السعدي ﷺ.

﴿ ۞ إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ (١٥٨) ﴾

﴿وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ في قوله: ﴿خَيْرًا﴾ إعلام بفضيلة النفقة في الحج والعمرة بالهدي ووجوه المرافق للرفقاء، بما يفهمه لفظ الخير؛ لأن هذا اللفظ عرف استعماله في خير الرزق والنفقة، كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ (العاديات:٨).

الحرالي، تراثه ٢٩١

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ ﴾

لكتمان المنتمين إلى علوم الدين عللٌ كثيرة، ومدارها على عدم الرسوخ في الإيمان، وإيثار رضا المخلوق على رضا الخالق.

محمد الخضر حسين، الأعمال الكاملة ١/٢٨٥

﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَبَيَّنُوا۟ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾ ﴾

تأمّل ﴿وَبَيَّنُوا۟﴾ شرطًا لقبول التوبة؛ إذ إنَّ كثيرًا ممن يضل الناس ثم يتوب بعد ذلك يتهيب أن يعلن رجوعه للحقِّ خوفًا من الناس، فيبقى كثيرٌ منهم على ضلالهِ، فيتحمل أوزارهم لخفاء توبته، مع أن إعلان الرجوع إلى الحق شجاعةٌ وليس ضعفًا!

أ. د. ناصر العمر

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٦١﴾ ﴾

والسر في التعبير بلعن الملائكة والناس -مع أن لعن الله يكفي-؛ للدلالة على أن جميع من يعلم أحواله من العوالم العلوية والسفلية يراه أهلًا للعن الله ومقته، فلا يشفع له شافع ولا يرحمه راحم، فهو قد استحق اللعن لدى جميع من يعقل ويعلم، ومن استحق النكال من الرب الرؤوف الرحيم؛ فماذا يرجو من سواه من عباده؟

المراغي، تفسير المراغي ٢/٣٢

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ ﴾

١) قيل لسفيان بن عيينة ﷺ: إن أهل الأهواء يحبون ما ابتدعوه من أهوائهم حبًا شديدًا! فقال: أنسيت قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ﴾، وقوله تعالى: ﴿وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ﴾(البقرة: ٩٣)؟!

قاعدة في المحبة لابن تيمية ٨٨

٢) مَن جعل ما لم يأمر الله بمحبَّته محبوبًا لله، فقد شرع دينًا لم يأذن الله به، وهو مبدأ الشرك، كما قال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾.

ابن تيمية، الاستقامة ١/٣٤٨

٣) من أنصف نفسه وعرف أعماله، استحى من الله أن يواجهه بعمله أو يرضاه لربه وهو يعلم من نفسه أنه لو عمل لمحبوب له من الناس؛ لبذل فيه نصحه ولم يدع من حسنه شيئًا إلا فعله، فاسمع صفة المؤمنين ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبّٗا لِّلَّهِ﴾.

ابن القيم، طريق الهجرتين٣٣٣

٤) هل جرب الراكضون خلف سراب (عيد الحب) أن يملأ أحدهم قلبه بحب الله؟

ماذا لو جرب أن يناديه بأسمائه الحسنى كما يتقرب الحبيب إلى حبيبه بمنادته بأحب أسمائه؟

وكيف سيكون حبه لله لو حاول أن يفكر في معاني صفات الله العلى كما يفكر المحبوب بصفات حبيبه؟

إذن لأخذت عليه كل تفكيره، ولغمرته سعادة لا يمكن وصفها إلا بسعيه بالمزيد في إرضاء مولاه: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبّٗا لِّلَّهِ﴾.

د. محمد السيد

٥) تأمل تلك المظاهر المترفة تعبيرًا عما يسمى بـ(عيد الحب)، وتذكر قوله سبحانه: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادٗا يُحِبُّونَهُمۡ كَحُبِّ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبّٗا لِّلَّهِ﴾؛ فسترى أن سَكْرَة الحب عند بعضهم فاقت مظهر حبه لله: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبّٗا لِّلَّهِ﴾، فتفقد قلبك قبل أن تبلى السرائر.

أ. د. ناصر العمر

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ لَوۡ أَنَّ لَنَا كَرَّةٗ فَنَتَبَرَّأَ مِنۡهُمۡ كَمَا تَبَرَّءُواْ مِنَّاۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعۡمَٰلَهُمۡ حَسَرَٰتٍ عَلَيۡهِمۡۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ١٦٧﴾

من جعل عقله صدى لعقل غيره، دون قناعة أو برهان، سيكون ذلك أشد خصومة يومًا من الدهر! تدبر: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ لَوۡ أَنَّ لَنَا كَرَّةٗ فَنَتَبَرَّأَ مِنۡهُمۡ كَمَا تَبَرَّءُواْ مِنَّا﴾

وتأمل: ﴿كُلَّمَا دَخَلَتۡ أُمَّةٞ لَّعَنَتۡ أُخۡتَهَا﴾(الأعراف: ٣٨)!

أ. د. ناصر العمر

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٌ ١٦٨﴾

١) في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ﴾، إشارة إلى دور الشيطان في صرف الناس عن إطابة المطعم، مع الإشارة إلى أن إطابة المطعم سبب في إجابة الدعاء، فكم هي جناية الشيطان علينا حين يغرينا بأكل الحرام؟

د. محمد السيد

٢) الخطوات الأولى! ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾، مبدأ كل عمل هو الخواطر والأفكار؛ فإنها توجب التصورات، والتصورات تدعو إلى الإرادات، والإرادات تقتضي وقوع الفعل، وكثرة تكراره تعطي العادة، فصلاح كل هذا بصلاح الخطوة الأولى وهي الخواطر الأفكار، وفساده بفسادها.

ابن القيم، الفوائد ٢٥٢-٢٥٣

٣) تدبر قوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾، فتسمية استدراج الشيطان «خطوات» فيه إشارتان:

١- الخطوة مسافة يسيرة، وهكذا الشيطان يبدأ بالشيء اليسير من البدعة أو المعصية؛ حتى تألفها النفس.

٢- قوله: ﴿خُطُوَٰتِ﴾ دليل على أن الشيطان لن يقف عند أول خطوة في المعصية.

فهد العيبان

﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٧٣﴾﴾

قيل في سبب تقديم الغفور على الرحيم: أن المغفرة سلامة، والرحمة غنيمة، والسلامة مطلوبة قبل الغنيمة.

د. فاضل السامرائي، التعبير القرآني ٥٧

﴿۞ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾﴾

قال القرطبي رحمه الله: قال علماؤنا: هذه آية عظيمة من أمهات الأحكام؛ لأنها تضمنت ست عشرة قاعدة: الإيمان بالله وبأسمائه وصفاته -وقد أتينا عليها في (الكتاب الأسنى)- والنشر والحشر والميزان والصراط والحوض والشفاعة والجنة والنار -وقد أتينا عليها في كتاب (التذكرة)- والملائكة والكتب المنزلة وأنها حق من عند الله والنبيين وإنفاق المال فيما يعن من الواجب والمندوب وإيصال القرابة وترك قطعهم وتفقد اليتيم وعدم إهماله والمساكين كذلك، ومراعاة ابن السبيل -قيل المنقطع به، وقيل: الضيف- والسؤال وفك الرقاب ، والمحافظة على الصلاة وإيتاء الزكاة والوفاء بالعهود والصبر في الشدائد. وكل قاعدة من هذه القواعد تحتاج إلى كتاب.

الجامع لأحكام القرآن ٢/٢٤١

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَىۖ ٱلۡحُرُّ بِٱلۡحُرِّ وَٱلۡعَبۡدُ بِٱلۡعَبۡدِ وَٱلۡأُنثَىٰ بِٱلۡأُنثَىٰۚ فَمَنۡ عُفِيَ لَهُۥ مِنۡ أَخِيهِ شَيۡءٞ فَٱتِّبَاعُۢ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيۡهِ بِإِحۡسَٰنٖۗ ذَٰلِكَ تَخۡفِيفٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَرَحۡمَةٞۗ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿١٧٨﴾ ﴾

١) الحكمة في تصدير الخطاب بـ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ تقوية لداعية إنفاذ حكم القصاص، فكأنه يقول: إن معكم من الإيمان ما يمنعكم من التهاون بإقامة هذا الواجب؛ فإن المؤمن الصادق يحرص على أن يسد الأبواب، في وجه كل فتنة تحل عرى الألفة والمودة بين الأفراد والجماعات، وتلقي بحبل الأمن في اضطراب واختلال.

محمد الخضر حسين، موسوعة الأعمال الكاملة ٣١٩

٢) ﴿فَمَنۡ عُفِيَ لَهُۥ مِنۡ أَخِيهِ شَيۡءٞ ﴾ إطلاق وصف الأخ على المماثل في الإسلام أصل جاء به القرآن، وجعل به التوافق في العقيدة كالتوافق في نسب الإخوة بل أشد، وحقًا فإن التوافق في الدين رابطة نفسانية، والتوافق في النسب رابطة جسدية، والروح أشرف من الجسد!

ابن عاشور، التحرير والتنوير ١٤١/٢

﴿ وَلَكُمۡ فِي ٱلۡقِصَاصِ حَيَوٰةٞ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾ ﴾

١) ﴿ وَلَكُمۡ فِي ٱلۡقِصَاصِ حَيَوٰةٞ ﴾، معناه كثير، ولفظه قليل؛ لأن معناه: أنَّ الإنسان إذا علم أنه متى قتل اقتصوا منه كان داعيًا ألا يقدم على القتل، فارتفع كثير من قتل الناس بعضهم لبعض، وكان ارتفاع القتل حياةً لهم.

السيوطي، الإتقان في علوم القرآن ١٨٥/٣

٢) والتنكير في ﴿حَيَوٰةٞ﴾ للتعظيم، وتلك الحياة العظيمة هي ما فيه من ارتداع الناس عن قتل النفوس؛ لأن أشد ما تتوقاه نفوس البشر من الحوادث الموت، فلو علم القاتل أنه يسلم من الموت لأقدم على القتل مستخفًا بالعقوبات، ولو ترك الأمر للثأر كما في الجاهلية لأفرطوا في القتل، وتسلسل الأمر، فكان في مشروعية القصاص حياة عظيمة من الجانبين.

ابن عاشور، التحرير والتنوير١٤٥/٢

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ ﴾

١) من لطف الله تعالى بعباده أنه لا يواجههم بأعظم المشاقّ، ومن هذا المعنى قال بعض العلماء: إن الله تعالى قال في المكروهات: ﴿كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ ﴾، وإن كان قد عُلِمَ أنه هو الكاتب، فلما جاء إلى ما يوجب الراحة قال: ﴿كَتَبَ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَ ﴾ (الأنعام: ١٢).

ابن الجوزي، صيد الخاطر ١٦٣-١٦٤

٢) إذا تأملت في قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ﴾ وكيف تلقى المسلمون هذه الفريضة بالقبول التام، وقارنته بتردد وتباطؤ بني إسرائيل في ذبح بقرة فقط! علمت شرف هذه الأمة على سائر الأمم.

د. سلمان العودة

٣) استنبط منها بعض العلماء:

١- أن صيام أهل الكتاب كان بالرؤية لا بالحساب، بدليل قوله: ﴿كَمَا﴾ ولكن أهل الكتاب غيروا وبدلوا بعد ذلك.

٢- محبة الله لهذه الفريضة، وإلا لما شرعها في جميع الأمم.

اقتضاء الصراط المستقيم (٢٨٦)

٤) الصيام كان في الأمم السابقة: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾، والاعتكاف والقيام كذلك: ﴿وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾ (البقرة:١٢٥)؛ وفي هذا إلهاب لعزائم هذه الأمة ألا تقصِّر عمن قبلها في تلك العبادات، فإنا الآخرون السابقون.

د. عبدالمحسن العسكر

٥) الصوم يحفظ على القلب والجوارح صحتها، ويعيد إليها ما استلبته منها أيدي الشهوات، فهو من أكبر العون على التقوى.

ابن القيم، زاد المعاد ٢/٢٨

٦) ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ لعل -هنا- للتعليل، أي: كي تتقوا، وهنا قاعدة مفيدة، وهي: أن (لعل) إذا جاءت بعد الأمر فهي للتعليل، كقوله تعالى -بعد ذلك-: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾.

د. عبدالمحسن العسكر

٧) رمضان مدرسة التقوى: تأمل كيف ذكرت التقوى في أول آية وآخر آية من آيات الصيام؛ ذلك أن الصيام من أعظم ما يعزز التقوى في النفوس، فلنفتش عن أثر الصيام على تقوانا لربنا في أسماعنا وأبصارنا وكلامنا؛ لنحقق الغاية: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾.

د. محمد الربيعة

٨) بالأمس أقبل رمضان وكان أمر الخالق بصيامه معللًا بـ: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ واليوم حين شارفت أيامه على الانقضاء بدأت الأنفس تتشوف إلى قبول صيامه وقيامه؛ فلنفتش عن نصيبنا من قول الله ﷻ: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾(المائدة: ٢٧).

أ. د. إبتسام الجابري

﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ ۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۚ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ ۚ وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾﴾

١) ﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ﴾ وإنما عبر عن رمضان بأيام -وهي جمع قلة- ووصف بمعدودات -وهي جمع قلة أيضًا-؛ تهوينًا لأمره على المكلفين؛ لأن الشيء القليل يعد عدًا؛ والكثير لا يعد.

ابن عاشور، التحرير والتنوير٢/١٥٩

٢) وصف سبحانه رمضان، فقال: ﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ﴾، كناية عن قلّة أيامه ويسرها، فالمغبون من فرّط في تلك الأيام دون جدٍّ أو تحصيل، وسيدرك غبنه حين يقول: ﴿يَا حَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ﴾(الزمر:٥٦)، و ﴿ذَٰلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ﴾ (التغابن:٩).

أ. د. ناصر العمر

٣) تأمّل كم في آية الصيام من ترغيب في الصوم، بدأها بالنداء المحبّب ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾، وبيّن أنه فريضة لا مندوحة في تركه ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾، وأنه ليس خاصًّا بنا بل هو للأمم كلّها ﴿كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ ، وبيّن ثمرته ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ ، وقلّله: ﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ﴾ (البقرة:١٨٣- ١٨٤).

د. عبدالمحسن المطيري

٤) ﴿فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ دليل على أنه يقضي عدد أيام رمضان كاملًا كان أو ناقصًا، وعلى أنه يجوز أن يقضي أيامًا قصيرة باردة عن أيام طويلة حارة كالعكس.

السعدي، تيسير اللطيف المنان١٦٣

﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾﴾

١) الصيام سبب لارتفاع القلب من الاتصال بالعلائق البشرية إلى الاتصال والتعلق بالعلائق السماوية التي نزل منها القرآن؛ ففيه اتصال مباشر بجهة نزول القرآن. وبهذا يلتقيان من هذا الوجه.

الألوسي، روح المعاني ٦٢٧/١

٢) ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾، نزول القرآن في هذا الشهر سابق على فرض الصيام فيه، فهو شهر قرآن قبل أن يكون شهر صيام، فاجتمعت ميزتان، وقد فقه السلف هذا، فصاموه، وعمَّروا ليله ونهاره بالقرآن تلاوةً وتدبُّرًا؛ تحقيقًا للاسم والمسمَّى، وتركوا ما سواه.

أ. د. ناصر العمر

٣) ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾، الصيام له ارتباط بالقرآن، من جهة أنَّه سبب لارتفاع القلب من الاتصال بالعلائق البشرية إلى التعلق بالله تعالى، كما أنَّ الصيام سبب لصفاء الفكر ورقة القلب التي هي سبب الانتفاع بالقرآن.

د. محمد الربيعة

٤) وصف الله شهر رمضان بأنه: ﴿ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾؛ لتتأكَّد العناية به فيه، فلنشتغل بالقرآن: نقرأه وحدنا ومع أهلنا، ونملأ به وقتنا، منتفعين بالتقنية الحديثة من إذاعات وقنوات وعبر ملفات حاسوب وجوال، ويتهادى المسلم مع إخوانه المقاطع المؤثرة والتلاوات المرقَّقة؛ ليكون شهر القرآن.

متدبر

٥) أنزل القرآن ليكون هدى؛ ولذلك ذكرت الهداية في «الفاتحة» وفي أول البقرة ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾، وتلاوة القرآن إذا خلت من هذا المعنى فقدت أعظم مقاصدها؛ فعلى التالي للقرآن أن يستحضر قصد الاهتداء بكتاب الله والاستضاءة بنوره، والاستشفاء من أدوائه بكلام ربه، ولا يقتصر على مجرد تلاوة الحروف: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ﴾.

د. محمد الخضيري

٦) من فضائل شهر الصيام أن الله تعالى مدحه من بين سائر الشهور، بأن اختاره لإنزال القرآن العظيم فيه، واختصه بذلك، ثم مدح هذا القرآن الذي أنزله الله فقال: ﴿هُدًى﴾ لقلوب من آمن به ﴿وَبَيِّنَٰتٍ﴾ لمن تدبرها على صحة ما جاء به، ومفرقًا بين الحق والباطل والحلال والحرام.

ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ٢٦٩/١

٧) تجتاز الأمة مرحلة من أصعب مراحل تاريخها، حيث تلاحقت الفتن، وتنوعت الشبه، والتبس الحق بالباطل، فمن وفق للفرقان بان له طريق الهدى فنجا، وسبيل ذلك هو القرآن لا سواه؛ فتدبر: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ﴾.

أ. د. ناصر العمر

٨) لما شرع الله الصوم بغير بدل -مع ما فيه من المشقة المعروفة- قال بعدها: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾، فاليسر هو ما جاء عن الله تعالى، لا أن يكون التيسير شماعة تغير بها شرائع الصوم والحج والأعياد.

٩) قال ابن عباس ﵄: حقٌّ على المسلمين إذا نظروا إلى هلال شوال أن يكبِّروا الله حتى يفرغوا من عيدهم؛ لأنَّ الله تعالى ذكره يقول: ﴿وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ﴾.

جامع البيان للطبري ٤٧٩/٣

١٠) تكبير الله على هدايته جاء في ثنايا آيات الصيام: ﴿وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ﴾ وفي ثنايا آيات الحج: ﴿لِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ﴾ (الحج:٣٧) فإذا أردت أن تعرف موقع هاتين الآيتين الكريمتين، فيكفي أن تتذكر أن هناك (٥ مليارات) من البشر محرومون من هذه الهداية! فلمن المنة؟ ﴿بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ (الحجرات:١٧).

د. عمر المقبل

١١) ﴿وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ كم يفوت علينا من الخير العظيم عندما نقصرها على بعض معانيها، دون أن نقف متدبرين للوازم تحققها؛ حيث إن من إكمال العدة إتمامها عددًا وكيفًا، ويستلزم ذلك الاستمرار في أداء كل العبادات التي لها مزيد مزية وفضل في رمضان، بهمة وفرح ونشاط كأول الشهر والعشر. فلا يفوت عليك خير عظيم لفوات معنى دقيق.

أ. د. ناصر العمر

١٢) ﴿وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ الهداية تشمل: هداية العلم، وهداية العمل، فمن صام رمضان وأكمله، فقد منّ الله عليه بهاتين الهدايتين، وشكره سبحانه على أربعة أمور: إرادة الله بنا اليسر، وعدم إرادته العسر، وإكمال العدة، والتكبير على ما هدانا، فهذه كلها نِعَم تحتاج منا أن نشكر الله بفعل أوامره، واجتناب نواهيه.

ابن عثيمين، تفسير الفاتحة والبقرة ٣٣٦/٢

١٣) ﴿وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ فتأمل ﴿عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ﴾ إنها تقطع أوصال العجب.. فما منك شيء أيها الصائم القائم المنفق، بل هي هداية الله وحده؛ ولذا ذكرك ربك بقوله: ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.

متدبر

١٤) ﴿وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ﴾ وإذا كان التكليف شاقًا ناسب أن يعقب بترجي التقوى، وإذا كان تيسيرًا ورخصة ناسب أن يعقب بترجي الشكر؛ فلذلك ختمت هذه الآية بقوله: ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ لأن قبله ترخيص للمريض والمسافر بالفطر.

أبو حيان، البحر المحيط٢/١٦

١٥) ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ قد يقول قائل: في الصوم مشقة وتعب، فكيف يؤمر العبد بالشكر؟ فيقال: من نظر في الثمرات العظيمة التي ترتبت على هذه الفريضة: من حلاوة المناجاة، وتلاوة القرآن، وأنواع الإحسان التي وفق لها العبد، ومواهب الرحمن، والعتق من النار، عرف أن الله وحده يستحق الشكر على واسع فضله، وعظيم نعمائه.

الشعراوي، تفسيره ١/١٩٠

١٦) ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾(لعل) هنا للتعليل؛ و ﴿تَشْكُرُونَ﴾ على أمور أربعة: إرادة الله بنا اليسر، عدم إرادته العسر، إكمال العدة، التكبير على ما هدانا، هذه الأمور كلها نِعَم تحتاج منا أن نشكر الله ﷻ عليها.

ابن عثيمين، تفسير الفاتحة والبقرة ٢ /٣٣٦

﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾

١) مفتاح البحار السفن، ومفتاح الأرض الطرق، ومفتاح السماء الدعاء.

الحسن البصري، الدر المنثور ١/٤٧٠

٢) قرب الله المذكور في القرآن والسنة قرب خاص من عابديه، وسائليه وداعيه، وهو من ثمرة التعبد باسمه الباطن ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾.

ابن القيم، طريق الهجرتين ٢٢

٣) تدبر هذه الآية ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ﴾ ففيها من الكنوز ما لا يمكن حصره:

١- فهي في وسط آيات الصيام، مشعرة بأهمية الدعاء في رمضان وأثره.

٢- تأمل هذا الشرف الذي ألبسك الله إياه، إذ نسبك إلى نفسه سبحانه ﴿عِبَادِي ﴾ فأي كرم سيناله العبد من سيده؟

٣- فيها عدة جمل عظيمة، وأعظمها قرب الله منك، فما ظنك بعطاء أعظم قريب؟ فازدد غوصًا، تجد لؤلؤًا.

أ. د. ناصر العمر

٤) ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ﴾، ﴿فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴾ (هود:٦١)، ما أقرب الله! ليس بيننا وبينه أحدٌ، لا مواعيد تلاحق، ولا طوابير تنتظر، ولا سكك تقطع.

٥) كان خالد الربعي يقول: عجبت لهذه الأمة! أمرهم بالدعاء ووعدهم بالإجابة، وليس بينهما شرط! فسئل عن هذا؟ فقال: مثل قوله: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ (البقرة: ٢٥) فها هنا شرط -أي: البشارة مشروطة بالإيمان والعمل الصالح-، وقوله: ﴿فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿١٤﴾﴾ (غافر) فها هنا شرط، وأما قوله: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ (غافر:٦٠) ليس فيه شرط.

الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، ٣٠٩/٢

٦) قال بعض السلف: متى أطلق الله لسانك بالدعاء والطلب فاعلم أنه يريد أن يعطيك؛ وذلك لصدق الوعد بإجابة من دعاه، ألم يقل الله تعالى: ﴿فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾.

شرح الحكم العطائية (٨٥)

٧) ﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ الداعي لا بد وأن يجد من دعائه عوضًا: إما إسعافًا بطلبته التي لأجلها دعا؛ وذلك إذا وافق القضاء، فإذا لم يساعده القضاء، فإنه يعطى سكينة في نفسه، وانشراحًا في صدره، وصبرًا يسهل معه احتمال البلاء الحاضر، وعلى كل حال فلا يعدم فائدة، وهو نوع من الاستجابة.

الرازي، مفاتح الغيب ٢٦٥/٥

﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ ۚ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ۗ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ ۖ فَٱلْـَٰٔنَ بَٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُوا۟ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۚ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ۖ ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ ۚ وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَٰجِدِ ۗ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٨٧﴾﴾

١) ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ﴾ في الآية معنيان لطيفان:

١- التكنية عما لا يحسن التصريح به.

٢- عدي الرفث بـ(إلى) مع أنه لا يقال: رفثت إلى النساء، ولكنه جيء به محمولًا على الإفضاء الذي يراد به الملابسة.

القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ٢/٣١٦

٢) تأمل قوله تعالى: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾، وما فيها من تربية الذوق والأدب في الكلام، إضافة إلى ما في اللباس من دلالة (الستر، والحماية، والجمال، والقرب).. وهل أحد الزوجين للآخر إلا كذلك؟ وإن كانت المرأة في ذلك أظهر أثرًا كما يشير إلى ذلك البدء بضميرها ﴿هُنَّ﴾.

د. عويض العطوي

٣) ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾، ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾﴾ (النبأ)، ﴿قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِى سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًا﴾ (الأعراف: ٢٦) تأمل هذه الآيات، تجد الرابط بينها (الستر) والمشترك بين الثياب حسن سترها، فهل يدرك الزوجان أنه عندما يتحدث أحدهما بعيوب شريك حياته ويكشف أسراره قد أصبح كالثوب المخرق قبيح المنظر، فاضح المخبر؟.

أ. د. ناصر العمر

٤) ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾ هل يستغني أحد عن اللباس؟ فكيف يستغني أحد عن الزواج ويؤخره بلا سبب معتبر؟

اللباس يستر العورات، فلِمَ يفضح البعض شريك عمره وقد خلق لستره؟

اللباس شعار ودثار، فكيف تصفو الحياة الزوجية مع النفور والجفاء؟

اللباس من أجمل ما نتزين به، فمتى يكون الزوجان أحدهما جمالًا للآخر؟

اللباس وقاية من البرد والحر، فهل كل منا يشعر أنه وقاية وحماية وأمان لشريك حياته؟ فما أعظمه من كتاب!

أ. د. ناصر العمر

٥) ﴿فَالْـَٔـٰنَ بَـٰشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ أي: اقصدوا في مباشرتكم لزوجاتكم التقرب إلى الله بذلك، وابتغوا أيضًا ليلة القدر، فإياكم أن تشتغلوا بهذه اللذة وتوابعها وتضيعوا ليلة القدر -وهي مما كتبه الله لهذه الأمة- وفيها من الخير العظيم ما يعد تفويته من أعظم الخسران، فاللذة مدركة، وليلة القدر إذا فاتت لم تدرك، ولم يعوض عنها شيء.

السعدي، تيسير اللطيف المنان ١٦٩

٦) ﴿فَالْـَٔـٰنَ بَـٰشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾ في تجويز المباشرة إلى الصبح، الدلالة على جواز تأخير الغسل إليه، وصحة صوم المصبح جنبًا.

البيضاوي، أنوار التنزيل ١/ ٤٧٠

٧) ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾ في إباحته تعالى جواز الأكل إلى طلوع الفجر دليل على استحباب السحور؛ لأنه من باب الرخصة والأخذ بها محبوب، ولهذا وردت السنة الثابتة بالحث عليه.

ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ١/ ٢٧٦

٨) ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾، هذا غاية للأكل والشرب والجماع، وفيه أنه إذا أكل ونحوه شاكًّا في طلوع الفجر، فلا بأس عليه، وفيه دليل على استحباب السحور، وأنه يستحب تأخيره؛ أخذًا من معنى رخصة الله وتسهيله على العباد.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن ٨٧

٩) ﴿وَلَا تُبَـٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَـٰكِفُونَ فِي الْمَسَـٰجِدِ﴾ وليس المراد النهي عن مباشرتهن في المساجد؛ فذلك ممنوع منه في غير الاعتكاف، وإنما نزلت في أقوام يخرجون لحاجتهم في بيوتهم، فربما جامع أحدهم أهله، فنهوا عن ذلك؛ فتأمل كيف أفادت الآية حكمين بجملة مختصرة: اشتراط المسجد في الاعتكاف، والنهي عن المباشرة أثنائه.

البغوي، معالم التنزيل ١/ ٢٠٩ (بتصرف)

١٠) استدل العلماء بقوله: ﴿وَأَنتُمْ عَـٰكِفُونَ فِي الْمَسَـٰجِدِ﴾ على أن الاعتكاف لا يصح إلا في المسجد، ووجه الدلالة: كأن الأمر مستقر ومفروغ منه، أن الاعتكاف لا يكون إلا في المسجد، وقد حكي الإجماع على ذلك.

القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ٢/ ٣٣٢ (بتصرف)

١١) ﴿وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِي ٱلْمَسَٰجِدِ﴾ لقد جعل الإسلام هذه العزلة في إطار المسجد، فلم يسمح بانقطاع في غار أو في غابة؛ وذلك حتى لا ننهى صلة المسلم بالجماعة.

محمد الغزالي، ركائز الإيمان بين العقل والقلب، ١٧٠

١٢) للمعتكف التنقل في أنحاء المسجد؛ لعموم: ﴿وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِي ٱلْمَسَٰجِدِ﴾، وأما الخروج منه فهو أقسام:

١- لأمر مناف للاعتكاف كالوطء والبيع، فإنه يبطل.

٢- لأمر معتاد لا بد منه كالخلاء، وأكل لا يأتي به أحد، واغتسال لإزالة رائحة، فجائز.

٣- لأمر لا ينافي الاعتكاف، لكن ليس لازمًا، كتشييع جنازة وزيارة قريب، فلا يفعل، وبعضهم يجيز ذلك باشتراطه.

ابن عثيمين ، مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ ابن عثيمين (٢٠/ ١٧٤-١٧٧) (بتصرف)

١٣) ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا﴾ وقال بعد ذلك في (آية ٢٢٩): ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا﴾ سر الفرق بين الآيتين: أن الآية الأولى قيل فيها: ﴿فَلَا تَقْرَبُوهَا﴾؛ لأنها وردت بعد عدة نواهي، فناسب النهي عن قربانها، أما الآية الثانية فقد جاءت بعد أوامر؛ فناسب النهي عن تعديها وتجاوزها، بأن يوقف عندها.

السيوطي، الإتقان في علوم القرآن٣/٣٩٤

١٤) حقيقة الإيمان: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا﴾، قال سفيان بن عيينة ﷺ: «لا يصيب العبد حقيقة الإيمان حتى يجعل بينه وبين الحرام حاجزًا من الحلال، وحتى يدع الإثم وما تشابه منه».

تفسير ابن رجب ١/١٤٤-١٤٥

١٥) لما ذكر الله تعالى المنهيَّات في الصيام والاعتكاف، أعقبها بقوله: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا﴾، و ﴿فَلَا تَقْرَبُوهَا﴾ أبلغ من: (فلا تفعلوها)؛ لأنَّ القربان يشمل النهي عن فعل المحرم بنفسه، والنهي عن وسائله الموصلة إليه.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن ٨٧

١٦) ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ إن العلم الصحيح سبب للتقوى؛ لأنهم إذا بان لهم الحق اتبعوه، وإذا بان لهم الباطل اجتنبوه، ومن علم الحق فتركه، والباطل فاتبعه، كان أعظم لجرمه وأشد لإثمه.

السعدي، تيسير اللطيف المنان ١٧١

١٧) العبادات التي كان نبيُّنا ﷺ يحرص عليها في رمضان كلها مذكورة في آيات الصيام في سورة البقرة (١٨٣-١٨٧): الصدقة ﴿فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾، تلاوة القرآن ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾، الدعاء ﴿فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾، والاعتكاف ﴿وَأَنتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ﴾، والتكبير للعيد ﴿وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ﴾.

د. محمد الخضيري

﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ (١٨٨)﴾

١) لما انقضت آيات الصيام أعقبها الله بالنهي عن أكل أموال الناس بالباطل؛ لأنه محرم في كل زمان ومكان، بخلاف الطعام والشراب فكأنه يقال للصائم: يا من أطعت ربك وتركت الطعام والشراب الذي حرم عليك في النهار فقط، فامتثل أمر ربك في اجتناب أكل الأموال بالباطل، فإنه محرم بكل حال، ولا يباح في وقت من الأوقات.

ابن رجب، لطائف المعارف٢٩٢

٢) ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ﴾ والمراد من الأكل ما يعم الأخذ والاستيلاء، وعبر به؛ لأنه أهم الحوائج وبه يحصل إتلاف المال غالبًا، والمعنى: لا يأكل بعضكم مال بعض، فهو كقوله تعالى: ﴿تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ﴾ (الحجرات: ١١).

الألوسي، روح المعاني ٢ /١٤٠

﴿۞ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَىٰ وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (١٨٩)﴾

١) قال قتادة ﷺ: سألوا نبي الله ﷺ: لِم جُعِلتْ هذه الأهلة؟ فأنزل الله فيها ما تسمعون فجعلها لصوم المسلمين ولإفطارهم، ولمناسكهم وحجهم، ولعدة نسائهم ومحل دينهم في أشياء، والله أعلم بما يصلح خلقه.

جامع البيان للطبري ٣٣٥/٣

٢) وفي قوله: ﴿لِلنَّاسِ﴾ إشارة إلى كون الرؤية ميقاتًا للناس كلهم، فما كان رؤية في عهد النبوة فهو المعتبر بعده.

القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (٢/٣٤٤) (بتصرف)

٣) هل يدرك الذين يسعون لربط أُمَّتهم بغير الأشهر القمرية والتاريخ الهجري أنهم يخالفون سنة ربانية أزلية، وينتهكون حرمات الله بإضاعة الأشهر الحرم، أو خفاء توقيتها بسبب غلبة التاريخ بالميلادي، فيرتكبون فيها ما حرم الله؟ قف، وتدبَّر ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ۗ﴾، مع ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَـٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ﴾ (التوبة:٣٦)، تدرك أبعاد جريمة أولئك، مع ما في ذلك من تشبُّهٍ وتبعيَّةٍ وخضوعٍ.

أ. د. ناصر العمر

﴿وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۚ وَلَا تُقَـٰتِلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَـٰتِلُوكُمْ فِيهِ ۖ فَإِن قَـٰتَلُوكُمْ فَٱقْتُلُوهُمْ ۗ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿١٩١﴾﴾

كتب أحد رموز الضلال مدافعًا عمن قال كفرًا: (لماذا كل هذا الشبق إلى الدم)؟ ووصف من نطق زندقة وإلحادًا بكلام بارد: (بأنه خانه التعبير)!

وهجر هذا الضال للقرآن الكريم هو الذي أوصله إلى هذا المستوى من فساد التفكير، والدفاع عن الإلحاد والكفر البواح، تدبر ﴿وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ﴾، ﴿وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ﴾ (البقرة: ٢١٧). ولا علاج لهؤلاء إلا بالنص المحكم: ﴿لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ﴾ (الأحزاب: ٦٠).

أ. د. ناصر العمر

﴿وَأَنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ۛ وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾﴾

١) الإحسان يفرح القلب، ويشرح الصدر، ويجلب النعم، ويدفع النقم، وتركه يوجب الضيم والضيق، ويمنع وصول النعم إليه، فالجبن ترك الإحسان بالبدن، والبخل ترك الإحسان بالمال، والله يقول: ﴿وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾.

ابن القيم، طريق الهجرتين ٢٧٩

٢) إذا بذل المسلمون وسعهم ولم يفرطوا في شيء، ثم ارتبكوا في أمر بعد ذلك فالله ناصرهم ومؤيدهم فيما لا قبل لهم بتحصيله، ولقد نصرهم الله ببدر وهم أذلة، لكنهم يومئذ لم يقصروا في شيء، فأما أقوام يتلفون أموال المسلمين في شهواتهم، ويفوتون الفرص وقت الأمن فلا يستعدون لشيء، ثم يطلبون بعد ذلك من الله النصر والظفر فأولئك قوم مغرورون؛ ولذلك يسلط الله عليهم أعداءهم بتفريطهم.

﴿ وَأَتِمُّواْ ٱلۡحَجَّ وَٱلۡعُمۡرَةَ لِلَّهِۚ فَإِنۡ أُحۡصِرۡتُمۡ فَمَا ٱسۡتَيۡسَرَ مِنَ ٱلۡهَدۡيِۖ وَلَا تَحۡلِقُواْ رُءُوسَكُمۡ حَتَّىٰ يَبۡلُغَ ٱلۡهَدۡيُ مَحِلَّهُۥۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوۡ بِهِۦٓ أَذٗى مِّن رَّأۡسِهِۦ فَفِدۡيَةٞ مِّن صِيَامٍ أَوۡ صَدَقَةٍ أَوۡ نُسُكٖۚ فَإِذَآ أَمِنتُمۡ فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلۡعُمۡرَةِ إِلَى ٱلۡحَجِّ فَمَا ٱسۡتَيۡسَرَ مِنَ ٱلۡهَدۡيِۚ فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٖ فِي ٱلۡحَجِّ وَسَبۡعَةٍ إِذَا رَجَعۡتُمۡۗ تِلۡكَ عَشَرَةٞ كَامِلَةٞۗ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمۡ يَكُنۡ أَهۡلُهُۥ حَاضِرِي ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ١٩٦ ﴾

١) ﴿ وَأَتِمُّواْ ٱلۡحَجَّ وَٱلۡعُمۡرَةَ لِلَّهِ ﴾ المراد بإتمام الحج والعمرة الإتيان بهما تامين؛ ظاهرًا: بأداء المناسك على وجهها، وباطنًا: بالإخلاص لله تعالى وحده.

محمد رشيد رضا، تفسير المنار ١٧٥/٢

٢) ﴿ وَأَتِمُّواْ ٱلۡحَجَّ وَٱلۡعُمۡرَةَ لِلَّهِۚ ﴾، ففي قوله: ﴿لِلَّهِۚ﴾ تنصيص على أهميَّة الإخلاص في هاتين العبادتين.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن ٩٠

٣) ﴿ وَأَتِمُّواْ ٱلۡحَجَّ وَٱلۡعُمۡرَةَ لِلَّهِ ﴾، بدأ بالتذكير بالتوحيد والإخلاص قبل ذكر الأحكام التفصيلية، فلا رياء ولا ثناء ولا تكاثرَ في الحج من الناس.

د. عبدالله السكاكر

٤) ﴿ وَأَتِمُّواْ ٱلۡحَجَّ وَٱلۡعُمۡرَةَ لِلَّهِ ﴾ لا تفكر في تصميم حج مختصر.

د. عبد الله بن بلقاسم

٥) قال تعالى: ﴿وَلَا تَحۡلِقُواْ رُءُوسَكُمۡ﴾ ولم يقل: ولا تقصروا، ففيه دلالة على أن الحلق أفضل وهو مقتضى دعاء الرسول ﷺ للمحلقين ثلاثًا، وللمقصرين مرة[1].

القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ٣٨١/٢

٦) جاء لفظ القرآن في بيان الرخصة بالأسهل فالأسهل: ﴿فَفِدۡيَةٞ مِّن صِيَامٍ أَوۡ صَدَقَةٍ أَوۡ نُسُكٖ﴾، ولما أمر النبي ﷺ كعب بن عجرة بذلك أرشده إلى الأفضل فالأفضل، فقال: «انسك شاة، أو أطعم ستة مساكين أو صم ثلاثة أيام»[2]، فكل شيء حَسَنٌ في مقامه.

ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ٥٣٦/١

---

(١) أخرجه مسلم ح (١٣٠٣) ولفظه: عن يحي بن الحصين، عن جدته، أنها سمعت النبي ﷺ في حجة الوداع «دعا للمحلقين ثلاثًا، وللمقصرين مرة».

(٢) أبو داود ح (١٨٦٠)، النسائي ح (٢٨٥١)، الموطأ (٥٠٤) ولفظه: «صم ثلاثة أيام أو أطعم ستة مساكين فرقًا من زبيب أو انسك شاة» موافقًا للفظ الآية لا كما ذكر الحافظ ﷺ وغفر له.

٧) ﴿فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ﴾، ﴿وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ﴾ (الحج:٣٦)، ﴿وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ﴾ (الحج:٢٨) يلحظ المتدبر عناية الشرع بمسألة إطعام المساكين في المناسك، فهنيئًا لمن وفقه الله فأطعم مسكينًا، وسد جوعته، وكفاه هم السؤال.

د. محمد الربيعة

٨) ﴿فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِى ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ﴾ عطف السبعة على الثلاثة يحتمل معنيين: ١- أن تكون سبعة خارجة عن الثلاثة. ٢- أن تكون سبعة بالثلاثة التي قبلها، فلما قال: ﴿تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ﴾ علمنا أن السبعة مستقلة لا تدخل فيها الثلاثة المتقدمة.

ابن تيمية، جامع مسائل شيخ الإسلام ٣٣٧

٩) من بلاغة القرآن في قوله تعالى - عن الهدي -: ﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِى ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ ۗ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ﴾ أنه لم يحدد ما الذي لم يوجد؛ ليشمل من لم يجد الهدي، ومن لم يجد ثمنه، فاستفدنا زيادة المعنى، مع اختصار اللفظ.

ابن عثيمين، تفسير سورة البقرة ٢/ ٤٠٩

١٠) بعدما ذكر الله تعالى أحكامًا كثيرة للحج قال: ﴿وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾، وختم الله الآية بقوله سبحانه: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾، وهو معنى عظيم يغفل عنه الكثير من الحجاج، فالحج المقصود منه تحقيق تقوى الله؛ لذلك أكد هذا المعنى بالآية التي تليها فقال: ﴿وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾.

د. عبد المحسن المطيري

١١) آية البقرة: ﴿وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾، هي أطول آيات الحج في التيسير، ختمها بقوله: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾؛ مما يؤكد أنَّ التيسيرَ حُكمٌ شرعي كالأمر، لا يجوز أن يُسلك إلا بدليل صحيح، فحكم الفعل كحكم الترك؛ لذا جمع فيها بين الأمر الجازم وبين التخفيف، فمن تجاوز حدود الله تشديدًا أو تساهلًا، فقد عرَّض نفسَه لشديد عقاب الله.

أ. د. ناصر العمر

﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٧﴾﴾

١) كيف قيل: ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ﴾، وهو شهران وبعض الثالث؟ يجيب ابن جرير الطبري ﷺ فيقول: «إنَّ العرب لا تمتنع خاصةً في الأوقات من استعمال مثل ذلك، فتقول له: اليوم يومان منذ لم أره. وإنما تعني بذلك يومًا وبعض آخر، وكما قال جل ثناؤه: ﴿فَمَن تَعَجَّلَ فِى يَوْمَيْنِ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ (البقرة:٢٠٣)، وإنما يتعجل في يوم ونصف».

جامع البيان ٣/ ٤٥٢

٢) وقفت متأملًا لقوله تعالى: ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ﴾ فتساءلت: لماذا تميز وقت الحج بـ﴿أَشْهُرٌ﴾ دون سائر الأركان؟ فكأنه لعدم وجوبه في العمر إلا مرة واحدة، ولبعد مسافة قاصده غالبًا ﴿مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ الحج: ٢٧؛ أطال أمده ليقضي المسلم نهمته من العبادة في الحرم، ويتهيأ قبل فترة المناسك وبعدها، إذ يقدم مبكرًا وينصرف متأخرًا إن رغب، توسعة ورحمة، وحثًا على المبادرة والتزود؛ لما لذلك من أثر إيجابي في حياته.

أ. د. ناصر العمر

٣) عند التأمل في آيتي: ﴿فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ﴾،﴿وَأَتِمُّواْ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ (البقرة: ١٩٦)مع أن الحج قد يكون تطوعًا، لكنه أوجبه على نفسه بمجرد دخوله فيه؛ ففي هذا درس في تعظيم شأن الالتزام بإتمام أي عمل إيجابي يشرع فيه المسلم، وعدم الخروج منه إلا بمسوغ معتبر عقلًا وشرعًا، وفي الصحيح: «**أحب العمل إلى الله أدومه وإن قل**»[1].

أ. د. ناصر العمر

٤) ﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ﴾ فليحفظ الحاج جوارحه، ومما يعينه على ذلك: أن يستشعر أنه ضيف على الله ﷻ، والضيف يرعى حرمة مضيفه، وأن يتقي الله، ومن تقواه له سبحانه: أن يحفظ جوارحه وأركانه، فلا يرسل عينه بالنظرات إلى عورات المؤمنين والمؤمنات.

محمد المختار الشنقيطي، محاضرة (زاد الحجيج إلى البيت العتيق)

٥) ينبغي البعد حال الإحرام عن كل ما يشوش الفكر، ويشغل النفس؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ﴾؛ ومن ثم يتبين خطأ أولئك الذين يزاحمون على الحجر عند الطواف؛ لأنه يشوش الفكر، ويشغل النفس عما هو أهم من ذلك.

ابن عثيمين، تفسير الفاتحة والبقرة ٢/٤١٨، ٤١٩

(١) مسلم ح (٢٨١٨).

٦) ﴿وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾ لو كان في الملاحاة خير لما كانت سببًا لنسيان ليلة القدر! ولأن الله تعالى صان الإحرام عن الجدال فقال: ﴿وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾.

ابن مفلح، الآداب الشرعية ٣/٣٧٧

٧) لما نهى الله عباده عن إتيان القبيح قولًا وفعلًا: ﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾، حثهم على فعل الجميل، وأخبرهم أنه عالم به، وسيجزيهم عليه أوفر الجزاء يوم القيامة فقال: ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ﴾.

ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ٥٤٧

٨) الخادم متى علم أن مخدومه مطلع عليه؛ كان أحرص على العمل وأكثر التذاذًا به، وأقل نفرة عنه، وكان اجتهاده في أداء الطاعات وفي الاحتراز عن المحظورات أشد؛ فلهذه الوجوه أتبع الله تعالى الأمر بالحج والنهي عن الرفث والفسوق والجدال بقوله: ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ﴾.

الرازي، مفاتيح الغيب ٣/١٨٥

٩) في سياق آيات الحج: ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ﴾ وكان المتوقع أن يقال: وما تفعلوا من شيء؛ ليتناول كل ما تقدم من الخير والشر، إلا أنه خص الخير بأنه يعلمه لفوائد، منها: إذا علمتُ منك الخير ذكرته وشهرته، وإذا علمتُ منك الشر سترته وأخفيته؛ لتعلم أنه إذا كانت رحمتي بك في الدنيا هكذا، فكيف في العقبى؟

الرازي، مفاتيح الغيب ٥/٣٢٠

١٠) تأمل هذه الآية العجيبة في آيات الحج: ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ﴾ مع أنه سبحانه يعلم كل شيء؛ ففيها تنويه بمراعاة أعمال القلوب أثناء النسك، فالحاج قد يغفل عن قلبه، فيتركز اهتمامه غالبًا على إتمام الشعيرة ظاهرًا، فإذا أحس بمراقبة الله لعمله كان أكثر إتقانًا وسكينة وتقوى؛ لذا ختمت الآية بقوله: ﴿فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾.

أ. د. ناصر العمر

١١) مجمل عبادات الحج من طواف وسعي ورمي ظاهرة، لكن ثمة مجال لأسرار العبد مع ربه: من نوافل وأذكار وتلاوة، وتعليم جاهل، وتأمين خائف، وإغاثة محتاج، وهذا كله داخل تحت قوله: ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ﴾ وهو تعبير يفيد العموم الذي لا حصر له، وهو مجال للركض في الطاعات، والتسابق في الخيرات.

د. محمد السيد

١٢) ﴿وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ﴾، أمر الحجاج بأن يتزودوا لسفرهم ولا يسافروا بغير زاد، ثم نبههم على زاد سفر الآخرة وهو التقوى فكما أنه لا يصل المسافر إلى مقصده إلا بزاد يبلغه إياه، فكذلك المسافر إلى الله تعالى والدار الآخرة لا يصل إلا بزاد من التقوى، فجمع بين الزادين، فذكر الزاد الظاهر والزاد الباطن.

ابن القيم، إغاثة اللهفان ٥٨/١

١٣) ﴿وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ﴾، الجملة تتضمن غرضين:

الغرض الأول: الأمر بالتزوُّد للحج؛ إبطالًا لما كانوا يفعلونه من ترك التزوُّد للحجِّ، وقطعًا لتعلق القلب بالخلق عن الخالق، ويؤيد هذا سبب النزول من قول ابن عباس ﷺ: «كان أهل اليمن يحجُّون ولا يتزوَّدون، ويقولون: نحن المتوكِّلون، فإذا قدموا مكة سألوا الناس، فأنزل الله تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ﴾»[1].

السيوطي، الدر المنثور ٥٣١/١ (بتصرف)

والغرض الثاني لقوله تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ﴾: الحث على التزود من الطاعات للآخرة، وهو إشارة إلى استغلال موسم الحجِّ بالطاعة فيه، ويؤيد هذا الغرض: تعقيب الجملة بقوله تعالى: ﴿فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ﴾.

١٤) ﴿فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ قال رجل -يريد الحج- ليونس بن عبيد: أوصني! فقال له: اتق الله؛ فمن اتقى الله فلا وحشة عليه.

جامع العلوم والحكم لابن رجب ١٦١/١

١٥) ﴿فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ التزود المادي في الحج مشروع؛ ليقطع الإنسان حاجته للخلق ويتفرغ للتعلق بالخالق، وهذا من أعظم مقاصد الحج؛ ولهذا فإن تفرغ الحاج لعبادته وتوكيل من يخدمه من حملة أو فرد؛ أدعى لتحقيق هذا المقصد.

د. محمد الربيعة

(١) البخاري ح (١٥٢٣).

﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ۚ فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَٰتٍ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ ۖ وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿١٩٨﴾ ﴾

١) ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ ﴾ لما أمر تعالى بالتقوى، أخبر تعالى أن ابتغاء فضل الله بالتكسب في مواسم الحج وغيره، ليس فيه حرج إذا لم يشغل عما يجب، إذا كان المقصود هو الحج، وكان الكسب حلالًا منسوبًا إلى فضل الله، لا منسوبًا إلى حذق العبد، والوقوف مع السبب، ونسيان المسبب، فإن هذا هو الحرج بعينه.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن ٩٢/١

٢) تأمل كيف يربط الله تعالى الحاج بذكره سبحانه بعد كل منسك: ﴿فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَٰتٍ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ﴾، ﴿ ثُمَّ أَفِيضُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ﴾ (البقرة: ١٩٩)، ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَٰسِكَكُمْ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ﴾ (البقرة: ٢٠٠)، ثم قال: ﴿وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍ ﴾ (البقرة: ٢٠٣)، ثم انظر لحالنا، كم نغفل عن الذكر في الحج؟!.

د. عبد المحسن المطيري

٣) ﴿وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ ﴾ أي: وافعلوا ما أمرناكم به من الذكر؛ كما هداكم الله لدين الإسلام، فكأنه تعالى قال: إنما أمرتكم بهذا الذكر؛ لتكونوا شاكرين لتلك النعمة.

الرازي، مفاتيح الغيب ٣٢٩/٥

٤) المتأمِّلُ في شعائر الحج يلحظُ تربيةً عجيبةً على كثرة الذكر؛ فنجد النصَّ عليه في القرآن في مواضع: عند المشعر الحرام، وفي أيام التشريق، وعند الفراغ من المناسك، وعند الذبح، والذكر على عموم نعمة التوحيد، والتوفيق لهذه المناسك؛ فلنفتِّش عن أثر هذه العبادة في مناسكنا.

أ. د. محمد العواجي

﴿ ثُمَّ أَفِيضُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٩﴾ ﴾

١) التميز عن الناس في الحج على وجه الاختصاص والكبر من أمور الجاهلية، قال تعالى: ﴿ ثُمَّ أَفِيضُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ ﴾، لا كما كان يفعل الحُمْس من قريش.

٢) ﴿وَٱسْتَغْفِرُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ الاستغفار ختام الأعمال الصالحة كلها، فيختم به الصلاة، والحج، وقيام الليل، ويختم به المجالس؛ فإن كانت ذكرًا كان كالطابع عليها، وإن كانت لغوًا كان كفارة لها.

ابن رجب، لطائف المعارف ٢٣٢

٣) تأمل قوله تعالى بعد أن ذكر أهم أعمال الحج: ﴿وَٱسْتَغْفِرُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾؛ ذلك أن الحاج يغشاه فرح وسرور بعد أداء تلك المناسك، وقد يصاحب ذلك إعجاب بعمله، إذ أنجز تلك الأعمال في فترة وجيزة، مع مشقة ظاهرة، فجاء الأمر بالاستغفار؛ ليستصحب التقصير الذي لا ينفك منه عمل وقربة، فيتلاشى الإعجاب والزهو، ولا يعارض ذلك الفرح والسرور ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ﴾ (يونس: ٥٨).

أ. د. ناصر العمر

﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَٰسِكَكُمْ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرٗاۗ فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا وَمَا لَهُۥ فِي ٱلْأٓخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٖ ٢٠٠﴾

١) ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَٰسِكَكُمْ﴾ -أي: بعد التحلل من النسك- ﴿فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ﴾، قال عطاء: هو كقول الصبي: «أبه، أمه» أي: فكما يلهج الصبي بذكر أبيه وأمه، فكذلك أنتم، فالهجوا بذكر الله بعد قضاء النسك.

ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ١/٣٠٢

٢) ﴿فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا﴾ فيها: أن الناس ليسوا في الطاعة سواء، وأن من طلب الدنيا لا يفرق بين هوى يرديه، وصالح يقيمه!

محمد أبو زهرة، زهرة التفاسير ٦٢٧

٣) في آيات الحجِّ عالج القرانُ خصائص الجاهلية وكيفية تنقية المجتمع المسلم منها بأسلوب يستثمر المناسبة ويقتنصها، ومن ذلك التكبُّر على الناس والتميُّز عنهم، والفخر بالآباء والتعصب لهم، تدبر: ﴿ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ﴾ (البقرة:١٩٩)، و ﴿فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرٗاۗ﴾، فما أحوج الدعاة والأمة جميعًا لمثل هذا الأسلوب، ولذلك النقاء.

أ. د. ناصر العمر

﴿ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْأَخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾ ﴾

قال ثابت لأنس ﷺ: إن إخوانك يحبون أن تدعو لهم، فقال: اللَّهُمَّ ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار، فأعاد عليه! فقال: تريدون أن أشقق لكم الأمور؟! إذا آتاكم الله في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة ووقاكم عذاب النار؛ فقد آتاكم الخير كله.

الدر المنثور للسيوطي ١/٥٥٩

﴿ ۞ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ فِيٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍ ۚ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ لِمَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٠٣﴾ ﴾

١) لبُّ الحج هو الذكر، فمن وفق له فهو الموفق، واسمع برهان ذلك: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَٰسِكَكُمْ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ۗ﴾ (البقرة:٢٠٠)، ﴿وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ فِيٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍ﴾، ﴿لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِيٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ﴾ (الحج:٢٨)، وفي الحديث: «**أفضل الحجِّ: العجُّ والثَّج**»(١)، والعجُّ: رفع الصوت بالتلبية.

د. محمد الخضيري

٢) ﴿وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ فِيٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍ﴾، من حكمة الله تعالى في توقيت المشاعر بالأشهر الهجرية المعروفة ما ذكره الشافعي ﷺ بقوله: «قد يتأخَّر الزمان ويتقدَّم، وليس تتأخر الأهلة أبدًا أكثر من يوم».

تفسير الإمام الشافعي ١/ ٣٢٣

٣) ﴿وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ فِيٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍ﴾ أيام التشريق يجتمع فيها للمؤمنين نعيم أبدانهم: بالأكل والشرب، ونعيم قلوبهم: بالذكر والشكر؛ وبذلك تتم النعم، وكلما أحدثوا شكرًا على النعمة، كان شكرهم نعمة أخرى، تحتاج إلى شكر آخر، ولا ينتهي الشكر أبدًا.

ابن رجب، لطائف المعارف ٢٩١

٤) ﴿وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ فِيٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍ﴾ تقليل لعددها؛ لتأكيد الحرص على استثمارها.

د. عبدالمحسن المطيري

٥) حضور الآخرة في قلب الحاج.. تأمل قوله تعالى: ﴿فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ لِمَنِ ٱتَّقَىٰ﴾: فإنه لما ذكر الله تعالى النفر الأول والثاني، وهو تفرق الناس من موسم الحج إلى سائر الأقاليم والآفاق، بعد اجتماعهم في المشاعر والمواقف، قال: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ أي: تجتمعون يوم القيامة.

ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ١/٥٦٢

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة ح(٣٣٠).

٦) ﴿فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ ٱتَّقَىٰ﴾ ليست العبرة بطول الزمن الذي يبقاه الحاج في منى فقط، بل العبرة باستحضار نية التعبد؛ لذلك قال سبحانه: ﴿لِمَنِ ٱتَّقَىٰ﴾، فإياك أن تقارن الأفعال بزمنها؛ فإنما هي بإخلاص النية، والتقوى فيها.

الشعراوي، تفسيره ١/٢٠٧

٧) وقفت متأملًا لقوله سبحانه: ﴿فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ حيث ذكرها في التعجل والتأخر في الحج، وتساءلت: إذا كان رفع الإثم ظاهرًا في التعجل، فلم جاء في التأخر مع أنه هو الأفضل: ﴿لِمَنِ ٱتَّقَىٰ﴾؟ فبدا لي أن ذلك إيماء إلى أن العبادات توقيفية سواء أكانت رخصة أو عزيمة.

وهذا يوجب على الحاج أن يتحرى من مشروعية أي عمل في الحج؛ حتى لا يحدث فيه ما ليس منه -كما يفعل كثير من الحجاج- احترازًا من أن يرد عليه حجه لبدعة استحسنها.

أ. د. ناصر العمر

٨) الأعمال المخير فيها إنما ينتفي الإثم عنها؛ إذا فعلها الإنسان على سبيل التقوى لله تعالى؛ دون التهاون بأوامره؛ لقوله: ﴿لِمَنِ ٱتَّقَىٰ﴾، فمن فعل ما يخير فيه، على سبيل التقوى لله، والأخذ بتيسيره، فلا إثم عليه، ومن فعلها على سبيل التهاون وعدم المبالاة، فإن عليه الإثم بترك التقوى، وتهاونه بأوامر الله.

تفسير العثيمين، الفاتحة والبقرة ٢/٤٤٠

٩) ﴿فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ ٱتَّقَىٰ﴾، التعجُّل أو التأخُّر يدور في حكم الأفضل لا الواجب، ومع ذلك تنزل فيه آية عظيمة؛ لبيان أن الأحكام التعبدية على التوقيف، كما أن التشريع من عند الله وحده لا يشاركه فيه أحد، ولو كان في الفضائل، فماذا يقول المشرعون من دون الله في الدماء والأموال والحقوق؟ نذكرهم بآخر الآية: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾.

أ. د. ناصر العمر

١٠) بعد أن أباح الله التعجل لمن اتقاه قال: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٠٣﴾﴾، فالعلم بالجزاء من أعظم الدواعي لتقوى الله؛ فلهذا حث تعالى على العلم بذلك.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن ٩٣

١١) لما كان الحج حشرًا في الدنيا، والانصراف منه يشبه انصراف أهل الموقف بعد الحشر عن الدنيا -فريقًا إلى الجنة وفريقًا إلى السعير-؛ ذكّرهم بذلك بقوله: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ فاعملوا لما يكون سببًا في انصرافكم منه إلى دار كرامته لا إلى دار إهانته.

البقاعي، نظم الدرر ١/٣٠٧ (بتصرف)

١٢) ختمت آيات الحج في سورة البقرة بقوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ فتأمل كلمة: ﴿تُحْشَرُونَ﴾ ومناسبتها لزحمة الحج؛ فمن حشركم هذا الحشر باختياركم، فهو قادر سبحانه على أن يحشركم بغير اختياركم.

الشعراوي، تفسيره ١/ ٢٠٧

١٣) في آيات الحج الاثنتي عشرة في سورة البقرة اثنا عشر أمرًا بالتقوى وأسبابها من الذِّكر والاستغفار ومجانبة ما يناقضها من فسوق وجدال؛ وذلك كله تأكيد على أن حج القلب قبل حج البدن.

د. عبدالله الغفيلي

١٤) رغم اختلاف سياق الآيات في سورة البقرة عن سورة الحج إلا أن الذي لم يختلف أبدًا هو إبراز الأصلين الكبيرين -اللذين هما من أعظم مقاصد نسك الحج-:

١- تحقيق التقوى.

٢- كثرة ذكر الله ﷻ. فحري بالحاج أن يجعل هذين الأصلين نصب عينيه، وليفتش عن أثرهما في قلبه.

د. محمد الربيعة

١٥) ركزت آيات الحج في سورة (البقرة) على إظهار كمال الشريعة؛ بتضمنها للتخفيف والتيسير وإبطال ما أحدثه المشركون وأهل الكتاب في الحج من تحريف وتغيير بعد ملة إبراهيم ﵇؛ بينما ركزت سورة الحج على مقاصد الحج الكبرى؛ بربطه بالتوحيد، وتأكيد الإخلاص، وتعظيم الشعائر والحرمات.

د. محمد الربيعة

١٦) ختمت آيات الحج في البقرة بذكر الحشر، وبدأت سورة الحج بذكر زلزلة الساعة! وهذا يدل على ما في الحج من مشاهد وأعمال تذكر بالحشر والنشور: فابتداء الحج بالإحرام يذكر بالكفن، والموت أول خطوة نحو القيامة، ثم تتوالى المشاهد والقرائن، فهل من معتبر؟

أ. د. ناصر العمر

﴿وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾﴾

والفساد له مظاهر شتى، أولها: الخروج على سنن الله الكونية والاجتماعية ومعالجة الشئون الخاصة والعامة بالهوس والقصور، وقد يبدأ ذلك بأمور تافهة، كترك صنبور الماء مفتوحًا دون سبب، أو مكسورًا دون إصلاح، أو ترك خلل طارئ؛ ليصبح عاهة مستديمة!

محمد الغزالي، المحاور الخمسة للقرآن الكريم ١٥٧

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿٢٠٦﴾ ﴾

عزة النفس والمكابرة جبلٌ عظيم يحول بين إنسان قل توفيقه وبين قبول الحق: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ ﴾.

د. عبدالله السكاكر

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٢٠٨﴾ ﴾

الذين ذهبوا إلى كسرى لم يذهبوا إليه باسطوانات المصحف المرتل، ولا بطبعة جديدة من المصحف، إنما ذهبوا بدرجة كبيرة من الوعي والطهر والعدل! وقف ربعي بن عامر يعرض الإسلام خلقًا وسلوكًا، ويعرضه نظام حياة وأمل جماهير.. إن القرآن قد بدأ بسورة العلق، وختم بسورة المائدة وسورة النصر؛ ليقال لنا: هذا هو الخط السماوي الذي يجب أن يعيش الناس به!

الغزالي، خطب الشيخ الغزالي١٦٠

﴿ فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٠٩﴾ ﴾

حُكي أنَّ أعرابيًّا سمع قارئًا يقرأ: ﴿ فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ ﴾، فاعلموا أنَّ الله غفور رحيم، ولم يكن الأعرابي من القرَّاء، فقال: إن كان هذا كلام الله، فلا يقول كذا، ومرَّ بهما رجلٌ، فقال: كيف تقرأ هذه الآية، فقال الرجل: ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾، فقال: هكذا ينبغي، الحكيم لا يذكر الغفران عند الزلل؛ لأنه إغراء عليه.

السيوطي، الإتقان ٣٠٣/٣

﴿ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢١٢﴾ ﴾

قال السيلوكتي: إن جميع ما في الكافرين والمنافقين من صفات ذميمة فإنما هو بسبب تهالكهم على الدنيا، وإعراضهم عن غيرها؛ لأنها قد زُيّنت لهم، حتى صار ذلك التزيين مركوزًا في طبيعتهم، فتدبر كلمة (زين) في قوله تعالى: ﴿ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾.

محاسن التأويل للقاسمي (٩٢/٢) بتصرف

﴿ أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَأۡتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلِكُمۖ مَّسَّتۡهُمُ ٱلۡبَأۡسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلۡزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصۡرُ ٱللَّهِۗ أَلَآ إِنَّ نَصۡرَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ ٢١٤ ﴾

١) طريق الجنَّة إنما هو الصبر على البلاء، اقرأ إن شئت: ﴿ أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَأۡتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلِكُمۖ مَّسَّتۡهُمُ ٱلۡبَأۡسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلۡزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصۡرُ ٱللَّهِۗ أَلَآ إِنَّ نَصۡرَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ ﴾.

ابن الجوزي، زاد المسير ٢٣٢/١

٢) من كان يحب الراحة ولا يريد أن ينزعج ولا أن يخالف نفسه ولا أن يتحمل مشقة، فهذا لا يستطيع سلوك طريق الجنة. ﴿ أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَأۡتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلِكُمۖ مَّسَّتۡهُمُ ٱلۡبَأۡسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلۡزِلُواْ ﴾.

علي الطنطاوي، نور وهداية٢٤٠

٣) إن الإيمان مستقر في أعماق كل قلب، ولكنه يحتاج إلى هزة شديدة تبديه وتظهره؛ ولذلك كانت المصائب والأزمات سببًا لظهور الإيمان.

علي الطنطاوي، نور وهداية ١٨

٤) ﴿ وَزُلۡزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصۡرُ ٱللَّهِ ﴾ الله ﷻ إنما يفرِّج عن أنبيائه ومن معهم بعد انقطاع أسبابهم ممن سواه؛ ليمتحن قلوبهم للتقوى، فتتقدَّس سرائرهم من الركون لشيء من الخلق، وتتعلَّق ضمائرهم بالله تعالى وحده.

البقاعي، نظم الدرر ٣٩٧/١

٥) تدبر هذه الآية إذا اشتد بالأمة البلاء: ﴿ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصۡرُ ٱللَّهِ ﴾ حيث ما زال البلاء بهم حتى بلغ إلى شدته وغايته، عندها يقولون: ﴿ مَتَىٰ نَصۡرُ ٱللَّهِ ﴾ أي: يستفتحون على أعدائهم، ويدعون الله بقرب الفرج، وليس فيه استعجال النصر أو اليأس من نصر الله، كما بين الشوكاني[1] وغيره.

أ.د. ناصر العمر

(١) ينظر:فتح القدير (٢٤٧/١).

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾﴾

١) قال ابن عقيل: تستبطئ الإجابة من الله لأدعيتك في أغراضك التي يجوز أن يكون في باطنها المفاسد في دينك ودنياك، وتتسخط بإبطاء مرادك مع القطع بأنه سبحانه لا يمنعك شحًا ولا بخلًا ولا نسيانًا، وإنما أخر رحمة لك وحكمة ومصلحة، وقد تقدم إليك بذلك تقدمة؛ فقال سبحانه: ﴿وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾.

الآداب الشرعية لابن مفلح ٢/٣٨٨

٢) ما يصيب الإنسان إن كان يسره، فهو نعمة بينة. وإن كان يسوؤه، فهو نعمة من جهة أنه يكفر خطاياه، ويثاب بالصبر عليه. ومن جهة أن فيه حكمة ورحمة لا يعلمها ﴿وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى ١٤/ ٣٠٤

٣) رغم هول الكارثة التي أصيبت بها جدة في الأيام الماضية، إلا أن المؤمن لا يغفل النظر إلى ما في هذه المحنة من منح: فكم اصطفى الله فيها من الشهداء؟ وكم كانت سببًا في توبة أناس مفرطين؟ وكم رفع الله بها من درجات المصابين بذويهم وكفر بها من ذنوبهم؟ وكم ازداد بهذه المحنة من إيمان، وظهر فيها أثر الفساد المالي والإداري؟ إلى غير ذلك من المصالح الكثيرة، وصدق الله: ﴿وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾[1].

٤) ﴿وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾، في هذه الآية عدة حِكَم وأسرار ومصالح للعبد؛ فإن العبد إذا علم أن المكروه قد يأتي بالمحبوب، والمحبوب قد يأتي بالمكروه لم يأمن أن توافيه المضرة من جانب المسرة، ولم ييأس أن تأتيه المسرة من جانب المضرة؛ لعدم علمه بالعواقب فإن الله يعلم منها ما لا يعلمه العبد.

ابن القيم، الفوائد ١٤٦

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢١٨﴾﴾

١) من رجا شيئًا استلزم رجاؤه ثلاثة أمور: محبة ما يرجوه، وخوفه من فواته، وسعيه في تحصيله بحسب الإمكان. وأما رجاء لا يقارنه شيء من ذلك فهو من باب الأماني، والرجاء شيء والأماني شيء آخر، فكل راج خائف، والسائر على الطريق إذا خاف أسرع السير مخافة الفوات.

ابن القيم، الجواب الكافي ٢٤

---

(١) أرسلت إبان السيول التي اجتاحت (جدة) يوم الأربعاء ٨ (ذي الحجة) ١٤٣٠هـ.

٢) تأمل كيف جعل رجاءهم إتيانهم بهذه الطاعات! فالرجاء وحسن الظن إنما يكون مع الإتيان بالأسباب المشروعة، فيأتي العبد بها ثم يحسن ظنه بربه، ويرجوه أن لا يكله إليها، وأن يجعلها موصلة إلى ما ينفعه، ويصرف ما يعارضها ويبطل أثرها.

ابن القيم، الجواب الكافي ٣٩

٣) بعد أن وصف الله عباده بتلك الأوصاف العالية قال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يَرۡجُونَ﴾! وإنما قال: ﴿يَرۡجُونَ﴾ بعد تلك الأوصاف المادحة التي وصفهم بها؛ لأنه لا يعلم أحد في هذه الدنيا أنه صائر إلى الجنة ولو بلغ في طاعة الله كل مبلغ.

الشوكاني، فتح القدير ١/ ٢٥١

٤) لو قال قائل في هذه الآية العظيمة: أنا أرجو رحمة الله وأخاف عذابه. ننظر: هل هو من المتصفين بهذه الصفات؟ فإن كان كذلك فهو صادق، وإلا فهو ممن تمنى على الله الأماني؛ لأن الذي يرجو رحمة الله حقيقة لا بد أن يسعى لها.

ابن عثيمين، التعليق على القواعد الحسان ٥٨

﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡمَحِيضِۖ قُلۡ هُوَ أَذٗى فَٱعۡتَزِلُواْ ٱلنِّسَآءَ فِي ٱلۡمَحِيضِ وَلَا تَقۡرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطۡهُرۡنَۖ فَإِذَا تَطَهَّرۡنَ فَأۡتُوهُنَّ مِنۡ حَيۡثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلۡمُتَطَهِّرِينَ ٢٢٢﴾

١) ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلۡمُتَطَهِّرِينَ﴾ إذا أحب مولاك المتطهرين من الأحداث الأنجاس، فما الظن بمن تطهر من الذنوب والأدناس!

العز بن عبد السلام، شجرة المعارف والأحوال ٦١

٢) ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلۡمُتَطَهِّرِينَ﴾ ليس هناك نظام أرضي أو سماوي اهتم كل هذا الاهتمام بجمال الجسم وطهارته! وإن نقاء المسلمين البدني شارة تميزوا بها بين الشعوب الأخرى.

محمد الغزالي، المحاور الخمسة ١٩٥

﴿نِسَآؤُكُمۡ حَرۡثٞ لَّكُمۡ فَأۡتُواْ حَرۡثَكُمۡ أَنَّىٰ شِئۡتُمۡۖ وَقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٢٢٣﴾

هذه الآية من الكنايات اللطيفة والتعريضات المستحسنة، وهذه وأشباهها في كلام الله آداب حسنة، على المؤمنين أن يعلموها ويتأدبوا بها، ويتكلفوا مثلها في محاوراتهم ومكاتباتهم.

الزمخشري، الكشاف ١/٢٩٤

﴿ ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖۗ وَلَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَأۡخُذُواْ مِمَّآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ شَيۡـًٔا إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۖ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَا فِيمَا ٱفۡتَدَتۡ بِهِۦۗ تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعۡتَدُوهَاۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٢٩﴾ ﴾

١) ﴿ ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ ﴾ إنما قال سبحانه: ﴿ مَرَّتَانِ ﴾ ولم يقل طلقتان؛ إشارة إلى أنه ينبغي أن يكون الطلاق مرة بعد مرة، لا طلقتان دفعة واحدة، كذا قال جماعة من المفسرين.

الشوكاني، فتح القدير ٢٧٣/١

٢) ﴿أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖ ﴾، هذه الآية في شأن النساء، وإمساكهن بالمعروف، أو تسريحهن بإحسان، ولا يبعد أن يشمل المعنى كل من يتعامل معه من الناس، كموظف أو مدرس، فقد يمكث أحدهم مدة، ثم تقتضي المصلحة أن ينتقل إلى ميدان آخر، فهل ينقطع حبل المودة؟ أو يفسر انتقاله بقلة المروءة ونكران الجميل؟ الجواب: لا. فأهل الكرم ينأون بأنفسهم عن ذلك، ويحسنون التسريح والتوديع، فيبقى الود، وتحفظ الذكريات الجميلة، وإن تفارقت الأجساد.

د. محمد الحمد، خواطر ١٢٦

﴿ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوۡجًا غَيۡرَهُۥۗ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۗ وَتِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴿٢٣٠﴾ ﴾

١) ﴿فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ ﴾ وفي هذا دلالة على أنه ينبغي للإنسان، إذا أراد أن يدخل في أمر من الأمور -خصوصًا الولايات الصغار والكبار- نظر في نفسه، فإن رأى من نفسه قوة على ذلك، ووثق بها أقدم، وإلا أحجم.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن ١٠٢/١

٢) وإنما قال: ﴿لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴾؛ لأن الجاهل إذا كثر له أمره ونهيه، فإنه لا يحفظه ولا يتعاهده، والعالم يحفظ ويتعاهد؛ فلهذا المعنى خاطب العلماء ولم يخاطب الجهال.

القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ١٥٤/٣

﴿وَإِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغۡنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمۡسِكُوهُنَّ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعۡرُوفٖۚ وَلَا تُمۡسِكُوهُنَّ ضِرَارٗا لِّتَعۡتَدُواْۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَقَدۡ ظَلَمَ نَفۡسَهُۥۚ وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوٗاۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيۡكُم مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡحِكۡمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴿٢٣١﴾ ﴾

﴿وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا۟ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ﴾، إنها تربية قرآنية تؤكد على أن الاعتداء على الآخرين هو ظلم للنفس أولًا؛ بتعريضها لسخط الله وغضبه.

أ. د. عبد العزيز العويد

﴿۞ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَۚ وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِۚ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَاۚ لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةٌۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦۚ وَعَلَى ٱلْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَۗ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَاۗ وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّآ ءَاتَيْتُم بِٱلْمَعْرُوفِۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٣﴾﴾

١) نذكر الآباء بأنه يجب عليهم مراعاة أولادهم وأهلهم عند ابتداء الدراسة، في تهيئة ما يحتاجون إليه من أدوات مكتبيَّة أو غيرها؛ لأنَّ ذلك من الإنفاق عليهم: ﴿وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِۚ﴾، ثم قال: ﴿وَعَلَى ٱلْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ﴾، ويعطي كلَّ واحد منهم ما يحتاج إليه، سواء كان بقدر ما أعطى الآخر، أو أقل، أو أكثر، فمن دراسته في الثانوي يحتاج من الأدوات المدرسيَّة أكثر مما يحتاجه من هو دونهم.

ابن عثيمين، اللقاء الشهري (رقم: ٤٨، ص:١)

٢) تأمل في هذا المنهج الرباني: ﴿فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾ فإذا كان يلزم التشاور والاتفاق، عن تراض من أجل رضيع في المهد؛ حتى لا يُظلم هذا الصبي، فكيف يستبد البعض برأيه في شان أسرة كاملة راشدة، دون مراعاة لأحوال أهله وعشيرته؟!

أ. د. ناصر العمر

﴿وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّآ أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَا۟ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِۚ وَأَن تَعْفُوٓا۟ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰۚ وَلَا تَنسَوُا۟ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٧﴾﴾

١) ﴿وَلَا تَنسَوُا۟ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾ قال ابن عقيل: تمام المروءة أن تراعي ورثة من كنت تراعيه، وتخلفه بزيادة على ما كنت تراعيهم حال حياته؛ لتكون الزيادة بإزاء إرعائه، ولا توهمهم أن المنزلة سقطت بموت كاسبهم، ووفر الإكرام على الأيتام؛ لتشوب مرارة يتمهم حلاوة التحنن.

الآداب الشرعية لابن مفلح ٣٢٠/٣

٢) المسلم -وإن كان يحب النفع للناس كافة- فهو لنفع أصدقائه أحب، ولما يصلهم من خير أفرح، ولا بأس إن وجد فضلًا أن يذكر منه أصحابه ﴿وَلَا تَنسَوُاْ ٱلۡفَضۡلَ بَيۡنَكُمۡ﴾.

محمد الغزالي، خلق المسلم ١٧٧

﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ٢٣٨﴾

١) مجيء هذه الآية بين آيات الطلاق؛ لتصور لنا ما يجب أن يكون عليه المؤمن إذا سمع نداء الله- وهو منهمك في معركة الحياة- فكأنه بهذا الأسلوب ينادينا: إنه ليس شأن المؤمن أن يحتاج إلى كبير معالجة للتسامي بروحه فوق مشاعر الأهل والولد، وإنما شأنه أن ينتشل نفسه من غمرتها انتشالًا فوريًا؛ ليسرع إلى تلبية ذلك النداء الأقدس قائلًا للدنيا كلها: «**ذريني أتعبد لربي**»(١).

محمد دراز، النبأ العظيم (هامش٣ ص: ٢٧٧)

٢) أجيال من الأمم قبل هذه الأمة كانت تقيم الصلاة، أغواها الشيطان فأغفت لدى بارقة العصر؛ فضلَّت قوافلها الطريق!

د. فريد الأنصاري، قناديل الصلاة ٧٩

٣) اصطبري يا أبدانُ على إدامة التطهُّرِ بنهر النور، فإنَّ غُصْنًا ينبت في جوار الغدير لا يجفُّ أبدًا! إن لم ينل من فيضه نال من طلِّه، وإن لم يَرِدْ من ربيعه ورد من نداه!

د. فريد الأنصاري، قناديل الصلاة ٢٠

٤) عناية الأئمة بالتدبّر في فهم آيات الأحكام: قال الإمام أحمد ﷺ -في مسألة الطلاق-: تدبرت القرآن؛ فإذا كل طلاق فيه؛ فهو الرجعي.

جامع المسائل لابن تيمية ١/٢٥٥

﴿مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضۡعَافٗا كَثِيرَةٗۚ وَٱللَّهُ يَقۡبِضُ وَيَبۡصُۜطُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ٢٤٥﴾

في قوله تعالى: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا﴾ إشارة إلى أن الصدقة ترجع لصاحبها حقيقة، ناهيك عن الأجر؛ حيث سماها ﴿قَرۡضًا﴾ القرض حقه السداد، والمقترض هو الله سبحانه، ومن أوفى من الله؟ فكان رجوعها مقطوعًا به.

د. عبدالمحسن المطيري

---

(١) الحديث أخرجه ابن حبان ح (٦٢٠) ولفظه: «ذريني أتعبد الليلة لربي».

﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًاۚ قَالُوٓاْ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِۖ وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾ ﴾

لا يسلم الناس قيادتهم إلا لمن يتميز (بقوة) معتبرة، تكون عاملًا مؤثرًا في تجاوبهم له، تدبر: ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ﴾.

أ. د. ناصر العمر

﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلْجُنُودِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّى وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّىٓ إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةًۢ بِيَدِهِۦۚ فَشَرِبُواْ مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْۚ فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ قَالُواْ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦۚ قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٢٤٩﴾﴾

١) تأمل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّى وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّىٓ إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةًۢ بِيَدِهِۦ﴾ حيث جعل عدم القدرة على منع النفس عن رغباتها في الأمور اليسيرة دليلًا على عدم الثبات في المواقف الكبرى، وبخاصة أنه تعامل مع هذه النفس باعتدال وواقعية، إذ أتاح لها أن تأخذ ما يكسر حدة عطشها، فما زاد عن ذلك فهو استسلام للشهوة وضعف في الإرادة.

ومن هنا ندرك أن كثيرًا من الجزئيات قد تكون دليلًا على الكليات.

أ. د. ناصر العمر

٢) متى تنتهي لغة: ﴿لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ﴾؟ تنتهي إذا رفعنا شعار: ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾.

أ. د. ناصر العمر

٣) الاستغراق في الجانب السلبي لحدث ما؛ يعمي عن طريق الخلاص، ويحدث الفشل، بينما نقل التفكير خارج الحدث يفتح أبوابًا للخروج من الأزمة. قف متأملًا لمنهج كل طائفة في قصة أصحاب طالوت، وكيف كانت النتيجة: ﴿قَالُواْ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ﴾ حيث

استغرقهم مشهد كثرة جنود جالوت فضعفوا وفروا، بينما نظر الصادقون إلى عظمة الله، فقويت عزيمتهم وثبتوا فانتصروا: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٖ قَلِيلَةٍ غَلَبَتۡ فِئَةٗ كَثِيرَةَۢ بِإِذۡنِ ٱللَّهِ﴾ الآيات.

أ. د. ناصر العمر

٤) اليقين بلقاء الله ومعيَّته زادان ضروريان، حين يبدو للعيان انتصار الأعداء وغلبتهم؛ لئلَّا تحصل الهزيمة النفسية، فيحدث اليأس والخذلان: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٖ قَلِيلَةٍ غَلَبَتۡ فِئَةٗ كَثِيرَةَۢ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾.

أ. د. ابتسام الجابري

﴿وَلَمَّا بَرَزُواْ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُواْ رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٢٥٠﴾

الصبر من عناصر الرجولة الناضجة والبطولة الفارعة؛ فإن أثقال الحياة لا يطيقها المهازيل ﴿رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾.

محمد الغزالي، خلق المسلم ١١٩

﴿۞ تِلۡكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلۡنَا بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۘ مِّنۡهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُۖ وَرَفَعَ بَعۡضَهُمۡ دَرَجَٰتٖۚ وَءَاتَيۡنَا عِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدۡنَٰهُ بِرُوحِ ٱلۡقُدُسِۗ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقۡتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعۡدِهِم مِّنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخۡتَلَفُواْ فَمِنۡهُم مَّنۡ ءَامَنَ وَمِنۡهُم مَّن كَفَرَۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقۡتَتَلُواْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يُرِيدُ ٢٥٣﴾

١) ﴿تِلۡكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلۡنَا بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ﴾ إنما قال: ﴿تِلۡكَ﴾ ولم يقل: (أولئك الرسل)؛ لأنه ذهب إلى الجماعة، كأنه قيل: تلك الجماعة الرسل.

الرازي، مفاتيح الغيب ٥٢١/٦

٢) ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ إن قتال الحوثيين[١] محنة في باطنها منح وحكم، منها:

- رفع راية الجهاد الحقيقي.
- ﴿وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ (آل عمران).
- ما أورثته من تلاحم بين الراعي والرعية.
- رأى الناس من بعض أهل العلم -الذين ذهبوا للجبهة لتثبيت الجنود، وتبشيرهم- ما ذكرهم بسير العلماء الذين كانوا يعيشون هموم أمتهم واقعًا عمليًا[٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ ۗ وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٥٤﴾﴾

وأكثر ما ذكر في القرآن من وعيد الظالمين، إنما أريد به المشركون كما قال تعالى: ﴿وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾.

ابن رجب، جامع العلوم والحكم ٣٦/٢

(١) الحوثيون: حركة شيعية تأسست في (صعدة) شمال اليمن، أسسها حسين بدر الدين الحوثي بعد أن حصل انشقاق بينه وبين علماء الزيدية؛ بسبب آرائه المخالفة لهم؛ ومنها: دفاعه المستميت ومَيْله الواضح لمذهب الشيعة الإمامية الإثني عشرية وتصحيحه لبعض معتقداتهم، فأصدر حينها علماء الزيدية بيانًا تبرَّأوا فيه من الحوثي وآرائه. عندها اضطرَّ الحوثي للهجرة إلى إيران، وعاش هناك عِدَّة سنوات تغذَّى فيها من المعتقد الصفوي وازدادت قناعته بالمذهب الإمامي الإثني عشري، وفي عام ٢٠٠٢م ميلادية عاد الحوثي إلى بلاده، لتدريس أفكاره الجديدة، والتي منها: لعن الصحابة وتكفيرهم، وأخذ الخُمس، وغيرها.. وقام بتأسيس التنظيم الذي عرف باسم (الشباب المؤمن)، ثم غيروا تسميتهم مؤخرًا إلى (أنصار الله)، وتربطهم علاقات سياسية ومذهبية بـ(حزب الله) الشيعي اللبناني، و(الحرس الثوري) الإيراني، ومن أبرز معتقداتهم: أنَّ كل حكومةٍ غير ولاية الفقية النائبة عن الإمام المنتظَر هي حكومة غير شرعية ولا معترف بها، ولهذا كان للحركة الحوثية النفَس الثوري الناقم على الحكومة اليمنية؛ فاندلعت حروب خمسة بين الفريقين كلَّفت بلاد اليمن آلاف الأرواح وخسائر مالية كبرى.. وفي الحرب السادسة قام الحوثييون بالتسلل إلى الأراضي السعودية، وشنّوا هجومًا ضد مواقع حدودية وقتلوا من جرائه جنديًا سعوديًا وأصابوا ١١ آخرين، فقامت القوات السعودية بالتصدي لهم ودك معاقلهم حتى أعلنوا الانسحاب من الأراضي السعودية، بعد أن استمر القتال بين الجانبين نحو ثلاثة أشهر..

(٢) أرسلت في تاريخ ١ (المحرم) ١٤٣١هـ، أثناء تصدي القوات السعودية لهجوم شرذمة الحوثيين على بعض مناطق الحدود الجنوبية للمملكة العربية السعودية.

﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ٢٥٥ ﴾

١) آية الكرسي أعظم آية، وتدبُّرها أولى ما يكون، وقد شرعت قراءتها في مواضع كثيرة، ويحق لمن قرأها متدبِّرًا متفقِّهًا، أن يمتلئ قلبه من اليقين والعرفان والإيمان، وأن يكون بذلك محفوظًا من شرور الشيطان.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن ٢٨

٢) لما قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ قال بعدها: الحي القيوم، فبعد أن ذكر استحقاقه للعبودية ذكر سبب ذلك وهو كماله في نفسه ولغيره، فلا تصلح العبادة إلا لمن هذه شأنه: ﴿ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡحَيِّ ٱلَّذِي لَا يَمُوتُ ﴾ (الفرقان:٥٨)، «**ومن كان يعبد الله، فإنَّ الله حيٌّ لا يموت**»(١).

د. عبدالمحسن المطيري

٣) ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ فيها نفي وإثبات؛ نفي الألوهية وإثباتها لله وحده، وهذا من التخلية قبل التحلية، وقد فصل هذا أيضًا في الآية التي تليها ﴿فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ ﴾ (البقرة:٢٥٦).

ينظر: تفسير أضواء البيان

٤) ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞ ﴾ نفي استيلاء السنة والنوم على الله تعالى تحقيق لكمال الحياة ودوام التدبير، وإثبات لكمال العلم فإن السنة والنوم يشبهان الموت، فحياة النائم في حالهما حياة ضعيفة، وهما يعوقان عن التدبير وعن العلم بما يحصل في وقت استيلائهما على الإحساس.

ابن عاشور، التحرير والتنوير (١٩/٣)

٥) ﴿لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ ﴾ ذكر النوم بعد السنة ترقّ من نفي الأضعف إلى نفي الأقوى.

المراغي، تفسيره (١٢/٣)

٦) من مناسبة قوله تعالى: ﴿لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ ﴾ بعد التوحيد ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ أنَّ قوله: ﴿مَا﴾ عامٌّ، فكل ما في السموات والأرض لله، مملوك من مماليكه وعبدٌ من عبيده، فكيف يعبد العبد عبدًا ولا يعبد مالكه؟!

السعدي، تيسير اللطيف المنان (١٨)

---

(١) البخاري ح(١٢٤١)، ابن حبان ح(٦٦٢٠).

٧) لما قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ قال بعدها: ﴿لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ ومن مناسبة هذا: أنَّ القلوب متعلِّقة بمن يرزقها كما في قول إبراهيم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ ﴾ (العنكبوت:١٧)، فدلهم على العبوديَّة من الباب الذي يَرغبونه.

ينظر: أيسر التفاسير للجزائري

٨) ﴿لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ تأمَّل في أعظم مساحة يملكها تاجر أو حاكم؛ إنها ذرَّة في هذا الكون الفسيح، وهي تشير -أيضًا- إلى أنَّ ما في أيدي الخلق فمآله إليه، فتبارك مَن وسع ملكه وسلطانه السماوات والأرض والدنيا والآخرة.

د. عمر المقبل

٩) ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ ﴾ لم يقل: بعلمه، فهم لا يحيطون بعلمه، ولا بشيء من علمه، بل هم إن علموه، فإنما يعلمونه من وجه دون وجه بغير إحاطة.

ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل

١٠) ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾ والكرسي ليس أكبر مخلوقات الله تعالى، بل هناك ما هو أعظم منه وهو العرش، وما لا يعلمه إلا هو، وفي عظمة هذه المخلوقات تحير الأفكار وتكل الأبصار، وتقلقل الجبال، فكيف بعظمة خالقها ومبدعها، والذي قد أمسك السماوات والأرض أن تزولا من غير تعب ولا نصبٍ؛ فلهذا قال: ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ﴾.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن ١١٠

١١) ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ ﴾ مثل هذه الجملة التي طرفاها معرفتان تفيد الحصر، فهو وحده العلي؛ أي: ذو العلوِّ المطلق، وهو الارتفاع فوق كل شيء، و ﴿ٱلْعَظِيمُ ﴾؛ أي: ذو العظمة في ذاته، وسلطانه، وصفاته.

ابن عثيمين، تفسير سورة البقرة ٣/ ٢٥٦

﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخۡرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِۗ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢٥٧﴾

حضرت لقاء مع أحد الإخوة البريطانيين -حديث عهد بإسلام- واسمه عبد الجليل، فسألوه عن أثر الإسلام عليه؟ فأجاب: كنت أعيش في ظلام كما قال الله: ﴿يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾، ثم أشار إلى عينيه كحال من غطي على بصره.

متدبر

﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِي حَآجَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ فِي رَبِّهِۦٓ أَنۡ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلۡمُلۡكَ إِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحۡيِۦ وَأُمِيتُۖ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأۡتِي بِٱلشَّمۡسِ مِنَ ٱلۡمَشۡرِقِ فَأۡتِ بِهَا مِنَ ٱلۡمَغۡرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٢٥٨﴾

١) إن المحاجة لإبطال الباطل، ولإحقاق الحق من مقامات الرسل؛ لقوله تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِي حَآجَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ فِي رَبِّهِۦٓ﴾.

ابن عثيمين، تفسير سورة البقرة ٣/ ٢٨١

٢) إن النعم قد تكون سببًا للطغيان؛ لأن الإنسان إذا دام في نعمة، وفي رغد، وفي عيش هنيء فإنه ربما يطغى، وينسى الله ﷻ، قال تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِي حَآجَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ فِي رَبِّهِۦٓ أَنۡ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلۡمُلۡكَ﴾ فهذا الرجل ما طغى وأنكر الخالق إلا لأن الله آتاه الملك؛ ولهذا أحيانًا تكون الأمراض نعمة من الله على العبد؛ والفقر والمصائب تكون نعمة على العبد!

ابن عثيمين، تفسير سورة البقرة ٣/ ٢٨١ (بتصرف)

٣) من أخذ بالعدل كان حريًا بالهداية؛ لمفهوم المخالفة في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾؛ فإذا كان الظالم لا يهديه الله، فصاحب العدل حري بأن يهديه الله ﷻ؛ فإن الإنسان الذي يريد الحق ويتبع الحق -والحق هو العدل- غالبًا يُهدى، ويوفق للهداية.

ابن عثيمين، تفسير سورة البقرة ٣/ ٢٨٦

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾﴾

قال تعالى في قصة الطير مع الخليل ﷺ: ﴿ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا﴾ والحكمة من كونها تأتي سعيًا دون أن تأتي طيرانًا؛ كونه أبعد من الشبهة؛ لأنها لو طارت لتوهم متوهم أنها غير تلك الطير وأن أرجلها غير سليمة والله أعلم.

البغوي، معالم التنزيل ١/ ٣٢٤

﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾﴾

تأمل هذا المثل؛ فالأرض إذا أعطيتها حبة أعطتك سبع مائة حبة، هذا عطاء مخلوق، فكيف بعطاء الخالق؟!

﴿۞ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى ۗ وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَلِيمٌ ﴿٢٦٣﴾﴾

الحرمان مع الأدب أفضل من العطاء مع البذاءة.

محمد الغزالي، خلق المسلم ٧١

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا ۖ لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦٤﴾﴾

١) إن القلب المقفر من الإخلاص، لا ينبت قبولًا كالحجر المكسو بالتراب لا يخرج زرعًا: ﴿فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا﴾.

محمد الغزالي، خلق المسلم: (٦٢)

٢) قال تعالى هنا: ﴿لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا۟﴾ وفي سورة إبراهيم: ﴿لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا۟ عَلَىٰ شَىْءٍ﴾ (١٨) وسر هذا التغاير: أن المثل هنا للعامل، فكان تقديم نفي قدرته وصلتها أنسب، أما آية (إبراهيم) فالمثل للعمل؛ لقوله تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ ۖ أَعْمَٰلُهُمْ﴾ تقديره: مثل أعمال الذين كفروا.

ابن جماعة، كشف المعاني ١٢٠

﴿ ٱلشَّيۡطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلۡفَقۡرَ وَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغۡفِرَةٗ مِّنۡهُ وَفَضۡلٗاۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ﴿٢٦٨﴾ ﴾

١) فهذا وعد الله، وذاك وعد الشيطان؛ فلينظر البخيل والمنفق: أي الوعدين هو أوثق، وإلى أيهما يطمئن قلبه، وتسكن نفسه، والله يوفق من يشاء ويخذل من يشاء، وهو الواسع العليم.

ابن القيم، طريق الهجرتين ٣٧٥

٢) حينما تهم بالصدقة، ثم تغلُّ يدكَ خشية الفقر، فاعلم أنَّ الشيطان قد نفَّذ المهمة: ﴿ ٱلشَّيۡطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلۡفَقۡرَ ﴾.

إبراهيم السكران

٣) تأمل هذا التقابل العجيب: ﴿ ٱلشَّيۡطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلۡفَقۡرَ وَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغۡفِرَةٗ مِّنۡهُ وَفَضۡلٗا ﴾ ثم التفت إلى قلبك حين تهم بالنفقة، فإن وجدت ميلًا لوعد الشيطان، فانظر كيف تضمن الله لهؤلاء الذين أطلقوا أيديهم في إنفاق أموالهم دون التفات لتخويف الشيطان: ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُم بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ فَلَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴾ (البقرة:٢٧٤)، فإن لم تؤثر فيك هذه الضمانات الربانية، فابك على إيمانك وموت قلبك.

أ. د. ناصر العمر

٤) ﴿ ٱلشَّيۡطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلۡفَقۡرَ وَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡفَحۡشَآءِ ﴾، يقول أحدهم -وهو من أغنياء الرياض-: لا زلت أذكر ضعفاء الناس منذ أكثر من ثلاثين سنة يقولون: التعليم الديني ليس له مستقبل ولا وظائف، يتألون على الله، وقد تخرَّجت من كلية شرعية، وترقيت بحمد الله، وما زلنا نرى الناس كذلك، ومن لم يجد وظيفة، فكم ممن له تخصص دنيوي لم يجد كذلك، فالرزق بيد الله، وكلٌّ يدخل ما هو أنسب له.

﴿ وَمَآ أَنفَقۡتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوۡ نَذَرۡتُم مِّن نَّذۡرٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُهُۥۗ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٍ ﴿٢٧٠﴾ ﴾

ومفهوم الآية: أن الله آخذ بيد السخي وبيد الكريم كلما عثر، فيجد له نصيرًا ولا يجد الظالم -بوضع القهر موضع البر- ناصرًا.

الحرالي، تراثه ٤٧٠

﴿ إِن تُبْدُوا۟ ٱلصَّدَقَـٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٧١﴾ ﴾

البذل الواسع عن إخلاص ورحمة، يغسل الذنوب ويمسح الخطايا.

محمد الغزالي، خلق المسلم ١٠٨

﴿ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰا۟ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَـٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰا۟ ۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰا۟ ۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ عَادَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٢٧٥﴾ ﴾

آكل الربا ينسلخ عقله في طلب المكاسب الربويَّة ﴿ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰا۟ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَـٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ۚ ﴾، وحين يُبعث يتخبَّط من هولِ العقاب.

د. محمد الربيعة

﴿ يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَـٰتِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿٢٧٦﴾ ﴾

١) ﴿ يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَـٰتِ ﴾ تأمل حكمته تعالى في محق أموال المرابين وتسليط المتلفات عليها، كما فعلوا بأموال الناس ومحقوها عليهم وأتلفوها بالربا؛ فجُوزوا إتلافًا بإتلاف! فقلَّ أن ترى مرابيًا إلا وآخرته إلى محق وقلَّة وحاجة.

ابن القيم، مفتاح دار السعادة (١/٢٥٣)

٢) ﴿ يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَـٰتِ ﴾ وهذا عكس ما يتبادر لأذهان كثير من الخلق، أن الإنفاق ينقص المال، وأن الربا يزيده؛ فإن مادة الرزق وحصول ثمراته من الله تعالى، وما عند الله لا ينال إلا بطاعته وامتثال أمره، فالمتجرئ على الربا، يعاقبه الله بنقيض مقصوده، وهذا مشاهد بالتجربة.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن ٩٥٩

٣) كما أنَّه مستقرٌّ في الأذهان أنَّ الله يمحق الربا ﴿ يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰا۟ ﴾، فهو كذلك يمحق الكافرين ﴿ وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَمْحَقَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴾ (آل عمران:١٤١)، فكيف إذا اجتمع كفر وتعاملٌ بالرِّبا؟! ومن العجيب أنه لم يرد في القرآن كلِّه لفظة: ﴿ يَمْحَقُ ﴾ إلا في هذين الموضعين.

متدبر

٤) ﴿ يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِي ٱلصَّدَقَٰتِۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴾ يظهر من كلمة كفار أن الموصوف بها اجتاز عدة مراحل من نسيان الله، واعتداء حدوده، حتى أمسى الكفر في نفسه ظلمات بعضها فوق بعض.

محمد الغزالي، المحاور الخمسة ١٩٩

﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ (٢٧٩) ﴾

﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾ ففي ضمن هذا الوعيد أن المرابي محارب لله ورسوله، قد آذنه الله بحربه، ولم يجئ هذا الوعيد في كبيرة سوى: الربا وقطع الطريق والسعي في الأرض بالفساد؛ فاحذر هذه الصفات.

ابن القيم، طريق الهجرتين ٣٧٨

﴿ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍۚ وَأَن تَصَدَّقُواْ خَيْرٌ لَّكُمْۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (٢٨٠) ﴾

تأمل كلمة: ﴿مَيْسَرَةٍ﴾ فإنها تشعرك بما يلي:

- توافر المال دون مشقة -كاستدانته مع الحرج- أو إراقة ماء الوجه عند الآخرين.
- أن يفيض عن حاجته، مما لا يوقعه في الضنك والشدة، وإلا ما انتقل العسر إلى يسر.
- أن أي أذى حسي أو معنوي لا يتفق مع دلالة: (نظرة).

أ. د. ناصر العمر

﴿ وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (٢٨١) ﴾

١) قال القاسم بن أبي أيوب: سمعت سعيد بن جبير يردد هذه الآية في الصلاة بضعًا وعشرين مرة.

الزهد لابن حنبل ٣٧٠

فما أعظمها من آية.. وما أجدرها بالتدبر والتكرار والتأمل!

٢) أعظم آية يوعظ بها آكلو الربا، وأصحاب الأموال -الذين أشغلتهم أموالهم عن طاعة الله- ما ختم الله به آيات الربا، وهي آخر ما أنزله من وحيه، وهي قوله: ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾.

د. محمد الربيعة

٣) الصغير يكتب له الثواب؛ وذلك لعموم قوله تعالى: ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾.

ابن عثيمين، تفسير سورة البقرة ٤٠١/٣

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى فَٱكۡتُبُوهُۚ وَلۡيَكۡتُب بَّيۡنَكُمۡ كَاتِبُۢ بِٱلۡعَدۡلِۚ وَلَا يَأۡبَ كَاتِبٌ أَن يَكۡتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُۚ فَلۡيَكۡتُبۡ وَلۡيُمۡلِلِ ٱلَّذِي عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ وَلۡيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا يَبۡخَسۡ مِنۡهُ شَيۡـٔٗاۚ فَإِن كَانَ ٱلَّذِي عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ سَفِيهًا أَوۡ ضَعِيفًا أَوۡ لَا يَسۡتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلۡيُمۡلِلۡ وَلِيُّهُۥ بِٱلۡعَدۡلِۚ وَٱسۡتَشۡهِدُواْ شَهِيدَيۡنِ مِن رِّجَالِكُمۡۖ فَإِن لَّمۡ يَكُونَا رَجُلَيۡنِ فَرَجُلٞ وَٱمۡرَأَتَانِ مِمَّن تَرۡضَوۡنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحۡدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحۡدَىٰهُمَا ٱلۡأُخۡرَىٰۚ وَلَا يَأۡبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْۚ وَلَا تَسۡـَٔمُوٓاْ أَن تَكۡتُبُوهُ صَغِيرًا أَوۡ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ أَقۡسَطُ عِندَ ٱللَّهِ وَأَقۡوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ وَأَدۡنَىٰٓ أَلَّا تَرۡتَابُوٓاْ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً حَاضِرَةٗ تُدِيرُونَهَا بَيۡنَكُمۡ فَلَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَلَّا تَكۡتُبُوهَاۗ وَأَشۡهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعۡتُمۡۚ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٞ وَلَا شَهِيدٞۚ وَإِن تَفۡعَلُواْ فَإِنَّهُۥ فُسُوقُۢ بِكُمۡۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ٢٨٢﴾

١) قال بعض العلماء: أرجى آية في القرآن آية الديْن؛ فقد أوضح الله فيها الطرق الكفيلة بصيانة الديْن من الضياع، ولو كان الديْن حقيرًا، قالوا: وهذا من صيانة مال المسلم، وعدم ضياعه ولو قليلًا يدل على العناية التامة بمصالح المسلم؛ وذلك يدل على أن اللطيف الخبير لا يضيعه يوم القيامة عند اشتداد الهول، وشدة حاجته إلى ربه.

الشنقيطي، أضواء البيان ٤٨١/٥

٢) ﴿وَلۡيَكۡتُب بَّيۡنَكُمۡ كَاتِبُۢ بِٱلۡعَدۡلِ﴾ إنما قال: ﴿بَّيۡنَكُمۡ﴾ ولم يقل: (أحدكم)؛ لأنه لما كان الذي له الدين يتهم في الكتابة الذي عليه الدين، وكذلك بالعكس؛ شرع الله سبحانه كاتبًا غيرهما يكتب بالعدل لا يكون في قلبه ولا قلمه محبة لأحدهما على الآخر.

القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ٣٨٣/٣

٣) ﴿وَلَا يَأۡبَ كَاتِبٌ أَن يَكۡتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُ﴾ من خصه الله بنعمة من النعم يحتاج الناس إليها، فمن تمام شكر هذه النعمة أن يعود بها على عباد الله، وأن يقضي بها حاجاتهم؛ لتعليل الله النهي عن الامتناع عن الكتابة بتذكير الكاتب بقوله: ﴿كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُ﴾، ومع هذا فـ «**من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته**»[(١)(٢)].

السعدي، تيسير الكريم الرحمن ١١٨

---

(١) علق د. عبدالوهاب الطريري على هذه الرسالة فقال: أولًا: عندما يكون المرء متشبعًا بمعنى من المعاني؛ فإنه يستنطقه من الدلالات الجلية والدقيقة، ولتشبع الشيخ السعدي ﷺ بمعاني بذل الخير لم يتجاوز هذه الآية حتى جلاها هذا الجلاء الرائع. ثانيًا: كانت حياة الشيخ تطبيقًا لهذا المعنى؛ فقد عاش يكتب كما علمه الله، ويعلم كما علمه الله، في تناغم جميل بين فقهه وحياته، فرحمه الله، وأثابكم على إبراز ذخائره.

(٢) البخاري ح(٢٤٤٢)، مسلم ح(٢٥٨٠)، أبو داود ح(٤٨٩٣)، الترمذي ح(١٤٢٦).

٤) ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ﴾، أشار شيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ لمعنى أثر التزكية والتقوى في تحصيل العلم، وهو معنى قرآني يغفل عنه الكثيرون، فقال: «لِتزكية النفس والعمل بالعلم وتقوى الله تأثيرٌ عظيمٌ في حصولِ العلم».

درء التعارض ٥/٤٣٠

﴿لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَإِن تُبۡدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ أَوۡ تُخۡفُوهُ يُحَاسِبۡكُم بِهِ ٱللَّهُۖ فَيَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ٢٨٤﴾

١) لما نزلت: ﴿وَإِن تُبۡدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ أَوۡ تُخۡفُوهُ يُحَاسِبۡكُم بِهِ ٱللَّهُۖ﴾ اشتد ذلك على الصحابة، فقالوا: قد أنزلت عليك هذه الآية ولا نطيقها، فقال ﷺ: «**أتريدون أن تقولوا كما قال أهلُ الكتابين من قبلكم: سمعنا وعصينا؟ بل قولوا: سمعنا وأطعنا**»، فلما اقترأها القوم ذلَّت بها ألسنتهم، (فنسخها الله)، وأنزل الله في إثرها: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾[1].

فتأمَّل أثرَ التدبُّر في وجل الصحابة، وتأمَّل بركة تسليمهم لأمر الله، حين نسخ الله الآية الأولى بالثانية.

٢) ﴿وَإِن تُبۡدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ أَوۡ تُخۡفُوهُ يُحَاسِبۡكُم بِهِ ٱللَّهُ﴾ إنما تدل على أن الله يحاسب بما في النفوس، لا على أنه يعاقب على كل ما في النفوس.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى ١٤/ ١٠١

﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ٢٨٥﴾

١) قال الزجاج: لما ذكر الله في سورة البقرة أحكامًا كثيرة وقصصًا، ختمها بقوله: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ تعظيمًا لنبيِّه ﷺ وأتباعه، وتأكيدًا لجميع ذلك المذكور من قبل، وأنهم آمنوا بأخباره وعملوا بأحكامه.

التحرير والتنوير (٣/١٣١)

٢) ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾، ثم قال: ﴿وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ﴾ دلَّ أنَّ الإيمان الصحيح يقود إلى العمل، فهو ليس مجرَّد معرفة قلبيَّة، وتصورات ذهنية.

---

(١) رواه مسلم (ح ١٢٥).

٣) ﴿وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ هذه الأمة أُمَّة اتِّباع، فإذا آتاها الله العقل الدالَّ على صدق رسوله ﷺ وصحة كتابه، فإنها لا تعارض أفراد الأدلة بعقولها، بل هي تسمع لها وتطيع.

ابن باز، فتاوى ابن باز ١٠٤/١

٤) ﴿غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ لما علموا أنهم لم يوفوا مقام الإيمان حقه مع الطاعة والانقياد، سألوه غفرانه الذي هو غاية سعادتهم ونهاية كمالهم؛ فإن غاية كل مؤمن المغفرة من الله تعالى.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى ١٣٦/١٤

٥) من ارتباط أول سورة البقرة بآخرها مدح الله تعالى في أولها للمتقين الذي يؤمنون بالغيب، ثم فصل صفتهم في آخرها بأنهم الرسول ومن معه إذ آمنوا بالغيب من مثل أركان الإيمان، وسمعوا وأطاعوا، وذكر في أولها أنهم بالآخرة هم يوقنون، وفي آخرها قالوا: ﴿وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾.

ابن عادل الحنبلي، اللباب في علوم الكتاب ٤/ ٥٢٢ (بتصرف)

﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٨٦﴾﴾

١) ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ فلولا أن في وسعكم الفهم لأحكام القرآن، ما أمركم بتدبره.

ابن حزم، الإحكام ٦ /٢٨٢

٢) ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ يستدل بها بعضهم على الترخُّص، مع أنها تدل على العزيمة أيضًا، فيقال: إن الله تعالى لم يكلِّف نفسًا فوق وسعها، فمعناه: أنَّ كل ما كان في وسعه، فهو داخل في التكليف.

ابن عثيمين

٣) ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾، جاءت العبارة بـ ﴿لَهَا﴾ في الحسنات؛ لأنها مما ينتفع العبد به، وجاءت بـ﴿وَعَلَيْهَا﴾ في السيئات؛ لأنها مما يضر العبد.

ابن جزي، التسهيل لعلوم التنزيل ١٥٧/١

٤) ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ﴾ فرق بين (الكسب) و(الاكتساب)، فالكسب هو ما حصَّله الإنسان من عمله المباشر وغيره، فالعبد يعمل الحسنة الواحدة ويجزى عليها عشرًا، وأما الاكتساب؛ فهو ما باشره فحسب، فلو عمل سيئة لم تكتب عليه إلا واحدة، وذلك من فضل الله ورحمته.

القاسمي، محاسن التأويل ٢/٢٤٣

٥) وليس لأحد أن يتبع زلات العلماء كما ليس له أن يتكلم في أهل العلم والإيمان إلا بما هم له أهل؛ فإن الله تعالى عفا للمؤمنين عما أخطؤوا كما قال تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ وأمرنا أن نتبع ما أنزل إلينا من ربنا ولا نتبع من دونه أولياء وأمرنا أن لا نطيع مخلوقًا في معصية الخالق ونستغفر لإخواننا الذين سبقونا بالإيمان، فنقول: ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ (الحشر:١٠) الآية.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى (٣٢/٢٣٩)

٦) ﴿لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ جمع الله في هذه الآية بين ترك الأمر وارتكاب النهي؛ لأنَّ المراد بالنسيان هنا: الترك، فالنسيان أن يترك الفعل لتأويل فاسد، والمراد بالخطأ: أن يفعل الفعل لتأويل فاسد، فدعوا الله أن يعفوَ عنهم هذا وهذا.

ابن عادل الحنبلي، اللباب في علوم الكتاب ٤/٥٣٧

٧) ﴿وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ﴾ في الحديث القدسي: «**أنَّ الله تعالى قال: قد فعلت**»[١]، وانظر إلى ترتبها: فالعفو طلب إسقاط العقوبة، ثم تدرج منه إلى المغفرة، وهي طلب الستر (وقد تسقط العقوبة ولا يستر الذنب)، ثم تدرج منه إلى الرحمة، وهي كلمة جامعة لأنواع من الخير والإحسان، فالحمد لله الذي لا أعظم من رحمته.

٨) ﴿أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ يا لها من كلمة تبعث في نفس المؤمن القوة والسعي في الأخذ بالأسباب في دفاع الكفار الذين ما فتئوا يحاربون المسلمين في عقائدهم وأخلاقهم وأموالهم وديارهم، فمهما عظمت جنودهم فالله مولانا ولا مولى لهم[٢].

---

(١) مسلم ح (١٢٦).

(٢) أرسلت إبان حرب غزة مطلع ١٤٣٠ هـ.

٩) «هذا باب من السماء فُتح اليوم لم يفتح قط إلا اليوم.. هذا ملك نزل إلى الأرض لم ينزل قط إلا اليوم فسلم، وقال: أبشر بنورين أوتيتهما لم يؤتهما نبيٌّ قبلك: فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة...»[(١)].

إنَّهما نوران لم يؤتهما أحد قبل هذه الأمة قط -بنصِّ كلام المعصوم ﷺ-، فهل يستشعر قارئ هاتين الآيتين هذا، وهل فتَّش من أثر هذين النورين في قلبه، وهو يقرأ هاتين الآيتين يوميًّا؟

١٠) ذكر الله في آخر البقرة أحكام الأموال وهي ثلاثة أصناف: عدل، وفضل، وظلم؛ فالعدل: البيع. والظلم: الربا. والفضل: الصدقة. فمدح المتصدقين وذكر ثوابهم، وذم المرابين وبين عقابهم، وأباح البيع والتداين إلى أجل مسمى.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى٢٠/٥٥٤

١١) استخرج العلامة العثيمين رحمه الله من سورة البقرة فقط من الفوائد العقديَّة والفقهيَّة والأصوليَّة والتربويَّة أكثر من ٢٥٠٠ فائدة! أي بمعدل (٩ فوائد) لكلِّ آية! إنها بركة التدبُّر.

١٢) إن المستظهر لسورة البقرة، إذا لم يسلم وجهه لله في كل شيء، ولم يسلك بها إلى ربه متحققًا بأركان الإسلام وأصول الإيمان، متخلقًا بمقام الجهاد في سبيل الله، صابرًا في البأساء والضراء وحين البأس، متنـزهًا عن المحرمات في المطعومات والمشروبات.. إلخ، واضعًا عنقه تحت ربق أحكام الشريعة، في دينه ونفسه وماله، متحققًا بخلق السمع والطاعة لله على كل حال، من غير تردد ولا استدراك؛ لا يكون حافظًا حقًا لسورة البقرة!

د. فريد الأنصاري. من مقالة: هذه رسالات القرآن فمن يتلقاها

١٣) الإحاطة بمقصود سورة البقرة كنز، وهو مضمن في الكنزين العظيمين في آخرها، فالسورة كلها في (الوحي وموقف الناس منه)، وأول الآيتين الأخيرتين: في الأصول الخمسة التي تتابع عليها وحي السماء، وموقف أهل الإيمان منها، وأما آخرهما: فهي في الوحي المحمَّدي وما خصَّنا الكريم به.

د. عصام العويد

(١) رواه مسلم (ح ٨٠٦).

سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ

﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَـٰبَ مِنۡهُ ءَايَـٰتٌ مُّحۡكَمَـٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَـٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَـٰبِهَـٰتٌۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَـٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۗ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَـٰبِ ﴿٧﴾ ﴾

قال عمر بن الخطاب ﷺ: ما أخاف على هذه الأمة من مؤمن ينهاه إيمانُه، ولا من فاسقٍ بيِّنٍ فسقُه، ولكني أخاف عليها رجلًا قد قرأ القرآن بلسانه، ثم تأوله على غير تأويله!

جامع بيان العلم وفضله ١٢٠٠/٢

﴿ ٱلصَّـٰبِرِينَ وَٱلصَّـٰدِقِينَ وَٱلۡقَـٰنِتِينَ وَٱلۡمُنفِقِينَ وَٱلۡمُسۡتَغۡفِرِينَ بِٱلۡأَسۡحَارِ ﴿١٧﴾ ﴾

أمر الله عباده أن يختموا الأعمال الصالحات بالاستغفار، فكان ﷺ إذا سلم من الصلاة يستغفر ثلاثًا[1]، وقد قال تعالى: ﴿وَٱلۡمُسۡتَغۡفِرِينَ بِٱلۡأَسۡحَارِ﴾، فأمرهم أن يقوموا بالليل ويستغفروا بالأسحار، وكذلك ختم سورة (المزمل) وهي سورة قيام الليل بقوله تعالى: ﴿وَٱسۡتَغۡفِرُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌۢ ﴿٢٠﴾ ﴾ (المزمل).

ابن تيمية، مجموع الفتاوى ٦٨٩/١١

﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَـٰمُۗ وَمَا ٱخۡتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَـٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۗ وَمَن يَكۡفُرۡ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ﴿١٩﴾ ﴾

عبارة: (الديانات السماوية) غلط، والصواب: (الشرائع السماوية)؛ لأن الله يقول: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَـٰمُ ﴾.

د. محمد الراوي، تعليق على سورة هود (شريط صوتي)

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَيَقۡتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيۡرِ حَقٍّ وَيَقۡتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡقِسۡطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢١﴾ ﴾

---

(١) أخرجه مسلم ح(١٣٥)، الترمذي ح (٣٠٠)، النسائي (١٣٣٧)، ابن ماجه (٩٢٨).

هذه الآية من أظهر الأدلَّة على بيان منزلة العلماء الآمرين بالمعروف، حيث قرن الله قتلهم بقتل الأنبياء؛ لأنَّ العلماء هم ورثة الأنبياء.

ابن رجب، مجموعة رسائل ابن رجب (٣٢/١)

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾﴾

إنما قال: ﴿فَرِيقٌ مِّنْهُمْ﴾؛ لأن هذا الوصف ليس عاما لكل فرد منهم، بل كان منهم أمة يهدون بالحق وبه يعدلون.

محمد رشيد رضا، تفسير المنار ٢١٩/٣

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ ۖ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾﴾

﴿وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ تحكي حال كثير من أهل الباطل يفترون الباطل من عند أنفسهم، ثم يصدقونه.

د. عبد الله السكاكر

﴿لَّا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَن تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ ۗ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴿٢٨﴾﴾

انظر كيف عبر بصيغة النفي لا النهي مبالغة في التقرير؛ لأن اتخاذهم أولياء -بعد أن سفه الآخرون دينهم، وسفهوا أحلامهم في اتباعه- يعد ضعفًا في الدين، وتصويبًا للمعتدين.

ابن عاشور، التحرير والتنوير٢١٥/٣

﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾﴾

١) من أحبَّ الله ورسوله ﷺ محبةً صادقةً من قلبه، أوجب له ذلك أن يحبَّ بقلبه ما يحبه الله ورسوله ﷺ، ويكره ما يكرهه الله ورسوله ﷺ، فإن عمل بجوارحه شيئًا يخالف ذلك، دلَّ على نقص محبته الواجبة؛ فعليه أن يتوب من ذلك ويرجع إلى تكميل محبته الواجبة.

ابن رجب، تفسير ابن رجب ٢٠١/١

٢) تأمل هذه الآية: ﴿ قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡ ﴾، إنها آية واضحة في بيان معيار المحبة والاتباع الحقيقي للنبي ﷺ، فلا يصح لأحد أن يزايد على هذه المحبة بفعل ما لم يشرعه، فضلًا عن الابتداع في دينه بدعوى المحبة، وأشد من ذلك أن يقلب الأمر فيوصف من لم يوافق المبتدع على بدعته، بأن محبته للنبي ﷺ ناقصة.

٣) في قوله تعالى: ﴿ قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي ﴾، عبر بلفظ الاتباع دلالة على التقرب؛ لأن من آثار المحبّة تطلّب القرب من المحبوب، وعلق محبة الله تعالى على لزوم اتباع الرسول؛ لأنه رسوله الداعي لما يحبه.

ابن عاشور، التحرير والتنوير ٨١/٣ (بتصرف)

٤) لا نقدس جبلًا ولا نعبد حجرًا، حتى الحجر الأسود نقبله امتثالًا لأمر الشرع، ونعلم أنه حجر، والجمرات في منى نرميها امتثالًا لأمر الشرع، ونعلم أنها حجر، وما عظمنا الأول لذاته، ولا حقّرنا الثاني لذاته؛ إننا نفعل ذلك ونحن نتذكر قوله تعالى: ﴿ قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡ ﴾.

علي الطنطاوي، ذكريات الطنطاوي ١٤٨/٣

﴿ إِذۡ قَالَتِ ٱمۡرَأَتُ عِمۡرَٰنَ رَبِّ إِنِّي نَذَرۡتُ لَكَ مَا فِي بَطۡنِي مُحَرَّرٗا فَتَقَبَّلۡ مِنِّيٓۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ٣٥ ﴾

١) جاء في التفسير: أنَّ امرأة عمران نذرت أن يكون ولدها عابدًا في بيت المقدس؛ إذًا حقيقة الحرية أن تكون عبدًا لله.

د. عبدالمحسن المطيري

٢) كانوا يعدون أبناءهم لحمل همِّ هذا الدين قبل ولادتهم، ويسألون ربهم أن يتقبَّل منهم ذلك، فما عذر من يمضي عمره دون أن يحدِّدَ مشروعَه في الحياة؟

أ. د. ناصر العمر

﴿ فَلَمَّا وَضَعَتۡهَا قَالَتۡ رَبِّ إِنِّي وَضَعۡتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا وَضَعَتۡ وَلَيۡسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلۡأُنثَىٰۖ وَإِنِّي سَمَّيۡتُهَا مَرۡيَمَ وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ٣٦ ﴾

١) ﴿ وَلَيۡسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلۡأُنثَىٰ ﴾ وما تخطئ المرأة في شيء خطأها في محاولة تبديل طبيعتها؛ فإن هذا لن يتم للمرأة ولن يكون منه إلا أن تعتبر هذه المرأة نقائض أخلاقها من أخلاقها.

مصطفى الرافعي، وحي القلم، ١٩٧/١

٢) يخطئ كثير من المسلمين في قولهم: «الإسلام دين المساواة»؛ وذلك لرد تهمة التغريبيين تجاه المرأة، وهذا مخالف لمحكم التنزيل: ﴿وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ﴾ والصواب أن يقال: الإسلام دين العدل، أعطى كل ذي حق حقه وما يناسبه: ﴿بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ وفرق بين العدل والمساواة؛ فتدبر.

أ. د. ناصر العمر

﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ ۖ قَالَ رَبِّ هَبْ لِى مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٨﴾﴾

١) ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾ هذا من فضائل مريم، ومن جملة ما يزيد فضلها؛ لأنَّ المتربِّي يكتسب خلقه وصلاحه ممن يربيه.

ابن عاشور، التحرير والتنوير ١٦٨/٣

٢) انفتاح خزائن الرزق والرحمة، والمنح الربانية، من أعظم أسبابه: لزوم المحاريب ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا﴾... ﴿فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّى فِى ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ﴾.

د. محمد المصري

٣) فتأمَّل كيف أنَّ زكريا ﷺ لم يكتف بطلب الولد، بل قال: ﴿رَبِّ هَبْ لِى مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً﴾، وقال: ﴿وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾ (مريم:٦).

٤) ﴿ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً﴾ ﴿وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾ والولد إذا كان بهذه الصفة نفع أبويه في الدنيا والآخرة، وخرج مِن حدِّ العداوة والفتنة إلى حد المسرَّة والنِّعمة.

القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ٨٠/١١

٥) كل غني إذا طمعت فيه مقَتكَ وحرَمكَ وأقصاك إلا الله، فإنك إذا طمعت فيه ظفرت منه بالقرب والرضا والعطاء، فزكريا حين رأى لطف الله بمريم طمع فيما عنده، فقربه ربه وأثنى عليه، وأعطاه عطاء لا يليق إلا به سبحانه.

د. عبدالله السكاكر

٦) ﴿إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾، ﴿إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ٣٩﴾ (إبراهيم) هكذا ختم الخليل وزكريا عليهما السلام دعواتهما! إن استشعار العبد قرب ربه منه حال دعائه؛ من أعظم ما يعين على إظهار الافتقار بين يدي الغني، والذل بين يدي العزيز سبحانه، والتبرؤ من الحول والقوة، وتلك -والله- سمة العبودية، وما أحرى من هذه حاله بإجابة دعائه!

د. عمر المقبل

﴿فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّي فِي ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ٣٩﴾

تخيَّرت الملائكة أشرف حالاته، وهو يؤدي صلاته؛ فبشرته ببشارة الله التي كان ينتظرها.. الصلاةُ وقتُ رحمةٍ وبشارةٍ.

د. عبدالرحمن الشهري

﴿قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً ۖ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا ۗ وَٱذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ٤١﴾

عندما بُشِّر زكريا بالولد، قال: ﴿رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً ۖ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ﴾، فأمسك عليه لسانه، فلم يتكلم بشيء من كلام الناس، ثم قال له: (واذكر ربك كثيرًا)، فلو أذن لأحد بترك الذكر؛ لأذن لزكريا عليه السلام.

د. محمد الخضيري

﴿وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ٤٢ يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِي لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِي وَٱرْكَعِي مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ٤٣﴾

كلما منَّ الله ﷻ على إنسان بشيء كانت مطالبته بالعبادة أكثر؛ لأن الملائكة لما قالت: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، أمرتها بالقنوت والسجود والركوع، فدلَّ هذا على أنه ينبغي للإنسان كلما ازدادت عليه نعم الله أن يزداد على ذلك شكرًا بالقنوت لله والركوع والسجود وسائر العبادات.

ابن عثيمين، تفسير آل عمران١/٢٦٠

﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۚ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾

﴿إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ﴾ في المجتمع الصالح يزدحم الناس على التطوع، حتى يحتاجوا للقرعة.

د. عبدالله بن بلقاسم

﴿ إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾

لم يقل: عيسى ابنك إنما قال ﴿ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ مع كون الخطاب لها؛ تنبيهًا على أنه يولد من غير أب، فلا ينسب إلا إلى أمه، وبذلك فضلت على نساء العالمين.

القاسمي، محاسن التأويل ٢/٣١٨

﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾ ﴾

قال تعالى في قصة مريم: ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ﴾ ولم يقل: يفعل كما في قصة زكريا، بل نص ههنا على أنه يخلق؛ لئلا يبقى لمبطل شبهة، وأكد ذلك بقوله: ﴿إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾.

ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ٢/٤٤

﴿ ۞ فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾

إنما قال: ﴿فَلَمَّآ أَحَسَّ﴾ دون (علم) وغيرها؛ تنبيهًا أنه ظهر منهم الكفر ظهورًا باديًا لذي الحاسة، فضلًا لذي العقل.

الراغب، تفسير الراغب الأصفهاني ٢/٥٨٢

﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾

﴿وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ فيها إشارة إلى نجاسة الكفار معنويًا، وأن من يعايشهم ويتبع أثرهم ويتشبه بهم؛ فسيعلق به أثر من نجاستهم.

أ. د. سيد ساداتي الشنقيطي

﴿هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾﴾

ذم الله في القرآن أربعة أنواع من الجدل:

١- الجدل بغير علم: ﴿هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ﴾.

٢- الجدل في الحق بعد ظهوره: ﴿يُجَٰدِلُونَكَ فِى ٱلْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ﴾ (الأنفال:٦).

٣- الجدل بالباطل: ﴿وَجَٰدَلُواْ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُواْ بِهِ ٱلْحَقَّ﴾ (غافر:٥).

٤- الجدل في آياته: ﴿مَا يُجَٰدِلُ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ (غافر:٤).

ابن تيمية، مجموع الفتاوى ٣/٣٠٩

﴿إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِىُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ۗ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٨﴾﴾

إنما قال: ﴿وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ ولم يقل: وليهم؛ تنبيهًا أن موالاة الله تعالى تُستحق بالإيمان، وأنها ليست بمقصورة على من تقدم ذكرهم، بل ذلك لكل مؤمن في كل وقت.

الأصفهاني، تفسيره ٢/ ٦٢٤

﴿وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ءَامِنُواْ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓاْ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٧٢﴾﴾

التخطيط لإفساد الدين عادة اليهود وأتباعهم في كل زمان.

د. نايف الزهراني

﴿وَلَا تُؤْمِنُوٓاْ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَآجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾﴾

١) ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ﴾ ونحوها من الآيات، تدل على أن من طلب الهدى والرشد من غير الكتاب والسنة ضل؛ لأن الهدى محصور في هدى الله الذي أرسل به رسوله ﷺ.

السعدي، فتح الرحيم الملك العلام ١٧١

٢) لماذا يشمخ الإنسان بأنفه وهو لولا إعزاز الله ذليل؟ ولولا ستره مفضوح؟ وإذا كان لدى البعض فضل ذكاء أو ثراء فمن أين جاءه؟ ﴿إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾، ولو قطع الوهاب إمداده لانتقل العبقري إلى مستشفى المجانين! ولمد القَوَارِين -جمع قارون- أيديهم متسولين: ﴿أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُۥ﴾ (الملك: ٢١).

محمد الغزالي، المحاور الخمسة للقرآن ١٧٠

﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾﴾

إتقان الوقف والابتداء يعين على التدبر:

مثال ذلك: قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ هنا يحسن الوقف، ثم تبتدئ فتقول: ﴿وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾؛ لأن قوله: ﴿وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ رد لقوله: ﴿لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾.. ثم تقرأ: ﴿وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ هنا يحسن الوقف أيضًا، ثم تبتدئ فتقول: ﴿وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾.

ابن عثيمين، شرح عقيدة أهل السنة والجماعة، (شريط ٥)

﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾﴾

١) دلَّت الآيةُ على أنَّ العلم والتعليم والدراسة توجب كون الإنسان ربانيًّا؛ فمنِ اشتغل بذلك لا لهذا المقصد ضاع سعيه، وخاب عمله.

الرازي، مفاتيح الغيب ٢٧٢/٨

٢) قف عند هذه الآية متدبرًا، حيث حددت أبرز معالم العالِم الذي يعتد بدعوته وفتواه، فإن لم تر في علمه ودعوته التجرد والدعوة لـ(الربانية)، وهي (الخشية) فاحذره؛ فإنه يدعو إلى نفسه علم أو جهل.

أ. د. ناصر العمر

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ ٱلْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٩١﴾ ﴾

فلو أن كافرًا تقرب بسبيكة ذهبية بحجم الكرة الأرضية؛ لينجو من النار ما قبل منه، بينما لو جاء أفقر مسلم مر على الدنيا كلها، فإن مآله إلى الجنة، فهل ندرك عظيم نعمة الله علينا بالهداية للإسلام؟!

د. عبدالرحمن المحمود

﴿ لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٩٢﴾ ﴾

١) التدبر يسهل العمل الصالح:

قال ابن عمر: خطرت على قلبي هذه الآية: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾، ففكرت فيما أعطاني الله، فلم يكن شيء أحب إلي من (رميثة) -مولاة له-؛ فهي حرة لوجه الله تعالى.

الزهد لأبي داود ٢٧٠/١

٢) ينبغي للإنسان أن يعمل بهذه الآية ولو مرة واحدة، إذا أعجبه شيء من ماله، فليتصدق به؛ لعله ينال هذا البر.

ابن عثيمين

﴿ قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُۗ فَٱتَّبِعُواْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٥﴾ ﴾

﴿فَٱتَّبِعُواْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا﴾، ﴿وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ﴾ لقمان:١٥، ﴿فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾ الأنعام:٩٠، تأمل الرابط بينها، تجد أنه أمر باتباع السبيل والملة والهدى مع أن هؤلاء أئمة معصومون؛ وذلك لتوجيه الأمة بألا تقتدي بالأفراد لذواتهم مهما علا شأنهم وارتفعت مكانتهم وإنما تقتدي بهداهم، فإن زل أحد عن المنهج بقيت هي على الطريق، وهذا درس عظيم لو وعاه كثير من المسلمين، لسلموا من التعصب الذي أضل الأمة.

أ. د. ناصر العمر

﴿ فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًاۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًاۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾ ﴾

١) تأمل أوصاف المسجد الحرام: أول بيت وضع للناس (عتيق)، مبارك وهدى للعالمين، فيه آيات بينات، من دخله كان آمنًا، لله على الناس حجه، حرم، حرام، محرم، من يرد فيه بإلحاد بظلم أذيق من عذاب أليم، قيام للناس، فلك أن تتصور حاجًا يستشعر هذه الفضائل والمزايا لبيت الله الحرام، ألا يجد لنسكه طعمًا آخر؟

د. محمد الربيعة

٢) هذا من أوكد ألفاظ الوجوب عند العرب، وإنما ذكر الله سبحانه الحج بأبلغ ألفاظ الوجوب؛ تأكيدًا لحقه، وتعظيمًا لحرمته، وتقوية لفرضه.

ابن العربي، أحكام القرآن ٢/٥٣

٣) من روائع الاستنباط:

دل قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ﴾ على فرض الحج من عشرة أوجه، منها:

- تقديم اسمه تعالى، وأدخل عليه لام الاستحقاق ﴿وَلِلَّهِ﴾ ودخول ﴿عَلَى﴾ ثم مجيء ﴿سَبِيلٗاۚ﴾ نكرة في سياق الشرط، والمعنى: أي سبيل تيسرت، فالحج معها واجب، ثم إتباعه الأمر بأعظم الوعيد ﴿وَمَن كَفَرَ﴾.

- ختمها بإخباره باستغنائه عن العالمين، إعلامًا بمقت التارك مع قدرته.

ابن القيم، بدائع الفوائد ٢/٤٦٠

٤) لما كانت العرب تشرك في حجها وتلبيتها، جاءت آيات الحج مؤكدة شأن الإخلاص في بداية الكلام؛ فقال تعالى في سورة آل عمران: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ﴾، وقال في البقرة: ﴿وَأَتِمُّواْ ٱلۡحَجَّ وَٱلۡعُمۡرَةَ لِلَّهِ﴾ (البقرة: ١٩٦)، وقال في سورة الحج: ﴿وَإِذۡ بَوَّأۡنَا لِإِبۡرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلۡبَيۡتِ أَن لَّا تُشۡرِكۡ بِي شَيۡـٔٗا﴾ (الحج: ٢٦) .

د. محمد الخضيري

﴿وَكَيۡفَ تَكۡفُرُونَ وَأَنتُمۡ تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمۡ رَسُولُهُۥۗ وَمَن يَعۡتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدۡ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ١٠١﴾

في الآية دلالة على عظم قدر الصحابة، وأن لهم وازعين عن مواقعة الضلال: سماع القرآن، ومشاهدة الرسول ﷺ، فإن وجوده عصمة من ضلالهم. قال قتادة رضي الله عنه: «أما الرسول فقد مضى إلى رحمة الله، وأما الكتاب فباق على وجه الدهر».

ابن عاشور، التحرير والتنوير ٣/١٧٢

﴿وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ١٠٣ وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ١٠٤﴾

قال تعالى: ﴿وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَا﴾، ثم قال في آية بعدها: ﴿وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ﴾، أي: كما عرفتم النعيم والكمال بعد الشقاء والشناعة، فالأحرى بكم أن تسعوا بكل عزم إلى انتشال غيركم من سوء ما هو فيه إلى حسنى ما أنتم عليه.

ابن عاشور، التحرير والتنوير ٣٦/٤ (بتصرف)

﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخۡتَلَفُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ١٠٥﴾

١) النهي عن التفرُّق بعد ذكر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، يدلُّ على أنَّ تركه هو سبب للتفرق لا أنه هو سبب التفرق.

ابن عثيمين، شرح رياض الصالحين ٤٩٨/٤

٢) مجيء هذه الآية عقيب قوله تعالى: ﴿وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ﴾ فيه إشارة إلى أن من أعظم الدعوة إلى الخير: تأليف القلوب، وأن من أعظم الأمر بالمعروف: الأمر بالاعتصام بحبل الله، وأن من أعظم النهي عن المنكر: النهي عن التفرق، فهلا احتسب بعض العقلاء على فضلاء المختلفين؛ لتحقيق هذا القصد الشريف: الاعتصام بحبل الله ونبذ الفرقة.

إبراهيم الأزرق

﴿ضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيۡنَ مَا ثُقِفُوٓاْ إِلَّا بِحَبۡلٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبۡلٖ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَسۡكَنَةُۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَانُواْ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقۡتُلُونَ ٱلۡأَنۢبِيَآءَ بِغَيۡرِ حَقّٖۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ١١٢﴾

١) اليهود من حين: ﴿ضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيۡنَ مَا ثُقِفُوٓاْ إِلَّا بِحَبۡلٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبۡلٖ مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ لم يكونوا بمجردهم ينتصرون لا على العرب ولا غيرهم، وإنما كانوا يقاتلون مع حلفائهم قبل الإسلام، والذلة ضربت عليهم من حين بعث المسيح عليه السلام فكذبوه.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى (٣٠١/١)

٢) قد يمتلك اليهود المال والسلاح والمرتزقة واللصوص، لكنهم لن يمتلكوا الشجاعة، تدبر ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا﴾. ولن يملكوا العقل والرشاد، فاستراتيجياتهم الفتن والحروب والفساد، والله لهم بالمرصاد، فتأمل: ﴿كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ ۚ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا ۚ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ المائدة:٦٤.

أ. د. ناصر العمر

﴿مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾﴾

ينبغي لقارئ القرآن أن يعتني بقراءة الليل أكثر، قال تعالى: ﴿مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾، وإنما رجحت صلاة الليل وقراءته؛ لكونها أجمع للقلب وأبعد عن الشاغلات والملهيات، والتصرف في الحاجات، وأصون عن الرياء وغيره من المحبطات.

النووي، التبيان في آداب حملة القرآن ٢٨

﴿يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَٰئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١٤﴾﴾

الداعية الصادق لا يتأخر في طريق دعوته، ولا يتوانى عن إجابة داعي الخير كلما دعا، بل يبادر إليه ويسارع، ويجعل تلبية ندائه أول همه ومسعاه، فتلك صفة الصالحين حقًا، التي بها نالوا القبول عند الكريم.

د. فريد الأنصاري، مجالس القرآن ٣٠٦

﴿وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴿١١٥﴾﴾

إنما قال: ﴿عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ﴾ مع أنه عالم بالكل؛ بشارة للمتقين بجزيل الثواب ودلالة على أنه لا يفوز عنده إلا أهل التقوى.

الرازي، مفاتيح الغيب ٣٣٥/٨

﴿مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَٰذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ ۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٧﴾﴾

حدث يونس المكي فقال: زرع رجل من أهل الطائف زرعًا، فلما بلغ، أصابته آفة فاحترق، فدخلنا عليه نواسيه عنه فبكى، وقال: والله ما عليه أبكي، ولكني سمعت الله ﷻ يقول: ﴿كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ﴾، فأخاف أن أكون من أهل هذه الصفة، فذلك الذي أبكاني.

الرضا عن الله بقضائه لابن أبي الدنيا ٥٠

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾﴾

١) يستخفي المنافقون ببغضهم وكيدهم للمؤمنين، فتفضحهم عثرات ألسنتهم، وما ظهر من مكرهم، وليس كالتقوى والصبر دافعًا لأذاهم: ﴿وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا﴾ (آل عمران:١٢٠).

د. عبدالله السكاكر

٢) لم أستغرب أن ينهج الأعداء عداوة الإسلام؛ لأنَّ هذا من بدهيات معرفة حقيقة اليهود والنصارى، كما بيَّن الله في كتابه، وإنما مكمن الاستغراب أن يتجاوز بعض أفراد الأمة هذه الحقيقة.

أ. د. ناصر العمر

﴿هَٰٓأَنتُمْ أُوْلَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَٰبِ كُلِّهِۦ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۚ قُلْ مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١١٩﴾ إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُواْ بِهَا ۖ وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾﴾

١) يزداد حسّادك بقدر ما تقدمه لأمتك من عطاء، مما أنعم الله به عليك، فلا تحزن؛ فهذه سنة جارية ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ (النساء:٥٤)، وأعظم ما يقطع قلوبهم غيظًا وكمدًا أن تمضي في طريقك دون أن تلتفت لهم، وسيكفيكهم الله، تأمل: ﴿قُلْ مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١١٩﴾ إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُواْ بِهَا ۖ وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾.

أ. د. ناصر العمر

٢) يدل قوله تعالى: ﴿وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ﴾، على أن الاستثمار الأساسي في مواجهة عدوان الخارج يجب أن يكون بتحصين الداخل من خلال الاستقامة على أمر الله، ومن خلال النجاح في مواكبة معطيات العصر.

﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَٰعِدَ لِلْقِتَالِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٢١﴾﴾

فيه: فضل البكور والمبادرة بالعمل من أول النهار، وفيه: العناية بتوديع الأهل عند الخروج لسفر، وفيه: إيثار حق الله على حق من سواه؛ فإن العبد يخرج من أحب الناس إليه، إلى شيء تكرهه النفوس؛ تقديمًا لما يحبه الله على ما تحبه نفوسهم.

د. محمد الخضيري

﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾﴾

١) ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ﴾، أي: ضعفاء؛ لقلة عَدَدِكم وعُدَّتكم، وحال المسلمين اليوم لا تقارن بأعدائهم من الأمم التي تداعت عليهم من أقطار الأرض، مدعومة بالعَدَد والعدة. وسبيل النصر عليهم والوقاية من كيدهم بينه الله للرسول ﷺ وللصحابة رضي الله عنهم قبيل آية بدر فقال: ﴿وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا﴾ (آل عمران: ١٢٠)، فلما التزموا الصبر والتقوى، تحقَّق لهم النصر العظيم.

أ. د. ناصر العمر

٢) الانتصار في بدر كان هزيمة للكفار وانتصارًا على النفوس المهزومة التي تبني إيمانها على الماديات المشاهدة دون الإيمان بقوة من أودع فيها قوتها؛ فتدبر هذه الآية تنكشف لك حقائق ربانية تقضي على أوهام المنهزمين: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ﴾، فلنأخذ بالأسباب المشروعة؛ لنرى ما رأى سلفنا.

أ. د. ناصر العمر

٣) قال بعض السلف: الشكر تقوى الله تعالى، ألا ترى أنه يقول: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ فالمتقي -في هذه الآية- هو الشاكر لنعمة الله، ومن لم يكن متقيًا لم يكن شاكرًا.

شعب الإيمان ٦/٣٠٩

﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ﴾

١) لما رغَّب الله تعالى في الجنة قال: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ﴾، ﴿سَابِقُوٓاْ﴾، ولما أباح طلب الدنيا قال: ﴿فَٱمۡشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا﴾، فلا يصلح أن يكون العكس؛ فيكون الإسراع والمسابقة للدنيا، ومشي الهوينا للآخرة! والحزم كلُّه في قوله تعالى: ﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ﴾(الذاريات:٥٠)، وهذا الشهر فأين المشمرون؟

أ. د. ناصر العمر

٢) في (آل عمران): ﴿وَسَارِعُوٓاْ﴾ وفي (الحديد:٢١): ﴿سَابِقُوٓاْ﴾ فأين الذين يسارعون إلى الخيرات؟ وأين الذين إذا دخلوا الميدان لا يرضون بأن يكونوا في الأخير؟ بل هم حريصون على السبق، وبهذا يتحقق التدبر العملي للآيتين.

﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤ ﴾

١) الحج ميدان التقوى الواسع: ففيه الإنفاق، وضبط النفس، والعفو عن الناس، والإحسان لهم، ولنتذكر قوله تعالى: ﴿أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾.

٢) في بيان صفات المتقين -الذين وعدهم الله بجنة عرضها السماوات والأرض-، ابتدأت بـ ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ ﴾ والمتوقع أن يكون البدء بترك الفواحش المذكورة في نفس الآية، أو بذكر أجل الأعمال وهي الصلاة، والسر في ذلك أنه لما نهى عن أكل الربا أضعافًا مضاعفة في الآية التي قبل هذه الصفات: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضۡعَٰفٗا مُّضَٰعَفَةٗۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾ (آل عمران:١٣٠) بدأ بذكر ضده -ضد أكل الربا- وهو الإنفاق: ﴿يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ﴾.

ابن عثيمين، تفسير سورة آل عمران ٢/١٧٠

٣) كان عند ميمون بن مهران ضيف، فاستعجل جاريته بالعشاء، فجاءت مسرعةً ومعها إناء، فعثرت وأراقته على رأس سيِّدها، فقال: يا جارية أحرقتني، قالت: يا معلم الخير ارجع إلى ما قال

الله تعالى، قال: وما قال؟ قالت: قال: ﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ﴾، قال: كظمت غيظي، قالت: ﴿وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ﴾، قال: عفوت عنك، قالت: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾، قال: اذهبي فأنت حرَّة.

إحياء علوم الدين ٢/ ٢٢٠

٤) ﴿وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ﴾، وليس عن المسلمين فحسب، ومن عاجل جزاء العفو ما يجده العافي من سعادةٍ ولذَّةٍ وسلامةِ قلب، فأبونا إبراهيم عليه السلام لم يَدْعُ على أحدٍ، وشهد الله له: ﴿إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ (الصافات:٨٤)، ونبينا ﷺ لم ينتقم لنفسه أبدًا، وزكاه ربه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (القلم: ٤).

أ. د. ناصر العمر

﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾﴾

إشارةٌ إلى أنَّ المذنبين ليس لهم من يلجأون إليه، ويعولون عليه في مغفرة ذنوبهم غيرُه.

ابن رجب، جامع العلوم والحكم ٢/ ٤٥

﴿هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾﴾

بعد أن ذكر الله تعالى شيئًا من تفاصيل غزوة أحد في سورة آل عمران، قال: ﴿هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾؛ لأن الكلمة الهادية لا يستشرفها إلا القلب المؤمن المفتوح للهدى، والعظة البالغة لا ينتفع بها إلا القلب التقي الذي يخفق لها ويتحرك بها.

سيد قطب، في ظلال القرآن ١/ ٤٨٠

﴿وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾﴾

١) للعبد من العلوِّ بحسب ما معه من الإيمان.

ابن القيم، إغاثة اللهفان ٢/١٨١

٢) الأعلون فيما تدافعون عنه: فإنكم على الحق، وهم على الباطل، الأعلون لمن تدافعون عنه: فقتالكم لله، وقتالهم للشيطان، الأعلون فيما لكم: فقتلاكم في الجنة، وقتلاهم في النار.

ابن عجيبة الفاسي، البحر المديد ١/٤١٢(بتصرف).

٣) قيل للمؤمنين بعد خسارتهم في معركة أحد: ﴿وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ فمهما كانت انكساراتنا السياسية أو الاقتصادية أو الحضارية، فنحن الأعلون بالإيمان.

د. عبدالله بن بلقاسم

﴿إِن يَمۡسَسۡكُمۡ قَرۡحٞ فَقَدۡ مَسَّ ٱلۡقَوۡمَ قَرۡحٞ مِّثۡلُهُۥۚ وَتِلۡكَ ٱلۡأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيۡنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمۡ شُهَدَآءَۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٤٠﴾

١) إن هذه الدنيا: ارتفاع وانخفاض، امتلاء وفراغ، فقر بعده غنى، وغنى قد يأتي بعده الفقر، لا العالي يبقى فوق ولا الواطي تحت، ولا يدوم في الدنيا حال، ﴿وَتِلۡكَ ٱلۡأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيۡنَ ٱلنَّاسِ﴾.

علي الطنطاوي، ذكريات الطنطاوي ٢٣٩/١

٢) تمضي الأعوام ويقع فيها ما يقع من الأحداث العظام، يتذكر معها المؤمن قوله تعالى: ﴿وَتِلۡكَ ٱلۡأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيۡنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمۡ شُهَدَآءَۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، فتدبر ﴿نُدَاوِلُهَا﴾ فهي لا تستقر عند أحد، وتأمل في بقية الآية ﴿وَلِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ ثم ﴿وَيَتَّخِذَ مِنكُمۡ شُهَدَآءَ﴾ وخاتمتها ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

د. عمر المقبل

﴿أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَعۡلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمۡ وَيَعۡلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٤٢﴾

١) العقلاء يستحيون أن يطلبوا السلعة الغالية بالثمن التافه -وهم يبدون استعدادهم للتضحية بأنفسهم في سبيل ما ينشدون- إلا أن الاستعداد أيام الأمن يجب ألا يزول أيام الروع.

محمد الغزالي، فقه السيرة ٢٧٠

٢) إن من يريد أن يسلك طريق الجنة عليه أن يعد نفسه للمتاعب والمشقات، وأن يصبر عن المعاصي اللذيذة فلا يقربها، وأن يصبر على الطاعات الصعبة فلا يقصر فيها. ﴿أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَعۡلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمۡ وَيَعۡلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾.

علي الطنطاوي، نور وهداية ٢٤٠

﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾﴾

١) لقد جمع النبي ﷺ الناس حوله على أنه عبد الله ورسوله، والذين ارتبطوا به عرفوه كذلك، فإذا مات عبد الله، بقيت الصلة الكبرى بالحي الذي لا يموت؛ فأصحاب العقائد الحقة أتباع مبادئ لا أتباع أشخاص.

محمد الغزالي، فقه السيرة ٢٧١

٢) هنيئًا لك وبشرى أيها الحاج، فقد ولدت بحجك هذا ميلادًا جديدًا، وتركت وراءك ركام الذنوب، وعدت كيوم ولدتك أمك، فاجعل من حجك بداية حياة جديدة، ومعاملة صادقة مع الله، واستأنف عملك، فقد كفيت ما مضى، ولكن الشأن فيما بقي، ﴿وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا﴾.

د. عبد الوهاب الطريري، مقال: أيها الحاج استأنف عملك

﴿وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿١٤٧﴾﴾

يقاتلون مع الأنبياء، ويبذلون مهجهم في سبيل الله، إلا أنهم لم يغتروا بأعمالهم، بل يستشعرون تقصيرهم في حق الله مهما بذلوا، وهذا من أعلى مقامات العبودية، ومن كان شأنه دوام النظر إلى التقصير أكثر من النظر إلى الطاعة؛ فحري به أن يرتقي في درجات العبودية والتقوى.

فهد العيبان

﴿سَنُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ بِمَآ أَشْرَكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَـٰنًا ۖ وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۚ وَبِئْسَ مَثْوَى ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٥١﴾﴾

المشرك يخاف المخلوقين ويرجوهم فيحصل له رعب، والخالص من الشرك يحصل له الأمن كما قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ (الأنعام:٨٢).

ابن تيمية، مجموع الفتاوى ١٠/٢٥٧

﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيۡكُم مِّنۢ بَعۡدِ ٱلۡغَمِّ أَمَنَةٗ نُّعَاسٗا يَغۡشَىٰ طَآئِفَةٗ مِّنكُمۡۖ وَطَآئِفَةٞ قَدۡ أَهَمَّتۡهُمۡ أَنفُسُهُمۡ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ ظَنَّ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلۡأَمۡرِ مِن شَيۡءٖۗ قُلۡ إِنَّ ٱلۡأَمۡرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِۗ يُخۡفُونَ فِيٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبۡدُونَ لَكَۖ يَقُولُونَ لَوۡ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلۡأَمۡرِ شَيۡءٞ مَّا قُتِلۡنَا هَٰهُنَاۗ قُل لَّوۡ كُنتُمۡ فِي بُيُوتِكُمۡ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَتۡلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمۡۖ وَلِيَبۡتَلِيَ ٱللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمۡ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمۡۚ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ١٥٤﴾

حين تتذكَّر أنَّ هذا يوم نجَّى الله فيه نبيَّه موسى عليه السلام، وقتل فيه سبط نبيِّنا ﷺ (الحسين) كما أنَّه اليوم ذاته الذي أغرق فيه فرعون، وتسلَّط فيه الشقي قاتل الحسين، أيقنت أن ﴿ٱلۡأَمۡرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ﴾، وأنَّه ليس للخلق من الأمر شيء؛ فلم يبق إلا الشكر على نجاة أنبيائه وهلاك أعدائه، والصبر على مصائبنا في أوليائه.

د. عمر المقبل

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوۡاْ مِنكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ إِنَّمَا ٱسۡتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِبَعۡضِ مَا كَسَبُواْۖ وَلَقَدۡ عَفَا ٱللَّهُ عَنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٞ ١٥٥﴾

إذا قارف العبد الذنب، ولم يبادر إلى التوبة؛ فلا يأمن أن يسلط الله عليه الشيطان؛ فيستزله ويغويه.

د. عبدالله السكاكر

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَقَالُواْ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ إِذَا ضَرَبُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَوۡ كَانُواْ غُزّٗى لَّوۡ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ لِيَجۡعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسۡرَةٗ فِي قُلُوبِهِمۡۗ وَٱللَّهُ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ١٥٦﴾

١) سمعتُه يلوم المقاومة، ويتهكَّم بها بأنهم لو كانوا عقلاء وسمعوا نصيحتنا والتزموا الصمتَ لما وقع عليهم القتل والذبح، فظننت أنَّ مثل هذه المواقف إنما هي من الانتكاسات المعاصرة التي لا سابق لها، حتى قرأتُ قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَقَالُواْ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ إِذَا ضَرَبُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَوۡ كَانُواْ غُزّٗى لَّوۡ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ﴾.

إبراهيم السكران

٢) من عمل الشيطان: تشييع الماضي بالنحيب والإعوال، وما يلقيه في النفوس من أسى وقنوط على ما فات ﴿لَّوۡ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ﴾.

الغزالي، خلق المسلم ٨٩

٣) ذم الله قومًا تسخَّطوا القدر، واعترضوا على قضاء الله في حقِّ المجاهدين، وخذلوا بكلامهم، فقالوا: ﴿لَّوۡ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ لِيَجۡعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسۡرَةٗ فِي قُلُوبِهِمۡۗ﴾، وها نحن نسمع من يقول مثل هذا القول في حقِّ إخوتنا في غزة(١).

﴿فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ ١٥٩﴾

١) ﴿فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡ﴾، دلت الآية على أن لينه ﷺ لمن خالفوا أمره وتولوا عن موقع القتال؛ إنما كان برحمة من الله، فالله حقيق بحمد نبيه ﷺ إذ وفقه بفضيلة الرفق لأولئك المؤمنين، وحقيق بحمد أولئك المؤمنين، إذ كان لين رسوله ﷺ إنما هو أثر من آثار رحمة الله.

محمد الخضر حسين، موسوعة الأعمال الكاملة ٣٩٠/١

٢) قال ابن عقيل: ﴿وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَ﴾ هذا رسول الله ﷺ، شهد الحق له لولا تخلقه للخلق الجميل لانفضوا عنك، ولم يقنع بالمعجز في تحصيلهم، لا تقنع أنت بالعلوم وتظن أنها كافية في حوش الناس إلى الدين، بل حسن ذلك وجله بالأخلاق الجميلة.

الآداب الشرعية لابن مفلح٢/١٩٠-١٩١

٣) ﴿وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَ﴾ ليعتبرْ في هذه الآية من يتولى أمرًا يستدعي أن يكون بجانبه أصحاب يظاهرونه عليه؛ فليعلم أن الذكاء وغزارة العلم وعظم الثروة لا تكسبه أنصارًا مخلصين، إلا أن يكون صاحبَ خُلقٍ كريم.

محمد الخضر حسين، الأعمال الكاملة ٣٩١/١

٤) فهل يليق بمؤمن بالله ورسوله، ويدعي اتباعه والاقتداء به، أن يكون كلًا على المسلمين، شرس الأخلاق، شديد الشكيمة عليهم، غليظ القلب، فظ القول، فظيعه؟!.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن ٥٩٨

٥) قال الحسن البصري ﷺ: أمر الله نبيَّه بالتشاور، فو الله ما تشاور قوم بينهم إلا هداهم الله لأفضل ما بحضرتهم.

المحرر الوجيز ٥٦٥/١

(١) أرسلت هذه الرسالة في إحدى الحروب على غزة.

٦) ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ﴾، أمر الله نبيه ﷺ -وهو أكمل الناس عقلًا- أن يشاور، إذ الحقيقة أن الإنسان -وإن بلغ عقله الغاية- لا يستغني عن الاستعانة في مشكلات الأمور بآراء الرجال؛ إذ العقول قد تكون نافذة في ناحية من الأمر، واقفة عند الظاهر في ناحية أخرى.

محمد الخضر حسين، موسوعة الأعمال الكاملة ٣٩٣/١

﴿هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٣﴾﴾

١) التسابق للحصول على أعلى الدرجات في الامتحانات، واستغلال الأوقات، وحفز الهمم لبلوغ أعلى المناصب والمراتب، لا بدَّ أن يدفعنا لتنافس أكبر لنيل درجات أعظم ثمرتها ليست شهادة على ورق، بل جنة عرضها السماوات والأرض، بل لا ينبغي أن تقف آمالنا إلا عند الفردوس الأعلى، تأمل ﴿هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ﴾.

أ. د. إبتسام الجابري

٢) سئلت أختٌ أسلمت قريبًا عن أعظم آية تستوقفها بعد هدايتها للإسلام؟ فقالت: هي الآية (١٦٣) من سورة آل عمران: ﴿هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ نسأل الله لنا ولها الثبات على دينه.

﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾﴾

إنما السعيد من أكرمه الله بالاشتغال بالقرآن الكريم، تلاوة وتزكية وتعلمًا وتعليمًا؛ إذ هو مجمل وظائف الأنبياء عليهم السلام، وعلى رأسهم رسولنا محمد ﷺ، قال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾.

د. فريد الأنصاري، مجالس القرآن ٩٨

﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦٥﴾﴾

١) يخطئ كثير من الناس في فهم الإيمان بالقضاء والقدر، فكلما أصابتهم مصيبة قالوا: (قضاء وقدر) فيغفلون عن الأسباب البشرية، وما يجب تجاه ذلك، ومنهج القرآن يربي على النظر في الأسباب؛ لمعالجتها، مع الإيمان بقضاء الله وقدره. تدبر: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ فبدأ بالسبب قبل بيان قدر الله.

أ. د. ناصر العمر

٢) إننا إذا نظرنا إلى تسليط اليهود على العرب، وجدناه من عند أنفسهم كما أجيب المصابون يوم أحد: ﴿ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ﴾، ولو تصورنا حال العرب اليوم، لوجدنا فيهم ما هو من أكبر أسباب الخذلان والهزيمة! ففيهم من يدعو غير الله، وفيهم من لا يقيم الصلاة ولا يؤتي الزكاة، وفيهم من يعطل الشريعة، فإذا كانت معصية واحدة من أسباب الهزيمة، فما بالكم بهذه الفظائع التي توجد في بعض البلاد العربية اليوم؟

ابن عثيمين، الضياء اللامع ٣٣٥/٢

٣) ﴿ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ﴾ نقضت هذه الآية -في وقت مبكر- المبالغة في نظرية المؤامرة.

د. حمد الماجد

﴿ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ ۚ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ قَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدْفَعُوا۟ ۖ قَالُوا۟ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّٱتَّبَعْنَٰكُمْ ۗ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَٰنِ ۚ يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴿١٦٧﴾ ﴾

لم يذكر الله تعالى قولًا مقرونًا بذكر الأفواه والألسن إلا وكان قولًا زورًا، كقوله: ﴿ يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ﴾ وقوله: ﴿ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴾ (الكهف:٥) وقوله: ﴿ يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ﴾ (الفتح:١١).

القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ١١٨/٨

﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ ﴾

١) منهج القرآن في بناء التفاؤل الذاتي في نفوس المؤمنين - مهما كانت الظروف والأحوال المحيطة به- يؤسس حصانة متينة دون التردي في الهزيمة النفسية، وآثارها السلبية على الفرد والأمة، والآيات في ذلك متعددة متواترة، تدبر -مثلًا-: ﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا ﴾ الآيات، ثم انظر كيف كانت النتيجة!

أ. د. ناصر العمر

٢) من صفات خيار المؤمنين: إحسان الظن بربهم؛ لذا فهم ينظرون إلى الأحداث نظرة تفاؤل مهما بدا من ظاهرها من شدة، مع مبادرتهم في الأخذ بالأسباب المشروعة في التعامل معها بحكمةٍ وتعقُّل.

أ. د. ناصر العمر

﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْۚ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓاْ إِثْمًاۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٧٨﴾﴾

إن مجرد طول العمر ليس خيرًا للإنسان إلا إذا أحسن عمله؛ لأن طول العمر أحيانًا يكون شرًا للإنسان وضررًا عليه، فهؤلاء الكفار يملي الله لهم أي يمدهم بالرزق والعافية وطول العمر والبنين والزوجات لا لخير لهم، ولكنه لشر لهم؛ لأنهم سوف يزدادون بذلك إثمًا.

ابن عثيمين، شرح رياض الصالحين ٢/ ١٠٧

﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِي مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ وَإِن تُؤْمِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٩﴾﴾

تمر بالأمة أحداث عظيمة ينتظر فيها الأخيار قول الحق من بعض المتبوعين، فإذا هم من المعوقين!! فيزداد الناس حزنًا وقنوطًا، ولو تدبروا هذه الآية؛ لأدركوا كم في ذلك من منح تفوق تلك المحن.

أ. د. ناصر العمر

﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُمۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٨٠﴾﴾

كثيرون يقصرون معنى هذه الآية على البخل بالمال، والمعنى أشمل وأعم كما ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما واختاره ابن كثير(١)؛ ولهذا لم يدرك أولئك خطورة ما يبخلون به من علم أو جاه أو نعمة خصهم الله بها، ويحسبون أنهم يصنعون خيرًا لأنفسهم، وما صنعوا إلا شرًا، والجزاء العاجل سلب هذه النعم من العبد وغدًا، ﴿سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾.

أ. د. ناصر العمر

---

(١) ينظر: تفسير القرآن العظيم (٢/ ١٧٥).

﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُواْ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٨١﴾﴾

١) ما الفرق بين إثبات السمع في هاتين الآيتين: ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ﴾ و﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ (الشورى:١١)؟

السمع في الآية الأولى: ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ﴾ خرجت مخرج التهديد لقائله، بخلاف الآية الأخرى: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ فهي لإثبات كمال سمعه.

العز بن عبدالسلام، قواعد الأحكام ٢٣٥/١

٢) تأمَّلْ حِلْمَ الله ﷻ: ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ﴾، فمع هذا الفحش في القول والشطط في الاعتقاد لم يعاقبهم الله بالفقر، بل إنَّ اليهود من أغنى أثرياء الأمم، وأجَّلَ الله عذابَهم إلى الآخرة، فما أحلم الله مع تمام ملكه وكمال قدرته وعزَّته!

أ. د. ناصر العمر

٣) هل سمعت بطفلٍ يتدبَّر القرآن؟ قال أحدهم: كنت مع ابنتي (٧ سنوات)، فسمعت قارئًا عبر الإذاعة يتلو: ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ﴾، فسألت ببراءة: إذا كان الله فقيرًا وهم أغنياء، فمن الذي أغناهم؟!

متدبر

٤) انظر كيف قال: ﴿سَنَكْتُبُ مَا قَالُواْ﴾ حين وصفوا الله تعالى بالنقص، قبل أن يقول: ﴿وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ﴾؛ مما يدلّ على أن وصف الله بالنقص أعظم من قتل الأنبياء.

ابن عثيمين، تفسير سورة الحجرات ١٤

﴿ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَآ أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ ٱلنَّارُ قُلْ قَدْ جَآءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِى بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلَّذِى قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٨٣﴾﴾

إنما قال: ﴿تَأْكُلُهُ ٱلنَّارُ﴾؛ لأن أكل النار للذي قربه أحدهم لله في ذلك الزمان، كان دليلًا على قبول الله منه ما قرب له، ودلالة على صدق المقرب فيما ادعى أنه محق فيما نازع أو قال.

الطبري، جامع البيان ٤٤٨/٧

﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾ ﴾

١) ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ ﴾ كلهم سيذوقونه: المحسن والمسيء، الغني والفقير، المتواضع والمتكبر.. فإذا كانت هذه نهاية الجميع، فطوبى لمن لقي ربَّه وقد أمضى حياته فيما يستطيعه من تعبُّد، ودعوة إلى الله، ونفع للخلق.

٢) الحكمة من التعبير بـ(زحزح) -والله أعلم-؛ لأن النار أعاذنا الله منها، محفوفة بالشهوات، والشهوات تميل إليها النفوس، فلا يكاد ينصرف عن هذه الشهوات إلا بزحزحة؛ لأنه يقبل عليها بقوة.

ابن عثيمين، تفسير آل عمران ٥١٢/٢

٣) من أعظم نفحات رمضان: مصادفةُ ساعة إجابةٍ، يسأل العبدُ فيها الجنة والنجاةَ من النار، فيجابُ سُؤالهُ، فيفوزُ بسعادة الأبد، قال تعالى: ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ﴾.

ابن رجب، لطائف المعارف ٢١٦

٤) طريق الجنة أوله صعب، ولكن إن صبرت على صعوبته، وصلت إلى اللذة الدائمة. وطريق النار أوله سهل جميل، ولكن إذا غرك جماله، أبلغك الشقاء الدائم ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ﴾.

علي الطنطاوي، نور وهداية ٢٤٠

﴿ ۞ لَتُبْلَوُنَّ فِيٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ أَذًى كَثِيرًاۚ وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٨٦﴾ ﴾

١) ما نسمعه من النصارى وأضرابهم من سب حبيبنا ﷺ والإساءة إليه، قد جاء الخبر عنه في القرآن: ﴿وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ أَذًى كَثِيرًا﴾، ثم بين المخرج فقال: ﴿وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ فإذا صبرنا على ديننا، ولم نتعد حدود الله بعواطفنا، واتقينا ربنا، فإن العاقبة لنا.

د. محمد الخضيري

٢) إن أي اهتزاز أمام الحملات الإعلامية المريبة من أعداء الملة، ضعف في الإيمان وخور في العزيمة؛ لأن الحقيقة الراسخة: ﴿وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمۡ كَيۡدُهُمۡ شَيۡـًٔا﴾ (آل عمران:١٢٠).

أ. د. ناصر العمر

﴿وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكۡتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمۡ وَٱشۡتَرَوۡاْ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلٗاۖ فَبِئۡسَ مَا يَشۡتَرُونَ ١٨٧﴾

١) ﴿وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكۡتُمُونَهُۥ﴾، إنَّ وظيفة علماء المسلمين أن يقفوا أنفسهم لصدِّ المعاني العدوة المغيرة على الإسلام وعقائده وأحكامه، وهي أفتك من الجنود؛ لأنها خفية المسارب، غرَّارة الظواهر، سهلة المداخل إلى النفوس، تأتي في صورة الضيف فلا تلبث أن تطرد رب الدار.

محمد البشير الإبراهيمي، آثار محمد الإبراهيمي ٤/١١٨

٢) قال ابن عقيل: فالله الله! لا تنس الأدب فيما وجب عليك فيه حسن الأدب، ما أخوفني أن يكون المصحف في بيتك وأنت مرتكب لنواهي الحق سبحانه فيه فتدخل تحت قوله: ﴿فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمۡ﴾.

الآداب الشرعية لابن مفلح ٢/٤٣٠

﴿إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ١٩٠﴾

١) في إيجاد السموات والأرض آيات، وفي اختلاف الليل والنهار: طولًا وقصرًا، وحرارةً وبرودةً، وخوفًا وأمنًا، وشدةً ورخاءً، وعزًّا وذلًّا، وملكًا وخلعًا، وغير ذلك من أنواع الاختلاف، كل ذلك فيه آيات تدل على عظمة الربِّ ﷻ، وأنَّ له الملك المطلق والتدبير المطلق.

ابن عثيمين

٢) والله لن تنور هذه القلوب إلا بالتفكر، عبادة الأنبياء والأولياء في كل زمن، يقول عامر بن عبد قيس: سمعت غير واحد من الصحابة يقولون: «إنَّ نور الإيمان في التفكُّر»(١)، ومع أنَّها وسيلتنا الأعظم لمعرفة الرب، إلا أن إعراضنا عنها عجب، وهذا مصداق خبر الله حين خصَّ فقال: ﴿لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾.

د. عصام العويد

(١) تفسير ابن كثير ٢/ ١٨٥.

﴿ ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ ﴾

١) قارن: كيف ذم الله تعالى من لا يعتبر بمخلوقاته الدالة على ذاته وصفاته وشرعه وقدره وآياته: ﴿وَكَأَيِّن مِّنۡ ءَايَةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ يَمُرُّونَ عَلَيۡهَا وَهُمۡ عَنۡهَا مُعۡرِضُونَ ﴾ (يوسف:١٠٥)، ومدح عباده المؤمنين: ﴿لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ قائلين: ﴿ رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا ﴾.

ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ١٨/٢

٢) فيه الذكر على كلِّ حال، فيستفاد منه جواز قراءة القرآن للحائض، وهو مذهب مالك، وقول لأحمد والشافعي، وكثير من المحققين، وأما حديث: «**لا تقرأ الحائض ولا الجنب شيئًا من القرآن**»(١)، فمعلول باتفاق أهل الشأن، وفي منعها من القرآن وتدبُّره فوات خير كثير، خاصة وأنَّ حيضتها ليست بيدها.

ابن القيم، إعلام الموقعين ٢٣/٣

٣) ﴿ ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ ﴾ وإذا كان هذا في الذكر الذي هو مقصودٌ في التعظيم؛ فالفتوى جالسًا أو مضجعًا لحاجة الناس من باب أولى.

د. عبدالكريم الخضير

٤) ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ ﴾ تأمَّل كيف جاء الثناء عليهم بصيغة الفعل المضارع (يتفكَّرون) التي تدل على الاستمرار، فالتفكر ديدنهم، وليس أمرًا عارضًا.. قال أبو الدرداء ﵁: «فكرة ساعة خيرٌ من قيام ليلة»(٢). وكلام السلف في تعظيم عبادة التفكُّر كثير، فكم هو نصيبنا منها؟

٥) ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾، وهذا دليل على أنَّ التوسل بأفعال الله تعالى وربوبيته من أسباب إجابة الدعاء؛ فإنه قال بعد ذلك: ﴿فَٱسۡتَجَابَ لَهُمۡ رَبُّهُمۡ ﴾.

ابن عثيمين

٦) الفكر هو مبدأ أي عمل؛ فالإنسان إنما يعمل -عادة- بعد أن يجيل فكره، وبعد أن ينظر، ثم بعد ذلك يقدم على العمل: ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾، فبعد أن تفكروا عملوا؛ فسألوا الله الجنة، واستعاذوا به من النار.

د. خالد السبت

---

(١) أخرجه الترمذي ح(١٣١)، ابن ماجه ح(٥٩٦).

(٢) المحرر الوجيز ١/ ٥٥٥.

٧) وإنما قال: ﴿مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا﴾، ولم يقل: ما خلقت (هذه، ولا هؤلاء)؛ لأنه أراد بهذا الخلق الذي في السماوات والأرض، يدل على ذلك قوله: ﴿سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ١٩١﴾.

ابن جرير، جامع البيان ٣١١/٦

٨) قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ فيه تعليم العباد كيفية الدعاء وآدابه، وذلك أنَّ من أراد الدعاء فليقدم الثناء، ثم يذكر بعده الدعاء، كهذه الآية.

ابن عادل الحنبلي، اللباب في علوم الكتاب ١١٥/٦

﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ١٩٢﴾

ليس الخزي أن تدعو وتأمر بمعروف وتنهى عن منكر، فلا يستجاب لك، أو ترد دعوتك، أو تهان أمام عشرة أو مائة، بل الخزي هو الغضب من أعظم عظيم، والعذاب الأليم، أمام جميع العالمين من الأولين والآخرين.

متدبر

﴿رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ١٩٣﴾

١) فيها فوائد:

١- الإيمان بالمرسل، وبصدق الرسول.

٢- تزكية الرسل بأنهم بلغوا عن الله.

٣- ربوبية الله سبب عقلي موجب للإيمان به.

٤- التوسل إلى الله بالأعمال الصالحة، وأعظمها: الإيمان به، وذلك من أدب الدعاء.

٥- أن من أعظم ما يطلب: مغفرة الذنوب.

ابن القيم، حادي الأرواح ٦٢

٢) لقد سمعنا ﴿مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا﴾ فهل هناك صوت أندى من هذا الصوت، أو سبيل أجدى من هذا السبيل؟

محمد الغزالي، المحاور الخمسة٢٩

٣) من فضائل القرآن أنه المنادي للإيمان، قال محمد بن كعب: «ليس كل الناس سمع النبي ﷺ، ولكن المنادي القرآن». جامع البيان للطبري ٧/ ٤٨٠

٤) سئل الحسن البصري ﷺ: من هم الأبرار؟ قال: هم الذين لا يؤذون الذر!

الدر المنثور ٢/٤١٥

﴿فَٱسۡتَجَابَ لَهُمۡ رَبُّهُمۡ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٖ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰۖ بَعۡضُكُم مِّنۢ بَعۡضٖۖ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأُوذُواْ فِي سَبِيلِي وَقَٰتَلُواْ وَقُتِلُواْ لَأُكَفِّرَنَّ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ وَلَأُدۡخِلَنَّهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ ثَوَابٗا مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلثَّوَابِ ١٩٥﴾

١) جاءت هذه الآية بعد أن دعوا ربهم بخمس دعوات عظيمات، قال الحسن ﷺ: «ما زالوا يقولون ربَّنا ربَّنا؛ حتى استجاب لهم»[1]، فكم يخسر المقصرون في عبادة الدعاء، والمتعجلون في رؤية ثمرته؟! وكم يربح ويسعد من فتح له باب الدعاء، ومناجاة مولاه الذي يحب الملحين في الدعاء.

٢) تدبر: ﴿فَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأُوذُواْ فِي سَبِيلِي وَقَٰتَلُواْ وَقُتِلُواْ لَأُكَفِّرَنَّ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ﴾ الله أكبر! كل هذه الأعمال العظيمة: هجرة، وإخراج من الديار، وجهاد، بل وقتل، ومع ذلك يقول الله: ﴿لَأُكَفِّرَنَّ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ﴾! وأحدنا اليوم يجر نفسه لصلاة الفرض جرًا، ويرى أنه بلغ مرتبة الصديقين!.

عبدالعزيز المديهش

٣) ﴿ثَوَابٗا مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ﴾ أضافه إليه ونسبه إليه ليدل على أنه عظيم؛ لأن العظيم الكريم لا يعطي إلا جزيلًا كثيرًا.

ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ٢/١٩١

﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي ٱلۡبِلَٰدِ ١٩٦ مَتَٰعٞ قَلِيلٞ ثُمَّ مَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ١٩٧﴾

١) ذكر الله حال الكفار في الدنيا: ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي ٱلۡبِلَٰدِ ١٩٦ مَتَٰعٞ قَلِيلٞ﴾، ومصيرهم في الآخرة: ﴿ثُمَّ مَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ﴾، ثم عقَّبه بقوله: ﴿لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا نُزُلٗا مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۗ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لِّلۡأَبۡرَارِ﴾؛ لتختار أي الفريقين.

ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ٢/١٩٢ (بتصرف)

---

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٤/٣١٨.

٢) حين ترى غرور الكفار باقتصادهم بالأمس وهلعهم من أزمتهم اليوم تذكَّر قوله تعالى: ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى ٱلْبِلَـٰدِ ﴿١٩٦﴾ مَتَـٰعٌ قَلِيلٌ﴾، قال السعدي ﷺ: هذه الآية المقصود منها التسلية عما يحصل للذين كفروا من متاع الدنيا، وتنعُّمهم فيها، وتقلبهم في البلاد بأنواع التجارات والمكاسب واللذات، وأنواع العز، والغلبة في بعض الأوقات، فإن هذا كلَّه ﴿مَتَـٰعٌ قَلِيلٌ﴾ ليس له ثبوت ولا بقاء، بل يتمتَّعون به قليلًا، ويعذبون عليه طويلًا، هذه أعلى حالة تكون للكافر.

تيسير الكريم الرحمن ١٦٢

٣) إذا أحزنك أن أعداء الإسلام لا يزالون أشدَّ قوة، وأكثر عددًا، وأجمع لوسائل النصر، فتذكر: ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى ٱلْبِلَـٰدِ ﴿١٩٦﴾ مَتَـٰعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾، إنهم في مثل ضياء الأصيل، يملأ الدنيا ولكنه إلى زوال.

علي الطنطاوي، نور وهداية ٧١

﴿لَـٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّـٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ ﴿١٩٨﴾﴾

قال أبو الدَّرداء ﷺ: ما مِن مؤمن إلا الموت خيرٌ له، وما مِنْ كافر إلا الموت خير له، فمن لم يصدقني؛ فإن الله يقول: ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ﴾ ويقول: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ۚ إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِثْمًا ۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾.

الدر المنثور ٣٩٢/٢

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾﴾

١) ما أروع القرآن حين يكون مؤثِّرًا في حياتنا كلِّها، ومفزعًا لحل مشاكلنا، شكى مسؤول للشيخ ابن باز ﷺ عقبات يجدها في عمله، فأخذ الشيخ بيده، وعقد أصابعه واحدًا واحدًا عند كلِّ أمر من هذه الأوامر التي ختمت بها السورة: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.

٢) في الحديث أنَّه ﷺ بكى حتَّى بلَّ لحيته وبلَّ الأرض، وقال: «**لقد أنزلت عليَّ الليلة آية، ويل لمن قرأها ولم يتفكَّر فيها**» ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ الآيات من آخر آل عمران[1].

(١) ابن حبان ح (٦٢٠).

سُورَةُ النِّسَاءِ

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾

١) في سورة النساء لطيفة عجيبة، وهي أن أولها مشتمل على بيان كمال قدرة الله تعالى؛ لقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾، وآخرها مشتمل على بيان كمال العلم، ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ﴾ (النساء:١٧٦)، وهذان الوصفان -العلم والقدرة- بهما تثبت الربوبية والألوهية والجلال والعزة، وبهما يجب على العبد أن يكون مطيعًا للأوامر والنواهي، منقادًا للتكاليف.

ابن عادل الحنبلي، اللباب في علوم الكتاب٧١٥٨

٢) طبيعة العلاقة بين الرجل والمرأة في الإسلام هي علاقة تكاملية لا تنافسية، فحواء لم تخلق كما خلق آدم، بل خلقت منه ﴿وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾، فإن ظلمها؛ فإنما يظلم قلبه، وإن نشزت واسترجلت، فما أبشعه من منظر!!

د. عصام العويد

٣) في أول سورة (النساء) قال تعالى: ﴿وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾، وفسَّرها الحديث الصحيح: «**إنَّ المرأة خُلقت من ضِلَعٍ**»[1]، وهو ضلع الصدر، وهذا فيه إشارة ظاهرة إلى طبيعة التكامل بين الرجل والمرأة، فالمرأة خلقت من الرجل ومن ضِلَعِه تحديدًا لا ليخنقها؛ بل ليعطف عليها بجناحه حبًّا وحماية لها كما يفعل بأضلاع صدره، وهي كذلك لتبقى في محلِّها؛ فإنَّ نشوز عظم الصدر مؤلم، بل ترق وتلين له كما الضلع في رقَّته ولينه.

د. عصام العويد

٤) ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ﴾ قرن الله الأمر بتقواه بالأمر ببر الأرحام والنهي عن قطيعتها؛ ليؤكد هذا الحق، وأنه كما يلزم القيام بحق الله، كذلك يجب القيام بحقوق الخلق، خصوصًا الأقربين منهم، بل القيام بحقوقهم هو من حق الله الذي أمر به.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن ١٦٣

---

(١) أخرجه البخاري ح (٣٣٣١)، ومسلم ح(١٤٦٨).

﴿ وَءَاتُواْ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحۡلَةٗۚ فَإِن طِبۡنَ لَكُمۡ عَن شَيۡءٖ مِّنۡهُ نَفۡسٗا فَكُلُوهُ هَنِيٓـٔٗا مَّرِيٓـٔٗا ٤ ﴾

﴿ فَإِن طِبۡنَ لَكُمۡ عَن شَيۡءٖ مِّنۡهُ نَفۡسٗا فَكُلُوهُ هَنِيٓـٔٗا مَّرِيٓـٔٗا ﴾ لو تدبر هذه الآية أولئك الذين يأخذون أموال الضعفة ممن تحت أيديهم، وبدون طيبة أنفس منهم -وإن أذنوا ظاهرًا-؛ لعلموا أنهم ربما أكلوه غصة فأعقبهم وبالًا.

أ. د. ناصر العمر

﴿ وَلَا تُؤۡتُواْ ٱلسُّفَهَآءَ أَمۡوَٰلَكُمُ ٱلَّتِي جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمۡ قِيَٰمٗا وَٱرۡزُقُوهُمۡ فِيهَا وَٱكۡسُوهُمۡ وَقُولُواْ لَهُمۡ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا ٥ ﴾

١) ﴿ وَلَا تُؤۡتُواْ ٱلسُّفَهَآءَ أَمۡوَٰلَكُمُ ﴾ إذا كان هذا أمرًا بحفظ المال؛ فحفظ العلم ممن يفسده ويضره أولى، وليس الظلم في إعطاء غير المستحق بأقل من الظلم في منع المستحق.

أبو حامد الغزالي، الإحياء١٥٨

٢) ﴿ وَلَا تُؤۡتُواْ ٱلسُّفَهَآءَ أَمۡوَٰلَكُمُ ﴾ إنَّ أُمَّةً تنفق مئات الملايين في الشهر على اللهو والدخان، وتنفق مثلها على المحرمات، وتنفق مثلها على البدع الضارة، وتنفق أمثال ذلك كله على الكماليات التي تنقص الحياة، ولا تزيد فيها، ثم تدعي الفقر إذا دعاها الداعي لما يحييها، لأمة كاذبة على الله، سفيهة في تصرُّفاتها.

محمد البشير الإبراهيمي، آثاره ٣/٣٤٥

٣) ﴿ وَلَا تُؤۡتُواْ ٱلسُّفَهَآءَ أَمۡوَٰلَكُمُ ٱلَّتِي جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمۡ قِيَٰمٗا ﴾ ولم يقل: (أموالهم) مع أنها أموال السفهاء؛ لقوله بعده: ﴿ فَإِنۡ ءَانَسۡتُم مِّنۡهُمۡ رُشۡدٗا فَٱدۡفَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ أَمۡوَٰلَهُمۡ ﴾ فأضافها إليهم حين صاروا رشداء.

ابن عاشور، التحرير والتنوير ١٤/٦٥

٤) ﴿ وَلَا تُؤۡتُواْ ٱلسُّفَهَآءَ أَمۡوَٰلَكُمُ ٱلَّتِي جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمۡ قِيَٰمٗا وَٱرۡزُقُوهُمۡ فِيهَا ﴾ إنما قال: ﴿ وَٱرۡزُقُوهُمۡ فِيهَا ﴾ ولم يقل: (منها)؛ لأن ﴿ فِيهَا ﴾ يقتضي بقاءها بالتنمية والتجارة حتى تكون محلًا للرزق والكسوة.

ابن عجيبة الفاسي، البحر المديد ١/٤٦٥

﴿ وَٱبۡتَلُواْ ٱلۡيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُواْ ٱلنِّكَاحَ فَإِنۡ ءَانَسۡتُم مِّنۡهُمۡ رُشۡدٗا فَٱدۡفَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ أَمۡوَٰلَهُمۡۖ وَلَا تَأۡكُلُوهَآ إِسۡرَافٗا وَبِدَارًا أَن يَكۡبَرُواْۚ وَمَن كَانَ غَنِيّٗا فَلۡيَسۡتَعۡفِفۡۖ وَمَن كَانَ فَقِيرٗا فَلۡيَأۡكُلۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ فَإِذَا دَفَعۡتُمۡ إِلَيۡهِمۡ أَمۡوَٰلَهُمۡ فَأَشۡهِدُواْ عَلَيۡهِمۡۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبٗا ٦ ﴾

﴿فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾ إنما قال: ﴿حَسِيبًا﴾ ولم يقل: شهيدًا مع مناسبته؛ تهديدًا للأوصياء لئلا يكتموا شيئًا من مال اليتامى، فإذا علموا أن الله يحاسبهم على النقير والقطمير، ويعاقبهم عليه؛ انزجروا عن الكتمان.

ابن عجيبة الفاسي، البحر المديد ١/٤٦٦

﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ ۚ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿٧﴾﴾

الحكمة من قوله ﴿مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ﴾ لعل أحدًا يتوهم أن النساء والولدان ليس لهم نصيب إلا من المال الكثير، فأزال ذلك بقوله: ﴿مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ﴾، فتبارك الله أحسن الحاكمين.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن١٦٥

﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٨﴾﴾

يؤخذ من هذا المعنى، أن كل من تطلع وتشوف إلى ما حضر بين يدي الإنسان، ينبغي له أن يعطيه منه ما تيسر.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن ١٦٥

﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ ۚ فَإِن كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ ۖ وَإِن كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ ۚ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُ وَلَدٌ ۚ فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ ۚ فَإِن كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ ۚ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ ۗ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا ۚ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١﴾﴾

١) استنبط بعض الأذكياء من قوله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ﴾، أنه تعالى أرحم بخلقه من الوالد بولده، حيث أوصى الوالدين بأولادهم، فعلم أنه أرحم بهم منهم، كما جاء في الحديث الصحيح.

تفسير القرآن العظيم ٢/٢٢٥

٢) ﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡ ﴾ إنما قال: ﴿فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡ ﴾ ولم يقل: (في أبنائكم)؛ لأن الابن يقع على الابن من الرضاعة، وعلى ابن البنت، وعلى الابن المتبنى، وليسوا من الورثة.

ابن عجيبة الفاسي، البحر المديد ٤٧١/١

﴿ ۞ وَلَكُمۡ نِصۡفُ مَا تَرَكَ أَزۡوَٰجُكُمۡ إِن لَّمۡ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٞۚ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٞ فَلَكُمُ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكۡنَۚ مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصِينَ بِهَآ أَوۡ دَيۡنٖۚ وَلَهُنَّ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكۡتُمۡ إِن لَّمۡ يَكُن لَّكُمۡ وَلَدٞۚ فَإِن كَانَ لَكُمۡ وَلَدٞ فَلَهُنَّ ٱلثُّمُنُ مِمَّا تَرَكۡتُمۚ مِّنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ تُوصُونَ بِهَآ أَوۡ دَيۡنٖۗ وَإِن كَانَ رَجُلٞ يُورَثُ كَلَٰلَةً أَوِ ٱمۡرَأَةٞ وَلَهُۥٓ أَخٌ أَوۡ أُخۡتٞ فَلِكُلِّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا ٱلسُّدُسُۚ فَإِن كَانُوٓاْ أَكۡثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمۡ شُرَكَآءُ فِي ٱلثُّلُثِۚ مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصَىٰ بِهَآ أَوۡ دَيۡنٍ غَيۡرَ مُضَآرّٖۚ وَصِيَّةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٞ ١٢ ﴾

﴿وَلَكُمۡ نِصۡفُ مَا تَرَكَ أَزۡوَٰجُكُمۡ ﴾ تأمل تعليقه سبحانه التوارث بلفظ الزوجة دون المرأة؛ إيذانًا بأن هذا التوارث إنما وقع بالزوجية المقتضية للتشاكل والتناسب، والمؤمن والكافر لا تشاكل بينهما ولا تناسب، فلا يقع بينهما التوارث، وأسرار مفردات القرآن ومركباته فوق عقول العالمين.

ابن القيم، جلاء الأفهام (٢٦٢)

﴿ وَٱلَّذَانِ يَأۡتِيَٰنِهَا مِنكُمۡ فَـَٔاذُوهُمَاۖ فَإِن تَابَا وَأَصۡلَحَا فَأَعۡرِضُواْ عَنۡهُمَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ تَوَّابٗا رَّحِيمًا ١٦ ﴾

من أقبح الخِلال: تعنيف المذنبين والمخطئين بعد اعترافهم وتوبتهم، وقد يدعوهم ذلك إلى معاودة الذنب أو الخطأ ﴿فَإِن تَابَا وَأَصۡلَحَا فَأَعۡرِضُواْ عَنۡهُمَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ تَوَّابٗا رَّحِيمًا ﴾.

د. محمد الخضيري

﴿ إِنَّمَا ٱلتَّوۡبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٖ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٖ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ١٧ ﴾

١) ﴿ إِنَّمَا ٱلتَّوۡبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ ﴾، فكلُّ من يعمل السوء لا بد أن يكون جاهلًا: فإما أن يجهل ما فيه من القبح والضرر، وإما أن يجهل سوء عاقبته وقبح تأثيره في نفسه، وما يترتب على ذلك من سخط ربه وعقابه؛ ذهابًا مع الأماني واغترارًا بتأول النصوص.

رشيد رضا، تفسير المنار ٧/ ٣٧٥

٢) وقت التوبة: ﴿ إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ ﴾، قال ابن عباس ﷺ: «قبل المرض والموت». علّق ابن رجب ﷺ: «هذه إشارة إلى أن أفضل أوقات التوبة، هو أن يبادر الإنسان بها حال صحته قبل نزول المرض به؛ حتى يتمكن حينئذٍ من العمل الصالح».

تفسير ابن رجب ٢٩٩/١

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًاۖ وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُواْ بِبَعْضِ مَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍۚ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴿١٩﴾ ﴾

١) لا يُقر الخطأ، سواء في جاهلية أو إسلام، وانظر كيف جمع بين ذكر خطأين في سياق واحد: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًا ﴾، وهذا من أفعال الجاهلية: كانوا يرثون المرأة كالمتاع، ثم قال: ﴿وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ ﴾ أي: لا تمنعوهن التزويج، وهذا يقع من أهل الجاهلية، وأهل الإسلام.

د. محمد الخضيري

٢) إنَّ من أعظم المعروف كلمة حلوة تنفذ إلى قلب المرأة؛ فتروي عطشه، ولكن المحروم منا -معاشر الأزواج- من يصاب بجفاف الريق بسبب هبوط نسبة (السكر) لديه، فما يلفظ إلا قوالب الثلج.

د. عصام العويد

٣) ﴿فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾؛ أي: ينبغي -أيُّها الأزواج- أن تمسكوا زوجاتكم ولو مع الكراهة؛ فإن في ذلك خيرًا كثيرًا، من ذلك:

١- امتثال أمر الله، وقبول وصيته التي فيها سعادة الدنيا والآخرة.

٢- أن إجباره نفسه -مع عدم محبَّته لها- فيه مجاهدة النفس، والتخلق بالأخلاق الجميلة.

٣-وربما أنَّ الكراهة تزول وتخلفها المحبة، كما هو الواقع في ذلك.

٤- وربما رُزق منها ولدًا صالحًا نفع والديه في الدنيا والآخرة. وهذا كله مع الإمكان في الإمساك وعدم المحذور.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن ١٧٢

﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ وَعَمَّٰتُكُمْ وَخَٰلَٰتُكُمْ وَبَنَاتُ ٱلْأَخِ وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِيٓ أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمْ وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِى فِى حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِى دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا۟ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَٰبِكُمْ وَأَن تَجْمَعُوا۟ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٣﴾ ﴾

١) قوله: ﴿ٱلَّٰتِى فِى حُجُورِكُم﴾ قيد خرج مخرج الغالب لا مفهوم له، فإن الربيبة تحرُم ولو لم تكن في حجره ولكن للتقييد بذلك فائدتان:

إحداهما: فيه التنبيه على الحكمة في تحريم الربيبة، وأنها كانت بمنزلة البنت؛ فمن المستقبح إباحتها.

والثانية: فيه دلالة على جواز الخلوة بالربيبة، وأنها بمنزلة من هي في حجره من بناته ونحوهن. والله أعلم.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن ١٧٤

٢) قال تعالى في المحرمات من النساء: ﴿وَحَلَٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَٰبِكُمْ﴾ من المعلوم أن الابن لا يكون إلا من الصلب، وإنما قال: ﴿مِنْ أَصْلَٰبِكُمْ﴾؛ لأن معناه: وحلائل أبنائكم الذين ولدتموهم، دون حلائل أبنائكم الذين تبنيتموهم.

الطبري، جامع البيان ١٤٩/٨

﴿ وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن فَتَيَٰتِكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۚ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِكُم ۚ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ فَٱنكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ مُحْصَنَٰتٍ غَيْرَ مُسَٰفِحَٰتٍ وَلَا مُتَّخِذَٰتِ أَخْدَانٍ ۚ فَإِذَآ أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَٰحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى ٱلْمُحْصَنَٰتِ مِنَ ٱلْعَذَابِ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ ٱلْعَنَتَ مِنكُمْ ۚ وَأَن تَصْبِرُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٥﴾ ﴾

من علوم التفسير المعينة على التدبر: علم الوجوه والنظائر، وهو: معرفة معاني الكلمة في سياقات مختلفة، انظر إلى قوله: ﴿ وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ﴾ فـ﴿ٱلْمُحْصَنَٰتِ﴾ بمعنى: الحرائر، و﴿مُحْصَنَٰتٍ﴾ بمعنى: عفيفات، و﴿أُحْصِنَّ﴾ بمعنى: تزوجن.

د. محمد الخضيري

﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡكُمۡ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيۡلًا عَظِيمٗا ٢٧﴾

١) ما رأيت تاريخًا صنعته الشهوات والملذات! ولكن دعاة الشهوات والملذات عندنا يزعمون أنهم يصنعون تاريخنا الحديث، فهل هم جاهلون؟ أم متآمرون؟ أم جمعوا بين الجهل والتآمر؟.

د. مصطفى السباعي، هكذا علمتني الحياة ١٠٢

٢) السفور والحسور والتكشف والموضات، وكشف النساء العورات، وسلوك الشباب سبيل الفساد، كل ذلك قنابل للعدو تتساقط علينا، وتهدم كياننا، وتصدع بنياننا، وتُذهب قوانا، فهل نكون من غفلتنا عونًا للعدو على أنفسنا؟!

علي الطنطاوي، نور وهداية ٦٩

٣) لن يكتفي أتباع الشهوات بما يسوغ الخلاف فيه؛ حتى يجنحوا بالأمة إلى ما لا خلاف على تحريمه: ﴿وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيۡلًا عَظِيمٗا﴾.

د. عبدالله السكاكر

٤) ﴿وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيۡلًا عَظِيمٗا﴾ هذا بيان صريح من الذي يعلم السرَّ وأخفى -سبحانه- أنَّ هذا الصنف من الناس -سواء كانوا صحفيِّين، أو كتَّابًا، أو روائيين، أو أصحاب قنوات هابطة- يريدون يميلوا بالأمة ميلًا، وأكد هذا الميل بأنه عظيم، إذ لا تكفيهم مشاريع الإغواء الصغيرة.

د. عبدالمحسن المطيري

٥) كلما رأيت إصرار أصحاب مشاريع إفساد المجتمع على تحقيق مشاريعهم -رغم العقبات التي في طريقهم- تعجبت! لكن آيتين كشفتا سرَّ ذلك: ﴿وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ﴾، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلۡفَٰحِشَةُ﴾ الآية (النور:١٩)، فحققوا (المحبة) الدافعة لـ(قوة الإرادة)؛ فأثمرتا الإصرار: ﴿ٱمۡشُواْ وَٱصۡبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمۡۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٞ يُرَادُ﴾ (ص:٦)، فأين المصلحون من ذلك؟

أ. د. ناصر العمر

﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمۡۚ وَخُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ ضَعِيفٗا ٢٨﴾

١) سئل سفيان الثوري عن قوله تعالى: ﴿وَخُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ ضَعِيفٗا﴾ ما ضعفه؟ قال: المرأة تمر بالرجل، فلا يملك نفسه عن النظر إليها، ولا هو ينتفع بها؛ فأي شيء أضعف من هذا؟

حلية الأولياء ٦٨/٧

٢) في قوله تعالى: ﴿وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا﴾ بيان لضعف الإنسان الجبلي، وفيه إرشاد له بألا يغرر بنفسه فيلقي بها في مواطن الشهوات؛ ثقة بعلمه ودينه، فمن حام حول الحمى أوشك أن يرتع فيه.

د. محمد الحمد

٣) ضعف الرجل بين في أمر النساء؛ ولذا لما ذكر النكاح والشهوة والإحصان وحد الزنى في سورة النساء؛ ختمها بقوله: ﴿وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا﴾ فعلى المتعفف الخائف على دينه أن لا يستهين بأمرهن، ولا يدنو من فتنتهن؛ ثقة برجولته، وتمام عقله، وكمال عفته! فكم من متعثر غرته التجربة، وغره بالله الغرور!

د. محمد الخضيري

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْۚ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾﴾

﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾، ورحمته ليست خاصةً بإزهاق الروح بدون حق، بل إن من أعظم الرحمة به: حمايته مما سيلاقيه قاتل نفسه من عذاب شديد: ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَٰنًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا﴾ (النساء: ٣٠).. ومن قتل أخاه بدون حق فقد قتل نفسه؛ فجريرة قتله سترجع إليه.. فهل يعي ذلك من ولغوا في دماء إخوانهم المجاهدين في الشام ظلمًا وعدوانًا؟!

أ. د. ناصر العمر

﴿وَلَا تَتَمَنَّوْاْ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍۚ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُواْۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَۚ وَسْـَٔلُواْ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٣٢﴾﴾

١) إذا منع الله عباده المؤمنين شيئًا تتعلق به إرادتهم؛ فتح لهم بابًا أنفع لهم منه وأسهل وأولى، وهذا من لطفه، فنهاهم عن تمني ما ليس بنافع، وفتح لهم أبواب الفضل والإحسان، وأمرهم أن يسألوه بلسان الحال.

السعدي، القواعد الحسان١٢٤

٢) فإذا كان هذا النهي -بنص القرآن- عن مجرد التمني، فكيف بمن ينكر الفوارق الشرعية بين الرجل والمرأة، وينادي بإلغائها، ويطالب بالمساواة، ويدعو إليها باسم المساواة بين الرجل والمرأة؟

د. بكر أبو زيد، حراسة الفضيلة ٢٢

٣) من تمنى شيئًا مباحًا من أمر دنياه وآخرته، فليكن فزعه فيه إلى الله ﷻ، ومسألته منه، وإن عظمت أمنيته، ﴿وَسْـَٔلُواْ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ﴾.

البغوي، شرح السنة ٥ / ٢٠٨

﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُۚ وَٱلَّٰتِى تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِى ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّۖ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُواْ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًاۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴿٣٤﴾﴾

١) ﴿فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ﴾ القنوت هنا هو المداومة على طاعة الزوج؛ فالسياق كلُّه في العلاقة بين الخليلين: الزوج والزوجة، ومن سبر واقع حياة الناس، وجد أن أسعد النساء قلبًا هي الطَّيِّعةُ السهلة، وأنكدهُنَّ عيشًا هي الشرسة المعاندة.

د. عصام العويد

٢) تهديد للرجال!

﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا﴾ هكذا ختمت آية النشوز، التي تهدد الرجال من ظلم نسائهم، فإنهن وإن ضعفن عن دفع ظلمكم، وعجزن عن الإنصاف منكم؛ فالله علي كبير، قادر، ينتقم ممن ظلمهن وبغى عليهن، فلا تغتروا بكونكم أعلى يدًا منهن، وأكبر درجة منهن، فإن الله أعلى منكم، وأقدر منكم عليهن، فختم الآية بهذين الاسمين فيه تمام المناسبة.

القاسمي، محاسن التأويل ٣/ ١٠٠

٣) ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا﴾، ختم الآية بهذه الجملة؛ للتحذير من التعالي على النساء، ولإشعار الرجل بعلو الله عليه، فلا يتعالى ولا يتكبر، ففوقه من هو أعلى وأكبر منه وهو الله ﷻ.

ابن عثيمين، تفسير سورة النساء ١/ ٢٩٣

٤) لما ذكر الله قوامة الرجل على المرأة، وحق الزوج في تأديب امرأته الناشز، ختم الآية بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا﴾، فذكر بعلوه وكبريائه ﷻ ترهيبًا للرجال؛ لئلا يعتدوا على النساء، ويتعدوا حدود الله التي أمر بها.

د. محمد الخضيري

٥) ختم الله آية الإصلاح بين الزوجين بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا﴾فإن تذكر علو الله وكبره، من أعظم ما يردع عن ظلم الزوجات، وبخس حقوقهن.

متدبر

﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُوا۟ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴿٣٥﴾﴾

أصلح إرادتك: ﴿إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ﴾، ننال من التوفيق في حياتنا بقدر ما فينا من رغبةِ الإصلاح.

د. عبدالله بلقاسم

﴿۞ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾﴾

١) ذكر الله المأمورين بالإحسان إليهم، وقال: ﴿وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ﴾، وهذايعم كلَّ مصاحب، وفسره طائفة بالرفيق في السفر، ولم يريدوا إخراج الصاحب الملازم في الحضر، وإنما أرادوا أنَّ مجرَّد صحبة السفر -على قصرها- تكفي؛ فالصحبة الدائمة في الحضر أولى.

ابن رجب، جامع العلوم والحكم١/٣٨٢

فلنتفقد أحوالنا مع صاحب الدراسة والوظيفة والحلقة، وأعظم من ذلك: صحبة البيت من والدين وزوجة وقربى.

٢) قال عبد الله بن واقد: لا تجد سيئ المَلكة إلا وجدته مختالًا فخورًا، وتلا: ﴿وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾، ولا عاقًا إلا وجدته جبارًا شقيًا، وتلا: ﴿وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا﴾ (مريم:٣٢).

جامع البيان للطبري ٨/٣٥٠

﴿ ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِ وَيَكۡتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۗ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا ﴿٣٧﴾ ﴾

بخل عريض، فاحذر!

﴿ ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِ ﴾ قد تؤولت في البخل بالمال والمنع، والبخل بالعلم ونحوه، وهي تعم البخل بكل ما ينفع في الدين والدنيا من علم ومال وغير ذلك، كما تأولوا قوله: ﴿ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴾ النفقة من المال والنفقة من العلم، والنفقة من العلم هي صدقة الأنبياء وورثتهم من العلماء.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى ٢١٢/١٤

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعۡلَمُواْ مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغۡتَسِلُواْۚ وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوۡ جَآءَ أَحَدٞ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا طَيِّبٗا فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٤٣﴾ ﴾

فهل نحن -وقد عافانا الله من السكر- نعي ما نقول؟

متدبر

﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبٗا مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ يَشۡتَرُونَ ٱلضَّلَٰلَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّواْ ٱلسَّبِيلَ ﴿٤٤﴾ ﴾

حقيق بمن مَنّ الله عليهم بشيء من العلم أن يكونوا أسرع الناس انقيادًا للحق، وأبعد الناس عن الباطل؛ ولهذا شدد الله الذم بمخالفة هذين الأمرين على أهل العلم كقوله: ﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبٗا مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ يَشۡتَرُونَ ٱلضَّلَٰلَةَ ﴾.

السعدي، المواهب الربانية من الآيات القرآنية ٦٦

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ ءَامِنُواْ بِمَا نَزَّلۡنَا مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبۡلِ أَن نَّطۡمِسَ وُجُوهٗا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدۡبَارِهَآ أَوۡ نَلۡعَنَهُمۡ كَمَا لَعَنَّآ أَصۡحَٰبَ ٱلسَّبۡتِۚ وَكَانَ أَمۡرُ ٱللَّهِ مَفۡعُولًا ﴿٤٧﴾ ﴾

مرَّ كعب الأحبار -قبل أن يسلم- بقارئ يقرأ هذه الآية قراءة حزينة، فقال كعب: يا رب! أسلمتُ؛ مخافة أن تصيبه الآية، ثم رجع فأتى أهله باليمن، ثم جاء بهم مسلمين.

جامع البيان (٤٤٦/٨)

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾ ﴾

في قوله تعالى: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ نعمة عظيمة من وجهين:

أحدهما: أنه يقتضي أن كل ميت على ذنب دون الشرك لا نقطع له بالعذاب وإن كان مصرًا.

والثانية: أن تعليقه بالمشيئة فيه نفع للمسلمين، وهو أن يكونوا على خوف وطمع.

ابن الجوزي، زاد المسير ٢/١٠٣

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾

هل تذكرتها؟ نار حرها شديد، وقعرها بعيد، وعمقها طويل، لا يموت أهلها؛ فيستريحوا، ولا تقال عثرتهم، ولا ترحم عبرتهم، طعامهم الزقوم، وشرابهم الحميم، ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ ﴾.

الآجري، أخلاق أهل القرآن٨٠

﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾ ﴾

قال القرطبي ﵀: هذه الآية من أمهات الأحكام تضمنت جميع الدين والشرع.

الجامع لأحكام القرآن ٥/٢٥٥

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾ ﴾

١) ﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ ﴾، دليلٌ على شمول الوحي؛ فلو لم يكن فيه الكفاية لما كان للأمر بالرجوع له عند التنازع فائدة.

د. عبدالرحمن الشهري

٢) لم يقع الإنكار على أهل الإسلام إن هم اختلفوا؛ فالخلاف طبيعة بشريةولكن الله تعالى أرشدهم للعلاج الناجح الناجع: ﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ ﴾ وجعل في ذلك الخير وحسن العاقبة: ﴿ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾.

أ. د. عبدالعزيز العويد

٣) ﴿فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾، ولم يقل: وإلى الرسول ﷺ؛ فإنَّ الردَّ إلى القرآن ردٌّ إلى الله والرسول ﷺ، فما حكم به الله تعالى هو بعينه حكم رسوله ﷺ، وما يحكم به الرسول ﷺ هو بعينه حكم الله، فإذا رددتم إلى الله ما تنازعتم فيه -يعني كتابه- فقد رددتموه إلى رسوله ﷺ، وكذلك إذا رددتموه إلى رسوله ﷺ فقد رددتموه إلى الله، وهذا من أسرار القرآن.

ابن القيم، الرسالة التبوكية ٤١

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُوا۟ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿٦٤﴾﴾

وعدل عن قول: (واستغفرت لهم) إلى: ﴿وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ﴾؛ لأن في هذا الالتفات بيان تعظيم استغفاره، وأنهم سينالون شفاعته لأنه رسول، وفي ذلك تنويه بمكانة الرسالة التي جاء بها.

الزمخشري، الكشاف ٤٢٨/١

﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾

١) وإذا كان توقف القلب عن الرضا بحكم الرسول ﷺ يخرج عن الإيمان، كما قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾ فكيف يصح الإيمان مع الاعتراض على الله تعالى؟

ابن مفلح، الآداب الشرعية ٢٩٠/٢

٢) أعظم دلائل الإيمان الصادق: التسليم التام لأمر الله ورسوله، من غير حرج في النفس ﴿ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾.

د. محمد الربيعة

﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ ٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ أَوِ ٱخْرُجُوا۟ مِن دِيَـٰرِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ ۖ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا۟ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾﴾

من أسباب الفتنة: أن تترك ما أُمِرت به شرعًا، وتنشغل بما لم تُؤمَر به، ولن تُسأل عنه: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا۟ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا﴾.

فهد العيبان

﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ٦٩﴾

تَدرُّجٌ من القلة إلى الكثرة، ومن الأفضل إلى الفاضل؛ إذ قدم ذكر ﴿ٱللَّهَ﴾ على ﴿وَٱلرَّسُولَ﴾ ورتب السعداء من الخلق بحسب تفاضلهم كما تدرج من القلة إلى الكثرة، فبدأ بالنبيين وهم أقل الخلق عددًا، ثم الصديقين وهم أكثر، فكل صنف أكثر من الذي قبله.

د. فاضل السامرائي، التعبير القرآني ٥٤

﴿وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُن مَّعَهُمْ شَهِيدًا ٧٢ وَلَئِنْ أَصَٰبَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ ٱللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمْ تَكُنۢ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُۥ مَوَدَّةٌ يَٰلَيْتَنِي كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا ٧٣﴾

فهؤلاء المبطئون لم يحبوا لإخوانهم المؤمنين ما يحبون لأنفسهم، بل إن أصابتهم مصيبة فرحوا باختصاصهم، وإن أصابتهم نعمة لم يفرحوا لهم بها، فهم لا يفرحون إلا بدنيا تحصل لهم، أو شر دنيوي ينصرف عنهم، ومن لم يسره ما يسر المؤمنين، ويسوءه ما يسوء المؤمنين؛ فليس منهم.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى ١٠/١٢٨

﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ٧٥﴾

ذكر الولدان تكميلًا للاستعطاف، وتنبيهًا على تناهي ظلم المشركين بحيث بلغ أذاهم للصبيان، وفيه دلالة على إجابة دعائهم، واقتراب الخلاص؛ لما فيه من التضرُّع لله.

أبو السعود، إرشاد العقل السليم ٢/٢٠٢

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ فَقَٰتِلُوٓاْ أَوْلِيَآءَ ٱلشَّيْطَٰنِۖ إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ٧٦﴾

١) سمى الله الإنسان ضعيفًا، وقال عن كيد الشيطان: ﴿إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ والضعيفان إذا اقتتلا، ولم يكن لواحد منهما مُعين، لم يظفر بصاحبه؛ فأمر الله الإنسان الضعيف أن يستعين بالرب اللطيف من كيد الشيطان الضعيف؛ ليعصمه منه ويعينه عليه.

ابن الجوزي، بستان الواعظين ورياض السامعين ١٠

٢) كثير من الناس حينما يستعيذ بالله من الشيطان، يستعيذ وفي نفسه نوع رهبة من الشيطان، وهذه الحال لا تليق أبدًا بصاحب القرآن، الذي يستشعر أنه يستعيذ -أي يلوذ ويعتصم ويلتجئ- برب العالمين، وأن هذا الشيطان في قبضة الله، كيف لا وهو يقرأ قول ربه -الذي خلق هذا العدو- ﴿إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا﴾؟

د. عمر المقبل

﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ۗ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ ۚ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا (٧٨) مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ۚ وَأَرْسَلْنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا (٧٩)﴾

١) ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ﴾، هكذا قال المنافقون عن الرسول ﷺ، وهذا يتناول كل من جعل طاعة الرسول وفعل ما بعث به مسببًا لشر أصابه، إما من السماء وإما من آدمي، وهؤلاء كثيرون.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى ١٤/٢٤٩

٢) ﴿فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾ فلو كان المؤمنون لا يفقهونه -أيضًا-؛ لكانوا مشاركين للكفار والمنافقين فيما ذمهم الله تعالى به.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى٥/١٥٨

٣) في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾ من الفوائد: أن العبد لا يطمئن إلى نفسه؛ فإن الشر لا يجيء إلا منها، ولا يشتغل بملام الناس وذمهم، ولكن يرجع إلى الذنوب فيتوب منها، ويستعيذ بالله من شر نفسه وسيئات عمله، ويسأل الله أن يعينه على طاعته؛ فبذلك يحصل له الخير ويدفع عنه الشر.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى (٨ / ٢١٥)

﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا (٨٢)﴾

١) فكما أن من تعامى في حياته ﷺ عن نبع الماء من بين أصابعه وغير ذلك من معجزاته ملوم مدحور، ومأزور غير مأجور؛ فكذلك من تعامى عن آيات الكتاب، وكأن لم يقرع أذنه قارع، فهو من هذا الباب؛ ولهذا نبه تعالى بقوله: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾.

ابن الزبير الغرناطي، البرهان في تناسب سور القرآن ٧٦

٢) ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ﴾، من المعلوم أنه في تفاصيل آيات القرآن من العلم والإيمان ما يتفاضل فيه الناس، فالقرآن يقرأه الناس بالليل والنهار لكن يتفاضلون في فهمه تفاضلًا عظيمًا، وقد رفع الله بعض الناس على بعض درجات.

ابن تيمية، درء التعارض ٤٢٧/٧

٣) ملحظ دقيق: قال بعض الصالحين في قوله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ﴾ «جرأك على تلاوة خطابه، ولولا ذاك لكلّت الألسن عن تلاوته».

تاريخ الإسلام للذهبي ٥٤٠/٢٦

٤) وكل شيء في القرآن تظن فيه التناقض -فيما يبدو لك- فتدبره حتى يتبين لك؛ لقوله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾، فإن لم يتبين لك، فعليك بطريق الراسخين في العلم الذين يقولون: ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾(آل عمران:٧)، واعلم أن القصور في علمك، أو في فهمك.

ابن عثيمين، مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين ٣١٧/٣

٥) ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾، من التزم الكتاب والسنة وما كان عليه الصحابة رضي الله عنهم لم يختلف كلامُه وعقائِدُه؛ لأن ذلك غير مختلف، بخلاف من تعصَّب لطائفةٍ من الطوائف.

ابن تيمية، مسألة حدوث العالم ١٥٩

٦) القوانين الوضعية مهما كبرت عقول واضعيها واتسعت مداركهم وامتدت أنظارهم، فهي تختلف فيما بينها، وأوضاع الناس وأعرافهم تتبدل دائمًا؛ فتختلف القوانين عن مسايرة أوضاع الناس؛ فتحتاج إلى تعديل: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾.

الطنطاوي، ذكريات الطنطاوي ٣٢٥/٤

٧) تأمل سياق هذه الآية: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾ ثم جاء بعدها مباشرة: ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ﴾ الآية، ففيها إشارة إلى أن الاختلاف والاضطراب في التعامل مع المستجدات من أهم أسبابه: الأخذ ممن لم يجعل الوحي مصدره في تقييم ما يستجد، والله أعلم.

أ. د. ناصر العمر

﴿ مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقِيتًا ﴿٨٥﴾ ﴾

عبر بالنصيب: لأنه -غالبًا- في الربح والخير، وبالكفل؛ لأن الأغلب استعماله في الشر والخسارة، فهل يدرك من يتوسطون لأناس، على حساب حقوق الآخرين، أي جرم يرتكبون؟ وأي غرم يتحملون؟ فـ «من أشر الناس من ظلم الناس للناس».

أ. د. ناصر العمر

﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَسِيبًا ﴿٨٦﴾ ﴾

تشمل الحسن في لغة الوجه، فمن سلم عليك مبتسمًا، فابتسم له، ومن لم يبتسم، فابتسم له؛ تكن أحسن منه.

د. صالح البهلال

﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۗ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ﴿٨٧﴾ ﴾

من صور البلاغة القرآنية:

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا﴾ أبلغ مما لو قيل: لا أحد أصدق من الله حديثًا؛ لأن الاستفهام يعني التحدي.

ابن عثيمين، شرح عقيدة أهل السنة والجماعة (شريط ٢)

﴿ ۞ فَمَا لَكُمْ فِى ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيْنِ وَٱللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوٓا۟ ۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُوا۟ مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ ۖ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴿٨٨﴾ ﴾

١) ﴿فَمَا لَكُمْ فِى ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيْنِ وَٱللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوٓا۟﴾ عَتِبَ الله ﷻ على الصحابة اختلافهم في المنافقين؛ فاحذر أن تختلف مع إخوانك مدافعًا عن منافقين.

د. عبدالمحسن المطيري

٢) تدبر ﴿فَمَا لَكُمْ فِى ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيْنِ وَٱللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوٓا۟﴾ ثم تأمل في الجدل الإعلامي حول أشخاص أشربوا الفتنة وأركسوا فيها؛ تدرك مدى البعد عن هدي القرآن ودلالته، وتنزيل واقع الناس عليه.

أ. د. ناصر العمر

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَىٰ إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِندَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ ۚ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٩٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾، فيه تربية عظيمة: وهي أن يستشعر الإنسان -عند مؤاخذته غيره- أحوالًا كان هو عليها تساوي أحوال من يؤاخذه، كمؤاخذة المعلم التلميذ بسوء إذا قصر في إعمال جهده، وكذلك هي عظة لمن يمتحنون طلبة العلم، فيعتادون التشديد عليهم، وتطلب عثراتهم.

ابن عاشور، التحرير والتنوير ١٦٨/٥

﴿لَّا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾﴾

﴿لَّا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ﴾ فيه مخرج لذوي الأعذار: **«إنَّ بالمدينة أقوامًا ما سِرْتُم مسيرًا، ولا قطعتم واديًا، إلا كانوا معكم، حبسَهمُ العذر»**[1]:

يا راحلين إلى البيت العتيق لقد	سرتم جسومًا وسرنا نحن أرواحا
إنا أقمنا على عــذر وعن قــدر	ومـن أقـام على عذر كمـن راحا

القاسمي، محاسن التأويل ١٣٥/٨

﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ ۚ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا ۚ فَأُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾﴾

لم أجد -في نفسي- أقوى تأثيرًا لدفع الفرد المسلم على أن يكون مبادرًا وباذلًا كل ما يملك لأجل تحقيق أهدافه النبيلة، مثل هذه الآية الكريمة، وقد نزلت في تأنيب من لم يبادر بالهجرة وبقي في مكة خوفًا على أهله ومصالحه.

متدبر

(١) البخاري ح(٤٤٢٣)

﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوٓاْ أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُواْ فَلْيَكُونُواْ مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّواْ فَلْيُصَلُّواْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُواْ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَاحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَن تَضَعُوٓاْ أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُواْ حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٠٢﴾﴾

تدبر قوله تعالى: ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَوٰةَ﴾، حيث قال: ﴿لَهُمُ﴾ مما يدل على أن الإمام ينبغي أن يعتني بصلاته أكثر، ويعتني بحال المأمومين؛ لأنه لا يصلي لنفسه، بل يصلي لمن خلفه من المأمومين أيضًا.

د. عبدالرحمن الدهش

﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَوٰةَ فَاذْكُرُواْ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ فَإِذَا اطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُواْ الصَّلَوٰةَ إِنَّ الصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا ﴿١٠٣﴾﴾

الاستغفار بعد الفراغ من العبادة هو شأن الصالحين، فالخليل وابنه قالا -بعد بناء البيت-: ﴿وَتُبْ عَلَيْنَآ﴾ (البقرة: ١٢٨)، وأمرنا به عند الانتهاء من الصلاة: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَوٰةَ فَاذْكُرُواْ اللَّهَ﴾، وبينت السنة أنه البدء بالاستغفار، وكذا أمرنا به بعد الإفاضة من عرفة، فما أحوجنا إلى تذكر منة الله علينا بالتوفيق للعبادة، واستشعار تقصيرنا الذي يدفعنا للاستغفار.

د. عمر المقبل

﴿وَلَا تَهِنُواْ فِي ابْتِغَآءِ الْقَوْمِ إِن تَكُونُواْ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٠٤﴾﴾

١) ما نراه من مآسي المسلمين أمر يُجسد كلَّ صور الألم الجسدي والنفسي؛ لكن عزاؤنا أنَّ ربنا أخبرنا أنَّ الألم متبادل: ﴿إِن تَكُونُواْ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ﴾، فعلى المؤمنين أن يُقَوُّوا رجاءَهم بربهم، فهو ما يُميِّزهم عن غيرهم.

د. عويض العطوي

٢) هذا تشجيعٌ لنفوس المؤمنين، وتحقيرٌ لأمر الكفرة، ولما كانوا مستوين في الألم؛ أكد التشجيع بقوله: ﴿وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ﴾ وهذا برهان بيِّن ينبغي بحسبه أن تقوى نفوس المؤمنين.

الثعالبي، الجواهر الحسان ٢/٢٩٥ (بتصرف)

﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴿١٠٥﴾ وَٱسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٦﴾ ﴾

١) عندما يتدبر المؤمن قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴾ ثم يتأمل الواقع؛ يدرك كم من إنسان نصب نفسه مجادلًا ومحاميًا لأهل الباطل، إما حمية، أو لطلب مال أو شهرة، بل قد يفعل ذلك بعضهم تأولًا وبحسن نية؛ لذا جاء بعدها: ﴿وَٱسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾.

أ. د. ناصر العمر

٢) حكى ابن تيمية ﷺ عن بركة تطبيق هذا التوجيه الرباني فقال: إنه ليقف في خاطري في المسألة أو الشيء أو الحالة، فأستغفر الله ألف مرة أو أكثر أو أقل؛ حتى ينشرح الصدر، وينحل إشكال ما أشكل، وأنال مطلوبي.

العقود الدرية لابن عبدالهادي ٢٢

﴿ وَلَا تُجَٰدِلْ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ﴿١٠٧﴾ ﴾

استقراء إمام:

يقول ابن تيمية ﷺ: من فسر من العلماء: (الاختيان) بأنه ظلم النفس بأي ذنب كان سرًا أو علانية؛ ففي قوله نظر؛ لأن الاختيان إنما يستعمل في الذنوب التي تفعل سرًا فحسب، كقوله تعالى: ﴿ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ ﴾(البقرة: ١٨٧).

مجموع الفتاوى ٤٣٨/١٤

﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾ ﴾

﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ﴾ سمي ظلم النفس ظلمًا؛ لأن نفس العبد ليست ملكًا له، وإنما هي ملك لله قد جعلها أمانة عند العبد.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن ٢٠٠

﴿ وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِۦ بَرِيٓـًٔا فَقَدِ ٱحْتَمَلَ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿١١٢﴾ ﴾

وإنما فرق بين (الخطيئة) و(الإثم)؛ لأن (الخطيئة)، قد تكون من قِبَل العمد وغير العمد، و(الإثم) لا يكون إلا من العمد، ففصل جل ثناؤه لذلك بينهما؛ فقال: ومن يأت خطيئة على غير عمد منه لها أو إثمًا على عمد منه... إلخ.

الطبري، جامع البيان ١٩٧/٩

﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْۖ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَيْءٍۚ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾ ﴾

حتى الأنبياء لم يسلموا من محاولات الإغواء والإضلال، فمن يأمن البلاء بعد نبينا ﷺ؟ ومن الذي يظن أنه بمعزل عن الفتنة؟! نسأل الله الثبات على الحق.

﴿ ۞ لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍ بَيْنَ ٱلنَّاسِۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾ ﴾

تدبَّر هذه الآية تلحظ أنَّ الأصل في هذه الثلاثة الإخفاء؛ فذلك أقوى أثرًا وأعظم أجرًا، وأرجى في تحقيق المراد، وأما العلانية فيها فهي الاستثناء إذا وجد لذلك سبب معتبر.

أ. د. ناصر العمر

﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ ﴾

لا يستغربنّ أحد هذا الوعيد! فإن جرثومة الشقاق لا تولد؛ حتى يولد معها كل ما يهدد عافية الأمة بالانهيار.

محمد الغزالي، خلق المسلم ١/١٦٨

﴿ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾ ﴾

١) كل ظالم معاقب في العاجل على ظلمه قبل الآجل، وكذلك كل مذنب ذنبًا، وهو معنى قوله تعالى: ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾ وربما رأى العاصي سلامة بدنه وماله فظنَّ ألا عقوبة، وغفلته عما عوقب به عقوبة، وربما كان العقاب العاجل معنويًّا، كما روي أن بعض أحبار بني إسرائيل قال: يا رب كم أعصيك ولا تعاقبني؟ فقيل له: كم أعاقبك وأنت لا تدري؟! أليس قد حرمتك حلاوة مناجاتي؟

ابن الجوزي، صيد الخاطر ٦٥

٢) من الاغترار أن تسيء فترى إحسانًا، فتظن أنك قد سومحت، وتنسى: ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾.

صيد الخاطر، ابن الجوزي ١٩٣

﴿ وَلَن تَسْتَطِيعُوٓاْ أَن تَعْدِلُواْ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْۖ فَلَا تَمِيلُواْ كُلَّ ٱلْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَٱلْمُعَلَّقَةِۚ وَإِن تُصْلِحُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٢٩﴾ ﴾

في هذه الآية إشارة إلى المبادرة في الحسم وإصلاح الشأن: إما بالوفاق أو الفراق، بعد أن تُتخذ الوسائل المشروعة، ولعل ذلك لا يقف عند مسألة الزوجية، بل يتعداه إلى أمور كثيرة من شأنها أن تعقد المشكلات، أو تنشئها إن لم تكن موجودة، فاللائق -في الأحوال التي لا يسوغ فيها التروي- أن تحسم الأمور ولا تظل معلقة؛ ليعرف كل طرف ما له وما عليه، ولئلا يبقى في النفوس أثر يزداد مع الأيام سوءًا.

د. محمد الحمد

﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَاۖ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُواْۚ وَإِن تَلْوُۥٓاْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾ ﴾

اختيار صيغة المبالغة ﴿قَوَّٰمِينَ﴾؛ دلالة على أنه ينبغي الصبر واحتمال مشقة إقامة العدل في شأن المسلم كله، مع نفسه ومع الآخرين، وأن ذلك لا يتم إلا بالصبر وتوطين النفس على العدل.

د. عبد الرحمن الشهري

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾ ﴾

دعوة صريحة لكل مؤمن أن يتعاهد إيمانه ويجدده؛ فإنه يبلى ويضعف وتصيبه الآفات، وفي الأثر: «**إن الإيمان ليَخلَق في جوف أحدكم كما يَخلَق الثوب الخَلِق، فاسألوا الله أن يجدد الإيمان في قلوبكم**»(١).

د. محمد الخضيري

﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُواْ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾ ﴾

---

(١) الحاكم ح (٥).

١) رفع لعمر بن عبدالعزيز قوم يشربون الخمر فأمر بجلدهم فقيل له: إن فيهم صائمًا، فقال: ابدأوا به! أما سمعتم الله يقول: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ﴾؟ فبين ﷺ أن الله جعل حاضر المنكر كفاعله.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى (٢٨/٢٢١)

٢) مفارقة المنكرات: يجب مغادرة المكان الذي يكفر فيه بآيات الله، ولا يبقى الإنسان ويقول: أنا مُنكِرٌ بقلبي! فلو صدق لقام؛ فالجوارح تبعٌ للقلب، فلو كره القلب لكرهته الجوارح!

ابن عثيمين، تفسير سورة النساء ٢/٣٥٥

٣) أعيذ بالله مسلمًا صام يومًا من رمضان طاعة لله، أن يجلس مجلسًا يشاهد فيه قناة تستهزئ بالله وآياته! وقد قال الله: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ﴾.

د. محمد الخضيري

﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَىٰ يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾﴾

١) في هذا الذم للمنافقين دليل على وجوب الطمأنينة في الصلاة، وتكميل ركوعها وسجودها وقيامها وقعودها؛ لأنَّ العبد لا يسلم من هذا الذم إلا بهذا التكميل والإخلاص لله تعالى.

السعدي، فتح الرحيم الملك العلام ١١٨

٢) إذا رأيت الصلاة ثقيلة عليك، حتى ولو كانت نافلة، فاعلم أن في قلبك نفاقًا؛ لأن هذا شأن المنافقين، الذين قال الله فيهم: ﴿وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَىٰ﴾، وإذا رأيت من قلبك خفة واستبشارًا، فاعلم أن هذا دليل على قوة إيمانك.

ابن عثيمين، شرح صحيح مسلم: (ح: ٦٥١)

٣) أيام عشر ذي الحجة: أيام ذكر وتكبير وصدقة، ومسابقة في الأعمال الصالحة، وقد وصف الله المنافقين بأنهم: ﴿وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ وأنهم: ﴿وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ﴾ التوبة: ٥٤ فاحذر أن تشابههم في صفة من صفاتهم.

أ. د. ناصر العمر

﴿ مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴿١٤٣﴾ ﴾

علامة النفاق: إذا وجدت نفسك مترددًا بين القبول والإنكار لحكمٍ شرعي، فاعلم أنَّ فيك شَبَهًا من المنافقين؛ لأن المؤمن لا يمكن أن يكون مترددًا.

ابن عثيمين، تفسير سورة النساء٣٦٩/٢

﴿ مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾ ﴾

١) قال مكحول الشامي: أربع من كن فيه كن له: الشكر والإيمان والاستغفار والدعاء، قال الله تعالى: ﴿ مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ﴾، وقال: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ (الأنفال: ٣٣)، وقال: ﴿ قُلْ مَا يَعْبَؤُا۟ بِكُمْ رَبِّى لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ ﴾ (الفرقان: ٧٧).

حلية الأولياء ٥/ ١٨١

٢) من الغرائب أن بعض الناس فهم أن الإسلام يمجد الآلام لذاتها، ويكرم الأوجاع والأوصاب ﴿ مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ﴾.

محمد الغزالي، خلق المسلم ١٢٠

﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾ ﴾

١) من أخطر آثار الذنوب!

والله سبحانه جعل مما يعاقب به الناس على الذنوب سلب الهدى والعلم النافع كقوله: ﴿وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ﴾، وقال: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ (الصف: ٥).

ابن تيمية، مجموع الفتاوى (١٥٢/١٤)

٢) فقوم هذا تاريخهم لا يستغرب منهم ما يفعلونه بإخواننا المسلمين! إنما الغرابة والعجب أن يُوثق بعهود مَن نقضوا عهودهم ومواثيقهم مع رب العالمين، وأن يؤتمن قتلة المرسلين.

﴿ فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾ ﴾

١) استقراء عالم: تحريم الشيء عقوبة وتأديبًا وقع في بعض الشرائع الماضية، كما قال تعالى: ﴿ فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ ﴾، ولكن لم يقع في الشريعة الإسلامية بحال.

محمد الخضر حسين، من تعليقاته على موافقات الشاطبي ٤٨/١

٢) ارتكاب الآثام سبيل السقوط والإهانة، ومزلقة إلى خزي الفرد والجماعة ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا﴾.

محمد الغزالي، خلق المسلم ١٨٢

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ ۚ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ۖ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ۖ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ ۚ انتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ ۚ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ ۘ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٧١﴾﴾

إطلاق العنان للتجربة الوجدانية، قد يؤدي إلى تجاوز النصوص التي هي حدود الله لضبط الوجدان الديني؛ وإذن يكون الانحراف والانجراف! هذا معطى أساسي لفهم (النفسية الغالية في الدين)!

د. فريد الأنصاري، البيان الدعوي ١٤٠

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴿١٧٤﴾﴾

١) فالقرآن هو عهد الله إلى الناس أجمعين، فهل عقدت عليه عزمك، وأبرمت عليه ميثاقك، أم أنك لا تزال من المترددين؟ نعم لك أن تنظر ماذا ترى، ولكن اعلم أن العمر لا ينتظرك، وأن الأرض تجري في دورتها الفلكية؛ لتلقي بك عن كاهلها قريبًا، فالبدار البدار قبل فوات الأوان.

د. فريد الأنصاري، مجالس القرآن ٩٤

٢) ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾ يستنير به: القلب، والوجه، والطريق إلى الله ﷻ.
فابحث عن أثر هذا النور في قلبك ووجهك وحياتك كلها.

ابن عثيمين

٣) ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾ لما مات ﷺ زار أبو بكر وعمر أم أيمن ﵂، فوجداها تبكي، فقالا: ألا تعلمين أن ما عند الله خير لرسول الله؟ قالت: بلى، ولكني أبكي لانقطاع الوحي من السماء!![1]

فتأمل جوابها العجيب، ثم انظر كم في المسلمين من تمر عليه الأيام والأشهر دون أن يتأثر قلبه لعدم اتصاله بهذا الوحي! فضلًا عن أن يبكي.

د. عمر المقبل

(١) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه ح(٣٧٠٢٧)، والبيهقي في السنن الكبرى (١٣٥٣٦).

سُورَةُ المَائِدَةِ

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ أُحِلَّتۡ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلۡأَنۡعَٰمِ إِلَّا مَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ غَيۡرَ مُحِلِّي ٱلصَّيۡدِ وَأَنتُمۡ حُرُمٌۗ إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ مَا يُرِيدُ ١﴾

تأمل -أيها المؤمن- في سطرين فقط، وفي آية واحدة: نداء وتنبيه، أمر ونهي، تحليل وتحريم، إطلاق وتقييد، تعميم واستثناء، وثناء وخبر، فسبحان من هذا كلامه!

د. عويض العطوي

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحِلُّواْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهۡرَ ٱلۡحَرَامَ وَلَا ٱلۡهَدۡيَ وَلَا ٱلۡقَلَٰٓئِدَ وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلۡبَيۡتَ ٱلۡحَرَامَ يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّن رَّبِّهِمۡ وَرِضۡوَٰنٗاۚ وَإِذَا حَلَلۡتُمۡ فَٱصۡطَادُواْۚ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ أَن صَدُّوكُمۡ عَنِ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ أَن تَعۡتَدُواْۘ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٢﴾

١) ما أحسن العبد -وهو ذاهب لأداء نُسكه- أن يستشعر هذه الآية: ﴿ءَآمِّينَ ٱلۡبَيۡتَ ٱلۡحَرَامَ يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّن رَّبِّهِمۡ وَرِضۡوَٰنٗا﴾؛ لعلَّ ذلك يحدوه إلى امتثالها، ودعاء الله بتحقيقها.

متدبر

٢) قال الماوردي: ندب الله سبحانه إلى التعاون على البر، وقرنه بالتقوى له، فقال سبحانه: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰ﴾؛ لأن في التقوى رضا الله تعالى، وفي البر رضا الناس، ومن جمع بين رضا الله تعالى ورضا الناس؛ فقد تمت سعادته وعمت نعمته.

تفسير القرطبي ٤٧/٦

٣) ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰ﴾ ولا فرق في أصل طلب التعاون بين أن يكون الخير من مصالح الحياة الدنيا -التي أذنت الشريعة بإقامتها- وأن يكون من وسائل السعادة في الأخرى.

محمد الخضر الحسين، رسائل الإصلاح ١٦٣/١

٤) قال جمهور الأئمة: لا يحل للمسلمين أن يبيعوا للنصارى شيئًا من مصلحة عيدهم: لا لحمًا ولا ثوبًا، ولا يعارون دابَّة، ولا يعاونون على شيء من دينهم؛ لأنَّ ذلك من تعظيم شركهم وعونهم على كفرهم، وينبغي للسلاطين أن ينهوا المسلمين عن ذلك؛ لأنَّ الله تعالى يقول: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى ٣٣٢/٢٥

﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُواْ بِٱلْأَزْلَٰمِ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣﴾﴾

١) قال رجل من اليهود لعمر: يا أمير المؤمنين، لو أنَّ علينا نزلت هذه الآية: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ لاتخذنا ذلك اليوم عيدًا، فقال عمر: إني لأعلم أيَّ يوم نزلت هذه الآية، نزلت يوم عرفة، في يوم جمعة(١).

والسؤال: كم هم المسلمون الذين يعرفون من قيمة هذه الآية ما عرفه هذا اليهودي؟!

٢) قال الإمام مالك بن أنس ﷺ: من أحدث في هذا الأمة شيئًا لم يكن عليه سلفًا، فقد زعم أن الرسول ﷺ خان الدين؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ فما لم يكن يومئذ دينًا، فلا يكون اليوم دينًا.

الإمام مالك بن أنس، الاعتصام للشاطبي ٥٣/٢

٣) أيام الحج أيام عظيمة، وفي مثلها نزلت آيات عظيمة، يقول بعضهم: «هذا يوم صلة الواصلين: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾، ويوم قطيعة القاطعين: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُۥ﴾ (التوبة:٣)، ويوم إقالة عثر النادمين وقبول توبة التائبين: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا﴾ (الأعراف:٢٣)، ويوم وفد الوافدين: ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا﴾ (الحج:٢٧)».

الرازي، مفاتيح الغيب ٣٢٦/٥

٤) في يوم عرفة نزل قوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾، «وهذه أكبر نعم الله تعالى على هذه الأمة حيث أكمل لهم دينهم، فلا يحتاجون إلى دين غيره، ولا إلى نبي غير نبيهم؛ ولهذا جعله الله خاتم الأنبياء، فلا حلال إلا ما أحله، ولا حرام إلا ما حرمه، ولا دين إلا ما شرعه».

ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ٢٦/٣

(١) أخرجه البخاري ح(٧٢٦٨)، ومسلم ح(٣٠١٧).

٥) من مظاهر الإعجاز البلاغي في القرآن إيثار لفظٍ بَدَلَ آخر، فتأمل -مثلًا-: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا﴾، فما السرُّ في التعبير عن الدين بالكمال، وعن النعمة بالتمام؟ السر -والله أعلم- أنَّ الكمال لا زيادة عليه، ومن هنا يعلم أنه لا زيادة في الدين؛ لأنه اكتمل، أما النعمة فعبر عنها بالتمام؛ لأنَّ التمام يقبل الزيادة ليصل إلى الكمال، ودليل ذلك أن النعم تختلف من زمن إلى آخر، فما يتنعم به بعض الفقراء اليوم لم يكن يحلم به هارون الرشيد في زمنه.

أ. د. محمد الصامل، مجلة بصائر العدد الأول ١٤٣٠هـ

٦) (٢٣سنة) هي الفاصلة بين هذه الآية التي نزلت في مثل هذا اليوم: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي﴾ وبين نزول: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ﴾ ﴿فَلۡيَدۡعُ نَادِيَهُۥ﴾ الآيات (العلق: ١-١٧)، فأين الشقي أبو جهل -ومن كان معه في نادي قريش-؟! ليروا جموع الحجيج على صعيد عرفات وقد جاؤوا من كل فج عميق!

د. عمر المقبل

٧) في الصحيحين أن يهوديًا قال لعمر ﷺ: لو علينا نزلت هذه الآية: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي﴾ الآية؛ لاتخذنا ذلك اليوم عيدًا، فأخبره عمر بعلمه بوقت نزولها[1]، والشاهد هنا: أن عمر لم يبتدع عيدًا موافقة لقول اليهودي؛ لعلم الفاروق أن الأعياد مبناها على النص الشرعي.

د. عمر المقبل

﴿يَسۡـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمۡۖ قُلۡ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ وَمَا عَلَّمۡتُم مِّنَ ٱلۡجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُۖ فَكُلُواْ مِمَّآ أَمۡسَكۡنَ عَلَيۡكُمۡ وَٱذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ عَلَيۡهِۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ٤﴾

١) ﴿وَمَا عَلَّمۡتُم مِّنَ ٱلۡجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ﴾، من شرف العلم: أنه لا يباح إلا صيد الكلب العالِم؛ فانظر حتى الكلاب تتمايز بالعلم!

ابن القيم، مفتاح دار السعادة ٥٥/١

٢) ﴿تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُ﴾ فيه دليل على أنَّ كلَّ آخذ علمٍ؛ عليه ألا يأخذه إلا من أتقن أهله علمًا، وأنحرهم دراية، وأغوصهم على لطائفه وحقائقه، وإن احتاج إلى أن يضرب إليه أكباد الإبل، فكم من آخذ من غير متقن قد ضيَّع أيامه، وعض عند لقاء النحارير إبهامه.

النسفي، مدارك التنزيل ٢٧٠/١

(١) سبق تخريجه.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ وَإِن كُنتُمۡ جُنُبٗا فَٱطَّهَّرُواْۚ وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوۡ جَآءَ أَحَدٞ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا طَيِّبٗا فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُم مِّنۡهُۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجۡعَلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ حَرَجٖ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمۡ وَلِيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ٦﴾

١) دلت آية الوضوء: على سبعة أصول، كلها مثنى: طهارتان: الوضوء والغسل. ومطهران: الماء والتراب. وحُكمان: الغسل والمسح. وموجبان: الحدث والجنابة. ومبيحان: المرض والسفر. وكنايتان: الغائط والملامسة. وكرامتان: تطهير الذنوب وإتمام النعمة.

البجيرمي، حاشيته على الخطيب ٤٥٧/١

٢) في قوله تعالى في ختام آية الوضوء: ﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجۡعَلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ حَرَجٖ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمۡ﴾ دلالة على أنَّه يُعفى عن كلِّ ما يشق التحرز منه من مبطلات الوضوء، وموانع كمال الطهارة.

د. إبراهيم الحميضي

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ٨﴾

نهى أن يحمل المؤمنين بغضهم للكفار على ألا يعدلوا عليهم؛ فكيف إذا كان البغض لفاسق أو مبتدع متأول من أهل الإيمان؟ فهو أولى أن يجب عليه ألا يحمله ذلك على ألا يعدل على مؤمن وإن كان ظالمًا له، فهذا موضع عظيم المنفعة في الدين والدنيا.

ابن تيمية، الاستقامة ٣٨/١

﴿۞ وَلَقَدۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَبَعَثۡنَا مِنۡهُمُ ٱثۡنَيۡ عَشَرَ نَقِيبٗاۖ وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مَعَكُمۡۖ لَئِنۡ أَقَمۡتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيۡتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِي وَعَزَّرۡتُمُوهُمۡ وَأَقۡرَضۡتُمُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَلَأُدۡخِلَنَّكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ فَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ مِنكُمۡ فَقَدۡ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ١٢﴾

الصلاة أعظم الأعمال، فإذا صَلَحَت صَلَحَ كل شيءٍ للإنسان دنيا وآخرة.. وفي أجواء الفتن التي نعيشها، وشدة الحاجة والأزمات، لا يحتاجُ الإنسان -إن كان مُتقِنًا لصلاته- لغير الله، وبفضل الله يكون الفرج: ﴿إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَوٰةَ﴾.

د. عبدالرحمن الدهش

﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣﴾﴾

١) عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: إن المرء قد ينسى بعض العلم بالمعصية، وتلا قوله تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ﴾.

النسفي، مدارك التنزيل ١/٢٧٩

٢) سئل سفيان بن عيينة رحمه الله: أيسلب العبدُ العلمَ بالذنب يُصيبه؟ قال: ألم تسمع قوله تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ﴾؟ وهو كتاب الله، وهو أعظم العلم، وهو حظهم الأكبر الذي صار لهم، واختصُّوا به، وصار حجَّة عليهم.

أخبار لحفظ القرآن لابن عساكر ٢٤

٣) مفهوم خاطئ للهزيمة:

العفو والتجاوز ليس هزيمةً كما يظن بعض الناس، وقد أشار ابن كثير رحمه الله لهذا المعنى فقال في تفسير قوله تعالى ﴿فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ﴾: «هذا هو عين النصر والظفر، كما قال بعض السلف: «ما عاملتَ من عصى الله فيك بمثل أن تطيع الله فيه»؛ وبهذا يحصل لهم تأليفٌ وجمعٌ على الحق، ولعل الله أن يهديهم».

تفسير القرآن العظيم ٣/٦٦

﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٨﴾﴾

ذكر ابن كثير أن بعض الشيوخ قال لصاحبه: أين تجد في القرآن أن الحبيب لا يعذب حبيبه؟ فلم يجب! فتلا الشيخ: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ﴾، علق ابن كثير قائلًا: «وهذا الذي قاله حسن».

تفسير القرآن العظيم ٦٩/٣

﴿ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ﴿٢٢﴾ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُوا۟ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾

١) إذا تخاذل الناس فليكن لك موقفُ صدقٍ، تأمَّل في قصة فتح بيت المقدس وكيف قال بنو إسرائيل لموسى ﷺ: ﴿إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ﴾ فحفظ القرآن موقف رجال الصدق في هذا المشهد المليء بالتخذيل: ﴿ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُوا۟ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ ﴾.

د. محمد الربيعة

٢) إذا انغلق عليك أمر مشروع، أو ترددت فيه؛ شكًّا في عدم قدرتك عليه؛ فاعزم وتوكل: ﴿فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾.

أ. د. ناصر العمر

﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِى وَأَخِى ۖ فَٱفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾

فراق الفجرة من شيم البررة؛ لأن جليس السوء كصاحب الكير.

العز بن عبد السلام، شجرة المعارف والأحوال ٢٥٥

﴿ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ ۛ أَرْبَعِينَ سَنَةً ۛ يَتِيهُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾ ﴾

١) تأمل هاتين الآيتين: ﴿فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ ۛ أَرْبَعِينَ سَنَةً ﴾ و ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً ﴾ تدرك أن (الأربعين) قد انقرض فيها جيل الهزيمة ﴿إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴾ ونشأ جيل بلغ الأشد والاستواء؛ فكان على أيديهم فتح بيت المقدس، بقيادة يوشع بن نون، أحد الرجلين المتفائلين الواثقين بنصر الله، فلا يأس من روح الله.

أ. د. ناصر العمر

٢) قف وتدبر قصة التيه، وموقف بني إسرائيل من موسى وهارون عليهما السلام بعد هذه المسيرة الطويلة، والجهاد العظيم؛ تجد فيها تسلية وعزاء لكل عالم وداعية وإمام، وهي برهان على الثبات على المنهج من قِبَل الرواد والأئمة، مهما كان التجاوب الظاهر سلبيًا ﴿فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾.

أ. د. ناصر العمر

٣) لما رفض قوم موسى عليه السلام دخول بيت المقدس! صدع رجلان بالحق، ومع أنهما لم يستطيعا تغيير الواقع، بل أصر القوم على التمرد؛ فقد أثنى الله عليهما، ودخل الساكتون المداهنون في الذم، فتدبر هذه القصة العجيبة: ﴿فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾.

أ. د. ناصر العمر

﴿۞ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْءَاخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾﴾

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: كونوا لقبول العمل أشد همًّا منكم بالعمل، ألم تسمعوا الله يقول: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾.

الإخلاص والنية لابن أبي الدنيا ٣٩

﴿فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٣٠﴾ فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِى سَوْءَةَ أَخِيهِ ۚ قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِىَ سَوْءَةَ أَخِى ۖ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ﴿٣١﴾﴾

١) هذا المشهد العظيم هو:

١- مشهد أول حضارة في البشر، وهي من قبيل طلب ستر المشاهد المكروهة.

٢- ومشهد أول علم اكتسبه البشر بالتقليد وبالتجربة.

٣- ومشهد أول مظاهر تلقي البشر معارفه من عوالم أضعف منه كما تشبه الناس بالحيوان في الزينة، فلبسوا الجلود الحسنة الملونة وتكللوا بالريش الملون.

فكم في هذه الآية من عبرة للتاريخ والدين والخلق!

ابن عاشور، التحرير والتنوير ١٧٤/٦

٢) ﴿فَقَتَلَهُۥ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾، ﴿فَعَقَرُوهَا فَأَصۡبَحُواْ نَٰدِمِينَ﴾ (الشعراء: ١٥٧)، لم يكن بين قوة الدافع لارتكاب الجريمة والانتقام، وطغيان الشعور بالزهو والانتصار، وبين الندم والخسران، والبؤس والكآبة: سوى لحظات فعل الجريمة وتنفيذها، فيا طول حسرة المتعجلين!

أ. د. ناصر العمر

٣) ﴿فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ﴾، حتى ولو أخفى القاتل مشاعره، فرحى الجريمة تطحنه، وصوت الفعلة النكراء يضج في داخله.

د. عبدالله بن بلقاسم

﴿يُرِيدُونَ أَن يَخۡرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنۡهَاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّقِيمٞ ٣٧﴾

درتان من عقد بيان ابن تيمية ﷺ:

الأولى: ﴿وَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّقِيمٞ﴾: ففيها إشارة إلى ما هو لازم لهم في الدنيا والآخرة من الآلام النفسية: غمًا وحزنًا وظلمة قلب، فللكفر والمعاصي من الآلام العاجلة الدائمة ما الله به عليم؛ ولذا نجد غالب هؤلاء لا يطيبون عيشهم إلا بما يزيل العقل، ويلهي القلب: من تناول مسكر، أو سماع مطرب، ونحو ذلك..

الدرة الثانية: وفي مقابل ما حكاه الله عن الكافرين؛ قوله في المؤمنين: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُ﴾ (التوبة:٧١) فإن الله يعجل للمؤمنين من الرحمة في قلوبهم، وغيرها، بما يجدونه من حلاوة الإيمان ويذوقونه من طعمه، وانشراح صدورهم للإسلام، إلى غير ذلك من السرور بالإيمان، والعلم، والعمل الصالح، بما لا يمكن وصفه.

اقتضاء الصراط المستقيم ٩٧/١

﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقۡطَعُوٓاْ أَيۡدِيَهُمَا جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلٗا مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٣٨﴾

قد لا تُختم الآية الكريمة بأسماء الله الحسنى صراحة، ولكن قد تذكر فيها أحكام تلك الأسماء، كقوله تعالى -لما ذكر عقوبة السرقة، فإنه قال في آخرها-: ﴿نَكَٰلٗا مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٣٨﴾، أي: عز وحكم فقطع يد السارق، وعز وحكم فعاقب المعتدين شرعًا، وقدرًا، وجزاء.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن ٢٣٠

﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ ۛ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ ۛ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ ۖ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَٱحْذَرُواْ ۚ وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٤١﴾ ﴾

١) يخلط كثيرون بين الحذر وبين الخوف، والمتدبر للقرآن يجد أن الحذر جاء بصيغة الأمر ﴿فَٱحْذَرُواْ﴾، وأن الخوف جاء بصيغة النهي ﴿أَلَّا تَخَافُواْ﴾ (فصلت: ٣٠)، والفرق بينهما أن الحذر يكون مع العمل والإقدام، والخوف يولد القعود والإحجام، فجاء الأمر في (الأول)، والنهي عن (الثاني) فتأمل.

أ. د. ناصر العمر

٢) ليس من شأننا أن نُسمع الصم أو نهدي العمي، ولا الذين يجعلون أصابعهم في آذانهم، فإذا هم لا يسمعون، أو يضعون أكفهم على أعينهم، فإذا الشمس الطالعة ليست بطالعة: ﴿وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾، وإنما سبيلنا أن ننصب الحجة لجاهلها من طلاب الحق، ونوضح الطريق لسابلها من رواد اليقين.

د. محمد دراز، النبأ العظيم ٩٨

٣) حين ترى حقًّا أبلق، وعمًى مطبقًا، فتذكّر قول الحق: ﴿وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ﴾.

د. عبدالله السكاكر

٤) القلب لا يدخله حقائق الإيمان إذا كان فيه ما ينجسه من الكبر والحسد، قال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ﴾ وقال تعالى: ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِىَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُواْ بِهَا وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ ٱلْغَىِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ﴾ (الأعراف: ١٤٦) وأمثال ذلك.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى ٢/٢٠٨

﴿سَمَّٰعُونَ لِلۡكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحۡتِۚ فَإِن جَآءُوكَ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُمۡ أَوۡ أَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡۖ وَإِن تُعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيۡـٔٗاۖ وَإِنۡ حَكَمۡتَ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِٱلۡقِسۡطِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ٤٢﴾

﴿سَمَّٰعُونَ لِلۡكَذِبِ﴾ إذا كان ربنا تعالى قد عاب سماع الكذب، فما ظنك بالكذب نفسه؟ والغيبة والنميمة والبهتان؛ لأن مجرد سماع الكذب يفضي لشر كثير، أوله: مرض القلب بالشبهة، ثم تتأثر الجوارح -بعد ذلك- تبعًا لتأثر القلب.

متدبر

﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا هُدٗى وَنُورٞۚ يَحۡكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسۡلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلۡأَحۡبَارُ بِمَا ٱسۡتُحۡفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ عَلَيۡهِ شُهَدَآءَۚ فَلَا تَخۡشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخۡشَوۡنِ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗاۚ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ٤٤﴾

عن أبي المثاب القاضي قال: كنت عند القاضي إسماعيل يومًا؛ فسئل: لِمَ جاز التبديل على أهل التوراة، ولم يجز على أهل القرآن؟ فقال: قال الله- تعالى- في أهل التوراة: ﴿بِمَا ٱسۡتُحۡفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾، فوكل الحفظ إليهم. وقال في القرآن: ﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ (الحجر: ٩)، فلم يجز التبديل عليهم!

تاريخ قضاة الأندلس ٣٣/١

﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَمُهَيۡمِنًا عَلَيۡهِۖ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُۖ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ لِكُلّٖ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةٗ وَمِنۡهَاجٗاۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَلَٰكِن لِّيَبۡلُوَكُمۡ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمۡۖ فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ ٤٨﴾

١) ففي شريعته ﷺ من اللين والعفو والصفح ومكارم الأخلاق، أعظم مما في الإنجيل، وفيها من الشدة والجهاد، وإقامة الحدود على الكفار والمنافقين، أعظم مما في التوراة، وهذا هو غاية الكمال؛ ولهذا قال بعضهم: «بعث موسى بالجلال، وبعث عيسى بالجمال، وبعث محمد بالكمال».

ابن تيمية، الجواب الصحيح ٨٦/٥

٢) إذا كان الله تعالى يريد هيمنة القرآن على بقية الكتب السماوية، رغم كونها جميعًا كتب الخالق سبحانه؛ فكيف بمن يقاوم هيمنة القرآن على كتب المخلوقين، ودساتير البشر؟!

إبراهيم السكران

﴿ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾

١) كل حكم يخالف شريعة الله، فهو من فصيلة أحكام الجاهلية: ﴿ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾.

محمد الخضر حسين، مجموع مؤلفاته ٢١٦٢/٥

٢) أضيف لفظ ﴿ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾ في القرآن إلى أربع كلمات: ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾، ﴿ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾ (آل عمران:١٥٤)، ﴿تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾ (الأحزاب:٣٣)، ﴿حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾ (الفتح:٢٦)، فالأول يأتي من فساد النظم، والثاني من فساد التصورات والمشاعر، والثالث من فساد اللباس لدى المرأة، والرابع من العصبيات والموروثات الفاسدة.

عبدالعزيز العومي

٣) ها هم يبحثون عن حلول الأرض لعقوبات السماء، لقد فشل هؤلاء في بناء نظام يحفظ هذا المال الذي يعبدونه، والذي هو منتهى نظرهم ومدار فكرهم، وتالله إنهم لفي بناء النظام الاجتماعي والتربوي والقانوني أفشل، وهو درس لمن طلب هدايته من الضالين، أو رأى مصلحته في غير شرع الحكيم الخبير.

﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ ﴾

علاقة الكافر بالكافر وإن كانت في الأصل موجودة: ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ لكنها في الحقيقة هزيلة؛ لضعف الرابطة وعدم أصالتها: ﴿وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ﴾ (البقرة:١٤٥)، وفي الآخرة تنهار هذه الرابطة: ﴿وَقَالُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾ رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا﴾ (الأحزاب: ٦٧-٦٨).

د. عبدالله الجلالي، العلاقات الاجتماعية في القرآن ١٧٨

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ (٥٤) ﴾

١) من أعجب الأشياء أن تعرفه ثم لا تحبه، وأن تسمع داعيَه ثم تتأخر عن الإجابة، وأن تعرف قدر الربح في معاملته ثم تعامل غيره! وأعجب من كل ذلك.. علمك أنَّك لا بد لك منه، وأنك أحوجُ شيءٍ إليه، وأنت عنه مُعرِض، وفيما يبعدك عنه راغب!

ابن القيم، الفوائد ٦٢

٢) الحب في قاموس أهل القرآن لا يضاهيه أي حب، إنه حب يتَّصل بالملكوت الأعلى: ﴿ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾، وإمامهم فيه محمد ﷺ: ﴿ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ ﴾ (آل عمران:٣١)، فلا ينقضي عجبك حين يغفل بعض المسلمين عن هذا الحب الذي لا ينقطع لحظة واحدة، وينشطون لحبٍّ يتذاكرونه مرة كل سنة، وإمامهم فيه قسيس نصراني يدعى (فلنتاين)، ﴿ أَتَسۡتَبۡدِلُونَ ٱلَّذِي هُوَ أَدۡنَىٰ بِٱلَّذِي هُوَ خَيۡرٌ ﴾ (البقرة:٦١)؟

د. عمر المقبل

﴿ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ (٥٦) ﴾

هذه بشارة عظيمة لمن قام بأمر الله وصار من حزبه وجندِه؛ أنَّ له الغلبة، وإن أديل عليه في بعض الأحيان -لحكمة يريدها الله تعالى- فآخر أمره الغلبة والانتصار، ومن أصدق من الله قيلًا؟

السعدي، تيسير الكريم الرحمن ٢٣٦

﴿ لَوۡلَا يَنۡهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلۡأَحۡبَارُ عَن قَوۡلِهِمُ ٱلۡإِثۡمَ وَأَكۡلِهِمُ ٱلسُّحۡتَۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ (٦٣) ﴾

فليفتح العلماء لهذه الآية مسامعهم ويفرجوا لها عن قلوبهم؛ فإنها قد جاءت بما فيه البيان الشافي لهم بأن كفهم عن المعاصي مع ترك إنكارهم على أهلها لا يسمن ولا يغني من جوع، بل هم أشد حالًا وأعظم وبالًا من العصاة.

الشوكاني، فتح القدير ٢/ ٦٤

﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغۡلُولَةٌۚ غُلَّتۡ أَيۡدِيهِمۡ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْۘ بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيۡفَ يَشَآءُۚ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرٗا مِّنۡهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ طُغۡيَٰنٗا وَكُفۡرٗاۚ وَأَلۡقَيۡنَا بَيۡنَهُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ كُلَّمَآ أَوۡقَدُواْ نَارٗا لِّلۡحَرۡبِ أَطۡفَأَهَا ٱللَّهُۚ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادٗاۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿٦٤﴾﴾

١) سمعت العلامة ابن باز يبكي لما قرئ عليه قوله تعالى عن أهل الكتاب: ﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرٗا مِّنۡهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ طُغۡيَٰنٗا وَكُفۡرٗا﴾ ويقول: نعوذ بالله من الخذلان! بدلًا من أن يزيدهم القرآن هدى وتقى، زادهم طغيانًا وكفرًا! وهذا بسبب إعراضهم وعنادهم وكبرهم، فاحذر يا عبدالله من ذلك حتى لا يصيبك ما أصابهم.

د. عمر المقبل

٢) تدبر كم في القرآن من ذكر لجرائم اليهود:

في حق الله: ﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغۡلُولَةٌۚ﴾.

وملائكته: ﴿مَن كَانَ عَدُوّٗا لِّجِبۡرِيلَ﴾ (البقرة:٩٧).

وكتبه: ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ مِنۢ بَعۡدِ مَوَاضِعِهِۦۖ﴾ (المائدة:٤١).

ورسله: ﴿فَفَرِيقٗا كَذَّبۡتُمۡ وَفَرِيقٗا تَقۡتُلُونَ﴾ (البقرة:٨٧).

والمؤمنين: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةٗ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلۡيَهُودَ﴾ (المائدة:٨٢).

البلاد والعباد: ﴿كُلَّمَآ أَوۡقَدُواْ نَارٗا لِّلۡحَرۡبِ أَطۡفَأَهَا ٱللَّهُۚ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادٗا﴾ (المائدة:٦٤).

أليسوا هم بذلك رؤوس الإرهاب بلا ارتياب؟

﴿وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَكَفَّرۡنَا عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ وَلَأَدۡخَلۡنَٰهُمۡ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ
﴿٦٥﴾ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ أَقَامُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِم مِّن رَّبِّهِمۡ لَأَكَلُواْ مِن فَوۡقِهِمۡ وَمِن تَحۡتِ
أَرۡجُلِهِمۚ مِّنۡهُمۡ أُمَّةٞ مُّقۡتَصِدَةٞۖ وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ سَآءَ مَا يَعۡمَلُونَ ﴿٦٦﴾﴾

النعيم في الآخرة يُنال بالإيمان والتقوى، والنعيم في الدنيا يُنال بإقامة حكم الله في الأرض.

متدبر

﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٧٧﴾﴾

من لم يتيقن صحة الطريق، فتراه مرة ذات اليمين، ومرة ذات الشمال، فكيف يهدي غيره سواء السبيل؟

أ. د. ناصر العمر

﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾﴾

١) إن القرآن ليحدثنا أن شعبًا قديمًا قد تعرضوا للعنة على ألسنة الأنبياء، وكان كل ذنبه -حتى يستحق هذه اللعنة-: أن المجتمع لم ينكر على بعض أعضائه فعلهم للشر!

محمد دراز، دستور الأخلاق في القرآن ١٥٥

٢) لو سكت أهل الحق عن بيان الحق، لاستمر المخطئون على أخطائهم، وقلدهم غيرهم في ذلك، وباء الساكتون بإثم الكتمان.

ابن باز، مجموع فتاواه ٧٢/٣

﴿۞ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾﴾

دعا حاخام أمريكي لإبادة العرب ومقدساتهم، وذلك في العدد الأخير من مجلة «مومنت» الأمريكية (يونيو ٢٠٠٩) في زاوية «اسألوا الحاخامات»، وأضاف فريدمان، الحاخام بمعهد «بياس تشانا» للدراسات اليهودية: «الطريقة الوحيدة لخوض حرب أخلاقية هي الطريقة اليهودية: دمروا مقدساتهم، واقتلوا رجالهم ونساءهم وأطفالهم ومواشيهم... فعند تدمير مقدساتهم سوف يتوقفون عن الاعتقاد بأنَّ الرب إلى جانبهم»، وصدق الله: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ﴾.

﴿ وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ ۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾

هذا وصف حالهم، وحكاية مقالهم، ومن لم يكن كذلك فليس على هديهم ولا على طريقهم.

القرطبي، التذكار في أفضل الأذكار ١٥٩

﴿ لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓا۟ إِذَا مَا ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟ ثُمَّ ٱتَّقَوا۟ وَّأَحْسَنُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٣﴾ ﴾

قال العلامة السعدي ﷺ: تأملت في تكرار التقوى ثلاث مرات في هذه الآية، فوقع لي وجهين:

١- أحدهما: أن الأول للماضي والثاني للحال والثالث في المستقبل.

٢- الثاني: أن الأول في مقام الإسلام والثاني في مقام الإيمان والثالث في مقام الإحسان: والمؤمن لا تكمل تقواه حتى يترك ما حرم الله ولا يتم دينه إلا بهذه المقامات الثلاثة .

المواهب الربانية ١٢٨ - ١٢٩

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَيَبْلُوَنَّكُمُ ٱللَّهُ بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلصَّيْدِ تَنَالُهُۥٓ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَخَافُهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٤﴾ ﴾

١) ﴿لِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَخَافُهُۥ بِٱلْغَيْبِ﴾ جاءت في سياق آيات منع المُحرِم من الصيد، وفيها تربية للنفس على ترك المباح في أصله -وهو الصيد- الذي حُرّم مؤقتًا؛ طاعةً لله، وتأمل كلمة: ﴿بِٱلْغَيْبِ﴾ ففيه تنبيه على نية من يصيد، ومن يُصاد له.

أ. د. محمد العواجي

٢) الأمن في الحج:

تأمل التهديد العظيم لمن عاد -بعد نهي الشرع له- إلى قتل الصيد وهو محرم، أو في حدود الحرم: ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ فإذا كان من يقتل حمامة أو أرنبًا فهذا جزاؤه! فماذا يكون جزاء من قتل مسلمًا أو اعتدى عليه؟!

د. عمر المقبل

﴿ ۞ جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَٰمًا لِّلنَّاسِ وَٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَٱلْهَدْىَ وَٱلْقَلَٰٓئِدَ ۚ ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٩٧﴾ ﴾

١) الحج قوام الدين والدنيا: يقول ابن جرير ﷺ في قوله تعالى: ﴿جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَٰمًا لِّلنَّاسِ وَٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَٱلْهَدْىَ وَٱلْقَلَٰٓئِدَ﴾: «كانت هذه الأربع قوام أمر العرب -الذي كان به صلاحهم في الجاهلية-، وهي في الإسلام لأهله معالم حجهم، ومناسكهم، ومتوجههم لصلاتهم وقبلتهم التي باستقبالها يتم فرضهم».

جامع البيان ٩/ ٩

٢) إنما كانت الكعبة قيامًا للناس -وهم العرب-؛ لأنها كانت سبب هدايتهم إلى التوحيد، واستبقت الحنيفية في مدة جاهليتهم، فلما جاء الإسلام كان الحج إليها من أفضل الأعمال، وبه تكفر الذنوب، فكانت الكعبة -بهذا- قيامًا للناس في أمور أُخراهم بمقدار تمسُّكهم بما جعلت الكعبة له قيامًا. وقد عطف (الشهر الحرام) على (الكعبة) باعتبار كون الكعبة أريد بها ما يشمل علائقها وتوابعها؛ فإن الأشهر الحرم ما اكتسبت الحرمة إلا من حيث هي أشهر الحج والعمرة للكعبة.

ابن عاشور، التحرير والتنوير ٣٨٣/٤

﴿ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٨﴾ ﴾

إن الإنسان محتاج دائمًا إلى منشطات الأمل وكوابح الغرور، فإن يأسه من النجاح يقوده إلى السقوط، واغتراره بما عنده يمنعه السبق؛ ولذا كان من سنن القرآن الجمع بين الوعد والوعيد، كما في قوله: ﴿ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ ليظل الإنسان دائمًا محكومًا بمشاعر الخوف والرجاء.

محمد الغزالي، التفسير الموضوعي ٣٦٣

﴿ فَإِنْ عُثِرَ عَلَىٰٓ أَنَّهُمَا ٱسْتَحَقَّآ إِثْمًا فَـَٔاخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا ﴾إلى قوله: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ ﴾

١) في أواخر سورة المائدة ذكر الله ﷻ التحريف في الوصية: ﴿ فَإِنْ عُثِرَ عَلَىٰٓ أَنَّهُمَا ٱسْتَحَقَّآ إِثْمًا فَـَٔاخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا ﴾ ثم أتبعه بتحريف من نوع آخر، وهو تحريف النصارى لوصية عيسى بالتوحيد: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ ﴾.

متدبر

٢) ﴿سُبۡحَٰنَكَ﴾ هكذا افتتح عيسى عليه السلام جوابه الذي تبرأ فيه من التثليث، مبينًا منهج الداعية فيما يأتي من الأقوال ويدع: ﴿مَا يَكُونُ لِيٓ أَنۡ أَقُولَ﴾ وقوله: ﴿مَا قُلۡتُ لَهُمۡ إِلَّا مَآ أَمَرۡتَنِي بِهِۦٓ﴾ مستحضرًا في ذلك علم الله ومراقبته: ﴿إِن كُنتُ قُلۡتُهُۥ فَقَدۡ عَلِمۡتَهُۥۚ تَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِي وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَۚ﴾ فوفقه ربه للأدب معه، وتعظيمه ومراقبته ومعرفة القول المشروع واجتناب الممنوع.

د. عبدالله الغفيلي

٣) تأمل قول عيسى عليه السلام: ﴿سُبۡحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنۡ أَقُولَ مَا لَيۡسَ لِي بِحَقٍّۚ﴾ وانظر واقع بعض المتبوعين في قول غير الحق؛ لتدرك سر الانحراف، وتحملهم وزر ضلال كثير من المسلمين.

أ. د. ناصر العمر

﴿إِن تُعَذِّبۡهُمۡ فَإِنَّهُمۡ عِبَادُكَۖ وَإِن تَغۡفِرۡ لَهُمۡ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ١١٨﴾

١) قام نبيك ﷺ ليلة كاملة بآية يرددها حتى أصبح، وهي: ﴿إِن تُعَذِّبۡهُمۡ فَإِنَّهُمۡ عِبَادُكَۖ وَإِن تَغۡفِرۡ لَهُمۡ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾[1]؛ لذا قال ابن القيم رحمه الله: «فإذا مر بآية -وهو محتاج إليها في شفاء قلبه- كررها ولو مئة مرة، ولو ليلة! فقراءة آية بتفكر وتفهم، خير من قراءة ختمة بغير تدبر وتفهم، وأنفع للقلب، وأدعى إلى حصول الإيمان، وذوق حلاوة القرآن».

مفتاح دار السعادة ١/ ١٨٧

٢) إذا انفتح قلبك فقف! والمراد: أنك إذا وجدت قلبك قد تأثر بآية، وانفتح لها، فقف وكررها كثيرًا، فقد بقي نبيك ﷺ يردد آية ليلة كاملة حتى أصبح[2]، هي خواتيم سورة المائدة: ﴿إِن تُعَذِّبۡهُمۡ فَإِنَّهُمۡ عِبَادُكَۖ﴾.

٣) التأمل في الأسماء الحسنى التي تختم بها الآيات الكريمة من مفاتيح فهم القرآن وتدبره، ومثاله: قوله تعالى: ﴿إِن تُعَذِّبۡهُمۡ فَإِنَّهُمۡ عِبَادُكَۖ وَإِن تَغۡفِرۡ لَهُمۡ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ١١٨﴾، فلم تختم الآية بقوله: (الغفور الرحيم)؛ لأن المقام مقام غضب وانتقام ممن اتخذ إلهًا مع الله، فناسب ذكر العزة والحكمة، وصار أولى من ذكر الرحمة.

ابن سعدي، القواعد الحسان ٥٧

(١) أخرجه النسائي ح(١٠١٠)، وابن ماجه ح (١٣٥٠).

(٢) سبق تخريجه.

سُورَةُ الأَنْعَامِ

من المفاتيح المعينة على تدبر القرآن: معرفة مقصد السورة، أي: موضوعها الأكبر الذي عالجته، فمثلًا: سورة النساء تحدثت عن حقوق الضعفة: كالأيتام، والنساء، والمستضعفين في الأرض، وسورة المائدة في الوفاء بالعقود والعهود مع الله ومع العباد، بينما سورة الأنعام -هي كما قال أبو إسحاق الإسفراييني-: «فيها كل قواعد التوحيد»[1] وقس على ذلك.

د. عصام العويد

﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴿٣﴾ ﴾

من مفاتيح التدبر: معرفة الوقف والابتداء.

لو قرأت قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾ ثم وقفت، ثم استأنفت وقلت: ﴿ وَفِي ٱلْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ ﴾ فسيظهر من جلال الآية وعظمتها أنه سبحانه مع كونه في السموات، فإنه يعلم سركم وجهركم في الأرض، فليس علوه في السموات بمانع من علمه بسركم وجهركم في الأرض.

ابن عثيمين، شرح عقيدة أهل السنة والجماعة (شريط ٢)

﴿ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ ﴾

في الآية أن المحروم لا ينفع معه علاج، نعوذ بالله من الحرمان.

د. صالح البهلال

﴿ ۞ وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِي ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣﴾ ﴾

وما تحرَّك، لكنه خص السكون بالذكر؛ لأنه أغلب حالي المخلوقات من الحيوان والجماد، وكل متحرك فمصيره للسكون.

د. عبدالرحمن الشهري

(١) حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي ٣/٣٠٧.

﴿قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾﴾

حفظها القرآن في ثلاثة مواضع عن نبينا ﷺ لما أريد على دينه ورسالته، فما أحوج المؤمن أن يعلنها مدوية كلما أريد على دينه، أو عرضت له معصية تقطعه عن سيره إلى الله تعالى.

د. عمر المقبل

﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾﴾

قال عامر بن عبد قيس: آيات في كتاب الله إذا ذكرتهن، لا أبالي على ما أصبحت أو أمسيت: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ﴾، ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ (فاطر: ٢)، ﴿سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ (الطلاق: ٧)، ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾ (هود: ٦).

الدر المنثور ٥/٧

﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٨﴾﴾

إنما قال: ﴿فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾؛ لأنه وصف نفسه بقهره إياهم، ومن صفة كُلِّ قاهرٍ شيئًا أن يكون مستعليًا عليه.

الطبري، جامع البيان ١١/ ٢٨٨

﴿ٱنظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ ۚ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾﴾

فهم أرادوا الكذب على الله، ولكن صدَّقوا أنفسهم بما كذَّبوا به، فحقيقة الكذب ما صدَّقه المكذوب عليه وأضرَّه، ومن أسوء أنواع الكذب: أن يصدِّق الإنسان كذِبَ نفسه ويجر الضرر على ذاته؛ ولذا جاء في سياق التعجب من سوء حالهم، أما الله سبحانه فلن يضرَّه ذلك شيئًا؛ لأنه يعلم كذبهم: ﴿وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَـٰذِبُونَ﴾ (التوبة:١٠٧).

أ. د. ناصر العمر

﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ ۖ وَإِن يُهْلِكُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾﴾

﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ﴾ عرف الكفار عظيم تأثير هذا القرآن؛ فلم يكتفوا بإعراضهم عنه، بل اجتهدوا في صد الناس عنه بكل وسيلة؛ فصار نشر القرآن -حفظًا، وتدبرًا، وتعليمًا- من أعظم درجات الجهاد: ﴿وَجَـٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا﴾ (الفرقان:٥٢).

د. عمر المقبل

﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا۟ يَـٰحَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ ۚ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٣١﴾﴾

١) ﴿يَـٰحَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا﴾، هذا مشهد من مشاهد حسرات الكفار التي يتألمون فيها يوم القيامة على تفريطهم في أيام المهلة، وها هي الأزمنة الفاضلة تبلغنا؛ فلنحذر أن نقف موقف الندم غدًا إذا فرطنا فيها!

د. عمر المقبل

٢) قضاء الأوقات بالاستمتاع بغير ما يقربك من الله؛ هو اختزال وتقصير لعمرك الذي وهبك الله إياه، وإضاعة لمنحة ربانية لا تتكرر أبدًا. فيا طول حسرة الغافلين والمفرطين: ﴿قَالُوا۟ يَـٰحَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا﴾!

أ. د. ناصر العمر

﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ ۖ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَـٰكِنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾﴾

من المهم أن يدرك خصمك في قرارة نفسه أنك صادق في دعوتك، ثابت على منهجك، ولو خالفك وآذاك ورماك بأبشع التهم، تدبر هذه الآيات: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ ۖ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ﴾، ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾(النمل:١٤)، ﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَـٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ﴾ (الإسراء:١٠٢).

أ. د. ناصر العمر

﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَـٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَـٰبِ مِن شَىْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾﴾

١) لو اقتصر على ذكر الطائر فقال: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ﴾؛ لكان ظاهر العطف يوهم «ولا طائر في الأرض»؛ لأن المعطوف عليه إذا قُيِّد بظرف أو حال تقيّد به المعطوف، فكان ذلك يوهم اختصاصه بطير الأرض الذي لا يطير بجناحيه: كالدجاج والإوزّ والبط ونحوها؛ فلما قال: ﴿يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ﴾ زال هذا التوهم، وعُلِم أنه ليس الطائر مقيدًا بما تقيدت به الدابة.

ابن تيمية، جامع مسائل شيخ الإسلام ٣٣٩

٢) قال سفيان بن عيينة ﷺ: ما في الأرض آدمي إلا وفيه شبه من بعض البهائم: فمنهم من يقدم كالأسد، ومنهم من يعدو كالذئب، ومنهم من ينبح كالكلب، ومنهم من يتطوّس كالطاووس، ومنهم من يشبه الخنزير، فإنه لو ألقي إليه الطعام الطيب تركه، وإذا رأى القذر ولغ فيه، فكذلك نجد من الآدميين من لو سمع خمسين حكمة لم يحفظ واحدة منها، فإن أخطأت مرّة واحدة حفظها، واستحسنه الخطابي، وقال: فإنك إنما تعاشر البهائم والسباع، فبالغ في الحذار والاحتراز.

مفاتيح الغيب (١٢/٥٢٥-٥٢٦)

٣) ذكر القرطبي في تفسيره أن بعض الطاعنين في القرآن قال: إن الله تعالى يقول في كتابكم: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ﴾ فأين ذكر التوابل المصلحة للطعام من الملح والفلفل وغير ذلك؟ فقيل له في قوله: ﴿بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ﴾ (البقرة:١٦٤) .

الجامع لأحكام القرآن ٢/١٩٦

٤) ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ﴾ اشتمل القرآن على كل شيء، أما أنواع العلوم فليس مسألة إلا وفي القرآن ما يدل عليها، وفيه علم عجائب المخلوقات، وملكوت السموات والأرض، وما في الأفق الأعلى، وما تحت الثرى، وأسماء مشاهير الرسل والملائكة، وأخبار الأمم، وفيه بدء خلق الإنسان إلى موته، وكيفية قبض الروح وما يفعل بها، وعذاب القبر والسؤال فيه، ومقر الأرواح، وأشراط الساعة.

السيوطي، الإكليل (١٨)

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤٢﴾﴾

إذا ابتلى الله عبده بشيء من أنواع البلايا والمحن؛ فإن رده ذلك الابتلاء والمحن إلى ربه وجمعه عليه وطرحه ببابه؛ فهو علامة سعادته وإرادة الخير به ﴿فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ﴾.

ابن القيم، طريق الهجرتين ٢٥٩

﴿ فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾

تأمل واقع كثير من الناس اليوم مع هذه الفتن! ثم قف مع هذه الآية: ﴿ فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ هنا يخشى أن يحل بهؤلاء ما حل بأولئك؛ فتدبر الآية التي بعدها، وانجُ بنفسك.

أ. د. ناصر العمر

﴿ فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾

١) قال النبي ﷺ: «إذا رأيت الله يُعطي العبد من الدنيا على معاصيه ما يحب، فإنما هو استدراج» ثم تلا: ﴿ فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾(1)، قال قتادة رحمه الله: بَغَت القومَ أمرُ الله، وما أخذ الله قومًا قط إلا عند سلوتهم ونعمتهم وغرتهم.. فلا تغتروا بالله.

تفسير ابن أبي حاتم ١٢٩١/٤

٢) قال أبو حازم الأعرج: إذا رأيت الله يتابع نعمه عليك وأنت تعصيه، فإنما هو استدراج فاحذره، قال تعالى: ﴿ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (الأعراف: ١٨٢)، وقال تعالى: ﴿ فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴾.

الآداب الشرعية لابن مفلح ٢٣٢/٣

﴿ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾

بركة الوحي (الكتاب والسنة): متبع الوحي بصير، وفاقد الوحي أعمى: ﴿ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ﴾.

د. عبد المحسن المطيري

(١) أخرجه أحمد ح (١٧٣١١).

﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَىْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٢﴾﴾

الرجل الصالح قد يصل إلى درجة الظالمين، عندما يطرد الصالحين من مجلسه أو يؤذيهم.

محمد بن عبدالوهاب، تفسيره ٥٧

﴿وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ ۖ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۖ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٤﴾﴾

خرج المنذر بن سعد البلوطي -أحد علماء الأندلس- ليستسقي، فلما رأى حال الناس بكى ونشج، فسلم عليهم، ثم سكت متحسرًا -ولم تكن من عادته- فاندفع قارئًا قول الله: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ ۖ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾، وحث الناس على التوبة والاستغفار، فضجوا بالبكاء، ثم سقوا.

سير أعلام النبلاء ١٧٦/١٦

كم نحن بحاجة إلى حسن الظن بالله وإن وُجد منَّا تقصير، فليس لنا رب سوى الله.

﴿۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾﴾

بهذه الآية وأمثالها -التي تدل على أنَّ الغيب لا يعلمه إلا الله- أغلق القرآن جميع الطرق التي يراد بها التوصل إلى شيء من علم الغيب غير الوحي، وأن ذلك ضلال مبين، وبعضها قد يكون كفرًا.

الشنقيطي، أضواء البيان ٤٨٢/١

فهل يتدبر ذلك من طلب الغيب عبر الأبراج وقنوات الشعوذة؟

﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٨﴾﴾

مجالسة الفساق تبعث على مساوقة طباعهم ورديء أخلاقهم، وهو داء دفين قلَّ ما يتنبه له العقلاء فضلًا عن الغافلين، إذ قلَّ أن يجالس الإنسان فاسقًا مدة -مع كونه منكرًا عليه في باطنه- إلا لو قاس نفسه إلى ما قبل مجالسته، لوجد فرقًا في النفور عن الفساد؛ لأن الفساد يصير بكثرة المباشرة هينًا على الطبع، ويسقط وقعه واستعظامه.

الغزالي، إحياء علوم الدين ٢٣٠/٢

﴿ وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ وَذَكِّرْ بِهِۦٓ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌۢ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَآ ۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أُبْسِلُواْ بِمَا كَسَبُواْ ۖ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُواْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾

قال ابن عباس ﷺ: الضلالة لها حلاوة في قلوب أهلها، قال الله تعالى: ﴿ وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا ﴾، وقال تعالى: ﴿ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا ﴾ (فاطر:٨).

إحياء علوم الدين ١٥٧/١

﴿ قُلْ أَنَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُۥٓ أَصْحَٰبٌ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى ٱئْتِنَا ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۖ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ ﴾

كلما كان الإنسان موحدًا مخلصًا لله؛ كان أكثر اطمئنانًا وسعادة، وكلما كان بعيدًا عن الله؛ كان أكثر حيرة وضلالًا، اقرأ إن شئت: ﴿ قُلْ أَنَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ ﴾.

د. إبراهيم الدويش

﴿ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ ۖ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾

إنما قال: ﴿ هَٰذَا رَبِّى ﴾ مع كون الشمس مؤنثة؛ لأن مراده هذا الطالع.

الشوكاني، فتح القدير ١٥٣/٢

﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾

الأمن: الطمأنينة مع زوال سبب الخوف، كقوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾، والأَمَنَة: الطمأنينة مع وجود سبب الخوف كقوله تعالى: ﴿ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ ﴾ (الأنفال: ١١).

د. صلاح الخالدي، لطائف قرآنية ١٠٤ (بتصرف)

﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ ﴾

كما رفعنا درجات إبراهيم عليه السلام في الدنيا والآخرة، فإن العلم يرفع الله به صاحبه فوق العباد درجات، خصوصًا العالم العامل المعلم، فإنه يجعله الله إمامًا للناس بحسب حاله، تُرمق أفعاله، وتقتفى آثاره، ويستضاء بنوره.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن ٢٦٣

﴿ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦۚ وَلَوْ أَشْرَكُواْ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾

ذكر الله (١٨ نبيًّا) في سورة الأنعام، ثم قال: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُواْ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾، الإخلاص حقُّ الله المحض الذي لا حظَّ للنفس فيه، فهو مقام «تجريد التوحيد»!

مهند المعتبي

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَۚ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُواْ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾

١) لما فسر الإمام أحمد رحمه الله قوله تعالى: ﴿فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُواْ بِهَا بِكَٰفِرِينَ﴾ قال: هم أهل المدينة. علق ابن القيم على هذا فقال: أهل المدينة أول من وكل بها، ولمن بعدهم من الوكالة بحسب قيامه بها علمًا وعملًا ودعوةً إلى الله تعالى.

ابن القيم، بدائع الفوائد (١٧٢/٤)

٢) الإسلام رداء لا يوضع على الأرض، فإن نزعه قوم، ألبسه الله آخرين.

عبد العزيز الطريفي

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًاۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾

١) ﴿فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾ قال أبو عثمان النهدي: كانوا -يعني السلف- يعظمون ثلاث عشرات: العشر الأول من المحرم، والعشر الأول من ذي الحجة، والعشر الأواخر من رمضان.

قيام رمضان لمحمد بن نصر المروزي ٢٤٧

٢) تلك قافلتهم ما تزال سائرةً يا صاح! وهذه الخِفاف ما تزال مرسومةً على الرمال، وأذانهم لم تزل أصداؤه تدق أبواب القلوب في كل مكان؛ فالحقْ بهم، فلو فاتك ركبُهم، لفاتك الخيرُ كلُّه، ولفاتت فرصتُك الوحيدةُ للنجاة.

د. فريد الأنصاري، قناديل الصلاة ١٤٦

﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩٢﴾﴾

١) ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ﴾ هذا الكتاب مبارك، أي: كثير البركات والخيرات، فمن تعلمه وعمل به، غمرته الخيرات في الدنيا والآخرة، وكان بعض علماء التفسير يقول: اشتغلنا بالقرآن فغمرتنا البركات والخيرات في الدنيا تصديقًا لقوله ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ﴾ونرجو أن يكون لنا مثل ذلك في الدنيا. وهذا الكتاب المبارك لا ييسر الله للعمل به إلا الناس الطيبين المباركين، فهو كثير البركات والخيرات؛ لأنه كلام رب العالمين، من قرأه وتدبر معانيه، عرف منه العقائد الحقة، وأصول الحلال والحرام، ومكارم الأخلاق، وأسباب النعيم الأبدي، والعذاب الأبدي، ومن عمل به غمرته الخيرات والبركات في الدنيا والآخرة، وأصلح الله له الدارين.

الشنقيطي، مقدمة العذب النمير ٧/١

٢) ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾، و﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ ضع هاتين الجملتين: ﴿فَٱتَّبِعُوهُ﴾و﴿لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ﴾ بين قوسين؛ لعل قارئها يستشعر أن هاتين الآيتين هما جواز الداخل إلى أقطار القرآن، ويعرف حق القرآن عليه! ووظيفته التي يجب أن يقوم بها نحوه، وهي: التدبر لمعانيه واتباعه.

البشير الإبراهيمي، آثار الإبراهيمي ٣٢١/١

﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ ۖ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَىِّ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٩٥﴾ فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٩٦﴾﴾

قلب فكرك:

﴿فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ﴾، ﴿فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا﴾ قال الزجاج: وإذا تأملت الخلق، بان لك أن أكثره عن انفلاق: كالأرض بالنبات، والسحاب بالمطر. زاد المسير ٢٧٣/٩

﴿قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ عَمِىَ فَعَلَيْهَا ۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿١٠٤﴾﴾

﴿قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ عَمِىَ فَعَلَيْهَا﴾، ﴿فَٱعْتَبِرُوا۟ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ﴾ (الحشر:٢) هكذا وجب عليك أن تقرأ آية آية، اقرأ وتدبر ثم أبصر؛ عسى أن ترى ما لم تر، وتدرك من حقائقه ما لم تدرك من قبل، فتكون له متدبرًا.

د. فريد الأنصاري، بلاغ الرسالة القرآنية ٢٣

﴿وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٠٨﴾﴾

١) تتعجَّب من أناس يستشهدون بهذه الآية بمناسبة وبدونها على السكوت عن أعداء الله خوفًا من مفسدة أعظم -زعموا-، لكنهم لا يراعون هذه القاعدة العظيمة عند حديثهم عن العلماء والمصلحين وأهل المقاومة، ويحتجون بأنه لا عصمة لأحد بعد رسول الله، ويتناسون أنهم يقدمون دعمًا عظيمًا للأعداء في حربهم لأولياء الله ورسوله.. فـ ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾(المطففين:١).

أ. د. ناصر العمر

٢) تأمل في عقول المشركين كيف وصل بهم التعصب الأعمى للمخلوق إلى ذم الخالق؟ وما أشبه الليلة بالبارحة فيما يفعله بعض مبتدعي زماننا لأسيادهم ﴿أَتَوَاصَوْا۟ بِهِۦ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ (الذاريات:٥٣).

أ. د. ناصر العمر

﴿وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١٠﴾﴾

١) العينان هما ربيئة القلب، وليس من الأعضاء أشد ارتباطًا بالقلب من العينين؛ ولهذا جمع الله بينهما في قوله: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ﴾، ﴿يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ﴾ (النور:٣٧)، ﴿وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ﴾ (الأحزاب: ١٠)، ﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ﴿٨﴾ أَبْصَٰرُهَا خَٰشِعَةٌ﴾ (النازعات:٨-٩)؛ ولأن كليهما له النظر: فنظر القلب الظاهر بالعينين، والباطن به وحده.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى ١٦/ ٢٢٥

٢) من عرض عليه حق، فرده، ولم يقبله؛ عوقب بفساد قلبه وعقله ورأيه.

ابن القيم، مفتاح دار السعادة ١ /٩٩

٣) دلت هذه الآية على الإنسان إذا علم الحق ولم يذعن له من أول وهلة، فإن ذلك قد يفوته والعياذ بالله.

ابن عثيمين، شرح رياض الصالحين ١/١٣٤

٤) من خالف الحق أول مرة، التبس عليه الحق في كل مرة: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾.

د. خالد المزيني

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾﴾

١)إذا ورث العالم من النبي ﷺ رسالته؛ فلا بد أن يرث معها خصومها، وإلا ففي رسالته خلل، فليفتش عنه.

عبد العزيز الطريفي

٢) «المطربة القديرة فلانة تحكي تجربتها..، مسرحية من بطولة الفنان..، الفلم العالمي..» عناوين براقة يطالعنا بها الإعلام، تفتشها فلا تجد شيئًا، فأي مقدار وأي بطولة؟ وصدق الله: ﴿يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا﴾.

﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿١١٦﴾﴾

١) اجعلوا الدين هو المقياس، فإن رأيتم الناس يمشون في طريق الحرام فلا تمشوا معهم، ولا تحتجوا بالأكثرية؛ فإن أكثر الناس غالبًا على ضلال، والله يقول: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾، ويقول: ﴿وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ (يوسف: ١٠٣).

علي الطنطاوي، نور وهداية ٢٣٣-٢٣٤

٢) من أعظم أسباب انحراف بعض الدعاة عن الطريق المستقيم: جعل كثرة الأتباع مقياس النجاح والفشل؛ فأتباع الشيطان وحده أكثر من أتباع الأنبياء والمرسلين مجتمعين! تدبر: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ فمن اغتر بالكثرة، واعتبرها مقياسه؛ أصبح تابعًا ومطيعًا لها: شاء أم أبى.

أ. د. ناصر العمر

﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾﴾

١) وصف الإمام أحمد العلماء بقوله: «يحيون بكتاب الله الموتى، ويبصرون بنور الله أهل العمى»؛ لأنه بالحياة يخرج عن الموت وبالنور يخرج عن ظلمة الجهل، فيصير حيًا عالمًا ناطقًا.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى ٣١٠/١٨

٢) بعض المسلمين يعرفون القرآن للموتى، فهل يعرفونه للأحياء؟ وهل يعرفونه للحياة؟ إن القرآن للحياة والأحياء، إلا أن الأحياء أبقى وأولى من الأموات، والاهتداء بالقرآن في مسارب الحياة أحق من مقابر الأموات.

د. سلمان العودة

٣) ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا﴾ قيمة النور ومكانته لا يختلف عليه أحد، فكيف إذا انتشر وعم! ﴿نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ﴾ فما أحوج أمتنا لمشاعل النور، وقناديل الضياء!

متدبر

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَٰبِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا۟ فِيهَا ۖ وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿١٢٣﴾﴾

قف متدبرًا لهذه السنة الكونية، ثم انظر إلى العاقبة المطردة، التي نراها اليوم في هؤلاء المجرمين الكبار: ﴿وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾؛ ولكن سكرة الإجرام أعمتهم عن هذا المصير: ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾.. ثم تأمل في هذا الجزاء العاجل والآجل: ﴿سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَمْكُرُونَ﴾.

أ. د. ناصر العمر

﴿وَإِذَا جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ قَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ رُسُلُ ٱللَّهِ ۘ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ ۗ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَمْكُرُونَ ﴿١٢٤﴾﴾

﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ لله تعالى حكم بالغة أن اختار لهذه الرسالة رجلًا عربيًا، فهو بحكم الضرورة يتكلم بلسان العرب؛ فلزم أن يكون المتلقون منه الشريعة في البدء عربًا، فالعرب حملة شريعة الإسلام إلى سائر الناس، اختارهم الله لهذه الأمانة؛ فوجب عليهم القيام بها.

ابن عاشور، مقاصد الشريعة الإسلامية ٩٣

﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَـٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾﴾

١) احذر!

سأل عمر ﷺ أعرابيًا: ما الحرجة؟ قال: الحرجة فينا الشجرة تكون بين الأشجار التي لا تصل إليها راعية ولا وحشية ولا شيء! فقال عمر: كذلك قلب المنافق لا يصل إليه شيء من الخير.

جامع البيان للطبري ١٢/١٠٤

٢) إن الإيمان بالحياة الآخرة يشعر الإنسان بأن الموت معبر إليها، فيعيش الحياة بذوق آخر، يملؤه العمل والأمل، ويا لبئس عمر يعيشه الإنسان وهو يشعر بأن الموت هو آخر المطاف! انظر إلى هذه الإشارة الإلهية في وصف نفسية الملاحدة المنكرين للبعث ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَـٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ﴾.

د. فريد الأنصاري، جمالية الدين٦٦ (بتصرف)

٣) سمعت أحد طلاب العلم يقول: وقفت متدبرًا لقوله سبحانه: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَـٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾ فإذا هممت بأمر فانظر إلى صدرك بعد الاستخارة الصادقة، والأخذ بالأسباب، متجردًا عن المؤثرات والقرارات المسبقة؛ فإن انشرح صدرك؛ فأقدم، وإن ضاق؛ فأحجم، وقد وجدت لذلك توفيقًا مطردًا. قلت: وبعض العلماء يرى الإقدام بعد الاستخارة دون نظر لحال الصدر.

أ. د. ناصر العمر

﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِى مَآ أُوحِىَ إِلَىَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٥﴾﴾

١) ﴿فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ﴾ الخنزير مرتع خصبٌ لأكثر من أربعمائة وخمسين مرضًا وبائيًا، وهو يقوم بمهمة الوسيط في نقل سبعة وخمسين منها إلى الإنسان، وأصيبت أوروبا بسببه سنة (١٩١٨م) بوباء مشابه سمي: (الأنفلونزا الأسبانية) قتل قريبًا من مائة مليون، وتأثرت بعض بلادنا، ومات كثير حتى سُمِّيت تلك السنة: سنة الرحمة (سنة ١٣٣٧هـ).

٢) لم يرد في القرآن تحريم لحم حيوان باسمه إلا الخنزير، مع أنه لم يكن كثيرًا بأرض العرب، أليس هذا غريبًا؟! إنَّ الغرابةَ تزول حين نعلم أن الخنزير اليوم من أكثر الأطعمة انتشارًا في الأرض.. إنها عالمية القرآن.

﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَٰسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُۥ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٤٧﴾﴾

قال بعض العلماء: يؤخذ من تقديم الرحمة الواسعة على البأس الشديد أن جانب الرجاء أقوى من جانب الخوف.

ابن عجيبة الفاسي، البحر المديد ٢/١٨٣

﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا۟ بَأْسَنَا ۗ قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ ۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٤٨﴾﴾

﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ﴾ فمن احتج بالقدر على ما فعله من ذنوبه، وأعرض عما أمر الله به، من التوبة والاستغفار، والاستعانة بالله، والاستعاذة به، واستهدائه؛ كان من أخسر الناس في الدنيا والآخرة.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى ١٤/ ٢٦٥

﴿۞ قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾﴾

١) ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾ أي: لا تقتلوهم من فقركم الحاصل؛ ولهذا قال بعدها: ﴿نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾ فذكر الرزق لهم، بينما قال في سورة الإسراء: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ﴾ (٣١)، أي: خشية حصول فقر في المستقبل؛ ولذا قال بعدها: ﴿نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ﴾ فبدأ برزقهم للاهتمام بهم، أي: لا تخافوا من فقركم بسببهم، فرزقهم على الله.

ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ٣/٣٦٢

٢) ﴿وَلَا تَقۡتُلُواْ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾ دلت الآية على أنه بحسب عقل العبد يكون قيامه بما أمر الله به.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن ٢٨٠

﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾

١) سئل ابن مسعود ﷺ عن الصراط المستقيم، فقال: تركنا محمد ﷺ في أدناه وطرفه في الجنة، وعن يمينه جوادٌ -جمع جادة-، وعن شماله جوادٌ، وثمَّ رجال يدعون مَنْ مرَّ بهم، فمن أخذَ في تلك الجواد انتهت به إلى النار، ومن أخذ على الصراط انتهى به إلى الجنة، ثم قرأ ابن مسعود ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ﴾.

تفسير عبد الرزاق ٢/٧٣

٢) ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ﴾، يا لَلعجب من بيانِ القرآن وبيِّناته وإعجازِه بفنون إيجازه! القرآن يأمرك بالتدبُّر واستعمال الحواس الظاهرة والباطنة في وظائفها الفطرية قبل أن يأمرك بـ(الاتباع)؛ حتى تطمئن إلى أنك إنما تتبع فيما فيه حق وخير ورحمة.

البشير الإبراهيمي، آثار البشير الإبراهيمي ١/ ٣٢٢

٣) إننا كادحون إلى الله كدحًا فملاقوه، لا خيار للبشرية في ذلك أبدًا! وإنما وصية الله جاءت ببيان الصراط المستقيم هدى للعالمين؛ حتى يكون الكدح سيرًا إلى رضا الله، لا إلى عذابه ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾.

د. فريد الأنصاري، مجالس القرآن ١٤٧

﴿ قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٦٢ ﴾

١) في إعلان النبيّ ﷺ بهذه المقالة، ما يلزمُ المؤمنين التأسِّي به حتى يلتزموا في جميع أعمالهم قَصْدَ وجه الله ﷻ.

الثعالبي، الجواهر الحسان ٢/٥٣٥

٢) إن في سلوك هذه الأمة تلازمًا وثيقًا بين العقائد والعبادات، وبين سلوك الإنسان وأخلاقه، في البيت والعمل والسوق والمدرسة: ﴿ قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾.

د. صالح بن حميد

٣) السفر.. المال.. الخلوة.. أحوال يتقلّبها العبدُ غالبًا، ويتقلب معها في ألوان أخرى من العبودية، ولسان حاله: ﴿ قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾.

د. عمر المقبل

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَكُمۡ خَلَٰٓئِفَ ٱلۡأَرۡضِ وَرَفَعَ بَعۡضَكُمۡ فَوۡقَ بَعۡضٖ دَرَجَٰتٖ لِّيَبۡلُوَكُمۡ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمۡۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلۡعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٞ رَّحِيمُۢ ١٦٥ ﴾

﴿ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلۡعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٞ رَّحِيمُۢ ﴾ ومن لطائف القرآن في هذه الآية: الاقتصار في وصف: (سريع العقاب) على مؤكد واحد، وتعزيز وصف: (الغفور الرحيم) بمؤكدات ثلاثة وهي: إن، ولام الابتداء، والتوكيد اللفظي؛ لأن (الرحيم) يؤكد معنى (الغفور)؛ ليطمئن أهل العمل الصالح إلى مغفرة الله ورحمته، وليستدعي أهل الإعراض والصدوف إلى الإقلاع عما هم فيه.

ابن عاشور، التحرير والتنوير ٧/١٥٧

سُورَةُ الأَعْرَافِ

﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾﴾

﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ﴾، ﴿قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ (الحجر:٣٢)، ﴿أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ (ص:٧٥) اختلاف العبارات عند الحكاية؛ يدل على أن اللعين قد أدرج في معصية واحدة ثلاث معاص: مخالفة الأمر، ومفارقة الجماعة، والاستكبار مع تحقير آدم.

محمد صديق خان، فتح البيان ٣١٠/٤

﴿قَالَ فَٱهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿١٣﴾﴾

هذه الآية أصل في ثبوت الحق لأهل المحلة، أن يخرجوا من محلتهم من يخشى من سيرته فشو الفساد بينهم.

ابن عاشور، التحرير والتنوير ٣٤/٨

﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٧﴾﴾

١) لما ذكر تعالى قصة آدم في سورة الأعراف وما لقيه من وسوسة الشيطان، أعقبها بثلاث نداءات صدرت بـ: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ﴾ فلمخاطبتهم ببني آدم وقع عجيب بعد الفراغ من ذكر قصة آدم وما لقيه من وسوسة الشيطان؛ وذلك أن شأن الذرية أن تثأر لآبائها وتعادي عدوهم، وتحترس من الوقوع في شَركه.

ابن عاشور، التحرير والتنوير ٥٧/٨

٢) ﴿يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ﴾ أليس التكشف هو المادة الأولى في قانون إبليس؟! لقد كانت طالبات الابتدائي عندنا بدمشق يخرجن بالحجاب الكامل، وعلى وجوههن النقاب، وأذكر أن دمشق أضربت مرة، وأغلقت أسواقها كلها، وخرجت المظاهرات تمشي في جاداتها؛ لأنَّ وكيلة مدرسة خرجت كاشفة وجهها.

علي الطنطاوي، ذكريات الطنطاوي ٢٧٠/٨

٣) شياطين الإنس في كلِّ عصر إخوان شياطين الجن، فإن الله لما ذكر عداوة الشيطان في سورة الأعراف؛ قال بعدها: ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآ ﴾ وهؤلاء ينزعون لباس بني آدم في القنوات والرياضات، وينزعون الحجاب عن المسلمات في أماكن العمل والطرقات والمتنزهات.

متدبر

٤) من أعظم طرق الشيطان في إغواء بني آدم: كشف العورات، كما قال تعالى: ﴿لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآ ﴾، وهكذا شياطين الإنس اليوم، في قنوات ماكرة وشبكات فاجرة؛ لأنه متى استمرأت الأسرة ذلك، انحلت أخلاقها وانحل بعد ذلك دينها.

صالح المغامسي

﴿ ۞يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ٣١ ﴾

١) قال ابن القيم ﷺ: الأدب هو الدين كله؛ ولهذا كانوا يستحبون أن يتجمل الرجل في صلاته للوقوف بين يدي ربه، وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية يقول: أمر الله بقدر زائد على ستر العورة في الصلاة، وهو: أخذ الزينة، فقال تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ ﴾ فعلق الأمر بأخذ الزينة لا بستر العورة؛ إيذانا بأن العبد ينبغي له: أن يلبس أزين ثيابه وأجملها في الصلاة.

مدارج السالكين ٢/٣٨٤

٢) كان لهارون الرشيد طبيب نصراني حاذق، فقال مرة لأحد العلماء: ليس في كتابكم من علم الطب شيء! فقال ذاك العالم: قد جمع الله الطب في نصف آية من كتابنا. فقال: ما هي؟ قال: قوله تعالى: ﴿وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْ ﴾.

الآداب الشرعية لابن مفلح ٢/٣٥٣

﴿ قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِۚ قُلۡ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا خَالِصَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ٣٢ ﴾

تأتي الطيبات في القرآن مرادًا بها المستلذات إذا اقترنت بالرزق كقوله: ﴿وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ﴾ (الأنفال:٢٦)، وتأتي الطيبات مرادًا بها الحلال إذا اقترنت بتحليل أو تحريم كقوله: ﴿ قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِ ﴾ .

د. محمد الخضيري

﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾

الإنسان إذا أحس بالأمانة التي يتحملها، وبجسامة التوقيع عن رب العالمين؛ أحس بخطر الفتوى، ولم يلق الكلام على عواهنه، فإن الله تعالى يقول: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾.

د. محمد الحسن الددو

﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ۖ لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ ۖ وَنُودُوٓا۟ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾

قف وتأمل! إذا كان هذا في صدور الصالحين، والنزع يدل على التجذر، فكيف بما في صدور غيرهم؟ فاحم نفسك من قلبك قبل أن يرديك ما فيه من غل، فلن ينجو يوم العرض: ﴿ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ (الشعراء:٨٩).

أ. د. ناصر العمر

﴿ وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا ۖ قَالُوا۟ نَعَمْ ۚ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌۢ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ ﴾

دخل رجل على سليمان بن عبد الملك فقال: اذكر يا أمير المؤمنين يوم الأذان! فقال: وما يوم الأذان؟ قال: اليوم الذي قال الله تعالى فيه: ﴿ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌۢ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾، فبكى سليمان وأزال ظلامته.

محاضرات الأدباء ٢٦٩/١

﴿ ۞ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَٰرُهُمْ تِلْقَآءَ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ قَالُوا۟ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾

في التعبير بـ﴿ صُرِفَتْ ﴾ إشارة إلى أنهم أجبروا على أن ينظروا إلى أهل النار؛ لأن الهول شديد، ومنظر النار فظيع جدًا، لا ينظر إليه أحد باختياره، بينما قال في حالهم مع أهل الجنة: ﴿ وَنَادَوْا۟ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ﴾.

الشنقيطي، العذب النمير ٢٨٩/٣ - ٢٩٣

﴿ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةًۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ٥٥﴾

١) قال الحسن البصري ﷺ: لقد أدركنا أقوامًا ما كان على الأرض عمل يقدرون على أن يكون سرًا فيكون جهرًا أبدًا، ولقد كان المسلمون يجتهدون في الدعاء فلا يسمع لهم صوت، إن هو إلا الهمس بينهم وبين ربهم، وذلك أن الله تعالى يقول: ﴿ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةً﴾.

الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢٢٤/٧

٢) في إخفاء الدعاء فوائد، منها:

١- أنه أعظم إيمانًا؛ لأن صاحبه يعلم أن الله تعالى يسمع دعاءه الخفي.

٢- أنه أعظم في الأدب؛ ولهذا لا تُسْأَلُ الملوك برفع الأصوات، ومن فعل ذلك مقتوه -ولله المثل الأعلى-.

٣- أنه أبلغ في التضرع والخشوع؛ فإن الخاشع الذليل إنما يسأل مسألة مسكين ذليل، قد انكسر قلبه، وذلت جوارحه، وخشع صوته، حتى إنه ليكاد تبلغ به ذلته ومسكنته إلى أن ينكسر لسانه فلا يطاوعه بالنطق.

٤- أنه أبلغ في الإخلاص، وفي جمع القلب على الله؛ فإن رفع الصوت يفرقه ويشتته.

٥- أنه دال على قرب صاحبه من الله، يسأله مسألة مناجاة للقريب، لا مسألة نداء البعيد للبعيد؛ ولهذا أثنى سبحانه على عبده زكريا بقوله: ﴿إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيّٗا﴾ (مريم:٣) فلما استحضر قرب ربه، وأنه أقرب إليه من كل قريب، أخفى دعاءه ما أمكنه.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى ١٥/١٥-١٧

٣) ﴿ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةًۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ﴾ المقصود من الدعاء: أن يشاهد العبد حاجته، وعجزه، وفقره لربه -ذي القدرة الباهرة، والرحمة الواسعة- وإذا حصل له ذلك؛ فلا بد من صونه عن الرياء، وذلك بالاختفاء، وتوصلًا للإخلاص، والله أعلم.

القاسمي، محاسن التأويل ١٠٢/٥

٤) قواعد الدعاء والذكر في موطنين من سورة الأعراف، فآيتا الدعاء: ﴿ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةًۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ٥٥﴾ والآية بعدها ﴿وَٱدۡعُوهُ خَوۡفٗا وَطَمَعًا﴾، وآية الذكر: ﴿وَٱذۡكُر رَّبَّكَ فِي نَفۡسِكَ تَضَرُّعٗا وَخِيفَةٗ وَدُونَ ٱلۡجَهۡرِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ ٢٠٥﴾.

د. محمد الخضيري

٥) جاء ذكر الاعتداء بعد ﴿وَخُفْيَةً﴾؛ لأنَّ من الاعتداء رفع الصوت به دون حاجة لذلك، إذ هو تجاوز للحد، والبشر إذا خاطبتهم بصوت مرتفع تأذوا، فكيف بالسميع سبحانه؟ وقد أنكر النبي ﷺ على من دعا رافعًا صوته، فقال: «**اربعوا على أنفسكم؛ فإنكم لا تدعون أصمَّ ولا غائبًا، إنما تدعون سميعًا بصيرًا**»(١).

أ. د. ناصر العمر

﴿وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾﴾

١) قال عطية: لا تعصوا في الأرض فيمسك الله المطر ويهلك الحرث بمعاصيكم، علق البغوي قائلًا: فعلى هذا معنى قوله: ﴿بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا﴾ أي: بعد إصلاح الله إياها بالمطر والخصب.

معالم التنزيل ٣/ ٢٣٨

٢) لما كان قوله تعالى: ﴿وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ مشتملًا على جميع مقامات الإيمان والإحسان، وهي: الحب والخوف والرجاء، عقبها بقوله: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ أي: إنما تنال من دعاه خوفًا وطمعًا، فهو المحسن، والرحمة قريب منه؛ لأن مدار الإحسان على هذه الأصول الثلاثة.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى ٢٦/١٥

٣) ﴿وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ ذكر الله الطمع -الذي هو الرجاء- في آية الدعاء؛ لأن الدعاء مبني عليه، فإن الداعي ما لم يطمع في سؤاله ومطلوبه لم تتحرك نفسه لطلبه؛ إذ طلب ما لا طمع له فيه ممتنع.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى ٢١/١٥

٤) ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ فقال: ﴿قَرِيبٌ﴾ ولم يقل قريبة؛ لأنه ضمن الرحمة معنى الثواب، أو لأنها مضافة إلى الله؛ فلهذا قال: ﴿قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾.

ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ٢٧١/٢

---

(١) البخاري ح(٦٦١٠).

﴿ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ ۚ وَاذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِى ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةً ۖ فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾

﴿ فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ ذكر آلائه ﷻ ونعمه على عبده سبب الفلاح والسعادة؛ لأن ذلك لا يزيده إلا محبة لله، وحمدًا وشكرًا وطاعة، وشهود تقصيره، بل تفريطه في القليل مما يجب لله عليه.

ابن القيم، مفتاح دار السعادة ١ /٢٢٩

﴿ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٧٨﴾ ﴾

قال تعالى: ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴾ وقال: ﴿ وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾ (هود)، فحين ذكر الرجفة -وهي الزلزلة الشديدة- ذكر الدار مفردة ﴿ فِى دَارِهِمْ ﴾، ولما ذكر الصيحة جمع الدار ﴿ فِى دِيَٰرِهِمْ ﴾؛ وذلك لأن الصيحة يبلغ صوتها مساحة أكبر مما تبلغ الرجفة التي تختص بجزء من الأرض؛ فلذلك أفردها مع الرجفة وجمعها مع الصيحة.

د. فاضل السامرائي، التعبير القرآني ٤٧

﴿ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٧٩﴾ ﴾

اكشف عن رأسك قناع الغافلين، وانتبه عن رقدة الموتى، واعلم أن من قرأ القرآن ولم يستغن، وآثر الدنيا؛ لم يأمن أن يكون بآيات الله من المستهزئين، وقد وصف الله تعالى الكاذبين ببغضهم للناصحين إذ قال: ﴿ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴾.

الغزالي، إحياء علوم الدين ٢ / ١٨٣

﴿ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾

من رضي عمل قوم حشر معهم، كما حشرت امرأة لوط معهم، ولم تكن تعمل فاحشة اللواط؛ فإن ذلك لا يقع من المرأة! لكنها لما رضيت فعلهم؛ عمها العذاب معهم.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى (١٥/٣٤٤)

﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ فَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾﴾

﴿وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ﴾ أي: لا تنقصوهم حقوقهم، وإنما قال: ﴿أَشْيَآءَهُمْ﴾ للتعميم؛ تنبيهًا على أنهم كانوا يبخسون الجليل والحقير، والقليل والكثير.

ابن عجيبة الفاسي، البحر المديد ٢/٢٣٨

﴿وَإِن كَانَ طَآئِفَةٌ مِّنكُمْ ءَامَنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَطَآئِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ فَٱصْبِرُوا۟ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ بَيْنَنَا ۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨٧﴾﴾

أبَعدَ هذه الآية المحكمة وأمثالها تصبح النسبة للطائفة المؤمنة مسبة وعارًا؟

إنه البعد عن هَدْي القرآن، والخضوع لمصطلحات الإعلام، فنقول لهؤلاء: ﴿فَٱصْبِرُوا۟ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ بَيْنَنَا ۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨٧﴾﴾.

أ. د. ناصر العمر

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾﴾

ليست بركة واحدة.. بل بركات من السماء والأرض سينالها الناس إن حققوا الشرط.

د. عمر المقبل

﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿٩٧﴾﴾

كان هرم بن حيان يخرج في بعض الليالي وينادي بأعلى صوته: عجبت من الجنة كيف نام طالبها؟ وعجبت من النار كيف نام هاربها؟ ثم يقول: ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ﴾.

التخويف من النار ٢١

﴿أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾﴾

١) خوف مكر الله وسيلة إلى إحسان العمل وإقلال الزلل.

العز بن عبد السلام، شجرة المعارف والأحوال ٨٢

٢) في هذه الآية تخويف بليغ، فإن العبد لا ينبغي أن يكون آمنًا على ما معه من الإيمان، بل لا يزال خائفًا أن يُبتلى ببلية تسلب إيمانه، ولا يزال داعيًا بالثبات، وأن يسعى في كل سبب يخلصه من الشر عند وقوع الفتن؛ فإن العبد -ولو بلغت به الحال ما بلغت- فليس على يقين من السلامة.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن ٢٩٨

﴿ أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ أَهْلِهَآ أَن لَّوْ نَشَآءُ أَصَبْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ ۚ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾

قال ابن الجوزي: «أعظم المعاقبة ألا يحس المعاقب بالعقوبة، وأشد من ذلك أن يقع في السرور بما هو عقوبة: كالفرح بالمال الحرام، والتمكن من الذنوب، ومن هذه حاله، لا يفوز بطاعة» وشاهد ما قاله ابن الجوزي في قوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ أَهْلِهَآ أَن لَّوْ نَشَآءُ أَصَبْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ ۚ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴾.

د. سليمان الماجد

﴿ وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ ۖ وَإِن وَجَدْنَآ أَكْثَرَهُمْ لَفَٰسِقِينَ ﴿١٠٢﴾ ﴾

قال تعالى في بيان حال الإنسان: ﴿ وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ ﴾ هذه حاله مع ربه فكيف مع الناس! ومن عرف الناس استراح.

د. عبدالمحسن المطيري

﴿ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ ﴿١١٥﴾ قَالَ أَلْقُوا۟ ۖ فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ سَحَرُوٓا۟ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴿١١٦﴾ ۞ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾ فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَغُلِبُوا۟ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُوا۟ صَٰغِرِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾

١) ﴿ قَالَ أَلْقُوا۟ ﴾، ﴿ قَالَ بَلْ أَلْقُوا۟ ﴾ (طه: ٦٦) الحكمة في طلب موسى أن يبدأ السحرة بسحرهم؛ لأن موسى أراد أن تكون البداءة منهم، ليرى الناس ما صنعوا، ثم يأتي بالحق بعده فيدمغ باطلهم.

ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ٤/ ٢٨٦

٢) تأمل: ﴿ قَالَ أَلْقُوا۟ ۖ فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ سَحَرُوٓا۟ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴾ تختلف أساليب الأعداء، والغاية واحدة؛ ﴿ أَتَوَاصَوْا۟ بِهِۦ ﴾، والمنهج المبطل لها جميعًا هو: الالتزام بالوحي (نصًا وروحًا)، كما التزم موسى به، وهنا سنرى الانتصار المدوي: ﴿ فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَغُلِبُوا۟ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُوا۟ صَٰغِرِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾.

أ. د. ناصر العمر

٣) ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴾ الكلمة القرآنية إذا جاءت موظفةً في أيِّ سياق دعويٍّ أو نمطٍ إصلاحيٍّ، فلها ما لعصى موسى من التأثير؛ فعلى الداعية أن يلقي (عصاه) ليس إلا!

د. فريد الأنصاري، الفجور السياسي ١٢٩

﴿ وَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿١٢٠﴾ ﴾

تأمل: لم يقل سجدوا، كأن شيئًا اضطرهم إلى السجود، كأنهم سجدوا بغير اختيار؛ لقوة ما رأوا من الآية العظيمة.

ابن عثيمين، تفسير سورة ق ٨٤

﴿قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾

لقوة انبهار السحرة بآية موسى العظيمة، وخرورهم الفوري؛ عبر بـ ﴿ وَأُلْقِىَ ﴾، ثم قالوا: ﴿ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾، لينفوا أي توهم بأن سجودهم كان لموسى، كما كانت عادتهم لفرعون، ثم قالوا: ﴿ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴾؛ لبيان أن السجود لله الحق، وليس لمدعي الربوبية القائل: ﴿فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾ (النازعات: ٢٤).

أ. د. ناصر العمر

﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِى ٱلْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا۟ مِنْهَآ أَهْلَهَا ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿١٢٣﴾ ﴾

﴿ءَامَنتُم بِهِۦ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ﴾ نعوذ بالله من تجبر الطغاة؛ حتى الإيمان بالله لا يسمح به إلا بعد إذنه؟!

د. عبدالمحسن المطيري

﴿فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَٰذِهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُ ۗ أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِندَ اللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (١٣١)﴾

لو تدبرت التقابل البديع في هذه الآية لوقفت خاشعًا لله!

انظر كيف عبر في جانب الحسنة بالمجيء! في حين عبر في جانب السيئة بالإصابة! لأنها تحصل فجأة من غير رغبة ولا ترقب.

وفي التعبير عن السيئة بـ ﴿تُصِبْهُمْ﴾ دقة؛ فالإصابة وحدها توحي بالسوء، فكيف إذا عَدَّى الإصابة بالسيئة فهو ألم فوق ألم!

د. فاضل السامرائي، لمسات بيانية لسور القرآن الكريم ١١٢

﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا ۖ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا ۖ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ (١٣٧)﴾

تأمّل أول القصص في وصف بشاعة ما كان يعمله فرعون وملأه، ثم جاءت ولادة موسى وتربيته وبعثته، وبعد أكثر من أربعين سنة من العمل الدؤوب يأتي النصر العظيم: ﴿وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ﴾، فأين التخطيط والعمل الجاد لتحقيق النصر ولو بعد حين؟

أ. د. ناصر العمر

﴿ ۞ وَوَاعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ۚ وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ (١٤٢)﴾

﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ﴾ فلا يدرى انقضى أجل الميقات عند الثلاثين وكانت العشر تمامًا، أي: زيادة بعد انقضاء أجل الميقات، أو إنما كان انقضاءه عند تمام الأربعين، وأن الإتمام بعشرة هو زيادة في الأجل؟ فلما قال: ﴿فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ علمنا أن العشر دخلت في الأجل، فصارت جزءًا منه.

ابن تيمية، جامع مسائل شيخ الإسلام ٣٣٨

﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾ ﴾

١) إن موسى ﷺ سأل أجلَّ الأشياء فقال: ﴿رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ﴾، وسأل أقل الأشياء فقال: ﴿رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾﴾ (القصص)؛ فنحن أيضًا نسأل الله أجل الأشياء وهي خيرات الآخرة، وأقلها وهي خيرات الدنيا فنقول: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾﴾ (البقرة).

الرازي، أسرار التنزيل ١٣٢

٢) ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا﴾، وكما في الصحيحين: «**إذا قام أحدكم يصلي فإن الله قبل وجهه**»[1].

جبل في لحظة يندك .. وعين حتى اللحظة لم تبك!

إن خشوع صلاتك في استشعار معنى أن (الله) بينك وبين قبلتك.

د. عصام العويد

﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِىَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلْغَىِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٤٦﴾ ﴾

١) إذا تكبر العبد عن الحق صرف الله قلبه، وإذا صرف الله قلبه فمن يملك رده؟ ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِىَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ﴾.

د. عبد الله السكاكر

٢) ما أسفه من ركب المفازة!

فإن رأى طريقًا مستقيمًا أعرض عنه وتركه، وإن رأى معتسفًا مرديًا أخذ فيه وسلكه، وفاعل نحو ذلك في دينه أسفه، قال تعالى: ﴿وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلْغَىِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا﴾.

الزمخشري، الكشاف ١٥٩/٢

(١) أخرجه البخاري ح(٧٥٣)، ومسلم ح (٣٠٠٨).

﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى مِنۢ بَعْدِىٓ ۖ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ ۖ وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ ۚ قَالَ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى وَكَادُوا۟ يَقْتُلُونَنِى فَلَا تُشْمِتْ بِىَ ٱلْأَعْدَآءَ وَلَا تَجْعَلْنِى مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥٠﴾﴾

١) ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا﴾ الغضب لله من ثمرات إجلال الله ومهابته، والغضب على المسيء بحضرته متضمن للإجلال، وزجر للمسيء عن انتهاك الحرمات، ولا خير في عبد لا يغضب لمولاه.

العز بن عبدالسلام، شجرة المعارف ٦٨

٢) تدبر قول هارون لموسى عليهما السلام ﴿قَالَ ٱبْنَ أُمَّ﴾ فلم يقل يا أخي أو يا موسى، بل ولا: يا ابن أبي؛ لأن المقام مقام استعطاف وطلب رحمة، فذكر الأم هنا أحرى بتذكيره برحمتها وعطفها..وقد تحقق له ما أراد، فإذا موسى القوي الشديد يقول فورًا: ﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِأَخِى وَأَدْخِلْنَا فِى رَحْمَتِكَ ۖ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ (الأعراف:١٥١) فهل نحسن استخدام الألفاظ في مواضعها؟

أ. د. ناصر العمر

٣) لما رجع موسى عليه السلام، ووجد قومه قد عبدوا العجل؛ غضب وأخذ برأس أخيه هارون ولحيته، وعاتبه عتابًا شديدًا، فكان مما قاله هارون لموسى: ﴿فَلَا تُشْمِتْ بِىَ ٱلْأَعْدَآءَ﴾، وهو درس عظيم لأتباع الأنبياء في علاج مشاكلهم مهما كانت كبيرة، بعيدًا عن أي أسلوب يجلب شماتة الأعداء والحاسدين.

د. عمر المقبل

﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِأَخِى وَأَدْخِلْنَا فِى رَحْمَتِكَ ۖ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٥١﴾﴾

﴿رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِأَخِى﴾ قال كعب: رب قائم مشكور له، ونائم مغفور له، وذلك أنَّ الرجلين يتحابان في الله، فقام أحدهما يصلي، فرضي الله صلاته ودعاءه، فلم يرد من دعائه شيئًا، فذكر أخاه في دعائه من الليل، فقال: رب! أخي فلان اغفر له؛ فغفر الله له وهو نائم.

حلية الأولياء ٣١/٦

﴿ وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ ۖ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴿١٥٤﴾ ﴾

﴿ وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ ﴾ عدل سبحانه عن قوله (سكن) إلى قوله ﴿سَكَتَ﴾؛ تنزيلًا للغضب منزلة السلطان الآمر الناهي الذي يقول لصاحبه: افعل لا تفعل، فهو مستجيب لداعي الغضب الناطق فيه المتكلم على لسانه.

ابن القيم، إغاثة اللهفان في حكم طلاق الغضبان ٣٤

﴿ ۞ وَٱكْتُبْ لَنَا فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ ۚ قَالَ عَذَابِيٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ ۖ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ ﴾

١) لا قنوط!

﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما: يقول الله عز وجل: أنا أهل أن أتقى، فإن عُصيت فأنا أهل أن أغفر.

شرح السنة للبغوي ١٤/٣٧٥

٢) ذُكِر عند سماك بن الفضل رحمه الله أيُّ شيء أعظم؟ فذكروا السموات والأرض -وهو ساكت- فقالوا: ما تقول يا أبا الفضل؟ فقال: «ما من شيء أعظم من رحمته! قال الله تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾».. اللَّهُمَّ اشملنا برحمتك الواسعة.

الدر المنثور في التفسير بالمأثور ٣ / ٥٧١

﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾

١) ﴿وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ﴾ رأيت أحد المدخنين عندما أراد الدخول للمسجد وضع علبة الدخان داخل حذائه، فماذا يعني هذا؟

الخبيث ترفضه الفطر السليمة.

متدبر

٢) ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ تقول عائشة: كان الحبشة يلعبون بحراب لهم، فكنت أنظر من بين أذني رسول الله وعاتقه، وقال يومئذ: «**لتعلم يهود أن في ديننا فسحة؛ إني أرسلت بحنيفيَّة سمحة**»[1].

٣) تدبر القرآن واتباعه هما فرق ما بين أوَّل الأمة وآخرها وإنه لفرق هائل؛ فعدم التدبر أفقدنا العلم، وعدم الاتباع أفقدنا العمل، وإننا لا ننتعش من هذه الكبوة إلا بالرجوع إلى فهم القرآن واتباعه، ولا نفلح حتى نؤمن ونعمل الصالحات ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾.

البشير الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي ١/ ٣٢٧

﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ۙ ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ قَالُوا۟ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾﴾

مراعاة المحتسب لعِلَّةِ ﴿مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ﴾، دون عِلَّةِ ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾؛ تجعله يراعي جانب المضمون دون الوسيلة.. اجعلهما نصب عينيك، وافرح بهداية الناس.

مهند المعتبي

﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾﴾

قال عكرمة: جئت ابن عباس ﷺ يومًا وهو يبكي والمصحف في حجره، فقلت: ما يبكيك؟ قال: هؤلاء الورقات، وإذا سورة الأعراف، فذكر قصة اليهود لما عدوا يوم السبت على الحيتان، قال: فعدت طائفة بأنفسها، واعتزلت طائفة ذات اليمين وأنكرت، واعتزلت طائفة ذات اليسار وسكتت.. ثم قرأ ابن عباس: ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ﴾.. قال: فأرى الذين نهوا قد نجوا، ولا أرى الآخرين ذكروا ونحن نرى أشياء ننكرها، ولا نقول فيها.

الدر المنثور ٣/٥٨٩

(١) أحمد ح (٢٤٨٥٥)، ومسند الحميدي (١/١٢٣).

﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٞ وَرِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ يَأۡخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلۡأَدۡنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغۡفَرُ لَنَا وَإِن يَأۡتِهِمۡ عَرَضٞ مِّثۡلُهُۥ يَأۡخُذُوهُۚ أَلَمۡ يُؤۡخَذۡ عَلَيۡهِم مِّيثَٰقُ ٱلۡكِتَٰبِ أَن لَّا يَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّ وَدَرَسُواْ مَا فِيهِۗ وَٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿١٦٩﴾ ﴾

تأمل أخي وصف من حذرنا الله من التشبه بهم في قوله: ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٞ وَرِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ يَأۡخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلۡأَدۡنَىٰ ﴾؛ أي: عرض الحياة الدنيا ﴿وَيَقُولُونَ سَيُغۡفَرُ لَنَا وَإِن يَأۡتِهِمۡ عَرَضٞ مِّثۡلُهُۥ يَأۡخُذُوهُۚ ﴾، ثم تأمل ختم الآية بقوله: ﴿وَٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴾، فهل نعقل ما حذرنا الله منه وما أوصانا به؟

د. محمد الربيعة

﴿ وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلۡكِتَٰبِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُصۡلِحِينَ ﴿١٧٠﴾ ﴾

١) أعظم ما ينبغي أن يتحلَّى به المصلحون -وهو سرُّ تأثيرهم وعظم أجرهم-: إصلاحهم لأنفسهم أولًا ولغيرهم ثانيًا: بالقرآن والصلاة.. تدبر: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلۡكِتَٰبِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُصۡلِحِينَ ﴾، ﴿يُمَسِّكُونَ ﴾ قرئت بالتخفيف؛ أي: هم أنفسهم يمسكون، وبالتشديد أي: يمسكون غيرهم.

د. محمد الربيعة

٢) التمسك بكتاب الله في جد وقوة، مع إقامة شعائر العبادة، هما طرفا المنهج الرباني لصلاح الحياة، تأمل: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلۡكِتَٰبِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُصۡلِحِينَ ﴾ وخصت الصلاة بالذكر هنا دون سائر العبادات لفضلها وكونها ميزان الإيمان، وإقامتها داعية لإقامة غيرها من العبادات كما قاله المفسرون.

عبد اللطيف التويجري

﴿ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوۡ شِئۡنَا لَرَفَعۡنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخۡلَدَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلۡكَلۡبِ إِن تَحۡمِلۡ عَلَيۡهِ يَلۡهَثۡ أَوۡ تَتۡرُكۡهُ يَلۡهَثۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاۚ فَٱقۡصُصِ ٱلۡقَصَصَ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ ﴾

١) قد كره الإسلام أن يطلب المرء العلم حتى إذا نبغ فيه؛ استكبر به على الناس، واتخذه وسيلة للشغب والمراء ﴿ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ﴾ .

الغزالي، خلق المسلم ٦٦

٢) ﴿ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ١٧٥ وَلَوۡ شِئۡنَا لَرَفَعۡنَٰهُ بِهَا ﴾ مجرد العلم لا يرفع صاحبه؛ فإنَّ هذا الرجل قد أخبر الله سبحانه أنه آتاه آياته ولم يرفعه بها، فالرفعة بالعلم قدرٌ زائد على مجرد العلم!

ابن القيم، روضة المحبين ٢٨٩

٣) ﴿ وَلَوۡ شِئۡنَا لَرَفَعۡنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخۡلَدَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ﴾ بحسب ما يُخلِدُ العبد إلى الأرض؛ يهبط من السماء.

ابن القيم، روضة المحبين ٢٨٩

٤) يقول تعالى عن عالم السوء الذي ترك الهدى بسبب الهوى: ﴿فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلۡكَلۡبِ إِن تَحۡمِلۡ عَلَيۡهِ يَلۡهَثۡ أَوۡ تَتۡرُكۡهُ يَلۡهَثۚ ﴾ قال ابن جريج: «الكلب منقطع الفؤاد لا فؤاد له، إن تحمل عليه يلهث، أو تتركه يلهث، فهو مثل الذي يترك الهدى لا فؤاد له إنما فؤاده ينقطع». علق ابن القيم على كلام ابن جريج السابق: قلت: مراده بانقطاع فؤاده أنه ليس له فؤاد يحمله على الصبر وترك اللهث، وهكذا الذي انسلخ من آيات الله لم يبق معه فؤاد يحمله على الصبر عن الدنيا، وترك اللهث عليها... فالكلب من أشد الحيوانات لهثًا، يلهث قائمًا وقاعدًا وماشيًا وواقفًا؛ لشدَّة حرصه.

إعلام الموقعين ١/١٩٥

٥) ﴿فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلۡكَلۡبِ إِن تَحۡمِلۡ عَلَيۡهِ يَلۡهَثۡ أَوۡ تَتۡرُكۡهُ يَلۡهَث ﴾ من لم يزجره علمه عن القبيح، صار القبيح عادةً له، ولم يؤثر فيه علمه شيئًا؛ فيصير حاله كحال الكلب اللاهث، فإنه إن طُرِدَ لهثَ، وإن تُرِك لهث، وهذا أخسُّ أحوال الكلب، فكذلك من يرتكب القبائح مع جهله ومع علمه، فلا يؤثر علمه شيئًا.

ابن رجب، تفسير ابن رجب ١/٨٨

٦) ضرب الله مثلين منفرين، فقال تعالى: ﴿فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلۡكَلۡبِ إِن تَحۡمِلۡ عَلَيۡهِ يَلۡهَثۡ أَوۡ تَتۡرُكۡهُ يَلۡهَث ﴾، وقال تعالى: ﴿كَمَثَلِ ٱلۡحِمَارِ يَحۡمِلُ أَسۡفَارَۢا ﴾ (الجمعة: ٥)، فالمثل الأول ضربه للعالم الضال المنسلخ عن العلم النافع، دائم اللهاث وراء شهواته، وأما المثل الثاني فضربه الله للذين يحملون التوراة في عقولهم، لكنهم لم يستفيدوا منها ولم ينتفعوا بها في حياتهم، فماذا يفرقون عن الحمار حامل الأسفار؟

د. صلاح الخالدي، لطائف قرآنية ١٦٥- ١٦٧ (بتصرف)

٧) إن القصص القرآني لم يكن في لحظة من اللحظات سبيلًا للتسلية، ولا حديثًا مفترى، ولا منهجًا للتَّفكه، ولا فتونًا للاختلاق، وإنما جاء سردًا لتاريخ أمم ومجتمعات وأجيال، يعرض وقائع حية، وحقائق موصلة إلى غايات عظمى، ومرام سامية، يتم إدراكها بالتفكر العميق، والتدبر الواعي، والتأمل الناضج، والعظة المعتبرة، قال تعالى: ﴿فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ .

أحمد ولد محمد ذو النورين، هدى للناس ١٢٩، ١٣٠

﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾﴾

١) ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾ المتبادر للذهن أن يقول: لهم قلوب لا تفقه وإنما قال: ﴿لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾ ولم يقل: لا تفقه؛ لبيان أنهم هم المؤاخذون بعدم توجيه إرادتهم لفقه الأمور، والتفتيش عن الحقائق.

محمد رشيد رضا، تفسير المنار ٣٥٦/٩

٢) كل إنسان يملك قلبًا، لكنه قد لا يملك عقلًا، وهذا يفسر تصرفات كثير من البشر، وبالأخص عدم الاستجابة للناصحين، تدبر: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾ فلا يعقلون؛ لذا فهم لا يرجون ثوابًا ولا يخافون عقابا!

أ. د. ناصر العمر

٣) تأمل هذه القاعدة جيدًا: كثيرًا ما ينفي الله الشيء لانتفاء فائدته وثمرته، وإن كانت صورته موجودة، ومثال ذلك: قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا﴾ فلما لم ينتفعوا بقلوبهم بفقه معاني كلام الله، وأعينهم بتأمل ملكوت الله؛ لم تتحقق الثمرة منها .

﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾

فإن كل اسم له في القلب الخاضع لله، المؤمن به؛ أثر وحال، لا يحصل العبد في هذه الدار ولا في دار القرار أجلّ وأعظم منها، فنسأله تعالى أن يمن علينا بمعرفته ومحبته والإنابة إليه.

السعدي، فتح الرحيم الملك العلام ١٩

﴿ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَنَسۡتَدۡرِجُهُم مِّنۡ حَيۡثُ لَا يَعۡلَمُونَ ١٨٢ ﴾

١) لا تأسَ على ما فاتك: ﴿سَنَسۡتَدۡرِجُهُم مِّنۡ حَيۡثُ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ قال أبو حازم ﷺ: «نعمة الله فيما منعني من الدنيا أعظم من نعمته فيما أعطاني منها؛ إني رأيته أعطى أقوامًا فهلكوا».

عدة الصابرين ٢٥٤

٢) قال سفيان الثوري: نسبغ عليهم النعم، ونمنعهم الشكر.

الشكر لابن أبي الدنيا ٤١

٣) تأمل: ﴿سَنَسۡتَدۡرِجُهُم مِّنۡ حَيۡثُ لَا يَعۡلَمُونَ ١٨٢ وَأُمۡلِي لَهُمۡۚ إِنَّ كَيۡدِي مَتِينٌ ﴾ حيث يغتر الظالمون بإمهال الله لهم، فيتدرجون في طغيانهم، ويستمرئون ذلك؛ حتى يوقنوا أن سياستهم عين العدل، فإذا أمنوا العقوبة أخذهم الله ﴿بَغۡتَةً فَإِذَا هُم مُّبۡلِسُونَ ٤٤ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْۚ وَٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾.

أ. د. ناصر العمر

﴿ مَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُۥۚ وَيَذَرُهُمۡ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ١٨٦ ﴾

الجملة الأولى تفيد أن من عاقبه الله بالإضلال فلن ينفعه أحد، والجملة الثانية تفيد أنه إنما أضله لطغيانه وعماه.

محمد الغزالي، المحاور الخمسة ٣٧

﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَجَعَلَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا لِيَسۡكُنَ إِلَيۡهَاۖ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتۡ حَمۡلًا خَفِيفٗا فَمَرَّتۡ بِهِۦۖ فَلَمَّآ أَثۡقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنۡ ءَاتَيۡتَنَا صَٰلِحٗا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ١٨٩ ﴾

إن وضع الزوج لرأسه تارة على صدر زوجته وأخرى في حجرها؛ ليجد في دفئها ما يمتص هموم الحياة كما كان يفعل ﷺ هو جزء من الفهم العميق منهما لقوله تعالى: ﴿لِيَسۡكُنَ إِلَيۡهَا ﴾.

﴿إِنَّ وَلِـِّۧيَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡكِتَٰبَۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ١٩٦ ﴾

من أصلح ما بينه وبين الله، حفظه الله في:

- حياته: ﴿وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾.
- وفي منامه: تأمل حفظ الله لأصحاب الكهف، وكيف أصاب الكلب بركة حفظهم.
- وبعد مماته: ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحٗا ﴾. فاللهُمَّ أصلحنا وأصلح بنا ولنا.

د. عمر المقبل

﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ ﴾

١) قدم عيينة بن حصن على عمر فقال: إنك لا تعطينا الجزل ولا تحكم فينا بالعدل. فغضب عمر غضبًا حتى كاد أن يهم به، ولكن ابن أخي عيينة قال: يا أمير المؤمنين، إن الله تعالى قال لنبيه: ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾، وإن هذا من الجاهلين. فوقف عندها عمر ولم يتجاوزها؛ لأنه كان وقَّافًا عند كتاب الله، فانظر إلى أدب الصحابة ﷺ عند كتاب الله، لا يتجاوزونه؛ إذا قيل لهم هذا قول الله وقفوا، مهما كان.

ابن عثيمين، تفسيره (٢٧٦/١، ٢٧٧)

٢) الآمر بالمعروف لن يعدم من يكابره على الحقِّ ويجادله، فليعرض عنه، مر سالم بن عبد الله بن عمر -وهو من كبار الفقهاء- على قافلة فيها جرس، فقال: إن هذا يُنهى عنه، فقالوا: نحن أعلم منك إنما يكره الجلجل الكبير، وأما هذا فلا بأس به، فبكى سالم، وقال: ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾.

الدر المنثور ٦٢٩/٣

﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾ ﴾

قال تعالى في سورة (الأعراف): ﴿فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾؛ بينما قال في (فصلت): ﴿فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾، وفي حكمة التفريق بينهما قال ابن جماعة: لأن آية الأعراف نزلت قبل آية فصلت؛ فحسن التعريف؛ أي: ﴿هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ الذي تقدم ذكره أولًا عند نزوغ الشيطان.

الإتقان في علوم القرآن ٣٩٥/٣

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾ ﴾

١) حق على العبد أن يقف عند كل هم يخطر له؛ ليعلم أنه من لمة الملك أو من لمة الشيطان، وأن يمعن النظر فيه بعين البصيرة، لا بهوى من الطبع، ولا يطلع عليه إلا بنور التقوى والبصيرة وغزارة العلم، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ ﴾ أي: رجعوا إلى نور العلم ﴿فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴾ أي: ينكشف لهم الإشكال.

الغزالي، إحياء علوم الدين ٣ /٣٠

٢) حين أقع في الذنب وأندم عليه؛ فلا داعي بعدُ لأن أنزع الثقة من نفسي، وأيأس من تفوقي ونبوغي؛ تدبر: ﴿إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾ فلا يأس وإن أذنبت؛ فغاية الشيطان أن تيأس فتكسل وتخمل.

متدبر

﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾ ﴾

١) قال الليث: يقال: ما الرحمة إلى أحد بأسرع منها إلى مستمع القرآن؛ لقول الله جل ذكره: ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾، و(لَعَلَّ) من الله ﷻ واجبة.

لمحات الأنوار للغافقي ١/ ١٣٥

٢) من قرئ عليه القرآن، فليقدر نفسه كأنما يسمعه من الله يخاطبه به؛ فإذا حصل له ذلك السماع، ازدحمت معاني المسموع ولطائفه وعجائبه على قلبه.

ابن القيم، مدارج السالكين ١/ ٤٩٩

٣) فمن استمع للقرآن وأنصت، فإنما يستمطر رحمة الله، فلا تستطل -أيها المؤمن- في هذه الليالي طول الصلاة، بل أرعِ سمعك لخطاب ربك، فإنما تستكثر من رحمته[1].

د. عبدالمحسن المطيري

﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٢٠٥﴾ ﴾

١) تأمل كيف قال تعالى في آية الذكر: ﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا ﴾ وفي آية الدعاء: ﴿ ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا ﴾ (الأعراف:٥٥) فذكر التضرع فيهما معًا، وهو التذلل والتمسكن والانكسار، وهو روح الذكر والدعاء.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى ١٥/ ١٩، ٢٠

٢) من حافظ على أذكار الصباح والمساء، لم يكن من الغافلين.

د. محمد الربيعة

(١) أرسلت في العشر الأواخر من رمضان ١٤٣٠هـ.

سُورَةُ الأَنفَالِ

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْۖ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١﴾﴾

١) لما حضرت الإمام نافعًا المدني -وهو أحد القراء السبعة- الوفاة، قال له أبناءه: أوصنا! قال: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْۖ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾.

معرفة القراء الكبار ١/١١١

ما أجمل أن تتضمن وصايانا لأهلنا وأولادنا وصايا قرآنية؛ فهي أعلى وأغلى أنواع الوصايا وأعظمها أثرًا.

٢) تأمل كيف قدم ربنا إصلاح ذات البين على طاعته وطاعة رسوله في قوله تعالى: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْۖ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ﴾! فكم هو مؤسف أن يمر العيد على أناس يقرؤون هذه الآية، وهم مصرون على القطيعة؟ أليس العيد فرصة لتحقيق هذا النداء الرباني؟ ونيل هذه الفضيلة التي صح الحديث بأنها خير من درجة الصائم المصلي المتصدق؟(١)

د. محمد الربيعة

﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾﴾

١) تدبر عملي: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ قال السدي ﷺ: «هو الرجل يهم بالمعصية فيذكر الله؛ فينزع عنها»!

التبصرة لابن الجوزي ٣٩٨

٢) ليست العبرة كم ختمت القرآن من مرة؟

وإنما الغنيمة والظفر بمقدار أي تغير إيجابي تجده في نفسك من أثر تلاوته وتدبره؟

قف مع نفسك بصدق، واعرضها على هذه الآية: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾.

أ. د. ناصر العمر

(١) أرسلت يوم عيد الفطر ١٤٣٠هـ

٣) إذا ذاق العبد حلاوة الإيمان ووجد طعمه وحلاوته؛ ظهر ثمرة ذلك على لسانه وجوارحه؛ فاستحلى اللسان ذكر الله و ما والاه، وأسرعت الجوارح إلى طاعة الله، ويشهد لذلك قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ﴾.

ابن رجب، لطائف المعارف ٢٥٢

٤) ﴿ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا ﴾ وهذا أمرٌ يجدُه المؤمن إذا تُليت عليه الآيات زاد في قلبه الإيمان: بفهم القرآن، ومعرفة معانيه من علم الإيمان ما لم يكن؛ حتى كأنه لم يسمع الآية إلا حينئذٍ، ويحصل في قلبه من الرغبة في الخير والرهبة من الشرِّ ما لم يكن.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى ٧/٢٢٨

والسؤال: كم هي المرات التي نسمع فيها آيات الله، ولا تحصل لنا هذه الثمرات؟

٥) شأن أهل الإيمان مع القرآن: ﴿ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا ﴾؛ لأنهم يلقون السمع، ويحضرون قلوبهم لتدبره، فعند ذلك يزيد إيمانهم؛ لأن التدبر من أعمال القلوب؛ ولأنه لا بد أن يبين لهم معنى كانوا يجهلونه، أو يتذكرون ما كانوا نسوه، أو يحدث في قلوبهم رغبة في الخير، أو وجلًا من العقوبات، وازدجارًا عن المعاصي.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن ٣١٥

٦) ﴿ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا ﴾ هل نحن من الذين يسمعون آيات الله فيزدادون إيمانًا، أم أننا -أو أن أكثرنا- يسمع آيات القرآن للطرب وللعجب، فإذا سمعها لم تجاوز أذنيه ولم تصل إلى قلبه وعقله؟

علي الطنطاوي، نور وهداية ٢١٤

﴿ كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ﴿٥﴾ يُجَٰدِلُونَكَ فِى ٱلْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴿٦﴾ ﴾

١) غزوة بدر تربي في العبد عبودية التسليم والانقياد للأمر الشرعي والكوني وإن وقع على خلاف المراد، ألم يقل الله: ﴿ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ﴿٥﴾ يُجَٰدِلُونَكَ فِى ٱلْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴾؟ ولكنهم لا يدركون أن القدر يسوقهم إلى أعز نصر ستدركه الدعوة الإسلامية في حياة الرسول ﷺ.

محمد الغزالي، مشكلات في طريق الحياة الإسلامية ١/١٠٦

٢) إذا ظهر الحق واستبان، فلا يصح أن يجادل فيه أهل العقل والإيمان. ﴿يُجَٰدِلُونَكَ فِي ٱلۡحَقِّ بَعۡدَ مَا تَبَيَّنَ﴾.

د. محمد القحطاني

﴿إِذۡ تَسۡتَغِيثُونَ رَبَّكُمۡ فَٱسۡتَجَابَ لَكُمۡ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلۡفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُرۡدِفِينَ ﴿٩﴾ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشۡرَىٰ وَلِتَطۡمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمۡۚ وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾﴾

١) الدعاء الصادق من قلب مخبتٍ سلاح نافذ بإذن الله: ﴿إِذۡ تَسۡتَغِيثُونَ رَبَّكُمۡ فَٱسۡتَجَابَ لَكُمۡ﴾ قال ابن تيمية ﷺ: «القلوب الصادقة والأدعية الصالحة هي العسكر الذي لا يغلب».

مجموع الفتاوى ٢٨/٦٤٤

٢) في غزوة بدر تعانق السلاح المادي مع التكوين الإيماني: فالنبي ﷺ هيأ الجيش، ونظم الجند، واختار المواقع، ورفع المعنويات، ثم توجه إلى ربه في ضراعة وإلحاح، يستنزل النصر، ويناشد المدد؛ فتحقق المراد.

د. صالح بن حميد

﴿إِذۡ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةٗ مِّنۡهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيۡكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذۡهِبَ عَنكُمۡ رِجۡزَ ٱلشَّيۡطَٰنِ وَلِيَرۡبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمۡ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلۡأَقۡدَامَ ﴿١١﴾﴾

النوم منة عظيمة من الله على عباده، ومن المعروف علميًا أنه إذا كان مكان النوم أكثر هدوءًا، أصبح أعظم أثرًا؛ فوقفت متدبرًا لقوله تعالى: ﴿فَضَرَبۡنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمۡ فِي ٱلۡكَهۡفِ سِنِينَ عَدَدٗا﴾ (الكهف: ١١) ولم يقل: (قلوبهم) أو (أعينهم)، حيث أثبت لي كثيرون: أن سد الأذنين يعطي نومًا أسرع وأعمق دون تقطع.

أ. د. ناصر العمر

﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ۚ سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾﴾

سئل السبكي عن الحكمة في قتال الملائكة في بدر، مع أن جبريل قادر على أن يدفع الكفار بريشة من جناحه؟ فقال: وقع ذلك لإرادة أن يكون الفعل للنبي ﷺ وأصحابه، وتكون الملائكة مددًا على عادة مدد الجيوش؛ رعاية لصورة الأسباب وسنتها التي أجراها الله تعالى في عباده.

فتح الباري لابن حجر ٣١٣/٧

﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰۚ وَلِيُبْلِيَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾﴾

إن القلة الشجاعة في غزوة بدر كشفت أن الكثرة المشركة سراب، ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ﴾ فاستدرج الله جبابرة مكة إلى مصارعهم، ما أغنى عنهم عدد ولا عدة، وأما القلة التي استغاثت بالله، واستنزلت نصره فقد فازت فوزًا عظيمًا.

محمد الغزالي، نحو تفسير موضوعي ١٣٠

﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٢١﴾﴾

من الناس من يسمع الآيات ويقول: هذه الآية نزلت في الكافرين أو المنافقين، لا في أمثالي من المؤمنين، وإن كان مُتَّصِفًا بما تنهى عنه، وتتوعد عليه من صفاتهم وأعمالهم؛ فصاحبُها يصدق عليه بوجهٍ مَّا أنه من الذين ﴿قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾.

محمد رشيد رضا، تفسير المنار ٥٢٤/٩

﴿وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْۖ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾﴾

توكل عليه وحده، وعامله وحده، وآثر رضاه وحده، واجعل حبه ومرضاته هو كعبة قلبك التي لا تزال طائفًا بها، مستلمًا لأركانها واقفًا بملتزمها، فيا فوزك ويا سعادتك إن اطلع سبحانه على ذلك من قلبك! ماذا يفيض عليك من ملابس نعمه، وخلع أفضاله: ﴿وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ﴾.

ابن القيم، طريق الهجرتين ٤٨

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْۖ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾

١) ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ الحياة النافعة إنما تحصل بالاستجابة لله ورسوله، فمن لم تحصل له هذه الاستجابة فلا حياة له؛ فالحياة الحقيقية الطيبة هي حياة من استجاب لله والرسول ظاهرًا وباطنًا؛ فهؤلاء هم الأحياء وإن ماتوا، وغيرهم أموات وإن كانوا أحياء الأبدان.

ابن القيم، الفوائد ٨٨

٢) (٧٩ تسع وسبعون آية) تتحدَّث عن «استماع» الوحي كيف يجب أن يكون؟ جاء فيها السماع على أنواع ثلاثة:

أ- سماع صوت وهو للأذن.

ب- وسماع فهم وهو للذهن.

ج- وسماع استجابة وهو للقلب والجوارح، فالأولان وسيلة والأخير هو المنجي فقط، ولم أرها مجموعة إلا في الأنفال (١٩-٢٣)، فلا تحرم «قلبك» سماع القرآن.

د. عصام العويد

٣) الله وحده يعصمك من الخطايا:

﴿ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ ﴾ سمع عمر بن الخطاب ﷺ رجلًا يقول: «اللَّهُمَّ إنك تحول بين المرء وقلبه، فحُلْ بيني وبين معاصيك»، فأُعْجِبَ عمر ﷺ ودعا له.

تفسير ابن رجب الحنبلي ٤٨٧/١

﴿ وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةًۖ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢٥﴾ ﴾

أي: هذه الفتنة لا تصيب الظالم فقط؛ بل تصيب الظالم والساكت عن نهيه عن الظلم.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى ١٤/ ١٥٨

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ ﴾

أكثر ما يدفع الإنسان لخيانة الله ورسوله والأمانة التي حملها: ماله وولده.

متدبر

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا وَيُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ٢٩ ﴾

١) قال مالك لتلميذه الشافعي ﷺ أول ما لقيه: «إني أرى الله قد ألقى على قلبك نورًا، فلا تطفئه بظلمة المعصية»، وهذا المعنى الذي نبّه عليه الإمام مالك مأخوذ من قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا ﴾، يقول ابن القيم ﷺ: «ومن الفرقان: النور الذي يفرِّق به العبد بين الحقِّ والباطل، وكلما كان قلبُه أقربَ إلى الله كان فرقانُه أتمَّ، وبالله التوفيق».

إعلام الموقعين ٤/٢٥٨

٢) ﴿إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا ﴾ من أعظم أنواع الفرقان الذي يؤتاه المتقي لربه: البصيرة زمن الفتن.

قال الحسن البصري ﷺ: «إذا أقبلت الفتنة عرفها كل عالم، وإذا أدبرت عرفها الناس كلهم»(١)، وقد وصف أيوب السختياني الحسن البصري بقوله: «كان يبصر من الفتنة إذا أقبلت ما نبصر منها إذا أدبرت»(٢)، قال ابن تيمية ﷺ: «إن الفتن إنما يعرف الناس ما فيها من الشر إذا أدبرت»(٣).

متدبر

﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمۡ وَأَنتَ فِيهِمۡۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمۡ وَهُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ ٣٣ ﴾

١) استدل العلماء بهذه الآية على أنه لو دخلت محبة الرسول ومحبة سنته في قلب عبد فإن الله لا يعذب هذا القلب، لا في الدنيا ولا في الآخرة.

ابن القيم، إعلام الموقعين ١/١٧٣ (بتصرف)

إذا كان مجرد وجود حب الرسول في القلب مانعًا من تعذيبه، فما بالك بوجود محبة الله سبحانه في ذلك القلب!

---

(١) الحلية (٧/١٦٥).

(٢) المجالسة وجواهر العلم (٦/٨٦).

(٣) منهاج السنة (٤/٤٠٩).

٢) من سره أن يكون أقوى الناس، فليتوكل على الله، وبالاستغفار يغفر له ويدفع عنه عذابه: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى (٥٥/١)

٣) إذا قرنت بين قول ربنا في الحديث القدسي: «**يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعًا فاستغفروني أغفر لكم**»(١)، وبين قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ وأنه أتى بالفعل المضارع ﴿يَسْتَغْفِرُونَ﴾ الدال على الاستمرار؛ عرفت أننا بحاجة للاستغفار كل وقت وحين، وأن حملات الاستغفار التي يروج لها بعضهم إنما هي مجانفة لهدي الوحيين، وفتحٌ لباب -قد لا يغلق- من أبواب البدع في باب الأذكار.

د. عمر المقبل

٤) صيغة الاسم تفيد الثبات والدوام وصيغة الفعل تفيد التجدد والاستمرار، ومن لطائف هذا التعبير قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾﴾، فجاء الفعل ﴿لِيُعَذِّبَهُمْ﴾؛ لأن بقاء الرسول بينهم مانع مؤقت من العذاب وجاء بعده بالاسم ﴿مُعَذِّبَهُمْ﴾؛ لأن الاستغفار مانع ثابت من العذاب في كل زمان.

د. فاضل السامرائي، التعبير القرآني ٢٦

٥) منذ شهر تقريبًا وربُّنا يستعتبنا بهذه الزلازل التي تزداد شيئًا فشيئًا؛ ولم نؤخذ على حين غرَّة؛ لعلنا نتوب ونستغفر: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾، هذا وقت تضرُّع والتجاء؛ فإن الله يقول: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤٢﴾ فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا۟﴾، ولنحذر من تتمَّتها: ﴿وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ (الأنعام:٤٢-٤٣)(٢).

د. محمد العواجي

---

(١) أخرجه مسلم ح(٢٥٧٧)

(٢) أرسلت إبان حدوث زلازل وهزات أرضية في بعض مناطق المملكة.

﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُواْ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾

١) ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ ﴾ هذه لطيفة؛ وذلك أن الكفار يقتحمون الكفر والجرائم، والمعاصي والمآثم، فلو كان ذلك يوجب مؤاخذتهم لما استدركوا أبدًا توبة، ولا نالتهم مغفرة؛ فيسر الله عليهم قبول التوبة عند الإنابة، وبذل المغفرة بالإسلام، وهدم جميع ما تقدم؛ ليكون ذلك أقرب إلى دخولهم في الدين، وأدعى إلى قبولهم كلمة الإسلام.

ابن العربي، أحكام القرآن ١١٦/٤

٢) اشترط الله لتوبة الكافر شرطًا واحدًا ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ ﴾، واشترط لتوبة المنافق أربعة شروط ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَٱعْتَصَمُواْ بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُواْ دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (النساء:١٤٦) مما يدل على أن النفاق خطره أعظم، والتوبة منه أشق!

د. عبدالرحمن الشهري

﴿ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِىٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِىٓ أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٤٤﴾ ﴾

وهذا من بديع صنع الله تعالى؛ إذ جعل للشيء الواحد أثرين مختلفين، فكان تخيل المسلمين قلة المشركين مقوِّيًا لقلوبهم، ومزيلًا للرُّعب عنهم، فعظم بذلك بأسهم عند اللقاء، وكان تخيل المشركين قلة المسلمين غارًّا إياهم بأنهم سينالون التغلب عليهم بأدنى قتال، ففجأهم بأس المسلمين.

ابن عاشور، التحرير والتنوير ٢٣٨/٦

﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾

إن الشقاق يضعف الأمم القوية، ويميت الأمم الضعيفة ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾.

محمد الغزالي، خلق المسلم ١٦٧

﴿ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٥١﴾ ﴾

١) كُدُورَة المعاصي والخبث الذي يتراكم على وجه القلب من كثرة الشهوات يمنع صفاء القلب وجلاءه، فيمتنع ظهور الحق فيه لظلمته وتراكمه ﴿ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ .

الغزالي، إحياء علوم الدين ١٣/٣ (بتصرف)

٢) السنة شجرة، والشهور فروعها، والأيام أغصانها، والساعات أوراقها، والأنفاس ثمرها، فمن كانت أنفاسه في طاعة؛ فثمرة شجرته طيبة، ومن كانت في معصية؛ فثمرته حنظل، وإنما يكون الجداد يوم المعاد، فعند الجداد يتبين حلو الثمار من مرها، ﴿ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾.

ابن القيم، الفوائد ١٦٤

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٣﴾ ﴾

دليل على أن الله ﷻ قد يسلب النعم بفعل المعصية عقوبة لفاعليها، فهو سبحانه لا يغير ما بهم حتى يحدثوا أحداثًا يعاقبهم الله عليها، فيغير ما بهم، ويكون الإحداث سببًا للتغيير.

القصَّاب، نكت القرآن ٤٧٣/١

﴿ ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِى كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾

قال الله عن اليهود: ﴿ ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِى كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ ﴾ إنما قال: ﴿ يَنقُضُونَ ﴾ بفعل الاستقبال مع أنهم كانوا قد نقضوه قبل نزول الآية؛ لإفادة استمرارهم على ذلك، وأنه لم يكن هفوة رجعوا عنها، وندموا عليها، بل إنهم ينقضونه في كل مرة وإن تكرر، وهو يصدق على عهود طوائف اليهود الذين كانوا حول المدينة في جملتهم.

محمد رشيد رضا، تفسير المنار ٤٣/١٠

﴿ وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾

١) أمر الله ﷻ بإعداد القوة للأعداء؛ فإن الله تعالى لو شاء لهزمهم بالكلام، وحفنة من تراب، كما فعل ﷺ، ولكنه أراد أن يبلي بعض الناس ببعض، فأمر بإعداد القوى والآلة في فنون الحرب التي تكون لنا عدة، وعليهم قوة، ووعد على الصبر والتقوى بإمداد الملائكة العليا.

ابن العربي، أحكام القرآن ٤ / ١٥٥

٢) تدبر هذه الآية: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ﴾ حيث عطف ﴿رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ﴾ على ﴿مِّن قُوَّةٍ﴾ والعطف يقتضي المغايرة، ونكّر ﴿قُوَّةٍ﴾؛ ليدل على أنها شاملة لجميع أنواع القوة غير الخيل، وأعظمها: قوة الإيمان.

وأحداث غزة أثبتت ما أحدثته صواريخ القسام من رعب في العدو، مع تواضعها بالنسبة لما لدى اليهود من سلاح، مما يشعر أثر الإيمان في فاعلية السلاح، مهما كان تواضعه مقارنة بما لدى الخصم[1].

أ. د. ناصر العمر

﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾

قال ابن عباس رضي الله عنهما: إن النعمة تُكفر، والرحم تُقطع، وإن الله تعالى يؤلف بين القلوب، وإذا قارب بين القلوب لم يزحزحها شيء أبدًا، ثم تلا هذه الآية: ﴿لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾.

الزهد لابن المبارك ١٢٣

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُواْ مِاْئَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ يَغْلِبُوٓاْ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾﴾

﴿إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُواْ مِاْئَتَيْنِ﴾ لم أشعر بحقيقةِ معنى هذه الآية كما شعرت بها وأنا في خندقي، أنتظر بشغف ملاقاة وحدات العدوِّ، وإني أقسم بالذي رفع السماء بلا عمد، لو علموا كيف تُحلِّق أرواحنا لقتالهم؛ لغاصت أقدامهم ارتعادًا وخوفًا من بأسنا.

أحد المدافعين عن غزة[2]

---

(١) أُرسلت إبان حرب اليهود على غزة مطلع سنة ١٤٣٤هـ.

(٢) في حرب اليهود على غزة مطلع سنة ١٤٣٤هـ.

﴿ لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦٨﴾ فَكُلُوا۟ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٩﴾ ﴾

١) ثبت في الشريعة العفو عن الخطأ في الاجتهاد، حسبما بسطه العلماء وأهل الأصول، ومنه قوله تعالى: ﴿ لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦٨﴾ ﴾.

الشاطبي، الموافقات ١/ ١٦٣

فعلى الأب والمربي أن يراعي ذلك في معاملته لمن دونه، فلا يعاقبهم أو يستهزئ بهم على اجتهادهم السائغ.

٢) القرآن يعالج الأخطاء ويعاتب المخطئين لا لذات العقاب أو التشفي، كلا! وإنما لأجل ألا يتكرر الخطأ، وليتوب المخطئ؛ ولذا تجد السعة والرحمة بعد التهديد والوعيد.

أ. د. ناصر العمر

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّمَن فِىٓ أَيْدِيكُم مِّنَ ٱلْأَسْرَىٰٓ إِن يَعْلَمِ ٱللَّهُ فِى قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٠﴾ ﴾

١) ﴿ إِن يَعْلَمِ ٱللَّهُ فِى قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ﴾ فإذا أقبلت على الله تعالى بصدق نية، ورغبة لفهم كتابه باجتماع همّ، متوكلًا عليه أنه هو الذي يفتح لك الفهم، لا على نفسك فيما تطلب، ولا بما لزم قلبك من الذكر؛ لم يخيبك من الفهم والعقل عنه إن شاء الله.

المحاسبي، فهم القرآن ٣٢٤

٢) ما أعظم الصدق مع الله، تأمل: ﴿ إِن يَعْلَمِ ٱللَّهُ فِى قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ﴾، ﴿ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾ (الفتح: ١٨)، ﴿ فَلَوْ صَدَقُوا۟ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴾ (محمد: ٢١).

د. محمد الربيعة

سُورَةُ التَّوْبَةِ

﴿ وَأَذَانٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِىٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۙ وَرَسُولُهُۥ ۚ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٣) ﴾

١) إضافة الأذان إلى الله ورسوله دون المسلمين؛ لأنه تشريعٌ وحُكْمٌ في مصالح الأمة، فلا يكون إلا من الله على لسان رسوله ﷺ.

ابن عاشور، التحرير والتنوير١٠/١٠٨

٢) جاءت هذه الصيحة بعد (٢٢ سنة) من بدء الوحي، ختمت صراعًا داميًا طويلًا بين دعوة التوحيد، وبين الجاهلية التي أبت إلا سفك الدم، ومصادرة الحرية ووأد الحق؛ فكان جزاءها أن طبق عليها القانون الأزلي: ﴿ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ (الرعد:١٧).

محمد الغزالي، خطب الشيخ محمد الغزالي ٥/١٦٠

﴿ أَلَا تُقَـٰتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوٓا۟ أَيْمَـٰنَهُمْ وَهَمُّوا۟ بِإِخْرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ أَتَخْشَوْنَهُمْ ۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (١٣) ﴾

إنما قال: ﴿ بَدَءُوكُمْ ﴾؛ تنبيهًا على أن البادئ أظلم.

الرازي، مفاتيح الغيب ١٥/٥٣٥

﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَـٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَـٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَـٰسِقِينَ (٢٤) ﴾

هذه الآية أشد آية نَعَتْ على الناس ما لا يكاد يتخلص منه إلا من تداركه الله سبحانه بلطفه.

الألوسي، روح المعاني ٧/١٩٢

﴿ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦﴾ ﴾

إنما قال: ﴿وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ ولم يقل وعليكم؛ لأن الخطاب للجماعة وفيهم بقية من المنافقين وضعفاء الإيمان.

محمد رشيد رضا، تفسير المنار ٢٢١/١٠

﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾

إذا رأيت تكالب الأعداء على أمَّة الإسلام، فتذكر قول ربِّك: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ «فمثلهم في ذلك كمثل من يريد أن يطفئ شعاع الشمس أو نور القمر بنفخة، وهذا لا سبيل إليه، فكذلك ما أرسل به الرسول ﷺ لا بد أن يتم ويظهر».

ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ٤٢٥/٢

﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾

وفقًا لتقرير أعده قسم الأديان لمركز (بيو) الأمريكي: فعدد المسلمين في العالم (١,٧٥ مليار)، وتقول صحيفة التلغراف البريطانية إن عدد المسلمين في أوروبا سيصل إلى ٢٠٪ من سكان أوروبا. علق أحد الغربيين قائلًا: لقد صار من المحقق أن الإسلام ظافر لا محالة على غيره من الأديان التي تتنازع العالم؛ فعدد المسلمين في نمو وتزايد مستمر.

وصدق ربنا: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴾.

﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡأَحۡبَارِ وَٱلرُّهۡبَانِ لَيَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۗ وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ﴿٣٤﴾ ﴾

إن الأموال المستخفية في الخزائن المختبئ فيها حق المسكين والبائس، شر جسيم على صاحبها في الدنيا والآخرة ﴿وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ﴾.

محمد الغزالي، خلق المسلم ١٠٦

﴿ يَوۡمَ يُحۡمَىٰ عَلَيۡهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكۡوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمۡ وَجُنُوبُهُمۡ وَظُهُورُهُمۡۖ هَٰذَا مَا كَنَزۡتُمۡ لِأَنفُسِكُمۡ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمۡ تَكۡنِزُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾

كيف يمنع أحد زكاته وهو يقرأ: ﴿ يَوۡمَ يُحۡمَىٰ عَلَيۡهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكۡوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمۡ وَجُنُوبُهُمۡ وَظُهُورُهُمۡ ﴾ ولم يقل: تحمى في نار جهنم؛ ليدل ذلك على أنها مع حرارة نار جهنم تستعمل لها الآلات المحمية، فيضاعف حرها ويشتد عذابها.

السعدي، المواهب الربانية من الآيات القرآنية ٢١

﴿ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثۡنَا عَشَرَ شَهۡرٗا فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوۡمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ مِنۡهَآ أَرۡبَعَةٌ حُرُمٞۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُۚ فَلَا تَظۡلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمۡۚ وَقَٰتِلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ كَآفَّةٗ كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمۡ كَآفَّةٗۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾

١) قال ابن عباس رضي الله عنهما: اختص من ذلك أربعة أشهر -وهي: ذو القعدة، وذو الحجة، ومحرم، ورجب- فجعلهن حرمًا وعظم حرمتهن، وجعل الذنب فيهن أعظم، والعمل الصالح والأجر أعظم.

الدر المنثور ١٨٧/٤

٢) قال قتادة -في قوله تعالى عن الأشهر الحرم-: ﴿فَلَا تَظۡلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمۡ﴾ إن الظلم في الشهر الحرام أعظم خطيئة ووزرًا من الظلم فيما سواه، وإن كان الظلم على كل حال عظيمًا ولكن الله يعظم من أمره ما شاء.

الدر المنثور ١٨٧/٤

٣) دلت الآية أنَّ الواجب تعليق أحكام العبادات وغيرها بالشهور والسنين التي تعرفها العرب، دون شهور العجم والروم، وإن لم تزد على اثني عشر شهرًا؛ لقوله: ﴿مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ﴾، وهي خاصة بشهور العرب.

القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ١٣٣/٨

٤) عشر ذي الحجة من أعظم أيام الأشهر الحرم.. ﴿فَلَا تَظْلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ﴾ ومن ظلم النفس: تضييعها في غير ما يقرب إلى الله، قال الحسن البصري ﷺ: «أدركت أقوامًا كانوا على ساعاتهم أشفق منكم على دنانيركم ودراهمكم».

ابن عجيبة الفاسي، البحر المديد ٧٤/٣

٥) ليس المسلم الحق بالذي تدخل عليه هذه الأشهر -التي عظم الله شأنها- وهو لا يبالي بما ينتهك فيها من المعاصي، وتعدي حدود الله، فإن الله تعالى قال فيها: ﴿فَلَا تَظْلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ﴾.

د. عمر المقبل

٦) أرأيت إنسانًا يظلم نفسه؟ نعم.. ستراه حين ينتهك حرمة زمان نهاه ربُّه عن أن يظلم فيه نفسه. رجب هو الشهر الفرد من الأشهر الحرم التي قيل لنا فيها: ﴿فَلَا تَظْلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ﴾، ورجب هذه السنة يوافق إجازة: فكم من حافظ لحرمته بطلب العلم وبرٍّ وعبادةٍ ونفعٍ للخلق، وكم من غافل هاتكٍ حرمته بعصيان حضرًا وسفرًا، ومن كان كذلك؛ فإنه لا يضر الله شيئًا، بل لا يضر ولا يظلم إلا نفسه[١].

٧) لو ظلم المرء نفسه في الأشهر الحرم لكان قد أتى أمرًا عظيمًا: ﴿فَلَا تَظْلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ﴾ فكيف بمن ظلم غيره بفعل ما تأباه الشرائع والأعراف كلها؟ قتل وقتال.. وانتهاك لحرمة الجوار.. وترويع للآمنين.. وهتك لحرمة هذه الأشهر.. وتشويه لسمعة الإسلام.. واستنزاف لأموال الأمة.. فما أعظم جناية الحوثيين ومن أعانهم فيما اجترحوا[٢]!!

---

(١) أرسلت في سنة وافق رجب بداية الإجازة الصيفية.

(٢) أرسلت في تاريخ ١٤٣١/١١/٢١هـ، أثناء بدء هجوم الحوثيين على بعض مناطق الحدود جنوب المملكة.

﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفْلَىٰۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلْعُلْيَاۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾ ﴾

١) ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ ﴾ انظر كيف جعل الله خروج نبيه من مكة، بل إخراجه؛ نصرًا مبينًا، وأنزل عليه سكينة وجنودًا تؤيده، وجعل كلمة الكافرين السفلى، فما يظنه بعض الناس هزيمة -بسبب ما حصل لأنبياء الله وأوليائه من القتل والسجن- إنما هو في ميزان الله نصر، بل النصر المبين.

فهد العيبان

٢) كل من وافق الرسول ﷺ في أمر خالف فيه غيره، فهو من الذين اتبعوه في ذلك، وله نصيب من قوله: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴾ (التوبة: ٤٠)؛ فإن المعية الإلهية المتضمنة للنصر هي لِـمَا جاء به إلى يوم القيامة، وهذا قد دلّ عليه القرآن، وقد رأينا من ذلك وجربنا ما يطول وصفه.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى (٢٨ / ٣٧)

٣) ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴾ ألا ترى كيف قال: ﴿لَا تَحْزَنْ ﴾، ولم يقل: لا تخف؛ لأنَّ حزنه على رسول الله ﷺ شغله عن خوفه على نفسه.

السهيلي، الروض الأنف ٣١٥/٢

٤) قال الشعبي: عاتب الله ﷻ أهل الأرض جميعًا -في هذه الآية- إلا أبا بكر الصديق ﵁.

البغوي، معالم التنزيل ٤٩/٤

﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَّٱتَّبَعُوكَ وَلَٰكِنۢ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ ٱلشُّقَّةُۚ وَسَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَوِ ٱسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾

﴿لَوِ ٱسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ ﴾ قيلت هذه في نفس الغزوة التي قيل فيها عن قوم: ﴿تَوَلَّواْ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَ ﴾ (التوبة:٩٢)! المخذول لا تعجزه الأعذار!

د. عمر المقبل

﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَتَعۡلَمَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ٤٣﴾

١) قال مورق العجلي: هل سمعتم بمعاتبة أحسن من هذه؟ بدأ بالعفو قبل المعاتبة.

الدر المنثور ٥ / ٨٥

٢) من لطائف الآيات التي فيها عتاب للنبي ﷺ، أنك لا تجد آية عتاب ونحوها، إلا وجدت تصريحًا بالعفو والمغفرة والرحمة، ففي التوبة: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمۡ﴾، وفي الأنفال -بعد آية الأسرى-: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ (الأنفال:٦٩).

متدبر

﴿۞ وَلَوۡ أَرَادُواْ ٱلۡخُرُوجَ لَأَعَدُّواْ لَهُۥ عُدَّةٗ وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمۡ فَثَبَّطَهُمۡ وَقِيلَ ٱقۡعُدُواْ مَعَ ٱلۡقَٰعِدِينَ ٤٦﴾

١) صدق التأهب للقاء هو مفتاح جميع الأعمال الصالحة، والأحوال الإيمانية، ومقامات السالكين إلى الله، ومنازل السائرين إليه﴿وَلَوۡ أَرَادُواْ ٱلۡخُرُوجَ لَأَعَدُّواْ لَهُۥ عُدَّةٗ﴾.

ابن القيم، طريق الهجرتين ٢٧٦

٢) مع إقبال رمضان؛ حريٌّ بالعبد أن يتدبر هذه الآية: ﴿وَلَوۡ أَرَادُواْ ٱلۡخُرُوجَ لَأَعَدُّواْ لَهُۥ عُدَّةٗ﴾ ومِنْ أعظم العُدَد التي يستقبل بها هذا الشهر: تصفية قلبك من الذنوب -وهذا حق الله- ومن الضغائن التي بينك وبين العباد، وإلا فيخشى أن يصاب العبد بنهاية الآية: ﴿وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمۡ﴾ ولا يظلم ربك أحدًا.

د. عمر المقبل

٣) إذا حبست عن طاعة، فكن على وجل من أن تكون ممن خذلهم الله، وثبطهم عن الطاعة كما ثبط المنافقين عن الخروج للجهاد.

د. مساعد الطيار

٤) لا تجزع من الألم، ولا تخف من المعاناة، فربما كانت قوةً لك ومتاعًا إلى حين؛ فإنك إن تعش مشبوب الفؤاد، محروق الجوى، ملذوع النفس؛ أرق وأصفى من أن تعيش بارد المشاعر، فاتر الهمة، خامد النفس، وتأمل: ﴿وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمۡ فَثَبَّطَهُمۡ وَقِيلَ ٱقۡعُدُواْ مَعَ ٱلۡقَٰعِدِينَ﴾.

د. يوسف المهوس

﴿ لَوۡ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمۡ إِلَّا خَبَالٗا وَلَأَوۡضَعُواْ خِلَٰلَكُمۡ يَبۡغُونَكُمُ ٱلۡفِتۡنَةَ وَفِيكُمۡ سَمَّٰعُونَ لَهُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ٤٧ ﴾

من عادة المنافقين: ﴿وَلَأَوۡضَعُواْ خِلَٰلَكُمۡ يَبۡغُونَكُمُ ٱلۡفِتۡنَةَ ﴾ إنه الركض اللاهث لتفجير جسور التواصل، وتلغيم القلوب.

د. عبد الله بن بلقاسم

﴿وَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ ٱئۡذَن لِّي وَلَا تَفۡتِنِّيٓۚ أَلَا فِي ٱلۡفِتۡنَةِ سَقَطُواْۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةُۢ بِٱلۡكَٰفِرِينَ ٤٩ ﴾

ليس كلُّ من ادَّعى اتقاءَ الفتنةِ كان صادقًا، بل منهم المنافق ومنهم الخائف.

د. محمد الخضيري

﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوۡلَىٰنَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٥١ ﴾

إنما لم يقل: (ما كتب علينا)؛ لأنه أمر يتعلق بالمؤمن، ولا يصيب المؤمن شيء إلا وهو له: إن كان خيرًا فهو له في العاجل، وإن كان شرًا فهو ثواب له في الآجل.

ابن هبيرة، ذيل طبقات الحنابلة ٢٣٧/١

﴿ وَمَا مَنَعَهُمۡ أَن تُقۡبَلَ مِنۡهُمۡ نَفَقَٰتُهُمۡ إِلَّآ أَنَّهُمۡ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأۡتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمۡ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمۡ كَٰرِهُونَ ٥٤ ﴾

١) قال تعالى عن المنافقين: ﴿ وَلَا يَأۡتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمۡ كُسَالَىٰ ﴾ قال ابن عباس ﵄: إن كان في جماعة صلى وإن انفرد لم يصل، وهو الذي لا يرجو على الصلاة ثوابًا، ولا يخشى في تركها عقابًا.

الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٦٣/٨

لو لم يكن للنفاق آفة إلا أنه يورث الكسل عن العبادة، لكفى به ذمًّا، فكيف ببقية آثاره السيئة؟!

٢) في قوله تعالى عن المنافقين: ﴿وَلَا يَأۡتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمۡ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمۡ كَٰرِهُونَ ﴾ تنبيه إلى أنه ينبغي للمؤمن أن يقوم إلى صلاته بنشاط وإقبال ورغبة، وأن تكون نفسه عند الإنفاق منشرحة.

د. عبدالرحمن الشهري

﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٥٥﴾﴾

إذا رأيت كافرًا زاده الله مالًا وذرية فلا تغتر به، فإنما هي زيادة عذاب في الدارين: ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا﴾ وهو بكفره لا يزداد عند الله إلا مقتًا وخسارًا: ﴿وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًاۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا﴾ (فاطر:٣٩).

د. عبدالمحسن المطيري

﴿وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنْ أُعْطُواْ مِنْهَا رَضُواْ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْاْ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴿٥٨﴾﴾

١) المرء الصالح ينبغي ألا يكترث لفقدان حظه من الدنيا، فإذا أهمل في إسناد منصب، أو بخس في تقدير راتب، لم يملأ الآفاق صياحًا وشغبًا؛ فإن الغضب للدنيا على هذا النحو الشائن، شيمة المنافقين الذين قال الله فيهم: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنْ أُعْطُواْ مِنْهَا رَضُواْ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْاْ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ﴾.

محمد الغزالي، خلق المسلم ١٦٦

٢) هذه الآية تكشف عن خلل في منهج النقد بدعوى الإصلاح، حيث تكون المنفعة الذاتية هي الباعث لذلك، ومحور الغضب والرضى، وهذا مسلك المنافقين، فتفقد قلبك قبل أن ينطق لسانك أو يخط بنانك.

أ. د. ناصر العمر

﴿۞ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾﴾

الله خلق النفوس ويعلم حبَّها للمال؛ فلم يوكل توزيعها لأحدٍ، وإنما تولى الربُّ ﷻ مصارفها، كما تولى قسمة المواريث: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوْلَٰدِكُمْۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِۚ﴾ الآية (النساء:١١).

صالح المغامسي

﴿يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُواْ مُؤْمِنِينَ ۝٦٢﴾

﴿وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ﴾ إذا تأملت أكثر الناس، وجدتهم ينظرون في حقهم على الله ولا ينظرون في حق الله عليهم؛ ومن هنا انقطعوا عن الله!

ابن القيم، إغاثة اللهفان ١/١٨٨

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ۝٦٥ لَا تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ مُجْرِمِينَ ۝٦٦﴾

١) حب الله ورسوله موجود في قلب كل مؤمن، لا يمكنه دفع ذلك من قلبه إذا كان مؤمنًا، وتظهر علامات حبه لله ولرسوله إذا أخذ أحد يسب الرسول ويطعن عليه، أو يسب الله ويذكره بما لا يليق به؛ فالمؤمن يغضب لذلك أعظم مما يغضب لو سب أبوه وأمه.

ابن تيمية، دقائق التفسير ٥/٢٠٩

٢) قال ابن تيمية ﷺ: «وهذا نص في أنَّ الاستهزاء بالله وآياته وبرسوله كفر، فالسب المقصود بطريق الأولى».

الصارم المسلول ٣١

٣) الاستهزاء ينافي التعظيم، الاستهزاء بالله كفر مخرج من الدين؛ لأنَّ أصلَ الدين مبنيٌّ على تعظيم الله وتعظيم دينه ورسله، والاستهزاء مناقضٌ لهذا الأصل أشدَّ المناقضة.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن ٣٤٢

﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝٧١﴾

١) المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها قلوبهم واحدة، موالية لله ولرسوله ولعباده المؤمنين، معادية لأعداء الله ورسوله وأعداء عباده المؤمنين، وقلوبهم الصادقة، وأدعيتهم الصالحة؛ هي العسكر الذي لا يغلب والجند الذي لا يخذل، فإنهم هم الطائفة المنصورة إلى يوم القيامة.

ابن تيمية، الفتاوى ٢٨/٦٤٤

٢) وفي هذه الآية دليل على أنَّ وظيفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ليست خاصة بالرجال، بل حتى النساء عليهن أن يأمرن بالمعروف وينهين عن المنكر، في حقول النساء ومجتمعات النساء: في أيام العرس وفي أيام الدراسة، وما أشبه ذلك.

ابن عثيمين، شرح رياض الصالحين ٤/٤٩٨

﴿ ۞ وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُوا۟ بِهِۦ وَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُوا۟ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾

١) كم من شخص يتشوَّف إلى الدرجات العالية التي لا يقدر أن يقوم بحقوقها؛ فيكون وصوله إليها وبالًا في حقِّه -وهذا في أمر الدنيا- كما قال تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ ﴾.

ابن تيمية، الاستقامة ٢/٥٥

٢) كثير من الناس يلجأ إلى النذر عند تأزم أمرٍ مَّا عنده، وقد ثبت في الحديث أنه لا يأتي بخير(١)، ومصداق ذلك في القرآن: ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ ﴾.

د. محمد الخضيري

﴿ ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ ۙ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ﴾

هكذا المنافق: شر على المسلمين، فإن رأى أهل الخير لمزهم، وإن رأى المقصرين لمزهم، وهو أخبث عباد الله، فهو في الدرك الأسفل من النار. والمنافقون في زمننا هذا إذا رأوا أهل الخير وأهل الدعوة، وأهل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ قالوا: هؤلاء متزمتون، وهؤلاء متشددون، وهؤلاء أصوليون، وهؤلاء رجعيون، وما أشبه ذلكم من الكلام.

ابن عثيمين، شرح رياض الصالحين ١/١٣٥

---

(١) الحديث أخرجه مسلم ح(١٦٣٩).

﴿ فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓاْ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُواْ لَا تَنفِرُواْ فِي ٱلْحَرِّۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرّٗاۚ لَّوْ كَانُواْ يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾ ﴾

١) ﴿وَقَالُواْ لَا تَنفِرُواْ فِي ٱلْحَرِّ﴾ هكذا قالها المنافقون وهم يسمعون داعي النفير!

والفرَّارون اليوم من الطاعات كُثر!

في الأجواء الحارة التي يعيشها المؤمن؛ ليتذكر معها -وهو يقرأ هروب المنافقين من نصرة الدين- تلك التضحيات العظام للصحابة الكرام رضوان الله عليهم لنصرة الدين، فماذا قدمنا لديننا ونحن ننعم بالرخاء؟

متدبر

٢) ﴿وَقَالُواْ لَا تَنفِرُواْ فِي ٱلْحَرِّۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرّٗاۚ لَّوْ كَانُواْ يَفْقَهُونَ﴾ الكثير من الناس ينفر في الحر، لكن فرق كبير بين نافر في حر الصيف ليبحث عن نزوة، ويقضي شهوة محرمة هنا أو هناك، لو دعي إلى خدمة دينه أو نفع أمته لاعتذر بشدة الحر! ونافر في الحر ليبلغ الخير وينفع الأمة! وسيعلم الفريقان عاقبة نفيرهما يوم قيام الأشهاد.

﴿ فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٖ مِّنْهُمْ فَٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُواْ مَعِيَ أَبَدٗا وَلَن تُقَٰتِلُواْ مَعِيَ عَدُوًّاۖ إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِٱلْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٖ فَٱقْعُدُواْ مَعَ ٱلْخَٰلِفِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾

١) ﴿فَقُل لَّن تَخْرُجُواْ مَعِيَ أَبَدٗا وَلَن تُقَٰتِلُواْ مَعِيَ عَدُوًّا﴾ ولا خزي أعظم من أن يكون إنسان قد رفضه الشرع ورده؛ كالجمل الأجرب.

ابن عطية، المحرر الوجيز ٧٤/٣

٢) ألا يخشى أصحاب المواقف السلبية بعدم قيامهم بما أوجب الله عليهم من جهاد المنافقين بأن يحل عليهم غضب الله كما حل بمن قبلهم؟! أفلا يتدبرون: ﴿فَقُل لَّن تَخْرُجُواْ مَعِيَ أَبَدٗا وَلَن تُقَٰتِلُواْ مَعِيَ عَدُوًّاۖ إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِٱلْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٖ فَٱقْعُدُواْ مَعَ ٱلْخَٰلِفِينَ﴾.

أ. د. ناصر العمر

﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَـٰسِقُونَ ﴿٨٤﴾ ﴾

استنبط بعض العلماء من قوله تعالى -عن المنافقين-: ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَـٰسِقُونَ ﴾، أن هذه الآية تدل على شرعية صلاة الجنازة؛ فلما نهى عن الصلاة على المنافقين دل على مشروعيتها في حق المؤمنين.

الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٨/٢٢١ (بتصرف)

﴿ وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَأَوْلَـٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَـٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾

سبحان الله! العاصي يتعذَّب بمعاصيه التي يحسده أناس عليها؛ شوقًا لها، وحسدًا لغيره عليها، وسعيًا في تحصيلها، وخوفًا من نظر الناس، ثم إذا نالها تعذَّب خشية الفوت، ثم حسرةً على الفقد، ثم العذاب الأكبر يوم القيامة إن لم يرحمه لله؛ يا للعذاب! لكن الشيطان سوَّل لهم وأملى لهم.

متدبر

﴿ وَجَآءَ ٱلْمُعَذِّرُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٠﴾ ﴾

﴿سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ إنما قال: ﴿مِنْهُمْ﴾؛ لأنه تعالى كان عالمًا بأن بعضهم سيؤمن ويتخلص من هذا العقاب، فذكر لفظة (من) الدالة على التبعيض.

الرازي، مفاتيح الغيب ١٦/١٢٠

﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا۟ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩١﴾ ﴾

١) هذه الآية أصل في سقوط التكليف عن العاجز، فكل من عجز عن شيء سقط عنه، فتارة إلى بدل هو فعل، وتارة إلى بدل هو غرم، ولا فرق بين العجز من جهة القوة أو العجز من جهة المال.

القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ٨/٢٢٦

٢) ﴿مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ﴾ هذه الآية أصل في رفع العقاب عن كل محسن.

القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ٨/٢٢٧

﴿ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوۡكَ لِتَحۡمِلَهُمۡ قُلۡتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحۡمِلُكُمۡ عَلَيۡهِ تَوَلَّواْ وَّأَعۡيُنُهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَ ﴿٩٢﴾ ﴾

١) أترى أن الله يهدر هذا اليقين الراسخ؟ وهذه الرغبة العميقة في التضحية؟ إن النية الصادقة سجلت لهم ثواب المجاهدين؛ لأنهم قعدوا راغمين.

محمد الغزالي، خلق المسلم ٩٠

٢) الحزن على فوت الطاعة من ثمرة حبها، والاهتمام بها؛ لأن المرء لا يحزن إلا على ما عز عليه.

العز بن عبد السلام، شجرة المعارف والأحوال ٦٧

٣) ﴿ تَوَلَّواْ وَّأَعۡيُنُهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَ ﴾! هكذا بكوا لفوات قربة من القربات التي كانوا معذورين فيها لفقرهم! فكم بكينا لفوات قربات لسنا معذورين فيها؟! بل فتش فستجد في الناس من يبكي لفوات شهوة، أو معصية، أو هزيمة ناديه المفضل!!

د. عمر المقبل

﴿ وَءَاخَرُونَ ٱعۡتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمۡ خَلَطُواْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾

١) سئل أبو عثمان النهدي -وهو تابعي كبير-: أي آية في القرآن أرجى عندك؟ فقال: ما في القرآن آية أرجى عندي -لهذه الأمة- من قوله: ﴿ وَءَاخَرُونَ ٱعۡتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمۡ خَلَطُواْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾.

الدر المنثور ٢٤٣/٨

٢) هل ضاق صدرك من ذنوبك؟ هل قنطك الشيطان من رحمة ربك؟

تدبر هذه الآية: ﴿ وَءَاخَرُونَ ٱعۡتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمۡ خَلَطُواْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡهِمۡ ﴾ فمن الذي ما أساء قط؟

إنما يأتي الخوف عندما ينهمك العبد في ذنوبه دون ندم على ما مضى منه، فهذا على خطر عظيم.. فبشرى للنادمين!

السعدي، تيسير الكريم الرحمن ٣٥٠/١ (بتصرف)

﴿ خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيۡهِمۡۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٞ لَّهُمۡۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ١٠٣ ﴾

﴿ خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا ﴾ وقفت عند ﴿ خُذۡ ﴾، ﴿ تُطَهِّرُهُمۡ ﴾، ﴿ وَتُزَكِّيهِم ﴾، فتعجبت من رحمة الله بعبده ورأفته به؛ إذ يجبر -إن لم يأتِ طوعًا- على تطهيرِ نفسه وتزكيتها على يد أشرف خلقه ﷺ: ﴿ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴾.

أ. د. ناصر العمر

﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسۡجِدٗا ضِرَارٗا وَكُفۡرٗا وَتَفۡرِيقَۢا بَيۡنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَإِرۡصَادٗا لِّمَنۡ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبۡلُۚ وَلَيَحۡلِفُنَّ إِنۡ أَرَدۡنَآ إِلَّا ٱلۡحُسۡنَىٰۖ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ١٠٧ ﴾

وفي هذه الآية دليل على أن العمل -وإن كان فاضلًا- تغيره النية، فينقلب منهيًا عنه، كما قلبت نية أصحاب مسجد الضرار عملهم إلى ما ترى.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن ٣٥١

﴿ لَا تَقُمۡ فِيهِ أَبَدٗاۚ لَّمَسۡجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقۡوَىٰ مِنۡ أَوَّلِ يَوۡمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِۚ فِيهِ رِجَالٞ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُطَّهِّرِينَ ١٠٨ ﴾

رياء المرائين صير مسجد الضرار مزبلة وخربة: ﴿ لَا تَقُمۡ فِيهِ أَبَدٗا ﴾ (التوبة: ١٠٨)، وإخلاص المخلصين رفع قدر التَّفِث: «**رب أشعث أغبر**»(١).

ابن القيم، بدائع الفوائد ٤/٣٣٦

﴿ أَفَمَنۡ أَسَّسَ بُنۡيَٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقۡوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٍ خَيۡرٌ أَم مَّنۡ أَسَّسَ بُنۡيَٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٖ فَٱنۡهَارَ بِهِۦ فِي نَارِ جَهَنَّمَۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٠٩ ﴾

١) من أراد علو بنيانه، فعليه بتوثيق أساسه وإحكامه، وشدة الاعتناء به؛ فإن علو البنيان على قدر توثيق الأساس وإحكامه، فالموفق همته تصحيح الأساس وإحكامه، والجاهل يرفع في البناء عن غير أساس فلا يلبث بنيانه أن يسقط: ﴿ أَفَمَنۡ أَسَّسَ بُنۡيَٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقۡوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٍ خَيۡرٌ أَم مَّنۡ أَسَّسَ بُنۡيَٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٖ فَٱنۡهَارَ بِهِۦ فِي نَارِ جَهَنَّمَ ﴾.

ابن القيم، الفوائد (١٥٥)

---

(١) مسلم ح(٢٦٢٢)، والمستدرك ح(٧٩٣٢).

٢) انكشاف مآرب أهل الباطل، وظهورهم على حقيقتهم؛ يتيح لأهل الحق بناء مشاريعهم على أرض صلبة، وأسس متينة، لا على أوهام وجرف هار، تدبر: ﴿ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ ﴾.

أ. د. ناصر العمر

﴿ لَا يَزَالُ بُنْيَـٰنُهُمُ ٱلَّذِى بَنَوْا۟ رِيبَةً فِى قُلُوبِهِمْ إِلَّآ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١١٠﴾ ﴾

ثمة علاقة وثيقة بين المشاريع التخريبية وبين قلوب أصحابها، تأمل: ﴿ لَا يَزَالُ بُنْيَـٰنُهُمُ ٱلَّذِى بَنَوْا۟ رِيبَةً فِى قُلُوبِهِمْ إِلَّآ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ ﴾.

د. عمر المقبل

﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾ ﴾

١) العاقل لا يرى لنفسه ثمنًا دون الجنة.

ابن حزم، الأخلاق والسير ٥٤

٢) باع المغبونون منازلهم من الجنة بأبخس الحظ وأنقص الثمن، وباع الموفقون نفوسهم وأموالهم من الله وجعلوها ثمنًا للجنة؛ فربحت تجارتهم، ونالوا الفوز العظيم، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ﴾.

ابن القيم، مفتاح دار السعادة ١/ ١٠، ١١

٣) تقديم الأموال على الأنفس في الجهاد وقع في جميع القرآن الكريم إلا في موضع واحد وهو قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ﴾؛ لأنها هي المشتراة في الحقيقة، وهي مورد العقد وهي السلعة التي استلمها ربها وطلب شراءها لنفسه، وجعل ثمن هذا العقد رضاه وجنته، فكانت هي المقصود بعقد الشراء، والأموال تبع لها، فإذا ملكها مشتريها ملك مالها، فإن العبد وما يملكه لسيده ليس له فيه شيء، فالمالك الحق إذا ملك النفس ملك أموالها ومتعلقاتها، فحسن تقديم النفس على المال في هذه الآية حسنًا لا مزيد عليه.

ابن القيم، بدائع الفوائد ١/ ٧٨

﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلۡعَٰبِدُونَ ٱلۡحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلۡأٓمِرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١١٢﴾

وخصال التائب ذكرت في آخر (براءة)، فقال: ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلۡعَٰبِدُونَ﴾ فلا بد للتائب من العبادة والاشتغال بالعمل للآخرة؛ وإلا فالنفس همامة متحركة، إن لم تشغلها بالحق وإلا شغلتك بالباطل، فلا بد للتائب من أن يبدل تلك الأوقات التي مرت له في المعاصي بأوقات الطاعات، وأن يبدل تلك الخطوات بخطوات إلى الخير، ويحفظ لحظاته وخطواته، ولفظاته وخطراته.

ابن كثير، البداية والنهاية ١٨٥/٩

﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلۡعُسۡرَةِ مِنۢ بَعۡدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٖ مِّنۡهُمۡ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّهُۥ بِهِمۡ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ١١٧﴾

١) ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلۡعُسۡرَةِ﴾ حتى الابتلاءات الكبرى ليست سوى ساعة، فما أسرع ما تمضي!.

د. عبد الله بن بلقاسم

٢) فإن قيل: كيف أعاد ذكر التوبة ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ﴾ وقد قال في أول الآية: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ﴾؟ قيل: ذكر التوبة في أول الآية قبل ذكر الذنب، وهو محض الفضل من الله تعالى، فلما ذكر الذنب أعاد ذكر التوبة، والمراد منه قبولها.

البغوي، معالم التنزيل ١٠٥/٤

﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ وَضَاقَتۡ عَلَيۡهِمۡ أَنفُسُهُمۡ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلۡجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيۡهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ لِيَتُوبُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ١١٨﴾

١) ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ﴾ (التوبة:١١٨) قال كعب بن مالك ﷺ: «وليس الذي ذكر الله مما خلفنا تخلفنا عن الغزو، وإنما هو تخليفه إيانا وإرجاؤه أمرنا عمن حلف له واعتذر إليه فقبل منه». علق ابن القيم فقال: فسرها كعب بالصواب، فليس ذلك تخلفهم عن الغزو؛ لأن الله لو أراد ذلك، لقال: وعلى الثلاثة الذين تخلفوا.

ابن القيم، زاد المعاد (٥١٨/٣)

٢) تصور يجتمع هذا الحشد من الحديث عن التوبة في سورة واحدة: ﴿فَإِن تُبۡتُمۡ﴾ (التوبة: ٣)،

﴿فَإِن تَابُوا۟﴾ (التوبة: ٥)، ﴿وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ﴾ (التوبة: ١٥)، ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ (التوبة:١٠٢)، ﴿يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ﴾ (التوبة:١٠٤)، ﴿وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ﴾ (التوبة:١٠٦)، ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ﴾ (التوبة:١١٢)، ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ﴾ (التوبة:١١٧)، ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓا۟﴾ (التوبة: ١١٨) فما عذر من تأخر عن التوبة؟

متدبر

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾

أمر الله أن نكون مع الصادقين في كل الأوقات، فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾، فكم يخسر هذه الآية من يتشبَّه بالكافرين فيما يُسمَّى بـ (كذبة إبريل)؟ ناهيك عن كون الكذب محرَّمًا في كلِّ وقت، فما أشده من خذلان.

د. محمد الخضيري

﴿۞ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾

١) وفيه دليل على أنه ينبغي أن يكون غرض المتفقه في الدين: أن يستقيم ويقيم، لا الترفع على الناس والتبسط في البلاد.

البيضاوي، أنوار التنزيل ٣/١٨٠

٢) في هذه الآية إرشادٌ لطيف لفائدة مهمة، وهي: أنه ينبغي للمسلمين أن يعدُّوا لكلِّ مصلحة من مصالحهم العامة من يقوم بها، ويوفِّر وقته عليها، ويجتهد فيها، ولا يلتفت إلى غيرها؛ لتقوم مصالحهم، ولتكون وجهة جميعهم، ونهاية ما يقصدون قصدًا واحدًا، وهو قيام مصلحة دينهم ودنياهم، ولو تفرَّقت الطرق وتعددت المشارب، وهذه من الحكمة العامة النافعة في جميع الأمور.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن ٣٥٥

٣) طلب العلم والتفقه في دين الله ضرب من الجهاد؛ ولذلك سمى الله الخروج لطلب العلم نفيرًا، فقال ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ﴾ وهذه الآية واردة بين آيات الجهاد في سورة التوبة، فقبلها: ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا۟ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ﴾ (التوبة:١٢٠)، وبعدها: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ﴾ (التوبة:١٢٣).

د. عبدالمحسن العسكر

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلۡكُفَّارِ وَلۡيَجِدُواْ فِيكُمۡ غِلۡظَةٗۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ ١٢٣﴾

الدنيا والشيطان عدوان خارجان عنك.. والنفس عدو بين جنبيك.. ومن سنة الجهاد: ﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم﴾.

ابن القيم، الفوائد ٣٧٠

﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ فَزَادَتۡهُمۡ رِجۡسًا إِلَىٰ رِجۡسِهِمۡ وَمَاتُواْ وَهُمۡ كَٰفِرُونَ ١٢٥﴾

السبخات إذا أصابها المطر ازدادت ملوحة وخبثًا؛ وكذا قلوب أهل النفاق لا تزيدها المواعظ إلا نفورًا: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ فَزَادَتۡهُمۡ رِجۡسًا إِلَىٰ رِجۡسِهِمۡ﴾.

د. عبد الله السكاكر

﴿أَوَلَا يَرَوۡنَ أَنَّهُمۡ يُفۡتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٖ مَّرَّةً أَوۡ مَرَّتَيۡنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمۡ يَذَّكَّرُونَ ١٢٦﴾

١) ويستمر التغريبيون في برامجهم لإفساد البلاد والعباد، فأتساءل متعجبًا: ألا يرون أن مشاريع أسيادهم قد دمرت عددًا من البلاد العربية فتساقط زعماؤها واحدًا تلو الآخر، فمتى يعقلون؟ لكنني أجد الجواب الشافي الكافي: ﴿أَوَلَا يَرَوۡنَ أَنَّهُمۡ يُفۡتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٖ مَّرَّةً أَوۡ مَرَّتَيۡنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمۡ يَذَّكَّرُونَ﴾.

أ. د. ناصر العمر

٢) بيع أمس فندق مشهور في نيويورك اشترته دبي عام ٢٠٠٦ بمبلغ ٢٨٢ مليون دولار، ثم باعته السلطات الأمريكية في مزاد علني بـ(مليوني دولار) فقط! بعد أن تم الحجز عليه بسبب ديون دبي. فهل أيقن المرتابون بأن الربا يمحق؟ أم حقت عليهم هذه الآية: ﴿أَوَلَا يَرَوۡنَ أَنَّهُمۡ يُفۡتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٖ مَّرَّةً أَوۡ مَرَّتَيۡنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمۡ يَذَّكَّرُونَ﴾[1]؟

---

(١) تعليقًا على الخبر الذي نشر في (الجزيرة نت.. وغيرها) في تاريخ ٢٠٠٩/١٢/٠٩م وهذا نصه: «تم بيع فندق دبليو هوتيل (W Hotel) الواقع في مانهاتن بنيويورك مقابل ٢ مليون دولار في مزاد علني وذلك بعد أن عجزت شركة استثمار، الذراع الاستثماري لدبي العالمية، في تسديد قرض تجسيري بقيمة ١١٧ مليون دولار.. وكانت استثمار قد دفعت ٢٨٢ مليون دولار في أكتوبر ٢٠٠٦ لشراء حصة ٩٠٪ من الفندق منها ٥٠ مليون دولار نقدًا و ٢٣٢ مليون دولار عبر الاقتراض وأكملت شراء الـ ١٠٪ الباقية مقابل ٤ مليون دولار».

سورة يونس

﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ ﴾

﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ قال الحسن ﷺ: «ما زال أهل العلم يعودون بالتذكر على التفكر، وبالتفكر على التذكر، ويناطقون القلوب؛ حتى نطقت بالحكمة».

مفتاح دار السعادة ١/٥٢٥

﴿ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢﴾ ﴾

تأمّل التعبير بقوله: ﴿مَرَّ﴾، وما يوحي به من سرعة نسيان العبد لفضل الله عليه.

د. محمد الخضيري

﴿ ثُمَّ جَعَلْنَٰكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ مِنۢ بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ ﴾

قرأ الفاروق هذه الآية فقال: صدق ربنا! ما جعلنا خلائف الأرض إلا لينظر إلى أعمالنا، فأدوا الله خير أعمالكم بالليل والنهار والسر والعلانية.

تفسير ابن أبي حاتم ٦/١٩٣٤

﴿ قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦﴾ ﴾

﴿فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ﴾ الذي يتصدى لقيادة الناس لا بد أن يكون مستعدًا لكشف حساب الماضي!

د. عبد الله بن بلقاسم

﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾﴾

﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ﴾ كلما رأيت في دنيا الناس ابتكارات واختراعات تسعد الإنسان؛ فهذا ما أعد البشر للبشر، فكيف بما أعد الله الخالق لأهل جنته؟!.

الشعراوي، تفسير الشعراوي ٥٢٩٥/١

﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٥﴾﴾

قال يحي بن معاذ الرازي: عجبت من رجلٍ يُرائي بعمله الناس وهم خَلْقٌ مثله، ومن رجل بقي له مال ورب العزَّة يستقرضه، ورجل رغب في صحبة مخلوق والله يدعوه إلى محبته، ثم تلا قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ﴾.

شعب الإيمان ٢٦٣/٣

﴿فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾﴾

القرآن صراط الهدى المستقيم الموصل إلى الله، فماذا تلقيت من هداه؟ وماذا قدحت من نوره بين يديك لضبط السير ومعرفة الاتجاه؟ فيا طالب الشفاء للنفس، ويا طالب الغذاء للروح، ويا طالب الصلاح للبلاد والعباد! ذلك هو الحق الذي لا سواه ﴿فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ﴾.

د. فريد الأنصاري، مجالس القرآن ١٤٨

﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُواْ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾﴾

﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ﴾ الذي نعرفه أن كثيرًا من الأدباء يسطون على آثار غيرهم فيسرقونها أو يسرقون منها ما خف حمله وغلت قيمته وأمنت تهمته؛ حتى إن منهم من ينبش قبور الموتى ويلبس من أكفانهم ويخرج على قومه في زينة من تلك الأثواب المستعارة؛ أما أَنَّ أحدًا ينسب لغيره أنفس آثار عقله وأغلى ما تجود به قريحته، فهذا ما لم يلده الدهر بعد.

د. محمد دراز، النبأ العظيم ٥١

﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٩﴾﴾

١) سئل بعض العلماء -ممن عرف باستخراج أمثلة العرب من القرآن-: هل تجد في كتاب الله من جهل شيئًا عاداه؟ قال نعم! في موضعين:

الأول: ﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ﴾.

الثاني: ﴿وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا۟ بِهِۦ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ﴾(الأحقاف:١١).

السيوطي، الإتقان في علوم القرآن ٤/٤٨

٢) كم تشدّني دلالة هذه الآية في كشفها عن طبيعة بعض النفوس وتجنيها: ﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ﴾، وذلك عندما أسمع الاتهام للعلماء بأنهم لم يقوموا بالواجب من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومناصحة الولاة والدفاع عن المظلومين، وبخاصة عندما يكون الاتهام بالتعميم دون استثناء. ولو علموا ما يقوم به العلماء لما أطلقوا هذه التهم، ولكنهم جهلوا فكذبوا بما لم يحيطوا بعلمه أو يدركوا سببه.

أ. د. ناصر العمر

﴿وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّى عَمَلِى وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ ۖ أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعْمَلُ وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٤١﴾﴾

﴿أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعْمَلُ وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾، ﴿وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَٰبِ ٱلْجَحِيمِ﴾ (البقرة:١١٩).. لو أدرك المتعجّلون والمتنازلون واليائسون دلالة هذه الآيات وأمثالها؛ لما ذهبت أنفسهم حسرات على المعاندين، ولأدركوا أن مُهِمَّتهم لا تتعدى مُهِمَّة نبيِّهم ﷺ ﴿إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ﴾ (الشورى:٤٨)، ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ﴾ (فاطر: ٨).

أ. د. ناصر العمر

﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ ۚ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٢﴾ وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ ۚ أَفَأَنتَ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٤٣﴾﴾

١) التكذيب والإعراض سدَّ عليهم طريقين عظيمين من طرق العلم: طريق المسموعات المتعلقة بالخير، وطريق النظر في أحوال الداعي -وهو النبي ﷺ-، فإذا فسدت عقولهم وأسماعهم وأبصارهم؛ فأين الطريق الموصل لهم إلى الحق؟

السعدي، تيسير الكريم الرحمن ٣٦٥

٢) دلَّ قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ﴾ على أنَّ النظر إلى حالة النبي ﷺ وهديه وأخلاقه وأعماله وما يدعو إليه من أعظم الأدلة على صدقه وصحة ما جاء به، وأنه يكفي البصير عن غيره من الأدلة.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن ٣٦٥

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ ﴿٤٥﴾﴾

١) إذا تأملت في مدة الدنيا لم تجدها إلا: (الآن) -الذي هو فصل الزمانين فقط-، وأما ما مضى وما لم يأت فمعدومان كما لم يكن؛ فمن أضل ممن يبيع باقيًا خالدًا بمدة هي أقل من كر الطرف؟!

ابن حزم، الأخلاق والسير ٦١

٢) مقدار الدنيا: هل كنتَ يومًا ما في صالةِ انتظار، فتعرفت على من بجوارك، وتحدثتما ثم افترقتما؟ كذا الدنيا ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ﴾.

مهند المعتبي

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ فَإِذَا جَآءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٤٧﴾﴾

استعمل لفظ «الأمَّة» في القرآن أربعة استعمالات:

١- الجماعة من الناس، وهو الاستعمال الغالب، كقوله: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ﴾.

٢- في البرهة من الزمن، ﴿وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ﴾ (يوسف: ٤٥).

٣- في الرجل المقتدى به، كقوله: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾ (النحل: ١٢٠).

٤- في الشريعة والطريقة، كقوله: ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ﴾ (الزخرف: ٢٢).

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾﴾

١) قال الحسن بن عبد العزيز: من لم يردعه القرآن والموت ثم تناطحت الجبال بين يديه، لم يرتدع.

تهذيب الكمال ٦ / ١٩٨

٢) مرض القلب يفضي بصاحبه إلى الشقاء الأبدي، ولا شفاء لهذا المرض إلا بالعلم؛ ولهذا سمى الله تعالى كتابه شفاء لأمراض الصدور.

ابن القيم، مفتاح دار السعادة ١ /١١١

﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾

١) مداواة القلب بالقرآن: وقف الفضيل بن عياض رحمه الله على رأس سفيان بن عيينة -وهو مريض- فقال له: ﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ فقال له سفيان رحمه الله: «يا أبا علي، والله لا نفرح أبدًا حتى نأخذ دواء القرآن، فنضعه على داءِ القلب».

حلية الأولياء ٧/٢٧٩

٢) ففضل الله ورحمته: القرآن والإيمان؛ من فرح به فقد فرح بأعظم مفروح به، ومن فرح بغيره فقد ظلم نفسه، ووضع الفرح في غير موضعه.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى ١٦/٤٩

٣) قال بعض السلف: «ما فرح أحدٌ بغير الله إلا بغفلته عن الله؛ فالغافل يفرح بلهوه وهواه والعاقل يفرح بمولاه».

لطائف المعارف ٢٧٤

٤) الفرح له اعتبارات متنوعة، وصور متباينة، ويختلف باختلاف القلوب التي تتعامل معه، وفي القرآن ذكر لصور متباينة للفرح، فقارن -مثلًا- بين: ﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ ﴾ وبين: ﴿ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ (غافر:٧٥)؛ لتدرك الفرق بين فرح يوجب رحمة الله ورضوانه، وبين فرح يوجب غضبه وخذلانه.

أ. د. إبتسام الجابري

٥) تعيش البيوت هذه الأيام[١] أفراحًا واحتفالات بنجاح أبنائها، بعد عام من الجد والتحصيل، وتعظم الحفاوة بحسب منزلة الشهادة، ومن حق المجدين أن يشعروا بالتكريم، فما جزاء الإحسان إلا الإحسان! وقفت متأملًا هذا المشهد، وتذكرت أفراح الآخرة، حين يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب، وقارنت بين ما يبذله الإنسان لدنياه وما يناله من جزاء عاجل، وبين ما يبذله لدينه وما يناله من عطاء بلا حدود، فجاء الجواب: ﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾.

أ. د. ناصر العمر

---

(١) أرسلت بمناسبة انتهاء موسم الاختبارات النهائية.

٦) إذا انتصف شهر رمضان فقد مضت أيام وفرص لا تتكرر إلا مرة واحدة في السنة، فتأمل حالك معها:

فإن كنت ممن جد واجتهد واستثمر كل ساعة مضت؛ فهنيئًا لك بالفرح بما وفقك الله له ﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ ﴾.

وإن كنت ممن سوف وأسرف بالأماني حتى مضت تلك الفرص؛ فابكِ على نفسك خائفًا من هذا الوصف أن ينطبق عليك: ﴿وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴾ (الكهف:٢٨).

فاعزم على أن تجتهد وتستدرك ما فات ومضى.

أ. د. ناصر العمر

٧) ﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ أيام العيد هي أيام فرح بهذا الفضل العظيم؛ حيث نفرح بهذه الرحمات التي تنزَّلت علينا تترى في ذاك الشهر الكريم، إنه فرح الشكر: ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (البقرة:١٨٥)، لا فرح مفارقة العبادة بالتلبس بالمعاصي والبطر؛ فهذا لا ينسجم مع تكبير الله وتعظيمه على هدايته لنا وتوفيقه وتيسيره لإكمال العدة وأداء هذا الركن العظيم.

أ. د. ناصر العمر

٨) في العيد تبهرنا المناظر الحسنة، والوجوه المشرقة، والبسمات المبهجة؛ لذا نعيش العيد فرحًا وسرورًا، فلم لا نتفاعل في حياتنا وواقع أمتنا مع الجوانب المضيئة فيها، ونتعامل مع المستجدات بروح الرضا والغبطة والتفاؤل؛ استجابة لقوله سبحانه: ﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ ﴾؟ فكم في واقعنا من إفضاله ورحماته سبحانه ما لا يمكن حصره وإحصاؤه؟

أ. د. ناصر العمر

٩) ﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ وفي قراءة: (تجمعون)، فتخيل كل ما في الدنيا من أموال وملك وعقارات، فهي دون فرح المؤمن بهذا القرآن.

﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾﴾

منذ مدة أسبوع وخبر تحطم الطائرة الفرنسيَّة فوق الأطلسي يتردد في نشرات الأخبار[1]، تصوَّر جسمًا بحجم الطائرة يختفي فجأة، ويبقى البحث عنه أيامًا، فأين الأقمار الصناعية؟ وأين الرادارات؟ إنهم البشر مهما بلغوا من الإتقان والحذق يريهم الله ضعفهم وقصورهم، ويريهم -أيضًا- آيةً من آيات عظمته في مثل قوله: ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾.

﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾

من جمع تسعًا أمَّنه الله يوم القيامة، فلا خوفٌ عليه ولا هو يحزن: أسلم وجهه، وآمن، وأحسن، واتَّبع الهدى، وعمل صالحًا، واتَّقى، وأصلح، وأقام الصلاة، وأنفق في سبيل الله سرًّا وعلانيةً بالليل والنهار بلا مَنٍّ ولا أذًى؛ وهذا هو ولي الله.

د. محمد الخضيري

﴿وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦٥﴾﴾

١) موضع العبرة من هذه التسلية للنبي ﷺ: أن يقف الداعي موقف العزم والثبات، فلا يقيم لما يقوله الذامون أو المتهكمون وزنًا؛ ونرى ضعيف الإيمان بما يدعو إليه هو الذي يحزن لأقوال المبطلين، حزنًا يثبطه عن الدعوة، أو يصرفه عنها، محتجًا بأن ما يلاقيه من الأذى عذر يبيح له أن يسكت مع الساكتين.

محمد الخضر حسين، موسوعة مؤلفاته ٤١١/١

٢) ﴿إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ جاءت هذه الآية كالتعليل لما قبلها: ﴿وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ﴾ وذلك أن سنة الله جرت بأن يجعل العزة في جانب المؤمنين المتقين، فإذا ابتلوا بعدو ينالهم بأذى، فصبروا عليه، وجاهدوا في دفاعه عن أنفسهم بكل ممكن؛ فعاقبتهم الخلاص من الباغي، ثم لا يلبثون أن يدركوا عزتهم، وتكون يدهم فوق يد عدوهم.

محمد الخضر حسين، موسوعة مؤلفاته ٤١٢/١

(١) أرسلت بعد أسبوع من اختفاء طائرة فرنسية فوق المحيط الأطلسي في ١ يونيو ٢٠٠٩م.

﴿ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ نُوحٍ إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيۡكُم مَّقَامِي وَتَذۡكِيرِي بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡتُ فَأَجۡمِعُوٓاْ أَمۡرَكُمۡ وَشُرَكَآءَكُمۡ ثُمَّ لَا يَكُنۡ أَمۡرُكُمۡ عَلَيۡكُمۡ غُمَّةً ثُمَّ ٱقۡضُوٓاْ إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴿٧١﴾ ﴾

ليكن إيمانك بمبادئك راسخًا صلبًا لا يهتز في المحن وعند الفتن: ﴿ ثُمَّ ٱقۡضُوٓاْ إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴾، ﴿ إِنِّيٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمۡ فَٱسۡمَعُونِ ﴾ (يس:٢٥) وكن هينًا لينًا واسع الصدر في إقناع الآخرين في دينك، ودعوة الناس إليه: ﴿ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿٢٠﴾ ٱتَّبِعُواْ مَن لَّا يَسۡـَٔلُكُمۡ أَجۡرٗا وَهُم مُّهۡتَدُونَ ﴾ (يس:٢٠-٢١)، ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ﴾ (النحل:١٢٥).

أ. د. ناصر العمر

﴿ فَقَالُواْ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡنَا رَبَّنَا لَا تَجۡعَلۡنَا فِتۡنَةٗ لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٥﴾ وَنَجِّنَا بِرَحۡمَتِكَ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾ ﴾

في تقديم التوكل على الدعاء تنبيه على أن الداعي ينبغي له أن يتوكل أولًا؛ لتجاب دعوته.

البيضاوي، أنوار التنزيل ٣/٢١٢

﴿ ءَآلۡـَٰٔنَ وَقَدۡ عَصَيۡتَ قَبۡلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿٩١﴾ ﴾

لما أعلن فرعون إيمانه عند الغرق، قيل له: ﴿ ءَآلۡـَٰٔنَ وَقَدۡ عَصَيۡتَ قَبۡلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴾ فتأمل كيف نص على ذكر الإفساد دون غيره من معاصيه؛ وما ذاك -والله أعلم- إلا لشناعة نشر الفساد في الأرض، وعظيم تأثيره على أديان الناس ودنياهم وأخلاقهم وحقوقهم، فويل للمفسدين!

د. عمر المقبل

﴿ فَإِن كُنتَ فِي شَكّٖ مِّمَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ فَسۡـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقۡرَءُونَ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكَۚ لَقَدۡ جَآءَكَ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ ﴿٩٤﴾ ﴾

فيه تنبيه على أن كل من خالجته شبهة في الدين ينبغي أن يسارع إلى حلها بالرجوع إلى أهل العلم.

البيضاوي، أنوار التنزيل ٣/٢١٤

﴿ وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَأٓمَنَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ كُلُّهُمۡ جَمِيعًاۚ أَفَأَنتَ تُكۡرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ﴿٩٩﴾ ﴾

فـ﴿ كُلُّهُمۡ ﴾ يفيد الإحاطة والعموم، ولا يلزم من قوله: ﴿ لَأٓمَنَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾ أن يكونوا كلهم، وذلك على الأكثر منهم، فـ﴿ كُلُّهُمۡ ﴾ رافع لهذا التوهم، وأما قوله: ﴿ جَمِيعًا ﴾ فليس بتأكيد، ولو كان تأكيدًا لقال: (أجمعون) ولم يكن منصوبًا؛ وإنما هو حال؛ أي: مجتمعون على الهدى، كما قال تعالى: ﴿ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمۡ عَلَى ٱلۡهُدَىٰ ﴾ (الأنعام: ٣٥).

ابن تيمية، جامع مسائل شيخ الإسلام ٣٤٥

﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ وَمَا تُغْنِي ٱلْأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾

١) لا أحصي الأسئلة التي تصلني وأقف أمامها حائرًا:

ألا ترى (النُّذر) تتوالى علينا والتجاوب أمامها ضعيف لا يتناسب مع مكانتها، سواء من العامة أو الخاصة؟

فأخاف أن يكون الجواب: ﴿وَمَا تُغْنِي ٱلْأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾ فأقول: اللَّهُمَّ سلم سلم.

أ. د. ناصر العمر

٢) آلاف الرحلات الجوية تلغى!

مئات الملايين من الدولارات تذهب، فما السبب؟

إنه غبار البركان فقط لا البركان!

فما الظن لو ثار البركان؟

هذه آثار حرارة نار الدنيا «**جزء من سبعين جزءًا من نار جهنم**»(١)!

وهذه بعض قوة مخلوق، فكيف بقوة خالقه؟

ولكن ﴿وَمَا تُغْنِي ٱلْأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾(٢).

﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾ ﴾

كثيرون يقرؤون هذه الآية وينحصر فهمهم بأنَّ الخير في الكشف فحسب، مع أنَّ الخير قد يكون بإصابته بالضر لا بكشفه؛ مغفرةً لذنوبه، ورحمةً به: ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾، فكلُّ ما يقضيه فهو له خير، كما في الصحيح: «**عجبًا لأمر المؤمن! إن أمره كلَّه له خير... الحديث**»(٣).

أ. د. ناصر العمر

---

(١) البخاري ح(٣٢٦٥)، ومسلم ح(٢٨٤٣).

(٢) أرسلت إبان تصاعد غبار بركان آيسلندا في شهر جمادى الأولى ١٤٣١هـ، الموافق لشهر أبريل ٢٠١٠م.

(٣) رواه مسلم ح (٢٩٩٩).

سُورَةُ هُودٍ

«شيبتني هود وأخواتها»![1]

عهدنا شيوخنا وهم يقرؤون سورة هود؛ لهم وضع آخر، المساجد تمتلئ وهم لا يسمعون الصوت، بدون مكبرات؛ لكن يسمعون البكاء والتأثر، والله المستعان.

د. عبدالكريم الخضير

﴿الٓر كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ١﴾

١) ومن تدبر القرآن، وجد فيه من وجوه الإعجاز فنونًا ظاهرة وخفية: من حيث اللفظ ومن جهة المعنى، فأحكمت ألفاظه، وفصلت معانيه، أو بالعكس -على الخلاف-، فكل من لفظه ومعناه فصيح لا يحاذى ولا يدانى، فقد أخبر عن مغيبات ماضية كانت ووقعت طبق ما أخبر، سواء بسواء، وأمر بكل خير، ونهى عن كل شر.

ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ٧٩/١

٢) ﴿مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ ولم يقل: (من رحمن ولا رحيم)؛ للتنصيص على أنَّه لا بد من الحكمة.

الزركشي، البرهان ١٢٤/١

﴿وَأَنِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ يُمَتِّعۡكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤۡتِ كُلَّ ذِي فَضۡلٖ فَضۡلَهُۥۖ وَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٖ كَبِيرٍ ٣﴾

١) ﴿وَأَنِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ﴾ كثيرًا ما يقرن الاستغفار بذكر التوبة، فيكون الاستغفار حينئذ عبارة عن طلب المغفرة باللسان، والتوبة عبارة عن الإقلاع عن الذنوب بالقلوب والجوارح.

ابن رجب، تفسيره ١٥٠/١

(١) أخرجه عبدالرزاق ح(٥٩٩٧)، والطبراني ح(٥٨٠٤).

٢) ذكر ابن القيم ﷺ أربع آيات: ﴿وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ﴾، ﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُواْ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ۖ وَلَأَجْرُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾﴾ (النحل)، ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾ (النحل)، ﴿قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۗ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ ۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾﴾ (الزمر) ثم قال عنها: «فهذه أربعة مواضع، ذكر الله تعالى فيها أنه يجزي المحسن بإحسانه جزاءين: جزاء في الدنيا، وجزاء في الآخرة».

الوابل الصيب ٦٧

اللَّهُمَّ اجعلنا ممن يؤتى أجره مرتين.

﴿۞ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦﴾﴾

١) لا بد لكل مخلوق من الرزق: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾؛ حتى إن ما يتناوله العبد من الحرام، هو داخل في هذا الرزق! فالكفار قد يرزقون بأسباب محرمة ويرزقون رزقًا حسنًا، وأهل التقوى يرزقهم الله من حيث لا يحتسبون، ولا يكون رزقهم بأسباب محرمة ولا يكون خبيثًا، والتقي لا يحرم ما يحتاج إليه من الرزق، وإنما يحمى من فضول الدنيا رحمة به؛ فإن توسيع الرزق قد يكون مضرة على صاحبه، وتقديره يكون رحمة لصاحبه.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى ١٦/ ٥٢

٢) إذا خوَّفك الشيطان من الفقر، فرُدَّه بالرزق المكتوب: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾ ، وإذا خوفك من الموت والقتل، فرُدَّه بالأجل المكتوب: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾.

مصطفى السباعي، هكذا علمتني الحياة ٨٢

٣) إذا كان رزقك على الكريم، فلماذا الضيق والحزن!

د. عبد المحسن المطيري

﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ ۚ فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ ۚ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٧﴾ ﴾

يقول سعيد بن جبير: كنت لا أسمع بحديث عن النبي ﷺ على وجهه إلا وجدت تصديقه في القرآن، فبلغني حديث: «**لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني فلا يؤمن بي إلا دخل النار**»(١) فجعلت أقول أين مصداقه في كتاب الله؟ حتى وجدت هذه الآية ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ ﴾.

تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢/٥٣٦

﴿ فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْىِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍۭ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾

قول الملأ من قوم نوح: ﴿ وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْىِ ﴾ ليس بمذمة ولا عيب؛ لأن الحق إذا وضح لا يبقى للرأي ولا للفكر مجال، بل لا بد من اتباع الحق -والحالة هذه- لكل ذي زكاء وذكاء، بل لا يفكر ههنا إلا غبي أو عيي.

ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ٢/٥٣٩

﴿وَيَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَلَٰكِنِّىٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾

في البشر ميل عجيب إلى ما يسمى بنظام الطبقات، وإلى تحقير فئات من الناس للونهم أو لفقرهم! وقد طلب قوم نوح منه طرد هؤلاء الأراذل عنه؛ لأنهم يستنكفون الاجتماع معهم، فأجاب: ﴿وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَلَٰكِنِّىٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴾.

محمد الغزالي، المحاور الخمسة ١٠٥

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٢/٣٦٣)، مسلم ح(١٥٣)، سعيد بن منصور ح(١٠٨٣).

﴿ وَيَٰقَوۡمِ مَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمۡۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۝٣٠ ﴾

استدل بعضهم بقول نوح ﷺ لقومه: ﴿ وَيَٰقَوۡمِ مَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمۡۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ بأن ثمرة ذلك: وجوب تعظيم المؤمن، وتحريم الاستخفاف به، وإن كان فقيرًا عادمًا للجاه، متعلقًا بالحِرَف الوضيعة؛ لأنه تعالى حكى كلام نوح وتجهيله للرؤساء لما طلبوا طرد من عدُّوه من الأراذل.

القاسمي، محاسن التأويل ١١٦/٩

﴿وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤۡمِنَ مِن قَوۡمِكَ إِلَّا مَن قَدۡ ءَامَنَ فَلَا تَبۡتَئِسۡ بِمَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ۝٣٦﴾

هل وقفت متدبرًا لهذه الآيات التي تبين غضب الله على أقوام حتى قضى عليهم بعدم الهداية أبدًا؟ تأمل: ﴿أَنَّهُۥ لَن يُؤۡمِنَ مِن قَوۡمِكَ إِلَّا مَن قَدۡ ءَامَنَ﴾ ﴿وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ﴾ (الكافرون:٣)، ﴿لَمۡ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغۡفِرَ لَهُمۡ وَلَا لِيَهۡدِيَهُمۡ طَرِيقًا ﴾ (النساء:١٦٨)، ﴿لَا يَنفَعُ نَفۡسًا إِيمَٰنُهَا لَمۡ تَكُنۡ ءَامَنَتۡ مِن قَبۡلُ﴾ (الأنعام:١٥٨)، والجامع بينها كلها أن هؤلاء قد أتيحت لهم فرص الهداية فأبوا. فكن خائفًا حذرًا من مكر الله، راجيًا لرحمته، وبادر بالعمل قبل فوات الأوان ولا تسوف؛ لعلك تنجو.

أ. د. ناصر العمر

﴿ وَهِيَ تَجۡرِي بِهِمۡ فِي مَوۡجٖ كَٱلۡجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبۡنَهُۥ وَكَانَ فِي مَعۡزِلٖ يَٰبُنَيَّ ٱرۡكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ۝٤٢ قَالَ سَـَٔاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٖ يَعۡصِمُنِي مِنَ ٱلۡمَآءِۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلۡيَوۡمَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَۚ وَحَالَ بَيۡنَهُمَا ٱلۡمَوۡجُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡمُغۡرَقِينَ ۝٤٣ ﴾

١) قال نوح لابنه: ﴿ٱرۡكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ ولم يقل: (مع الغارقين) أو (مع الهالكين)؛ لأن المصيبة العظمى هي في الكفر وليست في الموت غرقًا، والله أعلم.

عبدالعزيز الجليل

٢) إن سلوك طريق المؤمنين ومجالستهم، والانحياز إليهم هو سبيل النجاة الحقة؛ لأنهم في كنف الله وعنايته، حتى وإن تقاذفتهم الفتن، وكانت أسبابهم يسيرة، كسفينة من خشب في أمواج كالجبال، كما أن سلوك طريق الكافرين والمنافقين والانحياز إليهم هو سبيل الهلاك، حتى وإن توفرت لهم الأسباب المادية المنيعة كالجبال في علوها وصلابتها.

فهد العيبان

﴿وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ٤٤﴾

١) يقول القاضي عياض: حكي أن ابن المقفع أراد أن يعارض القرآن! فحاول ذلك وطلبه، وبدأ فيه؛ فمر بصبي يقرأ: ﴿وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ﴾ الآية، فرجع فمحا ما عمل، وقال: أشهد أن هذا لا يعارض، وما هو من كلام البشر، وكان من أفصح أهل وقته.

الشفا ٢٠٨/١

٢) قال القرطبي ﷺ: «لما تواضع الجودي وخضع؛ عز، ولما ارتفع غيره واستعلى؛ ذل، وهذه سنة الله في خلقه؛ يرفع من تخشَّع، ويضع من ترفَّع».

الجامع لأحكام القرآن ٤٢/٩

٣) ﴿وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ﴾ أمَرَ فيها ونهى، وأخبر ونادى، ونعت وسمَّى، وأهلك وأبقى، وأسعد وأشقى، وقصَّ من الأنباء ما لو شُرح ما اندرج فيه من بديع اللفظ والبلاغة والإيجاز والبيان، لجفت الأقلام.

السيوطي، الإتقان ١٦٥/٣

﴿قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖۖ فَلَا تَسۡـَٔلۡنِ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۖ إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ٤٦﴾

قال مقاتل: صديق موافق خير من ولد مخالف، ألم تسمع قول الله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖ﴾؟

محاضرات الأدباء ٤٣٥/١

﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمۡ هُودٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۖ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا مُفۡتَرُونَ ٥٠﴾

يجب أن نجعل التوحيد أساس الدعوة إلى الله، وأن نخاطب فيه القلب، وأن نتكلم بلسان الشرع ونستعمل حجج القرآن، تدبر دعوات الرسل: ﴿ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾.

علي الطنطاوي، فصول في الدعوة والإصلاح ٢٩

﴿ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُم ۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ ۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾ ﴾

١) ما سر تخصيص الناصية بالأخذ دون سائر الجسد في قول هود لقومه: ﴿ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُم ۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ ﴾؟ يجيب ابن جرير: «لأن العرب كانت تستعمل ذلك فيمن وصفته بالذلة والخضوع؛ فتقول: (ما ناصية فلان إلا بيد فلان)، أي: هو له مطيع يصرفه كيف شاء، وكانوا إذا أسروا الأسير فأرادوا إطلاقه والمن عليه، جزوا ناصيته؛ ليعتدوا بذلك عليه فخرًا عند المفاخرة».

جامع البيان ١٥/٣٦٣

٢) ﴿ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ ۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ تأمل ألفاظ هذه الآية وما جمعته من عموم القدرة وكمال الملك، ومن تمام الحكمة والعدل والإحسان؛ فإنها من كنوز القرآن، ولقد كفت وشفت لمن فُتح عليه بفهمها.

ابن القيم، مفتاح دار السعادة ٢ /٧٩

﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ﴿٧٥﴾ ﴾

قال ابن عباس رضي الله عنهما: الحلم من الخِلال التي ترضي الله، وهو يجمع لصاحبه شرف الدنيا والآخرة، ألم تسمعوا الله تعالى وصف خليله بالحلم فقال: ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ﴾.

الحلم لابن أبي الدنيا ٥١

﴿ وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴿٧٧﴾ وَجَآءَهُۥ قَوْمُهُۥ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِيٓ ۖ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ ﴿٧٨﴾ ﴾

١) من الأيام العصيبة عند الصالحين تلك التي يُعصى فيها الله.

د. سليمان الربعي

٢) أول ما يبدأ الإنسان بالمعصية يقدم عليها -غالبًا- مترددًا خائفًا وجلًا؛ حتى يستمرئها، ثم يهرول إليها هرولة، تدبر: ﴿ وَجَآءَهُۥ قَوْمُهُۥ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾.

أ. د. ناصر العمر

٣) من تأمل قوله تعالى -في خطاب لوط لقومه-: ﴿أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ﴾ أدرك أن إدمان الفواحش، إضافة إلى أنه يضعف الدين فمن شأنه أن يُذهب مروءة الإنسان، ويقضي على ما بقي فيه من أخلاق ورشد.

د. عمر المقبل

﴿قَالُوا۟ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓا۟ إِلَيْكَ ۖ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ ۖ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمْ ۚ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ ۚ أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴿٨١﴾﴾

١) والحكمة من نهيهم عن الالتفات ليجدّوا في السير؛ فإن الملتفت للوراء لا يخلو من أدنى وقفة، أو لأجل ألا يروا ما ينزل بقومهم من العذاب فترق قلوبهم لهم.

الألوسي، روح المعاني ٨/٣٢٢

وفي ذلك إشارة للمؤمن ألا يلتفت في عمله للوراء إلا على سبيل تقويم الأخطاء؛ لأن كثرة الالتفات تضيع الوقت، وربما أورثت وهنًا.

٢) لا تكثر الالتفات:

قد يشغلك الكارهون للحق بسفهاء من ورائك؛ حتى يكثر التفاتك إليهم فيتأخر وصولك، قال الله لنبيه لوط ﷺ: ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ﴾.

د. سعود الشريم

﴿قَالُوا۟ يَٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُا۟ ۖ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾﴾

١) كأنهم لم يروه يعظم شيئًا من الأعمال كالصلاة؛ فخصُّوها بالذكر.

د. عبدالرحمن الشهري

٢) النظام الرأسمالي السائد في عالم اليوم انهارت بعض أعمدته، وبدأت أخرى تهتزُّ، وإذا لم يعرفوا الرأسمالية إلا في صورتها عند (سميث): «دعه يعمل، دعه يمر»؛ فإننا نعلم من القرآن أنها نظرية قديمة من أهل مَدْين إذ قالوا: ﴿قَالُوا۟ يَٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُا۟﴾، ونبيُّهم يدعوهم: ﴿إِنِّىٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ﴾ (هود:٨٤)، وفي ذا عبرة للمسلمين وثقة بتعاليم ربِّهم.

أ. د. جعفر شيخ إدريس

٣) ﴿إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلۡحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ﴾ ما أعظم أثر هاتين الصفتين في تحقق الإمامة لمن اتصف بالحلم في أخلاقه، والرشد في عقله! فهما جماع الصفات الحميدة، وفقدهما سبب لسقوط مريع، وإن اشتهر الرجل بضع سنين!

أ. د. ناصر العمر

﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنۡهُ رِزۡقًا حَسَنٗاۚ وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أُخَالِفَكُمۡ إِلَىٰ مَآ أَنۡهَىٰكُمۡ عَنۡهُۚ إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ٨٨﴾

١) تأمل في خطاب شعيب لقومه، فلهذه الأجوبة الثلاثة -على هذا النسق- شأن: وهو التنبيه على أن العاقل يجب أن يراعي في كل ما يأتيه ويذره أحد حقوق ثلاثة: أهمها وأعلاها: حق الله تعالى، وثانيها: حق النفس، وثالثها: حق الناس.

البيضاوي، أنوار التنزيل ٢٥٣/١

٢) منهج في التربية:

جاءت امرأة إلى ابن مسعود فقالت: تنهى عن الواصلة؟ قال: نعم! قالت: فعله بعض نسائك! فقال: ما حفِظتُ وصية العبد الصالح إذن: ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أُخَالِفَكُمۡ إِلَىٰ مَآ أَنۡهَىٰكُمۡ عَنۡهُ﴾.

تفسير القرآن العظيم ٥٥٦/٢

٣) من الحياء المحمود: أن يخجل الإنسان من أن يؤثر عنه سوء، وأن يحرص على بقاء سمعته نقية من الشوائب، بعيدة عن الإشاعات السيئة ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أُخَالِفَكُمۡ إِلَىٰ مَآ أَنۡهَىٰكُمۡ عَنۡهُ﴾.

محمد الغزالي، خلق المسلم ١٤٧

٤) ﴿إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُ﴾ أي: ليس لي من المقاصد إلا أن تصلح أحوالكم، وتستقيم منافعكم، وليس لي من المقاصد الخاصة لي وحدي شيء بحسب استطاعتي، ولما كان هذا فيه نوع تزكية للنفس، دفع هذا بقوله: ﴿وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ﴾.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن ٣٨٧

٥) ليس من شرط الإصلاح إدراك النجاح: ﴿إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ﴾.

د. محمد الحمد

﴿وَيَٰقَوۡمِ لَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شِقَاقِيٓ أَن يُصِيبَكُم مِّثۡلُ مَآ أَصَابَ قَوۡمَ نُوحٍ أَوۡ قَوۡمَ هُودٍ أَوۡ قَوۡمَ صَٰلِحٖۚ وَمَا قَوۡمُ لُوطٖ مِّنكُم بِبَعِيدٖ ٨٩﴾

﴿وَيَٰقَوۡمِ لَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شِقَاقِيٓ﴾ قال السدي ﷺ: «لا يحملنَّكم عداوتي على أنْ تتمادوا في الضلال والكفر؛ فيصيبكم من العذاب ما أصابهم»! الدر المنثور ٤/٤٧٠

ويستفاد من كلام السدي: أنَّ العاقل لا يعادي الحق لأنه يبغض أهله؛ فإنه ما ضرَّ إلا نفسَه!

﴿قَالُواْ يَٰشُعَيۡبُ مَا نَفۡقَهُ كَثِيرٗا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفٗاۖ وَلَوۡلَا رَهۡطُكَ لَرَجَمۡنَٰكَۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡنَا بِعَزِيزٖ ٩١﴾

١) ﴿قَالُواْ يَٰشُعَيۡبُ مَا نَفۡقَهُ كَثِيرٗا مِّمَّا تَقُولُ﴾، ﴿وَجَعَلۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ أَكِنَّةً أَن يَفۡقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٗاۚ﴾ (الأنعام:٢٥) تدبَّر ما ذكره الله عن أعداء الرُّسل من نفي فقههم وتكذيبهم، تجد بعض ذلك فيمن أعرض عن ذكر الله، وعن تدبُّر كتابه، واتبع ما تتلوه الشياطين، وما توحيه إلى أوليائها.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى ١٦/٢١٢

٢) ﴿وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفٗاۖ وَلَوۡلَا رَهۡطُكَ لَرَجَمۡنَٰكَ﴾ لم يلتفت شعيب ﷺ لقدحهم في شخصه، ولم يأخذه العجب باعترافهم بقوة رهطه، بل تأثر لعدم إيمانهم، وحزن لجهلهم بأن عزته وقوته هي بالله وحده.

أ. د. ناصر العمر

﴿يَقۡدُمُ قَوۡمَهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَأَوۡرَدَهُمُ ٱلنَّارَۖ وَبِئۡسَ ٱلۡوِرۡدُ ٱلۡمَوۡرُودُ ٩٨﴾

قادةٌ لكن من نوعٍ آخر:

قال قتادة ﷺ: «فرعون يمضي بين يدي قومه، حتى يهجم بهم على النار»!

الدر المنثور ٤/٤٧٢

قادة الضلال يوردون أتباعهم المهالك، فانظر خلفَ مَن تسير!

﴿وَكَذَٰلِكَ أَخۡذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلۡقُرَىٰ وَهِيَ ظَٰلِمَةٌۚ إِنَّ أَخۡذَهُۥٓ أَلِيمٞ شَدِيدٌ ١٠٢﴾

قال أبو عمران الجوني ﷺ: «لا يغرنَّكم طولُ النسيئة ولا حسن الطلب؛ فإن أخذه أليم شديد»!

الدر المنثور ٤/٤٧٤

العاقل لا يغتر بتأخر العقوبة، وإنما يدفعها قبل وصولها بالتوبة!

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ النَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴿١٠٣﴾﴾

لما ذكر سبحانه في سورة هود عقوبات الأمم المكذبين للرسل، وما حل بهم في الدنيا من الخزي؛ قال بعد ذلك: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ﴾ فأخبر أن عقوباته للمكذبين عبرة لمن خاف عذاب الآخرة، وأما من لا يؤمن بها ولا يخاف عذابها فلا يكون ذلك عبرة وآية في حقه، فإنه إذا سمع ذلك قال: «لم يزل في الدهر الخير والشر، والنعيم والبؤس، والسعادة والشقاوة»! وربما أحال ذلك على أسباب فلكية، وقوى نفسانية.

ابن القيم، الفوائد ١٣١

﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا ۚ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾﴾

١) قف أمام قوله سبحانه: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ﴾! لتدرك أن من لوازم الاستقامة المشروعة أن تكون وفق ما أُمرت به، وليس كما قد يبدو لك من الاستقامة الحسية، فقد تكون حقيقة الاستقامة أن تميل نحو الحق، كما كان أبونا إبراهيم حنيفًا؛ أي: مائلًا للحق، فتدبر تدرك ضلال ما حسنته بعض العقول القاصرة.

أ. د. ناصر العمر

٢) تدبر! لِـمَ نهى عن الطغيان هنا، ولم ينه عن التقصير؟ لأن الاجتهاد في الاستقامة قد يؤدي إلى التشديد على النفس وعلى الآخرين، وقد يصل إلى الغلو، وكل هذا طغيان ومجاوزة للحد.

أ. د. ناصر العمر

﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴿١١٧﴾﴾

تأمل في الجملة الأخيرة ﴿وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾ ولم يقل: صالحون؛ لأن الصلاح الشخصي المنزوي بعيدًا، لا يأسى لضعف الإيمان، ولا يبالي بهزيمة الخير، فكن صالحًا مصلحًا، وراشدًا مرشدًا.

﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾﴾

قال قتادة رَحِمَهُ اللهُ: أهل رحمة الله أهل الجماعة، وإن تفرقت ديارهم وأبدانهم، وأهل معصيته أهل فرقة، وإن اجتمعت ديارهم وأبدانهم.

ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ٤/٣٦٢

﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾﴾

١) فائدة قصص الصالحين:

إنَّ في سماع أخبار الأخيار مُقوِّيًا للعزائم ومُعينًا على اتِّباع تلك الآثار.

ابن رجب، تفسيرابن رجب ١/٥٧٢

٢) حين يتعاظم نفوذ أهل الباطل، وتزداد استطالتهم شراسة؛ فإن قلب المؤمن -في مثل هذه الأحوال- لا بد أن يضطرب، وخير ما يثبت قلبه إذا أحس بذلك، أن يتأمل أخبار الأنبياء في القرآن وهم يصارعون قوى الضلال، قال تعالى: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾.

إبراهيم السكران

﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾﴾

﴿فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ كل أحد من الخلق يريدك لنفسه.. من أهل وولد وصديق وخادم، وليس معك على الحقيقة إلا الحق سبحانه، فإن خذلك أو أخذك بذنبك لم يَبْقَ لك متعلق، وكان الهلاك، وإن لطف بك وقربك إليه لم يضرك انقطاع كل منقطع عنك، فلا تلتفت إلا إليه، ولا تعول إلا عليه، وإياك أن تعقد خنصرك إلا على الذي نظمها.

ابن مفلح، الآداب الشرعية ١/ ١٧٧

سُورَةُ يُوسُفَ

١) يقول ابن الجوزي: قرأت سورة يوسف عليه السلام، فتعجبت من مدحه على صبره، وشرح قصته للناس، ورفع قدره؛ فتأملت خبيئة الأمر، فإذا هي مخالفته للهوى المكروه، فقلت: واعجبا لو وافق هواه؛ من كان يكون؟ ولـمَّـا خالفه لقد صار أمرًا عظيمًا تضرب الأمثال بصبره، ويفتخر على الخلق باجتهاده، وكل ذلك قد كان بصبر ساعة فيا له عزًا وفخرًا، أن تملك نفسك ساعة الصبر عن المحبوب وهو قريب.

صيد الخاطر ٢٩١

٢) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: قصة إبراهيم في علم الأقوال النافعة عند الحاجة إليها، وقصة يوسف في علم الأفعال النافعة عند الحاجة إليها.

مجموع الفتاوى ١٤/ ٤٩٣

﴿قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيۡدًاۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ٥﴾

١) يعقوب عليه السلام عرف تأويل الرؤيا، ولم يبال بذلك؛ فإن الرجل يود أن يكون ولده خيرًا منه، والأخ لا يود ذلك لأخيه.

ابن العربي، أحكام القرآن ٥ /٤٧

٢) هذه الآية أصل في ألا نقص الرؤيا على غير شفيق ولا ناصح، ولا على من لا يحسن التأويل فيها.

القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ٩/١٢٦

٣) في النفوس البشرية مقاومة شرسة للمتفوقين، لا تظهر تفوقك إلا عندما تكون مضطرًا.

د. عبدالله بن بلقاسم

﴿ ۞ لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ ٧ ﴾

آيات لكل من سأل عنها بلسان الحال أو بلسان المقال؛ فإن السائلين هم الذين ينتفعون بالآيات والعبر، وأما المعرضون فلا ينتفعون بالآيات، ولا بالقصص والبينات.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن ٣٩٤

﴿ ٱقْتُلُوا۟ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا۟ مِنۢ بَعْدِهِۦ قَوْمًا صَٰلِحِينَ ٩ ﴾

حتى هذه التوبة (المعدة سَلَفًا) لم يفوا بها، فلم يتوبوا (بصدق) إلا بعد أن لم يبق لهم أي فرصة لتحقيق أطماعهم.

أ. د. ناصر العمر

﴿ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا۟ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ١٠ ﴾

الظلم ظلمات، ولا بد أن يلقى الظالم جزاءه وإن طالت حبال الأيام، وتأمل كيف أن إخوة يوسف لما امتدت أيديهم بالظلم لأخيهم ﴿وَأَلْقُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ﴾؛ امتدت أكفهم بين يديه بالطلب، يقولون: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَٰعَةٍ مُّزْجَىٰةٍ فَأَوْفِ لَنَا ٱلْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ﴾.

ابن الجوزي، صيد الخاطر ١٢٦

﴿ أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ١٢ ﴾

١) هل أنت من أهل الخروج إلى البراري والمنتزهات؟

تأمل.. طبيعة البشر تستريح وتسعد بالخروج من المألوف: ﴿أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ﴾ ولكن هذا لا ينسي أن فيها شيئًا من المخاطر يجب أن تتقى: ﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾.

أ. د. عبدالعزيز العويد

٢)لم ينكر والدهم ذلك بل أرسله معهم؛ مما يدل على مشروعية اللعب البريء، وحاجة الأبناء إليه، وهو يرسم منهج الوسطية بين الذين اتخذوا حياتهم لهوًا ولعبًا، واشتروا لهو الحديث ليضلوا عن سبيل الله، وبين الذين تشددوا وغلوا، وحرَّموا زينة الله التي أخرج لعباده؛ فلا يجوز تحريم اللعب بإطلاق أو تحليله دون ضابط.

أ. د. ناصر العمر

﴿ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ ۖ وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ ﴾

المتظاهر بالأمر ينكشف أمره لأهل البصيرة ولو استخدم التمثيل، فإنهم جاؤوا أباهم عشاء يبكون، فهذا تمثيل ولكنه لم يدم لهم.

محمد المنجد، شريط (١٠٠ فائدة من سورة يوسف)

﴿ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍۭ بَخْسٍ دَرَٰهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾

١) من عجائب الجزاء في الدنيا:

ـ أنه لما امتدت أيدي الظلم من إخوة يوسف: ﴿ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍۭ بَخْسٍ ﴾؛ امتدت أكفهم بين يديه بالطلب، يقولون: ﴿وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ﴾ (يوسف:٨٨).

ـ ولما بغت عليه المرأة بدعواها: ﴿مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا﴾ (يوسف:٢٥)، أنطقها الحق بقولها: ﴿أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ﴾ (يوسف:١٥)، ومن ترك معصية لله، رأى ثمرة ذلك، وكذا إذا فعل الطاعة.

ابن الجوزي، صيد الخاطر ٣٤

٢) صياغة الإخبار عن زهادتهم بيوسف بصيغة ﴿مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ﴾ أشد مبالغةً مما لو أخبر بـ(كانوا فيه زاهدين)؛ لأن جعلهم من فريق زاهدين يُنبئ بأنهم جَروا في زهدهم في أمثاله على سَنَن أمثالهم البسطاء الذين لا يقدرون قدر نفائس الأمور.

ابن عاشور، التحرير والتنوير١٢/٢٤٤

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ لِٱمْرَأَتِهِۦٓ أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا ۚ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾ ﴾

سبقت قصة المراودة بما يحدد مكانها وأشخاصها، بل وخصائصهم: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ لِٱمْرَأَتِهِۦٓ أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا ﴾.. اشتمل هذا على تحديد المكان ﴿مِن مِّصْرَ ﴾، وأن المشتري مِن ذوي المكانة: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾، وأن يوسف كان إذ ذاك صبيًّا: ﴿ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا ﴾.

د. عويض العطوي، جماليات النظم القرآني (٩)

﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾

١) ذهب يوسف ﷺ بشطر الحسن، ولكن الله لم يمدحه في القرآن أبدًا بجماله! إنما مدحه بأنه من المحسنين ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾.

د. عبدالله بن بلقاسم

٢) ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾، ﴿إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ (يوسف:٧٨)، الإحسان وسيلة كبرى، وقاعدة صلبة يُنطلق من خلالها لتحقيق أعظم الأهداف، وأنبل الغايات، فهو أول الطريق وليس نهايته.

أ. د. ناصر العمر

﴿وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾

١) أول ما يواجهنا في القصة تلك الكلمة التي تختصر الحدث كلَّه: ﴿وَرَٰوَدَتْهُ ﴾، فهي تصور من أول لحظة الإعجاب الشديد من امرأة العزيز، حتى طلبت فعل المنكر، وأنها بذلت قصارى جهدها في التحايل؛ لأنَّ المراودة دالَّةٌ على رفقٍ في الطلب، ومجيء وانطلاقٍ، وصيغة المفاعلة دالة على التكرار.

د. عويض العطوي، جماليات النظم القرآني (٢١-٢٢)

٢) ﴿ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا﴾ ذكر المرأة بهذا دون اسمها (زليخا)، أو الإضافة (امرأة العزيز)؛ ففيه إظهار كمال نزاهته، فإن عدم ميله إليها مع دوام مشاهدته لمحاسنها، واستعصاءه عليها مع كونه تحت ملكتها ينادي بكونه ﷺ في أعلى معارج العفة والنزاهة.

د. عويض العطوي، جماليات النظم القرآني (٢٣)

٣) إنما قال: ﴿ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا﴾ قصدًا إلى زيادة التقرير مع استهجان التصريح باسم المرأة والمحافظة على الستر عليها.

الشوكاني، فتح القدير ٢٠/٣

٤) ﴿وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا عَن نَّفۡسِهِۦ﴾ في تعدية الفعل (راود) بحرف الجر (عن) سرٌّ، فإنه لما كانت المراودة تدل على الحركة، وكان حرف (عن) يدل على المجاوزة؛ فكأنها أرادت بكلِّ حيلها وأنوثتها تجريده من نفسه هو؛ ليكون لها وحدها.

د. عويض العطوي، جماليات النظم القرآني (٢٤)

٥) في أول الأمر: ﴿وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ وَقَالَتۡ هَيۡتَ لَكَ﴾ ولما شاع الأمر في المدينة، لم تبالِ أن تعلنَ عن فسادها: ﴿وَلَئِن لَّمۡ يَفۡعَلۡ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسۡجَنَنَّ وَلَيَكُونٗا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ﴾ (يوسف:٣٢)؛ وهكذا تبدأ المنكرات خُفيةً، فإن أُشهِرت ارتُكِبت علانية.

أ. د. ناصر العمر

٦) ﴿وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ وَقَالَتۡ هَيۡتَ لَكَ﴾ هذه أول خطوة قامت بها امرأة العزيز في سبيل رغبتها، وهي خطوة ذات شقين: فعلي: ﴿وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ﴾، وقولي: ﴿هَيۡتَ لَكَ﴾، وتشير كلمة ﴿وَغَلَّقَتِ﴾ إلى إحكام الغلق، وإلى كثرة الأبواب؛ تهيئةً لفعل مرادها.

د. عويض العطوي، جماليات النظم القرآني (٢٥- ٢٦)

٧) ﴿وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ وَقَالَتۡ هَيۡتَ لَكَ﴾ يلفت النظر هنا الإيجاز الشديد في ذكر هاتين الخطوتين (التغليق، والقول)؛ ففيه إشارة إلى ضرورة الاختصار في كلِّ ما يتعلق بهذه القضيَّة، وعدم التطويل في سرد التفاصيل المحركة للغرائز.

د. عويض العطوي، جماليات النظم القرآني (٢٥)

٨) ﴿قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ﴾ في إظهار قول يوسف عناية بإبراز ما تفوَّه به في تلك اللحظة مقابل ما تفوَّهت به؛ ليتَّضح الفرق بين لغة الشهوة والخيانة، ولغة العفة والوفاء، وفي سبق التعوذ إلى لسانه دليل على عظم صلته بربِّه وقربه منه، وإلا فإنَّه لا يُوفَّق لمثل هذا كلُّ أَحَدٍ.

د. عويض العطوي، جماليات النظم القرآني (٣١- ٣٢)

٩) نازعتني نفسي لأمر مكروه شرعًا، فلجأت إلى الله في دفع ذلك عن قلبي، وأقبلت على القرآن، فبدأت بسورة يوسف؛ حتى بلغت: ﴿قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَ﴾ فانتبهت لها، وكأني خوطبت بها، فأفقت وقلت: يا نفس! هذا حرٌّ بيع ظلمًا، فراعى حق من أحسن إليه قائلًا: ﴿إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَ﴾ فكيف بك، وأنت عبدٌ لله، قد نالك منه الإحسان العظيم!

ابن الجوزي، صيد الخاطر ٢١٥/١

١٠) ﴿إِنَّهُۥ رَبِّيٓ﴾ فذكَرَ عنوانَ الربوبية هنا دون السيادة؛ لما فيه من الاعتراف بالمعروف والفضل، وهذا دليل على أن من المروءة ورفيع الأخلاق أن يحفظ الإنسانُ حقَّ من أحسن إليه، فضلًا عن أن يخونه، والسياق دالٌّ على أن المراد هو مَنْ ربَّاه وقال: أكرمي مثواه، لا خالقه؛ لأنه المتبادر إلى مفهوم المرأة المتلقية للخطاب.

د. عويض العطوي، جماليات النظم القرآني (٣٢)

١١) تأمل الفرق بين تربية الروح وبين تربية الجسد، في قصة نبي الله يوسف مع امرأة العزيز!.

د. محمد المصري

﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَـٰنَ رَبِّهِۦ ۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾﴾

١) ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَـٰنَ رَبِّهِۦ﴾ صُدِّر الأول بما يقرِّر وجودَه من التوكيد القسمي ﴿وَلَقَدْ﴾، وعُقِّب الثاني بما يعفو أثرَه من قوله ﷺ: ﴿لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَـٰنَ رَبِّهِۦ﴾ الدال على قبح الزنا، وبما أن برهان ربه قد وجد، فالهمُّ لم يوجد.

د. عويض العطوي، جماليات النظم القرآني (٣٤)

٢) ﴿لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَـٰنَ رَبِّهِۦ﴾ الله تعالى يعين أولياءه في اللحظات العصيبة بأمور تثبتهم، فهو كاد، لكن برهان من الله أراه إياه جعله ينصرف، ومهما كان المراد بهذا البرهان، فالإنسان لولا معونة الله وتوفيق الله وتسديده، لا يثبت على الحق.

محمد المنجد، شريط: يوسف (١)

٣) ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ﴾ رغم كل محاولات امرأة العزيز وإغراءاتها كانت الاستجابة لها -وحاشا يوسف عليه السلام- سوءًا وفحشاء! لا عذر للجريمة.

د. عبدالله بن بلقاسم

٤) ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ شهد الله في هذه الآية على طهارة يوسف أربع مرات:

١- ﴿لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ﴾ واللام للتأكيد، وأن السوء صرف عنه، وهذا أبلغ من أن يصرف هو عن السوء.

٢- ﴿وَٱلْفَحْشَآءَ﴾: فصرف عنه السوء والفحشاء.

٣- ﴿إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا﴾ فأضافه إليه.

٤- ﴿ٱلْمُخْلَصِينَ﴾، وقرئت بفتح اللام وكسرها.

د. عويض العطوي، جماليات النظم القرآني (٣٩)

٥) هل ذقت حلاوةَ الإخلاص؟ يقول ابن تيمية ﷺ: المخلص لله ذاق من حلاوة عبوديَّته ما يمنعه من محبة غيره؛ إذ ليس عند القلب السليم أحلى ولا ألذ، ولا أطيب ولا أسر، ولا أنعم من حلاوة الإيمان المتضمن عبوديته لله؛ وذلك يقتضي انجذاب القلب إلى الله، فيصير القلب منيبًا إلى الله، خائفًا منه، راغبًا، راهبًا، كما قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ﴾.

العبودية ١٣٩

٦) من أعظم أسباب العشق: إعراضُ القلب عن الله، والإنسان لا يترك محبوبًا إلا بمحبوب آخر يكون أحب إليه منه، أو خوفًا من مكروه؛ والقلب إذا ذاق طعم عبادة الله، والإخلاص له لم يكن عنده شيء قط أحلى من ذلك، ولا ألذ، ولا أمتع، ولا أطيب، فتدبر: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ﴾.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى ١٠/١٨٧

٧) ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ محبة الصور المحرمة وعشقها من موجبات الشرك، وكلما كان العبد أقرب إلى الشرك وأبعد من الإخلاص، كانت محبته بعشق الصور أشد، وكلما كان أكثر إخلاصًا وأشد توحيدًا، كان أبعد من عشق الصور؛ ولهذا أصاب امرأة العزيز ما أصابها من العشق لشركها ونجا منه يوسف الصديق ﷺ بإخلاصه.

ابن القيم، إغاثة اللهفان (٢/١٤١)

٨) لا يبتلى بالعشق غالبًا إلا من غفل قلبه عن الله وعن ذكره وعن أمره ونهيه، قال تعالى في حق يوسف: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ يدل ذلك على أن الإخلاص سبب لدفع السوء والفحشاء، فالقلب إذا امتلأ من ذلك استحلاه على كل شيء وتغذى به واستغنى به عما سواه.

ابن مفلح، الآداب الشرعية ٣/٢٤٣

٩) إذا انفتح لك باب معصية وتيسرت أسبابها؛ فلا تفرح؛ فقد يكون علامة على هوانك عند ربك: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ﴾.

فهد العيبان

١٠) أحد الشباب كان يعاني من تعلقه ببعض الفواحش، وكان يجد شدة في تركها؛ حتى أذن الله بذهاب حبها من قلبه بسبب تدبره لقوله تعالى -عن يوسف ﷺ-: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ﴾ فرجع لنفسه، وقال: لو كنت مخلصًا لأنجاني ربي كما أنجى يوسف، ولم يمض وقت طويل حتى صار هذا الشاب أحد الدعاة إلى الله.

١١) تدبر الثناء على يوسف: ﴿إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ﴾ وموسى: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ مُخۡلَصٗا﴾ (مريم: ٥١) بكسر اللام وفتحها في الآيتين، في قراءتين سبعيتين ومعنيين بديعين، حيث أخلصا في عملهما فأخلصهما الله واصطفاهما.

أ. د. ناصر العمر

﴿وَٱسۡتَبَقَا ٱلۡبَابَ وَقَدَّتۡ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٖ وَأَلۡفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلۡبَابِۚ قَالَتۡ مَا جَزَآءُ مَنۡ أَرَادَ بِأَهۡلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسۡجَنَ أَوۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٢٥﴾﴾

١) ﴿وَٱسۡتَبَقَا ٱلۡبَابَ﴾ فيه مشروعية الفرار من الفتن مهما بلغ الإنسان من العلم، والدين، والعقل.

د. محمد الحمد، هداية آيات ٧

٢) ﴿وَٱسۡتَبَقَا ٱلۡبَابَ﴾ ولم يقل: واستبقا (إلى) الباب:

١- لأن الاستباق ليس مقصودًا لذاته، بل هو وسيلة، والمقصود هو الباب، ولو قيل: استبقا إلى الباب؛ لكان الباب منتهى السباق؛ لأنه بتجاوز الباب يتغير المكان والموقف كله؛ لذا كانت حريصةً على منعه من ذلك.

٢- وليشير إلى سرعة الوصول، حتى لكأنهما في لحظة قد وصلا الباب.

د. عويض العطوي، جماليات النظم القرآني (٤١)

٣) ﴿وَأَلۡفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلۡبَابِ﴾ ولم يقل: سيدهما؛ لوجهين:

١- أنَّ «يوسف لم يدخل في رقٍّ قط»، وإنما اشتُرِيَ ظلمًا.

٢- «لأن المسلم لا يُملك، وهو السيد»، ولا تكون السيادة للكافر على المسلم.

البقاعي، نظم الدرر ٣٢/٤

٤) ﴿وَقَدَّتْ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٍ﴾ ذكر قدّ القميص، وتحديد مكان القدّ، فيه إشارة إلى أن يوسف هو الأسبق إلى الباب، وهذا يعني أنه هو الهارب وهي المطارِدة. وذكر مادة (القدّ) دون (الشق)؛ لأن القدَّ لا يكون إلا طولًا، وهذا أكثر مطابقة للواقع.

د. عويض العطوي، جماليات النظم القرآني (٤٢)

٥) ﴿مَا جَزَآءُ مَنۡ أَرَادَ بِأَهۡلِكَ سُوٓءًا﴾ ولم تقل: ما جزاء يوسف، فكأنها لا تريد أن يصيب معشوقها مكروهٌ مقصود يؤذيه هو بعينه؛ لذا أَخْفَت اسمَه عند لحظة المواجهة، كما أن في ذلك تخفيفًا من رد يوسف عليها، إذ لو أشارت إليه أو نسبت الأمر بصراحة إليه؛ لربما حدث أمرٌ آخر.

د. عويض العطوي، جماليات النظم القرآني (٤٧)

٦) في قولها: ﴿بِأَهۡلِكَ﴾ بدلًا من قولها: (بي) فائدة، وهي: إضافة نفسها إلى العزيز؛ لتثير عاطفته نحوها، ولتغريه بهذا الذي اعتدى على العزيز في أهله، وفي اختيار (الأهل) دون (الزوجة) ما يوحي بالاستقرار والراحة، كل هذا لتحفز زوجها على نصرته لها، وترويض خصمها، فهي تقيس هنا مجموعة مشاعر مختلفة، بين استغراب، وسؤال، ورهبة، وعشق، كل ذلك استطاعت استيعابه بخطاب شامل يدل على قدرة فائقة في ذلك.

د. عويض العطوي، جماليات النظم القرآني (٤٨)

٧) ﴿إِلَّآ أَن يُسۡجَنَ أَوۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ سبق السجن بـ(أن والفعل)، بينما جاء «العذاب» صريحًا موصوفًا، ولم يقل: (أن يعذب)؛ لأن لفظ السجن يطلق على البيت الذي يوضع فيه المسجون، ويطلق على مصدر سجن، فحتى لا يتبادر إلى الذهن الموضع فقط، ذُكِر الفعل مسبوقًا بـ(أن) ليتحقق معنى الفعل؛ لأنه الذي فيه النكاية.

د. عويض العطوي، جماليات النظم القرآني (٤٩)

٨) والمراد أن يسجن يومًا أو أقل على سبيل التخفيف، فأما الحبس الدائم فإنه لا يعبر عنه بهذه العبارة، بل يقال: يجب أن يجعل من المسجونين، ألا ترى أن فرعون هكذا قال حين تهدد موسى عليه السلام في قوله: ﴿لَئِنِ ٱتَّخَذۡتَ إِلَٰهًا غَيۡرِي لَأَجۡعَلَنَّكَ مِنَ ٱلۡمَسۡجُونِينَ﴾ (الشعراء: ٢٩)؟

د. عويض العطوي، جماليات النظم القرآني (٥٠)

﴿ قَالَ هِيَ رَٰوَدَتۡنِي عَن نَّفۡسِيۚ وَشَهِدَ شَاهِدٞ مِّنۡ أَهۡلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٖ فَصَدَقَتۡ وَهُوَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ٢٦ ﴾

١) ﴿ قَالَ هِيَ رَٰوَدَتۡنِي ﴾ والمتوقع أن يقول: هذه راودتني؛ ولعل السرَّ هو للإعلام بانصرافه عنها، وعدم اهتمامه بها؛ لخيانتها، واتهامها لبريء، وهو موافق لما جَبَل الله عليه الأنبياء من حسن الأدب ولطف القول، فهي لما كنَّت عن نفسها فقالت: ﴿بِأَهۡلِكَ﴾، ولم تقل: (بي)، كنى ﷺ عنها بضمير الغيبة، فقال: ﴿هِيَ رَٰوَدَتۡنِي﴾، ولم يخاطبها بـ: (أنت راودتني)، ولا أشار إليها بـ: (هذه راودتني)؛ تأدُّبًا في اللفظ.

د. عويض العطوي، جماليات النظم القرآني (٥١)

٢) ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٞ﴾ تلحظ العناية بشأن الشهادة، حيث ذكرت في لفظين متجاورين، فـ(شهد) يمثل القيام بالفعل -وهو الشهادة- و(شاهد) يبيِّن أنَّ الذي قام بالفعل من أبرز صفاته: الشهادة، ولولا هذا المعنى لقيل: وشهد بعض أهلها، وتقييد الشاهد بكونه (من أهلها) فيه دلالة على قوة شهادته إذا شهد عليها؛ لأنَّ المتوقع في مثل هذه الحالة أن يشهد لها لا عليها، بسبب الحميَّة.

د. عويض العطوي، جماليات النظم القرآني (٥٢)

٣) إنما قال ﴿مِّنۡ أَهۡلِهَآ﴾؛ ليكون أولى بالقبول في حق المرأة؛ لأن الظاهر من حال من يكون من أقرباء المرأة ومن أهلها أن لا يقصدها بالسوء والإضرار.

الرازي، مفاتيح الغيب ٤٤٦/١٨

﴿ ۞ وَقَالَ نِسۡوَةٞ فِي ٱلۡمَدِينَةِ ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفۡسِهِۦۖ قَدۡ شَغَفَهَا حُبًّاۖ إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ٣٠ ﴾

١) ﴿ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ﴾ أضفْنَها إلى زوجها؛ إرادة لإشاعة الخبر؛ فإن النفس إلى سماع أخبار أولي الأخطار والمكانة أميل.

البقاعي، نظم الدرر ٧٠/١٠

٢) تأمل قوله تعالى عن النسوة: ﴿ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفۡسِهِۦ﴾ ولم يقلن: (فتى العزيز راود سيدته)، وفي هذا طمأنة لأصحاب المبادئ الذين يتعرضون لتشويه السمعة، وإلصاق التهم عن طريق الإشاعات والافتراء، إذ سرعان ما تتضح مواقفهم، وتظهر براءتهم ساطعة كالشمس: ﴿ٱلۡـَٰٔنَ حَصۡحَصَ ٱلۡحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ﴾ (يوسف: ٥١).

أ. د. ناصر العمر

﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَءَاتَتْ كُلَّ وَٰحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ ٱخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾﴾

١) ﴿فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾ لا تجرب نفسك في المآزق الصعبة، فقد تنقطع حبال صبرك!

د. عبدالله بن بلقاسم

٢) انظر إلى قوله تعالى في سورة يوسف عن النسوة: ﴿فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾، وقول الملك ليوسف: ﴿فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿٥٤﴾﴾، فيه أن النساء يروقهن حسن المظهر، وأما الرجال فيروقهم جمال المنطق والمخبر، وتلك من الطبيعة التي خلقها الله تعالى في النفوس.

د. محمد الحمد

﴿قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾

١) كثيرًا ما يقرن الله تعالى بين الجمال الظاهر والجمال الباطن، ومنه: قول امرأة العزيز عن يوسف عليه السلام لما أرته النسوة اللائمات لها في حبه: ﴿فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ﴾، فأرتهُنَّ جماله الظاهر، ثم قالت: ﴿وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ﴾، فأخبرت عن جماله الباطن بعفَّته.

ابن القيم، إغاثة اللهفان ١/ ٥٨

٢) عندما تتصف المرأة بخصال تشينها خلقًا ودينًا، فإنها تجتهد في توريط بنات جنسها بذلك، مستغلة مكانتها وطيبة كثير من النساء؛ فتوردهن -بمكرها- المهالك، قف وتأمل قصة امرأة العزيز مع نسوة المدينة، فبعد استنكار الباطل؛ أصبحن للشر أعوانًا!

أ. د. ناصر العمر

﴿قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا يَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّى كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾﴾

١) من احتمل الهوان والأذى في طاعة الله على الكرامة والعز في معصية الله -كما فعل يوسف عليه السلام وغيره من الأنبياء والصالحين- كانت العاقبة له في الدنيا والآخرة، وكان ما حصل له من الأذى قد انقلب نعيمًا وسرورًا، كما أن ما يحصل لأرباب الذنوب من التنعم بالذنوب ينقلب حزنًا وثبورًا.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى ١٥/ ١٣٢

٢) ﴿وَإِلَّا تَصۡرِفۡ عَنِّي كَيۡدَهُنَّ أَصۡبُ إِلَيۡهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾ وذلك لأنَّ الميل إليهنَّ جهْلٌ؛ لأنه يكون قد آثر لذةً قليلةً منغَّصةً على لذاتٍ متتابعات وشهوات متنوعات في جنات النعيم، ومن آثر هذا على هذا، فمَن أجهلُ منه؟!

السعدي، تيسير الكريم الرحمن ٣٩٧ (بتصرف يسير)

٣) كيف تبرّئ نفسك وهناك من هو خير منك، يوسف ﷺ يقول عن النساء: ﴿وَإِلَّا تَصۡرِفۡ عَنِّي كَيۡدَهُنَّ أَصۡبُ إِلَيۡهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾.

علي الطنطاوي، نور وهداية ١٢٤-١٢٥

﴿وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجۡنَ فَتَيَانِۖ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعۡصِرُ خَمۡرٗاۖ وَقَالَ ٱلۡأٓخَرُ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَحۡمِلُ فَوۡقَ رَأۡسِي خُبۡزٗا تَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِنۡهُۖ نَبِّئۡنَا بِتَأۡوِيلِهِۦٓۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٣٦﴾

﴿نَبِّئۡنَا بِتَأۡوِيلِهِۦٓ﴾ لجأ أهل السجن إلى يوسف لتعبير رؤياهم، وهم لا يعرفون أنه من أهل العلم، ولا يعلمون أنه معبر للرؤى من قبل، فهم من الكفار والملك كافر والبلدة كافرة؛ لأن أهل الصلاح يظهر صلاحهم على وجوههم، والناس يحبونهم وينجذبون إليهم، فإن أهل السجن قالوا بعدها: ﴿إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ حالتك وسيرتك وهيئتك وأفعالك تدل على أنك من المحسنين والصالحين.

محمد المنجد، شريط سورة يوسف (١)

﴿قَالَ لَا يَأۡتِيكُمَا طَعَامٞ تُرۡزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأۡتُكُمَا بِتَأۡوِيلِهِۦ قَبۡلَ أَن يَأۡتِيَكُمَاۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيٓۚ إِنِّي تَرَكۡتُ مِلَّةَ قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ ٣٧﴾

قال يوسف للسجينين: ﴿إِنِّي تَرَكۡتُ مِلَّةَ قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ﴾ ولم يشتم دينهما أمامهما؛ لأن المقام ليس مقام رد ولا استفزاز ولا حساب، بل مقام بلاغ، والحق إذا تبين فليس بالضرورة أن يجهر بشتم الباطل الذي يدين به الشخص المقابل.

أ. د. ناصر العمر

﴿وَٱتَّبَعۡتُ مِلَّةَ ءَابَآءِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشۡرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَيۡءٖۚ ذَٰلِكَ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ عَلَيۡنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ ٣٨﴾

١) ﴿وَٱتَّبَعۡتُ مِلَّةَ ءَابَآءِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ﴾ إنما قال ذلك تمهيدًا للدعوة، وإظهارًا أنه من بيت النبوة؛ لتقوى رغبتهما في الاستماع إليه، والوثوق به. ابن عجيبة الفاسي، البحر المديد ٥٩٦/٢

٢) لا فرق بين عبادة القبر ومن فيه، وعبادة الصنم، وتأمل قول الله تعالى عن نبيِّه يوسف بن يعقوب حيث قال: ﴿وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَيْءٍ﴾ فقوله: ﴿مِن شَيْءٍ﴾ نكرة في سياق النفي تعمُّ كلَّ شركٍ.

عبدالرحمن بن حسن، فتح المجيد ٢٣٤

٣) علق قتادة ﷺ على قول يوسف ﷺ: ﴿ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ﴾ فقال: إن المؤمن ليشكر ما به من نعمة الله، ويشكر ما في الناس من نعم الله.

الدر المنثور ٢٥٥/٨

﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾﴾

١) ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾ تأمل دلالة أداة الحصر، وتعقيب ذلك بأن الحكم عبادة، ووصفه بالدين القيم؛ لتدرك أي منكر عظيم، وجريمة كبرى يرتكبها من لم يحكم بما أنزل الله.

أ. د. ناصر العمر

٢) لو أن شخصًا نظر إلى ماضيه؛ فوجده مثقلًا بالآلام -كما وقع ليوسف ﷺ-؛ لضاقت به بالأرض، إلا أن يوسف الصديق بقي متألق اليقين وراء جدران السجن، يذكِّر بالله من جهلوه، ويبصِّر بفضله من جحدوه، وذلك شأن أولي الفضل من الناس، لا يفقدون صفاء دينهم إن فقدوا صفاء دنياهم، ولا يهونون أمام أنفسهم لنكبة حلت بهم.

محمد الغزالي، خلق المسلم ١٢٣

﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّيٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ ۖ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُءْيَٰيَ إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ﴿٤٣﴾﴾

تأمل في كلام هذا الملك العاقل، حيث اعتبر أن الرؤيا لها أهلها المختصون، وأكد ذلك بالجملة الشرطية ﴿إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ﴾ فما بال كثير من الناس يعرضون رؤاهم على كل غاد ورائح؟

أ. د. ناصر العمر

﴿قَالُوٓاْ أَضۡغَٰثُ أَحۡلَٰمٍۖ وَمَا نَحۡنُ بِتَأۡوِيلِ ٱلۡأَحۡلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾﴾

استدل بعض العلماء من قوله تعالى: ﴿قَالُوٓاْ أَضۡغَٰثُ أَحۡلَٰمٍ﴾ على ضعف ما ورد من أن «**الرؤيا على أول ما تعبر**»[1]؛ لأن القوم قالوا: ﴿أَضۡغَٰثُ أَحۡلَٰمٍ﴾ ولم تقع كذلك، فإن يوسف فسرها على سني الجدب والخصب، فكان كما عبر. وفي الآية دليل أيضًا على ضعف أن «**الرؤيا على رجل طائر ما لم تعبر، فإذا عبرت وقعت**»[2].

القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ٩/٢٠١

﴿وَقَالَ ٱلَّذِي نَجَا مِنۡهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعۡدَ أُمَّةٍ أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأۡوِيلِهِۦ فَأَرۡسِلُونِ ﴿٤٥﴾﴾

في سورة يوسف خوطب الملك بصيغة الجمع: ﴿أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأۡوِيلِهِۦ فَأَرۡسِلُونِ﴾، وفي يونس: ﴿عَلَىٰ خَوۡفٖ مِّن فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِمۡ﴾ (يونس:٨٣)، جمع والمراد فرعون، وفي القصص: ﴿لَا تَقۡتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ﴾ (القصص:٩)، تخاطب زوجها فرعون؛ بدلالة: ﴿قُرَّتُ عَيۡنٖ لِّي وَلَكَ﴾، فهذه الآيات تدل على جواز مخاطبة الملوك بالجمع؛ تحقيقًا لمصلحةٍ أو دفعًا لمفسدة.

أ. د. ناصر العمر

﴿قَالَ تَزۡرَعُونَ سَبۡعَ سِنِينَ دَأَبٗا فَمَا حَصَدتُّمۡ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلٗا مِّمَّا تَأۡكُلُونَ ﴿٤٧﴾﴾

هذه الآية أصل في القول بالمصالح الشرعية التي هي حفظ الأديان والنفوس والعقول والأنساب والأموال؛ فكل ما تضمن تحصيل شيء من هذه الأمور فهو مصلحة، وكل ما يفوت شيئًا منها فهو مفسدة، ودفعه مصلحة.

القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ٩/٢٠٣

﴿وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ ٱئۡتُونِي بِهِۦۖ فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرۡجِعۡ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسۡـَٔلۡهُ مَا بَالُ ٱلنِّسۡوَةِ ٱلَّٰتِي قَطَّعۡنَ أَيۡدِيَهُنَّۚ إِنَّ رَبِّي بِكَيۡدِهِنَّ عَلِيمٞ ﴿٥٠﴾﴾

إنما قال: ﴿فَسۡـَٔلۡهُ مَا بَالُ ٱلنِّسۡوَةِ﴾ وسكت عن امرأة العزيز؛ رعاية لذمام الملك العزيز، أو خوفًا من كيدها وعظيم شرها.

الشوكاني، فتح القدير ٣/ ٤١

---

(١) ابن ماجه ح(٣٩١٥).

(٢) أبو داود ح(٥٠٢٠)، وابن ماجه ح(٣٩١٤)، وأحمد ح(١٦١٨٢).

﴿ ۞ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٥٣﴾ ﴾

١) فهم سياق الآيات وتدبرها مما يعين على فهم المعنى -إذا اختلف فيه المفسرون- مثال ذلك: جزم شيخ الإسلام ابن تيمية بأن امرأة العزيز هي التي قالت: ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾؛ لأن السياق متصل بكلامها، وأتبع ذلك بقوله: يدل القرآن على ذلك دلالة بينة، لا يرتاب فيها من تدبر القرآن.

دقائق التفسير ٢/ ٢٧٣

٢) من أعظم الأشياء ضررًا على العبد بطالته وفراغه، فإن النفس لا تقعد فارغة بل إن لم يشغلها بما ينفعها شغلته بما يضره، ﴿إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾.

ابن القيم، طريق الهجرتين ٢٧٥

﴿ قَالَ ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ ﴿٥٥﴾ ﴾

١) من أهم أسباب الأحداث الجارية في الدول العربية: سوء توزيع الثروات (وليس شحها)، وهذا ناشئ من عدم توافر أهلية المسئولين عن ذلك، وإلا فيوسف ﷺ استطاع أن يجتاز بمصر أحلك الأزمات الاقتصادية بأمان؛ لتوافر شروط الكفاءة فيه. تدبر: ﴿ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ﴾.

أ. د. ناصر العمر

٢) قال القاضي أبو يعلى: وفي قصة يوسف دلالة على أنه يجوز للإنسان أن يصف نفسه بالفضل عند من لا يعرفه.

شرح منظومة الآداب ٦٤

﴿ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَتَبَوَّأُ مِنۡهَا حَيۡثُ يَشَآءُۚ نُصِيبُ بِرَحۡمَتِنَا مَن نَّشَآءُۖ وَلَا نُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾

فيها عدَّة فوائد، منها: إطلاق الكل وإرادة البعض، فيوسف لم يُمكَّن له في جميع الأرض، بل مُكِّن له في أرض مصر ونواحيها، ومنها: أنَّ الطاعة تثمر الرزق في الدنيا، ويعطى المؤمن الأجر عليها، ولا ينقص ذلك من ثوابه في الآخرة.

القصاب، نكت القرآن ١/٦١٩

﴿ فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِۦ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِندِي وَلَا تَقْرَبُونِ ﴿٦٠﴾ ﴾

في قول يوسف لإخوته: ﴿فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِندِي وَلَا تَقْرَبُونِ﴾ مشروعية المقاطعة الاقتصادية؛ لتحصيل غرض مشروع، طالما أن المصلحة الشرعية اقتضتها، فيوسف بين لإخوته أنه ليس بينهم أي تعاون اقتصادي ما لم ينفذوا مطلبه.

أ. د. ناصر العمر

﴿ وَقَالَ لِفِتْيَٰنِهِ ٱجْعَلُوا۟ بِضَٰعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَآ إِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾

تأمل: عندما جاء إخوة يوسف، وطلب منهم أن يأتوا بأخيهم؛ أمر فتيانه بأن يضعوا بضاعتهم في رحالهم، ولكن عندما أراد أن يأخذ أخاه؛ وضع الصواع بنفسه ﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ﴾ (يوسف:٧٠)؛ وذلك لأنه في الأولى كان مجرد علامة على جديته في طلب أخيهم، فلا يحتاج إلى حيلة أو كتمان.. بينما كان أخذ أخيه بحيلة مشروعة لا تتم إلا بالتلطف والكتمان؛ حتى يتحقق الهدف المنشود.

أ. د. ناصر العمر

﴿ وَقَالَ يَٰبَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا۟ مِنۢ بَابٍ وَٰحِدٍ وَٱدْخُلُوا۟ مِنْ أَبْوَٰبٍ مُّتَفَرِّقَةٍ ۖ وَمَآ أُغْنِي عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ ۖ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾

توجيه الآباء لأبنائهم كما فعل يعقوب مع بنيه من أعظم وسائل الحفظ لهم، وذلك بالأخذ بالأسباب الشرعية: كالأوراد، وتحاشي ما قد يكون سببًا في شقائهم: ﴿يَٰبَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا۟ مِنۢ بَابٍ وَٰحِدٍ وَٱدْخُلُوا۟ مِنْ أَبْوَٰبٍ مُّتَفَرِّقَةٍ﴾، وإن خير ما يسمعه الأبناء من آبائهم ما سمعه أبناء يعقوب من أبيهم: ﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ (البقرة:١٣٢).

أ. د. ناصر العمر

﴿ ۞ قَالُوٓا۟ إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُۥ مِن قَبْلُ ۚ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِۦ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ ۚ قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا ۖ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾

يوسف عليه السلام آذاه إخوانه، وألقوه في بئر حتى سيق مملوكًا بثمن بخس، وسجن سنين، ثم بعد ذلك يصبح عزيز مصر، قال إخوته: ﴿إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُۥ مِن قَبْلُ﴾، يقصدون يوسف،

فماذا فعل؟ انظروا إلى ضبط النفس: ﴿فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِۦ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْۚ قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا﴾ حتى إنه لم يُرِد جرح مشاعرهم بهذه الكلمة؛ فقالها سرًّا في نفسه.

أ. د. ناصر العمر

﴿قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّظَٰلِمُونَ ﴿٧٩﴾﴾

١) إن القرآن ليصور لنا أخذ البريء بالمذنب؛ لا على أنه مضاد للشريعة فحسب! بل هو كذلك غير متوافق مع الفكرة الأساسية للعدالة الإنسانية.

د. محمد دراز، دستور الأخلاق في القرآن الكريم ١٥١

٢) تأمل دقة يوسف ﷺ لما قال: ﴿قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَٰعَنَا﴾ فلم يقل: (من سرق)! لأنه يعلم أن أخاه لم يسرق، فكان دقيقًا في عبارته، فلم يتهم أخاه، كما لم يثر الشكوك حول دعوى السرقة، فما أحوجنا إلى الدقة في كلماتنا، مع تحقق الوصول إلى مرادنا.

أ. د. ناصر العمر

﴿ٱرْجِعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيكُمْ فَقُولُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّ ٱبْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَٰفِظِينَ ﴿٨١﴾﴾

﴿وَمَا شَهِدْنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا﴾ الكلام في الأشياء شهادة، فالشيء الذي لا تعرف حقيقته لا تخض فيه.

د. محمد المختار الشنقيطي

تأمّل في حال كثير من المجالس أو المنابر الإعلامية لتدرك كم هم المخالفون لهذا الهدي القرآني سواء في المسائل الشرعية أو غيرها.

﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًاۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨٣﴾﴾

١) إذا استحكمت الأزمات وتعقدت حبالها، وترادفت الضوائق وطال ليلها، فالصبر وحده هو الذي يشع للمسلم النور العاصم من التخبط، ولك الأسوة في نبي الله يعقوب، لما توالت عليه المحن قال: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾.

الغزالي، خلق المسلم ١١٦

٢) ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَنِي بِهِمۡ جَمِيعًا﴾ هذا دأب المؤمن في علاقته مع ربه، فهو يحسن الظن به دومًا، فكيف بمثل هذا اليوم العظيم؟ قال ابن المبارك: جئت إلى سفيان عشية عرفة وهو جاث على ركبتيه، وعيناه تهملان، فبكيت! فالتفت إلي وقال: ما شأنك؟ فقلت: من أسوأ هذا الجمع حالًا؟ قال: الذي يظن أن الله ﷻ لا يغفر لهم[1]!

حسن الظن بالله لابن أبي الدنيا ٩٢

٣) يَبِينُ إيمان المؤمن عند الابتلاء، فهو يبالغ في الدعاء ولا يرى أثرًا للإجابة، ولا يتغير أمله ورجاؤه ولو قويت أسباب اليأس؛ لعلمه أن ربه أعلم بمصالحه منه؛ أما سمعت قصة يعقوب ﵇؟ بقي ثمانين سنة في البلاء ورجاؤه لا يتغير، فلما ضُمَّ بنيامين بعد فقد يوسف لم يتغير أمله وقال: ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَنِي بِهِمۡ جَمِيعًا﴾ فإياك أن تستطيل زمان البلاء، وتضجر من كثرة الدعاء، فإنك مبتلى بالبلاء، متعبد بالصبر والدعاء، ولا تيأس من روح الله وإن طال البلاء.

ابن الجوزي، صيد الخاطر ٥٥٢

﴿وَتَوَلَّىٰ عَنۡهُمۡ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبۡيَضَّتۡ عَيۡنَاهُ مِنَ ٱلۡحُزۡنِ فَهُوَ كَظِيمٞ ٨٤﴾

قال ابن الجوزي في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ﴾ هذا لفظ الشكوى، فأين الصبر الذي مدح به يعقوب؟

أحدهما: أنه شكا إلى الله لا منه، والثاني: أنه أراد به الدعاء، فالمعنى يا رب ارحم أسفي على يوسف.

قال ابن الأنباري: الحزن ونفور النفوس من المكروه والبلاء لا عيب فيه، ولا مأثم إذا لم ينطق اللسان بكلام مؤثم، ولم يشتك من ربه، فلما كان قوله: ﴿يَٰٓأَسَفَىٰ﴾ شكوى إلى ربه، كان غير ملوم.

الآداب الشرعية لابن مفلح ٢/٢٧٨-٢٧٩

﴿يَٰبَنِيَّ ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ٨٧﴾

١) معالجة الأمور العظيمة وحل المشكلات العويصة يحتاج إلى رفق وأناة وبعد نظر: ﴿ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ﴾ و﴿وَلَا يُشۡعِرَنَّ بِكُمۡ أَحَدًا﴾ (الكهف:١٩) بخلاف ما درج عليه كثير من الناس.

أ. د. ناصر العمر

(١) أرسلت عشية يوم عرفة.

٢) تأمل وصية يعقوب لأبنائه: ﴿فَتَحَسَّسُوا۟ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾ ووصية الفتية لمن أرسلوه لجلب الرزق: ﴿وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا﴾ (الكهف:١٩) فيعقوب قد ذهب بصره، وأهم وسيلة للبحث عن الأشياء الدقيقة والتحقق منها التحسس، فعبر بها. والفتية شأنهم مبني على الحذر خوفًا من علم قومهم، فعبروا بالتلطف. فلكل شيء ما يناسبه.

أ. د. ناصر العمر

٣) رغم كثرة المصائب وشدة النكبات والمتغيرات التي تعاقبت على نبي الله يعقوب ؛ إلا أن الذي لم يتغير أبدًا هو حسن ظنه بربه تعالى.

صالح المغامسي

٤) ﴿وَلَا تَا۟يْـَٔسُوا۟ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ﴾ إن سُم التشاؤم الذي يحاول المنافقون دسه على المؤمنين؛ له ترياق ودواء جدير بأن يذهبه، ألا وهو بث اليقين بمعية الله، والتوكل عليه، ولنثق بأن الذي يخرج اللبن من بين الفرث والدم، قادر على إخراج النصر من رحم البأساء والضراء.

أ. د. ناصر العمر

٥) التفاؤل الإيجابي الذي ترجى ثمرته: ذلك العمل الجاد الحكيم غير المستعجل، المبني على الثقة بالله مع فعل السبب دون الاعتماد عليه، تدبر هذه الوصية المحكمة التي ترسم منهجًا للمتفائلين: ﴿وَلَا تَا۟يْـَٔسُوا۟ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يَا۟يْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ .

أ. د. ناصر العمر

٦) ﴿وَلَا تَا۟يْـَٔسُوا۟ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ﴾، ﴿وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ﴾ (الحجر:٥٦) اليأس والقنوط استصغار لسعة رحمة الله ومغفرته، وذلك ذنب عظيم، وتضييق لفضاء جوده.

العز بن عبد السلام، شجرة المعارف والأحوال ١١٩

﴿فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ قَالُوا۟ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَـٰعَةٍ مُّزْجَىٰةٍ فَأَوْفِ لَنَا ٱلْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَجْزِى ٱلْمُتَصَدِّقِينَ ﴿٨٨﴾﴾

١) من تأمل ذل إخوة يوسف لـمّـا قالوا: ﴿وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ﴾، عرف شؤم الزلل!

ابن الجوزي، صيد الخاطر ٩٠

٢) لو قام المذنبون في هذه الأسحار على أقدام الانكسار ورفعوا قصص الاعتذار مضمونها: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهۡلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئۡنَا بِبِضَٰعَةٖ مُّزۡجَىٰةٖ فَأَوۡفِ لَنَا ٱلۡكَيۡلَ وَتَصَدَّقۡ عَلَيۡنَآ﴾؛ لبرز لهم التوقيع عليها: ﴿لَا تَثۡرِيبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَۖ يَغۡفِرُ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ (يوسف: ٩٢).

ابن رجب، لطائف المعارف ٢٢٨

﴿قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدۡ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ٩١﴾

من أعجب ما يفعله الحاسدون: أن يكونوا سببًا في تتويج من أرادوا القضاء عليه.

أ. د. ناصر العمر

﴿قَالَ لَا تَثۡرِيبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَۖ يَغۡفِرُ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ٩٢﴾

١) ﴿لَا تَثۡرِيبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَۖ يَغۡفِرُ ٱللَّهُ لَكُمۡ﴾، ﴿وَلۡيَعۡفُواْ وَلۡيَصۡفَحُوٓاْ﴾ (النور:٢٢) في الإحسان إلى المسيء شرف الاتصاف بصفات الخالق؛ إذ يجعلون له الصاحبة والولد، وهو يعافيهم ويرزقهم! وفيه فطام للمسيء عن إساءته، وتعريف له بقبح ظلمه.

العز بن عبد السلام، شجرة المعارف والأحوال ٢١٠

٢) يزداد التعجب ويشتد الاستغراب من أناس يقرؤون سورة يوسف، ويرون ما عمله إخوته معه عندما فرقوا بينه وبين أبيه، وما ترتب على ذلك من مآسي وفواجع: إلقاء في البئر، وبيعه مملوكًا، وتعريضه للفتن وسجنه، واتهامه بالسرقة.. بعد ذلك كله يأتي منه ذلك الموقف الرائع: ﴿لَا تَثۡرِيبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَۖ يَغۡفِرُ ٱللَّهُ لَكُمۡ﴾ يرون ذلك فلا يعفون ولا يصفحون؟ فهلا عفوت أخي كما عفى بلا مَنٍّ ولا أذى؟ ﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَكُمۡ﴾ (النور: ٢٢).

﴿ٱذۡهَبُواْ بِقَمِيصِي هَٰذَا فَأَلۡقُوهُ عَلَىٰ وَجۡهِ أَبِي يَأۡتِ بَصِيرٗا وَأۡتُونِي بِأَهۡلِكُمۡ أَجۡمَعِينَ ٩٣﴾

لأنَّ كلَّ داءٍ يُداوى بضده، فهذا القميص -لما كان فيه أثر ريح يوسف ﷺ، الذي أودع قلب أبيه من الحزن والشوق ما الله به عليم- أراد أن يشمَّه؛ فترجع إليه روحه، وتتراجع إليه نفسه، ويرجع إليه بصره.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن ٤٠٥

﴿ وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَآ أَن تُفَنِّدُونِ ﴿٩٤﴾ ﴾

صدق أبوهم حين قال: ﴿إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ﴾، وأخطؤوا حين قالوا: ﴿تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِى ضَلَٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ﴾؛ نحتاج إلى مراجعة ألفاظنا مع آبائنا، ونراعي شيبتهم فقد يقولون حقًا لا ندركه.

محمد المنجد

﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدًا وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾ ﴾

١) ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾ ما أعظم وفاء يوسف مع أبويه ﷺ فحين مكنه الله، رفعهما على سرير ملكه، وأظهر لهما التقدير والاحترام!

إنها رسالة لكل من آتاه الله مكانةً وعلمًا وغنى، أن يرد الجميل لوالديه، وأن يرفعهما حسًا ومعنى.

د. محمد الربيعة

٢) تأمل قول يوسف ﷺ: ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ﴾ فلم يذكر خروجه من الجب، مع أن النعمة فيه أعظم، لوجهين: أحدهما: لئلا يستحيي إخوته، والكريم يغضي عن اللوم، ولاسيما في وقت الصفاء. والثاني: لأن السجن كان باختياره، فكان الخروج منه أعظم، بخلاف الجب.

الزركشي، البرهان ٣ / ٦٦

٣) قول يوسف ﷺ: ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ﴾ فيه الحفاظ على مشاعر الآخرين وعدم جرحها، فإنه ما قال: بعدما ظلمني إخوتي، وبعدما ألقوني في الجب؛ بل أضاف ذلك إلى الشيطان، وهذا من مكارم الأخلاق وتلك أخلاق الأنبياء ﷺ.

محمد المنجد، شريط ١٠٠ فائدة من سورة يوسف

﴿ وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ ﴾

إياك أن تغتر بما يغتر به الجاهلون، فإنهم يقولون: لو كان هؤلاء على حق لم يكونوا أقل الناس عددًا والناس على خلافهم! فاعلم أن هؤلاء هم الناس، ومن خالفهم فمُشَبَّهون بالناس وليسوا بناس، فما الناس إلا أهل الحق وإن كانوا أقلهم عددًا: ﴿ وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾.

ابن القيم، مفتاح دار السعادة ١٤٧/١

﴿وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٠٥﴾﴾

تأمل حالك مع ما يمر بك من تلك الآيات الكونية، والتي تعددت هذه الأيام، فبمقدار تأثرك واتعاظك يكون إيمانك، وإلا فاحذر أن يكون فيك شبه من أولئك المعرضين.

أ. د. ناصر العمر

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّىَ مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١١٠﴾﴾

١) تأمل! ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ﴾ وقوله: ﴿مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ﴾ (البقرة:٢١٤)، فأيُّ دلالة على شدَّة الكرب وعظم الخطب أبلغ من هذا؟ وأنه بلغ مبلغًا كبيرًا ظهر أثره على خيرة الخلق وهم الرُّسل، فجاء بعد ذلك النصر: ﴿جَآءَهُمْ نَصْرُنَا﴾، ﴿أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ﴾.

أ. د. إبتسام الجابري

٢) هذه الآية تجعل الداعية يترقب الخروج من الضيق إلى السعة، مبشرة بعيشة راضية، ومستقبل واعد، رغم المحن القاسية، والظروف المحيطة؛ فالحوادث المؤلمة مكسبة لحظوظ جليلة من نصر مرتقب، وثواب مدخر، وتطهير من ذنب، وتنبيه من غفلة، وكل ذلك خير، فـ «**عجبًا لأمر المؤمن إن أمره كله له خير**»[1]؛ فلماذا اليأس والقنوط؟

أ. د. ناصر العمر

﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾﴾

﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ إن القول بأن قصص القرآن هي مجرد تاريخ كلام باطل ينزه القرآن عنه! بل قصصه شذور من التاريخ، تعلم الناس كيف ينتفعون بالتاريخ!

محمد رشيد رضا، مجلة المنار ١٨١/٧

---

(١) مسلم ح(٢٩٩٩)، وأحمد ح(٢٣٩٣١).

سُورَةُ الرَّعْدِ

ثلاث سور تجلت فيها عظمة وقوة الخالق سبحانه، تفتح الأبصار إلى دلائل ذلك في الكون القريب منا، من تدبرها حقًا شعر ببرد اليقين في قلبه، وأدخل عظمة الله في كل شعرة من جسده: (الرعد، فاطر، الملك).

د. عصام العويد

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾ ﴾

﴿يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾ كثرة الأدلة وبيانها ووضوحها من أسباب حصول اليقين في جميع الأمور الإلهية، خصوصًا في العقائد الكبار: كالبعث والنشور والإخراج من القبور.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن ٤١٢

﴿ وَفِى ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ ﴾

عبرة للمتأمل..

انظر إلى قطع الأرض المتجاورات، وكيف ينزل عليها ماء واحد، فتنبت الأزواج المختلفة، المتباينة في اللون والشكل والرائحة والطعم والمنفعة، واللقاح واحد والأم واحدة، كما قال تعالى: ﴿يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾.

ابن القيم، مفتاح دار السعادة ١/ ٢٠٠

﴿ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ ٱلْمَثُلَٰتُ ۗ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ ۖ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٦﴾ ﴾

كان مطرف بن عبدالله إذا تُليت عليه هذه الآية: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغۡفِرَةٖ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلۡمِهِمۡ﴾ قال: فلو يعلم الناس قدر مغفرة الله ورحمته وتجاوز الله؛ لقرَّت أعينهم، ولو يعلم الناس قدر عذاب الله، ونكال الله، وبأس الله؛ ما رقي لهم دمع، ولا انتفعوا بطعام ولا شراب.

الزهد لابن حنبل ٢٤٤

﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٞ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ سُوٓءٗا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ١١﴾

١) ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٞ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ﴾ من حفظ اللهَ، حفظَهُ حتى من الحيوانات المؤذية بالطبع، ومن ضيعَ اللهَ، ضيعه الله بين خلقه؛ حتى يدخل عليه الضرر ممن كان يرجو أن ينفعه، ويصير أخص أهله به وأرفقهم به يؤذيه.

ابن رجب، تفسيرابن رجب ١/٥٧٩

٢) متى رأيت تكديرًا في حال، فاذكر نعمةً ما شُكِرَتْ أو زلةً فُعِلَتْ؛ فإن الله يقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ﴾.

ابن الجوزي، صيد الخاطر ٦

٣) مجتمعات تعيش في الشقاء وأخرى تتقلب في النعيم، فالأولى تبحث عن الخلاص وهو بين يديها: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ﴾، والأخرى تخاف تغير الحال، والأمان أمام ناظريها: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمۡ يَكُ مُغَيِّرٗا نِّعۡمَةً أَنۡعَمَهَا عَلَىٰ قَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ﴾ (الأنفال:٥٣).

أ. د. ناصر العمر

٤) رمضان موسم عظيم لتغيير النفوس إلى الأحسن؛ ليغير الله ما بنا من واقع مؤلم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ﴾، ومن المحزن أن من أبنائنا من يتغير إلى الأسوأ، فنهارهم نوم تضيع معه صلواتهم، وليلهم سهر تضيع معه أوقاتهم أو بمتابعة قنوات الإفساد ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمۡ يَكُ مُغَيِّرٗا نِّعۡمَةً أَنۡعَمَهَا عَلَىٰ قَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ﴾ (الأنفال:٥٣)، فاحذر أن تكون سببًا لتغيير نعم الله التي أنعمها عليك وعلى مجتمعك.

أ. د. ناصر العمر

﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَسَالَتۡ أَوۡدِيَةُۢ بِقَدَرِهَا فَٱحۡتَمَلَ ٱلسَّيۡلُ زَبَدٗا رَّابِيٗاۖ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيۡهِ فِي ٱلنَّارِ ٱبۡتِغَآءَ حِلۡيَةٍ أَوۡ مَتَٰعٖ زَبَدٞ مِّثۡلُهُۥۚ كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡحَقَّ وَٱلۡبَٰطِلَۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذۡهَبُ جُفَآءٗۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمۡكُثُ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَالَ ١٧﴾

١) ﴿ فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا ﴾ قال ابن عباس ﵄: هذا مثل ضربه الله، احتملت القلوب من الوحي على قدر يقينها وشكها، فأما الشك فما ينفع معه العمل، وأما اليقين فينفع الله به أهله.

الدر المنثور ٤/٦٣٢

٢) الله الذي أنزل الحق قد حفظه كما حفظ ما ينفع الناس، وما لا تقوم الحياة إلا به، تأمل: ﴿كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَ ۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾.

محمد الراوي، حديث القرآن عن القرآن ١٧٥

٣) ﴿وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ هذا هو الضابط القرآني للعلم الصحيح: النفع للناس، وكل علم لا ينفع الناس، فهو هدر للحياة.

د. عبدالله بن بلقاسم

﴿ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢١﴾ ﴾

هل تحب أن يهون عليك الحساب يوم القيامة؟

يقول جعفر بن محمد: صلة الرحم تهون على المرء الحساب يوم القيامة، ثم تلا: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴾ .

المجالسة وجواهر العلم ٥/١٨٤

﴿ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ ﴾

وفي التقييد بالصلاح قطع للأطماع الفارغة لمن يتمسك بمجرد حبل الأنساب.

أبو السعود، إرشاد العقل السليم ٥/١٨

﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ ۗ بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا ۗ أَفَلَمْ يَاْيْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۗ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا۟ قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِىَ وَعْدُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٣١﴾ ﴾

تتابع العقوبات والآيات على الكافرين في ديارهم أو حولها؛ جزاء بما كسبوا وإنذارًا وتخويفًا لغيرهم من الناس: فأوبئة، وأعاصير، وزلازل، وخسائر مالية، وصدق ربنا: ﴿وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا۟ قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِىَ وَعْدُ ٱللَّهِ ۚ ﴾، ولكن: ﴿وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴾ (يونس:١٠١).

د. محمد الخضيري

﴿ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٣٢﴾ ﴾

ترك أهل الباطل فترة، ليس نسيانًا لهم أو غفلةً عنهم، والإملاء للظالمين ليس تكريمًا لهم -كما يظنون- أو إهانة لغيرهم -كما يتوهمون- وإنما هو الاستدراج إلى العذاب من حيث لا يشعرون.

د. محمد الراوي، حديث القرآن ١٤١

﴿ أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۗ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ قُلْ سَمُّوهُمْ ۚ أَمْ تُنَبِّـُٔونَهُۥ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلْأَرْضِ أَم بِظَـٰهِرٍ مِّنَ ٱلْقَوْلِ ۗ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا۟ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾ ﴾

زار قسيس معرضًا أقامته وزارة الشؤون الإسلامية في جنوب أفريقيا، فشرحوا له تعاليم القرآن باختصار، وأهدوا له نسخة من ترجمة معاني القرآن، فعاد لهم بعد قراءته فقال: «هذا ليس مجرد كتاب، إنه منهج حياة!».

د. محمد السحيم

تأمل كيف قال هذا في مدة قصيرة، فما أشبه قوله بقول مؤمني الجن! وما أعظم البون بينه وبين زنادقة عرب يقرؤون القرآن وليس الترجمة، ومع هذا يرون التمسك به تخلفًا! ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾.

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَٰجًا وَذُرِّيَّةً ۚ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِىَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴿٣٨﴾ ﴾

١) استدل على تفضيل النكاح على التخلي لنوافل العبادة بأن الله تعالى اختار النكاح لرسله، فقال: ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَٰجًا وَذُرِّيَّةً﴾ واقتطع من زمن كليمه موسى عشر سنين في رعاية الغنم مهرًا لزواجه، واختار لنبيه ﷺ أفضل الأشياء فزوجه تسعًا فأكثر، ولا هدي فوق هديه.

ابن القيم، بدائع الفوائد (٢٣٧/٤)

٢) في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَٰجًا وَذُرِّيَّةً﴾ إشارة إلى أن الله تعالى إذا شرف شخصًا بولايته، لم تضره مباشرة أحكام البشرية من الأهل والولد، ولم يكن بسط الدنيا له قدحًا في ولايته.

الآلوسي، روح المعاني ٣٠٧/٩

٣) الزواج من سنن المرسلين، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَٰجًا وَذُرِّيَّةً﴾، فحري بمن وفقه الله لهذه السنة أن يستشعر الاقتداء بهم، فذلك مما يضاعف الأجر، ويعظم المثوبة.

﴿ وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَـٰغُ وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ ﴿٤٠﴾ ﴾

﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَـٰغُ وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ﴾ فما بال بعضنا يريد أن يجمع بين الوظيفتين؟!

د. عبدالله السكاكر

سورة إبراهيم

﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٤﴾ ﴾

﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡ ﴾ تعلّم اللغة التي يُدعى بها إلى الإسلام فرض كفاية، كما أن الدعوة إلى الإسلام فرض كفاية، وهل يمكن الآن أن أجلس بين عشرة من غير العرب وأتكلم بأرقى الفصاحة والبيان باللغة العربية ماذا يفهمون؟ لا شيء.

ابن عثيمين، لقاء الباب المفتوح (١٤٢)

﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنۡ أَخۡرِجۡ قَوۡمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرۡهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّكُلِّ صَبَّارٖ شَكُورٖ ﴿٥﴾ ﴾

١) ﴿وَذَكِّرۡهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ﴾ تتناول أيام نعمه وأيام نقمه ليشكروا ويعتبروا؛ ولهذا قال بعدها: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّكُلِّ صَبَّارٖ شَكُورٖ﴾ فإن ذكر النعم يدعو إلى الشكر؛ وذكر النقم يقتضي الصبر على فعل المأمور وإن كرهته النفس، والصبر عن المحظور وإن أحبته النفس؛ لئلا يصيبه ما أصاب غيره من النقمة.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى ١٦/١٩٤

٢) ﴿وَذَكِّرۡهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ﴾ قال جمع من السلف: بنعم الله! هذا من أجمل ما يتذكره الإنسان حينما تتجدد له نعمة من النعم، أو يتقدم به الزمن، أو يعيش مرحلة جديدة من عمره، بدلًا من الانهماك في تهنئة عابرة، أو جرد أحداث العالم، في غفلة عن النعم التي عاشها الإنسان نفسه، والنقم التي دفعت عنه، فكم ذنب ستره الله! وكم بلية دفعها الله!

متدبر

﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ ﴾

عليك بالمطالب العالية والمراتب السامية التي لا تنال إلا بطاعة الله؛ فإن الله سبحانه قضى أن لا يُنال ما عنده إلا بطاعته، ومن كان لله كما يريد، كان الله له فوق ما يريد: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾.

ابن القيم، طريق الهجرتين ٤٨

﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۖ وَمَا كَانَ لَنَا أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ ﴾

هدي الأنبياء أن المواهب الربانية توجب لأصحابها الشكر لا الفخر.

د. عبدالله السكاكر

﴿ وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا ۚ وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَا آذَيْتُمُونَا ۚ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿١٢﴾ ﴾

﴿وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَا آذَيْتُمُونَا ۚ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ هذا شعار المؤمنين حين يشتد بهم أذى الكفار والمنافقين، يتدثرون بالصبر والتوكل، وهم ينتظرون سنة الله في الآية التي بعدها: ﴿لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ ﴿١٣﴾ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ الْأَرْضَ مِن بَعْدِهِمْ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ ﴾ (إبراهيم).

فهد العيبان

﴿ مَّثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ ۖ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ ۖ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَىٰ شَيْءٍ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ ﴿١٨﴾ ﴾

من لطائف هذا التمثيل أن اختير له التشبيه بهيئة الرماد المجتمع؛ لأن الرماد أثر لأفضل أعمال الذين كفروا، وأشيعها بينهم، وهو قرى الضيف، حتى صارت كثرة الرماد كناية في لسانهم عن الكرم.

ابن عاشور، التحرير والتنوير ٢٤١/١٢

﴿ وَبَرَزُواْ لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ ۚ قَالُواْ لَوْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَهَدَيْنَٰكُمْ ۖ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ ﴿٢١﴾ ﴾

قوله ﴿ وَبَرَزُواْ لِلَّهِ ﴾ مع كونه سبحانه عالمًا بهم لا تخفى عليه خافية من أحوالهم، سواء برزوا أو لم يبرزوا؟ الحكمة في ذلك: لأنهم كانوا يستترون عن العيون عند فعلهم للمعاصي، ويظنون أن ذلك يخفى على الله تعالى، فالكلام خارج على ما يعتقدونه هم.

الشوكاني، فتح القدير ٣/ ١٢٣

﴿ تُؤْتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينِۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾

في ضرب الأمثال تقريب للمعاني المعقولة من الأمثال المحسوسة، ويتبين المعنى الذي أراده الله غاية البيان ويتضح غاية الوضوح، وهذا من رحمته وحسن تعليمه.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن ٤٢٥

﴿ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴿٢٦﴾ ﴾

صليتُ الفجر هذا اليوم، فقرأ الإمام من سورة إبراهيم، فوقفت متدبرًا قوله سبحانه: ﴿ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴾ ثم كانت الأعجب: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّواْ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ ﴾ فكأنها أنزلت الليلة، فما أعظم هذا القرآن.

أ. د. ناصر العمر

﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾ ﴾

تحت قوله: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْءَاخِرَةِ ﴾ كنز عظيم، من وُفِّق لمظنته وأحسن استخراجه، واقتناءه، وأنفق منه؛ فقد غنم، ومن حُرِمه فقد حُرِم؛ وذلك أن العبد لا يستغني عن تثبيت الله له طرفة عين، فإن لم يثبته؛ زالت سماء إيمانه وأرضه عن مكانهما، وقد قال تعالى لأكرم خلقه عليه عبده ورسوله: ﴿ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ ﴾ (الإسراء: ٧٤).

ابن القيم، إعلام الموقعين ١/ ١٣٦

﴿ ۞ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ كُفۡرٗا وَأَحَلُّواْ قَوۡمَهُمۡ دَارَ ٱلۡبَوَارِ ﴿٢٨﴾ ﴾

عقلاء الغرب يعترفون بأهمية النظام المصرفي الإسلامي، وبعض أبناء المسلمين ممن يدير دفة الاقتصاد يرى النظام الرأسمالي الربوي كالدم لجسم الإنسان، فأذهبوا أموالهم وأموال المسلمين، فتدبر: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ كُفۡرٗا وَأَحَلُّواْ قَوۡمَهُمۡ دَارَ ٱلۡبَوَارِ ﴾؟!

أ. د. ناصر العمر

﴿ قُل لِّعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُنفِقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا بَيۡعٞ فِيهِ وَلَا خِلَٰلٌ ﴿٣١﴾ ﴾

قال قتادة في قوله تعالى: ﴿مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا بَيۡعٞ فِيهِ وَلَا خِلَٰلٌ ﴾، فلينظر رجل من يخالل؟ وعلام يصاحب؟ فإن كان لله فليداوم، وإن كان لغير الله فليعلم أن كل خلة ستصير على أهلها عداوة يوم القيامة إلا خلة المتقين: ﴿ ٱلۡأَخِلَّآءُ يَوۡمَئِذِۭ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾ (الزخرف).

الدر المنثور ٤٣/٥

﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلۡتُمُوهُۚ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَظَلُومٞ كَفَّارٞ ﴿٣٤﴾ ﴾

١) ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآ ﴾ قال طلق بن حبيب ﷺ: إنَّ حقَّ الله أثقلُ من أن يقوم به العباد، وإنَّ نعم الله أكثر من أن يحصيها العباد، ولكن أَصْبِحُوا توَّابين، وأَمْسُوا توَّابين.

جامع البيان ٦٨٦/١٣

٢) كان الحسن البصري يردد في ليلة قوله تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآ ﴾، فقيل له في ذلك؟! فقال: إن فيها لمعتبرًا، ما نرفع طرفًا ولا نرده إلا وقع على نعمة، وما لا نعلمه من نعم الله أكثر!.

قيام الليل للمروزي ١٤٨/١

٣) ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ من أراد مطالعة أصول النعم، فليسرِّحْ فكره في رياض القرآن، وليتأمَّل ما عدَّد الله فيه من نِعَمه وتعرَّف بها إلى عباده من أول القرآن إلى آخره.

ابن القيم، عدة الصابرين ٢٨٦

٤) أصبحت معافى في بدنك..

آمنًا في بيتك..

مؤمنًا بربك..

لا تجثو عند صنم..

ولا تغدو إلى بيعة..

ولا تروح إلى كنيسة..

لا منَّة لأحد من الخلق عليك في رزقك..

﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾.

د. عمر المقبل

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ ﴾

تأمَّل قول الله ﷻ مخبرًا عن دعاء إبراهيم: ﴿وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ﴾ هذا إبراهيم خليل الله، الذي حقَّق التوحيد، وحطَّم الأصنام بيده، خاف على نفسه عبادة الأصنام، وخاف على بنيه، قال إبراهيم التيمي في تفسيرها: ومن يأمن البلاء بعد إبراهيم؟ وبهذا تعلم أن قولهم: (التوحيد فهمناه) من أكبر مكايد الشيطان.

صالح آل الشيخ، شرح كشف الشبهات ٢٤ (بتصرف يسير)

﴿ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى ۖ وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾ ﴾

في دعاء إبراهيم عليه السلام: ﴿وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ بيان لكمال شفقته ورحمته بالناس، حيث إنه لم يدع على من عصاه، بل توسل إلى الله باسميه الغفور الرحيم أن يغفر لهم ويرحمهم، ودل ذلك كذلك على أنه متجرد لربه لا ينتصر لنفسه، ولا يقدم مصلحتها الشخصية على مصلحة الدعوة، فهو يعتقد أن الدعوة هي دعوة الله الحق، ليست مجالًا لأغراض أو مصالح ذاتية: جلبًا أو دفعًا.

د. خالد الغامدي

﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ ٣٧﴾

١) قال السدي في قوله تعالى: ﴿فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ﴾ قال: خذ بقلوب الناس إليهم، فإنه حيث يهوي القلب يذهب الجسد؛ فلذلك ليس من مؤمن إلا وقلبه معلق بحب الكعبة.

الدر المنثور ٨/٥٦٠

٢) إذا رأيت جموع الوافدين من أقطار الدنيا إلى بيت الله الحرام، وكم بذلوا من أموال! وكم هي السنين التي انتظرها بعضهم ليصل إليه؟ والشوق يقطع قلبه، أدركت شيئًا من أسرار قوله تعالى: ﴿فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ﴾ وأدركت -أيضًا- بعضًا من معاني إضافة هذا البيت إلى نفسه المقدسة في قوله: ﴿عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ﴾.

د. عمر المقبل

٣) تدبر قول إبراهيم ﵇: ﴿فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ﴾ فلم يقل: فاجعل بعض الناس يأتي إليهم؛ لأن مجرد المجيء قد لا يتحقق معه المراد والغاية، بل ربما حدث الضد. لكن إذا هوت الأفئدة، أتت الأبدان تبعًا، وتحقق الحب والتآلف والأنس الذي هم بأمسِّ الحاجة إليه، وقد أجاب الله دعاءه، فتحقق مراده.

أ. د. ناصر العمر

٤) من عظيم دلائل دعوة الخليل لأهل الحرم: ﴿وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ﴾ أن الناس لو علموا أنهم سيواجهون الصعوبات في طلب الرزق عند الحرم؛ لما اشتاقت نفوسهم إلى هذا المكان، وإن جاؤوا فربما قلّت رغبتهم في البقاء فيه بسبب قلة موارده.

أ. د. محمد العواجي

﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعۡلَمُ مَا نُخۡفِي وَمَا نُعۡلِنُۗ وَمَا يَخۡفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ٣٨﴾

إنك تتعامل مع من لا يجهل، ويحفظ عليك من لا يغفل، فداو دينك فقد دخله سقم، وهيئ زادك، فقد حضر سفر بعيد ﴿وَمَا يَخۡفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾.

الغزالي، إحياء علوم الدين ٢ /١٤٣

﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾ ﴾

١) نظر العقل في هذه الدنيا، فرأى بأن فيها من يعيش ظالمًا ويموت ظالمًا، وأن فيها من يعيش مظلومًا ويموت مظلومًا، والرب العادل لا يقرّ الظلم، ولا يدع صاحبه بغير عقاب، ولا يترك من يقع عليه من غير إنصاف، فأيقن العقل أنه لا بد من حياة أخرى يُنصف فيها المظلوم ويُعاقب الظالم ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴾.

الطنطاوي، نور وهداية ١٩٦-١٩٧

٢) كم مرة قرأنا وسمعنا: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ فهل توقفنا عندها؛ لننظر هل ظلمنا أحدًا؟!

أزواجنا، أبناءنا، من تحت ولايتنا وكفالتنا؟

أو أننا نتصور أنها خاصة بالرؤساء والقادة؟!

فلنتدبرها؛ حتى لا ندخل في هذا التهديد، وسوء العاقبة والمصير!

أ. د. ناصر العمر

٣) ﴿ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴾ هذا إذًا مصيرهم، وبئس المصير، هذه عدالة الله العظيم؛ فلتهدأ النفوس، ولتسكن القلوب، ولتتجاوز ضيق اللحظة الحاضرة إلى أفق المستقبل الفسيح.

د. سلمان العودة

﴿ وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ ٱلْعَذَابُ فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَ ۗ أَوَلَمْ تَكُونُوٓا۟ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ ﴿٤٤﴾ ﴾

﴿ أَوَلَمْ تَكُونُوٓا۟ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ ﴾ قبل سنوات قليلة كتب فوكوياما -من أشهر مفكري أمريكا- كتابه (نهاية التاريخ)، محتفلًا باندحار الشيوعية أمام الحضارة الغربية، فالعالم -بوهمه- أغلق باب التاريخ ولم يعد له سوى قوى الغرب، وعلى رأسها أمريكا بقيمها الليبرالية، فأسخن الله عينه عاجلًا بانهيار إلهه الذي ظل عليه عاكفًا، فها هي الليبرالية تتفكك أخلاقيًّا بكوبا وأبو غريب، وبالتجسس حتى على الشعب الأمريكي نفسه، واقتصاديًّا بالكارثة المالية التي خرقوا لها حرية السوق، وتأميم الشركات.

﴿ وَسَكَنتُمْ فِي مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿٤٥﴾ ﴾

﴿ وَسَكَنتُمْ فِي مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ﴾، ﴿ رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (المؤمنون:٩٤) المسلمة -كالمسلم- تجتنب الجلوس في الأمكنة التي تظهر فيها المعصية، من غناء واختلاط وتبرُّج، سواء كان ملهى أو مجتمع عيد أو غيره؛ لأنها تحب أن تعتاض عن ذلك بمنتزه ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴾ (القمر:٥٤-٥٥).

مشاركة من إحدى الأخوات

﴿ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ﴿٥٠﴾ ﴾

تأمل سر اختيار القطران دون غيره، وذلك -والله أعلم- لأن له أربع خصائص: حار على الجلد، وسريع الاشتعال في النار، ومنتن الريح، وأسود اللون، تطلى به أجسامهم حتى تكون كالسرابيل! ثم تذكر - أجارك الله من عذابه- أن التفاوت بين قطران الدنيا وقطران الآخرة، كالتفاوت بين نار الدنيا ونار الآخرة!

الزمخشري، الكشاف ٣/٢٩٤ (بتصرف)

﴿ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٢﴾ ﴾

سئل أبو الحسن الرماني: كل كتاب له ترجمة -أي: عنوان يلخص مضمونه- فما ترجمة كتاب الله؟ فقال: ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ ﴾.

الإتقان في علوم القرآن ١/١٨٤

سُورَةُ الحِجْرِ

﴿ ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا۟ وَيَتَمَتَّعُوا۟ وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ ﴾

قال بعض أهل العلم: ﴿ ذَرْهُمْ ﴾ تهديد، وقوله: ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ تهديد آخر؛ فمتى يهنأ العيش بين تهديدَيْن؟

البغوي، معالم التنزيل ٣٦٨/٤

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾

١) الله ﷻ وفَّر دواعي الأمة للذبِّ عن الشريعة، والمناضلة عنها، أما القرآن الكريم فقد قيَّض الله له حفظةً، بحيث لو زيد فيه حرفٌ واحد لأخرجه آلاف من الأطفال الأصاغر فضلًا عن القرَّاء الأكابر.

الشاطبي، الموافقات ٥٩/٢

٢) تأمل كيف يحمي الله كتابه، وينصر دينه! فقد أثار إعلان القس الأمريكي بإحراق المصحف استنكار العالم، ثم تراجع عن ذلك تحت هذا الضغط الهائل، وهنا سيتساءل ملايين البشر: ما هو هذا المصحف؟ وماذا يتضمن؟
ولم تراجع عن إحراقه؟ ولنتدبر: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ﴾. وانظر: ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾.

أ. د. ناصر العمر

﴿ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾ ﴾

تدبر قوله تعالى: ﴿ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ ﴾ فهو «متضمن لكنز من الكنوز، وهو أن كل شيء لا يطلب إلا ممن عنده خزائنه، ومفاتيح تلك الخزائن بيده، وأنَّ طلبه من غيره، طلبٌ ممن ليس عنده، ولا يقدر عليه!».

ابن القيم، الفوائد ٢٠٢

﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾

إن قيل: لِم قال: ﴿ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴾، وقد حصل المقصود بقوله: فسجد الملائكة؟ ذكر المبرد: أن قوله: ﴿ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ﴾ كان من المحتمل أنه سجد بعضهم، فذكر ﴿ كُلُّهُمْ ﴾؛ ليزول هذا الإشكال، ثم كان يحتمل أنهم سجدوا في أوقات مختلفة، فزال ذلك الإشكال بقوله: ﴿ أَجْمَعُونَ ﴾.

البغوي، معالم التنزيل ٤/٣٨٠

﴿ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾

في الآية: أن تخلف الإنسان عن العمل الصالح وحده أكبر وأعظم.

محمد بن عبدالوهاب، تفسيره ١٨٩

﴿ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٨﴾ ﴾

تأمل قول الله تعالى: ﴿ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴾، وقارن بينه وبين قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ ﴾ (البلد:٤)، تجد أن مما رغب الله تعالى به في الدار الآخرة: أن بيَّن أنَّ الحياة الدنيا مليئة بالتعب، وبيَّن مقابل ذلك: أن الجنة لا تعب فيها.

محمد المنجد

﴿ قَالُوا۟ لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٥٣﴾ ﴾

إذا زرت أحدًا، فرأيت منه وجلًا، فآنسه بخبر مفرح؛ ليطمئن قلبه لك، قبل أن تحدثه بموضوعك، تأمل قوله تعالى: ﴿ قَالُوا۟ لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴾ .

د. محمد الربيعة

﴿ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَٱتَّبِعْ أَدْبَٰرَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ وَٱمْضُوا۟ حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾

﴿ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ وَٱمْضُوا۟ حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ﴾ لا تجعل المعارك الجانبيَّة تستهلك عمرك، وركِّز على أهدافك العظمى؛ لتنجح.

د. عبدالرحمن الشهري

﴿ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٢﴾ ﴾

وصفهم بالسكرة التي هي فساد العقل، والعَمَه الذي هو فساد البصيرة؛ فالتعلق بالصور يوجب فساد العقل، وعمه البصيرة، وسكر القلب.

ابن القيم، الجواب الكافي ١٧٩

﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ ۖ فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ ﴿٨٥﴾ ﴾

﴿فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ ﴾ وهو الصفح الذي لا أذية فيه، وقد ظهر لي أحسن من هذا المعنى: وهو أن الصفح الجميل هو الصفح الحسن الذي سَلِم من الحقد والأذية، ويكون في محلّه فلا يصفح حين اقتضى المقام العقوبة، كعقوبة المعتدين الظالمين الذين لا ينفع معهم إلا العقوبة، وهذا هو المعنى.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن ٤٣٤

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ ﴾

١) قال سفيان بن عيينة ﷺ: من أعطي القرآن، فمد عينيه إلى شيء من الدنيا، فقد صغَّر القرآن؛ ألم تسمع قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى ﴾ وقوله: ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾ ﴾ (طه) يعني: القرآن.

الدر المنثور ٨/٦٥٢

٢) ماذا لو خوطب أحد الناس بأنه يؤثر الحقير على العظيم؟ تأمل هذه الآية لتدرك كم هم المتصفون بذلك حين عكسوا المنة الربانية التي امتن بها ربنا على رسوله ﷺ -وهي منة على أمته-: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى ﴾.

المحرر الوجيز لابن عطية (٥٧/١) (بتصرف)

﴿ فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿٩٤﴾ إِنَّا كَفَيۡنَٰكَ ٱلۡمُسۡتَهۡزِءِينَ ﴿٩٥﴾ ﴾

١) ﴿ إِنَّا كَفَيۡنَٰكَ ٱلۡمُسۡتَهۡزِءِينَ ﴾ بك وبما جئت به، وهذا وعد من الله لرسوله، ألا يضره المستهزئون، وأن يكفيه الله إياهم بما شاء من أنواع العقوبة، وقد فعل تعالى؛ فإنه ما تظاهر أحد بالاستهزاء برسول الله ﷺ وبما جاء به، إلا أهلكه الله وقتله شر قتلة.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن ٤٣٥

٢) إذا صدع المسلم بأمر ربه على الوجه المشروع، فلن يضره المستهزئون؛ فلقد تكفل الله بكفايته إياهم.

تأمل قول ربك: ﴿ فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿٩٤﴾ إِنَّا كَفَيۡنَٰكَ ٱلۡمُسۡتَهۡزِءِينَ ﴾.

د. محمد الربيعة

﴿ وَلَقَدۡ نَعۡلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدۡرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ﴿٩٩﴾ ﴾

١) ﴿ وَلَقَدۡ نَعۡلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدۡرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴾ لا تصدق أن هناك نفسًا لا تؤلمها الكلمات.

د. عبد الله بلقاسم

٢) قد يضيق صدرك إذا سمعت ما يؤلمك، وقد تحزن لذلك، وقد تهتم كثيرًا، فتحتاج لمن يرأف على قلبك، ويذهب ما أهمك، تدبرت أواخر سورة الحجر: ﴿ وَلَقَدۡ نَعۡلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدۡرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾ فوجدت العلاج الشافي الكافي، فيا عظمة هذا القرآن وجميل لذته!.

متدبر

٣) النبي ﷺ يسوءه تكذيب قومه مع علمهم بصدقه ووضوح أدلته، فأرشده الله إلى ما يطرد الهم، فأمره بخصوص، ثم عموم، ثم أعم: إذ أرشده إلى تسبيح الله، ثم إلى أمر أعم من الذكر المجرد وهو الصلاة، ثم إلى الإقبال على العبادة بمفهومها الشامل. فيا لها من هداية عظيمة لو تدبرناها، وأخذنا بها.

د. محمد الحمد، خواطر ٢٢٥

٤) كلما ازداد قرب العبد من الله وعلا مقامه؛ قوي عزمه وتجرد صدقه، فالصادق لا نهاية لطلبه ولا فتور لقصده، بل قصده أتم، وطلبه أكمل، ونيته أحزم؛ قال تعالى: ﴿ وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ﴾.

ابن القيم، طريق الهجرتين ٢٢٤

٥) تأملتُ قوله تعالى: ﴿ وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ﴾ فقلت: الحمد لله الذي لم يمنع عنا فضله بالعبودية والتقرب له وتكثير الأجور بانقضاء مواسم الخير، بل جعل مقام العبودية له قائمًا حتى بعد الممات: الصدقة الجارية، العلم الذي ينتفع به، والولد الصالح الذي يدعو له!

أ. د. عبدالعزيز العويد

٦) ﴿ وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ﴾ فلا يليق بالمسلم وقد ذاق طعم الطاعة في شهر الصيام أن يحل محل تلك الحلاوة مرارة المعصية، ولا يسوغ له إذا أرغم عدوه في شهر الصيام أن يدخل عليه السرور في شهر شوال وما بعده من الشهور.

د. عبد المحسن العباد

سُورَةُ النَّحلِ

سورة النحل افتتحت بالنهي عن الاستعجال، واختتمت بالأمر بالصبر، وسورة الإسراء افتتحت بالتسبيح، وختمت بالتحميد.

السيوطي، مراصد المطالع ٥٣

﴿ يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓا۟ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ﴿٢﴾ ﴾

من تدبر القرآن تبين له أن أعظم نعم الرب على العبد تعليمه القرآن والتوحيد، تأمل: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ﴿٢﴾﴾ (الرحمن) فبدأ بها قبل نعمة الخلق، وفي (النحل) -التي هي سورة النعم-: ﴿ يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓا۟ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ﴾ فهذه الآية أول نعمة عددها الله على عباده؛ لذا قال ابن عيينة ﷺ: «ما أنعم الله على العباد نعمة أعظم من أن عرفهم لا إله إلا الله»[1].

د. محمد القحطاني

﴿ وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾ ﴾

١) البرد يقتل العشرات في شرق أوروبا، والحرارة (٣٥ تحت الصفر)..[2].

المؤمن إذا عاش البرد، أو سمع أخباره، تذكر قوله تعالى -في أول (النحل)-: ﴿وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ﴾ فهذه نعمته بالدفء، وأما نعمته بالوقاية من الحر فذكرها في أواخر «النحل»: ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ﴾ (النحل:٨١)؛ إذ لما كانت الوقاية من البرد من أصول النعم ذكرت في أول السورة، ولما كانت الوقاية من الحر من مكملات النعم ذكرت بعد ذلك.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن ٤٣٥

(١) الشكر لابن أبي الدنيا (٦٩).

(٢) نشر الخبر في عدد من المواقع الإخبارية في الثلاثاء ١٤٣١/٢/١٠ هـ- الموافق ٢٠١٠/١/٢٦ م.

٢) كل ما جاء في القرآن: ﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ فهو في الدنيا، أي: ومنها تبيعون، ومنها تدخرون، ومنها تهدون، وذلك في: (النحل)، (المؤمنون)، (غافر)، أما قوله: ﴿مِّنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ الزخرف:٧٣ فهذا في جنة الآخرة، والجنة ليس فيها بيع ولا ادخار ولا إهداء، وإنما يأكلون منها فحسب، وذلك في سورة الزخرف.

صالح التركي

﴿وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنفُسِ ۚ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾﴾

قال تعالى في هذه الدار: ﴿وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنفُسِ ۚ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ فهذا شأن الانتقال في الدنيا من بلد إلى بلد، فكيف الانتقال من الدنيا إلى دار القرار؟!

ابن القيم، مفتاح دار السعادة ١/ ١٠

﴿وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ۚ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾﴾

ما من اختراعٍ يخطر ببالك من المخترعات الحديثة -كالمركبات ووسائل الاتصال وغيرها- إلا وقد أشار إليه القرآن، تأمّل قوله تعالى: ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾، وبفهم هذه العمومات يدرك المتدبِّر سعة معاني كلام الله تعالى، وكيف تدخل آلاف الأشياء والمعاني في جملة قصيرة.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن ٨٨ (بتصرف)

﴿وَأَلْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾﴾

١) تأمّل خلق الأرض حين خُلقت ساكنة؛ ليتمكّن الخلق من السعي عليها، والجلوس لراحتهم ونومهم، والقيام بأعمالهم، ولو كانت رجراجة لم يستطيعوا على ظهرها قرارًا، ولا ثبت لهم عليها بناء، ولا أمكنهم عليها صناعة، ولا تجارة، ولا حراثة، واعتبر ذلك بما يصيبهم من الزلازل، كيف تصيرهم إلى ترك منازلهم والهرب عنها، وقد نبّه الله على ذلك بقوله: ﴿وَأَلْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾.

ابن القيم، مفتاح دار السعادة ٢١٧

٢) كلما ازداد حجم الجبل ارتفاعًا ورسوخًا، كان أقوى في ثبات الأرض، وعدم اضطرابها بأهلها، تدبر هاتين الآيتين: ﴿وَأَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾، ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ شَٰمِخَٰتٍ﴾ (المرسلات: ٢٧).

فكذلك أثر العالم في تثبيت الأمة أزمنة الفتن، حسب رسوخه وعلو اهتماماته.

أ. د. ناصر العمر

﴿وَعَلَٰمَٰتٍ ۚ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾﴾

تأمل سر تعليق الاهتداء بالنجم؛ لأن النجوم المرادة ثابتة لا تتغير، ولا تنكسف، وضوءها مستقر لا يختلف لذاتها، وإنما لعوامل أخرى، ومعرفتها أيسر من معرفة منازل القمر، وعلى قدر إتقانها تكون الدلالة على الطريق والوصول إلى الهدف، فكذلك أدلة المنهج فهي ثابتة مطردة بينة ميسرة، وعلى قدر معرفتها والالتزام بها تكون السلامة والوصول إلى الغاية، وإلا كان الاضطراب والضلال والهلاك.

أ. د. ناصر العمر

﴿وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾﴾

﴿وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ إذا جلست على مائدة طعامك، فحاول أن تحسب أنت وأهلك عدد أنواع المطاعم والمشارب التي عليها، كلُّ هذه النعم اجتمعت لك في لحظةٍ واحدةٍ، وفوقها نعمة العافية والأمن، وفوقها جميعًا نعمة الإيمان، فاللَّهُمَّ أعنا على ذكرك وشكرك.

متدبر

﴿لَا جَرَمَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾

تربية القلب بالقرآن:

مر الحسن بن علي رضي الله عنهما على مساكين يأكلون فدعوه؛ فأجابهم وأكل معهم، وتلا: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ﴾ ثم دعاهم إلى منزله فأطعمهم وأكرمهم.

ابن رجب، شرح حديث اختصام الملأ الأعلى ٣٧/١

﴿ لِيَحۡمِلُوٓاْ أَوۡزَارَهُمۡ كَامِلَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَمِنۡ أَوۡزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيۡرِ عِلۡمٍۗ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾

بعض الآباء يدع قنوات السوء بأيدي أهله وبنيه، كأن الأمر لا يعنيه، وهو يعلم أنها تنوء بالسوء، وربما خادع نفسه بأنَّه يثق بهم، لقد لعن رسولُ الله ﷺ في الرِّبا: الآكل والمؤكل والكاتب، وفي الرشوة: الراشي والمرتشي والرائش، وبئس في تلك القنوات جالبها والناظر إليها.

متدبر

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدۡنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيۡءٖ نَّحۡنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمۡنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيۡءٖۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ فَهَلۡ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴿٣٥﴾ ﴾

الحق قوي بذاته؛ فإذا بلّغه الداعية الحكيم بما يليق به من بيان؛ كان منتصرًا بمجرد الكلمة، وذلك كان هو أساس دعوة جميع الأنبياء والرسل ﴿فَهَلۡ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ﴾، فلا يستهينن أحدٌ بقوة الكلمة وخطورتها في الخير والشر، فأما كلمة الحق والهدى في الدعوة إلى الله فهي الغالبة بإذن الله.

د. فريد الأنصاري، مجالس القرآن ٢٩٦

﴿ ۞ وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ﴿٥١﴾ ﴾

﴿وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ﴾ ليس للتكرار والتأكيد المحض، وليس الموضع موضع تأكيد، بل لما كان النهي واقعًا على التعدد والاثنينية دون الواحد أتى بلفظ الاثنين... فكأنه قال: لا تعدد الآلهة ولا تتخذ عددًا تعبد، إنما هو إله واحد فلا تضم إليه غيره وتجعلهما اثنين، فلا تكرار إذن.

ابن تيمية، جامع مسائل شيخ الإسلام ٣٥٠

﴿وَٱللَّهُ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَآۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَسۡمَعُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَسۡمَعُونَ﴾ أي: سماع تدبر وإنصاف ونظر؛ لأنّ سماع القلوب هو النافع، لا سماع الأذان، فمن سمع آيات القرآن بقلبه، وتدبرها وتفكر فيها، انتفع ومن لم يسمع بقلبه، كأنه أصم لم يسمع، فلن ينتفع بالآيات.

الخطيب الشربيني، السراج المنير ٢٤١/٢

﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾

تأمَّل كمال طاعة النحل لربِّها، فلا يرى للنحل بيت غير هذه الثلاثة البتَّة؛ فالإنسان أولى بالطاعة لربه.

ابن القيم، مفتاح دار السعادة ٢٤٨

﴿ وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلرِّزْقِ ۚ فَمَا ٱلَّذِينَ فُضِّلُوا۟ بِرَآدِّى رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَآءٌ ۚ أَفَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٧١﴾ ﴾

إن رزقك لا يستطيع أحد أن يصرفه عنك، ورزق غيرك لا يقدر أحد أن يوصله إليك، ما كان لك، فسوف يأتيك على ضعفك، وما كان لغيرك، لن تناله بقوتك، رُفِعت الأقلام وجفت الصحف.

علي الطنطاوي، نور وهداية ١٢٩

﴿ أَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ مُسَخَّرَٰتٍ فِى جَوِّ ٱلسَّمَآءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾

نقل القاسمي عن الغزالي: تأمل كيف أن الله تعالى خلق الطير خلقًا يقتضي خفة طيرانه، فلم يخلق فيه ما يثقله، وجعل جلد ساقيه غليظًا متقنًا جدًا؛ ليستغني به عن الريش في الحر والبرد، فلو كسيت ساقاه بريش، لتضرر ببلله وتلويثه، وخلقه يبيض ولا يلد؛ لئلا يثقل عن الطيران، أفلا ترى كيف دبر كل شيء من خلقه بما يليق به من الحكمة؟

محاسن التأويل ١٠/١٤١-١٤٢

﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلْأَنْعَٰمِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ ۙ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَآ أَثَٰثًا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٨٠﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَٰنًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ﴿٨١﴾ ﴾

١) تدبر: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا﴾ لذا تجدنا نبذل الغالي والنفيس لتتحقق الراحة والهدوء في بيوتنا، ونبادر لإصلاح ما فسد، دون ضجر أو ملل؛ لتحقيق هذه السكينة.

فهل نبذل مثل ذلك مع الزوجة، التي جعلها الله (سكنًا)؛ لنحقق هذه الغاية العظمى؟!

أو أننا نُحمِّلها مسئولية تحقيق ذلك وحدها؛ فينقلب البيت والزوجة إلى عذاب وشقاء، بدل المودة والرحمة والسكن.

أ. د. ناصر العمر

٢) قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمۡ سَكَنًا﴾، وقال في الآية بعدها: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلۡجِبَالِ أَكۡنَٰنًا وَجَعَلَ لَكُمۡ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلۡحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأۡسَكُمۡۚ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تُسۡلِمُونَ﴾.. جمع الله في آيات النحل بين المساكن والملابس؛ لأنَّ المساكن من جنس الملابس، كلاهما جعل في الأصل للوقاية، ودفع الضرر، كما جعل الأكل والشرب لجلب المنفعة، فاللباس يتقي الإنسان به الحر والبرد، ويتقي به سلاح العدو، وكذلك المساكن يتقي بها الحر والبرد، ويتقي بها العدو.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى ٢٢/١٥١

﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدۡنَٰهُمۡ عَذَابًا فَوۡقَ ٱلۡعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يُفۡسِدُونَ ٨٨﴾

المجرم الذي يقترف كثيرًا من الفواحش لا يمكن بداهة أن يُعامل بنفس الطريقة التي يعامل بها من لم يرتكب سوى واحدة ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدۡنَٰهُمۡ عَذَابًا فَوۡقَ ٱلۡعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يُفۡسِدُونَ﴾.

محمد دراز، دستور الأخلاق في القرآن ١٥٣

﴿وَيَوۡمَ نَبۡعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٖ شَهِيدًا عَلَيۡهِم مِّنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَجِئۡنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِۚ وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ ٨٩﴾

١) ﴿وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ﴾ قال مسروق: ما نسأل أصحاب محمد عن شيء إلا علمه في القرآن، إلا أن علمنا يقصر عنه.

العلم لزهير بن حرب ح (٥٠)

٢) قف متدبرًا: ﴿وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ﴾ ثم تأمل ما جرى من أحداث في ضوء هذه الآيات وغيرها، تجد مصداق ذلك، وكأنها أنزلت اليوم! ﴿أَفَرَءَيۡتَ إِن مَّتَّعۡنَٰهُمۡ سِنِينَ ٢٠٥ ثُمَّ

جَآءَهُم مَّا كَانُواْ يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يُمَتَّعُونَ ﴿٢٠٧﴾﴾ (الشعراء: ٢٠٥-٢٠٧) ثم تخلى عنهم القريب والبعيد ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ وَمَا كَانُواْ مُنظَرِينَ ﴿٢٩﴾﴾ (الدخان).

فما أتعس من لم يزن الأحداث بميزان القرآن!

﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ﴾ (المرسلات:٥٠)!

أ. د. ناصر العمر

﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾﴾

١) قرأ الحسن هذه الآية ثم قال: إن الله ﷻ جمع لكم الخير كله والشر كله في آية واحدة، فوالله ما ترك العدل والإحسان من طاعة الله شيئًا إلا جمعه، ولا ترك الفحشاء والمنكر والبغي من معصية الله شيئًا إلا جمعه.

الدر المنثور ١٠٣/٩

٢) أجمعُ آية في القرآن للحثِّ على المصالح كلها، والزجر عن المفاسد بأسرها قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾؛ فلا يبقى من دقيق العدل وجليله إلا اندرج في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ﴾.

العز بن عبدالسلام، قواعد الأحكام ٣١٥/٢

٣) ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ﴾ الإحسان فوق العدل، وذلك أن العدل هو أن يعطي ما عليه ويأخذ ما له، والإحسان أن يعطي أكثر مما عليه ويأخذ أقل مما له، فالإحسان زائد عليه، فتحري العدل واجب، وتحري الإحسان ندب وتطوع؛ ولذلك عظَّم الله ثواب أهل الإحسان.

الفيروزآبادي، بصائر ذوي التمييز ٦٧١/١

﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِىَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ ۚ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦ ۚ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٩٢﴾﴾

١) الغدر ينزع الثقة، ويثير الفوضى، ويمزق الأواصر، ويرد الأقوياء ضعافًا واهنين: ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثًا﴾.

محمد الغزالي، خلق المسلم ٥٥

٢) يا من حج البيت العتيق، وجئت من كلِّ فج عميق، ولبّيت من كل طرفٍ سحيق! ها أنت وقد كَمُلَ حجك، ها أنت تتهيأ للرجوع إلى ديارك، احذر كل الحذر من العودة إلى التلوثِ بالمحرمات، ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَـٰثًا ﴾ فإياك إياك أن تهدم ما بنيت، وتُبدد ما جمعت، وتنقض ما أحكمت.

سلمان المالكي، مقال: وما ذا بعد الحج (موقع صيد الفوائد)

﴿ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ إِنَّمَا عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩٥﴾ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ ۗ وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓا۟ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾

١) كان لحفصة بنت سيرين ابنٌ عظيم البر بها، فمات، فقالت حفصة: لقد رزق الله عليه من الصبر ما شاء أن يرزق، غير أني كنت أجد غصة لا تذهب، قالت: فبينا أنا ذات ليلة أقرأ سورة النحل، إذ أتيت على هذه الآية: ﴿ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ إِنَّمَا عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩٥﴾ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ ۗ وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓا۟ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ قالت: فأعدتها، فأذهب الله ما كنت أجد.

صفة الصفوة ٢/ ٢٤٢

٢) نظرت إلى هذا الخَلْق، فرأيت كل من معه شيء له قيمة ومقدار رفعه وحفظه، ثم نظرت إلى قول الله ﷻ: ﴿ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ ﴾ فكلما وقع معي شيء له قيمة ومقدار وجهته إلى الله؛ ليبقى عنده محفوظًا.

أبو حامد الغزالي، الإحياء ١/١٢٦

٣) إن من استعد للقاء الله؛ انقطع قلبه عن الدنيا وما فيها ومطالبها، وخمدت من نفسه نيران الشهوات، وأخبت قلبه إلى الله، وعكفت همته على الله وعلى محبته وإيثار مرضاته: ﴿ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ ﴾.

ابن القيم، طريق الهجرتين ١٧٦

٤) سمعت الشيخ ابن عثيمين وهو يعلق على قوله تعالى: ﴿ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ ﴾ يقول: كثير من الناس لا ينصرف ذهنه عند قراءة هذه الآية إلا للمال أو الطعام ونحوه، والحق أنها تشمل السمع والبصر وسائر ما عند العباد من أمور حسيَّة ومعنويَّة.

د. عمر المقبل

﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾

١) إلى من يتقطع قلبه على فوات شيء من نعيم الدنيا! سل ربك من واسع فضله، فإن ضاق عليك رزقك، فسل ربك القناعة، فذلك -والله- نعيم معجل.. يقول الحسن البصري في قوله تعالى: ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾ قال: نرزقه قناعة!

الزهد لابن حنبل ٢٧٨

٢) ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾ قال بعض السلف: «الحياة الطيبة: هي الرضا والقناعة».
علّق ابن رجب: أهل الرِّضا تارةً يلاحظون حكمة المبتلي وخيرته لعبده في البلاء وأنه غير متهم في قضائه، وتارةً يلاحظون ثواب الرضا بالقضاء؛ فينسيهم ألم المقضي به، وتارةً يلاحظون عظمة المبتلي وجلاله وكماله؛ حتى ربما تلذذوا بما أصابهم لصدوره عن حبيبهم.

تفسير ابن رجب ٢/٤٧٧

٣) إنَّ الحياة بلا سعادة الإيمان قدرٌ مشترك بين البشر وبين النمل على ضعفه، والحمار على ذلِّه وخسفه، والجمل على إذلاله وتسخيره؛ فإذا كانوا اليوم يسمون أحياء فمن هذا النوع.

محمد البشير الإبراهيمي، آثاره ٢/ ٣٥٢

٤) نشرت بعض الصحف هذا اليوم خبر حاج ياباني وزوجته عند خروجهما من الحرم، وبعد أدائهما أول صلاة جمعة في حياتهما انفجرا باكيين، وقالا: ولدنا من جديد، وكل ما مضى من حياتنا من لحظات سعيدة لا تعادل ولو جزءًا بسيطًا مما عشناه في المشاعر المقدسة، وصدق الله ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ﴾[1].

﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ ﴾

١) ومن لطائف الاستعاذة أنها طهارة للفم مما كان يتعاطاه من اللغو والرفث، وتطييب له، وتهيؤ لتلاوة كلام الله، وهي استعانة بالله، واعتراف له بالقدرة، وللعبد بالضعف والعجز عن مقاومة هذا العدو المبين الباطني، الذي لا يقدر على منعه ودفعه إلا الله الذي خلقه.

ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ١/١١٤

(١) نشرته جريدة الجزيرة السعودية في عددها الصادر يوم السبت ١٤٣٠/١٠/١١هـ.

٢) وفائدة الاستعاذة: ليكون الشيطان بعيدًا عن قلب المرء وهو يتلو كتاب الله، حتى يحصل له بذلك تدبر القرآن وتفهم معانيه، والانتفاع به؛ لأنك إذا قرأته وقلبك حاضر حصل لك من معرفة المعاني والانتفاع بالقرآن ما لم يحصل لك إذا قرأته وأنت غافل، وجرِّب تجد.

العثيمين، الشرح الممتع ٣/ ٥٣

﴿ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾

إذا كثر نفوذ الشيطان على ثغرات قلبك، فتفقد إيمانك وصدق توكلك، فإن الله يقول: ﴿ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾.

د. عمر المقبل

﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾ ﴾

محاولة إسقاط هيبة النص القرآني في نفوس الناس، قديمة قدم الرسالة، تأمل قوله سبحانه: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ﴾.

د. عمر المقبل

﴿ ۞ يَوْمَ تَأْتِى كُلُّ نَفْسٍ تُجَٰدِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١١١﴾ ﴾

أُتي هشام بن عبدالملك برجل بلغه عنه أمر، فلما أقيم بين يديه جعل يتكلم بحجَّته، فقال له هشام: وتتكلم -أيضًا-؟ فقال الرجل: يا أمير المؤمنين! قال الله ﷻ: ﴿يَوْمَ تَأْتِى كُلُّ نَفْسٍ تُجَٰدِلُ عَن نَّفْسِهَا ﴾، أفيجادلون الله تعالى ولا نتكلم بين يديك كلامًا؟ قال هشام: بلى، ويحك تكلم.

إحياء علوم الدين ٣/١٨٤

﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾

١) من ظن أن أرضًا معينة تدفع عن أهلها البلاء مطلقًا لخصوصها أو لكونها فيها قبور الأنبياء والصالحين، فهو غالط، فأفضل البقاع مكة، وقد عذب الله أهلها عذابًا عظيمًا، فقال تعالى: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴾.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى (٢٧/ ٤٤٢)

٢) تأمل حكمة تقديم الأمن على الطمأنينة في قوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً﴾؛ فالطمأنينة لا تحصل بدون الأمن، كما أن الخوف يسبّب الانزعاج والقلق، وفي قوله: ﴿فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ﴾ سر لطيف؛ لأن إضافة اللباس إلى الجوع والخوف تشعر وكأن ذلك ملازم للإنسان ملازمة اللباس للابسه.

ابن عاشور، التحرير والتنوير ٢٤٧/١٣ (بتصرف)

﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾﴾

حين تغير آية مجرى حياة: عن أبي نضرة قال: قرأت هذه الآية، فلم أزل أخاف الفتيا إلى يومي هذا.

تفسير ابن أبي حاتم ٢٣٠٦/٧

﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾﴾

«الحنف» ميل عن الضلال إلى الاستقامة، كقوله تعالى عن الخليل ﷺ: ﴿قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا﴾، أما «الجنف» فهو ميل عن الاستقامة إلى الضلال، كقوله تعالى في شأن الوصية: ﴿فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا﴾ (البقرة: ١٨٢).

الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن ٢٦٩/١

﴿شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ۚ ٱجْتَبَٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾﴾

قال تعالى عن إبراهيم: ﴿شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ﴾، وقال: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ (لقمان: ٢٠)، فجمع النعمة في آية النحل جمع قلة (أنعم)؛ لأن نعم الله لا تحصى، وإنما يستطيع الإنسان معرفة بعضها وشكرها وهو ما كان من إبراهيم ﷺ، فذكر جمع القلة في هذا المقام، أما آية لقمان فجمعها جمع كثرة (نعمه)؛ لأنها في مقام تعداد نعمه وفضله على الناس جميعًا.

د. فاضل السامرائي، التعبير القرآني ٤٠-٤١

﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾

١) ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ ﴾ فعلى الداعية أن يُشعِر نفسه بأنه يدعو إلى الله، لا إلى فرض السيطرة، أو إتمام الكلمة، أو إبراد الغيرة؛ لأن هذا خطأ، بل ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَهۡدِي لِلَّتِي هِيَ أَقۡوَمُ ﴾ فأي وسيلة يحصل بها المقصود، ولو كان فيها غضاضة عليك فاعملها.

ابن عثيمين، شرح عقيدة أهل السنة والجماعة (شريط)

٢) ﴿ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِ ﴾ الحكمة في تقييد الموعظة بالحسنة، بينما الحكمة لم يقيدها بذلك؛ لأن الموعظة لما كان المقصود منها -غالبًا- ردع نفس الموعوظ عن أعماله السيئة، أو عن توقع ذلك منه، كانت مظنة لصدور غلظة من الواعظ، ولحصول انكسار في نفس الموعوظ، أرشد الله رسوله أن يتوخى الحسن في موعظته بإلانة القول وترغيب الموعوظ في الخير، كما قال تعالى للأخوين: ﴿ ٱذۡهَبَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ ﴾ (طه: ٤٣ - ٤٤).

ابن عاشور، التحرير والتنوير ١٤/ ٣٢٩

٣) قد دلت الآية على أنه لا ينبغي أن يسند الأمر بالمعروف إسنادًا مطلقًا، إلا لمن جمع بين العلم والحكمة والصبر على أذى الناس؛ لأن الأمر بالمعروف مستلزم لأذاهم؛ لأنهم مجبولون بالطبع على معاداة من يتعرض لهم في أهوائهم الفاسدة، وأغراضهم الباطلة.

الشنقيطي، أضواء البيان ١/ ٤٦٤

﴿ وَٱصۡبِرۡ وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ وَلَا تَكُ فِي ضَيۡقٖ مِّمَّا يَمۡكُرُونَ ﴿١٢٧﴾ ﴾

﴿ وَٱصۡبِرۡ وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴾ استعانةً به، ورضًا بأقداره، وانتظارًا للفرج منه، وطلبًا للأجر من لدنه: ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴾ (الزمر: ١٠).

أ. د. ناصر العمر

سُورَةُ الإِسْرَاءِ

﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ①﴾

١) من الحكم في التعبير بالتسبيح في قوله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾ مع أن مقتضى الحال -حسب ما يظهر لعقولنا الضعيفة- أن يعبر بالحمد والثناء أنه ﷺ أخبرهم صبيحة الإسراء بما حصل، ولو كان كذبًا، لما تركه الله، فإن الله ينـزه أن يترك شخصًا يكذب عليه مثل هذا الكذب من غير أن ينتقم منه، والله أعلم.

ابن عثيمين، المنتقى من فرائد الفوائد ١٦٦

٢) من أساليب القرآن أنه قد يأتي بالشيء وهو معلوم بالبديهة اللغوية أو الحسابية أو العادية أو العقلية، فمن ذلك: قوله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ①﴾ فذكر الليل، ومن المعلوم أن الإسراء لا يكون إلا ليلًا؛ لزيادة استحضار صورة الإسراء في ذهن السامع، حتى يكون كأنه قد حضر تلك المعجزة، وهذا أشد في التأثير.

أحمد بن المنير، الانتصاف حاشية الكشاف ٢/٧٥٠

٣) وجه الاقتصار على وصف المسجد الأقصى في هذه الآية بذكر بركته، وعدم ذكرها في حق المسجد الحرام: أن شهرة المسجد الحرام بالبركة وبكونه مقام إبراهيم معلومة للعرب، وأما المسجد الأقصى فقد تناسى الناس ذلك كله، فالعرب لا علم لهم به، والنصارى عفَّوا أثره من كراهيتهم لليهود، واليهود قد ابتعدوا عنه وأيسوا من عوده إليهم؛ فاحتيج إلى الإعلام ببركته.

ابن عاشور، التحرير والتنوير ١٥/١٩

﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ⑨﴾

١) مجيء قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ بعد قوله: ﴿وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ الآية، لبيان أن ما يهدي إليه القرآن، أقوم مما يهدي إليه الكتاب الذي قبله، وإن كان ذلك يهدي إلى الصراط المستقيم، لكن القرآن يهدي للتي هي أقوم.

ابن تيمية، جامع المسائل لابن تيمية ٥/ ١٦٢

٢) قال ابن تيمية ﷺ في ردّه على الفلاسفة: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾ فأقوم الطرق إلى أشرف المطالب ما بعث الله به رسوله ﷺ، وأما طريق هؤلاء فهي -مع ضلالهم في البعض، واعوجاج طريقهم، وطولها في البعض الأخرى- إنما يوصلهم إلى أمر لا ينجي من عذاب الله، فضلًا عن أن يوجب لهم السعادة، فضلًا عن حصول الكمال للأنفس البشرية بطريقهم.

الرد على المنطقيين ١٦٢

٣) سُئل ابن باز: ما كتب العقيدة التي تنصحون بها؟ فأجاب: أعظم كتب العقيدة وأنفعها: كتاب الله القرآن، فيه الهدى والنور، فنوصي الجميع رجالًا ونساءً، كبارًا وصغارًا أن يعتنوا به، فهو كتاب العقيدة والهدى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾.

مجموع فتاوى ابن باز ٧٣/٢٨

ثم أشار إلى بعض كتب أهل السنة، فانظر إلى هذه اللفتة التي تخرج من قلب متدبِّر.

٤) حدثني الشيخ عبدالعزيز السلمان ﷺ عن نفسه أنه قال: قرأت قول الله تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾ فتأملتها، فعزمت أن أقرأ القرآن قراءة أدرك بها بعض هداية القرآن للتي هي أقوم، فبدأته من أوله، وكنت أكتب ما فتح الله عليّ به من هداية الآيات؛ فكانت النتيجة كتابًا في مجلدين: «الأنوار الساطعات لآيات جامعات».

أ. د. عبدالعزيز العويد

٥) أعظم تغيير حصل في الحياة البشرية هو: ما أجراه الله على أيدي أنبيائه، وأعظم خطاب جرى به التغيير هو: القرآن المنزل على خير رسله، الذي من أبرز مفرداته وأكثرها ذكرًا فيه هو: التذكير بالله، وأسمائه وصفاته، والآخرة، والموت، والتزهيد في الدنيا، والتحذير من التعلق بها.
فهل خطابنا الإصلاحي الذي ننشد به التغيير اليوم يستمد روحه من هذا القرآن العظيم الذي وصفه ربنا بقوله: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾؟.

فهد العيبان

٦) فرق بين قراءة أهل القرآن وقراءة غيرهم للأحداث:
- فهم يربطونها بالسنن يقودهم الوحي موقنين بأن ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾، وغيرهم يغرق في تحليلات -قد يصيب بعضها- لكنك لا تجد فيها نصًا واحدًا.
- لا يفصلون الأحداث عن سنن الله في الأمم، وغيرهم يحصرها بالأسباب المادية.
- يطرحون العلاج في ضوء الوحي وفهم السلف، وغيرهم قد ينطلق من واقع يضغط، أو ليرضي طائفة ما.

د. محمد الربيعة

﴿وَيَدۡعُ ٱلۡإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلۡخَيۡرِۖ وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ عَجُولٗا ١١﴾

قال الحسن في قوله: ﴿وَيَدۡعُ ٱلۡإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلۡخَيۡرِۖ وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ عَجُولٗا ١١﴾: ذلك دعاء الإنسان بالشر على ولده وعلى امرأته، يغضب أحدهم فيدعو عليه، فيسب نفسه ويسب زوجته وماله وولده؛ فإن أعطاه الله ذلك شق عليه!! فيمنعه الله ذلك، ثم يدعو بالخير فيعطيه.

الدر المنثور ٢٦٦/٩

﴿ٱقۡرَأۡ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفۡسِكَ ٱلۡيَوۡمَ عَلَيۡكَ حَسِيبٗا ١٤﴾

١) بعد الموت الحساب الدقيق عن كل عمل عملناه، أحصاه الله ونسوه، في كتاب لا يدع صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها، يفاجأ به العبد يوم القيامة، ويوضع تحت عينيه فيقال له: ﴿ٱقۡرَأۡ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفۡسِكَ ٱلۡيَوۡمَ عَلَيۡكَ حَسِيبٗا﴾.

الطنطاوي، نور وهداية ١٣

٢) حياتك بعد موتك كتاب سيقرأه الآخرون فأحسن كتابته، ولا تظنن أن جودة الغلاف تنفع إذا كانت معلومات كتابك رديئة أو سيئة؛ فغدًا يقال: ﴿ٱقۡرَأۡ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفۡسِكَ ٱلۡيَوۡمَ عَلَيۡكَ حَسِيبٗا﴾.

د. عمر المقبل

﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعَاجِلَةَ عَجَّلۡنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلۡنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصۡلَىٰهَا مَذۡمُومٗا مَّدۡحُورٗا ١٨ وَمَنۡ أَرَادَ ٱلۡأٓخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعۡيَهَا وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعۡيُهُم مَّشۡكُورٗا ١٩﴾

١) تأمل قوله تعالى: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعَاجِلَةَ عَجَّلۡنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ﴾ ولم يقل: عجلنا له ما يريد؛ بل قال: ﴿مَا نَشَآءُ﴾ لا ما يشاء هو ﴿لِمَن نُّرِيدُ﴾؛ فمن الناس: من يعطى ما يريد من الدنيا، ومنهم: من يعطى شيئًا منه، ومنهم: من لا يعطى شيئًا أبدًا، أما الآخرة فلا بد أن يجني ثمرتها إذا أراد بعمله وجه الله: ﴿وَمَنۡ أَرَادَ ٱلۡأٓخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعۡيَهَا وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعۡيُهُم مَّشۡكُورٗا ١٩﴾.

ابن عثيمين، شرح رياض الصالحين ١٨/١

٢) تدبر هذه الصفات التي وصف الله بها الصادقين في طلب الآخرة: ﴿وَمَنۡ أَرَادَ ٱلۡأٓخِرَةَ﴾ فلا بد من إرادة، لكنها لا تكفي وحدها بل لا بد من السعي: ﴿وَسَعَىٰ لَهَا سَعۡيَهَا﴾ والإرادة والسعي لا يكفيان وحدهما بل لا بد من الإيمان: ﴿وَهُوَ مُؤۡمِنٞ﴾ فاللَّهُمَّ امنن علينا بذلك.

د. عبدالرحمن العقل

﴿ ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍۚ وَلَلْـَٔاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾ ﴾

البون الشاسع بين الطلاب في الدرجات والمعدلات ما هو إلا معيار من معايير التفاضل في أمر الدنيا، وقد جاء التوجيه القرآني بالحثِّ -عند الانشغال بالتفاضل الدنيوي- على تذكر التفاضل الأخروي، الذي هو أكبر وأعظم، والمؤمن الموفق له في كلِّ شيء عبرة: ﴿ ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍۚ وَلَلْـَٔاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴾.

أ. د. ابتسام الجابري

﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًاۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ ﴾

١) ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ في تعليق الحكم- وهو الأمر بالإحسان- بلفظ (الوالدين) المشتق من الولادة؛ إيذان بعليتها في الحكم، فيستحقان الإحسان بالوالدية، سواء أكانا مؤمنين أم كافرين، بارين أو فاجرين، محسنين إليه أو مسيئين.

ابن باديس، تفسيره ٦٧

٢) ﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ﴾ لاحظ التقييد بالظرف ﴿عِندَكَ﴾! إنه يشعر بمسؤوليتك تجاه أبويك ولو كانا في منزل مستقل، بل ولو كانا في بلد وأنت في بلد غيره.

د. عبدالمحسن العسكر

٣) يحتاج الوالدان في كبرهما إلى مراعاة خاصة، أعظم مما يحتاجان إليه في شبابهما وقوتهما؛ ذلك أنهما ينتظران من أبنائهم رد الجميل وحسن الوفاء، ويصبح حسهما مرهفًا، فتسعدهما الكلمة الطيبة، ويحزنان لما خالف ذلك، مهما كانت يسيرة في نظر المتكلم.

تدبر: ﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ﴾ الآية.

أ. د. ناصر العمر

٤) قال ابن عقيل: من أَحْسَنِ ظني بربي، أن لطفه بلغ أن وصى بي ولدي إذا كبرت فقال: ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ﴾.

الآداب الشرعية ٢/٣٨٤

فما أحوجنا -أهل القرآن- أن نحسن الظن بربنا مهما طال الزمن واشتدت المحن، قال تعالى - في الحديث القدسي -: «**أنا عند ظن عبدي بي، فليظن بي ما شاء**»[١].

(١) أحمد ح (١٦٠١٦)، والحاكم ح (٧٦٠٣)

﴿وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا ﴿٢٨﴾﴾

﴿وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا﴾ هذا تأديب عجيب، أي: لا تعرض عنهم إعراض مستهين عن ظهر الغنى والقدرة فتحرمهم، وإنما يجوز أن تعرض عنهم عند عجز يعرض، وعائق يعوق، وأنت عند ذلك ترجو من الله فتح باب الخير لتتوصل به إلى مواساة السائل، فإن قعد بك الحال ﴿فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا﴾.

القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ٢٤٨/١٠

﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۚ وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴿٣٤﴾﴾

أيما امرئ يعطي كلمة لإنسان بعمل مشروع -حتى لو كان لقاء-؛ يصبح بموجب كلمته مسئولًا مسئولية صارمة، وذلك هو قول الحق سبحانه: ﴿وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا﴾.

د. محمد دراز، دستور الأخلاق في القرآن الكريم ١٤٢

﴿وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٣٥﴾﴾

ما فائدة قوله: ﴿إِذَا كِلْتُمْ﴾، وظاهر في أنه لا يكون ذلك إلا إذا كال؟

ج: لتخصيص الأمر بالإيفاء إذا كال المسلم لغيره؛ لأنه قد يبخسه حقه، بخلاف إذا اكتال لنفسه من غيره، فإنه حينئذ مأمور بالتسامح والترك، ويتضح هذا المعنى في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾ (المطففين:٣).

د. صالح العايد، نظرات لغوية (٢١٧)

﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾

١) ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ الجوارح كالسواقي توصل إلى القلب الصافي والكدِر، فمن كفها عن الشر، جلت معدة القلب بما فيها من الأخلاط، فأذابتها وكفى بذلك حمية، فإذا جاء الدواء، صادف محلًا قابلًا، ومن أطلقها في الذنوب، أوصلت إلى القلب وسخ الخطايا وظلم المعاصي.

ابن الجوزي، التبصرة ٢ / ٢٠٨

٢) ﴿إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا﴾ لما كانت هذه الأعضاء الثلاثة هي أشرف الأعضاء وملوكها والمتصرفة فيها والحاكمة عليها؛ خصها ﷺ بالذكر في السؤال عنها، فسعادة الإنسان بصحة هذه الأعضاء الثلاثة، وشقاوته بفسادها.

ابن القيم، مفتاح دار السعادة، ١٠٧/١

﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ﴿٤٤﴾﴾

إن آفاق السماء وفجاج الأرض تسبح بحمد ربها؛ فلماذا نشذ نحن ولا نصطبغ بما اصطبغ به الكون كله؟ إن العصيان اختراق لقاعدة عامة، أو هو نغمة فاجرة، بين أنغام طاهرة، ترنو إلى البارئ الأعلى في استكانة وتفان وإعظام.

محمد الغزالي، المحاور الخمسة ٢٨

﴿وَإِذَا قَرَأۡتَ ٱلۡقُرۡءَانَ جَعَلۡنَا بَيۡنَكَ وَبَيۡنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ حِجَابٗا مَّسۡتُورٗا ﴿٤٥﴾ وَجَعَلۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ أَكِنَّةً أَن يَفۡقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٗاۚ وَإِذَا ذَكَرۡتَ رَبَّكَ فِي ٱلۡقُرۡءَانِ وَحۡدَهُۥ وَلَّوۡاْ عَلَىٰٓ أَدۡبَٰرِهِمۡ نُفُورٗا ﴿٤٦﴾﴾

١) في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قَرَأۡتَ ٱلۡقُرۡءَانَ جَعَلۡنَا بَيۡنَكَ وَبَيۡنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ حِجَابٗا مَّسۡتُورٗا ﴿٤٥﴾﴾ بعض أهل التفسير يقولون: ساترًا. والصواب حمله على ظاهره، وأن يكون الحجاب مستورًا عن العيون فلا يرى، وذلك أبلغ.

ابن هبيرة، ذيل طبقات الحنابلة ٢٣٧/١

٢) ﴿وَإِذَا قَرَأۡتَ ٱلۡقُرۡءَانَ جَعَلۡنَا بَيۡنَكَ وَبَيۡنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ حِجَابٗا مَّسۡتُورٗا ﴿٤٥﴾ وَجَعَلۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ أَكِنَّةً أَن يَفۡقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٗاۚ وَإِذَا ذَكَرۡتَ رَبَّكَ فِي ٱلۡقُرۡءَانِ وَحۡدَهُۥ وَلَّوۡاْ عَلَىٰٓ أَدۡبَٰرِهِمۡ نُفُورٗا ﴿٤٦﴾﴾ فتدبر ما ذكره الله عن أعداء الرسل من نفي فقههم وتكذيبهم تجد بعض ذلك فيمن أعرض عن ذكر الله، وعن تدبر كتابه واتبع ما تتلوه الشياطين وما توحيه إلى أوليائها.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى ٢١٢/١٦

﴿ وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿٥٣﴾ ﴾

١) إن الشيطان متربص بالبشر، يريد أن يوقع بينهم العداوة والبغضاء، وأن يجعل من النزاع التافه؛ عراكًا داميًا، ولن يسد الطريق أمامه كالقول الجميل ﴿ وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ﴾.

الغزالي، خلق المسلم ٧٠

٢) ﴿ وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴾ ولم يقل: يقولوا الحسن ففيها إرشاد إلى انتقاء أحسن الكلمات في التخاطب بينهم؛ فإن الشيطان ربما نزغ في الكلمة الحسنة إذا كان يمكن التخاطب بأحسن منها.

د. صالح البهلال

٣) ﴿ وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ ذلك أنَّ مِن مواطنِ حضورِ الشيطان وتأثيره: مواطنَ الخلاف والشجار، فيجد فرصته عند ذلك، والعاصم من تأثيره -بإذن الله-: أن تقول القول الأحسن والأرفق؛ وبهذا تحقق عبوديتك لله، فيقيك شره تحقيقًا لوعده: ﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ﴾ (الإسراء:٦٥).

أ. د. ناصر العمر

٤) أربعة يدخلون الإسلام بسبب معاملة كفيلهم الحسنة (خبر صحفي).

من تأمل القرآن المكي وجده مليئًا بالتأكيد على حسن الخلق، وأثره في كسب أتباع جدد للإسلام، وفي سورة الإسراء -وهي مكية-: ﴿ وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾، وسيرته ﷺ كانت ترجمة عملية لهذه الآية، فما أحوجنا وأحوج من نعاملهم -من كبير وصغير وخادم- إلى هذا الهدي القرآني.

متدبر

﴿ وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْءَايَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ ۚ وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا۟ بِهَا ۚ وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْءَايَٰتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ﴿٥٩﴾ ﴾

١) ﴿ وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْءَايَٰتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ﴾ قال قتادة ﷺ: إن الله يخوّف الناس بما شاء من آياته؛ لعلهم يعتبون أو يذكرون أو يرجعون، ذكر لنا أن الكوفة رجفت على عهد ابن مسعود فقال: يا أيها الناس، إن ربكم يستعتبكم فأعتبوه.

الدر المنثور ٣٠٨/٥

٢) هل أنت كما أنت؟! أما هو ﷺ فقد جر رداءه فزعًا حين رأى آية الشمس؛ إنه القلب المدرك لحقيقة هذه الآيات ﴿وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا﴾، فهل تضطرب قلوبكم يا أهل القرآن عند حدوث هذه الآيات، ورؤية آية الشمس؟

د. عصام العويد

٣) الزلازل والبراكين أحداث كونية يحذر الله بها عباده، وهذا لا يتعارض مع أي تفسير علمي صحيح، كما هو في الخسوف والكسوف.

وقصر تفسير حدوثها على الجانب العلمي المجرد صرف لها عن حقيقة أسبابها وثمرة وقوعها، تدبر: ﴿وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا﴾، ﴿قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾ تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ﴾ (الأحقاف).

ولكن: ﴿وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (يونس:١٠١)!

أ. د. ناصر العمر

٤) الزلازل آية ﴿وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا﴾ بعض الصحف نشرت اليوم خبرًا عن بعض الهزات الأرضية التي أصابت منطقة المدينة النبوية، ودعت المواطنين لأخذ أسباب الحذر، وللأسف ففوق هذا الخبر مباشرة خبر آخر يتضمن صور نساء متبرجات، هل من الدِّين -بل العقل- أن يخوفنا الله تعالى فلا نخاف؟!

٥) يحزنك أن بعض المتحدثين في الإعلام يسعى لتهوين أمر الزلازل بربطه بعوامل جيولوجية وأسباب مادية، في تهميش غريب للسبب الشرعي الذي دلَّ عليه قول مرسل هذه الآيات: ﴿وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا﴾، فأين هؤلاء من هذا الحصر: ﴿إِلَّا تَخْوِيفًا﴾؟ إنها آية لم يشهد بلدنا مثلها، حيث بلغت الهزة ٥,٧ درجات، وأوقفت الدراسة في عدد من المدارس، ومؤشرات عن ثوران بركان جبل أبي نار، فمتى نعتبر؟[(١)]

﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا ﴿٦٠﴾﴾

آيات الله الكونية للتخويف، ولإشعار الإنسان بقدرة الله وقوته، الموفق يتذكر والمحروم يتكبر ﴿وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا﴾.

عبدالعزيز الطريفي

---

(١) أرسلت هذه الرسالة إبان الهزات الأرضية التي أصابت منطقة المدينة النبوية.

﴿ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَـٰدِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾ ﴾

تنبه يا مؤمن! وتأمل قول ربك لعدونا إبليس: ﴿ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ ﴾، ويدخل في هذا كل داع إلى المعصية ﴿وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ ﴾، ويدخل فيه كل راكب وماش في معصية الله، فهو من خيل الشيطان ورجله.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن ٤٦١

﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَـٰنٌ ۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿٦٥﴾ ﴾

إذا رأينا للشيطان علينا غلبة وسلطانًا، فلنتحقق من عبوديتنا لله تعالى؛ فإن الله يقول: ﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَـٰنٌ ۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴾.

أنس العمر

﴿ ۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَـٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَـٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِ وَفَضَّلْنَـٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ ﴾

كم احتفى القرآن بقصة آدم ﷺ، وبتكريم الإنسان، وجعله منطلقًا للحضارة الراقية! ثم تنقلب الموازين لدى ما يسمى بالعالم المتحضر؛ ليضم الإنسان إلى جملة الموارد التي يجمعون بها المال ويشبعون بها الشهوات، مثله مثل باقي الموارد المادية والمالية التي تحتاجها المؤسسات، وهذا ما جعل الدنيا تعلو والآخرة تخبو!

متدبر

﴿ وَمَن كَانَ فِى هَـٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٧٢﴾ ﴾

من كان مستوحشًا مع الله بمعصيته إياه في هذه الحياة، فوحشته معه في البرزخ ويوم المعاد أعظم وأشد: ﴿ وَمَن كَانَ فِى هَـٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴾.

محمد بن عبدالرحمن بن قاسم، مجموع خطبه ٢٧٤

﴿ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَـٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذًا لَّأَذَقْنَـٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴿٧٥﴾ ﴾

١) الآية دالة على أن القبيح يعظم قبحه بمقدار عظم شأن مرتكبه وارتفاع منزلته، وعلى أن أدنى مداهنة للغواة مضادة لله، وخروج عن ولايته؛ فعلى من تلاها أن يتدبرها وأن يستشعر الخشية وعظيم التصلب في الدين.

البقاعي، نظم الدرر ٤٨٩/١١

٢) ﴿ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴾ قف متدبرًا لـ﴿قَلِيلًا ﴾ وانظر الواقع؛ ثم تأمل العاقبة المذهلة ﴿ إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴾.

أ. د. ناصر العمر

﴿ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾ ﴾

١) ذكر الله في كتابه أوقات الصلوات، تارة ثلاثة كما في قوله تعالى: ﴿ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴾، وأما الخمس فقد ذكرها أربعة: في قوله: ﴿ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ (الروم: ١٧ - ١٨)، وقوله: ﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ ءَانَآئِ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴿١٣٠﴾ ﴾ (طه:١٣٠)، وقوله: ﴿ فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَٰرَ ٱلسُّجُودِ ﴿٤٠﴾ ﴾ (ق: ٣٩ - ٤٠)، والسنة فسرت ذلك وبينته وأحكمته.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى ٨٤/٢٢

٢) ﴿وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴾ فواحسرتاه عليك أيها الطين الخامل في نتونة العلق! كيف تبالغ في قتل حياتك وخنق أنفاسك عن شهود طلائع الفجر؟! كيف تنفي نفسك عن رياض الحياة الريَّانة؟! فعلى أي جنب تنام بعد ذلك أيها الإنسان؟!

د. فريد الأنصاري، قناديل الصلاة ١٠٤

﴿ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾ ﴾

في هذا تنبيه للمؤمنين على حسن عاقبة القائمين لربهم في جنح الليل، وما يكون لهم من مقامات عند ربهم على حسب منازلهم، فكما كان المؤمنون ملحقين بنبيهم في مشروعية هذه العبادة، كذلك هم ملحقون به في حسن الجزاء عليها.

ابن باديس، تفسيره ١٤١/١

﴿ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا ﴿٨٠﴾ ﴾

وذاك هو المدخل والمخرج الذي يكون صاحبه فيه ضامنًا على الله، وهو دخول وخروج بالله ولله، وهذه الدعوة من أنفع الدعاء للعبد؛ فإنه لا يزال داخلًا في أمر وخارجًا من أمر، فمتى كان دخوله لله وبالله وخروجه كذلك، كان قد أدخل مدخل صدق وأخرج مخرج صدق.

ابن القيم، حادي الأرواح ١/١٠١

﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾ ﴾

١) قال الحسن ﷺ: لا ينتفع بالموعظة من تمر على أذنيه صفحًا، كما أنَّ المطر إذا وقع في أرضٍ سبخة لم تنبت.

جامع بيان العلم ١/٥٦٥

٢) نتيجة القراءة: قال بعض السلف: ما جالس أحدٌ القرآن، فقام عنه سالـمًا، بل إمَّا أن يربح وإمَّا أن يخسر، ثم تلا قوله تعالى: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾.

تفسير ابن رجب ١/٦٣٩

٣) مرضٌ وعلاجُه: كل معصية يأتي بها الجسد هي من فساد في القلب ومرض به، وإنَّ الله تعالى قد جعل دواء أمراض القلب تلاوة القرآن؛ فقال: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾، فمقصود الشرع من المذنبين أن يتلوه ويتدبروه ويستشفوا به بألفاظه ومعانيه.

ابن باديس، تفسيره ٣٦

٤) ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾ ابتليت بعشق محرم، تشتت معه قلبي، وأهملت بسببه طلب العلم، فسألت أحد المشايخ، فأوصاني بثلاث وصايا، لم أنفذ منها إلا واحدة، وهي وصيته لي بأن أقرأ القرآن بتدبر، وطلب شفاء القلب من داء العشق، ففعلت هذا، فو الله الذي لا إله غيره إني كرهت العشق وبدأت أهتم بالعلم، وتحسنت نفسيتي.

متدبر

﴿ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ﴿٨٤﴾ ﴾

في الصحيح: «**كلٌّ مُيَسَّر لما خُلق له**»[1]، فاكتشف مواهبك وقدراتك، ونمِّها واستعملها في سبيل دينك وأمتك وأسرتك، ولا تتكلّف ما لم تعط، فتكون كالمنبَتِّ: لا أرضًا قطع، ولا ظهرًا أبقى، وتدبَّر: ﴿ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ ﴾، ﴿ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا ۖ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ﴾ (البقرة:١٤٨).

أ. د. ناصر العمر

﴿ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾ ﴾

عن مجاهد أن رجلًا سأله عن رجل قرأ البقرة وآل عمران، ورجل قرأ البقرة فقط، قيامهما واحد، وركوعهما واحد، وسجودهما واحد؟ فقال مجاهد: الذي قرأ البقرة فقط أفضل، ثم تلا: ﴿ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ ﴾.

فتح الباري لابن حجر ٨٩/٩

﴿ قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۩ ﴿١٠٩﴾ ﴾

١) من أوتي من العلم ما لا يبكيه فقد أوتي من العلم ما لا ينفعه.

الآجري، أخلاق العلماء ٣٤٧/٥

٢) قال سفيان الثوري: من أبكاه علمه فهو العالم؛ فإن الله تعالى يقول: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴾، وقال تعالى: ﴿ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴾ (مريم:٥٨).

تنبيه المغترين للشعراني ٩٦

٣) ﴿ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴾ هكذا مُدحوا بالبكاء والخشوع عند سماع القرآن، فكيف نكون كذلك؟ إن فهم وتدبر ما نقرأه أو نسمعه من كلام ربنا من أعظم يحقق ذلك، فجرب أن تحدد وقتًا تقرأ فيه معاني ما ستسمعه في التراويح من تفسير مختصر كـ«المصباح المنير» أو «السعدي»، جرب فستجد للصلاة طعمًا آخر.

(١) البخاري ح(٤٩٤٩)، ومسلم ح(٢٦٤٩).

سُورَةُ الكَهْفِ

في كل سبعة أيام تأوي إليها؛ لتأمن من غوائل الفتن.. سورة افتتحت بالوسيلة العظمى للنجاة من كل فتنة: «القرآن»، واختتمت بالحسنة العظمى التي لا يبقى معها أثر لأي فتنة: «التوحيد»، وبينهما أربع فتن كبار: فتنة الدين، ونجاتها في ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾﴾ والمال: ونجاتها في ﴿وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٣٩﴾﴾ والعلم: ونجاتها بالصبر، والسلطة: ونجاتها بالعدل.. هي «كهفك» من الفتن فأو إليها ينشر لك ربك من رحمته.

د. عصام العويد

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَـٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ﴿١﴾ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾﴾

فقوله ﴿قَيِّمًا﴾ أي: مستقيمًا لا ميل فيه، ولا زيغ؛ وعليه: فهو تأكيد لقوله: ﴿وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ﴾ لأنه قد يكون الشيء مستقيمًا في الظاهر، وهو لا يخلو من اعوجاج في حقيقة الأمر؛ ولذا جمع تعالى بين نفي العوج، وإثبات الاستقامة.

الشنقيطي، أضواء البيان ٤/٥

﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٧﴾﴾

لقد اغتر بزخرف الدنيا وزينتها الذين نظروا إلى ظاهرها دون باطنها، فصحبوا الدنيا صحبة البهائم، وتمتعوا بها تمتع السوائم، همهم تناول الشهوات، من أي وجه حصلت، فهؤلاء إذا حضر أحدهم الموت، قلق لخراب ذاته، وفوات لذّاته، لا لما قدمت يداه من التفريط والسيئات.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن ٤٧٠

﴿إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾﴾

تأمل في قول فتية أهل الكهف: ﴿وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ طلبوا من الله أن يجعل لهم من ذلك العمل رشدًا، مع كونه عملًا صالحًا، فما أكثر ما يقصر الإنسان فيه، أو يرجع على عقبيه، أو يورثه العجب والكبر!

محمد بن عبدالوهاب، تفسيره ٢٤٢

﴿فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾﴾

ذكر الجارحة التي هي الآذان -التي منها يكون السمع- لأنه لا يستحكم نوم إلا مع تعطل السمع، وفي الحديث: «**ذلك رجل بال الشيطان في أذنه**»[1] أي: استثقل نومه جدًا حتى لا يقوم بالليل.

﴿وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَ مِن دُونِهِ إِلَٰهًا لَّقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا ﴿١٤﴾﴾

تأمّلتُ ثبات الفتية، وتساءلت عن السبب، فإذا هو الاعتصام بالله، وأخذُ الأسباب المنجية في أمثال قوله تعالى: ﴿لَن نَّدْعُوَ مِن دُونِهِ إِلَٰهًا لَّقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا﴾، ﴿وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ﴾ (الكهف: ١٦)، فاحفظ الله يحفظك.

أ. د. ناصر العمر

﴿وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا ﴿١٦﴾﴾

من ثمرة الإيمان أن أصبح الكهف الضيق الذي لا يعد للسكنى منشورًا بالرحمة والتهيئة والارتفاق؛ فاعلم أن الأمر كله لله، وأن الأمور بحقائقها، لا بما يراه أهل الدنيا منها.

﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴿١٨﴾﴾

١) تأمل قوله: ﴿وَنُقَلِّبُهُمْ﴾ ففيه دليل على أن فعل النائم لا ينسب إليه، فلو طلّق، أو قال: في ذمتي لفلان كذا، لم يثبت؛ لأنه لا قصد له. وفي تقليبهم وعدم استقرارهم على جنب واحد فائدة بدنية: وهي توازن الدم في الجسد.

ابن عثيمين، تفسير سورة الكهف ٣٥

(١) البخاري ح(٣٢٧٠)، ومسلم ح (٧٧٤)، والنسائي ح (١٦٠٨)، وأحمد ح(٤٠٥٩).

٢) ﴿وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ﴾ إذا كان بعض الكلاب قد نال هذه الدرجة العليا بصحبته ومخالطته الصلحاء والأولياء -حتى أخبر الله تعالى بذلك في كتابه-؛ فما ظنك بالمؤمنين الموحدين، المخالطين المحبين للأولياء والصالحين؟ بل في هذا تسلية وأنس للمقصرين، المحبين للنبي -وآله خير آل.

القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ١٣/٢٣٢

٣) انظر الفرق! كيف نسب الله -في سورة الكهف- الكلب إلى الفتية؛ لأنهم صالحون، بينما في سورة الفيل نسب أبرهة وجيشه إلى الفيل؛ لحقارتهم عند الله.

متدبر

﴿وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ لِيَتَسَآءَلُوا۟ بَيْنَهُمْ ۚ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ ۖ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۚ قَالُوا۟ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَٱبْعَثُوٓا۟ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴿١٩﴾﴾

١) في قصة أصحاب الكهف تكرر رد العلم إلى الله: ﴿قَالُوا۟ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا﴾ (الكهف: ١٩)، ﴿رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ﴾ (الكهف: ٢١)، ﴿قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ﴾ (الكهف: ٢٢)، ﴿قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا۟﴾ (الكهف: ٢٦)؛ لأن العبرة هو العلم بثباتهم وتبرؤهم مما عليه قومهم، وأما غيره فالجهل به لا يضر.

د. محمد الخضيري

٢) ﴿فَٱبْعَثُوٓا۟ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ﴾ هذه الآية تدل على صحة الوكالة، وهي أقوى آية في إثباتها.

ابن العربي، أحكام القرآن ٥/٢٩٦

٣) الاحتراز عن الأمور الضارة، وكتمان السر الذي تضر إذاعته ضررًا عامًّا أو خاصًّا، كلُّ ذلك من كمال العقل، تأمل قوله ﷻ: ﴿فَٱبْعَثُوٓا۟ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا﴾.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن ١٦٥

٤) فسر بعض الأئمة قوله تعالى -في قصة أصحاب الكهف-: ﴿فَلۡيَنظُرۡ أَيُّهَآ أَزۡكَىٰ طَعَامٗا﴾ أي: أيها أحل، من أجل أنهم كانوا فارقوا قومهم وهم أهل أوثان، فلم يستجيزوا أكل ذبيحتهم[١].
وفي هذا إرشاد لتفقد الحلال في المطعم، وأن لا تنسينا لذة الطعام وجوده.

د. محمد الربيعة

٥) ﴿وَلۡيَتَلَطَّفۡ وَلَا يُشۡعِرَنَّ بِكُمۡ أَحَدًا﴾، ﴿إِنَّ رَبِّي لَطِيفٞ لِّمَا يَشَآءُۚ﴾ (يوسف:١٠٠)، ﴿فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾ (يوسف:٨٧)، عند التمعن في هذه الآيات: يتضح أن تحقيق الأمور العظيمة يحتاج إلى حكمة وتلطف ورفق وأناة مهما كانت قوة ومنزلة صاحبها.

أ. د. ناصر العمر

﴿وَكَذَٰلِكَ أَعۡثَرۡنَا عَلَيۡهِمۡ لِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيۡبَ فِيهَآ إِذۡ يَتَنَٰزَعُونَ بَيۡنَهُمۡ أَمۡرَهُمۡۖ فَقَالُواْ ٱبۡنُواْ عَلَيۡهِم بُنۡيَٰنٗاۖ رَّبُّهُمۡ أَعۡلَمُ بِهِمۡۚ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِمۡ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيۡهِم مَّسۡجِدٗا ٢١﴾

﴿قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِمۡ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيۡهِم مَّسۡجِدٗا﴾ اعلم أنَّ أكثر أهل القبور من الأنبياء والصالحين يكرهون ما يفعل عند قبورهم كل الكراهة؛ فتجد أكثر هؤلاء العاكفين على القبور معرضين عن سنة ذلك المقبور وطريقته، مشتغلين بقبره عما أمر به ودعا إليه.

ابن تيمية، اقتضاء الصراط المستقيم٢/٢٦٩

﴿سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٞ رَّابِعُهُمۡ كَلۡبُهُمۡ وَيَقُولُونَ خَمۡسَةٞ سَادِسُهُمۡ كَلۡبُهُمۡ رَجۡمَۢا بِٱلۡغَيۡبِۖ وَيَقُولُونَ سَبۡعَةٞ وَثَامِنُهُمۡ كَلۡبُهُمۡۚ قُل رَّبِّيٓ أَعۡلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعۡلَمُهُمۡ إِلَّا قَلِيلٞۗ فَلَا تُمَارِ فِيهِمۡ إِلَّا مِرَآءٗ ظَٰهِرٗا وَلَا تَسۡتَفۡتِ فِيهِم مِّنۡهُمۡ أَحَدٗا ٢٢﴾

١) ﴿وَيَقُولُونَ سَبۡعَةٞ وَثَامِنُهُمۡ كَلۡبُهُمۡ﴾ ولم يقل: رجمًا بالغيب، بل سكت، فهذا يدل على أن عددهم سبعة، وثامنهم كلبهم؛ لأن الله عندما أبطل القولين الأولين، وسكت عن الثالث؛ صار الثالث صوابًا.

ابن عثيمين، تفسير سورة الكهف ٤٢

---

(١) تفسير الطبري (١٧/٦٣٩).

٢) قال القرطبي في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَسۡتَفۡتِ فِيهِم مِّنۡهُمۡ أَحَدٗا﴾ روي أنه ﷺ سأل نصارى نجران عنهم فنهي عن السؤال، وفي هذا دليل على منع المسلمين من مراجعة أهل الكتاب في شيء من العلم[1].

الجامع لأحكام القرآن ١٠ /٣٨٤

٣) ﴿وَلَا تَسۡتَفۡتِ فِيهِم مِّنۡهُمۡ أَحَدٗا﴾ فيها إشارة إلى أن الإنسان لا ينبغي أن يستفتي من ليس أهلًا للإفتاء، حتى وإن زعم أن عنده علمًا فلا تستفته إذا لم يكن أهلًا.

ابن عثيمين، تفسير الكهف ٤٤

﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ٢٨﴾

١) عشرة المؤمنين والإبقاء على مودتهم والإغضاء عن هفواتهم، خصال تعتمد على الصبر الجميل ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥ﴾.

محمد الغزالي، خلق المسلم ١٢٣

٢) ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم﴾ هل تدبرنا لمن وجه هذا الخطاب؟ وكيف أن الذين طولب بصحبتهم أقل منه منزلة! بل وحذره من تركهم طلبًا لزينة الحياة الدنيا! إنه لدرس بليغ في بيان ضرورة مصاحبة الصالحين، والصبر على ذلك، وأن الدعوة إنما تقوم على يد من قويت صلتهم بربهم، ولو كان حظهم من الدنيا قليلًا!

د. عمر المقبل

٣) فتش في صداقاتك:

الفاسق المصر على الفسق لا فائدة في صحبته؛ لأن من يخاف الله لا يصر على كبيرة، ومن لا يخاف الله لا تؤمن غائلته، ولا يوثق بصداقته، بل يتغير بتغير الأغراض، وقد قال تعالى: ﴿وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾.

الغزالي، إحياء علوم الدين ٢ /١٧١

٤) الغفلة مضادة للعلم، منافية له، وقد ذم سبحانه أهلها، ونهى عن الكون منهم، وعن طاعتهم والقبول منهم، قال تعالى: ﴿وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ﴾ (الأعراف: ٢٠٥)، وقال تعالى: ﴿وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا﴾.

ابن القيم، مفتاح دار السعادة ١ /١١٢

(١) ويعني ﷺ بالعلم: العلم الشرعي.

٥) ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾ لم يقل لا تطع من أسكتنا لسانه، بل قال: ﴿مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ﴾، وما أكثر ذكرنا باللسان مع غفلة الجنان، وهذا لا شك أنه ينقص الثواب، وينقص الآثار المترتبة على الذكر مثل: صلاح القلب، والاتجاه إلى الله، والإنابة إليه، وغير ذلك.

ابن عثيمين، تفسير سورة الحديد٤٠٢- ٤٠٣

٦) تدبر قوله تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾ إن الجملة الأخيرة تدل على أن الأمر الفرط، أو الوضع السائب، أو المجتمع المحلول، يجيء ثمرة غفلة القلب، واتباع الهوى، سواء أكان ذلك في أحوال النفس أم في أخلاق الجماعة!

محمد الغزالي، سر تأخر العرب والمسلمين ١٢٢/١

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾﴾

كان الذي يتوقعه الإنسان أن يقول تعالى: (إنا لا نضيع أجرهم)، لكنه تعالى قال: ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾؛ لبيان العلة في ثواب هؤلاء، وهو أنهم أحسنوا العمل، وهل جزاء الإحسان إلا الإحسان؟ ولا يخفى ما في الآية الكريمة من الحث على إحسان العمل.

ابن عثيمين، تفسير سورة الكهف ٦٤-٦٥

﴿۞ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَـٰبٍ وَحَفَفْنَـٰهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴿٣٢﴾﴾

في سورة الكهف ضرب الله مثلًا برجلين جعل لأحدهما جنتين، فتكبَّر، فكان عاقبته كبره الخسار، ومن اللطائف: أنَّ هذه القصة جاءت بعد أمر الله تعالى لنبيِّه أن يصبر نفسه مع ضعفاء المؤمنين، خلافًا لكبراء قريش، الذين تكبَّروا عن الجلوس معهم، فكان عاقبتهم الخسار، كما كان عاقبة صاحب الجنتين.

ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ١٠٣/٣

﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَـٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴿٣٥﴾﴾

١) قوله تعالى عن صاحب الجنتين: ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ﴾ أفرد الجنة مع أنهما جنتان؛ لأن قوله هذا لم يقله إلا حين دخل إحداهما، إذ لا يمكن دخوله فيهما معًا في وقت واحد.. وللزمخشري جواب آخر لكن استنكره الشنقيطي.

الشنقيطي، أضواء البيان ٢٧٤/٣

٢) جميع أصحاب قصص سورة الكهف خرجوا وغيّروا مكانهم فنجحوا، إلا صاحب الجنتين، أسره ماله وانكفأ على نفسه: ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ﴾؛ فكان الخاسر الوحيد.

د. عويض العطوي

﴿قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرۡتَ بِٱلَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلٗا ﴿٣٧﴾﴾

من أعظم ما يذكر به المتكبر والجاحد للنعم: تنبيهه على أصل خلقته، التي يستوي فيها الأغنياء والفقراء، والملوك والسوقة، وهذا ما سلكه الرجل المؤمن -وهو يحاور صاحبه المتكبر-: ﴿أَكَفَرۡتَ بِٱلَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلٗا﴾.

د. عمر المقبل

﴿وَلَوۡلَآ إِذۡ دَخَلۡتَ جَنَّتَكَ قُلۡتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالٗا وَوَلَدٗا ﴿٣٩﴾﴾

قال ابن هبيرة عند هذه الآية: لم يقل (ما شاء الله كان) أو (لا يكون)، بل أطلق اللفظ؛ ليعم الماضي والمستقبل والراهن.

ذيل طبقات الحنابلة ٣/٢٢٢

﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصۡبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيۡهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُشۡرِكۡ بِرَبِّيٓ أَحَدٗا ﴿٤٢﴾﴾

هناك من يقبل الحوار ظاهرًا، لكنه يمارس عقلية العناد والاستكبار واقعًا، فلا ينفع معه في نهاية المطاف إلا إخضاعه لمنطق الحق والقوة، كما في قصة مالك الجنتين، إذ حاوره صاحبه حوارًا إيمانيًا منطقيًا، فكابر وعاند، فوجه له سهام (الدعاء) التي أحاطت بثمره، فعض أصابع الحسرة والندم: ﴿وَيَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُشۡرِكۡ بِرَبِّيٓ أَحَدٗا﴾.

أ. د. ناصر العمر

﴿ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾ ﴾

إنما شبه تعالى الدنيا بالماء؛ لأن الماء لا يستقر في موضع، كذلك الدنيا لا تبقى على حال واحدة، ولأن الماء لا يستقيم على حالة واحدة كذلك الدنيا، ولأن الماء لا يبقى ويذهب كذلك الدنيا تفنى، ولأن الماء لا يقدر أحد أن يدخله ولا يبتل، كذلك الدنيا لا يسلم أحد دخلها من فتنتها وآفتها، ولأن الماء إذا كان بقدرٍ كان نافعًا منبتًا، وإذا جاوز المقدار كان ضارًا مهلكًا، وكذلك الدنيا الكفاف منها ينفع وفضولها يضر.

القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ١٣/٢٨٩

﴿ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾ ﴾

١) قال علي بن أبي طالب ﷺ: المال والبنون حرث الدنيا، والأعمال الصالحة حرث الآخرة، وقد يجمعها الله لأقوام.

معالم التنزيل ٥ / ١٧٤

٢) إنما كان المال والبنون زينة الحياة الدنيا؛ لأن في المال جمالًا ونفعًا، وفي البنين قوة ودفعًا، فصارا زينة الحياة الدنيا؛ لكن مع قرينة الصفة للمال والبنين؛ لأن المعنى: المال والبنون زينة هذه الحياة المحتقرة فلا تتبعوها نفوسكم.

القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ١٣/٢٩١

٣) تقديم المال على البنين في الذكر؛ لأنه أسبق لأذهان الناس؛ ولأنه يرغب فيه الصغير والكبير، والشاب والشيخ، ومن له من الأولاد ما قد كفاه.

ابن عاشور، التحرير والتنوير ١٥/٧٧

٤) ﴿ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴾، ﴿ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا ﴾ (مريم:٧٦) الباقيات الصالحات هنَّ الكلمات المأثور فضلها: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، فمن لم يقدر له بلوغ رحاب البيت العتيق، لعرض أو لمرض، فلا تفته عشر ذي الحجة المباركة، فيعمل فيها أعمالًا هي أفضل من الجهاد في سبيل الله في غيرها.

د. سعود الشريم

﴿ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَاۚ وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرًاۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾ ﴾

١) قال عون بن عبد الله: ضج -والله- القوم من الصغار قبل الكبار

التمهيد ٢/٨٤

فتأمل -وفقك الله- هذه اللفتة من هذا الإمام في التحذير من صغار الذنوب التي يحتقرها كثير من الناس، مع أنها قد تجتمع على المرء فتهلكه.

٢) قال قتادة ﷺ: اشتكى القوم كما تسمعون الإحصاء، ولم يشتك أحدٌ ظلمًا، فإن الله لا يظلم أحدًا، فإياكم والمحقرات من الذنوب، فإنها تجتمع على صاحبها حتى تهلكه.

الدر المنثور ٩/٥٦٤

٣) من عشرين عاماً كلما قرأت هذه الآية أشعر أنني أنا المخاطب بها، وأحاول استعراض ما فعلت في الأسبوع وأعلم أن السيئات كتبت ورفعت إلى يوم الحساب ولن ينجيني سوى كثرة الاستغفار والتوبة.

متدبر

﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾ ﴾

١) ويشبه أن يكون تحت هذا الخطاب نوع من العتاب لطيف عجيب! وهو أني عاديت إبليس إذ لم يسجد لأبيكم آدم مع ملائكتي، فكانت معاداته لأجلكم، ثم كان عاقبة هذه المعاداة أن عقدتم بينكم وبينه عقد المصالحة؟

ابن القيم، الجواب الكافي (٥٦)

٢) معنى هذا الخطاب: إني عاديت إبليس وطردته من سمائي، وباعدته من قربي، إذ لم يسجد لأبيكم آدم، ثم أنتم يا بنيه توالونه وذريته من دوني وهم أعداء لكم، فليتأمل اللبيب مواقع هذا الخطاب وشدة لصوقه بالقلوب والتباسه الأرواح، وأكثر القرآن جاء على هذا النمط من خطابه لعباده بالتودد والتحنن واللطف والنصيحة البالغة.

ابن القيم، طريق الهجرتين ٢٢١

٣) ﴿ بِئْسَ لِلظَّـٰلِمِينَ بَدَلًا ﴾ أي: بدل ولاية لله ﷻ بولاية إبليس وذريته، وذلك هو التعوض من الجن بالباطل، وهذا هو نفس الظلم؛ لأنَّه وضع الشيء في غير موضعه.

ابن عطية، المحرر الوجيز ٣/٥٤٩

﴿ وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ۖ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا۟ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلْعَذَابَ ۚ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُوا۟ مِن دُونِهِۦ مَوْئِلًا ﴿٥٨﴾ ﴾

من الحكمة في ذكر قصة موسى والخضر بعد قوله: ﴿ وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ۖ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا۟ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلْعَذَابَ ﴾ «ليعلِّمَ نبيه ﷺ أنَّ تركَ الله تعالى تعجيلَ العذابِ لهؤلاء المشركين؛ بغير نظرٍ منه لهم، وإن كان ذلك -فيما يحسب مَنْ لا علمَ له بما اللهُ مدبِّرٌ فيهم- نظرًا منه لهم، فالمعنى: أنَّ مآلهم إلى هلاك وبوار بالسيف في الدنيا، واستحقاقهم في الآخرة الخزي الدائم من الله».

ابن جرير، جامع البيان ١٥/ ٣٦٨

﴿ وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَـٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ﴿٥٩﴾ ﴾

قد يستغرب البعض بل قد ييأس، وهو يرى بعض الكفرة يبغون ويظلمون، ومع ذلك لم يأخذهم الله بعذاب، ولكن من فقه سنن الله، وآثارها في الأمم السابقة لا يستغرب ولا ييأس؛ لأنه يدرك أن هؤلاء الكفرة يعيشون سنة الإملاء والاستدراج التي تقودهم إلى مزيد من الظلم والطغيان، وبالتالي إلى نهايتهم وهلاكهم؛ لكن في الأجل الذي حدده الله، قال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ﴾.

عبد العزيز الجليل

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾ ﴾

١) بوَّب البخاريُّ في كتاب العلم: «باب الخروج -أي: الرحلة والسفر- في طلب العلم»، وأورد قصة موسى عليه السلام لما رحل إلى الخضر؛ ليطلب العلم منه، وكان الخضر بمكان يلتقي فيها بحران: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا ﴾ (الكهف:٦٠) أي: زمانًا طويلًا بحثًا عنه.

صحيح البخاري ٧٨/ ٤٤٤٧

٢) إنَّ فيما عاناه موسى من الدَّأب والسفر والصبر على العلم، مع محل موسى من الله وموضعه من كرامته وشرف نبوَّته دلالة على ارتفاع قدر العلم، وعلو منزلة أهله، وحسن التواضع لمن يُلتمس منه.

الخطيب البغدادي، الرحلة في طلب الحديث ١٠٦

﴿فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾﴾

في قصة موسى والخضر جاء وصف رجوع الحوت إلى البحر في سياق إخبار الله ﴿سَرَبًا﴾، وفي وصف الفتى: ﴿عَجَبًا﴾، لعلَّ ذلك؛ لأن الوصف الأول هو وصف الله سبحانه للأمر، وخروج السمكة حية بعد أن كانت ميتة، ودخولها في البحر: أمر هين ويسير على الخالق، أما بالنسبة لمخلوق كغلام موسى؛ فإنَّه أمر في غاية العجب؛ لذلك قال: ﴿وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا﴾.

د. عويض العطوي

﴿فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾﴾

١) في قوله تعالى: ﴿ءَاتِنَا غَدَآءَنَا﴾ دليل على اتخاذ الزاد في الأسفار، وهو رد على الجهلة الأغمار، الذين يقتحمون الصحاري والقفار، زعمًا منهم أن ذلك هو التوكل على الله الواحد القهار، هذا موسى نبي الله وكليمه من أهل الأرض قد اتخذ الزاد مع معرفته بربه، وتوكله على رب العباد.

القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ٣٢١/١٣

٢) ﴿ءَاتِنَا غَدَآءَنَا﴾ تدبَّر قصة موسى مع فتاه وخادمه؛ تجد كرم الخلق، ولطافة المعاملة، وحسن الصحبة: يخبره بتفاصيل مسيره، ويشركه في طعامه، ويعذره في خطئه، بل يدخل السرور على نفسه إذهابًا لروعه: ﴿ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ﴾ (الكهف:٦٤)، وتأمَّل واقع كثير من الناس مع خدمهم، بل مع أبنائهم وطلابهم تدرك أين هم من أخلاق النبوة.

أ. د. ناصر العمر

٣) في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا﴾ دليل على جواز الإخبار بما يجده الإنسان من الألم والأمراض، وأن ذلك لا يقدح في الرضا، ولا في التسليم للقضاء لكن إذا لم يصدر ذلك عن ضجر ولا سخط.

القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ١٤/١١

٤) تأمل هذا الأدب الرفيع والخلق السامي بين موسى وفتاه ﷺ: فموسى يعامله كرفيق لا خادم: ﴿ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا﴾، وفتاه يـحمِّل نفسه المسؤولية وحده: ﴿فَإِنِّي نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ مع أن الحقيقة أنهما ﴿نَسِيَا حُوتَهُمَا﴾ جميعًا .. إنها أخلاق الأنبياء!

أ. د. ناصر العمر

﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ ﴾

عندما اختار الله معلمًا لنبيه موسى ﷺ مدح هذا المعلم بقوله: ﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴾ فقدم الرحمة على العلم؛ ليدل على أن من أخص صفات المعلم: الرحمة، وأن هذا أدعى لقبول تعليمه، والانتفاع به.

د. عبدالرحمن الشهري

﴿ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ ﴾

١) قال قتادة ﷺ: لو كان أحد يكتفي من العلم بشيء؛ لاكتفى موسى ﷺ، ولكنه قال: ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴾.

جامع بيان العلم وفضله ٤١٩/١

٢) ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴾ فيها دليل على أنَّ المتعلم تبعٌ للعالم، ولو تفاوتت المراتب.

ابن العربي، أحكام القرآن ١٢٤٥/٣

٣) ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴾ بدأه بعد السلام بالاستئذان على متابعته، وأنه لا يتبعه إلا بإذنه، وقوله: ﴿عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ ﴾ يبين أنه لم يأتِ ليمتحن ولا ليتعنَّت، إنما جاء متعلِّمًا مستزيدًا.

ابن القيم، مفتاح دار السعادة ١٥٠/١

٤) في قول موسى للخضر: ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴾ التأدب مع المعلم، وخطابه بألطف خطاب، وإقراره بأنه يتعلم منه، بخلاف ما عليه أهل الجفاء أو الكبر، الذي لا يظهر للمعلم افتقاره إلى علمه، بل يدعي أنه يتعاون هو وإياه، بل ربما ظن أنه يعلم معلمه، وهو جاهل جدًا، فالذل للمعلم، وإظهار الحاجة إلى تعليمه، من أنفع شيء للمتعلم.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن ٤٨٢

٥) قول موسى للخضر: ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾ نموذج لطالب العلم الجاد والأدب مع العلماء، فموسى ﷺ نبي مرسل، ولم تكن تلك المنزلة لتمنعه أن يتعلم ممن أقل منه، بل قطع الفيافي والقفار، ولم يتعاظم على العلم، وذهب في سبيله واجتهد حتى وصل.

د. عويض العطوي

أين هذا الأدب من بعض الطلبة والسائلين الذين يظهرون ترفعًا واستغناءً عمن يسألونه بسبب تقارب السن، أو القرابة، أو لغير ذلك من الأسباب؟

﴿قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾﴾

حكم عليه بعادة الخلق في عدم الصبر عما يخرج من الاعتياد، وهو أصل في الحكم بالعادة.

ابن العربي، أحكام القرآن ٣/٢٤٠

﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾﴾

من أخطاء بعض الشباب -بل بعض طلاب العلم- اقتصارهم على ما في بطون الكتب، وإهمال خبرات من سبقهم علمًا وتجربة، ومن تدبر القرآن رأى عنايته بهذا الأمر، تدبر: ﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا﴾ و﴿فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا﴾ (الفرقان:٥٩) وتحقق ما توقعه الخضر؛ ولذا استفاد موسى من ذلك، فقال للنبي في حديث فرض الصلاة: «**إن أمتك لا تطيق ذلك؛ فقد بلوت بني إسرائيل وخبرتهم**»[١].

أ. د. ناصر العمر

﴿قَالَ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾﴾

١) عندما أمر الله رسوله -في سورة الكهف- ألا يقول لشيء إني فاعل ذلك غدًا إلا بعد أن يقول: إن شاء الله؛ بيَّن له القدوة في فعل أخيه موسى حين قال: ﴿قَالَ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ﴾.

د. محمد الخضيري

٢) من أعظم ما يحتاجه طالب العلم مع شيخه: الصبر في طلبه، والأدب مع شيخه، وقد جمعها الله في قول موسى ﷺ للخضر: ﴿قَالَ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا﴾.

د. محمد الربيعة

(١) مسلم ح(١٦٢)، وأحمد ح(١٢٥٠٥).

﴿ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِي ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَاۖ قَالَ أَخَرَقۡتَهَا لِتُغۡرِقَ أَهۡلَهَا لَقَدۡ جِئۡتَ شَيۡـًٔا إِمۡرٗا ﴿٧١﴾ ﴾

١) بادر موسى بالإنكار التهابًا وحميةً للحق فقال: ﴿أَخَرَقۡتَهَا لِتُغۡرِقَ أَهۡلَهَا﴾ ولم يقل: (لتغرقنا) فنسي نفسه، واشتغل بغيره في الحالة التي كل أحد فيها يقول: «نفسي نفسي» لا يلوي على مال ولا ولد، وتلك حالة الغرق، فسبحان من جبل أنبياءه وأصفيائه على نصح الخلق، والشفقة عليهم والرأفة بهم.

القاسمي، محاسن التأويل ١١/ ٧٠ (بتصرف)

٢) ﴿أَخَرَقۡتَهَا لِتُغۡرِقَ أَهۡلَهَا لَقَدۡ جِئۡتَ شَيۡـًٔا إِمۡرٗا﴾ هنا ملمح لطيف: فموسى ﷺ قال: لتغرق أهلها، ولم يقل (تغرقنا) فلم يذكر نفسه ولا صاحبه، رغم أنهما كانا على ظهر السفينة؛ لأن هذه أخلاق الأنبياء: يهتمون بأوضاع الناس أكثر من اهتمامهم بأنفسهم، عليهم صلوات الله وسلامه أجمعين.

د. عويض العطوي

٣) قوله تعالى: ﴿ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِي ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَاۖ قَالَ أَخَرَقۡتَهَا لِتُغۡرِقَ أَهۡلَهَا لَقَدۡ جِئۡتَ شَيۡـًٔا إِمۡرٗا ﴾ فيه دلالة على أنَّ قلوب المؤمنين مجبولة على إنكار المنكر، وغير مالكة للصبر على احتماله؛ لأنَّ موسى ﷺ وعد الخضر أن يصبر على ما يراه منه، فلما رأى ما أنكره عليه.

القصاب، نكت القرآن ٢/٢١٥

٤) قال موسى للخضر لما خرق السفينة: ﴿لَقَدۡ جِئۡتَ شَيۡـًٔا إِمۡرٗا﴾ وقال له لما قتل الغلام: ﴿لَّقَدۡ جِئۡتَ شَيۡـًٔا نُّكۡرٗا﴾ فما الفرق بينهما؟ الإمر أهون من النكر، وقد لا يكون منكرًا كالنكر، وإنما يتعجب منه ومن الغرض منه، والنكر هنا أشد؛ لأنه فعل منكر قد وقع وهو قتل الغلام بخلاف خرق السفينة فإنها لم تغرق بذلك.

الإسكافي، درة التنزيل ١٥٧-١٥٨

﴿ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمٗا فَقَتَلَهُۥ قَالَ أَقَتَلۡتَ نَفۡسٗا زَكِيَّةَۢ بِغَيۡرِ نَفۡسٖ لَّقَدۡ جِئۡتَ شَيۡـًٔا نُّكۡرٗا ﴿٧٤﴾ ﴾

١) ﴿قَالَ أَقَتَلۡتَ نَفۡسٗا زَكِيَّةَۢ بِغَيۡرِ نَفۡسٖ لَّقَدۡ جِئۡتَ شَيۡـًٔا نُّكۡرٗا﴾ استدل بهذه الآية طائفةٌ من العلماء على أنَّ الغلام كان بالغًا، واستدل آخرون بنفس الآية على أنه لم يكن بالغًا فالذين قالوا: إنه لم يبلغ استدلوا بوصف النفس بأنها: ﴿زَكِيَّةَۢ﴾؛ أي: لم تذنب، واحتج من قال: إنه بالغ، بقوله: ﴿بِغَيۡرِ نَفۡسٖ﴾؛ فهذا يقتضي أنَّه لو كان عن قتل نفس لم يكن به بأس، وهذا يدلُّ على أنه بالغ، وإلا فلو كان لم يحتلم لم يجب قتله بنفس، ولا بغير نفس.

ابن عطية، المحرر الوجيز ٣/٥٦١

٢) حين أنكر موسى على الخضر خرق السفينة قال له الخضر: ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾﴾، وحين عاد موسى إلى الاعتراض على الخضر وأنكر قتله للغلام -بعد أن أكد للخضر أنه لن يعود للاعتراض عليه- قال له الخضر: ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾﴾ فزاد لفظة (لك)؛ ليفيد التأكيد في بيان عدم صبر موسى على علمه، وهكذا عادة العرب: تزيد في التأكيد كلما زاد الإنكار.

الغرناطي، ملاك التأويل ٧٨٩

﴿قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا ﴿٧٦﴾﴾

قف متأملًا هذا الموقف الكريم الحكيم من الكليم ﷺ: ﴿قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي﴾ ثم يلتمس العذر للخضر ﷺ في عدم رغبته في استمرار الصحبة: ﴿قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا﴾ (الكهف: ٧٦). فهل نفعل ذلك مع من نحتاج إليهم حتى لا نحرجهم في الاعتذار منا بطلب الفراق إذا لم يجد اللقاء؟

أ. د. ناصر العمر

﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾ وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَا أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾﴾

١) قال مطرف بن عبدالله في قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾: إنا لنعلم أنهما قد فرحا به يوم ولد، وحزنا عليه يوم قتل، ولو عاش لكان فيه هلاكهما، فليرض رجل بما قسم الله له؛ فإن قضاء الله للمؤمن خير من قضائه لنفسه، وقضاء الله لك فيما تكره خير من قضائه لك فيما تحب .

الدر المنثور ٣٩٥/٦

٢) يستفاد من قوله تعالى: ﴿فَخَشِينَا أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾ تهوين المصائب بفقد الأولاد وإن كانوا قطعًا من الأكباد، ومن سلَّم للقضاء أسفرت عاقبته عن اليد البيضاء.

القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ٣٥٤/١٣

٣) في سورة الكهف قال الخضر في خرق السفينة: ﴿فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا﴾، وفي قتل الغلام: ﴿فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا﴾، وفي بناء الجدار: ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ﴾.. فلماذا غيَّر في نسبة الأفعال في كلِّ واحدة؟ لما كان المقصود عيب السفينة قال: ﴿فَأَرَدتُّ﴾؛ فأضاف إرادة العيب لنفسه لا إلى الله تأدُّبًا معه، ولأنَّ نفس العيب مفسدة، ولما قتل الغلام قال: ﴿فَأَرَدْنَآ﴾ بلفظ الجمع؛ تنبيهًا على أنَّ القتل كان منه بأمر الله، وله حكمة مستقبليَّة، ولأنَّه مصلحةٌ مشوبةٌ بمفسدة، ولما ذكر السعي في مصلحة اليتيمين قال: ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ﴾، فنسب النعمة لله؛ لأنها منه ولأنها مصلحة خالصة.

الخازن، لباب التأويل ٤/٢٢٨ (بتصرف)

٤) من أجمل صفات المؤمنين: استعمال الأدب مع الله تعالى حتى في ألفاظهم؛ فإن الخضر أضاف عيب السفينة إلى نفسه بقوله: ﴿فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا﴾، وأما الخير فأضافه إلى الله، بقوله: ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ الكهف: ٨٢، وقال إبراهيم ﷺ: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾﴾ (الشعراء)، فنسب المرض إليه والشفاء إلى الله وقالت الجن: ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿١٠﴾﴾ (الجن)، مع أن الكل بقضاء الله وقدره.

السعدي، خلاصة تفسير القرآن ٤٥١

٥) قوله تعالى: ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا﴾، فيه فوائد منها: أن العبد الصالح يحفظه الله في نفسه وذريته وما يتعلق به، ومنها أن خدمة الصالحين وعمل مصالحهم أفضل من غيرهم؛ لأنه علل أفعاله بالجدار بقوله: ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا﴾.

السعدي، خلاصة تفسير القرآن ٤٥١

٦) من فوائد قصة موسى مع الخضر: أن من ليس له صبر على صحبة العالم والعلم، فإنه يفوته بحسب عدم صبره كثير من العلم، ومن استعمل الصبر ولازمه، أدرك به كل أمر سعى فيه.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن ٤٨٢

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾﴾

١) ﴿قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا﴾ هذا جواب لقريش عندما سألوا عن ذي القرنين، فأجابهم: أنه سيقتصر على ما تمس الحاجة إليه، مما يكون به التذكر والعبرة، دون الخوض في تفاصيل لا داعي لها، أو فائدتها قليلة، فهل يعي ذلك كثير من الدعاة والخطباء حيث تجد الحشو الممل والاستطرادات الخارجة عن الموضوع؟

أ. د. ناصر العمر

٢) الاقتصار في الكلام على ما تدعو الحاجة إليه منهج قرآني، تأمل ما ذكره الله في أول قصة ذي القرنين: ﴿سَأَتْلُواْ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا﴾ وهو سنة لنبينا ﷺ، حيث أعطي جوامع الكلم، فهل نتأسى بهذا المنهج المتين؟

أ. د. ناصر العمر

﴿قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾﴾

لما ذكر المشرك بدأ بتعذيبه، ثم ثنى بتعذيب الله، ولما ذكر المؤمن بدأ بثواب الله أولًا، ثم بمعاملته باليسر ثانيًا؛ لأن مقصود المؤمن الوصول إلى الجنة، بخلاف الكافر فعذاب الدنيا سابق على عذاب الآخرة.

ابن عثيمين، تفسير سورة الكهف ٢٩

﴿قَالُواْ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾﴾

في قوله تعالى: ﴿عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾، دليل على اتخاذ السجون، وحبس أهل الفساد فيها، ومنعهم من التصرف لما يريدونه، ولا يتركون على ما هم عليه، بل يحبسون حتى يعلم انكفاف شرهم، ثم يطلقون كما فعل عمر رضي الله عنه.

القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ١٣/٣٨٤

﴿قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾﴾

﴿مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ﴾ تأمل عفة نفسه، واستغنائه عما بين أيديهم، مع أنهم الذين عرضوا عليه الأموال بطيبة نفس، ومصلحة العمل لهم، ثم مع ما هو فيه من خير فقد طلب الإعانة البدنية، مما يبين مكانة العمل الجماعي وأثره في نجاح المشاريع الكبيرة مهما كانت إمكانات الفرد الذاتية.

أ. د. ناصر العمر

﴿وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَٰفِرِينَ عَرْضًا ﴿١٠٠﴾ ٱلَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِى غِطَآءٍ عَن ذِكْرِى وَكَانُوا۟ لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ﴿١٠١﴾﴾

١) قال تعالى في عرض النار على الكفار: ﴿وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَٰفِرِينَ عَرْضًا﴾، وقال تعالى في عرض الكفار على النار: ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ﴾ الآية (الأحقاف:٢٠)، فهي تقرب إليهم وهم -أيضًا- يقربون إليها، وذلك من زيادة العذاب عياذًا بالله.

الشنقيطي، أضواء البيان ٣/٣٤٧

٢) ﴿وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَٰفِرِينَ عَرْضًا ﴿١٠٠﴾﴾ وجاءت كلمة ﴿عَرْضًا﴾ نكرة، والمعنى: عرضًا عظيمًا تتساقط منه القلوب، ومن الحكم في ذكر ذلك: أن يصلح الإنسان ما بينه وبين الله، وأن يخاف من ذلك اليوم، ويستعد له، وأن يصور نفسه وكأنه تحت قدميه.

ابن عثيمين، تفسير سورة الكهف ١٤٠

٣) ﴿ٱلَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِى غِطَآءٍ عَن ذِكْرِى وَكَانُوا۟ لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا﴾ وهذا يتضمن معنيين: أحدهما: أن أعينهم في غطاء عما تضمنه الذكر من آيات الله، وأدلة توحيده، وعجائب قدرته، والثاني: أن أعين قلوبهم في غطاء عن فهم القرآن وتدبره، والاهتداء به، وهذا الغطاء للقلب أولًا، ثم يسري منه إلى العين.

ابن القيم، شفاء العليل ٩٣

﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا﴾

١) الحكمة تقتضي النظر في متدرجات أمور الدعوة لأخذ الناس بها، فالعقيدة أولًا، فهي إن لم تصح؛ فلن يجدي العمل.

د. صالح بن حميد

٢) كم من راكع وساجد، وناسك وعابد، يظن أنه مقبل على الله وهو هارب منه، وسائر إليه وهو راحل عنه! وذلك: لسوء قصده، وخبث طويته، وفساد سريرته، فمنهم من يشعر بذلك لكنه يتغاضى عنه، ومنهم من يخفى عنه ذلك لعظم جهالته، وفرط غباوته ﴿وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾.

العز بن عبد السلام، شجرة المعارف والأحوال ٣٥٩

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبۡغُونَ عَنۡهَا حِوَلٗا ١٠٨﴾

١) فإن قيل: قد عُلم أن الجنة كثيرة الخير، فما وجه مدحها بأنهم لا يبغون عنها حولًا؟ فالجواب: أن الإنسان قد يجد في الدار الأنيقة معنى لا يوافقه، فيحب أن ينتقل إلى دار أخرى، وقد يمل، والجنة على خلاف ذلك.

ابن الجوزي، زاد المسير ٤ / ٢٥٦

٢) اعتبر حال أهل الدنيا في قوله تعالى عن أهل الجنة: ﴿لَا يَبۡغُونَ عَنۡهَا حِوَلٗا﴾ فتجد الإنسان يتمنى (شقة).. فإذا ملكها تمنى (بيتًا).. فإذا ملكها تمنى (قصرًا)، وهكذا.. أما أهل الجنة؛ فقد اكتملت لهم السكنى في الجنة، فلا يريدون أن يتحوَّلوا عما هم فيه.

د. مساعد الطيار

﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ١١٠﴾

الحكمة في الإتيان بـ(مثلكم) -والله أعلم- لتأكيد تشابه البشرية، وأنني لا أتميز عليكم بشيء إلا بالوحي: ﴿يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ﴾

ابن عثيمين، شرح رياض الصالحين٢/٢٣

سُورَةُ مَرْيَمَ

﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ۝٣﴾

إخفاء الدعاء والإسرار بالمسألة: مناجاة للرب، وإيمان بأن الله سميع، وذل واستكانة، وسنة من سنن المرسلين.

د. عبد الله السكاكر

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ۝٤﴾

قال ابن عيينة في قول زكريا ﷺ: ﴿وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾ أي: سعدت بدعائك وإن لم تعطني.

الدر المنثور ٥/٤٨٠

﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا ۝١١﴾

فتح أبوابٍ أُخرى:

﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ﴾ حُبِس زكريا عن الكلام، فدعا بالإشارة.

الداعية لا يتوقف.. إن أُغلقَ في وجههِ بابٌ، فَتَحَ بابًا آخر!

محمد الغرير

﴿يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ۝١٢﴾

١) ﴿خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ﴾ لقد زلزل المؤمنون بالقرآن الأرض يوم زلزلت معانيه نفوسهم، وفتحوا به الدنيا يوم فتحت حقائقه عقولهم، وسيطروا به على العالم يوم سيطرت مبادئه على أخلاقهم ورغباتهم، وبهذا يعيد التاريخ سيرته الأولى.

مصطفى السباعي، هكذا علمتني الحياة ٢٦٧

٢) ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا﴾ قال معمر بن راشد: بلغني أن الصبيان قالوا ليحي بن زكريا: اذهب بنا نلعب، قال: ما للعب خلقت!

الدر المنثور ١٠/٢٢

اللعب ليس محرمًا على الإطلاق؛ لكنَّ من نعم الله على العبد أن يدرك علة خلقه مبكّرًا.

﴿ فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ ﴾

﴿ فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا ﴾ حجابًا يحجبها عن عبّاد بيت المقدس، فما بال بعض بناتنا لا تتخذ حجابًا حتى عن الفساق؟!

د. عبدالمحسن المطيري

﴿ فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾ ﴾

﴿قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا ﴾ قالتها امرأةٌ صالحة في لحظةِ ألم؛ لا تعاتب على الكلمات في الأوقات الصعبة.

د. عبدالله بلقاسم

﴿وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ ﴾

١) ﴿وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴾ أمر الله مريم -المرأة الضعيفة النفساء- بهزِّ جذع النخلة التي تثقل الرجال، والله قادر أن يكرمها برزق -كما في سورة آل عمران-؛ ليعلم الناس أهمية بذل السبب:

ولو شاء أن تجنيه من غير هزَّة جنته ولكن كل شيء له سبب

الشنقيطي، أضواء البيان ٣/ ٣٩٩ (بتصرف)

٢) كم مرة قرأت قصة مريم؟

تأمل في هذين الوجهين من أوجه كرامتها:

- أمرت بهز الجذع وليس أعلاه، والجذع عادة لا يتحرك ولو هزه الرجل القوي.

- أن الرطب إذا تساقط من علو -عادة- فإنه يفسد ويتفضخ؛ لكنه في شأنها بقي رطبًا جنيًا كأنه مخروف باليد.

ابن عثيمين، شرح العقيدة السفارينية ٥٤١، ٦٤٨

٣) ﴿تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴾ الرطب الجني: الغض قريب التناول، قال أحد السلف: ما مِن شيء خيرٌ للنفساء من الرطب.

ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ٥/٢٢٥

ومثلها: الصائم المنهك، فإنه يفطر على رطب، فهو أصلح شيء له، ودلت السنة عليه، قبل أن يعرفه الطب الحديث.

٤) يحتفل النصارى بميلاد المسيح في الشتاء، وفي القرآن إشارة إلى خطأهم في هذا التوقيت، تأمل قوله تعالى: ﴿وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا﴾ أليس الرُّطب مما ينضج في الصيف؟ فكيف يحتفلون بميلاد المسيح في الشتاء؟!

د. عويض العطوي

﴿فَأَتَتۡ بِهِۦ قَوۡمَهَا تَحۡمِلُهُۥۖ قَالُواْ يَٰمَرۡيَمُ لَقَدۡ جِئۡتِ شَيۡـٔٗا فَرِيّٗا ٢٧ يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمۡرَأَ سَوۡءٖ وَمَا كَانَتۡ أُمُّكِ بَغِيّٗا ٢٨﴾

١) تأمل خطورة الاستعجال ورمي البريء -المشهود له بحسن السيرة والسريرة- بتهمة عظيمة، بمجرد قرينة لا تثبت أمام الدليل والبرهان القاطع.

أ. د. ناصر العمر

٢) ﴿يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمۡرَأَ سَوۡءٖ وَمَا كَانَتۡ أُمُّكِ بَغِيّٗا﴾ تدبر كيف جمع أطراف القرابة المباشرة في هذه الآية؛ لعظيم أثرهم على المرأة صلاحًا أو فسادًا، مما يقتضي أهمية التحري عن البيت الصالح؛ لأثره المباشر: ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحٗا﴾ (الكهف: ٨٢).

أ. د. ناصر العمر

﴿قَالَ إِنِّي عَبۡدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلۡكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيّٗا ٣٠﴾

تأمل في سر قول عيسى ﷺ -أول ما تكلم-: ﴿قَالَ إِنِّي عَبۡدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلۡكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيّٗا﴾ قال وهب: أقر عيسى على نفسه بالعبودية لله ﷻ أول ما تكلم؛ لئلا يتخذ إلهًا.

معالم التنزيل للبغوي ٥/٢٣٠

﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيۡنَ مَا كُنتُ وَأَوۡصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمۡتُ حَيّٗا ٣١﴾

١) ابحث عن صفات الإنسان المبارك في حياتك: قال الله تعالى إخبارًا عن المسيح ابن مريم: ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيۡنَ مَا كُنتُ﴾ أي: معلمًا للخير، داعيًا إلى الله، مذكرًا به، مرغبًا في طاعته، فهذا من بركة العبد، ومن خلا من هذا، فقد خلا من البركة، ومحقت بركة لقائه والاجتماع به، بل تمحق بركة من لقيه واجتمع به.

ابن القيم، رسالة ابن القيم إلى أحد إخوانه ٥

٢) تأمل في سير الأنبياء والمصلحين، إذ تجد البركة في حياتهم، مع قلة إمكاناتهم المادية وصعوبة الحياة في أزمانهم، فاقتد بهم، متدبرًا قول عيسى عليه السلام -إذ وصف نفسه- مثنيًا على ربه: ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ﴾.

أ. د. ناصر العمر

﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٩﴾﴾

١) يوم حسرتهم وندمهم على ما فرطوا في جنب الله، وحسرتهم يوم أورثت مساكنهم من الجنة أهل الإيمان بالله والطاعة له، وحسرتهم يوم أدخلوا النار، وأيقن الفريقان بالخلود الدائم، والحياة التي لا موت بعدها، فيا لها من حسرة وندامة.

الطبري، جامع البيان ١٨/٢٠٠

٢) عندما يفقد أحدنا عزيزًا عليه: شخص، مال،... إلخ؛ فإنه غالبًا يصاب بحالة من الحزن والهم؛ فكيف بمن يخسر الدنيا والآخرة: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ﴾؟!

متدبر

﴿يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾﴾

فإنه لم يخل هذا الكلام من حسن الأدب مع أبيه، حيث لم يصرح فيه بأن العذاب لاحق له، ولكنه قال: ﴿إِنِّي أَخَافُ﴾ فذكر الخوف والمس، وذكر العذاب، ونكّره، ولم يصفه بأنه يقصد التهويل، بل قصد استعطافه؛ ولهذا ذكر الرحمن ولم يذكر المنتقم ولا الجبار.

الزركشي، البرهان ٣/٣٨١

﴿وَوَهَبْنَا لَهُ مِن رَّحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا ﴿٥٣﴾﴾

فتأمل في قوله تعالى: ﴿مِن رَّحْمَتِنَا﴾ الأخوة رحمة من رحمات الله، ومن رحمة الله قول النبي ﷺ: «**وددت لو أني لقيت إخواني**»[١]، فهل ترانا نستحق أخوته ﷺ، ثم نشتاق لرؤيته كما اشتاق لرؤيتنا بأبي هو وأمي؟

متدبر

(١) أحمد ح(١٢٥٧٩).

﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِسۡمَٰعِيلَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا ﴿٥٤﴾ وَكَانَ يَأۡمُرُ أَهۡلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرۡضِيّٗا ﴿٥٥﴾ ﴾

١) قال الحسن البصري ﵀: من كان له واعظ من نفسه، كان له من الله حافظ، فرحم الله من وعظ نفسه وأهله، فقال: يا أهلي صلاتكم صلاتكم، زكاتكم زكاتكم، مساكينكم مساكينكم، لعل الله أن يرحمكم يوم القيامة؛ فإن الله ﷻ أثنى على عبد كان هذا عمله، فقال: ﴿ وَكَانَ يَأۡمُرُ أَهۡلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرۡضِيّٗا ﴾ .

النفقة على العيال لابن أبي الدنيا ٥٠٦

٢) قال تعالى عن نبيه إسماعيل: ﴿ وَكَانَ يَأۡمُرُ أَهۡلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ ﴾ ومن هنا فالمجلس القرآني حقيقة هو الذي استطاع جلساءه أن ينقلوا التجربة الإيمانية إلى داخل أسرهم؛ بتكوين مجالس أسرية للقرآن، يكون جلساؤها: الأطفال والملائكة، فأنعم به من مجلس مبارك إذن، وأنعم به من بيت طاهر، أفاض الله عليه بالنور والجمال.

د. فريد الأنصاري، مجالس القرآن ٨٩

٣) ﴿ وَكَانَ يَأۡمُرُ أَهۡلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ ﴾ لا تفوض هذه المهمة لأحد، وقد مدح الله بها الأنبياء.

د. عبد الله بلقاسم

٤) ﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِسۡمَٰعِيلَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا ﴿٥٤﴾ وَكَانَ يَأۡمُرُ أَهۡلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرۡضِيّٗا ﴾ وسرد الصفات الفاضلة على هذا الترتيب؛ يدلك على ما لصدق الوعد من مكانة.

محمد الغزالي، خلق المسلم ٣٥

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنۡ حَمَلۡنَا مَعَ نُوحٖ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنۡ هَدَيۡنَا وَٱجۡتَبَيۡنَآۚ إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُ ٱلرَّحۡمَٰنِ خَرُّواْۤ سُجَّدٗاۤ وَبُكِيّٗا ۩ ﴿٥٨﴾ ﴾

قرأ عمر بن الخطاب سورة مريم فسجد عند هذه الآية، ثم قال: هذا السجود، فأين البكاء؟

جامع البيان للطبري ١٨/٢١٤

﴿ ۞ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ ﴾

اتبعوها: أرادوها وصارت هي همهم، وانقادوا لها وصاروا مطيعين لها؛ فلذلك قال: ﴿وَٱتَّبَعُواْ﴾ ولم يقل: (تناولوا وأكلوا) ونحو ذلك؛ لهذا المعنى.

السعدي، المواهب الربانية من الآيات القرآنية ٦٠

فهل يعي هذا من قلبوا أفراح الأعياد إلى انكباب على الشهوات؟!

﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا فَٱعۡبُدۡهُ وَٱصۡطَبِرۡ لِعِبَٰدَتِهِۦۚ هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾ ﴾

ذكر ابن تيمية ﷺ أن هذه الآية جمعت أنواع التوحيد الثلاثة: توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات، فحاول أن تستخرجها، زادك الله فهمًا لكتابه.

مجموع الفتاوى ٣٦٦/٢٧

﴿ وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُواْ لَهُمۡ عِزًّا ﴿٨١﴾ كَلَّاۚ سَيَكۡفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمۡ وَيَكُونُونَ عَلَيۡهِمۡ ضِدًّا ﴿٨٢﴾ ﴾

ما علق العبد رجاءه وتوكله بغير الله إلا خاب من تلك الجهة، ولا استنصر بغير الله إلا خذل.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى ٢٩/١

﴿ فَلَا تَعۡجَلۡ عَلَيۡهِمۡۖ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمۡ عَدًّا ﴿٨٤﴾ ﴾

١) كان الحسن البصري يعظ فيقول: المبادرة، المبادرة! فإنما هي الأنفاس، لو حبست انقطعت عنكم أعمالكم التي تتقربون بها إلى الله تعالى! رحم الله امرأ نظر إلى نفسه، وبكى على عدد ذنوبه، ثم قرأ هذه الآية: ﴿إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمۡ عَدًّا﴾ يعني: الأنفاس، آخر العدد خروج نفسك، آخر العدد فراق أهلك، آخر العدد دخولك في قبرك!.

العاقبة في ذكر الموت للأشبيلي ٨٢

٢) يستشكل بعض الناس إمهال الله تعالى الزنادقة والملحدين وعدم معاجلتهم بالعقوبة، وجواب ذلك: أن له ﷻ حِكَمًا عظيمة في ذلك، منها زيادة آثامهم؛ لتزداد عقوبتهم في الآخرة، قال تعالى: ﴿ أَلَمۡ تَرَ أَنَّآ أَرۡسَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمۡ أَزًّا ﴿٨٣﴾ فَلَا تَعۡجَلۡ عَلَيۡهِمۡۖ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمۡ عَدًّا ﴾، وقال سبحانه: ﴿إِنَّمَا نُمۡلِي لَهُمۡ لِيَزۡدَادُوٓاْ إِثۡمًاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ (آل عمران: ١٧٨).

د. إبراهيم الحميضي

﴿ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ
وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ ﴾

١) وإنما قيل: ﴿ لَّقَدْ جِئْتُمْ ﴾ وهو خطاب للحاضر بعد قوله: ﴿ وَقَالُوا۟ ﴾ وهو خطاب للغائب؛ لفائدة حسنة وهي زيادة التسجيل عليهم بالجراءة على الله تعالى والتعرض لسخطِهِ، وتنبيهٌ لهم على عِظَم ما قالوه كأنه يخاطب قومًا حاضرين بين يديه مُنكِرًا عليهم ومُوبخًا لهم.

ابن الأثير، المثل السائر٢/٥

٢) ﴿ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴾ فيه إشارة إلى أن قول الباطل قد يتسبب بمصائب الأرض.

د. محمد السعيدي

٣) ﴿ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴾ فإذا كانت الجبالُ تنهدُّ غيرةً على التوحيد والإيمان، فكيف بقلب المؤمن الذي يخاف الله ويرجو رحمته، فإنه أولى وأحرى.

د. محمد المختار الشنقيطي

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾ ﴾

١) قال ابن عباس رضي الله عنهما: «أي: محبة الناس في الدنيا».

الدر المنثور ١٠/١٣٢

القلوب النقية تحب العبد المؤمن لإيمانه، ولو لم يكن منه إحسان، فكيف سيكون الحبُّ لو اقترن به إحسانٌ إلى الخلق؟!

٢) ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴾ كم من مؤمن بالله عز وجل ترى عيون الخلق تعظمه وألسنتهم تمدحه، ولا يعرفون لِمَ؟ ولا يقدرون على وصفه!

ابن الجوزي، صيد الخاطر ٣٠١

﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًۢا ﴿٩٨﴾ ﴾

لا ينقضي العجب من اليائسين من إصلاح أوضاع الأمة؛ بسبب ما يرونه من طغيان ومكر كبار، فاستسلموا للذل والهوان، مع أنهم لو تساءلوا: أين بعض عتاة الظالمين، الذين كانوا يسومون المستضعفين من شعوبهم سوء العذاب؟ ﴿هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًۢا ﴾.

أ. د. ناصر العمر

سورة طه

سورة طه تضمنت عددًا من المقاصد: أجلاها ذكر أصول السعادة، حيث ذكر في مفتتحها: ﴿طه ﴿١﴾ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ﴿٢﴾﴾، ثم ذكرت تفاصيل السعادة في تضاعيفها كتوحيد الله، والدعوة إلى سبيله، والإكثار من ذكره، ثم أجملت في آخرها ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾﴾.

د. محمد الحمد، خواطر ٢٢٨

﴿طه ﴿١﴾ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ﴿٢﴾﴾

١) قال قتادة ﷺ: لا والله، ما جعله الله شقيًا، ولكن جعله الله رحمة ونورًا ودليلًا إلى الجنة.

الدر المنثور ٥/٥٥٢

فتأمل الآية وتعليق هذا الإمام عليها، ثم لك أن تتعجب أن يتقلب مسلم في الشقاء وكتاب الله بين يديه!

٢) كنت أمر بوضع صحي ونفسي واجتماعي سيئ، فسمعت أحد العلماء يفسر قوله تعالى: ﴿طه ﴿١﴾ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ﴾؛ فلما فرغ من برنامجه، فتحت المصحف، وبدأت أقرأ باحثة عن السعادة، فأقسم بالله أنني ما أغلقت المصحف إلا وقد أحسست بها، فعرفت أننا فرطنا في هذا الكنز العظيم -الذي بين أيدينا- كثيرًا.

متدبرة

﴿تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى ﴿٤﴾﴾

قال الله في القرآن: ﴿تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى﴾ هذا تعظيم لشأن القرآن، وإنما عظّم القرآنَ ترغيبًا في تدبره والتأمل في معانيه وحقائقه، وذلك معتاد في الشاهد؛ فإنه تعظم الرسالة بتعظيم حال المرسِل؛ ليكون المرسَل إليه أقرب إلى الامتثال.

الرازي، مفاتيح الغيب ٢٢/٨

﴿ وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ﴿٧﴾ ﴾

﴿يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما: السر: ما أسرَّه ابن آدم في نفسه، وأخفى: ما خفي عن ابن آدم مما هو فاعله قبل أن يعلمه، فإنه يعلم ذلك كله.

تفسير ابن أبي حاتم ٧/٢٤١٦

فتأمل يا ابن آدم سعة علم الله بك وبخواطرك!

﴿وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴿١٣﴾ ﴾

لك الفخر إن كنت تعقل!

هذا الرب العظيم، قدر برحمته أن يكلمك أنت أيها الإنسان، فكلمك بالقرآن.. أوَ تدري ما تسمع؟ رب الكون يكلمك! ﴿فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ﴾!

أي وجدان وأي قلب يتدبر هذه الحقيقة العظمى، فلا يخر ساجدًا لله الواحد القهار رغبًا ورهبًا؟ اللَّهُمَّ إلا إذا كان صخرًا أو حجرًا، كيف، وهذا الصخر والحجر من أخشع الخلق لله؟ ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾ (الحشر: ٢١).

د. فريد الأنصاري، بلاغ الرسالة القرآنية ٤٦- ٤٧ (باختصار)

﴿ قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى ﴿٢٦﴾ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا۟ قَوْلِى ﴿٢٨﴾ وَٱجْعَل لِّى وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِى ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِى ﴿٣٠﴾ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِى ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِىٓ أَمْرِى ﴿٣٢﴾ كَىْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ ﴾

١) الداعية محتاج إلى انشراح الصدر؛ ليتمكن من إيصال دعوته بأيسر كلفة؛ ولأجل أن يراه الناس على أكمل ما يكون من السرور، فتسري تلك الروح منه إلى المدعوين، فتتحقق بذلك السعادة، التي هي من أعظم مقاصد الدعوة، وأما إذا ضاق صدره، وقل صبره، فلن يقوم بعمل كبير، ولن يصدر عنه خير كثير.

د. محمد الحمد

٢) طموحٌ في الدعاء: ﴿وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى﴾ كن طَموحًا في دعائك، مِثْلُ موسى عليه السلام لم يطلب تيسير أمر دعوة فرعون فقط، بل طلب تيسير أمر حياته كلها.

د. عبدالله بلقاسم

٣) جوّدْ عبارتك: ﴿ وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي ٢٧ يَفۡقَهُواْ قَوۡلِي ﴾ فصاحة لسان الداعية إلى الدين والواعظ المنذر تعين على تدبر ما يقول وفقهه.

محمد رشيد رضا، تفسير المنار٩/٣٥٣

٤) الاستعانة إذا كانت بأولي القربى من أهل النسب، أو التربية، أو الصحبة القديمة كانت أكمل؛ لما يقع في ذلك من مجانسة خلقهم لخلقه، فتتم المشاكلة في الاستعانة، قال تعالى: ﴿وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرٗا مِّنۡ أَهۡلِي ٢٩ هَٰرُونَ أَخِي ٣٠ ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ أَزۡرِي ٣١ وَأَشۡرِكۡهُ فِيٓ أَمۡرِي ﴾.

ابن خلدون، مقدمته ٣١٩

٥) في قوله تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي ﴾ إلى قوله: ﴿ كَيۡ نُسَبِّحَكَ كَثِيرٗا ﴾ أدب من آداب الدعاء، وهو نبل الغاية، وشرف المقصد، وقريب منه قوله ﷺ: «**اللّهُمَّ اشف عبدك فلانًا، ينكأ لك عدوًا، أو يمشي لك إلى صلاة**»[1].

د. محمد الحمد

﴿ أَنِ ٱقۡذِفِيهِ فِي ٱلتَّابُوتِ فَٱقۡذِفِيهِ فِي ٱلۡيَمِّ فَلۡيُلۡقِهِ ٱلۡيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأۡخُذۡهُ عَدُوّٞ لِّي وَعَدُوّٞ لَّهُۥۚ وَأَلۡقَيۡتُ عَلَيۡكَ مَحَبَّةٗ مِّنِّي وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ ٣٩ ﴾

الماء خَلْقٌ من خَلق الله، أمره بإنجاء موسى: ﴿ فَلۡيُلۡقِهِ ٱلۡيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ ﴾ وأمره بإغراق عدوه فرعون: ﴿فَأَغۡرَقۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡيَمِّ ﴾، (الأعراف: ١٣٦) كل ذلك مع ما كان فيه موسى من أسباب الضعف، وما كان فيه فرعون من أسباب القوة، فسبحان من هذا تدبيره!

د. عويض العطوي

﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ ٤٤ ﴾

١) قرأ رجل عند يحي بن معاذ هذه الآية: ﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا ﴾، فبكى يحي، وقال: إلهي هذا رفقك بمن يقول أنا الإله! فكيف رفقك بمن يقول أنت الإله؟!، هذا رفقك بمن قال: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ ٢٤ ﴾ (النازعات)، فكيف بمن قال: (سبحان ربي الأعلى)؟.

معالم التنزيل ١/٢٧٤

٢) ﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا ﴾ كان اللين في الأسلوب والطريقة، ولم يكن في المضمون والعقيدة.

صالح المغامسي

---

(١) الطبراني ح(١٠٧).

٣) إذا أمرنا الناس بالدعوة، فيلزمنا أن نعلمهم أصولها وأساليبها؛ لئلا يسيئوا إليها، ولنا في ربنا قدوة، لما أمر موسى بالدعوة قال له: ﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ ﴾، ثم وضح القول اللين بقوله: ﴿ فَقُلۡ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ١٨ وَأَهۡدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخۡشَىٰ ١٩ ﴾ (النازعات).

د. محمد الخضيري

﴿ قَالَ لَا تَخَافَآۖ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ ٤٦ ﴾

النجاة والنصر بين ﴿لَا﴾ و﴿كَلَّآ﴾: لما خاف موسى من أعدائه المخالفين، قال له ربه: ﴿لَا تَخَافَآۖ إِنَّنِي مَعَكُمَآ﴾، ولما قال بعض أصحابه: ﴿إِنَّا لَمُدۡرَكُونَ﴾: قال: ﴿ قَالَ كَلَّآۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهۡدِينِ ٦٢ ﴾. فلا نجاة ولا نصر إلا بقول: ﴿لَا﴾ للأعداء، وبقول: ﴿كَلَّآ﴾ لمن ضعف إيمانهم، أو أصابتهم حمى التخذيل، فالمخذلون -أحيانًا- قد يؤثرون أكثر من الأعداء! فتأمل هذا، ثم اقرنه بحديث: «**لا تزال طائفة من أمتي على الحق لا يضرهم من خذلهم**»(١)؛ تعرف الطريق.

د. محمد القحطاني

﴿ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِيٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ٥٠ ﴾

هذه النملة إذا خزنت الحب في بيوتها كسرته بنصفين، علمًا منها بأنه ينبت إذا كان صحيحًا، وأنه إذا انكسر لا ينبت، فإذا خزنت الكفرة كسرتها بأربعة أرباع، علمًا منها بأنها تنبت إذا كسرت بنصفين، فتدبر ﴿ٱلَّذِيٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾.

ابن القيم، مفتاح دار السعادة ٢ /٢١٧

﴿ قَالَ عِلۡمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٖۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ٥٢ ﴾

قف متأملًا لهذه الآية: ﴿قَالَ عِلۡمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٖۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾ حيث أزال تطرق الوهم بأن كتابتها خوفًا من خطأ أو نسيان، كلا.. وإنما هو الضبط والإحكام، كما في: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلۡحُبُكِ﴾ (الذاريات:٧).

فإذا كان كذلك وهو سبحانه لا يضل ولا ينسى؛ فكيف يهمل الإنسان تقييد الحقوق وقد جبل على الخطأ والنسيان؟!

أ. د. ناصر العمر

(١) الترمذي ح(٢٢٢٩).

﴿ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ ﴿٦١﴾ ﴾

﴿وَقَدْ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ﴾ ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُفْتَرِينَ﴾ الأعراف:١٥٢، هذا وعدٌ إلهي وسنَّةٌ مطَّردةٌ في خيبة وعقوبة كل مُفترٍ، وهو بشرى وتسلية لكل مظلوم مفترًى عليه بأنَّ الله ناصرُه ولو بعد حين؛ فلا يستعجل ولا ييأس، فإنَّه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون.

أ. د. ناصر العمر

﴿ فَأَجْمِعُوا۟ كَيْدَكُمْ ثُمَّ ٱئْتُوا۟ صَفًّا ۚ وَقَدْ أَفْلَحَ ٱلْيَوْمَ مَنِ ٱسْتَعْلَىٰ ﴿٦٤﴾ ﴾

عرف السحرة أهمية جمع كلمتهم، فتنادوا لذلك؛ فالمصلحون أولى أن يجتمعوا.

د. عبدالمحسن المطيري

﴿ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ﴿٦٥﴾ قَالَ بَلْ أَلْقُوا۟ ۖ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾ ﴾

والحكمة في هذا -والله أعلم-؛ ليرى الناس صنيعهم ويتأملوه، فإذا فرغوا من بهرجهم، جاءهم الحق الواضح الجلي بعد تَطَلُّبٍ له، وانتظار منهم لمجيئه، فيكون أوقع في النفوس، وكذا كان.

ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ٣/٤٥٦

﴿ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ ۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴿٧١﴾ ﴾

﴿إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ﴾ إنما قال هذا تسترًا وتدليسًا على رعاع دولته وجهلتهم، كما قال تعالى: ﴿ فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ ﴾ (الزخرف:٥٤).

ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ٣/٤٥٨

﴿ قَالُوا۟ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴿٧٢﴾ ﴾

١) قد يتسلط شيطان البشر على كل شيء فيك وكل شيء حولك إلا شيئًا واحدًا، إنه قلبك إذا اتصل بربك؛ فتأمل قصة آسية امرأة فرعون، وتأمل قول السحرة حين آمنوا: ﴿ قَالُوا۟ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴾.

د. محمد المصري

٢) كان سحرة فرعون آية في اليقين الصحيح والإخلاص العالي عندما رفضوا الإغراء، وحقروا الإرهاب، وداسوا حب المال والجاه، وقالوا للملك الجبار: ﴿فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴿٧٢﴾﴾، وشتان بين هؤلاء الذين يستهينون بالدنيا في سبيل الله، وبين الذين يسخرون الدين نفسه في التقرب من كبير أو الاستحواذ على حقير.

محمد الغزالي، خلق المسلم ٩١

﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾﴾

ومن أعجب ما ظاهِره الرجاء وهو شديد التخويف، قوله تعالى: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ﴾؛ فإنه علَّق المغفرة على أربعة شروط يصعب تصحيحها.

المقدسي، مختصر منهاج القاصدين ٦٨/٤

﴿قَالَ هُمْ أُوْلَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴿٨٤﴾﴾

١) قال ابن القيم رحمه الله: وظاهر الآية أن الحامل لموسى على العجلة هو طلب رضى ربِّه، وأنَّ رضاه في المبادرة إلى أوامره والعجلة إليها؛ ولهذا احتجَّ السلف بهذه الآية على أن الصلاة في أول الوقت أفضل، سمعت شيخ الإسلام ابن تيمية يذكر ذلك، فقال: إن رضى الرب في العجلة إلى أوامره.

مدارج السالكين ٥٩/٣

٢) سباق من نوع آخر:

السابق إلى ربه حري بأن يرضى الله عنه، تأمل: ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ﴾ فإذا قرنت هذه الآية مع قوله ﷺ -كما في الصحيح-: «**سبق المفردون**» ثم فسرهم بأنهم: «**الذاكرون الله كثيرًا والذاكرات**»[1]؛ تحصَّل لك: أن أسبق الناس إلى الله هم الذاكرون الله كثيرًا، ومن كان كذلك، رضي الله عنه.

د. محمد القحطاني

(١) مسلم ح (٢٦٧٦)، وابن حبان ح (٨٥٨).

﴿ قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنۢ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِىُّ ﴿٨٥﴾ ﴾

لما قيل لموسى: ﴿قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنۢ بَعْدِكَ﴾ توجه إلى:

- قومه أولًا: ﴿يَٰقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا﴾؟!

- ثم نائبه في غيابه: ﴿يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓا۟﴾؟

- ثم صاحب الفتنة: ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَٰسَٰمِرِىُّ﴾؟ وإنما بدأ بهم في اللوم؛ لأن البالغ العاقل مسؤول عن نفسه، فليس يعذره قوةُ الإغراء، ولا تيسرُ أسباب الشر، فالتَّبعة عليه أولًا. والله أعلم.

د. عبدالمحسن المطيري

﴿ قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى وَلَا بِرَأْسِىٓ ۖ إِنِّى خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِى ﴿٩٤﴾ ﴾

إذا ضممت قوله تعالى: ﴿ قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى وَلَا بِرَأْسِىٓ ﴾ إلى قوله سبحانه -لما ذكر جملة من الأنبياء ومنهم هارون-: ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ﴾ (الأنعام:٩٠)؛ تبيَّن لزوم إعفاء اللحية وعدم حلقها؛ لأنَّ هارون من الأنبياء الذين أُمر نبيُّنا ﷺ بالاقتداء بهم، وأَمْرُه ﷺ بذلك أَمْرٌ لنا.

الشنقيطي، أضواء البيان ٩٢/٤

﴿ قَالَ فَٱذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ ۖ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُۥ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا ۖ لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِى ٱلْيَمِّ نَسْفًا ﴿٩٧﴾ ﴾

﴿ قَالَ فَٱذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ ﴾ هذه الآية أصل في نفي أهل البدع والمعاصي وهجرانهم وألا يخالطوا.

القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ٢٤١/١١

﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۗ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴿١١٤﴾ ﴾

١) في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا﴾ أدب لطالب العلم، وأنه ينبغي له أن يتأنى في تدبره وتأمله للعلم، ولا يستعجل بالحكم على الأشياء، ولا يعجب بنفسه، ويسأل ربه العلم النافع والتسهيل.

السعدي، فتح الرحيم الملك العلام ١٦٦

٢) في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا﴾ دلالات مهمة منها:

١- أن تَعَلُّم كتاب الله إقراء وحفظًا وفهمًا، لا عجلة فيه، بل هي الأناة والتؤدة.

٢- أن درجات العلم تبدأ بكتاب الله حفظًا وفهمًا، ثم يتزود الإنسان من العلم ما شاء؛ ولذلك أتبع في الآية تلقي القرآن بطلب التزود من العلم. د. محمد الربيعة

٣) ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا﴾ قال مجاهد: «لا تعجل بقراءة ما أنزل إليك لأصحابك، ولا تمله عليهم حتى تتبين لك معانيه»[1].

فهذا يدل على عدم مشروعية التعجل بالقراءة والحفظ من غير تدبر وفهم للمعاني، ويؤكده أيضًا ختم الآية بقوله: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا﴾.

د. محمد الربيعة

٤) ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا﴾، ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ (الفتح:١٠)، ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ (يوسف:٧٦)، بمثل هذا الأدب الإلهي أبعد الإسلام الغرور عن المسلم، فما تراه -إن كان مسلمًا- يحتقر ذا فضل، ويزدري ذا نعمة، ومن تأمل كيف دخل النبي ﷺ مكة بعدما جرى من قومه ما جرى معه؛ لم يشمخ بأنفه، ولم يتطاول بانتصاره، بل دخلها متواضعًا، معترفًا بفضل ربه ومنته.

السباعي، أخلاقنا الاجتماعية ١٢-١٣

﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴿١١٥﴾﴾

تأمل أول نقص دخل على أبي البشر وسرى إلى أولاده كيف كان من عدم العلم وعدم العزم قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا﴾.

ابن القيم، طريق الهجرتين ١٨٣

﴿فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾﴾

﴿فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ﴾ أسند الشَّقاءَ إلى آدم دون حواء؛ لوجهين:

أ- أنَّ في ضمن شقاء الرجل شقاء أهله، كما أن في سعادته سعادتهم؛ لأنه القيِّم عليهم.

ب- من الشقاء التعب في طلب القوت، وذلك على الرجل دون المرأة؛ لأن الرجل هو الساعي على زوجته.

الخازن، لباب التأويل ٣/ ٢١٤

وفي هذه لفتة لمن يدعو إلى خروج المرأة من منزلها إلى ميادين العمل بإطلاق، وكأن ذلك هو الأصل!

(١) التحرير والتنوير ١٦/١٩٨.

﴿ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾ ﴾

من عجائب هاتين الآيتين -رغم قصرهما- أنهما جمعتا أساسيات الاقتصاد، وما يعد بنية تحتية لحياة الإنسان في سطر واحد فقط: الطعام، واللباس، والشراب، والسكن!

د. سعد العتيبي

﴿ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾ ﴾

﴿ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴾ معترضة بين جملة ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ﴾ (طه:١٢١)، وجملة ﴿ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا ﴾ (طه:١٢٣)؛ لأن الاجتباء والتوبة عليه كانا بعد أن عوقب آدم وزوجه بالخروج من الجنة كما في سورة البقرة، وهو المناسب لترتب الإخراج من الجنة على المعصية دون أن يترتب على التوبة، وفائدة هذا الاعتراض التعجيل ببيان مآل آدم إلى صلاح.

ابن عاشور، التحرير والتنوير١٦/١٩٧

﴿ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ ﴾

١) من اتبع هداه المنزل، فإنه لا يضل كما ضلّ الضالون ولا يَشقَى كما شَقِيَ المغضوبُ عليهم، كما قال تعالى: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾ (طه:١٢٣).

ابن تيمية، جامع المسائل (٣ / ٨٦)

٢) قال ابن عباس ﷺ: أجار الله تابع القرآن من أن يضل في الدنيا أو يشقى في الآخرة، ثم قرأ: ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴾ قال: لا يضل في الدنيا، ولا يشقى في الآخرة.

تفسير ابن أبي حاتم ٣٠٤/٩

٣) تأملت قوله تعالى: ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴾، فوجدته على الحقيقة؛ أن كل من اتبع القرآن والسنة وعمل بما فيهما؛ فقد سلم من الضلال بلا شك، وارتفع في حقه شقاء الآخرة بلا شك؛ إذا مات على ذلك، وكذلك شقاء الدنيا فلا يشقى أصلًا، ويبين هذا قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ ﴾ (الطلاق).

ابن الجوزي، صيد الخاطر١٧٩

٤) ﴿ فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴾ فإن المعرض عن القرآن: إما أن يعرض عنه كبرًا، فجزاؤه أن يقصمه الله، أو طلبًا للهدى من غيره، فجزاؤه أن يضله الله، وشاهده حديث علي ﷺ: «من تركه من جبار، قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره، أضله الله»[1].

ابن القيم، إغاثة اللهفان ٣٦٠/١

﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ ﴾

١) القرآن من أظهر أسباب السعادة، وتركه من أعظم أسباب الشقاء: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا ﴾.

د. محمد السعيدي

٢) ومِن الناس مَن تعلَّم القرآن لكنه أهمل تلاوته، وهذا هجران للقرآن وحرمان للنفس مِن أجرٍ عظيم، وسبب لنسيانه، وقد يدخل في قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى ﴾، فإنَّ الإعراض عن تلاوة القرآن وتعريضه للنسيان خسارة كبيرة، وسبب لتسلط الشيطان على العبد، وسبب لقسوة القلب.

د. صالح الفوزان، إتحاف أهل الإيمان بدروس شهر رمضان ٤٨

٣) المرأة الإسفنجيَّة: امرأة قلقة مضطربة، أرهقها الجري بعيدة عن الخشوع في الصلاة والتذلل لله، محرومة من السعادة الحقَّة، ترى وَهْمَ السعادة في دنيا زائفة، أعرضت عن ذكر الله، وأضاعت أوامرَه، فهي كئيبة حزينة، تضحك والحزن يقطع كبدها، تفرح وغيوم البؤس تحوم حول عينها، تبحث عن ابتسامةٍ زائفةٍ وكلمةٍ تُلقى على قارعة الطريق، إنها تبحث عن السعادة والحياة الطيبة، لكنها ضلَّتِ الطريق: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا ﴾.

د. عبدالملك القاسم، المرأة الاسفنجية ٧٥

٤) نشرت الصحف تقريرًا حديثًا يفيد عن وجود حالة انتحار كل ٤٠ ثانية! وأهل القرآن لا يحتارون في تفسير مثل هذه الظاهرة، فقد أيقنوا بقول ربهم: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا ﴾ وتدبروا قولَ مَن أسبابُ السعادة كلُّها بيده: ﴿ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ﴾ (الأنعام:١٢٥).

﴿ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ۚ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٢٧﴾ ﴾

لا يغتر الشاب الذي يركب هواه باللذة العاجلة، ولا يأسف الشاب التقي الذي فاتته هذه اللذات؛ فإنه لا خير في لذة ساعة وراءها عذاب الدنيا بالمرض والهرم وعذاب الآخرة في جهنم ﴿ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ ﴾.

علي الطنطاوي، نور وهداية ٥٠

(١) الترمذي ح (٢٩٠٦)، وابن أبي شيبة ح (٣٠٠٠٧).

﴿ فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ۖ وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴿١٣٠﴾ ﴾

من أعلى مقامات العارفين وأحلاها: الرضا! والطريق إليه بأمرين: صبر جميل، وذكر كثير طويل: ﴿ فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ۖ وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴾.

د. محمد القحطاني

﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾ ﴾

١) كان عمر بن الخطاب ﷺ يوقظ أهل داره لصلاة الليل ويصلي هو ويتمثل بهذه الآية.

المحرر الوجيز ٧١/٤

٢) ومَن نظر إلى الخيل والبهائم والأشجار على وجه استحسان الدنيا والرئاسة والمال، فهو مذموم لقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ﴾، وأمَّا إن كان على وجه لا ينقص الدين، وإنما فيه راحة النفس فقط، كالنظر إلى الأزهار، فهذا من الباطل الذي قد يستعان به على الحق.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى ٢٤٩/٢١

٣) مجالس ومجالس..

قال ابن رجب: مجالسة المساكين توجب رضى من يجالسهم برزق الله تعالى، وتعظم عنده نعمة الله عليه بنظره في الدنيا إلى من دونه، ومجالسة الأغنياء توجب السخط بالرزق، ومد العين إلى زينتهم وما هم فيه، وقد نهى الله ﷺ نبيه عن ذلك، فقال: ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ﴾.

اختيار الأولى ١٨

٤) في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ ﴾ دليل على أنه ينبغي للموفق أن لا ينظر إلى زينة الدنيا نظرة المعجب المفتون، وأن يقنع برزق ربه، وأن يتعوض مما منع منه من الدنيا بزاد التقوى الذي هو عبادة الله واللهج بذكره.

السعدي، فتح الرحيم الملك العلام١٦٧

٥) علاج قرآني للحسد:

أعظم ما ينمي الحسد ويغذيه: امتداد العين إلى ما متع الله به عباده من متاع المال والبنين وغير ذلك، وقد نهى الله نبيه ﷺ عن مد العين إلى ما عند الغير؛ ففيها إرشاد إلى علاج الحسد.

محمد البشير الإبراهيمي، آثاره ٣٥٤/١

﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَالْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾ ﴾

١) من مفاتيح الرزق (تدبر عملي):

كان بعض السلف إذا أصاب أهله خصاصة، قال: قوموا فصلوا؛ بهذا أمركم الله، ويتلو هذه الآية.

التسهيل لعلوم التنزيل ١٨٦/٢

٢) الاشتغال بالدعوة الواجبة من أسباب جلب الرزق وليس مشغلًا عنه، تأمل: ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَالْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾.

د. عبدالله الغفيلي

٣) إذا شعرت بالملل من جراء كثرة أمرك أهل بيتك بالصلاة وإيقاظهم لها - خصوصًا صلاة الفجر-؛ فتذكر قوله تعالى: ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا ﴾؛ ففي ذلك أعظم دافع للصبر والاحتساب، وطرد الملل، وتذكر عاجل الأجر، ومآل الصبر بعد ذلك في الآية ﴿ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَالْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾.

د. محمد الحمد

﴿ وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَٰهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ لَقَالُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ ﴿١٣٤﴾ ﴾

الإعراض عن الوحي ذل في الدنيا، وخزي في الآخرة: ﴿ فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ ﴾.

د. عبدالله الغفيلي

سُورَةُ الأَنبِيَاءِ

﴿ٱقۡتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمۡ وَهُمۡ فِي غَفۡلَةٖ مُّعۡرِضُونَ ۝١﴾

نزل بعامر بن ربيعة رجل من العرب، فأكرم مثواه، وكلَّم فيه الرسول ﷺ، فجاءه الرجل فقال: إني استقطعت من الرسول ﷺ واديًا في العرب، وقد أردت أن أقطع لك منه قطعة، تكون لك ولعقبك من بعدك، فقال عامر: لا حاجة لي في قطيعتك، نزلت اليوم سورة أذهلتنا عن الدنيا: ﴿ٱقۡتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمۡ وَهُمۡ فِي غَفۡلَةٖ مُّعۡرِضُونَ﴾.

تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢١١/٣

﴿مَا يَأۡتِيهِم مِّن ذِكۡرٖ مِّن رَّبِّهِم مُّحۡدَثٍ إِلَّا ٱسۡتَمَعُوهُ وَهُمۡ يَلۡعَبُونَ ۝٢ لَاهِيَةٗ قُلُوبُهُمۡۗ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجۡوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ هَلۡ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡۖ أَفَتَأۡتُونَ ٱلسِّحۡرَ وَأَنتُمۡ تُبۡصِرُونَ ۝٣﴾

يتجدَّد نزول الوحي ومع ذلك لا ينتفعون به ولا يتدبرونه؛ فهل تأملت السبب؟ ﴿يَلۡعَبُونَ ۝٢ لَاهِيَةٗ قُلُوبُهُمۡ﴾ ومن تشبه بهم -من المسلمين-، ناله ما نالهم بحسب غفلته وإعراضه.

وفي الآية إشارة إلى أن سبب الانتفاع بالقرآن: السكينة عند سماعه، وحضور القلب وإقباله.

د. عمر المقبل

﴿بَلۡ قَالُوٓاْ أَضۡغَٰثُ أَحۡلَٰمِۭ بَلِ ٱفۡتَرَىٰهُ بَلۡ هُوَ شَاعِرٞ فَلۡيَأۡتِنَا بِـَٔايَةٖ كَمَآ أُرۡسِلَ ٱلۡأَوَّلُونَ ۝٥﴾

﴿بَلۡ قَالُوٓاْ أَضۡغَٰثُ أَحۡلَٰمِۭ بَلِ ٱفۡتَرَىٰهُ بَلۡ هُوَ شَاعِرٞ﴾ هذه الجملة القصيرة تمثل لك مقدار ما أصابهم من الحيرة، وتُريك صورة شاهد الزور إذا شعر بحرج موقفه: كيف يتقلَّب ذات اليمين وذات الشمال، وكيف تتفرَّق به السُّبل في تصحيح ما يحاوله من محال: ﴿ٱنظُرۡ كَيۡفَ ضَرَبُواْ لَكَ ٱلۡأَمۡثَالَ فَضَلُّواْ فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ سَبِيلٗا﴾ (الإسراء:٤٨).

د. محمد دراز، النبأ العظيم ٨٥-٨٦

﴿ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفۡتُرُونَ ٢٠ ﴾

تأمل كيف قال تعالى: ﴿ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفۡتُرُونَ ﴾ ولم يقل: (يسبحون في الليل)؛ لأن تسبيحهم مستمر في كل آن ولحظة، ولو كان التسبيح في بعض الآنات، لقال: (في الليل والنهار)؛ لأنهم يُلهمون التسبيح كما نُلهم نحن النَّـفَس.

ابن عثيمين، شرح عقيدة أهل السنة، شريط (٣)

﴿ لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَرۡشِ عَمَّا يَصِفُونَ ٢٢ ﴾

كما أنَّ السماوات والأرض لو كان فيهما آلهةٌ غيرُه سبحانه لفسدتا، كما قال تعالى: ﴿ لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾؛ فكذلك القلب إذا كان فيه معبود غير الله تعالى؛ فسد فسادًا لا يرجى صلاحه، إلا بأن يخرج ذلك المعبود منه، ويكون الله تعالى وحده إلهه ومعبوده الذي يحبه ويرجوه ويخافه، ويتوكَّل عليه وينيب إليه.

ابن القيم، إغاثة اللهفان ٣٠/١

﴿ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ وَهُم مِّنۡ خَشۡيَتِهِۦ مُشۡفِقُونَ ٢٨ ﴾

من كان كثير الذنوب، وأراد أن يحطها الله عنه بغير تعب؛ فليغتنم ملازمة مكان مصلاه بعد الصلاة؛ ليستكثر من دعاء الملائكة واستغفارهم له، فهو مرجو إجابتهم؛ لقوله: ﴿وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ ﴾.

ابن بطال، شرحه للبخاري ٩٥/٢

﴿ كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۗ وَنَبۡلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلۡخَيۡرِ فِتۡنَةٗۖ وَإِلَيۡنَا تُرۡجَعُونَ ٣٥ ﴾

﴿وَنَبۡلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلۡخَيۡرِ فِتۡنَةٗۖ ﴾ قال الحسن البصري ﷺ: كانوا يتساوون في وقت النعم، فإذا نزل البلاء تباينوا!

صيد الخاطر ٢٤٩

﴿وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ وَهُم بِذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٦﴾ خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ ۚ سَأُو۟رِيكُمْ ءَايَٰتِى فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴿٣٧﴾﴾

﴿خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ ۚ سَأُو۟رِيكُمْ ءَايَٰتِى فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ﴾ الحكمة من ذكر عجلة الإنسان ههنا أنه لما ذكر المستهزئين بالرسول ﷺ، وقع في النفوس سرعة الانتقام منهم واستعجلت، فقال تعالى: ﴿خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ﴾؛ لأنه تعالى يملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته، يؤجل ثم يعجل، وينظر ثم لا يؤخر؛ ولهذا قال: ﴿سَأُو۟رِيكُمْ ءَايَٰتِى﴾ أي: نقمتي واقتداري على من عصاني ﴿فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ﴾.

ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ٣٤٣/٥

﴿وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٤٦﴾﴾

﴿وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَٰوَيْلَنَآ﴾ تأمَّل هذا التهديد والوعيد بأسلوب بديع: (المَسُّ) هو الإصابة الخفيفة، و(النفحة): القليل من الشيء، و(من) دالة على التبعيض، و(العذاب) أخف من النكال، و(ربك) هذا يدل على الشفقة. إن من سيكون هذا واقعه عند أول نفحة تمسُّه من بعض عذاب ربٍّ رحيم، كيف سيصبر على أنكال لدى الجبار؟! إنَّه لحري أن يبادر بالنجاة منه.

د. صالح العايد، نظرات لغوية ٢٣٣

﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾﴾

١) ادعى رجل على ابن أحد الخلفاء، فقضى الخليفة على ابنه، فأخذ المدعي يمدحه بأبيات شعر، فشكره الخليفة ثم قال: أما أنا فما جلست هذا المجلس، حتى قرأت في المصحف: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ قال الراوي: فما رأيت باكيًا أكثر من ذلك اليوم.

تاريخ بغداد ٣٤٩/٣

٢) ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴾ من هذا قطعًا تعلم أنَّ شأن المعاملة مع الله ومع خلقه عظيم عظمًا لا يعرف قدره إلا الرجل العاقل؛ فإن عليها يترتَّب غضب الله وعقابه، أو رضاه والنعيم المقيم، وشيء هذا قدره لا يتوقف ولا يتردَّد في بذل العناية به رجل بصير.

عبدالعزيز السلمان، مفتاح الأفكار للتأهب لدار القرار ٦٠/٢

﴿ قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾

هكذا قال قوم إبراهيم -لما دعاهم إلى التوحيد- فهم يدركون أن الدين الحق لا يجتمع مع اللعب والباطل؛ فكيف يريد بعض المنهزمين أن تعيش الأمة بدين ملفق يجمع أنواعًا من اللعب والباطل مع شيء من الحق؟ ﴿ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ﴾ (يونس:٣٢)؟

د. عمر المقبل

﴿ وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾ ﴾

في قصة إبراهيم عليه السلام في سورة الأنبياء قال: ﴿ وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾ ﴾، وفي الصافات: ﴿ فَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴾ (الصافات: ٩٨)، وهي قصة واحدة فما الحكمة فيه؟ والجواب: في سورة الأنبياء أخبر الله تعالى عن إبراهيم عليه السلام أنه كاد أصنامهم ﴿ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم ﴾ (الأنبياء: ٥٧)، وأخبر أنهم أرادوا أن يكيدوه كذلك ﴿ وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيْدًا ﴾ فتقابل الكيدان، فلما عاد عليهم كيدهم عبر بالخسارة. وفي الصافات قال قبلها: ﴿ قَالُواْ ٱبْنُواْ لَهُۥ بُنْيَٰنًا فَأَلْقُوهُ فِى ٱلْجَحِيمِ ﴾ (الصافات: ٩٧) فلما رموا نبي الله من فوق البناء إلى أسفل، عاقبهم الله من جنس عملهم فجعلهم هم الأسفلين، وأصبح أمر نبي الله عاليًا.

الإسكافي، درة التنزيل ٢٠٩

﴿ وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ ۖ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾

هذه الآية أصل في اتخاذ الصنائع والأسباب، وهو قول أهل العقول والألباب، لا قول الجهلة الأغبياء، القائلين بأن ذلك إنما شرع للضعفاء! فالسبب سنة الله في خلقه؛ فمن طعن في ذلك، فقد طعن في الكتاب والسنة.

القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ٣٢١/١١

﴿ ۞ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾

١) إن قيل: كيف سمَّى الله أيوب صابرًا، وقد أظهر الشكوى بقوله: ﴿مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ﴾، وقوله: ﴿مَسَّنِيَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾ (ص:٤١)؟ قلت: ليس هذا شكاية، وإنما هو دعاء، بدليل قوله في الآية الأخرى: ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ﴾ (الأنبياء:٨٤).

الخازن، لباب التأويل ٢٣٩/٣

٢) لم يتعلق أيوب بشيء من عمله أو صبره، لكن تعلق بإيمانه العميق أن ربه أرحم الراحمين.

د. عبد الله بن بلقاسم

﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُۨجِي ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ ﴾

١) تأمل قوله تعالى: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا﴾، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿٤٨﴾﴾ (القلم)، تجد أنه أضاف كلمة (ذا) إلى (النون)، وكلمة (صاحب) إلى (الحوت) والمقصود واحد وهو يونس ﷺ، وسر ذلك -والله أعلم- أن النون اسم للحوت العظيم، وكلمة (ذا) تطلق مع ما يدل على العظمة.

د. عويض العطوي

٢) ﴿فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ فالتهليل والتسبيح يجليان الغموم، وينجيان من الكرب والمصائب؛ فحقيق على من آمن بكتاب الله أن يجعلها ملجأ في شدائده، ومطية في رخائه، ثقة بما وعد الله المؤمنين من إلحاقهم بذي النون في ذلك حيث يقول: ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُۨجِي ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾.

القصاب، نكت القرآن ٣١١/٢

٣) إظهار الافتقار، والإقرار بالذنب من أسباب إجابة الدعاء، تأمل كيف جمعها يونس ﷺ في ذلك الدعاء العظيم: ﴿فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ﴾؛ ولهذا كان سيد الاستغفار من أفضل الأدعية لتضمنه هذا المعنى.

د. محمد الحمد

٤) ﴿فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ﴾ الغم كالموج من أدركه أغرقه، والتوحيد طوق النجاة منه.

د. سليمان الربعي

﴿وَزَكَرِيَّآ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرۡنِي فَرۡدٗا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾﴾

١) كرم الرب يتجاوز طمع الأنبياء فيه - مع عظيم علمهم به - فهذا زكريا لهج بالدعاء ونادى: ﴿رَبِّ لَا تَذَرۡنِي فَرۡدٗا﴾، فاستجيب له وجاءته البشرى فلم يملك أن قال: ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٞ وَقَدۡ بَلَغَنِيَ ٱلۡكِبَرُ وَٱمۡرَأَتِي عَاقِرٞ﴾ (آل عمران: ٤٠)، .. فلله ما أعظم إحسان ربنا! وما أوسع كرمه! فاللّٰهُمَّ بلغنا -برحمتك- فوق ما نرجو فيك ونؤمل.

إبراهيم الأزرق

٢) يقول أحد الإخوة:

عندما حرمت من الذرية ست سنوات، وطرقت أبواب المستشفيات ولم أجد فائدة، تذكرت قول زكريا: ﴿رَبِّ لَا تَذَرۡنِي فَرۡدٗا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡوَٰرِثِينَ﴾، فأصبحت أرددها دائمًا، مع الدعاء، والاستغفار، والرقية؛ حتى رزقني الله بطفلين، ولله الحمد.

﴿فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَوَهَبۡنَا لَهُۥ يَحۡيَىٰ وَأَصۡلَحۡنَا لَهُۥ زَوۡجَهُۥٓۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾

١) امتن الله سبحانه على زكريا حيث قال: ﴿وَأَصۡلَحۡنَا لَهُۥ زَوۡجَهُۥٓ﴾ (الأنبياء: ٩٠) قال بعض العلماء: ينبغي للرجل أن يجتهد إلى الله في إصلاح زوجته.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى (٣٢٤/٢٥)

إنها منهج في تذكيرنا بالابتهال إلى الله عند ذكر الصلاح والصالحين.

٢) قال أبو بكر الصديق ﷺ: هذا كتاب الله، لا تفنى عجائبه، ولا يطفأ نوره، استضيئوا منه اليوم ليوم الظلمة، واستنصحوا كتابه وتبيانه، فإن الله قد أثنى على قوم فقال: ﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾.

الدر المنثور ٨/ ١٢٠

٣) كان أبو بكر الصديق ﷺ يقول في خطبه: أما بعد: فإني أوصيكم بتقوى الله، وأن تثنوا عليه بما هو أهله، وأن تخلطوا الرغبة بالرهبة، وتجمعوا الإلحاف بالمسألة؛ فإن الله عز وجل أثنى على زكريا وأهل بيته، فقال: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾.

جامع العلوم والحكم ١٦١/١

٤) ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ﴾ ولم يقل: يسارعون إلى الخيرات؛ لأنهم الآن منهمكون في أعمال خيرة، فهمُّهم المسارعة فيها، والازدياد منها، بخلاف من يسارع إلى شيء، فكأنه لم يكن فيه أصلًا، فهو يسرع إليه ليكون فيه.

الشعراوي، تفسير الشعراوي ٣٥٤٠/١

٥) من تأمل حكاية الله لحال أنبيائه ﷺ في سورة الأنبياء، وكيف نجى إبراهيم من النار، ولوطًا من القرية التي تعمل الخبائث، ونوحًا من الكرب العظيم؟ وكيف علَّم داود وفهَّم سليمان، وكشف الضر عن أيوب ونجّى ذا النون من الغم، ووهب الولد لزكريا ﷺ؟ ثم عقَّب ذلك بقوله: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ عرف المؤهلات المطلوبة لإجابة الدعاء وتحصيل ولاية الله.

د. أحمد القاضي

٦) ما أروع صورة البيت الذي يتبارى فيه الزوجان في المسارعة للخيرات.. زوجة تعين زوجها، وزوج يعين زوجته، يترسمون خطى ذلك البيت النبوي الذي جعله الله نبراسًا لكل زوجين؛ فأين المقتدون بزكريا ﷺ وزوجته: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾.

متدبر

٧) ﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾ قال الحسن البصري ﷺ: دام خوفهم من ربهم فلم يفارق خوفه قلوبهم، إن نزلت بهم رغبة، خافوا أن يكون ذلك استدراجًا من الله لهم، وإن نزلت بهم رهبة، خافوا أن يكون الله ﷻ قد أمر بأخذهم لبعض ما سلف منهم.

الدر المنثور ٦٧٠/٥

٨) من تأمل هذه الآيات: ﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾، ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ (السجدة:١٦)، ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ﴾ (الإسراء:٥٧) وغيرها؛ أدرك أن المنهج الحق للمؤمن الموفق في عباداته، بل في حياته أن يكون بين الخوف والرجاء، فلا يطغى أحدهما على الآخر، وهذا هو هدي الأنبياء وسلف الأمة.

د. عبد الرحمن العقل

﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾﴾

المسلمون إذا نسوا أنهم أمة واحدة، وفرقتهم العصبيات الجاهلية، وفرقتهم الحزبيات؛ فإن شمس عرفات تذكّرهم بوحدتهم، وتعيدهم إليها، وكل عمل من أعمال الحج مذكر بالوحدة الإسلامية ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ﴾ .

الطنطاوي، ذكريات الطنطاوي ٣ /٢١٣-٢١٤

﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴿٩٨﴾﴾

والحكمة في دخول الأصنام النار ـ وهي جماد لا تعقل، وليس عليها ذنب ـ بيان كذب من اتخذها آلهة، وليزداد عذابهم؛ فلهذا قال: ﴿لَوْ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةً مَّا وَرَدُوهَا﴾.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن ٥٣١

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾﴾

إذا تأملت قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾، وأضفت له قوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ (الحديد: ١٠)؛ تبين لك أن الصحابة كلهم من أهل الجنة قطعًا؛ لأنه وعد أهل الحسنى بالإبعاد عن النار، وأخبر أن الصحابة سواء من أسلم قبل الفتح أو بعده موعود بالحسنى.

ابن حزم، المحلى ١/٤٤

﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴿١٠٥﴾﴾

١) البقاء للأصلح وليس للأقوى.

عمر حسنة، حضارة النبوة ٥

٢) ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ سنة كونية مطردة، فكيف ييأس ويقنط من يتلو هذه الآية، مهما حدث من النكسات الطارئة؟: ﴿وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ﴾ (محمد:٤)، ولولا الهزائم لما استبشرنا بالنصر.

أ. د. ناصر العمر

﴿إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ ﴿١١٠﴾﴾

قال ابن هبيرة في قوله تعالى: اختص الله تعالى بعلم الجهر من القول من جهة أنه إذا اشتدت الأصوات وتداخلت فإنها حالة لا يسمع فيها الإنسان، ولا يميز الكلام، أما الله ﷻ فإنه يسمع كلام كل شخص بعينه، ولا يشغله سمع كلام عن سمع آخر.

ذيل طبقات الحنابلة ٢٨٣/١

﴿قَالَ رَبِّ احْكُمْ بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴿١١٢﴾﴾

قال ابن هبيرة في قوله تعالى: ﴿احْكُمْ بِالْحَقِّ﴾ المراد منه: كن أنت - أيها القائل- على الحق؛ ليمكنك أن تقول: احكم بالحق؛ لأن المبطل لا يمكنه أن يقول: احكم بالحق!

ذيل طبقات الحنابلة ٢٣٨/١

سُورَةُ الحَجِّ

١) سورة الحج تبدأ بمشهد أخروي، وهكذا هو الحج، فهو صورة مصغرة في كثير من أحداثه ومراحله لمشهد البعث والنشور.

٢) سورة الحج من أعاجيب سور القرآن، فيها: أول الحج: ﴿وَأَذِّن فِي النَّاسِ﴾، وآخره: ﴿وَلْيَطَّوَّفُوا﴾ (الحج:٢٧-٢٨)، فيها: الساعة والتوحيد، والصلاة والإخبات، والمواعظ والآداب، فيها: المكي والمدني، والليلي والنهاري، والسفري والحضري، والحربي والسلمي، والشتائي والصيفي، هي سورة عجب، وأعجب منها حاجٌّ يقصد الحج ولم يتدبر سورة الحج.

د. عصام العويد

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ ۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُم بِسُكَارَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾﴾

١) عندما يقرأ المسلم قوله سبحانه: ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ يتعجب كيف تذهل الأم عن رضيعها!

ويحاول أن يتصور كيف يكون الناس كالمجانين، فيعجز عن تصور ذلك مع إيمانه به، فيأتي زلزال اليابان ليريه مشهدًا عظيمًا، ودمارًا هائلًا في طرفة عين؛ فيدرك أن هذا ليس إلا صورة مصغرة عن حقيقة ما سيكون عند زلزلة الساعة؛ فيزداد الذين آمنوا إيمانًا، ويرتاب الذين في قلوبهم مرض والكافرون.

أ. د. ناصر العمر

٢) ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا﴾ من المعلوم أنَّ المرأة التي ترضع الطفل تُسمَّى مرضعًا، فلِم قال تعالى هنا: مرضعة، ولم يقل مرضع؟ فالجواب -عن الزمخشري-: المرضعة التي هي في حال الإرضاع ملقمة ثديها الصبي. والمرضع: التي شأنها أن ترضع، وإن لم تباشر الإرضاع في حال وصفها به، فقيل: مرضعة؛ ليدل على أن ذلك الهول إذا فوجئت به هذه وقد ألقمت الرضيع ثديها، نزعته عن فيه؛ لما يلحقها من الدهشة.

الشنقيطي، أضواء البيان ٢٥٦/٤

٣) مشهد يذكر بمشهد:

شجرة لن تحاسب! وبعوضة لن تسأل! ونملة لن توزن! وهرة لن تعرض على جنة ولا نار! فلأي شيء تساقط حملها: ﴿وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا﴾.

د. عصام العويد

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ ﴿٣﴾ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿٤﴾﴾

سئل بعض العلماء هل تجد في القرآن شاهدًا على المثل السائر: «من أعان ظالمًا سلط عليه»؟ فقال نعم، هو قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾.

الإتقان في علوم القرآن ٤/٤٩

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا ۚ وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٥﴾﴾

﴿وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ﴾ تذكرت هذه الآية، وأنا أنظر إلى المسلمين، كيف تغير دولاب حياتهم من حين دخل رمضان، لقد انصهروا من جديد، فما أسهل صياغة الحياة عبر نظام الإسلام إذا صدقت النوايا، وخلي بين الناس وبين الخير.

محمد المقدم

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ۖ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ ۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴿١١﴾﴾

يا هذا! اعبد الله لما أراده منك لا لمرادك منه؛ فمن عبده لمراد نفسه منه؛ فهو ممن يعبد الله على حرف ﴿فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ ۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾، ومتى قويت المعرفة والمحبة، لم يرد صاحبها إلا ما يريده مولاه.

ابن رجب، كلمة الإخلاص ٣٩

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ۩ (١٨) ﴾

١) نظرت في هذه الآية: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾، ثم قال: ﴿ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ﴾ فرأيت الجمادات كلها قد وصفت بالسجود، واستثنى من العقلاء، فقلت: هذه قدرة عظيمة، يوهب عقل الشخص، ثم يسلب فائدته! وإلا فكيف يحسن من عاقل ألا يعرف بوجوده، وجود من أوجده؟ غير أنه سبحانه وهب لأقوام من العقل ما يثبت عليهم الحجة، وأعمى قلوبهم كما شاء عن المحجة.

ابن الجوزي، صيد الخاطر ٣١٨/١

٢) هنا أشجار.. وهناك نجوم.. هذه شمس، وهذا قمر.. وتلك جبال.. هنا وهناك دوابٌّ كبار وصغار، فإذا اجتمعت لك -كلها أو بعضها- وأنت في البرية، أو تسير في طريق، فتذكر أنها كلها تسجد لله، تأمل: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ ﴾.

د. عمر المقبل

٣) كلُّ الجمادات والنباتات والحيوانات تسجد لله.. بكثرتها.. بعظمتها.. إلا بعضًا من مخلوق ضعيف شذَّ عن منظومة التسبيح في الكون.

متدبر

٤) من لم يعرف الطريق إلى ربه ولم يتعرفها، فهذا هو اللئيم الذي قال الله فيه: ﴿وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ﴾.

ابن القيم، طريق الهجرتين ٢٧٧

٥) قال تعالى في آية سجود المخلوقات له: ﴿وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ﴾ فإنهم لما هان عليهم السجود له، واستخفوا به ولم يفعلوه؛ أهانهم الله فلم يكن لهم من مكرم بعد أن أهانهم الله، ومن ذا يكرم من أهانه الله؟ أو يهن من أكرمه الله؟

ابن القيم، الجواب الكافي ٧٠

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ٱلَّذِى جَعَلْنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِۚ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٥﴾ ﴾

١) وصف الله المسجد الحرام بقوله: ﴿ٱلَّذِى جَعَلْنَٰهُ لِلنَّاسِ﴾؛ للإيماء إلى علة مؤاخذة المشركين بصدهم عنه؛ لأجل أنهم خالفوا ما أراد الله منه فإنه جعله للناس كلهم يستوي في أحقية التعبد به العاكف فيه أي: المستقر في المسجد والبادي أي: البعيد عنه إذا دخله .

ابن عاشور، التحرير والتنوير ١٧/١٧١

٢) السيئة قد تعظم فيعظم جزاؤها بسبب حرمة المكان: كقوله تعالى: ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾، أو حرمة الزمان: كقوله تعالى في الأشهر الحرام: ﴿فَلَا تَظْلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ﴾ (التوبة:٣٦)، أو بسبب عظم الإنسان المخالف: كقوله تعالى في نبينا ﷺ: ﴿وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ﴾ (الإسراء:٧٤-٧٥).

الشنقيطي، أضواء البيان ٦/١٤٨

٣) ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ في هذه الآية تسلية وطمأنة لمن أشرف على أمن الحج، وتأمين للحجيج بأن الله سيعينهم ويوفقهم إذا صدقوا مع الله، وأخذوا بالأسباب المشروعة في ذلك، وحسبهم هذا التأييد الذي يوحي بخيبة المفسدين عاجلًا أو آجلًا.

متدبر

﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿٢٦﴾ ﴾

١) ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا﴾ كان النهي عن الشرك أول شيء أُمِر به إبراهيم ﷺ بعد إعلام الله له بمكان البيت، والمأمور بذلك أبو الأنبياء وداعية التوحيد ومكسر الأصنام إبراهيم ﷺ؛ مما يدل على عظم خطورة الشرك!

٢) ﴿وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾ خدمة البيت الحرام وخدمة عُمَّاره من أعظم الطاعات، والتطهير هنا يعم الحسي والمعنوي، فالعمل في ذلك من أشرف الأعمال؛ فتنبه أيها المؤمن أن تقوم بما يضاد ذلك.

٣) علقت القلوب على محبة الكعبة البيت الحرام؛ حتى استطاب المحبون في الوصول إليها هجر الأوطان والأحباب، ولذَّ لهم فيها السفر الذي هو قطعة من العذاب، فركبوا الأخطار وجابوا المفاوز والقفار، واحتملوا في الوصول غاية المشاق، ولو أمكنهم لسعوا إليها ولو على الأحداق:

نعم أسعى إليك على جفوني وإن بعدت لمسراك الطريق

وسرُّ هذه المحبة هي إضافة الرب سبحانه له إلى نفسه بقوله: ﴿وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّآئِفِينَ﴾.

ابن القيم، روضة المحبين ٢٦٩

﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾﴾

١) أبلغ الله تعالى صوت إبراهيم حينما نادى بالحج، وحفظ هذا الأذانَ، فجعله قرآنًا يردد في الصلوات، ويتلى في المحاريب ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا﴾. إنها إشارة قوية إلى أن على العبد أن يفعل الأسباب التي يستطيعها، ثم يترك ما وراء ذلك للقادر الكبير المتعال.

د. سلمان العودة، مستفادة من (رسائل إلى الحجيج)

٢) ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ﴾ رأى بعض الصالحين الحجاج في وقت خروجهم، فوقف يبكي ويقول: واضعفاه! ثم تنفس وقال: هذه حسرة من انقطع عن الوصول إلى البيت، فكيف تكون حسرة من انقطع عن الوصول إلى رب البيت؟ يحق لمن رأى الواصلين وهو منقطع أن يقلق، ولمن شاهد السائرين إلى ديار الأحبة وهو قاعد أن يحزن.

لطائف المعارف لابن رجب ٢٣٧

٣) ﴿يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ﴾ في تقديم ذكر الرجال على الركبان فائدة جليلة، وهي أن الله- تعالى- شرط في الحج الاستطاعة ولا بد من السفر إليه لغالب الناس فذكر نوعي الحجاج؛ لقطع توهم من يظن أنه لا يجب إلا على راكب، فقدَّم الرجال اهتمامًا بهذا المعنى وتأكيدًا، أو أن هذا التقديم جبرًا لهم؛ لأن نفوس الركبان تزدريهم.

ابن القيم، بدائع الفوائد ٧٣/١

٤) ﴿وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ﴾ يحتفي الناس بضيوفهم في المراكب الفاخرة، وربُّنا يثني على الوفد برواحلهم المنهكة الضامرة.

د. عبدالله بن بلقاسم

٥) ﴿مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ إنها إحدى صور عظمة الحج؛ فلا تجد مشهدًا يجمع الناس من كل جنسية وبلد، كما يكون في الحج، إنه مشهد يطلعك على عظمة هذا الدين، وعمقه في الأرض بما لا يشهده دين آخر.

د. محمد الربيعة

﴿لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ ۖ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾﴾

١) طلب العلم والحج:

﴿لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ﴾ قال العباس الدوري: ربما كنا عند أحمد بن حنبل أيام الحج، فيجيئه أقوام من الحجاج فيقبل عليهم ويحدثهم، فربما قلنا له في ذلك! -أي: نتعجب من عقد مجلس الحديث في أيام الحج- فيقول: هؤلاء قوم غرباء، وبعد أيام يخرجون.

الآداب الشرعية ١٠٧/٢

٢) ﴿لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ﴾ من منافع الحج العظيمة التي تشملها الآية: أن يتعلَّم الحجاج ما به منفعتهم في الآخرة، أما منفعة الدنيا، فالناس أساتذة ذلك، لكن منفعة الآخرة الناس اليوم بأشدِّ الحاجة إليه، وإذا كان زمن الحج قصيرًا، فالواجب أن يُكثَّف الجهد في الحج لتعليم الجاهل وتبصير الغافل، فأوصي كل من يذهب إلى الحج وله فضل علم أن يبلغه؛ لأن النبيَّ نادى بعرفة فقال: «**اللَّهُمَّ هل بلغت، اللَّهُمَّ فاشهد**»[1].

صالح آل الشيخ

٣) لما ذكر الله منافع الحج بقوله: ﴿لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ﴾ أطلقها ولم يقيدها؛ فشملت منافع الدين والدنيا كلها، ولو تنبه المسلمون لذلك، لبالغوا في استثمار الحج؛ لما يعود عليهم بالنفع الدنيوي والأخروي.

د. محمد الخضيري

٤) حج (مالكولم إكس) -وهو أحد الدعاة السود الأمريكان الذين كانوا يتعصبون للجنس الأسود- فلما رجع من رحلة الحج، غير أفكاره العنصرية، وكان السبب: ما رآه من تساوي المسلمين في الحج -الأسود والأبيض، الغني والفقير، والأوربي والأفريقي، والعربي والأعجمي- وصدق الله: ﴿لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ﴾.

تراجم شهداء الدعوة في العصر الحديث ٨٩/١

(١) أبو داود ح(٣٣٣٤).

٥) تدبَّر: ﴿ لِّيَشۡهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمۡ ﴾، وقِف متأملًا لقوله: ﴿لَهُمۡ ﴾؛ لتدرك أن كلَّ عمل من أعمال الحج يعود عليك بنفع عظيم، خلافًا لما يتصوره الكثيرون من أن الحجَّ مجرد أعمال تعبديَّة لا يدركون أثرها، وهذا يفسر التسابق للبحث عن الترخص والتخلص من كثير من واجباته وأركانه، ولو أدركوا نفعه المباشر لهم، لما فعلوا.

أ. د. ناصر العمر

٦) ﴿وَيَذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡلُومَٰتٍ﴾ لما كان الجهاد أفضل الأعمال، ولا قدرة لكثير من الناس عليه، كان الذكر الكثير الدائم يساويه، ويفضل عليه، وكان العمل في عشر ذي الحجة يفضل عليه، إلا من خرج بنفسه وماله، ولم يرجع منهما بشيء.

ابن رجب، لطائف المعارف ٢٤٩

﴿ ثُمَّ لۡيَقۡضُواْ تَفَثَهُمۡ وَلۡيُوفُواْ نُذُورَهُمۡ وَلۡيَطَّوَّفُواْ بِٱلۡبَيۡتِ ٱلۡعَتِيقِ ﴿٢٩﴾ ﴾

هل وقفت متأملًا وأنت تقوم بتطهير جسدك، وتحلق شعرك، ثم تطيب بدنك؟ بأن تلتفت التفاتة جادة لقلبك فتطهره مما لحقه وران عليه؛ لتحقق الهدف الأسمى للحج، فتعود كما ولدتك أمك؟

أ. د. ناصر العمر

﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمۡ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيۡرٞ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦۗ وَأُحِلَّتۡ لَكُمُ ٱلۡأَنۡعَٰمُ إِلَّا مَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡۖ فَٱجۡتَنِبُواْ ٱلرِّجۡسَ مِنَ ٱلۡأَوۡثَٰنِ وَٱجۡتَنِبُواْ قَوۡلَ ٱلزُّورِ ﴿٣٠﴾ ﴾

بعد أن ذكر الله المناسك -في سورة الحج- قال: ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمۡ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيۡرٞ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ﴾، ففيه إشارة إلى أن الحج ليس أقوالًا وأعمالًا جوفاء، وأن الخير الكثير إنما هو لمن تنسك معظمًا لحرمات الله، متقيًا معصيته؛ ولعل في افتتاح السورة بالأمر بالتقوى، واختتامها بالجهاد في الله حق المجاهدة تأكيدًا على ذلك.

د. عبدالله الغفيلي

﴿حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيۡرَ مُشۡرِكِينَ بِهِۦۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخۡطَفُهُ ٱلطَّيۡرُ أَوۡ تَهۡوِي بِهِ ٱلرِّيحُ فِي مَكَانٖ سَحِيقٖ ﴿٣١﴾ ﴾

١) التوحيد علو والشرك سقوط: ﴿وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخۡطَفُهُ ٱلطَّيۡرُ أَوۡ تَهۡوِي بِهِ ٱلرِّيحُ فِي مَكَانٖ سَحِيقٖ﴾ كذلك المشرك إذا ترك الاعتصام بالإيمان، تخطَّفته الشياطين من كل جانب، ومزقوه وأذهبوا عليه دينه ودنياه.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن ٥٣٨

٢) ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ انظر إلى هذا الزلزال النفسي، والشعور بالدمار والخراب في الحياة، الذي يملأ صدور الكفار، واليأس القاتل الذي يجثم على أحلامهم؛ لما يعيشونه من فقر شديد بالعلم بالله، بينما يملأ هذا حياة المسلم سعة ورحمة؛ بسبب ما يتيحه له من آفاق أرحب، للنظر في الحياة والكون والمصير.

د. فريد الأنصاري، جمالية الدين ٦٦

﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ۝٣٢﴾

١) تعظيم السلف لليلة القدر:

كان تميم الداري رضي الله عنه يتأول قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾ فقد اشترى حلة بألف درهم، يلبسها في الليلة التي تُرجى فيها ليلة القدر.

سير أعلام النبلاء ٢/٤٤٧

قارن هذا مع حال بعض الناس يأتي بثياب نومه للمسجد مع قدرته!

٢) ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ۝٣٢﴾ أضاف التقوى إلى القلوب؛ لأن حقيقة التقوى في القلب؛ ولهذا قال صلى الله عليه وسلم -كما في الصحيح- «**التقوى ها هنا**» ثلاثًا [1]، وأشار إلى صدره.

القرطبي، أحكام القرآن ١٢/٥٦

٣) تبدأ الأشهر الحرم بدخول شهر ذي القعدة، وأعظم تدبر عملي مع هذا الزمن الفاضل: أن يُرى العبد مُعظِّمًا لها بفعل الخيرات وترك المحرمات؛ فإنَّ الله يقول: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾.

د. عمر المقبل

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۗ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَلَهُۥٓ أَسْلِمُوا۟ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ۝٣٤ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣٥﴾

١) من أعظم البراهين على منزلة أي عبادة من العبادات أن تراها مشروعةً في جميع الشرائع، وهكذا كان النحر: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾؛ فهل يقدر المسلم هذه الشعيرة قدرها؟!

د. عمر المقبل

---

(١) مسلم ح(٢٥٦٤)، والترمذي ح (١٩٢٧)، وأحمد ح (٧٧٢٧).

٢) لمَّا بيَّن الله تعالى أن نحر بهيمة الأنعام من الشعائر المتفق عليها بين الأمم، ختم الآية بقوله: ﴿فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَلَهُۥٓ أَسْلِمُوا۟﴾ وهي إشارة واضحة إلى أنَّ أعظم رابط يجمع الأمم هو توحيد الله تعالى، وما يتفرع عنه من أخلاق وأعمال، دون ما سواه من الروابط الأرضية.

د. عمر المقبل

٣) ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ لما بين ابن عطية أنَّ الإخبات معناه التواضع والخشوع؛ قال: وهذا مثال شريف من خلق المؤمن الهين اللين.

المحرر الوجيز ٤/١٥٠

٤) الحج يربي على التواضع، والانكسار لله، وعدم التكبر على عباده، تأمل قوله تعالى -في سياق آيات الحج-: ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ﴾ أي: المتواضعين.

فهنيئًا لحاجٍّ لم يزده الحج إلا تواضعًا وإخباتًا لله.

أ. د. محمد العواجي

٥) ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ﴾ من أفضل حالات العبد في مثل هذه المواسم: انكسار القلب بين يدي الله، والإخبات له سبحانه، ومن أكثر ما يعين على العيش بهذه العبودية: تذكُّرُ ذنوبٍ سترها الله على العبد ولم يؤاخذه بها، وتذكّرُ جود الرب وكرمه، الذي يبعث على شدة الرجاء والتضرع.

٦) قال تعالى في سياق آيات الحج: ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ ذكر للمخبتين أربع علامات: وجل قلوبهم عند ذكره (والوجل خوف مقرون بهيبة ومحبة)، وصبرهم على أقداره، وإتيانهم بالصلاة قائمة الأركان ظاهرًا وباطنًا، وإحسانهم إلى عباده بالإنفاق مما آتاهم.

ابن القيم، شفاء العليل ١/١٠٦

فما أجمل أن ترى الحاج وقد جمّل ظاهره وباطنه بهذه العلامات.

﴿وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ ۖ فَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا صَوَآفَّ ۖ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَٰهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣٦﴾﴾

١) حج سعيد بن المسيب، وحج معه ابن حرملة، فاشترى سعيد كبشًا فضحى به، واشترى ابن حرملة بدنة بستة دنانير فنحرها، فقال له سعيد: أما كان لك فينا أسوة، فقال: إني سمعت الله يقول: ﴿وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ﴾ فأحببت أن آخذ الخير من حيث دلني الله عليه، فأعجب ذلك ابن المسيب منه، وجعل يحدث بها عنه.

الدر المنثور ٦/٥١

٢) من شعائر الله التي قل العمل بها: سوق الهدي إلى الحرم، قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ لَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٣٣﴾ ﴾ (الحج)، وقال: ﴿ وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ ۖ فَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا صَوَآفَّ ۖ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَٰهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾، قال الرازي: «وما أخلق العاقل بالحرص على شيء شهد الله -تعالى- بأن فيه خيرًا، وبأن فيه منافع»[١].

د. محمد القحطاني

﴿ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٧﴾ ﴾

١) قال بعض السلف: ﴿ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ ﴾ إن اتقيت الله في هذه البدن، وعملت فيها لله، وطلبت ما قال الله؛ تعظيمًا لشعائر الله، ولحرمات الله، وجعلته طيبًا، فذلك الذي يتقبل الله، فأما اللحوم والدماء، فمن أين تنال الله؟

جامع البيان لابن جرير ١٨/٦٤١

٢) قال تعالى: ﴿ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ ﴾ فالعبادات إن لم يقترن بها الإخلاص وتقوى الله، كانت كالقشور الذي لا لب فيه، والجسد الذي لا روح فيه.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن ٥٨٣

٣) ﴿ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ ﴾ فتأمل في دلالة كلمة ﴿مِنكُمْ﴾! فدفع الأموال منا، والجهد البدني في الذبح منا، فبقي تحقيق الأهم، وهي التقوى، فهي التي سنثاب عليها إن حققناها، وسنخسر إن غابت عن أعمالنا.

د. عمر المقبل

٤) ﴿ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ ﴾ هذه قاعدة عظيمة في أعمال ومناسك الحج كلها؛ فإذا رأيت الناس يتسابقون ويتزاحمون لتأدية الأعمال الظاهرة، فاسبقهم بتحقيق التقوى وتعظيم شعائر الله: ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴾.

أ. د. ناصر العمر

---

(١) مفاتيح الغيب ٢٣/٢٢٦.

٥) ورد في آيات الحج من العناية بأمر القلوب ما لم يرد في أي ركن من أركان الإسلام؛ لما في أعمال الحج من مظاهر قد تصرف عن مقاصده العظيمة إلى ضدها، تأمل: ﴿ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ ﴾، فتعاهد قلبك حين أداء نسكك.

أ. د. ناصر العمر

٦) المتأمل لآيات الحج يلحظ تكرر ورود التكبير، وذكر الله، والتركيز فيها على التقوى وعمل القلب؛ لأن أغلب مناسك الحج ارتبطت بمظاهر وجمادات محسوسة؛ فلئلا يتعلق القلب بشيء منها، أو يعتقد فيها ضرًا أو نفعًا، وينصرف عن المقصد الأعظم من الحج وهو تحقيق الإيمان والتقوى، تدبر: ﴿ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ ﴾.

أ. د. ناصر العمر

٧) الكسوف وتدبر عملي:

يقول أحد الإخوة: ركب معي في سيارتي بعد صلاة الكسوف -هذا اليوم- رجل عامي كبير في السن، وبكى كالطفل، فظننت أنه يبكي لوفاة حبيبه! سألته: عسى ما شر؟ فكان رده كالصاعقة عليّ! قال: أكثر الناس لا تصلي الكسوف! وبيوتنا فيها دشوش سيئة، وأولادنا لا يصلون، ونسرف في الولائم، فكيف لا نخاف؟ ونزل من السيارة وهو يكفكف دموعه!

وصدق الله: ﴿ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ ﴾.

متدبر

﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ٣٨ ﴾

١) ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ لا يبعد أن يكون المعنى: أنَّ الكفار يستعملون كلَّ ما في إمكانهم لإضرار المؤمنين، فيدفع الله كيدهم عن المؤمنين، فكان دفعه سبحانه لقوة عظيمة أهلها في طغيان شديد، يحاولون إلحاق الضرر بالمؤمنين؛ وبهذا الاعتبار كان التعبير بالمفاعلة، في قوله: ﴿يُدَٰفِعُ﴾، وإن كان ﷻ قادرًا على إهلاكهم، ودفع شرهم عن عباده المؤمنين.

الشنقيطي، أضواء البيان ٢٦٢/٥

٢) ربط الله سبحانه دفاعه عنك بصفة الإيمان؛ فكلما زاد إيمانك زاد دفاعه عنك، وكلما ضعف إيمانك؛ ضعف دفاعه عنك، وهذا بناء على القاعدة التفسيرية: أن الحكم المعلق على وصف، يزيد بزيادته وينقص بنقصانه.

د. خالد السبت

﴿ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيۡرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُۗ وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّهُدِّمَتۡ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٞ وَصَلَوَٰتٞ وَمَسَٰجِدُ يُذۡكَرُ فِيهَا ٱسۡمُ ٱللَّهِ كَثِيرٗاۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ﴿٤١﴾﴾

الحكم بغير ما أنزل الله من أعظم أسباب تغيير الدول، كما جرى مثل هذا مرة بعد مرة في زماننا وغير زماننا، ومن أراد الله سعادته جعله يعتبر بما أصاب غيره، فيسلك مسلك من أيده الله ونصره، ويجتنب مسلك من خذله الله وأهانه؛ فإن الله يقول في كتابه: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ﴿٤١﴾﴾.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى ٣٨٨/٣٥

﴿أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَتَكُونَ لَهُمۡ قُلُوبٞ يَعۡقِلُونَ بِهَآ أَوۡ ءَاذَانٞ يَسۡمَعُونَ بِهَاۖ فَإِنَّهَا لَا تَعۡمَى ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَلَٰكِن تَعۡمَى ٱلۡقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾﴾

١) من الاتعاظ بالزمن دراسة التاريخ العام، وتتبع آيات الله في الآفاق، وتدبر أحوال الأمم.

محمد الغزالي، خلق المسلم ٢١٠

٢) ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعۡمَى ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَلَٰكِن تَعۡمَى ٱلۡقُلُوبُ﴾ قال قتادة ﷺ: البصر الظاهر: بلغة ومتعة، وبصر القلب: هو البصر النافع.

معالم التنزيل ٣٩١/٥

٣) ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعۡمَى ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَلَٰكِن تَعۡمَى ٱلۡقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ﴾ فأخبر ﷻ أن الحواس تبع للعقل، وأن ذا العقل الذي يغلب هواه عليه لا ينتفع بما أدركت حواسه.

ابن حزم، رسائله ٣١٥/٤

٤) ليس كل مبصر يرى!

﴿فَإِنَّهَا لَا تَعۡمَى ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَلَٰكِن تَعۡمَى ٱلۡقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ﴾ أي: فعمى القلب هو العمى الحقيقي، لا عمى البصر، فأعمى القلب أولى أن يكون أعمى من أعمى العين؛ فنبه بقوله: ﴿ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ﴾ على أن العمى هو العمى الباطن في العضو الذي محله الصدر، لا العمى الظاهر في العضو الذي محله الوجه.

ابن تيمية، جامع مسائل شيخ الإسلام ٣٤٢

﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلْمُنكَرَ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِٱلَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ ٱلنَّارُ وَعَدَهَا ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٢﴾ ﴾

وأما وقيعة الفساق في أهل الفضل والدين، فعلى شَبَهٍ ممن قال الله فيهم: ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلْمُنكَرَ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِٱلَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا ﴾. واستخفاف هؤلاء بالدين يحملهم على إشاعة أشياء عن العلماء والدعاة منهم، ورجال الحسبة فيهم، بقصد الشناعة عليهم.

د. بكر أبوزيد، تصنيف الناس ١٥-١٦

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥٓ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُواْ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُواْ لَهُۥ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾ ﴾

كل من ترجوه من الناس، وتطمع في جاهه أو نصرته أو سلطانه وماله، فهو ضعيف مثلك، لا يملك لك شيئًا..! ﴿ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴾.

د. خالد المصلح

﴿ مَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾ ﴾

تسونامي اليابان:

﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ ﴾! سيارات تتدحرج كحبات المسبحة وهي تتناثر، وطرق القطارات والسيارات كأنما هي خيط تلك المسبحة، والقتلى والجرحى بالآلاف بعد مرور (٢٤ ساعة) فقط من وقوع الطوفان، وصار الناس كأنهم على بوابة القيامة فتراهم: ﴿ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ ﴾، مشهد يحرك في القلب معنى من معاني عظمة الجبار، وضعف الإنسان، فاللَّهُمَّ جنب بلاد المسلمين آثاره، ولين قلوبنا لنعتبر.

متدبر

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرْكَعُواْ وَٱسْجُدُواْ وَٱعْبُدُواْ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُواْ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾ ﴾

١) سورة الحج.. فيها من التوحيد والحِكَم والمواعظ على اختصارها ما هو بيِّن لمن تدبره، وفيها ذكر الواجبات والمستحبات كلها: توحيدًا وصلاة وزكاة وصيامًا، قد تضمن ذلك قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرْكَعُواْ وَٱسْجُدُواْ وَٱعْبُدُواْ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُواْ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾، فهذه الآية والتي بعدها لم تترك خيرًا إلا جمعته، ولا شرًّا إلا نفته.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى ١٥/٢٦٦

٢) إذا عبر عن شيء بأحد أجزائه، فهذا دليل على أنه ركن فيه؛ ومن هنا أخذت ركنية الركوع والسجود في الصلاة من قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْۤ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ (الحج: ٧٧).

د. محمد الخضيري

﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيۡكُمۡ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعۡتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ فَنِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ ٧٨﴾

١) ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ﴾ قال الحسن البصري ﷺ: إن الرجل ليجاهد في الله حق جهاده وما ضَرَبَ بسيف.

الدر المنثور ٧٨/٦

٢) ختم الله سورة الحج بقوله: ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ﴾، وفي ذلك -والله أعلم- إشارة إلى استمرار الجهاد والمجاهدة بعد هذه الفريضة العظيمة، والأيام المتميزة بفضلها، وتنوع الأعمال الصالحة فيها، وأن ذلك ليس خاصًا بها، بل العبد محتاج لها في الصلاة، والزكاة، والاعتصام بالله، مبينا أن الانضباط بالشريعة -مع حاجته إلى المجاهدة- ليس فيه أي حرج أو عسر، بل هو سمة هذا الدين، ومنهج أبينا إبراهيم، وبه يتحقق الاجتباء والاصطفاء، فهل يتنبه لذلك من يركن للراحة والدعة والتفريط بعد الحج؟!

أ. د. ناصر العمر

٣) المتأمِّل في آيات الحج يلحظ سمة التيسير في تشريعاته وأحكامه كلِّها، لكنه تيسير منضبط لا عن هوى وتشهي، والتيسير لا يعني عدم المشقة والتعب، فقد ختم الله أحكام الحج في سورة الحج بقوله: ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ﴾، وسمَّاه النبي ﷺ جهادًا، وأبان أن الأجر فيه على قدر النصب والتعب.

أ. د. ناصر العمر

سورة المؤمنون

اقرأ أول سورة «المؤمنون» بتدبر، تجد أن من أهم صفات المؤمنين المفلحين: إتقان العمل، والمداومة عليه، وهذان الأمران هما سر النجاح وأساس الفلاح، فالخشوع في الصلاة يشير إلى ضرورة الإتقان، والمحافظة على جميع الصلوات لا تكون إلا بالمداومة والاستمرار.

د. محمد القحطاني

﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝١﴾

١) سورة المؤمنون أولها ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ وآخرها: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ المؤمنون: ١١٧ فشتان ما بين الفاتحة والخاتمة!

الزمخشري، الكشاف ٤/٣٧٣

٢) ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ أفلحوا هكذا بإطلاق؛ في كل شيء، في كل آن.. لم يقيد الفلاح بـ(أين) ولا (متى)، هم المفلحون دومًا لو التزموا الإيمان.

د. خالد المزيني

فتأمل -يا عبدالله- في الصفات التي جعلت أولئك المؤمنين يفلحون، وتأمل أواخر هذه السورة؛ لتدرك لِمَ لا يفلح الكافرون؟!

﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝١ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ۝٢ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣﴾

١) من أعظم موانع الخشوع: كثرة اللغو والحديث الذي لا منفعة فيه؛ ولذلك ذكر من صفات المؤمنين إعراضهم عن اللغو بعدما ذكر خشوعهم فقال: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝١ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ۝٢ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣﴾.

د. محمد الخضيري

٢) لقد كانت هذه الآية -التي وصف الله فيها عباده المفلحين-: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾ من أعظم ما منعني من الاسترسال في إرسال الرسائل التي لا فائدة منها، فضلًا عن المحرمة، رغم أن عرض الرسائل المجانية ما زال ساريًا[١].

متدبر

﴿ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾﴾

١) خلق سبحانه الحناجر مختلفة الأشكال: في الضيق والسعة والخشونة والملاسة والصلابة واللين والطول والقصر؛ فاختلفت بذلك الأصوات أعظم اختلاف، ولا يكاد يشتبه صوتان إلا نادرًا ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾.

ابن القيم، مفتاح دار السعادة ١ /١٩١

٢) ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾ جاء لفظ (تبارك) في القرآن عدَّة مرات، وكلها مسندة إلى الله ﷻ، ولم تأت مسندةً لمخلوق أبدًا؛ لأنَّ المخلوق لا يوجدها، ولكن قد يكون سببًا في حدوثها، وبهذا يتبيَّن خطأ القول الشائع كـ: تبارك المنزل، وتباركت السيارة ونحوهما، مع حسن قصد قائلها.

أ. د. ناصر العمر

﴿فَقَالَ ٱلْمَلَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌۢ بِهِۦ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا۟ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٢٥﴾﴾

أيها المُصْلِح:

هذه سيرة أعداء المُصلحين مع كلِّ رسول: ينتقصونه: ﴿مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ﴾، ويطعنون في نواياه: ﴿يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ﴾! وفي عقله: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌۢ بِهِۦ جِنَّةٌ﴾، ويترصَّدون له: ﴿فَتَرَبَّصُوا۟ بِهِۦ﴾.

د. خالد المزيني

(١) أرسلت حين عرضت إحدى شركات الاتصالات عرضًا مجانيًا في إرسال الرسائل لمدة شهر كامل.

﴿ وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَاسِرُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾

من ضعيف حُجج الملأ وغريبها قولهم لأقوامهم -تكذيبًا للرُّسل-: ﴿ وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ ﴾؛ فيقال لهم: فإن اتَّبعوكم في تحذيركم هذا؛ هل سيخرجون عن أن يتبعوا بشرًا مثلهم؟!

د. مساعد الطيار

﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٤٥﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ ﴿٤٦﴾ فَقَالُوا أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ ﴿٤٧﴾ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ ﴿٤٨﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾

تجربة سعدية مع التدبر:

مر عليّ منذ زمان طويل كلام لبعض العلماء لا يحضرني الآن اسمه، وهو أنه بعد بعث موسى ونزول التوراة، رفع الله العذاب عن الأمم، أي: عذاب الاستئصال، وشرع للمكذبين المعاندين الجهاد، ولم أدر من أين أخذه، فلما تدبرت هذه الآيات، مع الآيات التي في سورة القصص، تبين لي وجهه أما هذه الآيات؛ فلأن الله ذكر الأمم المهلكة المتتابعة على الهلاك، ثم أخبر أنه أرسل موسى بعدهم، وأنزل عليه التوراة فيها الهداية للناس، ولا يَرد على هذا إهلاك فرعون، فإنه قبل نزول التوراة، وأما الآيات التي في سورة القصص، فهي صريحة جدًا، فإنه لما ذكر هلاك فرعون قال: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِن بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَىٰ بَصَائِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ (القصص) فهذا صريح أنه آتاه الكتاب بعد هلاك الأمم الباغية.

تيسير الكريم الرحمن ٥٥٢

﴿ يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾ ﴾

١) أوصى سفيان الثوري رجلًا فقال: إياك أن تزداد بحلمه عنك جرأة على المعصية؛ فإن الله لم يرض لأنبيائه المعصية والحرام والظلم، فقال: ﴿ يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا ﴾، ثم قال للمؤمنين: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ ﴾ (البقرة: ٢٦٧)، ثم أجملها، فقال: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾ ﴾ (البقرة).

حلية الأولياء ٧/٢٤

٢) ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ﴾ أمر الرسل بالأكل من الطيبات فيه رد على الغلاة الذين يمتنعون منها، وفيه رد على الجفاة الذين لا يقتصرون عليها.

محمد بن عبدالوهاب، تفسير آيات من القرآن ٤٠٢

٣) ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًا ﴾ الأمر بإصلاح العمل مع الأكل من الطيبات فيه رد على ثلاث طوائف:

١- من يأكلون الطيبات بلا شكر، والشكر هو العمل المرضي.

٢- من يعمل بغير إخلاص، وهم المراؤون.

٣- من يعمل مخلصًا، لكن على غير السنة.

محمد بن عبدالوهاب، تفسير آيات من القرآن ٤٠١

٤) تأمل كيف قرن الله بين أكل الطيبات وعمل الصالحات في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًا ﴾؛ فأكل الحلال الطيب مما يعين العبد على فعل الصالحات، كما أن أكل الحرام أو الوقوع في المشتبهات مما يثقل العبد عن فعل الصالحات.

فهد العيبان

﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾

١) قال تعالى: ﴿ وَجِلَةٌ ﴾ أي: خائفة، يقول الحسن البصري ﵀: يعملون ما يعملون من أعمال البر، وهم يخافون ألا ينجيهم ذلك من عذاب ربهم، إن المؤمن جمع إحسانًا وشفقة، وإن المنافق جمع إساءة وأمنًا.

جامع البيان ٤٥/١٩

٢) كان سهل بن عبد الله التستري يقول: إنما خوف الصديقين من سوء الخاتمة عند كل خطرة، وعند كل حركة، وهم الذين وصفهم الله تعالى بقوله: ﴿ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ ﴾.

إحياء علوم الدين ١٧٢/٤

٣) إن الله إذا أراد بعبد خيرًا، سلب رؤية أعماله الحسنة من قلبه، والإخبار بها من لسانه، وشَغَلَه برؤية ذنبه، فلا يزال نصب عينيه؛ حتى يدخل الجنة ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴾.

ابن القيم، طريق الهجرتين ١٧٢

٤) يقول ابن رجب: وإنما أمر بسؤال العفو في ليلة القدر: «**اللَّهُمَّ إنك عفو تحب العفو، فاعف عني**»[1] بعد الاجتهاد في الأعمال فيها وفي ليالي العشر؛ لأن العارفين يجتهدون في الأعمال، ثم لا يرون لأنفسهم عملًا صالحًا ولا حالًا ولا مقالًا، فيرجعون إلى سؤال العفو كحال المذنب المقصر، كما قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤۡتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ﴾.

لطائف المعارف ٢٢٨

٥) من تدبر القرآن علم أن الصالحين لا يخافون من شيء أعظم من خوفهم من أمرين:

- الخوف من أعمالهم الصالحة أن لا تقبل: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤۡتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ﴾.
- الخوف من زيغ القلب بعد هدايته: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغۡ قُلُوبَنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَيۡتَنَا﴾ (آل عمران: ٨).

صالح المغامسي، محاضرة: كيف نتدبر القرآن؟

٦) القرآن يعلمنا -وخاصة في رمضان- أن لا نغتر بصيامنا ولا بكثرة قيامنا؛ بل يزداد خوفنا بازدياد طاعتنا؛ لأننا نحيا بقول الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤۡتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ أَنَّهُمۡ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ رَٰجِعُونَ﴾.

متدبر

﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَهُمۡ لَهَا سَٰبِقُونَ ٦١﴾

الآية دليل على أن المبادرة إلى الأعمال الصالحة: من صلاة في أول الوقت -وغير ذلك من العبادات- هو الأفضل، ومدح الباري أدل دليل على صفة الفضل في الممدوح على غيره.

ابن العربي، أحكام القرآن ٤٦٧/٥

﴿بَلۡ قُلُوبُهُمۡ فِي غَمۡرَةٖ مِّنۡ هَٰذَا وَلَهُمۡ أَعۡمَٰلٞ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ هُمۡ لَهَا عَٰمِلُونَ ٦٣﴾

أرض القلب إذا بذر فيها خواطر الإيمان، والخشية والمحبة والإنابة، والتصديق بالوعد، ورجاء الثواب، وسُقيت مرة بعد مرة، وتعاهدها صاحبها بحفظها ومراعاتها، والقيام عليها؛ أثمرت له كل فعل جميل، وملأت قلبه من الخيرات، واستعملت جوارحه في الطاعات؛ فاحذر أن تكون ممن قال الله فيهم: ﴿بَلۡ قُلُوبُهُمۡ فِي غَمۡرَةٖ مِّنۡ هَٰذَا وَلَهُمۡ أَعۡمَٰلٞ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ هُمۡ لَهَا عَٰمِلُونَ﴾.

ابن القيم، طريق الهجرتين ٢٧٥

---

(١) الترمذي ح (٣٥١٣)، وابن ماجه ح(٣٨٥٠)، وأحمد ح(٢٥٣٨٤).

﴿ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾

﴿ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ ﴾ جاءت في سياق الخطاب مع الكافرين؛ لتقرر أن التدبر للكافر هو مفتاح الهداية، فكيف بالمسلم؟!

د. عبدالله الغفيلي

﴿ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا۟ رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾

استجابة الناس للداعية الغريب عليهم ضعيفة غالبًا، ويسهل قبول الطعن فيه من خصومه، وإنكار ما يدعو إليه، بخلاف ما إذا كان معروفًا بشخصه وبأخلاقه؛ فالأولى بمن ذهب لبلد لا يعرف فيه أن يكون هناك من وجهاء البلد من يعرِّف به ويزكيه.

أ. د. ناصر العمر

﴿ أَمْ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةٌۢ ۚ بَلْ جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾

تجنب الحكم بالتعميم ما استطعت، وتأمل: ﴿ بَلْ جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴾ فقد يكون بعضهم يؤمن بقلبه، لكنه ساكت خوفًا على نفسه.

د. محمد الربيعة

﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴿٧٦﴾ ﴾

١) ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴾ هذا نموذج لصنف من الناس الذين تصيبهم المصائب والنكبات والعذاب، ولكن قلوبهم قاسية لا تتأثر، نسأل الله العافية.

ابن عثيمين، شرح رياض الصالحين (١/٢٤) (بتصرف)

٢) قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴾، وقال: ﴿ فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا۟ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ أمرٌ طبيعي أن نبتلى، والمطلوب شرعًا أن يسمع ربنا -الغني عنا- تضرعنا حين نبتلى؛ لأن الله عاب على هؤلاء عدم تضرعهم فقط.

متدبر

﴿ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ٱلسَّيِّئَةَۚ نَحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ٩٦﴾

١) فقه الآية: اسلك مسلك الكرام، ولا تلحظ جانب المكافأة؛ ادفع بغير عوض، ولا تسلك مسلك المبايعة، ويدخل فيه: سلِّم على من لم يسلِّم عليك، والأمثلة تكثر.

ابن العربي، أحكام القرآن ٤٧٣/٥

٢) والتخلق بهذه الآية هو أن المؤمن الكامل ينبغي له أن يفوض أمر المعتدين عليه إلى الله، فهو يتولى الانتصار لمن توكل عليه، وأنه إن قابل السيئة بالحسنة كان انتصار الله أشفى لصدره وأرسخ في نصره، وماذا تبلغ قدرة المخلوق تجاه قدرة الخالق؟ وهو الذي هزم الأحزاب بلا جيوش ولا فيالق.

ابن عاشور، التحرير والتنوير ٩٧/١٨

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ رَبِّ ٱرۡجِعُونِ ٩٩ لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا فِيمَا تَرَكۡتُۚ كَلَّآۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَاۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرۡزَخٌ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ١٠٠﴾

١) هل تشعر بنعمة بلوغ رمضان؟

فقط تذكر كلمة ذلك المحتضر الذي قال: ﴿رَبِّ ٱرۡجِعُونِ ٩٩ لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا فِيمَا تَرَكۡتُ﴾! وتذكر صرخة أهل النار: ﴿رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا﴾ (فاطر:٣٧).. فيا بشراك يا من بلغت مواسم الخيرات، ووفقت لعمل الصالحات.

د. عمر المقبل

٢) تقليب النظر في ملف الزمن:
قال قتادة في قوله تعالى: ﴿لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا فِيمَا تَرَكۡتُ﴾ طلب الرجوع ليعمل صالحًا، لا ليجمع الدنيا، ويقضي الشهوات، فرحم الله امرءًا عمل فيما يتمناه الكافر إذا رأى العذاب.

تفسير السمعاني ٣ / ٤٩٠

٣) ﴿كَلَّآۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا﴾ قال الإمام السمعاني: يعني: سؤال الرجعة، وقد قال أهل العلم من السلف: لا يسأل الرجعة عبدٌ له عند الله ذرة من خير؛ لأنه إذا كان له خير عند الله فهو يحب القدوم عليه.

تفسير السمعاني ٣ /٤٩٠

﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾

قال رجل لزهير بن نعيم: ممن أنت يا أبا عبد الرحمن؟ قال: ممن أنعم الله عليه بالإسلام؛ قال: إنما أريد النسب، قال: ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴾.

حلية الأولياء ١٠/١٤٩

﴿ إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِى يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِى وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾

١) شهدت عددًا من الكتّاب الشباب لا زالت خصومتهم مع المتدينين تتمادى بهم؛ حتى تورَّطوا بمقالات محادَّة للوحي، كل ذلك بدافع النكاية بالمتدينين وإغاظتهم فقط، وكنت أظنُّها صرعة جديدة حتى قرأت قوله تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِى يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِى وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴾.

إبراهيم السكران

٢) ﴿ فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِى وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴾ وهذا الذي أوجب لهم نسيان الذكر: اشتغالهم بالاستهزاء بالمؤمنين، كما أن نسيانهم للذكر يحثهم على الاستهزاء، فكل من الأمرين يمد الآخر، فهل فوق هذه الجراءة جراءة؟!

السعدي، تيسير الكريم الرحمن ٥٦٠

سورة النور

﴿سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۝١﴾

١) تأمل بداية سورة النور ﴿سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا﴾ ففيه توطئة لما سيأتي في مضامين السورة من الحدود والأحكام والآداب، فينبغي على الناس أن ينقادوا لها انقيادًا كاملًا؛ لأنها ليست أفكارًا بشرية، ولا تخضع للاجتهادات، بحيث يدلي كل إنسان بوجهة نظره فيما يتعلق بالاختلاط ولباس المرأة وخروج المرأة؛ فليس لأحد أن يعترض على حدود الله بحجة أنها قضايا شخصية!

د. خالد السبت

٢) قال تعالى في أول سورة النور: ﴿سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ ۝١﴾ فهذه السورة فيها حجج وتوحيد، وفيها دلائل الأحكام، والكل آيات بينات: حجج العقول ترشد إلى مسائل التوحيد، ودلائل الأحكام ترشد إلى وجه الحق، وترفع غمة الجهل، وهذا هو شرف السورة؛ فيكون شرفًا للنبي ﷺ في الولاية، شرفًا لنا في الهداية.

ابن العربي، أحكام القرآن ٥/٤٧٨

﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ۝٢﴾

١) ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ من المعلوم أن ألم العلاج النافع، أيسر وأخف من ألم المرض الباقي.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى ١٥/ ٢٩٠

٢) ﴿وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ﴾ نهى عن التهاون في إقامة العقوبات عمومًا، والفواحش خصوصًا؛ لأنَّ مبناها على المحبة والشهوة، فيزين الشيطان انعطاف القلوب على أهلها، حتى يدخل كثير من الناس في الدياثة وقلة الغيرة، وربما ظن أنَّ هذا رحمة ولين جانب، وإنما ذلك مهانة وضعف إيمان، وإعانة على الإثم والعدوان، وترك للتناهي عن الفحشاء والمنكر.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى ١٥/٢٨٧

﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ۝١٠﴾

قوله تعالى بعد ذكره أحكام القذف: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ۝١٠﴾ قد يقال: إن المتوقع أن يقال: ﴿تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾؛ لأن الرحمة مناسبة للتوبة، لكن ختمت باسم الله (الحكيم) إشارة إلى فائدة مشروعية اللعان وحكمته، وهي الستر عن هذه الفاحشة العظيمة.

السيوطي، الإتقان ٢/٢٧٥

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝١١﴾

١) ﴿لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ هذه الجملة جاءت في أول آية من الآيات التي نزلت في قصة الإفك الذي يجدد طرحه أهل إفك آخرون -هذه الأيام- ممن كذبوا القرآن الذي برأها .
وصدق الله: ﴿بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ فكم كان لهذا الحدث من أثر في يقظة الأمة وتبصيرها بحقيقة القوم، وغيرها من الحكم.

د. محمد الربيعة

٢) إلى من يتسابق في نشر المقاطع المحرمة في الجوال أو النت:
تأمل قوله تعالى: ﴿لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ ففي الآية دليل على أن من سن شرًا أعظم إثمًا ممن وافقه عليه؛ لأن المتولي للكبر كان السابق إلى الإفك، وسائرهم صدَّق قوله، فاستوجب ضِعف العذاب.

القصاب، نكت القرآن ٢/٤٣٤

﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ۝١٥﴾

١) قال عبد الله بن مسعود ﷺ: ما على وجه الأرض شيء أحوج إلى طول سجن من لسان.

الفوائد لابن القيم ٢١٧

٢) من الناس من يتلقف الكلام دون تمحيص، ويلقيه بلا تفكر في صدقه وكذبه، ودون أن يعرضه على قلبه وعقله، ويحسب الأمر هينًا وفي مثلهم نزل قوله تعالى: ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ﴾.

د. محمد الخضيري

٣) ﴿وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم﴾ مع أن القول لا يكون بغير الأفواه، إلا أنه ذكر تمهيدًا لقوله: ﴿مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ﴾ وفي هذا من الأدب: أن المرء لا يقول بلسانه إلا ما يعلمه ويتحققه وإلا فهو أحد رجلين: ناقص الرأي، يقول الشيء قبل التبين، فيوشك أن يكذب، أو رجل مموه مراء يقول ما يعتقد خلافه.

ابن عاشور، التحرير والتنوير ١٨/١٤٣

٤) يقول أحد الإعلاميين (من دولة خليجية) ممن أوتي قدرة على الكتابة وخصوصًا الوصف، والكتابة في عالم الغزل، والتشبيب بالنساء: كانت تأتيني رسائل ثناء وإشادة كثيرة من المتابعين، وذات يوم جاءته رسالة قصيرة من جوال لا يعرفه، غَيَّرتْ مسار حياته الإعلامية وكتاباته، هي: ﴿وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ﴾.

من مقابلة مع الكاتب نفسه في قناة المجد الفضائية

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾﴾

١) لشيوع أخبار الفواحش بين المؤمنين مفسدة عظيمة؛ فإن مما يبعد الناس عن المفاسد تهيبهم لها، فإذا تناقل الناس أخبار الفواحش؛ خف وقعها على الأسماع، وأقدمت عليها النفوس؛ ولهذا قال: ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾.

ابن عاشور، التحرير والتنوير ٨/١٨٥

٢) العاقل هو الذي يتحسس معايب نفسه، وينظر معايب نفسه ليصلحها، لا أن ينظر معايب الغير ليشيعها -والعياذ بالله-؛ ولهذا قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ﴾.

ابن عثيمين، تفسير سورة الحجرات ٥١

٣) ومحبة إشاعة الفاحشة تنتظم جميع الوسائل القبيحة إلى هذه الفاحشة: سواء كانت بالقول، أم بالفعل، أم بالإقرار، أو ترويج أسبابها، وهكذا، وهذا الوعيد الشديد ينطبق على دعاة تحرير المرأة في بلاد الإسلام من الحجاب، والتخلص من الأوامر الشرعية الضابطة لها في عفَّتها وحشمتها وحيائها.

د. بكر أبو زيد، حراسة الفضيلة ٥٢

٤) ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ ﴾ يدخل في ذلك دعوات ساقطة لإخراج المرأة من خدرها، وقد ينطلي على بعض ممن في قلبه إيمان؛ فيرى مع كثرة الدعوات الآثمة أن لا بأس بمزاولة المرأة أعمالًا يراها الرائي لأول وهلة لا ضير فيها، وهي عند العارفين ذرائع للفاحشة، وإشاعة لها.

عبدالعزيز آل الشيخ

٥) في هذه الآية وعيد رباني لا يتخلف للذين يتبنون مشاريع الفساد والإفساد في الأرض بالعذاب الأليم في الدنيا قبل الآخرة، سواء كان حسيًا أو نفسيًا؛ علمنا به أم لم نعلم؛ ولذلك ختمها بقوله: ﴿ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾، وفي ذلك شفاء لصدور المؤمنين، وإذهاب لغيظ قلوبهم.

أ. د. ناصر العمر

٦) إذا زكَّى إمام من الأئمة أحدًا، فهذه منقبة، وإذا كان المزكي هو الرسول ﷺ، فلا سبيل إلى الجرح، فكيف إذا كان المزكي والشاهد بالفضل هو الله ﷻ؟ هذا ما وقع لجميع أمهات المؤمنين، وخصوصًا عائشة ﵂ التي أنزل الله في براءتها (١٦ آية) من سورة النور.

د. عمر المقبل

٧) إذا كان الوعيد الذي نزل في شأن من قذفوا عائشة ﵂ بهذه الشدة والتهديد، والآيات لم تنزل إلا بعد حدوث الإفك؛ فكيف سيكون الحال فيمن قذفها بعد نزول الآيات الصريحة في براءتها؟!

متدبر

﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِۚ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِۚ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢١﴾ ﴾

١) قال شوقي: نظرة فابتسامة فسلام فكلام فموعد فلقاء

ويكثر هذا في أماكن العمل المختلطة حسًّا أو معنى: كالمستشفيات، وبعض المنتديات، ومواقع الشبكات، ومن أعظم ما يقطع هذه الخطى الشيطانيَّة تذكّر: ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴾ (الرحمن:٤٦).

٢) كثير من المسلمين -ولله الحمد- يسألون الله من فضله، لكن كثيرًا منهم لا يخطر بباله إلا الفضل الدنيوي: كالرزق والصحة ونحوها، ويغيب عنهم أن أعظم الفضل الإلهي إنما هو تزكية النفوس؛ ولذا قال تعالى: ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ ﴾.

إبراهيم السكران

﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُوا۟ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓا۟ أُو۟لِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾ ﴾

١) أتحب أن يعفو الله عنك، ويغفر لك؟ إنه عمل سهل؛ لكنه عند الله عظيم! وهذا يتحقق لك بأن تعفو وتصفح عن كل مسلم أخطأ في حقك، أو أساء إليك، أو ظلمك؛ فإن استثقلت نفسك هذا، فذكرها قول ربها: ﴿ وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾.

د. محمد العواجي

٢) نزلت في أبي بكر لما حلف ألا ينفق على مسطح بعد قذف عائشة، ولم يشر الله إلى خطيئة مسطح، حيث تم إقامة الحد عليه فطهَّره.

فهل نتعامل مع أصحاب الذنوب بمثل ذلك إذا تابوا أو طهروا؛ فلا نذكرهم بسوءٍ أبدًا؟!

أ. د. ناصر العمر

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ لُعِنُوا۟ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ ﴾

١) ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ﴾ الغفلة عن القبائح مانعة من فعلها؛ إذ لا يتأتى فعلها إلا بالعزم عليها، ولا عزم عليها مع عدم الشعور بها، وتحصل هذه الغفلة بإيجاد الأسباب الشاغلة.

العز بن عبد السلام، شجرة المعارف والأحوال ٩٦

٢) لماذا توصف المؤمنات المحصنات بـ ﴿ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ﴾؟ إنه وصف لطيف محمود يُجسّد المجتمع البريء، والبيت الطاهر الذي تشب فتياته: زهرات ناصعات، لا يعرفن الإثم، إنهن غافلات عن ملوثات الطباع السافلة. وإذا كان الأمر كذلك، فتأملوا كيف تتعاون الأقلام الساقطة، والأفلام الهابطة؛ لتمزِّق حجاب الغفلة هذا، ثم تتسابق وتتنافس في شرح المعاصي، وفضح الأسرار وهتك الأستار، وفتح عيون الصغار قبل الكبار؟! ألا ساء ما يزرون!!

د. صالح بن حميد

﴿يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ ﴿٢٥﴾﴾

ولو فَلَيْتَ القرآن كله، وفتّشت عما أوعد به العصاة، لم تر الله تعالى قد غلظ في شيء تغليظه في إفك عائشة ﵂، ولا أنزَل من الآيات القوارع المشحونة بالوعيد الشديد، والعتاب البليغ، والزجر العنيف، واستفظاع ما أقدم عليه، ما أنزَل فيه؛ على طرق مختلفة، كل واحد منها كاف في بابه.

١ - حيث جعل القَذَفة ملعونين في الدارين جميعًا.

٢ - توعدهم بالعذاب العظيم في الآخرة.

٣ - أن ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم تشهد عليهم بما أفكوا وبهتوا.

٤ - أنه يوفيهم جزاءهم الحق الواجب حتى يعلموا ﴿أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ﴾.

فأوجز في ذلك وأشبع، وفصل وأجمل، وأكد وكرر، وما ذاك إلا لأمر.

الزمخشري، الكشاف ٢٢٣/٣

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهْلِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ فَإِن لَّمْ تَجِدُواْ فِيهَآ أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرْجِعُواْ فَٱرْجِعُواْ هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾

قال بعض المهاجرين: لقد طلبت عمري كلَّه هذه الآية، فما أدركتها: أن أستأذن على بعض إخواني، فيقول لي: «ارجع»، فأرجع وأنا مغتبط؛ لقوله: ﴿هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ﴾.

ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ٤١/٦

﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُواْ فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾﴾

ليحذر العاقل إطلاق البصر؛ فإن العين ترى غير المقدور عليه على غير ما هو عليه.

ابن مفلح، الفروع ١٨١/٨

﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُوْلِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُواْ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾﴾

١) ومن ذا الذي يجمع الفتيان والفتيات في غرفة وينتظر من الجنسين أن يصرفوا أبصارهم عن النظر، ولا يتبعوا النظرة بأخواتها؟ وهل يستطيع أحد أن يقول: إن عليهم أن يحتفظوا بأدب غض أبصارهم من حين الالتقاء بين جدران الجامعة إلى أن ينفضوا من حولها؟

الخضر حسين، محاضرات إسلامية ١٩٠ / ٢٠٠

٢) وليس في حماية الفتاة من الاختلاط بغير محارمها تضييق لدائرة الحياة في وجهها، وإنما هو احتفاظ بكرامتها، وتوفير لهنائها؛ إذ بصيانتها عن الاختلاط تعيش بقلب طاهر ونفس مطمئنة، وبهذه الصيانة تزيد الصلة بينها وبين زوجها وأولي الفضل من أقاربها متانة وصفاء.

الخضر حسين، محاضرات إسلامية ١٩٠-٢٠٠

٣) سد الذرائع: ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ﴾ يؤخذ من الآية قاعدة سد الذرائع، فإذا كان المباح يفضي إلى محرم أو يُخاف من وقوعه، فإنه يمنع منه، فالضرب بالرجل في الأرض الأصل أنه مباح، ولكن لما كان وسيلةً لعلم الزينة، مُنع منه.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن ٥٦٦

٤) ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ﴾ أيهما أعظم فتنة أن يسمع الرجل خلخالًا بقدم امرأة لا يدري ما هي؟ وما جمالها؟ ولا يدرى أشوهاء هي أم حسناء؟! أو أن ينظر إلى وجه سافر جميل، ممتلئ شبابًا ونضارة، وحسنًا وجمالًا وتجميلًا بما يجلب الفتنة، ويدعو إلى النظر إليها؟

ابن عثيمين، رسالة الحجاب ٥

٥) تدبر هذه الآية مليًا: ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ﴾ فالقدم هنا مغطاة، ونهى عن أي حركة تظهر ما تحت ستر القدم، وهو الخلخال؛ أفيكون كشف أجمل ما في المرأة -وهو وجهها- مباحًا؟!

أ. د. ناصر العمر

٦) قف متأملًا لهذه الآية: ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ﴾ وفي آخرها: ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ﴾فشريعة حددت حركة العين، وبينت حكم صوت الخلخال في القدم؛ أينقصها بيان حكم الله في سائر شئون الحياة؟ فلا نامت أعين المنهزمين!

أ. د. ناصر العمر

٧) في قوله تعالى -في خواتيم آية غض البصر-: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ فوائد جليلة، منها: أن أمره لجميع المؤمنين بالتوبة في هذا السياق؛ تنبيه على أنه لا يخلو مؤمن من بعض هذه الذنوب التي هي: ترك غَضِّ البصر، وحَفْظِ الفرج، وترك إبداء الزينة، وما يتبع ذلك، فمستقل ومستكثر.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى ٤٠٣/١٥

٨) أتدري من المخاطب بهذه الآية؟ ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ لقد خاطب الله بها أهل الإيمان وخيار خلقه أن يتوبوا إليه بعد إيمانهم وصبرهم وهجرتهم وجهادهم، ثم علق الفلاح بالتوبة تعليق المسبب بسببه، وأتى بأداة لعل المشعرة بالترجي؛ إيذانًا بأنكم إذا تبتم كنتم على رجاء الفلاح، فلا يرجو الفلاح إلا التائبون جعلنا الله منهم.

ابن القيم، مدارج السالكين ١٧٨/١

٩) تأمَّل هذا السر العظيم من أسرار التنزيل وإعجاز القرآن الكريم: ذلك أن الله - تعالى - لما ذكر في فاتحة سورة النور شناعة جريمة الزنى، وتحريمها تحريمًا غائبًا، ذكر سبحانه من فاتحتها إلى تمام الآية ٣٣: أربع عشرة وسيلة وقائية: تحجب هذه الفاحشة، وتقاوم وقوعها في مجتمع الطهر والعفاف جماعة المسلمين، وهذه الوسائل الواقية: فعلية، وقولية، وإرادية.

د. بكر أبو زيد، حراسة الفضيلة ١٥٨

فحاول أن تستخرجها زادك الله فهمًا في كتابه.

﴿۞ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍۗ يَهْدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾﴾

١) ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ فعندما يجتمع الجلساء متحلقين بمجالس القرآن، ويشرعون في الاشتغال بكتاب الله، فإنما هم في الحقيقة يصلون أرواحهم بحبل الله النوراني، ويربطون مصابيح قلوبهم بمصدر النور الأكبر، فإذا بهم يستنيرون بصورة تلقائية، وبقوة لا نظير لها؛ وذلك بما اقتبسوا من نور الله العظيم.

د. فريد الأنصاري، مجالس القرآن ٥٧

٢) ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ فهلا سألت نفسك -إذا أحسست بظلمة في صدرك أو قلبك- ما الذي يحول بينك وبين هذا النور العظيم الذي ملأ الكون كله؟!

﴿وَمَن لَّمۡ يَجۡعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورٗا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ۝٤٠﴾ (النور).

أ. د. ناصر العمر

٣) تدبر سورة النور له أثر عظيم في علاج التعلق بالصور والرسوم؛ لما في السورة من التزكية والنور: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ والتعلق ظلمة في القلب، فإذا حل النور، انجلى الظلام وزكى الفؤاد.

أ. د. ناصر العمر

٤) في حديث ابن مسعود ﷺ: «**وأن تجعل القرآن ربيع قلبي، ونور صدري**»[1] قال ابن تيمية ﷺ: إذا نزل الربيع بأرض أحياها، أما النور فإنه ينتشر ضوءه عن محله؛ فلما كان الصدر حاويًا للقلب، جعل الربيع في القلب والنور في الصدر لانتشاره كما فسرته المشكاة، في قوله: ﴿مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشۡكَوٰةٖ فِيهَا مِصۡبَاحٌۖ ٱلۡمِصۡبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ﴾ وهو القلب.

مجموع الفتاوى ٣١٢/١٨

٥) في قوله تعالى: ﴿ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوۡكَبٞ دُرِّيّٞ﴾ شبه الله -تعالى- الزجاجة بالكوكب، ولم يشبهها بالشمس والقمر؛ لأن الشمس والقمر يلحقهما الخسوف، والكواكب لا يلحقها الخسوف.

البغوي، معالم التنزيل ٣٠٠/٣

٦) ﴿يَهۡدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ تأمل! كم حُرم هذا النور أناس كثيرون هم أذكى منك! وأكثر اطلاعًا منك! وأقوى منك! وأغنى منك! فاثبت على هذا النور، حتى تأتي -بفضل الله- يوم القيامة مع مَنْ ﴿نُورُهُمۡ يَسۡعَىٰ بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَبِأَيۡمَٰنِهِم﴾ (التحريم: ٨).

د. عمر المقبل

﴿رِجَالٞ لَّا تُلۡهِيهِمۡ تِجَٰرَةٞ وَلَا بَيۡعٌ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوۡمٗا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلۡقُلُوبُ وَٱلۡأَبۡصَٰرُ ۝٣٧﴾

إغلاق المحلات وقت الصلاة؛ تعظيمًا لهذه الشعيرة وحفزًا للجماعة أمرٌ معروف في زمان السلف، بل استنبطه ابن عمر من القرآن، فقد كان مرة في السوق، فأقيمت الصلاة، فأغلقوا حوانيتهم ودخلوا المسجد؛ فقال: فيهم نزلت: ﴿رِجَالٞ لَّا تُلۡهِيهِمۡ تِجَٰرَةٞ وَلَا بَيۡعٌ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾.

تفسير عبدالرزاق الصنعاني ٦١/٣

(١) ابن أبي شيبة ح(٣٢٩)،أحمد ح(٣٧١٢)، الحاكم ح(١٨٧٧).

﴿أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ ظُلُمَٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾﴾

١) المتأمل لما يسمع من تحليلات وتوقعات حول أحداث الأمة يلحظ اضطرابًا وغبشًا في الرؤية، والسر في ذلك: عدم الانطلاق من منهج القرآن في تقويم الأحداث، فأصبحوا كمن يسير في ظلمات متراكمة، تدبر آية النور: ﴿أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ﴾ إلى آخر الآية: ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾.

أ. د. ناصر العمر

٢) القرآن لا يفتح كنوز أسراره إلا لمأذون، ولا إذن لمن تعلق بقلبه شيء من كبرياء الهوى، واستعلاء الفهوم، ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾، فاخضع لربك واخنع قبل طرق الباب.

د. فريد الأنصاري، مجالس القرآن ١٥٥

﴿يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُوْلِي ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٤﴾﴾

يقف المؤمن خاضعًا، والقلب مستكينًا وهو يتفكر في قدرة ربه القوي العظيم في تقليب الجوِّ: برودة ودفئًا، وصحوًا وغيمًـا، وصفاءً وقترةً، كلُّ ذلك في فترات قصيرة يغشاه ذلك وهو يتدبَّر قول ربِّه: ﴿يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُوْلِي ٱلْأَبْصَٰرِ﴾.

د. محمد الربيعة

﴿وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ يَأْتُوٓاْ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾﴾

الذين يبحثون عن النصوص الشرعية لمقررات سابقة آمنوا بها قبل أن ينطلقوا من دليل معتبر، فالغالب عليهم عدم الانتفاع بنور الوحي وهداياته؛ لفقد شرط الإخلاص والتجرد لاتباع الوحي وإن خالف أهواءهم. تدبر هذه الآية: ﴿وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ يَأْتُوٓاْ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ﴾.

عبد اللطيف التويجري

﴿قُلْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُواْ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٥٤﴾﴾

قال أبو عثمان الهروي: من أمَّر السنة على نفسه قولًا وفعلًا، نطق بالحكمة، ومن أمَّر الهوى على نفسه، نطق بالبدعة، قال تعالى: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُواْ﴾.

مجموع الفتاوى لابن تيمية ١١/٢١٠

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِيَسۡتَـٔۡذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ وَٱلَّذِينَ لَمۡ يَبۡلُغُواْ ٱلۡحُلُمَ مِنكُمۡ ثَلَٰثَ مَرَّٰتٖۚ مِّن قَبۡلِ صَلَوٰةِ ٱلۡفَجۡرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعۡدِ صَلَوٰةِ ٱلۡعِشَآءِۚ ثَلَٰثُ عَوۡرَٰتٖ لَّكُمۡۚ لَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ وَلَا عَلَيۡهِمۡ جُنَاحُۢ بَعۡدَهُنَّۚ طَوَّٰفُونَ عَلَيۡكُم بَعۡضُكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴿٥٨﴾ ﴾

١) وليُّ الصغير مطالبٌ بتعليم أولاده ومن تحت يده العلم والآداب الشرعية؛ لأن الله وجه الخطاب إليهم بقوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِيَسۡتَـٔۡذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ وَٱلَّذِينَ لَمۡ يَبۡلُغُواْ ٱلۡحُلُمَ مِنكُمۡ ﴾.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن ٥٧٤ (بتصرف يسير)

٢) حدد الله أوقاتًا للصغار لا يدخلون فيها على الوالدين ﴿ثَلَٰثُ عَوۡرَٰتٖ﴾ وهم الوالدان! رمز العفة والطهر؛ حفظًا للأبصار، فكيف بمن تركهم أمام الفضائيات التي تكشف فيها العورات، ويعرض فيها ما يغري بالفواحش؟!

متدبر

﴿ وَٱلۡقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِي لَا يَرۡجُونَ نِكَاحٗا فَلَيۡسَ عَلَيۡهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعۡنَ ثِيَابَهُنَّ غَيۡرَ مُتَبَرِّجَٰتِۭ بِزِينَةٖۖ وَأَن يَسۡتَعۡفِفۡنَ خَيۡرٞ لَّهُنَّۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ﴿٦٠﴾ ﴾

﴿ وَٱلۡقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِي لَا يَرۡجُونَ نِكَاحٗا فَلَيۡسَ عَلَيۡهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعۡنَ ثِيَابَهُنَّ غَيۡرَ مُتَبَرِّجَٰتِۭ بِزِينَةٖۖ وَأَن يَسۡتَعۡفِفۡنَ خَيۡرٞ لَّهُنَّۗ ﴾ ظهر بذلك فضل التحجُّب والتستر ولو من العجائز، وأنه خيرٌ لهنَّ من وضع الثياب؛ فوجب أن يكون خيرًا للشباب من باب أولى، وأبعد لهنَّ عن أسباب الفتنة.

ابن باز، التبرج وخطر مشاركة المرأة للرجل في ميدان عمله ١٠

﴿ لَّا تَجۡعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيۡنَكُمۡ كَدُعَآءِ بَعۡضِكُم بَعۡضٗاۚ قَدۡ يَعۡلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمۡ لِوَاذٗاۚ فَلۡيَحۡذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمۡ فِتۡنَةٌ أَوۡ يُصِيبَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾

١- فهم ثاقب..

سئل الإمام مالك عن رجل أحرم قبل الميقات؟ فقال: أخاف عليه من الفتنة، قال تعالى: ﴿ فَلۡيَحۡذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمۡ فِتۡنَةٌ ﴾، فقال السائل: وأي فتنة في ذلك؟ وإنما هي زيادة امتثال في طاعة الله تعالى! قال: وأي فتنة أعظم من أن تظن أنك خصصت بفعل لم يفعله رسول الله ﷺ؟

مجموع الفتاوى لابن تيمية ٥٣٧/٢٠

سُورَةُ الفُرْقَانِ

﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ۝١ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ۝٢﴾

كيف تتمكن عظمة القرآن من قلبك؟

قال الشيخ فريد الأنصاري: في صدر تدبراته لسورة الفرقان:

«وإنما يتعرف المؤمن على عظمة القرآن عندما يتعرف على عظمة المتكلم به: الله رب العالمين؛ إذ قيمة الكلام إنما هي بقيمة من تكلم به، فإذا أبصرت هذا السر، انكشفت لك كنوز القرآن؛ ولذلك قال بعدُ مباشرة على سبيل التعريف بمُنزّل القرآن: ﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾ فكأن المتلقي عندما سمع فاتحة السورة: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ﴾ ولم يُفصح عن اسم الجلالة: الله، تساءل: مَنْ هذا ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ﴾؟ فجاء البيان بأوصاف الربوبية المطلقة، بما تتضمنه من معاني الفردانية والتنزه عن الولد والشريك، وشمولية الخلق والتقدير لكل شيء! فتبين إذن أن المنزل للفرقان هو هذا الرب العظيم، الرب المالك وحده لكل شيء، الخالق وحده لكل شيء! فما من شيء في هذا الوجود، من مُلك السماوات والأرض، إلا وهو صادر عن شؤون ربوبيته، خاضع لعظمة سلطانه، تحت قهره وتدبيره، وحكمة تسخيره وتقديره. ومن هنا صدر عنه ﷻ هذا القرآن، على موازين حكمته ورحمته، ذلك هو هذا ﴿ٱلَّذِى﴾ نزَّل الفرقان!

فأبصرْ أيَّ فرقانية عظيمة تحمل كلماتُه للعالمين! وأيَّ عبد كريم هذا الذي بُعِثَ به نذيرًا للناس أجمعين!

إلى أن قال: فإذا رغبت في تلقي القرآن حقيقةً؛ لتتخلق بفرقانيته فما عليك إذن إلا الدخول في ميثاق التنزيل، والشروع في تلقي برنامج القرآن آيةً آيةً؛ حتى يصير لك ذلك منهاج حياة، وتكون -بإذن الله- من الشاكرين لنعمة الفرقان، محققًا لرسالة: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ﴾ الآية.

مجالس القرآن ١٥٩-١٦١

﴿وَقَالُوا۟ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ۝٧ أَوْ يُلْقَىٰٓ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا ۚ وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ۝٨﴾

في القرآن تنبيه المؤمن إلى أن غالب طرق الحصار الإعلامي قديمًا وحديثًا قائم -بالإضافة إلى أسلوب الاتهام والسباب- على أسلوب التعجيز ﴿لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ۝٧ أَوْ يُلْقَىٰٓ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا﴾.

د. فريد الأنصاري، مجالس القرآن ١٧٢

﴿ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَٰلَ فَضَلُّوا۟ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ۝٩﴾

﴿ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَٰلَ فَضَلُّوا۟ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾ أي: عن طريق الهدى، ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾ ذلك لأنَّ كلَّ من خرج عن الحق فإنه ضالٌّ حيثما توجه؛ لأن الحق واحد ومنهج متحد، يصدق بعضه بعضًا.

ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ٦/ ٩٥

﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِىٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًا ۝١٠﴾

كنت واقفًا عند إشارةٍ مروريَّة بجوار برج من أشهر الأبراج الشاهقة في منطقة الخليج، فحدثتني نفسي: لو أنَّ هذا البرج بما فيه لك، ماذا أنت صانع؟! فما هي إلا ثوان معدودة، وقبل أن ينبعث الضوء الأخضر عرضت لي آية في كتاب الله، هي والله أحبُّ إلى قلبي من ملء الأرض ذهبًا وأبراجًا: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِىٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًا﴾.

متدبر

﴿قُلْ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ ٱلْخُلْدِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۚ كَانَتْ لَهُمْ جَزَآءً وَمَصِيرًا ۝١٥﴾

﴿قُلْ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ ٱلْخُلْدِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ المتدبر يخرج من هذا السؤال بحقيقة كبرى، وهي أن التقوى أعظم زاد وجب على المسلم أن يتزود به للآخرة، وأن العاقل هو من شمر عن ساعد الجد للعمل من أجل هذه الحقيقة، وترك ما دون ذلك من القيل والقال، وكثرة السؤال عما لا ينفع ولا يغني من ضروب المحال.

د. فريد الأنصاري، مجالس القرآن ١٧٩

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمۡ لَيَأۡكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشُونَ فِي ٱلۡأَسۡوَاقِۗ وَجَعَلۡنَا بَعۡضَكُمۡ لِبَعۡضٖ فِتۡنَةً أَتَصۡبِرُونَۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرٗا ٢٠﴾

هذا يدل على فضل هداية الخلق بالعلم، ويبين شرف العالم على الزاهد المنقطع؛ فإن النبي ﷺ كالطبيب، والطبيب يكون عند المرضى، فلو انقطع عنهم هلكوا.

ابن هبيرة، ذيل طبقات الحنابلة ٢٣٩/١

﴿وَقَدِمۡنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنۡ عَمَلٖ فَجَعَلۡنَٰهُ هَبَآءٗ مَّنثُورًا ٢٣﴾

١) اسأل نفسك: أي عمل تستطيع أن تدّعي فيه الإخلاص لله وحده؟ لا سمعة ولا رياء مهما خفي! ألا تخشى أن يقال لك أنت أيضًا: كذبت! وتكون المأساة! فالله الله في عملك، والله الله في دينك قبل فوات الأوان!

د. فريد الأنصاري، مجالس القرآن ١٩٢

٢) في يوم القيامة هبَاءان: للجبال: ﴿فَكَانَتۡ هَبَآءٗ مُّنۢبَثّٗا﴾ (الواقعة:٦)، ولأعمال الكفار والمرائين: ﴿وَقَدِمۡنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنۡ عَمَلٖ فَجَعَلۡنَٰهُ هَبَآءٗ مَّنثُورًا﴾ (الفرقان:٢٣)! يا للحسرة حينما تتفرق أعمال كنت تظنها حسنات، فإذا هي لا شيء!

د. عمر المقبل

﴿أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ يَوۡمَئِذٍ خَيۡرٞ مُّسۡتَقَرّٗا وَأَحۡسَنُ مَقِيلٗا ٢٤﴾

١) كان بعض الصالحين إذا رجع من الجمعة في حر الظهيرة يذكر انصراف الناس من موقف الحساب إلى الجنة أو النار؛ فإن الساعة تقوم في يوم الجمعة، ولا ينتصف ذلك النهار حتى يقيل أهل الجنة في الجنة، وأهل النار في النار، قاله ابن مسعود، وتلا قوله تعالى: ﴿أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ يَوۡمَئِذٍ خَيۡرٞ مُّسۡتَقَرّٗا وَأَحۡسَنُ مَقِيلٗا﴾.

لطائف المعارف ١٤٧

٢) استنبط بعض العلماء من قوله تعالى: ﴿أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ يَوۡمَئِذٍ خَيۡرٞ مُّسۡتَقَرّٗا وَأَحۡسَنُ مَقِيلٗا﴾ أن حساب أهل الجنة يسير، وأنه ينتهي في نصف نهار، ووجه ذلك أن قوله: ﴿مَقِيلٗا﴾ أي: مكان قيلولة، وهي الاستراحة في نصف النهار.

الشنقيطي، أضواء البيان ٢٧٨/٥

﴿ وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ﴿٢٥﴾ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ ۚ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ عَسِيرًا ﴿٢٦﴾ ﴾

أذهلني يومًا قوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ﴿٢٥﴾ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ ﴾ فقلت: يا لطيف! علمت أن قلوب أولياءك الذين تتراءى لهم تلك الأهوال لا تتمالك؛ فلطفت بهم فأضفت «الملك» إلى أعم اسم في الرحمة فقلت: ﴿لِلرَّحْمَٰنِ﴾! ولو كان بدله اسمًا آخر كالعزيز والجبار؛ لتفطرت القلوب.

الزركشي، البرهان ١/٤٧٠ (بتصرف)

﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ ﴾

١) الله يكفي من اتقاه مؤنة الناس بلا ريب، وأما كون الناس كلهم يرضون عنه، فقد لا يحصل ذلك لكن يرضون عنه إذا سلموا من الأغراض، وإذا تبين لهم العاقبة، ومن أرضى الناس بسخط الله، لم يغنوا عنه من الله شيئًا كالظالم الذي يعض على يده، يقول: ﴿يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا﴾ (الفرقان:٢٧-٢٨).

ابن تيمية، مجموع الفتاوى (١ / ٥٢)

٢) هذه كلمات الندم، هذه آهات الألم، هذه رسالات النذير الإلهي الرهيب، وآيات الفرصة الأخيرة، تمتد إليك من الرحمن بوصف حقيقة الندم الأبدي عند فوات الأوان، لكنها تأتيك الآن قبل فوات الأوان، جامعة مقامات الجلال والجمال، فماذا تراك أنت فاعل بنفسك اليوم يا صاح؟!

د. فريد الأنصاري، مجالس القرآن ١٩٣

﴿ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾ ﴾

هذا الشيطان كلما أغوى أحدًا؛ حتى إذا أيقن بهلاكه، أدبر عنه وخذله وأخلف له كل وعوده الكاذبة، وتلك هي السنة الثابتة في كيد إبليس، كما قررها القرآن الكريم: ﴿وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا﴾ فعجبًا لمن يقامر بمصيره الأخروي! وبمستقبله الوجودي! فيجعله رهين غواية الشيطان وغروره.

د. فريد الأنصاري، مجالس القرآن ١٩٥

﴿ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِي ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾ ﴾

١) ماذا لو قُدِّرَ لك أن تسمع هذا التوجع من رسول الله ﷺ: ﴿يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِي ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴾؟

قال ابن كثير رحمه الله: «وتركُ تدبُّرِه وتفهُّمِه من هجرانه».

تفسير القرآن العظيم ٦/ ١٠٨

٢) ينبغي لكل مسلم -يخاف العَرْضَ على ربه- أن يتأمل هذه الآية الكريمة، ويمعن النظر فيها مرارًا وتكرارًا؛ ليرى لنفسه المخرج من هذه الورطة العظمى، والطامة الكبرى، التي عمت جُلَّ بلاد المسلمين من هذه المعمورة، وهي هجر القرآن الكريم!

الشنقيطي، أضواء البيان ٧/ ٢٦٢

٣) هناك طوائف كبيرة وأعداد عظيمة ممن ينتسب إلى الإسلام حُرمت من القيام بحق القرآن العظيم وما جاء عن الرسول ﷺ، وأخشى أن ينطبق على كثير منهم قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِي ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴾.

ابن باز، مجموع فتاواه ٢/ ١٣٣

٤) ﴿ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِي ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴾ فالبعد عن القرآن مُؤَدٍّ بالضرورة إلى قسوة القلب، تمامًا كما تقسو الأرض العطشى بانحباس الغيث عنها، فلا يلبث إلا قليلًا؛ حتى تتطلع نفسه إلى الشهوات المحظورات، وتلك بداية الانحراف والعياذ بالله.

د. فريد الأنصاري، مجالس القرآن ١٩٦

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴿٣١﴾ ﴾

١) تأمَّل ما في هذه الآية من سُنة المدافعة..؛ نعم: ادع الناس، لكن لا تتصور أنَّ الدنيا ستستقيم بدعوتك، فو الله لو أقام صالح في رأس جبل لقيض الله له من يعاديه في رأس الجبل.

د. عائض القرني

٢) كم في هذه الآية من تسلية وتثبيت للمؤمنين؛ فعدو الأرض يقابله نصير السماء ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴾.

د. عبد المحسن المطيري

٣) ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾ أعداء الأنبياء يسلكون في إبطال دعوة الأنبياء مَسْلكين: مسلك الإضلال والدعاية الباطلة في كل زمان ومكان، ثم: مسلك السلاح؛ ولهذا قال: ﴿هَادِيًا﴾ في مقابل المسلك الأول الذي هو الإضلال، وقال: ﴿وَنَصِيرًا﴾ في مقابل المسلك الثاني وهو المجابهة المسلحة.

ابن عثيمين، تفسير الفاتحة والبقرة ١/٥٠

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾﴾

إذا كنت تجد شتاتًا في قلبك وهمك؛ فعليك بالقرآن ﴿لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾.

د. محمد الربيعة

﴿إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾﴾

﴿إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا﴾، ﴿وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُواْ وَٱصْبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ﴾ (ص:٦) انظر كيف يتصبر أهل الباطل على باطلهم! فما بال بعض أهل الحق لا يصبرون؟

د. عبدالمحسن المطيري

﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾﴾

قف مع هذه الآية متدبرًا متأملًا؛ لتدرك الخلل في مقاييس كثير من البشر، وأن الميزان القرآني هو المعتبر في تقدير عقل الإنسان قوةً وضعفًا، فبمقدار الالتزام بالشرع وسماع الحق، يكون تمام العقل أو نقصه.

أ. د. ناصر العمر

﴿فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٥٢﴾﴾

١) هذه الآية في سورة الفرقان، وهي مكيَّة، ولم يشرع الجهاد بالسيف وقتها، فدلَّ أنَّ طلب العلم من سبيل الله؛ لأنَّ به قوام الإسلام كما أنَّ قوامه بالجهاد، فقوام الدين بالعلم والجهاد.

ابن القيم، مفتاح دار السعادة ١/٧٠

٢) إلى الباحثين عن ميادين الجهاد، إليكم ميدانًا لا تتوقف فيه هذه العبادة ما دام في الأرض حقٌّ وباطلٌ، إنه جهاد أهل الباطل بالقرآن: ﴿وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا﴾ يقول العلامة السعدي ﷺ: هذا فرضُ عين على كلِّ مسلمٍ أن يقوم بما يقدر عليه ويعلمه، وعلى أهل العلم من ذلك ما ليس على غيرهم.

السعدي، فتح الرحيم الملك العلام ١٣٠

٣) الجهاد لا يقتصر على الجهاد بالنفس أو المال، بل إن الجهاد باللسان من أعظم أنواع الجهاد، قال سبحانه: ﴿وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا﴾ أي: جاهد المشركين بالقرآن، ويتأكد في هذا الوقت مع المنافقين الذين عاثوا في البلاد فسادًا، وقد سمى الله فضحهم باللسان جهادًا في (التوبة) و(التحريم): ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ (التوبة:٧٣)(التحريم:٩).

أ. د. ناصر العمر

﴿۞ وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٥٣﴾﴾

يقول العلامة الشنقيطي: ومن المواضع التي وقع فيها هذا: نهر السنغال بالمحيط الأطلسي بجنب مدينة سان لويس، وقد زرتها عام ١٣٦٦هـ، واغتسلت مرة في نهر السنغال، ومرة في المحيط، ولم آت محل اختلاطهما، لكن أخبرني بعض المرافقين الثقاة أنه جاء إليه، وأنه جالس يغرف بإحدى يديه عذبًا وفراتًا، وبالأخرى ملحًا أُجاجًا، والجميع في مجرى واحد، لا يختلط أحدهما بالآخر، فسبحانه ﷻ ما أعظمه، وما أكمل قدرته!.

أضواء البيان ٦/٦٥

﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ ۗ وَكَانَ ٱلْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِۦ ظَهِيرًا ﴿٥٥﴾﴾

﴿وَكَانَ ٱلْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِۦ ظَهِيرًا﴾ هذا من ألطف -أي: أدق- خطاب القرآن وأشرف معانيه، فالمؤمن دائمًا مع الله على نفسه وهواه وشيطانه وعدو ربه، وهذا معنى كونه من حزب الله وجنده وأوليائه، والكافر مع شيطانه ونفسه وهواه على ربه، وعبارات السلف على هذا تدور.

ابن القيم، الفوائد ٨٠

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُوا۟ لِلرَّحْمَٰنِ قَالُوا۟ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ۩ ﴿٦٠﴾ تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا ﴿٦١﴾﴾

في أواخر الفرقان: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُواْ لِلرَّحْمَٰنِ ﴾ الآية، ثم قال بعدها: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا ﴾ الآيات، ومناسبة هذا: أنه لما تجاهل المشركون الرحمن، واستكبروا عن السجود له، عرَّفهم القرآن بالرحمن: بخلقه، وتدبيره وإنعامه، ثم عرّفهم بعباده الذين عرَفوه بذلك، فآمنوا به، وخضعوا له، بما اشتملت عليه هذه الآيات من صفاتهم، وفي ذلك تشريف كبير لهم، وتبكيت لأولئك المتجاهلين المتكبرين.

ابن باديس، تفسير ابن باديس ١/١٩٣

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴿٦٢﴾ ﴾

١) تدبر عملي: أطال عمر رضي الله عنه صلاة الضحى فقيل له: صنعت اليوم شيئًا لم تكن تصنعه! فقال: إنه بقي علي من وردي شيء، وأحببت أن أتمه -أو قال أقضيه-، وتلا هذه الآية: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴾.

الدر المنثور ٦/٢٧٠

٢) ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴾ قال البخاري: «﴿ خِلْفَةً ﴾ من فاته مِنَ الليل عملٌ، أدركه بالنهار، أو فاته بالنهار أدركه بالليل. وشاهد هذا حديث عمر رضي الله عنه: **«مَن نام عن حزبه -أي: قيام الليل-، أو عن شيءٍ منه، فقرأه فيما بين صلاة الفجر وصلاة الظهر، كتب له كأنما قرأه من الليل»**[1].

صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن - سورة الفرقان ٦/١٠٩

﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ ﴾

١) قال الحسن البصري رحمه الله: نعت الله المؤمنين في القرآن بأحسن نعت، فقال: ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمًا ﴾، حلماء لا يجهلون، وإذا جهل عليهم حلموا، ثم ذكر ليلهم خير ليل، فقال: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴾ (الفرقان:٦٤) تجري دموعهم على خدودهم؛ خوفًا من ربهم، لأمر ما سهروا ليلهم، لأمر ما خشعوا نهارهم.

قيام الليل للمروزي ١/٤٢

٢) كان الحسن البصري إذا قرأ: ﴿ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا ﴾ قال: هذا وصف نهارهم، وإذا قرأ ﴿ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴾ قال: هذا وصف ليلهم.

معالم التنزيل ٦/٩٣ (بتصرف)

---

(١) مسلم ح(٧٤٧).

٣) لما كانت العثرة عثرتين: عثرة الرِجل وعثرة اللسان، جاءت إحداهما قرينة الأخرى في قوله تعالى: ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴾.

ابن القيم، الجواب الكافي ١٦٢

٤) قال تعالى -في وصف عباده المؤمنين-: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴾ كان التعليق بـ(إذا)؛ لأن مخاطبة الجاهلين لهم بالسوء أمر محقق، ومتى سلم أهل العلم والدين من الجاهلين؟!

ابن باديس، تفسير ابن باديس ٨٥/٢

﴿ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ ﴾

قال الحسن البصري ﷺ: كلُّ شيء يصيب ابن آدم لم يدم عليه فليس بغرام، إنما الغرام اللازم له ما دامت السموات والأرض، فيا لها من موعظة لو وافقت من القلوب حياة.

الدر المنثور ٢٧٤/٦

﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾ ﴾

١) أكثر من ٩٠٠ بنك أمريكي معرض لخسارة ٢٠٠ مليار دولار، إنها ضريبة الحيدة عن منهج الله في المال.. ولقد أبدع العلامة الشنقيطي في «تفسيره» لقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴾، حيث ذكر الأصول الأربعة للاقتصاد، واستدل لكلِّ أصلٍ من القرآن[1]، فراجعها وفقك الله.

٢) نشرت بعض وسائل الإعلام أخبارًا مفادها: تسجيل أكثر من ١٥٨ ألف حالة إفلاس شخصي في مارس ٢٠١٠م، أي بمعدل ٦٩٠٠ حالة يوميًا في أمريكا[2].

إن التزام المنهج القرآني خير عاصم من هذه المآلات المخيفة: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴾، مع تجنب ما يمحق البركة: ﴿ يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ ﴾ (البقرة:٢٧٦).

﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِٱللَّغْوِ مَرُّوا۟ كِرَامًا ﴿٧٢﴾ ﴾

١) من عمق علم السلف بكتاب الله تنصيصهم على أنَّ حضور أعياد الكفار من جملة الزور الذي مدح الله عباد الرحمن بعدم شهوده، كما قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ ﴾؛ لأن الزُّور هو كلُّ باطل من قول أو فعل، فهل يدرك الذين يشهدون أعياد الكفار -من أبناء المسلمين- أنَّ ذلك إثمٌ ونقصٌ في عبوديَّتهم؟

الدر المنثور ٢٨٢/٦ (بتصرف)

(١) ينظر: أضواء البيان ٧٦/٦-٧٩.

(٢) نشرته جريدة الاقتصادية السعودية في عددها الصادر يوم الإثنين ١٤٣٠/١٠/٩هـ، الموافق ٢٨ سبتمبر ٢٠٠٩ العدد ٥٨٣١.

٢) مجالس اللغو والباطل أيام العيد: مدح الله عباد الرحمن فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ﴾ قال العلامة السعدي ﷺ: أي: «فيجتنبون جميع المجالس المشتملة على الأقوال المحرمة أو الأفعال المحرمة... وإذا كانوا لا يشهدون الزور، فمن باب أولى وأحرى أن لا يقولوه ويفعلوه».

تيسير الكريم الرحمن ٥٨٧

٣) ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِٱللَّغْوِ مَرُّوا۟ كِرَامًا﴾ فهذه الثلة المؤمنة ليس بمعنى أنها لا تقترف شهادة الزور عند استشهادها فحسب؛ فهذا من بدهياتهم، بل إنها لا تحضر مواطنه أصلًا، ولا تشهد نواديه وتجمعاته، فالشهادة هنا بمعنى الحضور والشهود والمعاينة والمخالطة.

د. فريد الأنصاري، مجالس القرآن ٢٦٥

٤) ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ﴾ كثيرون يحملون معنى هذه الآية على الشهادة بالزور فقط، وهذا فهم قاصر؛ فالمعنى أعم من ذلك وأعظم، فكل منكر زور، فمن علم به ولم ينكره بلا عذر، فقد افتقد صفة عظيمة من صفات «عباد الرحمن»، وكفى بذلك خسرانًا مبينًا.

أ. د. ناصر العمر

﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا۟ عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴿٧٣﴾﴾

قال ابن العربي: قال علماؤنا: يعني: الذين إذا قرؤوا القرآن؛ قرؤوه بقلوبهم قراءة فهم وتثبت، ولم ينثروه نثر الدقل؛ فإن المرور عليه بغير فهم ولا تثبت صمم وعمى عن معاينة وعيده ووعده.

ابن العربي، أحكام القرآن ٦/١٧٦

﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾﴾

١) تأمل وجه إشارة القرآن إلى طلب علو الهمة في دعاء عباد الرحمن -أواخر سورة الفرقان- ﴿وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾، ثم تأمل كيف مدح الناطق بهذا الدعاء! فكيف بمن بذل الجهد في طلبه؟ ثم إن مدح الداعي بذلك دليل على جواز وقوعه، جعلنا الله تعالى أئمة للمتقين.

د. محمد العواجي

٢) لا ترض أن تعيش على هامش الحياة؛ بل عش في مركزها قدوة للمتقين ﴿وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾.

د. نوال العيد

٣) تدبر علاقة قوله سبحانه: ﴿وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ بما قبلها؛ يتضح لك ما يلي:

١- أن صلاح الزوج (يشمل الزوجين) والذرية من أهم ما يعين على تحقيق الإمامة، إذ يحس بالسكن والطمأنينة؛ مما يعينه على الوصول إليها والقيام بحقوقها.

٢- أن من صفات من يكون للمتقين إمامًا: أن يُعنى بزوجه وذريته؛ فهم أحق الناس بإمامته.

أ. د. ناصر العمر

٤) ﴿وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ الفرقان:٧٤، إذا كان المتقون هم أكرم الخلق عند الله: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ (الحجرات:١٣)، فيا تُرى أي منزلة عالية سيحظى بها إمامهم؟!

أ. د. ناصر العمر

﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُواْ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا ﴿٧٥﴾﴾

١) كل هذا الفوز العظيم، وكل ذلك النجاح الكبير، عبر تلك الأشواط الشاقة، وعبر تلك المسافات الطويلة، إنما كان لهؤلاء السادة الكبار ﴿بِمَا صَبَرُواْ﴾ نعم، بما صبروا!!

د. فريد الأنصاري، مجالس القرآن ٢٧٢

٢) يلفت نظرك التركيز على الأخلاق في صفات عباد الرحمن، فقد افتتحت بـ: ﴿يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمًا﴾، ثم ثنَّت بكرمهم واعتدالهم: ﴿إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ﴾، ثم ثلَّثت بمفارقتهم لأراذل الأخلاق: ﴿وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ﴾، ثم بسلامتهم من شهود مجامع السوء: ﴿لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغْوِ مَرُّواْ كِرَامًا﴾ فجمعوا أصول الأخلاق؛ فاستحقوا ﴿ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُواْ﴾.

د. عبدالله الغفيلي

﴿قُلْ مَا يَعْبَؤُاْ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَآؤُكُمْۖ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًۢا ﴿٧٧﴾﴾

لما خُتمت سورة الفرقان بذكر جملة من أوصاف عباد الرحمن؛ كان من مقدمة وخاتمة وصفهم: «الدعاء»: ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ﴾ (الفرقان: ٦٥)، ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾﴾ (الفرقان: ٧٤)، ثم ختم السورة ببيان حال من ترك الدعاء، وأن الرب لا يكترث به ولا يبالي بأي وادٍ هلك: ﴿قُلْ مَا يَعْبَؤُاْ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ﴾.

متدبر

سُورَةُ الشُّعَرَاءِ

﴿ وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿١٤﴾ ﴾

خاف موسى أن يقتلوه به؛ فدلَّ على أنَّ الخوف قد يصحب الأنبياء والفضلاء والأولياء مع معرفتهم بالله، وأن لا فاعل إلا هو، إذ قد يسلِّط من شاء على من شاء، ولكن هذا خوف طبيعي يدفع بالتوكل والعزم.

القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ١٣/٩٢

﴿ قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾

من هنا أعلن فرعونُ هزيمته وضعفه، فبعد أن كان شعارُه: ﴿مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ﴾ (غافر:٢٩)، صار يستشير ويسأل قومه؛ ليستميلهم ضد موسى، ولأنَّه رأى تأثُّرهم بما رأوا من موسى، فخاف أن ينقلبوا عليه.

د. محمد الخضيري

﴿ فَأَلْقَوْا۟ حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا۟ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾ فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾

من علَّق أمره بعزة مخلوق، أذلَّه الله، تأمل قوله تعالى: ﴿ فَأَلْقَوْا۟ حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ ﴾-إلى قوله- ﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ﴾.

د. محمد الربيعة

﴿ إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَٰيَٰنَآ أَن كُنَّآ أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥١﴾ ﴾

الأولية تزيد الخير والشر، قال تعالى في الخير: ﴿ إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَٰيَٰنَآ أَن كُنَّآ أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾، وقال في الشرِّ: ﴿وَلَا تَكُونُوٓا۟ أَوَّلَ كَافِرٍۭ بِهِۦ﴾ (البقرة: ٤١)، واستيعاب هذا المبدأ القرآني يثمر للإنسان معرفةَ فضل الرُّوَّاد في الخير، وخبث الرُّوَّاد في الشر.

إبراهيم السكران

﴿ ۞ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِيٓ إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾

في سورة الشعراء آية (٥٢) قال تعالى في قصة أصحاب موسى: ﴿أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِيٓ﴾ فسماهم بالاسم الشريف: عبادي، فلما ضعف توكلهم ولم يستشعروا كفاية الله لهم، سلبهم هذا الوصف الشريف، فقال عنهم: ﴿قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾﴾.

د. محمد القحطاني

﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾﴾

١) إنها كلمات الواثق بنصر ربه، قال: ﴿مَعِىَ﴾ ولم يذكر قومه معه، بينما قال نبينا ﷺ: «**إن الله معنا**»[1] بضمير الجمع، ولم يكن معه إلا أبو بكر رضي الله عنه، أليس ذلك يوحي بأن أبا بكر يعدل أمة؟

د. عويض العطوي

٢) في مثل هذا اليوم العظيم[2] -عاشوراء- قال موسى عليه السلام: ﴿قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ﴾ فما أحوجنا إلى مثل هذا الإيمان الراسخ الذي ينبئ عن ثقة بالله وتفاؤل بالمستقبل، وإن هذه الآية لقوةُ ردع وزجر لمن يجعل ثقته بالأحوال المحيطة، والأسباب الظاهرة أقوى من حسن ظنه بالله، فهل يدرك ذلك ضعاف الإيمان؟ والمنهزمون الذين تزلزل إيمانهم أمام استكبار وطغيان القوى الظالمة؟ إن رب موسى وصحبه، هو ربنا لو كانوا يعقلون ﴿وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾.

أ. د. ناصر العمر

٣) ﴿قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ﴾ قالها موسى عليه السلام والبحر أمامه والعدو خلفه، في لحظات عصيبة، وموقف رهيب، لكنه قالها بعد أخذه بكل أسباب النجاة، وقد اهتز في تلك اللحظة من اهتز، وارتاب من ارتاب، فإذا هو يعلن بكل قوة ويقين: ﴿قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ﴾، فتتحقق الآية الكبرى التي لازالت تدوي أبد الدهر، فلا نامت أعين اليائسين.

أ. د. ناصر العمر

(١) البخاري ح(٣٦٥٢)، ومسلم ح(٢٠٠٩)، وأحمد ح(٣).

(٢) أرسلت هذه الرسالة بمناسبة يوم عاشوراء.

﴿ فَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡبَحۡرَۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرۡقٖ كَٱلطَّوۡدِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ ﴾

من حكم الله البالغة ارتباط عاشوراء بابتلاءين: أحدهما قبل هذه الأمة، والآخر في صدر هذه الأمة، أما موسى فنجّاه الله بحسن الظن بربه، وقوة يقينه، والعمل الجاد: ﴿ فَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡبَحۡرَ ﴾، وأما الحسين فقضى الله في أمره ما قضى، فمن ظنّ أن نجاة الأمة بالأحزان واللطم على مصيبته؛ فقد أخطأ طريق الأنبياء! فما ثمة إلا اليقين، والفأل، مع العمل الدؤوب.

د. عمر المقبل

﴿ قَالَ هَلۡ يَسۡمَعُونَكُمۡ إِذۡ تَدۡعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوۡ يَنفَعُونَكُمۡ أَوۡ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ ﴾

مخاطبة العقل:

مهما كان سقوط حجة خصمك؛ فأنت محتاج لخطاب عقله ببعض الأسئلة، ألم تر كيف قال الخليل عليه السلام لقومه: ﴿ قَالَ هَلۡ يَسۡمَعُونَكُمۡ إِذۡ تَدۡعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوۡ يَنفَعُونَكُمۡ أَوۡ يَضُرُّونَ ﴾؟

د. عمر المقبل

﴿ قَالُواْ بَلۡ وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفۡعَلُونَ ﴿٧٤﴾ ﴾

من حيل خصوم الحق:

إذا كان ماضي آبائهم باطلًا، قالوا للناصح: ﴿وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفۡعَلُونَ ﴾، وإن كان ماضي آبائهم حقًا، قالوا: ﴿تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَٰلِكَ ٱلۡقَدِيمِ﴾ (يوسف:٩٥)!

د. سعود الشريم

﴿ ٱلَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهۡدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِي هُوَ يُطۡعِمُنِي وَيَسۡقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ ﴿٨٠﴾ ﴾

تأدب العارفون فأضافوا النعم إليه والشر إلى محله كما قال إمام الحنفاء: ﴿ٱلَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهۡدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِي هُوَ يُطۡعِمُنِي وَيَسۡقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ ﴾.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى ٢٢٣/١٤

﴿ وَٱلَّذِيٓ أَطۡمَعُ أَن يَغۡفِرَ لِي خَطِيٓـَٔتِي يَوۡمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾ ﴾

تأمل قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِيٓ أَطۡمَعُ أَن يَغۡفِرَ لِي خَطِيٓـَٔتِي يَوۡمَ ٱلدِّينِ ﴾، فإذا كان الخليل طامعًا في غفران خطيئته، غير جازم بها على ربه، فمن بعده من المؤمنين أحرى أن يكونوا أشد خوفًا من خطاياهم.

القصاب، نكت القرآن ٥٢٩/٣

﴿وَٱجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٖ فِي ٱلْـَٔاخِرِينَ ٨٤﴾

١) قال الإمام مالك ﷺ: لا بأس أن يحب الرجل أن يثنى عليه صالحًا، ويُرى في عمل الصالحين، إذا قصد به وجه الله ولم يراء به وهو الثناء الصالح، وقد قال الله ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةٗ مِّنِّي﴾ (طه: ٣٩).

أحكام القرآن لابن العربي ١٧٩/٦

٢) قال تعالى عن إبراهيم: ﴿وَٱجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٖ فِي ٱلْـَٔاخِرِينَ﴾ وقال أيضًا عنه وعن بنيه: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيّٗا﴾ (مريم:٥٠) وقال لنبيه ﷺ: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ (الشرح:٤) فأتباع الرسل لهم نصيب من ذلك بحسب ميراثهم من طاعتهم ومتابعتهم، وكل من خالفهم، فإنه بعيد من ذلك بحسب مخالفتهم ومعصيتهم.

ابن القيم، الجواب الكافي٨٠

٣) الذكر الجميل قائم مقام الحياة الشريفة، بل الذكر أفضل من الحياة؛ لأن أثر الحياة لا يحصل إلا في مسكن ذلك الحي، أما أثر الذكر الجميل فإنه يحصل في كل مكان وفي كل زمان.

ابن عادل الحنبلي، اللباب في علوم الكتاب ٢٦٩/١٧

﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٞ وَلَا بَنُونَ ٨٨ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٖ سَلِيمٖ ٨٩﴾

١) أجمع السائرون إلى الله أن القلوب لا تعطى مناها حتى تصل إلى مولاها، ولا تصل إلى مولاها حتى تكون صحيحة سليمة ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٞ وَلَا بَنُونَ ٨٨ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٖ سَلِيمٖ﴾.

ابن القيم، الجواب الكافي ٧٦

٢)﴿ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٖ سَلِيمٖ﴾ ولا يكون القلب سليمًا إذا كان حقودًا حسودًا، معجبًا متكبرًا، وقد شرط النبي ﷺ في المؤمن أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه والله الموفق برحمته.

ابن العربي، أحكام القرآن ١٨١/٦

﴿ فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ١٠٠ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٖ ١٠١﴾

وإنما جمع الشافع؛ لكثرة الشافعين، ووحَّد الصديق؛ لقلَّته؛ أي: في العادة.

الزمخشري، الكشاف ٢٢/٥

﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ١٠٥﴾

من كذب برسول واحد، فهو مكذب بجميع الرسل؛ ولذا قال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾، مع أنهم لم يأتهم إلا رسول واحد، ولكن كانوا مكذبين بجنس الرسل، ولم يكن تكذيبهم بالواحد بخصوصه.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى ٩ / ٢٣٨

﴿ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ ﴾

كل بناء شامخ لا يكون لغاية شريفة محمودة؛ فهو عبث ولهو باطل.

ابن باديس، تفسير ابن باديس ٣٩٤

﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ ﴾

نزل القرآن على أعظم عضو في الجسم (القلب)؛ ليستنهض بقية الجوارح للتدبر والعمل، فمن لم يحضر قلبه عند التلاوة أو السماع؛ فلن ينتفع بالقرآن حقًّا: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ ﴾ (ق: ٣٧).

متدبر

﴿ أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَّعْنَٰهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يُمَتَّعُونَ ﴿٢٠٧﴾ ﴾

١) كان عمر بن عبد العزيز إذا أصبح أمسك بلحيته ثم قرأ: ﴿ أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَّعْنَٰهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يُمَتَّعُونَ ﴿٢٠٧﴾ ﴾ ثم يبكي ويقول:

نهارك يا مغرور سهو وغفلة ... وليلك نوم والردى لك لازم
تسر بما يفنى وتفرح بالمنى ... كما سر باللذات في النوم حالم
وتسعى إلى ما سوف تكره غبه ... كذلك في الدنيا تعيش البهائم

الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٣/١٤١

٢) ستنسى كل لحظة قاسية:

﴿ أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَّعْنَٰهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يُمَتَّعُونَ ﴾ من ظفر بمأموله من ثواب الله، فكأنه لم يصبه في دهره ما كان يحاذره ويخشاه.

ابن القيم، روضة المحبين ١١

﴿ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ ﴾

فكرت كيف هو قيامي في الصلاة؟ الله يراني فكيف أقبل عليه في صلاتي؟ فخجلت عند ذلك! ورأيت أن أكثرنا لا يؤدي صلاته كما لو أنه يستشعر أن الله يراه، فهي مجرد حركات رياضية، لا روح فيها.

متدبر

﴿وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ (٢٢٤) أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ (٢٢٥) وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ (٢٢٦) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ (٢٢٧)﴾

١) الشعراء يسعون إلى استثارة وجدانك، وتحريك أوتار الشعور حقيقة من نفسك، فلا يبالون بما صوَّرُوه لك أن يكون غيًّا أو رشدًا، وأن يكون حقيقة أو تخيُّلًا، فتراهم جادِّين وهم هازلون، يستبكون وإن كانوا لا يبكون، ويطربون وإن كانوا لا يطربون، ﴿وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ (٢٢٤) أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ (٢٢٥) وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾.

محمد دراز، النبأ العظيم ١٤٤

٢) عند سبر منهج القرآن في الحكم على فئات معينة؛ تجد الاستثناء بعد التعميم، تدبر: ﴿وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ﴾ ثم: ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا﴾، وقال عن المنافقين: ﴿وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (النساء:١٤٢)، وعن أهل الكتاب: ﴿مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾ (المائدة:٦٦)، وهذا منهج قرآني مطرد، فما بال بعض الناس يعممون ولا يستثنون؟ ألا تخافون ﴿أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ (الحجرات: ٦)؟.

أ. د. ناصر العمر

٣) ما أدق وصف الله للشعراء، تأمل: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ﴾ لغوايتهم ﴿فِي كُلِّ وَادٍ﴾ من أودية الشعر، ﴿يَهِيمُونَ﴾ فتارة في مدح، وتارة في قدح، وتارة في صدق، وتارة في كذب، وتارة يتغزَّلون، وأخرى يسخرون، ومرَّة يمرحون، وآونة يحزنون، فلا يستقر لهم قرار، ولا يثبتون على حال من الأحوال ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا﴾.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن ٥٩٩

٤) قال عبد الله بن رباح: كان صفوان بن محرز المازني إذا قرأ هذه الآية: ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾ بكى حتى أقول: اندق قصيص زوره -وقصيص الزور: هو ما ارتفع من الصدر إلى الكتفين أو ملتقى أطراف عظام الصدر-.

حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ٢/ ٢١٤

٥) ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾ ختم السورة بآية ناطقة بما لا شيء أهيب منه وأهول، ولا أنكى لقلوب المتأملين، ولا أصدع لأكباد المتدبرين، وذلك قوله: ﴿وَسَيَعْلَمُ﴾ وما فيه من الوعيد البليغ، وقوله: ﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ وإطلاقه، وقوله: ﴿أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾ وإبهامه، وكان السلف الصالح يتواعظون بها.

الزمخشري، الكشاف ٣/٣٥٠

سورة النمل

﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّى لَا يَخَافُ لَدَىَّ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٠﴾﴾

١) ﴿وَلَّىٰ مُدْبِرًا﴾ و﴿ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ﴾ التوبة: ٢٥ التولية والإدبار بمعنيين مختلفين: فالتولية أن يولي الشيء ظهره، والإدبار أن يهرب منه، فما كل مولٍّ مدبر، وكل مدبر مولٍّ.

ابن تيمية، جامع مسائل شيخ الإسلام ٣٥٨

٢) ﴿وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ﴾ إشارة إلى استقراره في الهرب وعدم رجوعه، يقال: عقّب فلان، إذا رجع، وكل راجع معقب، وأهل التفسير يقولون: لم يقف ولم يلتفت؛ وعلى كل حال فليس هنا تكرار أصلًا، بل لكل لفظ فائدة.

ابن تيمية، جامع مسائل شيخ الإسلام ٣٥٨-٣٥٩

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾﴾

إذا تأملت قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾، بدا لك فضل العلم على كثير من نعم الحياة، قال السبكي: «فإن الله آتى داوود وسليمان من نعم الدنيا والآخرة ما لا ينحصر، ولم يذكر من ذلك -في صدر الآية- إلا العلم؛ ليبين أنه الأصل في النعم كلها»(١).

فيا من أنعم الله عليه بسلوك سبيل العلم، لا زلت تَفْضُلُ بعلمك أقوامًا، فاشكر الله على ذلك، وقل كما قالا: الحمد لله الذي فضلني...

إبراهيم الأزرق

﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا۟ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾﴾

١) نملة هنا نكرة لم يقل (النملة)، فهي نملة نكرة حملت همَّ أمة فأنقذتها، أليس الخطر الذي يُهدد أُمَّتنا أعظم من الخطر الذي هدد نمل سليمان؟ كم مِنَّا من يحس بإحساس النملة ويسعى منقذًا لأُمَّتِه؟

أ. د. ناصر العمر

---

(١) فتاوى السبكي ١/٧٣.

٢) ﴿قَالَتۡ نَمۡلَةٞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ﴾ جمع في هذه اللفظة أحد عشر جنسًا من الكلام، (نادت وكنت ونبهت وسمت وأمرت وقصت وحذرت وخصت وعمت وأشارت وعذرت)، فالنداء (يا) والكناية (أي) والتنبيه (ها) ﴿يَٰٓأَيُّهَا﴾، والتسمية ﴿ٱلنَّمۡلُ﴾ والأمر ﴿ٱدۡخُلُواْ﴾ والقصص ﴿مَسَٰكِنَكُمۡ﴾ والتحذير ﴿لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ﴾ والتخصيص ﴿سُلَيۡمَٰنُ﴾ والتعميم ﴿وَجُنُودُهُۥ﴾ والإشارة ﴿وَهُمۡ﴾ والعذر ﴿لَا يَشۡعُرُونَ﴾ فأدت خمس حقوق: حق الله، وحق رسوله، وحقها، وحق رعيتها، وحق جنود سليمان!

السيوطي، الإتقان ٣/١٨٤

٣) من بلاغة القرآن: ما فيه من أسلوب الاحتراس إذا خشي أن يفهم من الآية خلاف المقصود، ولذلك أمثلة، منها: ما حكاه الله عن النملة: ﴿لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ﴾، فقوله: ﴿وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ﴾ احتراس يبين أن من عدل سليمان وفضله وفضل جنوده أنهم لا يحطمون نملة فما فوقها إلا بألا يشعروا.

الزركشي، البرهان ٣ / ٦٥

﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيۡرَ فَقَالَ مَالِيَ لَآ أَرَى ٱلۡهُدۡهُدَ أَمۡ كَانَ مِنَ ٱلۡغَآئِبِينَ ٢٠﴾

١) فيه دليل على تَفقُّد الإمام أحوالَ رعيَّته، والمحافظة عليهم، فانظر إلى الهدهد مع صغره كيف لم يَخْفَ حاله على سليمان، فكيف بما هو أعظم؟ ويرحم الله عمر؛ فإنه كان على سيرته، قال: لو أن سخلةً على شاطئ الفرات أخذها الذئب، ليسألن عنها عمر.

القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ١٣/١٧

٢) فيه استحباب تفقُّد الملك أحوالَ رعيَّته، وأخذ منه بعضهم تفقُّد الإخوان، فأنشد:

تفقُّد الإخوانِ مُستحسن فمن بداه فنعمَّا بدا
سنَّ سُليمان لنا سنةً وكان فيما سنَّه مقتدى
تفقَّد الطير على ملكه فقال: ما لي لا أر الهدهدا

القاسمي، محاسن التأويل ٧/٤٩٥

٣) نبي الله سليمان يتفقد الطير من رعيته، وبعض الآباء يسهر أبناءه خارج المنزل ولا يتفقد حالهم ولا يبالي!

محمد الغرير

﴿ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ ﴾

١) لم ينج الهدهد من وعيد سليمان ﷺ، ولا تجرأ -مع ضعفه- على مخاطبة سليمان -مع قوته وسلطانه- بمثل هذا الخطاب: ﴿أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ﴾ (النمل:٢٢)؛ لولا سلطان العلم.

ابن القيم، مفتاح دار السعادة (١/١٧٣)

٢) قد يكون عند أدنى الناس علم ما لا يعلمه إمام زمانه، وقد علم الهدهد أمر ما علمه نبي مرسل، فاقرأ -إن شئت- قوله تعالى: ﴿ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ ﴾.

ابن القيم، مدارج السالكين ٢/٥٢، مفتاح دار السعادة ١/١٧٣

والسؤال: هل يدعونا كلام هذا الإمام إلى الاستعانة بالله، والاجتهاد في استخراج المعاني التدبرية من كتاب الله تعالى؟ فقد يُفتح على رجل ما لا يفتح على من هو فوقه، مع الانضباط في ذلك بالضوابط الشرعية، والرجوع إلى أهل العلم والاستفادة منهم في تنمية هذه الملكة.

٣) انظر إلى الهدهد يقول لنبيٍّ: ﴿أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ ﴾. هذا هو الهدهد المخلوق الأقل من سليمان ﷺ يقول له: عرفت ما لم تعرفه، وكأنَّ هذا القول جاء ليعلِّمنا حُسن الأدب مع من هو دوننا، فهو يهب لمن دوننا ما لم يعلمه لنا، ألم يعلمنا الغراب كيف نواري سوأة الميت؟ ﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ (المائدة:٣١).

الشعراوي، تفسيره ١٣٥٣

٤) عجيب أمر بعض الدعاة وطلاب العلم، إذ يأنفون من نصح الآخرين، ويرون ذلك انتقاصًا من مقامهم! والخير لهم ولأتباعهم لو تأملوا قصة سليمان -الذي أوتي النبوة والملك- إذ قال له الهدهد: ﴿أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ﴾ فتواضع سليمان ﷺ وقبل الحق؛ فكان سبب إسلام مملكة كاملة.

أ. د. ناصر العمر

﴿إِنِّي وَجَدتُّ ٱمۡرَأَةٗ تَمۡلِكُهُمۡ وَأُوتِيَتۡ مِن كُلِّ شَيۡءٖ وَلَهَا عَرۡشٌ عَظِيمٞ ٢٣ وَجَدتُّهَا وَقَوۡمَهَا
يَسۡجُدُونَ لِلشَّمۡسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَصَدَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمۡ لَا يَهۡتَدُونَ ٢٤
أَلَّا يَسۡجُدُواْۤ لِلَّهِ ٱلَّذِي يُخۡرِجُ ٱلۡخَبۡءَ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَيَعۡلَمُ مَا تُخۡفُونَ وَمَا تُعۡلِنُونَ ٢٥﴾

١) قال الهدهد لسليمان ﷺ متحدثًا عن ملكة سبأ: ﴿إِنِّي وَجَدتُّ ٱمۡرَأَةٗ تَمۡلِكُهُمۡ﴾ ولم يقل: (..ملكة تملكهم) مع أنها ملكة حقًا!! ولكن كأن الهدهد قد استقبح من رجال أن يُملِّكوا أمرهم امرأة؛ فجاء باللفظ الذي يُقبِّح ذلك، ويضع المرأة من الحياة موضعها الذي تقتضيه فطرة الخلق.

علي جاسم محمد، مقال: (خواطر قرآنية)

٢) مع قول الهدهد عن بلقيس: ﴿وَأُوتِيَتۡ مِن كُلِّ شَيۡءٖ﴾ قال الهدهد: ﴿وَجَدتُّهَا وَقَوۡمَهَا يَسۡجُدُونَ لِلشَّمۡسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾. كيف لم ينبهر الهدهد بحضارة كافرة، ولم تأثر به حضارتهم، مع أنها أوتيت من كل شيء، وإنما كان همه: ﴿أَلَّا يَسۡجُدُواْۤ لِلَّهِ﴾؛ فهل يعي هذا المعنى المفتونون بحضارة الغرب؟

د. عبدالمحسن المطيري

٣) عجيب أمر هذا الهدهد: ﴿أَلَّا يَسۡجُدُواْۤ لِلَّهِ ٱلَّذِي يُخۡرِجُ ٱلۡخَبۡءَ﴾ حيوان غير مكلف يغار أن يُعصى الله وأن يُشرك به، ويكون سببًا لإسلام أمة كاملة! فماذا عنك يا ابن الإسلام، ماذا فعلت لدينك؟!

د. عبدالمحسن المطيري

﴿قَالُواْ نَحۡنُ أُوْلُواْ قُوَّةٖ وَأُوْلُواْ بَأۡسٖ شَدِيدٖ وَٱلۡأَمۡرُ إِلَيۡكِ فَٱنظُرِي مَاذَا تَأۡمُرِينَ ٣٣﴾

١) أي نهاية تنتظر مملكة سبأ لو أخذت (ملكتهم) بالرأي (الخداج) المفعم بالغرور لهؤلاء الملأ: ﴿نَحۡنُ أُوْلُواْ قُوَّةٖ وَأُوْلُواْ بَأۡسٖ شَدِيدٖ﴾ دون النظر لمنزلة وقوة صاحب الكتاب، وأي حماقة سيرتكبها هؤلاء في حق بلدهم بمثل هذه الآراء المتهورة؟ وهذه نتيجة متوقعة عندما يوسد الأمر لغير أهله كهؤلاء!!

أ. د. ناصر العمر

٢) وقفت متعجبًا من منطق مستشاري ملكة سبأ إذ قالوا: ﴿وَٱلۡأَمۡرُ إِلَيۡكِ فَٱنظُرِي مَاذَا تَأۡمُرِينَ﴾ بعد أن طلبت رأيهم بعقل وتجرد، فجوابهم يكرس منهج الاستبداد، بدل أن يرسخ منهج الشورى في مثل هذه الأحداث التي تحدد مصير البلاد.

أ. د. ناصر العمر

﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ﴿٣٥﴾﴾

حسن الظن بكل من أهدى لك هدية قد يزري ويردي؛ فانظر في القرائن والأحوال قبل أن تردها أو تقبلها(١).

أ. د. ناصر العمر

﴿فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٣٦﴾﴾

١) لو كانت مواقف بعض العلماء مع الهدايا التي تقدم لهم كموقف سليمان ﷺ؛ لقويت هيبتهم وتحقق على أيديهم صلاح البلاد والعباد، كما صلحت مملكة سبأ، تدبر: ﴿أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ﴾.

أ. د. ناصر العمر

٢) الموظف المؤمن بالغيب هو الذي يرى زملاءه يمدون أيديهم إلى المال الحرام، فيكونون به من أولي السعة والغنى، وهو يقنع بمرتبه القليل ويصبر على الضيق؛ أملًا بالغنى والسعة في الآخرة ولسان حاله: ﴿فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُم﴾.

علي الطنطاوي، فصول في الدعوة والإصلاح ٦٧-٦٨

﴿قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُ قَالَ هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾

١) يتأتى بالعلم ما لا يتأتى بالقوة ﴿قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ فكان أسرع من العفريت.

ابن عاشور، التحرير والتنوير ٢٧١/١٩

---

(١) استشكل بعض الفضلاء ما ذكره الشيخ ناصر العمر في رسالته، ومع وضوح مراده إلا أننا -لزيادة الإيضاح- ننقل نصين عن إمامي هدى، يتضح بهما مراده لمن أشكل عليه:

الأول: ما قاله ابن عبدالبر: في الاستذكار (٥٣١/١): "وكان رسول الله ﷺ يقبل الهدية ويأكلها ولا يأكل الصدقة، والهدية من أفعال المسلمين الكرماء والصالحين والفضلاء ويستحبها العلماء ما لم يسلك بها سبيل الرشوة لدفع حق أو تحقيق باطل أو أخذ على حق يجب القيام به".

الثاني: قول العلامة ابن عثيمين: -كما في فتاوى نور على الدرب (٢٧٣/١) -: "قبول الهدية سنة، ما لم يخش الإنسان أن يكون من المهدي مِنَّةٌ عليه في المستقبل، بحيث يقطع عُنُقَهُ كلما حصلت مناسبة، فيقول: أنا فعلت بك وفعلت بك، وأهديتك وصنعت إليك معروفًا، وما أشبه هذا، ففي مثل هذه الحال لا ينبغي أن يقبل الهدية لما في ذلك من إذلال نفسه أو التعرض لذلك".

٢) تأمل قوله تعالى -لما جيء بعرش بلقيس لسليمان ﷺ: ﴿فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ﴾، فمع تلك السرعة العظيمة التي حمل بها العرش، إلا أن الله قال: ﴿مُسْتَقِرًّا﴾وكأنه قد أتي به منذ زمن، والمُشَاهَد أن الإنسان إذا أحضر الشيء الكبير بسرعة، فلا بد أن تظهر آثار السرعة عليه وعلى الشيء المحضر، وهذا ما لم يظهر على عرش بلقيس، فتبارك الله القوي العظيم.

ابن عثيمين(١)

﴿قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِي ٱلصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُۥ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَـٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٤٤﴾﴾

مشاركة من إحدى الأخوات:

قال تعالى ـ في شأن بلقيس قبل أن تعلن إسلامها ـ ﴿وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا﴾ ففيه دلالة على أن ثوبها كان طويلًا ساترًا لساقيها، وهي من؟! امرأة كافرة! في حين أن بعض المسلمات -وللأسف الشديد- يتنافسن في خلع جلباب الحشمة والحياء فيما يرتدينه من ملابس، بلا حياء ولا خوف من الله! أليس من المدمي أن تكون امرأة كافرة أكثر حشمة وتسترًا من بعض نساء المسلمين؟!

﴿قَالُوا ٱطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ قَالَ طَـٰٓئِرُكُمْ عِندَ ٱللَّهِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ﴿٤٧﴾﴾

التشاؤم ليس معتقدًا اختصَّ به أهلُ الجاهلية في شهر صفر وغيره، بل هو معتقدٌ تتابع عليه أعداءُ الرسل، فتأمل كيف سجَّل القرآنُ هذا الخُلُقَ السيئ على قوم صالح ﴿قَالُوا ٱطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ قَالَ طَـٰٓئِرُكُمْ عِندَ ٱللَّهِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ﴾، وقوم موسى ﴿فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَـٰذِهِۦ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَلَآ إِنَّمَا طَـٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣١﴾﴾ (الأعراف)، وأصحاب القرية ﴿قَالُوا طَـٰٓئِرُكُم مَّعَكُمْ أَئِن ذُكِّرْتُم بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿١٩﴾﴾ (يس)، وعلى كفار قريش مع نبيِّنا ﷺ ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَـٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَـٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ فَمَالِ هَـٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴿٧٨﴾﴾ (النساء).

د. عمر المقبل

(١) سمعها منه د. عمر المقبل.

﴿ وَكَانَ فِي ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾

فمع قلة عددهم بالنسبة لسكان مدينتهم، فإن أثر فسادهم أدى إلى هلاك وتدمير تلك المدينة وأهلها. ونفى عنهم الإصلاح؛ لأن هذه دعواهم التي يخدعون بها الدهماء، كما هو ديدن المفسدين في كل زمان ومكان.

أ. د. ناصر العمر

﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٥٨﴾ ﴾

لا تجد في القرآن ذكر (المطر) إلا في موضع الانتقام والعذاب بخلاف (الغيث) الذي يذكره القرآن في الخير والرحمة؛ قال تعالى: ﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴾ في حين قال ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ﴾ (الشورى: ٢٨).

د. فاضل السامرائي، التعبير القرآني١٥

﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَـٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾

تأمل كيف جمع الله بين إجابة المضطر، وكشف الضر، وخلافة الأرض، في آية واحدة: ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ﴾ وتأمل في قصة موسى حين قتل ثم أناب، واضطر إلى ربه؛ فتاب عليه واصطفاه: ﴿وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَـٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ وَفَتَنَّـٰكَ فُتُونًا ۚ فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَـٰمُوسَىٰ ﴿٤٠﴾ وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى ﴾ فهل بعد هذا ييأس مضطر أو مذنب تائب؟

د. محمد الربيعة

﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾

إنَّ البعضَ يتعامل مع أخبار الأمراض والأدواء والأحداث في حدودية الزمان والمكان، فنظرتُه إليها نظرة الغافل المتجافي، فكأنه ماض كان، أو مستقبل لن يكون في زمانه ومكانه، وقد أمر الله بالتأمل والاعتبار بما كان -رغم تباعد الزمان والمكان- بقوله: ﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾.

أ. د. إبتسام الجابري

﴿ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۖ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ ۝٧٩ ﴾

فيه تنبيه على أن صاحب الحق حقيق بالوثوق بالله في نصرته.

ابن عجيبة الفاسي، البحر المديد ٢١٧/٤

﴿ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِى حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ۝٩١ ﴾

﴿رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِى حَرَّمَهَا﴾ هي مكة، وإنما خصها بالذكر دون سائر البلدان، وهو رب البلاد كلها؛ لأنه أراد تعريف المشركين من قوم رسول الله ﷺ، الذين هم أهل مكة، بنعمته عليهم، وإحسانه إليهم، وأن الذي ينبغي لهم أن يعبدوه هو الذي حرم بلدهم، فمنع الناس منهم، وهم في سائر البلاد يأكل بعضهم بعضًا، ويقتل بعضهم بعضًا.

ابن جرير، جامع البيان ١٩/ ٥١١

﴿ وَأَنْ أَتْلُوَا۟ ٱلْقُرْءَانَ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ۝٩٢ ﴾

جاء في ترجمة عبدالله بن أبي الحسن الحنبلي قال: كنا قومًا نصارى.. وكان في قريتنا جماعة من المسلمين يقرؤون القرآن، فإذا سمعتهم أبكي، فلما دخلت أرض الإسلام أسلمت.

ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب الحنبلي ٤٤٢/١

قد نعجز عن مخاطبة بعض الناس بسبب حاجز اللغة، لكننا لن نعجز أن نسمعهم آيات قد تكون سببًا في هدايتهم.

سُورَةُ القَصَصِ

﴿ إِنَّ فِرۡعَوۡنَ عَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَجَعَلَ أَهۡلَهَا شِيَعٗا يَسۡتَضۡعِفُ طَآئِفَةٗ مِّنۡهُمۡ يُذَبِّحُ أَبۡنَآءَهُمۡ وَيَسۡتَحۡيِۦ نِسَآءَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿٤﴾ ﴾

انظروا العبر، كيف كان فرعون يقتل الأبناءَ خوفًا من موسى، فتربى موسى في بيته.

ابن عثيمين

﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَنَجۡعَلَهُمۡ أَئِمَّةٗ وَنَجۡعَلَهُمُ ٱلۡوَٰرِثِينَ ﴿٥﴾ وَنُمَكِّنَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَنُرِيَ فِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنۡهُم مَّا كَانُواْ يَحۡذَرُونَ ﴿٦﴾ ﴾

١) وقد اقتضت حكمته أنَّ خِلَعَ النصر وجوائزه؛ إنما تفيض على أهل الانكسار: ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَنَجۡعَلَهُمۡ أَئِمَّةٗ وَنَجۡعَلَهُمُ ٱلۡوَٰرِثِينَ ﴿٥﴾ وَنُمَكِّنَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَنُرِيَ فِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنۡهُم مَّا كَانُواْ يَحۡذَرُونَ ﴾ (القصص:٥-٦).

ابن القيم، زاد المعاد (٤١٧/٣)

٢) إذا أردت أن ترى كيف تُرسم خريطة النصر في ميدان الضعف والعجز؛ فاقرأ صدر سورة القصص.

د. عمر المقبل

٣) هاتان الآيتان صدرت بهما سورة القصص التي تحدثت عن المستضعفين -ومنهم موسى في نشأته صغيرًا- وكيف مكن له الله في آخر أمره، وفي ذلك عزاء لإخواننا المستضعفين في فلسطين وغيرها فيما يلاقونه من بلاء وشدة، يعقبها قوة وتمكين بإذن الله.

﴿ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَرۡضِعِيهِۖ فَإِذَا خِفۡتِ عَلَيۡهِ فَأَلۡقِيهِ فِي ٱلۡيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحۡزَنِيٓۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيۡكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿٧﴾ ﴾

١) جمع الله تعالى في هذه الآية بين أمرين، ونهيين، وخبرين، وبشارتين؛ فتأملها فتح الله على قلبك.

القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (٢٥٢/١٣)

٢) ﴿فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ﴾ هذا والله التسليم للشريعة! ألقته دون أن تسأل عن الحكمة مع شدة غرابة الأمر!

د. عبدالله بلقاسم

﴿وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾﴾

١) تأمل في روعة هذا الخطاب: متانةً ورقةً وإقناعًا، ثم انظر كيف أثر في أعظم طاغية عرفه التاريخ البشري؟ فأين نساءنا ورجالنا عن هذا الهدي القرآني الرفيع؟

أ. د. ناصر العمر

٢) عندما تحاك المؤامرات ضد بلد أو مجتمع أو فرد يجب أن يقوم العقلاء رجالًا ونساء بما يقدرون عليه لمنع الإفساد، أو التخفيف منه، كل حسب طاقته ومكانته، تدبر أثر موقف امرأة فرعون عندما أرادوا قتل موسى: ﴿وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ﴾. وتأمل أثر موقف أعقل أولاد يعقوب عندما تمالؤوا على قتل يوسف: ﴿قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ﴾ (يوسف:١٠)؛ فلا عذر لأحد مهما كان موقعه ألا يقوم بواجبه.

أ. د. ناصر العمر

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٤﴾﴾

قال الحسن البصري ﷺ: من أحسن عبادة الله في شبيبته؛ أعطاه الله الحكمة عند كبر سنه، وذلك قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾.

مفتاح دار السعادة لابن القيم ١ /١٦٧-١٦٨

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ ۚ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٦﴾﴾

لما قتل موسى القبطي قال: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ ۚ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٦﴾﴾، قال ابن عطية: إن ندم موسى حمله على الخضوع لربه والاستغفار عن ذنب باء به عنده تعالى، فغفر الله خطأه ذلك، قال قتادة ﷺ: عرف -والله- المخرج، فاستغفر.

المحرر الوجيز ٤/٣٣٢

﴿ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾ ﴾

بعض الناس كلما أراد أن يتقدَّم في حياته، تذكَّر بعض زلاته في الماضي، فتراجع، وهذا خطأ؛ فالعبرة بكمال النهاية، انظروا إلى موسى عليه السلام قتل نفسًا لم يُؤمَر بقتلها، ولم يمنعه هذا من التصحيح، بل قال: ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴾، ونال شرف الرسالة وقام بأعبائها، فإياكم واليأس.

متدبرة

﴿ فَلَمَّآ أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِالَّذِى هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِى كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِى الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ ﴿١٩﴾ ﴾

قال أبو عمران الجوني: آية الجبابرة: القتل بغير حق.

الدر المنثور ٦/٤٠١

﴿ وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ النَّٰصِحِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾

١) فيه دليل على جواز النميمة لمصلحة دينية.

الألوسي، روح المعاني (١٠ / ٢٦٨)

٢) ﴿ وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ ﴾ خطوات أنقذت حياة نبي -بإذن الله-! اركض! ربَّ مشوارٍ تُولد فيه الحياة!

د. عبدالله بلقاسم

٣) انظر كيف جمعت هذه الآية صفات الدعاة الناصحين: حرص على مصلحة الناس، ودفع ما يضرهم، ويتحملون التعب والمشقة من أجلهم، ويقترحون الحلول المناسبة لحل المشاكل.

د. محمد القحطاني

﴿ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يَهْدِيَنِى سَوَآءَ السَّبِيلِ ﴿٢٢﴾ ﴾

١) فيها تنبيه لطيف على أن الناظر في العلم -عند الحاجة إلى العمل أو التكلم به- إذا لم يترجح عنده أحد القولين؛ فإنه يستهدي ربه ويسأله الهداية للصواب، بعد أن يقصد الحق بقلبه ويبحث عنه، فإن الله لا يخيب من هذه حاله، كما جرى لموسى لما قصد تلقاء مدين، ولم يدر الطريق المعين إليها، فسأل ربه، فهداه الله، وأعطاه ما رجاه وتمناه.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن ٦١٨

٢) ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّي﴾، ﴿وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا﴾ الآية (البقرة:٢٥٠) المتأمل لهذه الآيات وأمثالها يلحظ اقتران الدعاء بالعمل، دون الاقتصار على أحدهما، وهو منهج للأنبياء مطرد، كما حدث في بدر وأحد.

أ. د. ناصر العمر

﴿فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰ إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾﴾

١) إخلاص وشهامة، وبعد عن حب الظهور، وترك لطلب المقابل، ومع ذلك جاءه الخير وهو في ظله: ﴿إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾ .

د. محمد الحمد

٢) في قول موسى ﷺ بعد أن سقى للمرأتين: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ قال ابن عباس ﷺ: كان قد بلغ به الجوع ما بلغ، وإنه لأكرم الخلق يومئذ على الله.

فعلق ابن عطية قائلًا: وفي هذا معتبر، وحاكم بهوان الدنيا على الله تعالى!

المحرر الوجيز ١٨٩/٥

٣) أيُّها القلب الحزين: إياك أن تنسى العليَّ، كن مثل كليم الرحمن، خرج خائفًا، سافر راجلًا، اخضر جوعًا، فنادى منكسرًا: ﴿رَبِّ﴾، فحذف ياء النداء ﴿إِنِّي﴾؛ لتأكيد المسكنة، ولم يقل: أنا، ﴿لِمَا﴾ لأيِّ شيء ﴿أَنزَلْتَ إِلَيَّ﴾ بصيغة الماضي؛ لشدَّة يقينِه بالإجابة فكأنَّها تحقَّقت، ﴿مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾، فكان جزاءُ هذا الانكسار التام: أهلًا ومالًا، ونبوَّةً وحفظًا.

د. عصام العويد

٤) ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ إشارة إلى سبب من أسباب إجابة الدعاء، وهو إعلان الافتقار إلى الله، وإظهار المسكنة إليه ﷻ.

د. محمد الحمد، هداية آية ٧

﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢٥﴾﴾

١) وصفها بالحياء في مشيها خصوصًا، وهذا فيه توجيه للمرأة المسلمة؛ فالمشي عند المرأة يدل على شخصيتها بل يدل على عفافها من عدمه. فانتبهي أختي الكريمة للمشي فهو ليس أمرًا هامشيًا في حياة المرأة بل هو أمر مهم ذكره الله ﷻ في كتابه. ثم قالت: ﴿إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ﴾، ولم تقل: إننا ندعوك؛ لأن هذا هو اللائق بالمؤمنة العفيفة حينما تتحدث مع الرجال الغرباء. د. عويض العطوي

٢) ﴿تَمۡشِي عَلَى ٱسۡتِحۡيَآءٖ﴾ ما أجمله من وصف! فهي كأنها من شدة حيائها لم تمش على قدميها، بل (على حيائها)، الحياء في الكلمة والنظرة والحركة بالنسبة للمرأة خصوصًا هو لحاؤها الذي لا تزهر أغصان الورد بدونه.

د. عصام العويد

٣) ﴿إِنَّ أَبِي يَدۡعُوكَ لِيَجۡزِيَكَ أَجۡرَ مَا سَقَيۡتَ لَنَاۚ﴾ المكافأة تسبب تآلف القلوب، ودفع المنن.

العز بن عبد السلام، شجرة المعارف والأحوال ٢٠٥

٤) قال ابن كثير في قوله تعالى عن ابنتي شعيب ﴿قَالَتۡ إِنَّ أَبِي يَدۡعُوكَ لِيَجۡزِيَكَ أَجۡرَ مَا سَقَيۡتَ لَنَاۚ﴾: وهذا تأدب في العبارة لم تطلبه طلبًا مطلقًا؛ لئلا يوهم ريبة.

تفسير القرآن العظيم ٦/٢٢٨

﴿قَالَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسۡتَـٔۡجِرۡهُۖ إِنَّ خَيۡرَ مَنِ ٱسۡتَـٔۡجَرۡتَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡأَمِينُ ٢٦﴾

١) أركان الولاية اثنان: القوة، والأمانة، ﴿قَالَ عِفۡرِيتٞ مِّنَ ٱلۡجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَۖ وَإِنِّي عَلَيۡهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٞ ٣٩﴾ النمل: ٣٩، فمن العدل ألَّا يولى أحد منصبًا إلا وهو أهل له في قوته وفي أمانته؛ فإن ولى من ليس أهلًا مع وجود من هو خير منه، فليس بعادل.

ابن عثيمين، شرح رياض الصالحين ١/٤٦١

٢) تأمل كم تكرر وصف القوة والأمانة في القرآن لسادات الخلق: جبريل، وموسى، ويوسف، وغيرهم! إنها فرصة لتربية أبنائنا على هذا المعنى الشريف -وهم يستعدون للاختبارات- وتذكيرهم بشدة حاجة الأمة للطالب القوي في علمه وتحصيله، الجاد في أداء عمله، وأن التفوق الدراسي ليس مطلبًا اجتماعيًا بل هو -قبل ذلك- مطلب شرعي، فالساحة ملآى بالكسالى!

د. عمر المقبل

٣) اجعل أعمالك وتعاملك يشهدان لك بالقوة والأمانة: ﴿قَالَ مَا خَطۡبُكُمَاۖ﴾، ﴿فَسَقَىٰ لَهُمَا﴾.. ﴿قَالَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسۡتَـٔۡجِرۡهُۖ إِنَّ خَيۡرَ مَنِ ٱسۡتَـٔۡجَرۡتَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡأَمِينُ﴾.

د. محمد الربيعة

﴿ ۞ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾

استدل بعض أهل العلم بقوله تعالى: ﴿ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ﴾ بأن فيها دليلًا على أن الرجل يذهب بأهله حيث شاء؛ لما له عليها من فضل القوامة وزيادة الدرجة، إلا أن يلتزم لها أمرًا فالمؤمنون عند شروطهم، و «**أحق الشروط أن يوفى به ما استحللتم به الفروج**»(1).

القرطبي، أحكام القرآن ١٣/٢٨١

﴿ وَأَخِي هَٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِيٓ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾ ﴾

﴿ وَأَخِي هَٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا ﴾ فيه إشارة إلى أهمية العناية بالجانب البياني والإعلامي في باب دعوة الآخرين: مسلمين أو غيرهم، وأنه لا يكفي مجرد صدق الداعي، بل يحسن مع ذلك أن يهتم بكل وسيلة تكون سببًا في إبلاغ دعوته، والتأثير بها.

د. عمر المقبل

﴿ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَٰنًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا ۚ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾

١) ﴿ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ ﴾ إخوانك هم عُدَّتُك للمهمَّات فاستكثر من الصادقين منهم، ولا تفرّط فيهم.

د. عبدالرحمن الشهري

٢) بون شاسع بين استعلاء فرعون وجبروته وطغيانه، وضعف قوم موسى وذلتهم وقلة حيلتهم، وبرغم ذلك قال الله ﷻ لموسى وهارون ومن معهما: ﴿ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَٰلِبُونَ ﴾ أي: بحجتنا، وهذه هي حقيقة الانتصار.

أ. د. ناصر العمر

﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾ ﴾

١) والهوى -نعوذ بالله منه- هو أول فتنة طَرَقَت العالم، وباتباع الهوى ضلَّ إبليس، وبه ضلَّ كثيرٌ من الأمم عن اتّباع رسلهم وأنبيائهم، كما في قصص القرآن العظيم؛ ولهذا حكم الله -وهو أعدل الحاكمين- أنّه لا أحد أضل ممن اتّبع هواه، فقال سبحانه: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ ﴾.

د. بكر أبو زيد، تصنيف الناس بين الظن واليقين ٣٧

(١) الترمذي ح(١١٢٧)، والنسائي ح(٣٢٨١)، وأحمد ح(١٧٣٠٢).

٢) إن لم تنقد للهدى، قادك الهوى: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ﴾.

د. عمر المقبل

﴿۞ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ ٱلْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥١﴾﴾

قال الكاتب والشاعر النصراني أمين نخلة: «كلما قرأت القرآن قلت لنفسي: ويحك انجي؛ فإنك على النصرانية»! انتهى. وصدق الله إذ يقول: ﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ ٱلْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾.

ميراث الصمت والملكوت ١٤٢ (بتصرف)

﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٦٢﴾﴾

شجرة الإخلاص أصلها ثابت، لا يضرها زعازع: ﴿أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ وأما شجرة الرياء، فإنها تجتث عند نسمة: «**من كان يعبد شيئًا، فليتبعه**»(١).

ابن القيم، بدائع الفوائد ٣/٢٣٧

﴿وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٦٩﴾﴾

من عيوب النفس: أن تسترسل مع الخواطر السيئة التي تمرُّ بذهنها، فتترسخ فيها، ودواء ذلك: أن يرد تلك الخواطر في الابتداء، ويدفعها بالذكر الدائم، ويتذكر أنَّ الله مطلع على سريرته، وأن يعيش مع قول الله: ﴿وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾، ﴿وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى﴾ (طه:٧).

عبدالعزيز السلمان، اغتنام الأوقات (١٤١) (بتصرف)

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٧٢﴾﴾

وإنما ذكر السماع عند ذكر الليل والإبصار عند ذكر النهار؛ لأن الإنسان يدرك سمعه في الليل أكثر من إدراكه بالنهار، ويرى بالنهار أكثر مما يرى بالليل.

ابن هبيرة، ذيل طبقات الحنابلة ١/٢٤٠

﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾﴾

هي خمس كلمات -أي: خمس جمل- متباعدة في المواقع، نائية المطارح، قد جعلها النظم البديع أشد تآلفًا من الشيء المؤتلف في الأصل، وأحسن توافقًا من المتطابق في أول الوضع. الباقلاني، إعجاز القرآن ١٩٤

---

(١) البخاري ح(٦٥٧٣)، ومسلم ح(١٨٢)، وأحمد ح(١٠٩٠٦).

﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓۚ أَوَلَمۡ يَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَهۡلَكَ مِن قَبۡلِهِۦ مِنَ ٱلۡقُرُونِ مَنۡ هُوَ أَشَدُّ مِنۡهُ قُوَّةٗ وَأَكۡثَرُ جَمۡعٗاۚ وَلَا يُسۡـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ٧٨﴾

١) قال بعض السلف: من أعجبه شيء من حاله أو ماله أو ولده، فليقل: ما شاء الله، لا قوة إلا بالله.

تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٥/ ١٥٨

٢) أيُّها الطالب! إن أوتيتَ حفظًا وذكاءً، فانتبه، فقد قال قارون: ﴿إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓۚ﴾ فخُسف به، والمؤمن حقًّا حاله حال المعترفين بالنعمة، كما قال صاحب الجنة: ﴿وَلَوۡلَآ إِذۡ دَخَلۡتَ جَنَّتَكَ قُلۡتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ﴾ (الكهف:٣٩).

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ وَيۡلَكُمۡ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لِّمَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗاۚ وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ٨٠﴾

١) إيثار ثواب الآجل على العاجل حالة العلماء؛ فمن كان هكذا فهو عالِم، ومن آثر العاجل على الآجل فليس بعالِم.

ابن هبيرة، ذيل طبقات الحنابلة ٢/١٤٩

٢) بقدر ما أوتوا من العلم؛ يكون زهدهم في الدنيا.

﴿وَأَصۡبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوۡاْ مَكَانَهُۥ بِٱلۡأَمۡسِ يَقُولُونَ وَيۡكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ وَيَقۡدِرُۖ لَوۡلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا لَخَسَفَ بِنَاۖ وَيۡكَأَنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ٨٢﴾

لما خُسف بقارون، قال من تمنى حاله: ﴿لَوۡلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا لَخَسَفَ بِنَا﴾ وهم بالأمس يتضرعون: ﴿يَٰلَيۡتَ لَنَا مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٖ ٧٩﴾ (القصص)، قف متأملًا متدبرًا: كم دعوة حزنت على عدم استجابة الله لك إياها؟ بل قد يسيء البعض بربه الظن، فيخالطه شك أو ريبة أو قنوط! وما علم المسكين أن خيرة الله خيرٌ من خيرته لنفسه، كما صرف الشر عن أصحاب قارون، ولكن ﴿وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ٨٠﴾ (القصص)[1].

أ. د. ناصر العمر

(١) أرسلت هذه الرسالة أيام الاختبارات، فجاء هذا التعليق من أحد الإخوة المشتركين: أسأل الله أن يجزيكم خير الجزاء، فأنا طالب جامعي وقد دعوت كثيرًا في اختباراتي بأن يكون معدلي كاملًا، ثم لما نظرت نتيجتي وجدتني نقصت كثيرًا، فأصابني حزن وغم لعدم استجابة الدعوة، ثم لما قرأت رسالتكم بالأمس حول: ﴿لَوۡلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا لَخَسَفَ بِنَا﴾: حمدت الله واطمأننت واستبشرت فالدعاء، لن يضيع، ولعل في النقص خيرًا.

سورة العنكبوت

﴿الٓمٓ ١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ٢ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ ٣﴾

١) دَلَّ كتاب الله على أنه لا بد من الفتنة لِكُلِّ من ادعى الإيمان، والعقوبة لذوي السيئات والطغيان.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى ٣/٢١٢

٢) ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ﴾ لا يظنن أحد أنه يخلص من الألم البتَّة، وإنما يتفاوت أهل الآلام في العقول، فأعقلهم من باع ألمًا مستمرًا عظيمًا بألم منقطع يسير، وأشقاهم من باع الألم المنقطع اليسير بالألم العظيم المستمر.

ابن القيم، زاد المعاد ٣ / ١١

٣) ﴿وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾ قال قتادة ﷺ: ليعلم الصادق من الكاذب، والطائع من العاصي، وقد كان يقال: إن المؤمن ليُضرب بالبلاء كما يُفتن الذهب بالنار، وكان يقال: إن مثل الفتنة كمثل الدرهم الزيف يأخذه الأعمى ويراه البصير.

الدر المنثور ٦/٤٥٠

﴿مَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَأٓتٖۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ٥﴾

لما علم الله سبحانه أن قلوب المشتاقين إليه لا تهدأ إلا بلقائه، ضرب لهم أجلًا للقاء؛ تسكينًا لقلوبهم، فقال تعالى: ﴿مَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَأٓتٖ﴾ (العنكبوت: ٥).

ابن القيم، روضة المحبين (٤٣٦)

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّبِعُواْ سَبِيلَنَا وَلۡنَحۡمِلۡ خَطَٰيَٰكُمۡ وَمَا هُم بِحَٰمِلِينَ مِنۡ خَطَٰيَٰهُم مِّن شَيۡءٍۖ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ١٢﴾

نرى في المتسمين بالإسلام من يستن بأولئك! فيقول لصاحبه -إذا أراد أن يشجعه على ارتكاب بعض العظائم-: افعل هذا وإثمه في عنقي! وكم من مغرور بمثل هذا الضمان من ضعفة العامة وجهلتهم!.

الزمخشري، الكشاف ٣/٤٤٨

﴿ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ ۖ وَلَيُسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ (١٣) ﴾

بيان لما يستتبعه قولهم ذلك في الآخرة من المضرة لأنفسهم بعد بيان عدم منفعته لمخاطبيهم أصلًا، والتعبير عن الخطايا بالأثقال؛ للإيذان بغاية ثقلها وكونها فادحة.

الألوسي، روح المعاني ١٥/٢٤٥

﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ۚ إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ ۖ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (١٧) ﴾

لا بد في الرزق من سعي وعمل ولو في تناوله وابتغائه من وجوهه؛ فإن الله تعالى يقول: ﴿ فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ ﴾.

ابن خلدون، مقدمته ٢/٦٦

﴿قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا ۚ قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا ۖ لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ (٣٢) ﴾

قال قتادة في قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا ۚ قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا ﴾ لا تلقى المؤمن إلا يرحم المؤمن، ويحوطه حيثما كان.

الدر المنثور ٦/٤٦٢

﴿ مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (٤١) ﴾

فأي معنى أبلغ من معنى أكده الله من ستة أوجه؟ حيث قال: ﴿وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ ﴾ فأدخل إن، وبنى أفعل التفضيل، وبناه من الوهن، وأضافه إلى الجمع، وعرَّف الجمع باللام، وأتى في خبر إن باللام!

الزركشي، البرهان ١/٤٨٤

﴿ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ (٤٣) ﴾

١) كان بعض السلف إذا مرَّ بمثلٍ في القرآن لا يفهمه يبكي ويقول: لست من العالمين.

مفتاح دار السعادة ١/٥١

٢) هذا مدح للأمثال التي يضربها، وحث على تدبرها وتعقلها، ومدح لمن يعقلها، وأنه عنوان على أنه من أهل العلم، فعلم أن من لم يعقلها ليس من العالمين، والسبب في ذلك: أن الأمثال التي يضربها الله في القرآن إنما هي للأمور الكبار، والمطالب العالية، والمسائل الجليلة، فأهل العلم، يعرفون أنها أهم من غيرها؛ لاعتناء الله بها، وحثه عباده على تعقلها، وتدبرها، فيبذلون جهدهم في معرفتها، وأما من لم يعقلها -مع أهميتها-، فإن ذلك دليل على أنه ليس من أهل العلم؛ لأنه إذا لم يعرف المسائل المهمة فعدم معرفته غيرها من باب أولى وأحرى.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن ٦٣١

٣) من أعجبته حكمة عظيمة صالحة في قول مفكر أو فيلسوف، فليتحسر على نفسه أن جهلت موضعها من القرآن، قال تعالى: ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴾.

عبدالعزيز الطريفي، في العقلية الليبرالية ١١٠

﴿ ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾

١) قال أبو العالية: إن الصلاة فيها ثلاث خصال، فكل صلاة لا يكون فيها شيء من هذه الخلال؛ فليست بصلاة: الإخلاص، والخشية، وذكر الله، فالإخلاص يأمره بالمعروف، والخشية تنهاه عن المنكر، وذكر القرآن يأمره وينهاه.

تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٦/٢٨٢

٢) الصلاة فيها دفع مكروه، وهو الفحشاء والمنكر، وفيها تحصيل محبوب، وهو ذكر الله، وحصول هذا المحبوب أكبر من دفع ذلك المكروه؛ فإنَّ ذكر الله عبادة، وعبادة القلب مقصودة لذاتها، وأما اندفاع الشرِّ فهو مقصود لغيره على سبيل التبع؛ ولهذا قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾.

ابن تيمية، العبودية ٩٩

٣) بحسب قيام العبد بالأمر تدفع عنه جيوش الشهوة، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾ (الحج: ٣٨) وفي القراءة الأخرى: (يدفع).

ابن القيم، طريق الهجرتين ٧٢

٤) هل أبصرت هذه الآية؟ ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ﴾ تأمل كيف أسند الله النهي إلى الصلاة نفسها!

إن الصلاة تعني أن ترحل عن خطاياك إلى الله؛ لتخرج من دركات العادة إلى درجات العبادة، وليتغير طعم المنكر في قلبك فلا تجد له لذة، فأبصر ثم أبصر فإن الصلاة تصنعك.

د. فريد الأنصاري، بلاغ الرسالة القرآنية ١١٥

﴿وَقَالُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦۖ قُلۡ إِنَّمَا ٱلۡأٓيَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ٥٠ أَوَلَمۡ يَكۡفِهِمۡ أَنَّآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحۡمَةٗ وَذِكۡرَىٰ لِقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ٥١﴾

١) أما هذه الأمة فقد أرسل الله إليها محمدًا ﷺ، وجعله خاتم الأنبياء، وجعل آيته العظيمة الباقية هذا القرآن العظيم، فإن آيات الأنبياء تموت بموتهم، ولا تبقى بعد موتهم إلا ذكرى، أما محمد ﷺ فإن آيته هذا القرآن العظيم، باقية إلى يوم القيامة، كما قال تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦۖ قُلۡ إِنَّمَا ٱلۡأٓيَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ٥٠ أَوَلَمۡ يَكۡفِهِمۡ أَنَّآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ﴾ فالكتاب كاف عن كل آية لمن تدبره، وتعقله، وعرف معانيه، وانتفع بأخباره، واتعظ بقصصه، فإنه يغني عن كل شيء من الآيات. لكن الذي يجعلنا لا نحس بهذا الآيات العظيمة، أننا لا نقرأ القرآن على وجه نتدبره، ونتعظ بما فيه.

ابن عثيمين، شرح رياض الصالحين ١٣٤/١

٢) ﴿أَوَلَمۡ يَكۡفِهِمۡ أَنَّآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحۡمَةٗ وَذِكۡرَىٰ لِقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ٥١﴾ كل علم دين لا يُطلب من القرآن، فهو ضلال، وكل عاقل يترك كتاب الله مريدًا للعلو في الأرض والفساد، فإن الله يقصمه؛ فالضال لم يحصل له المطلوب، بل يعذب بالعمل الذي لا فائدة فيه.

ابن تيمية، الاستقامة ٢١/١

٣) لقد عظمت نعمة الله على عبد أغناه بفهم كتابه عن الفقر إلى غيره: ﴿أَوَلَمۡ يَكۡفِهِمۡ أَنَّآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحۡمَةٗ وَذِكۡرَىٰ لِقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾ (العنكبوت:٥١).

ابن القيم، بدائع الفوائد (٢٢٧/٥)

﴿ وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦٠﴾ ﴾

التفت حولك، هل ترى نملةً أو حشرةً صغيرةً تحمل رزقها على ظهرها؟ بل ربما دفعته بمقدمة رأسها لعجزها عن حمله، أيُّ هَمٍّ حملته هذه الدويبة الصغيرة لرزقها؟ وهل كان معها خرائط تهتدي بها؟ كلَّا.. إنها هداية الله الذي قدَّر فهدى، والذي قال: ﴿ وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ ﴾، فكيف يقلق عبدٌ في شأن رزقه، وهذا كلام ربِّه؟

د. عمر المقبل

﴿ وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾

الموقنون بالآخرة لهم سيرة أخرى، إنهم يتقون الشبهات استبراء لدينهم وعرضهم، ويكترثون بالآخرة أشد من اكتراث غيرهم بالدنيا، هم يفهمون بعمق قوله تعالى: ﴿ وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴾.

محمد الغزالي، المحاور الخمسة ١٤٩

﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾

١) قال عباس بن أحمد في قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾: الذين يعملون بما يعلمون نهديهم إلى ما لا يعلمون.

اقتضاء العلم العمل ٣٠

٢) قد ذكر في غير موضع من القرآن ما يبين أن الحسنة الثانية قد تكون من ثواب الأولى، وكذلك السيئة الثانية قد تكون من عقوبة الأولى، قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾، وقال تعالى: ﴿ ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ ٱلسُّوٓأَىٰٓ أَن كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ ﴾(الروم:١٠).

ابن تيمية، مجموع الفتاوى ١٤/٢٤٠

٣) ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾ كثرة الممارسات للمواهب تُعطي الملكات؛ فتبقى للنفس هيئة راسخة وملكة ثابتة.

ابن القيم، مفتاح دار السعادة ٢/٨٠٥

٤) قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَا ﴾ علّق سبحانه الهداية بالجهاد؛ فأكمل الناس هداية أعظمهم جهادًا، وأفرض الجهاد: جهاد النفس، وجهاد الهوى، وجهاد الشيطان، وجهاد الدنيا، فمن جاهد هذه الأربعة في الله، هداه الله سبل رضاه الموصلة إلى جنته، ومن ترك الجهاد، فاته من الهدى بحسب ما عطل من الجهاد.

ابن القيم، الفوائد ٥٨

٥) ثلاث مراحل لمن أراد أن يستمتع بهذا الدين:

١- اترك ما كنت تستمتع به قبل المحبة، وستتجرع ذلك في البداية، وهذه هي المجاهدة. ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَا ﴾.

٢- إن ترقيت في المحبة بذلت لدينك رضًا وتطوعًا، وهذا هو التذوق.

٣- إن ترقيت في المحبة بذلت لدينك ذلًا وتضرعًا، وهذا هو الاستمتاع.

أبو إسحاق الحويني

٦) رمضان أعظم ميدان للتنافس، وبلوغ الغايات على قدر التضحيات، قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ ﴾.

ومن رام العُلا من غير كدٍّ أضاع العمرَ في طلب المحالِ

د. عبدالمحسن المطيري

سورة الروم

﴿وَعْدَ ٱللَّهِ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝٦ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ۝٧﴾

١) قال الحسن البصري في قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾: إنه ليبلغ من حذق أحدهم بأمر دنياه أنه يقلب الدرهم على ظفره، فيخبرك بوزنه، وما يحسن يصلي!!

الدر المنثور ٦/٤٨٤

٢) ما الذي جعل العلامة الشنقيطي يقول عن هذه الآية يجب على كل مسلم أن يتدبرها تدبرا كثيرًا، ويبين ما دلت عليه لكل من استطاع بيانه له من الناس؟ قال ﷺ: اعلم أنه يجب على كل مسلم في هذا الزمان أن يتدبر آية «الروم» هذه تدبرًا كثيرًا، ويبين ما دلت عليه لكل من استطاع بيانه له من الناس. وإيضاح ذلك أن من أعظم فتن آخر الزمان التي ابتلى الله بها ضعاف العقول من المسلمين شدة إتقان الإفرنج لأعمال الحياة الدنيا، ومهارتهم فيها على كثرتها، واختلاف أنواعها مع عجز المسلمين عن ذلك، فظنوا أن من قدر على تلك الأعمال أنه على الحق، وأن من عجز عنها متخلف وليس على الحق، وهذا جهل فاحش، وغلط فادح. وفي هذه الآية الكريمة إيضاح لهذه الفتنة، وتخفيف لشأنها.

أضواء البيان ٦/١٦٦

٣) تفقَّد قراءاتك: ﴿يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ لم يُذموا لمجرد اشتغالهم بعلوم الدنيا؛ بل لأنها تسببت في الغفلة عن الآخرة.

د. عمر المقبل

﴿وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ۝١٨﴾

جمع الله تعالى الحمد لنفسه في الزمان والمكان كله، فقال: ﴿وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ وقال: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِي ٱلْأُولَىٰ وَٱلْءَاخِرَةِ﴾؛ فتبين بهذا أن الألف واللام في ﴿ٱلْحَمْدُ﴾ مستغرقة لجميع أنواع المحامد، وهو ثناء أثنى به تعالى على نفسه، وفي ضمنه أمر عباده أن يثنوا عليه به.

الشنقيطي، أضواء البيان ١/٥

﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾

١) ارتفاع نسبة الطلاق بلغ رقمًا مخيفًا -قرابة ٤٠,٠٠٠ حالة طلاق في سنة واحدة- وهذا مخالف لأصل خلق الزوجين: ﴿ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا ﴾ فلو تحقق السكن، لما وقع الطلاق -غالبًا-، إذن لا بد من سبب معتبر حال دون تحقق الأصل والغاية، والعلاج: أن تصلح ما بينك وبين الله؛ يصلح لك زوجك، تدبر: ﴿ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ﴾(الأنبياء:٩٠).

أ. د. ناصر العمر

٢) أصول الحياة الزوجية وأركانها دون انقطاع:

١- سكن كل واحد منهما للآخر.

٢- المودة.

٣- الرحمة.

وأي نقص في ذلك، فهو خلل في تحقق آيات الله في نفس المقصر، تدبر: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾.

أ. د. ناصر العمر

٣) من تأمّل القرآن، علم أنّ كلمة (السكن) هي سرُّ الكون الذي هدى إليه القرآن في العلاقة بين الرجل والمرأة ﴿ لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا ﴾؛ ولذا كان الهدفُ الرئيس للمرأة في الحياة بعد حق الله أن تتعلم كيف تكون سكنًا لزوجها وأسرتها.

د. عصام العويد

﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾

أرأيت توأمين متشابهين، لا يتميز عندك أحدهما عن الآخر إلا بجهد؟ عند ذلك تعرف نعمة الله تعالى في الاختلاف التي ذكرها في هذه الآية.

السخاوي، تفسير السخاوي ٢/٦٧

﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾

يواجه الإنسان في حياته -وخاصة في هذا الزمن- كثيرًا من المتغيرات، التي يتأثر بها كثير من الناس، ولو تدبر المؤمن هذه الآية، لما زهد في طريق الحق ولو انحرف عنه أكثر الناس؛ ولذلك ختم الله الآية بقوله: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

د. محمد الربيعة

﴿ وَمَا آتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُو عِندَ اللَّهِ ۖ وَمَا آتَيْتُم مِّن زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾

لم ترد آية في الربا إلا جاء قبلها أو بعدها ذكر الصدقة أو الزكاة، وفي هذا إشارة لطيفة بأن الربح الحقيقي في الصدقة والزكاة لا بالربا، كما يتوهم المرابون، وآية الروم كشفت المكنون.

أ. د. ناصر العمر

﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۖ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَيْءٍ ۚ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾

كنت أُعاني من طلب ثناء الناس كثيرًا في عبادتي؛ حتى قرأت هذه الآية، فكرَّرت: ﴿هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَيْءٍ﴾؟ لا والله! فيا له من حرمان أن يترك المرءُ طلبَ ثناء مولاه الذي خلقه، ثم رزقه، ثم يميته، ثم يحييه، إلى طلب ثناء مخلوق مثله.

متدبر

﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾ ﴾

يشتكي العالم اليوم من أزمات كثيرة، يقول الشيخ ابن عثيمين ﵀: أفعال الله كلُّها خير وحكمة، وتقدير الله لهذه الشرور له حكمة عظيمة، وتأمل هذه الآية، تجد أنَّ هذا الفساد الذي ظهر في البر والبحر كان لما يُرجى به من العاقبة الحميدة وهي: الرجوع إلى الله ﷻ.

القول المفيد ٢/ ٤١٤

﴿ مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾

الحيوان البهيم يتأمل العواقب، وأنت لا ترى إلا الحاضر! ما تكاد تهتم بمؤونة الشتاء حتى يقوى البرد، ولا بمؤونة الصيف حتى يقوى الحر، والذر يدخر الزاد من الصيف لأيام الشتاء، أفتراك ما علمت قرب رحيلك إلى القبر؛ فهلا هيأت لنفسك فراشًا تمهد به الطريق؟ ﴿وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ﴾.

ابن القيم، بدائع الفوائد (٤ / ٣٢٢) (بتصرف)

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱنتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ ۖ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾

إن صلاح الدين انتصر؛ لأنه دعا بدعوة الإسلام، لم يدعُ بدعوة الجاهلية، ولا نادى بشعائر الكفار، ولم يرفع راية مذهب باطل ابتدعه أهل الضلال من البشر، بل رفع راية القرآن الذي أنزله رب العالمين وخالق البشر ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾.

الطنطاوي، نور وهداية ١٨٨

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ ۖ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِۦ لَمُبْلِسِينَ ﴿٤٩﴾ ﴾

أشارت الآيةُ إلى سرعة تقلُّب قلوب البشر من اليأس إلى الاستبشار، وأعاد لفظة (من قبل - من قبله) دلالة على أن إبلاسهم قبل المطر بزمنٍ يسير لا كثير.

ابن عطية، المحرر الوجيز ٣٩٦/٤

﴿ فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ ﴾

١) ﴿ فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ﴾ فإذا كانت حياة الأرض بعد موتها من أعظم الأدلة على سعة رحمته؛ فالدليل في القلب الخلي من العلم والخير حين ينزل الله عليه غيث الوحي فيهتز وينبت العلوم المختلفة النافعة، والأعمال الظاهرة والباطنة أعظم من الأرض بكثير! ودلالته على سعة رحمة الله وواسع جوده وتنوع هباته أكثر وأعظم.

السعدي، المواهب الربانية ٢٢

٢) الموفَّق من الناس من يجتمع له التفكر في آيات الله الكونيَّة، وتدبر آيات القرآن، فالخارج للبرِّ -مثلًا- يحصل له ذلك حين يرى آثار رحمة الله بإحياء الأرض بعد موتها، فيذكره بقدرة الله على إحياء الموتى، فيعتبر عندها بقوله سبحانه: ﴿ فَانظُرْ إِلَىٰ آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَىٰ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾.

﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ (٥٥) وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ الْبَعْثِ ۖ فَهَٰذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (٥٦) ﴾

لو لم يكن للعلم وأهله العاملين به من شرف إلا أن بركة علمهم تبقى، ويمتد أثرها حتى في عرصات القيامة لكفى، فهم شهود الله على بطلان عبادة المشركين كما في سورة النحل:﴿ ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تُشَاقُّونَ فِيهِمْ ۚ قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ (٢٧) ﴾ (النحل)، وشهود على منكري البعث كما في سورة الروم: ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ (٥٥) وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ الْبَعْثِ ۖ فَهَٰذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾.

د. عمر المقبل

﴿ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ۖ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ (٦٠) ﴾

١) ﴿ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ﴾ جاء الحديث عن صدق وعد الله بعد الصبر؛ لأنه «مما يعين على الصبر؛ فإن العبد إذا علم أن عمله غير ضائع بل سيجده كاملًا، هان عليه ما يلقاه من المكاره، ويسر عليه كل عسير، واستقل من عمله كل كثير».

السعدي، تيسير الكريم الرحمن ٦٤٦/١

٢) رسالة ربانية إلى كل مصلح وداعية ومجاهد: ﴿ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ۖ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴾، أمرٌ في أولها، ونهي في آخرها، وخبر مؤكد في وسطها.

د. محمد القحطاني

٣) سوء فهم معنى الصبر ولوازمه وآثاره؛ يورث اندفاعًا أو تنازلًا أو قنوطًا! ولو تدبر أولئك آيات الصبر في القرآن؛ لأدركوا أنه قرين العمل الجاد واليقين، وبذلك يتحقق الفتح المبين ﴿ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ۖ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴾.

أ. د. ناصر العمر

سُورَةُ لُقْمَانَ

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا ۚ أُولَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٦﴾ ﴾

١) ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾. قيل: نزلت في النضر بن الحارث، كان يشتري أخبار الأعاجم كـ(رستم واسفنديار) -بعض ملوك فارس-، ويحدث بها قريشًا؛ ليستملحوا حديثه، ويتركوا استماع القرآن.

جامع البيان للطبري ٢٣٨/١٩

ما أشبه الليلة بالبارحة، فهذه الدور التي تنشر كتبًا وروايات تفسد الأخلاق والعقائد، وتزهد في نصوص الوحي؛ امتداد لمسيرة النضر بن الحارث وطريقته!.

٢) أشهد الله، وملائكته، وحملة عرشه الكرام، وجميع خلقه -من غير جدال في تصحيح حديث وتضعيف آخر، بل الأمر تجربة نفسية-: أن الغناء مهما كابر المكابرون يقسي القلب، ويعين على هجر القرآن الكريم وحديث رسول الله وسير الصالحين.

أبو عبدالرحمن ابن عقيل الظاهري، جريدة الجزيرة عدد ١٣٥٦٧

٣) قف متأملًا لبلاغة هذه الآية: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ ﴾ فمع أن الاشتراء كان لوسيلة اللهو إلا أنه جعل الغاية هي السلعة؛ تقبيحًا لفعله، ثم عبر بقوله: ﴿لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾؛ لبيان الأثر اللازم لهذا السفه، بمزاحمته لمرضاة الله، وصده عن سبيله، وليس كما يتوهم البعض أنه مجرد تسلية لا تؤثر على دينه وعبادته، والواقع يكذب هذه الدعوى ويفندها.

أ. د. ناصر العمر

٤) ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ أفتى أحدُ العلماء بحرمة المعازف؛ لدخولها في هذه الآية -كما نصَّ عليه أكابر المفسرين-، فقال له أحدُهم: إنما قال: ﴿لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾، وأنا لا أفعلها لذلك، فقال له العالم: ألم تسمع بقية الآية: ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾؟ فأنت تضل، ولكن بغير علم.

متدبر

﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ ﴾

١) ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ﴾ ألم يبلغك ما تقاسي أمك وما تتعذب بسببك؟ لو سبب لك إنسان عُشر هذا العذاب، لأعرضت عنه وهجرته، -هذا إن لم تنتقم منه-! ولكن الأم تنسى ألمها بعد لحظات من خروج الولد، ثم تضمه إلى صدرها؛ فتحس كأن روحها التي كادت تفارقها قد رجعت إليها.

الطنطاوي، ذكريات الطنطاوي ٢/٩٤

٢) ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ﴾ الأم إن كانت عجوزًا، أو كانت مريضة، فاذكر أنها إن احتاجت لك اليوم؛ فلقد كنت يومًا أحوج إليها، وإن طالبتك أن تقدم لها من مالك؛ فقد قدمت لك من نفسها ومن جسدها.

الطنطاوي، ذكريات الطنطاوي ٢/٩٤

﴿ يَٰبُنَىَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾ ﴾

الداعية إلى الله، والآمر بالمعروف، والناهي عن المنكر: لا بُدَّ أن يصيبه أذى، فهو محتاج إلى الصبر على ما يصيبه من أذيَّة الناس له بالقول أو بالفعل، وقد جمع الله بين الأمر والنهي وبين الصبر في وصية لقمان لابنه: ﴿ يَٰبُنَىَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ﴾.

د. عبدالعزيز الراجحي، الإيضاح والتبيين ٧٦

﴿ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴿١٩﴾ ﴾

١) ﴿ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ ﴾، ﴿ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا ﴾ (الفرقان:٦٣)، علاقة حركة الجوارح بالأخلاق قرينة معتبرة لمعرفة أخلاق بعض الناس، وفي سورة الإسراء: ﴿وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ﴾(٣٧)، وفي سورة النور: ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ﴾(٣١)، بل أشدها في سورة لقمان: ﴿وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ﴾.

أ. د. ناصر العمر

٢) قال ابن زيد ﷺ: لو كان رفع الصوت خيرًا، ما جعله الله للحمير.

الدر المنثور ٦/ ٥٢٥

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِنِعْمَتِ ٱللَّهِ لِيُرِيَكُم مِّنْ ءَايَٰتِهِۦٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣١﴾ ﴾

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ ذكر النعم يدعو إلى الشكر، وذكر النقم يقتضي الصبر على فعل المأمور وإن كرهته النفس، وعن المحظور وإن أحبته النفس؛ لئلا يصيبه ما أصاب غيره من النقمة.

ابن تيمية، دقائق التفسير ٥/٩٧

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْاْ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔاۚ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٣٣﴾ ﴾

ربما اتكل بعض المغترين على ما يرى من نعم الله عليه في الدنيا وأنه لا يغير ما به، ويظن أن ذلك من محبة الله له، وأنه يعطيه في الآخرة أفضل من ذلك، فهذا من الغرور ﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴾.

ابن القيم، الجواب الكافي ٣٥

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًاۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴿٣٤﴾ ﴾

١) من لطائف التفسير النبوي أنه فسر آيتين من سورة الأنعام بآيتين من سورة لقمان: ففسر آية: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ (الأنعام: ٨٢)؛ بآية: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾، وفسر آية:﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ ﴾ (الأنعام: ٥٩)؛ بآية: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًاۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴾، ولم أجد له ﷺ غيرها.

د. مساعد الطيار

٢) حين يَقْصُرُ بعض الناس قولَه تعالى: ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ﴾ على معرفة جنس الجنين، أو القدرة على تحديده -بإذن الله-؛ فإن ذلك يحدث لهم إشكالات، بينما هي تشمل: الرزق، والأجل، والسعادة والشقاء، وغير ذلك مما يتصل بحياة الجنين، وحينها تزول تلك الإشكالات التي يثيرها بعضهم بسبب تقدم الطب في علم الأجنة.

أ. د. ناصر العمر

٣) ﴿وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًاۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُۚ ﴾ كان البخاري ينشد:

اغتنم في الفـراغ فضل ركـوعٍ　　فعسـى أن يكـون موتُك بغتةْ
كم صحيح رأيت من غير سقم　　ذهبـت نفسه الصحيحـة فلتـةْ

مقدمة فتح الباري ١/ ٤٨١

وهكذا كان البخاري، فقد كان من أهل الركوع، وكان موته ليلة عيد الفطر بغتة.

سُورَةُ السَّجْدَةِ

سورة السجدة مشتملة على تقرير أمر القرآن بما تضمنته من أصول الإيمان الستة إلا القدر، بذلك فتحت وبذلك ختمت، كما أن سورة الشورى بدأت بالوحي وختمت بالوحي المتضمن للقرآن والإيمان.

ابن تيمية، جامع المسائل ١/١٤٣

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍ ۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٤﴾ ﴾

﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾ يقرن الله تعالى استواءه على العرش باسم (الرحمن) كثيرًا؛ لأن العرش محيط بالمخلوقات قد وسعها. والرحمة محيطة بالخلق واسعة لهم، كما قال تعالى: ﴿ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ﴾ الأعراف: ١٥٦، فاستوى على أوسع المخلوقات بأوسع الصفات؛ فلذلك وسعت رحمته كل شيء.

ابن القيم، مدارج السالكين ١/٣٣

﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٢﴾ ﴾

١) ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ وجواب (لو) متروك، تقديره: لو رأيت حالهم؛ لرأيت ما يُعتبر به، ولشاهدت العجب.

ابن الجوزي، زاد المسير ٥ /١١٥

٢) إنَّ علمًا لا يبعدك اليوم عن المعاصي، ولا يحملك على الطاعة، لن يبعدك غدًا عن نار جهنم، وإذا لم تعمل اليوم، ولم تتدارك أيامك الماضية؛ فستقول غدًا يوم القيامة: ﴿ فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا ﴾، فسيقال لك: يا أحمق! أنت قد جئت من هناك!!

أبو حامد الغزالي، أيها الولد ١٠٨

﴿فَذُوقُوا۟ بِمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَآ إِنَّا نَسِينَٰكُمْ ۖ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾﴾

﴿فَذُوقُوا۟ بِمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَآ إِنَّا نَسِينَٰكُمْ﴾ المؤمن يتذكَّر الآخرة، فإذا رأى حرَّ الدنيا تذكر نار الآخرة، وإذا سمع باختبار الدنيا تذكر اختبار الآخرة، وهكذا شأن الأخيار ﴿إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ﴾ (ص:٤٦).

﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾﴾

من وعظ بالله، كان من تمام اتِّعاظه إتراب جبينه بالسجود لله؛ تواضعًا له، وتذلُّلًا لجلاله، وهو مندوب إليه بهذه الآية -والله أعلم-، خلافًا على الجبابرة والكفَّار، ومَن تأخذُه العزَّة بالإثم.

القصاب، نكت القرآن ٣/٦٣٦

﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾﴾

١) المؤمن يكون جسده في مضجعه، وقلبه قد قطع المراحل مسافرًا إلى حبيبه، فإذا أخذ مضجعه، اجتمع عليه حبه وشوقه، فيهزه المضجع إلى مسكنه، كما قال الله تعالى في حق المحبين: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾.

ابن القيم، طريق الهجرتين ٣٠٥-٣٠٦

٢) إن غاية الحياة تتحقق كلها في الصلاة؛ فالصلاة اتصال بالله واستعداد لحياة الخلود، ثم إنها لذة لا تعدلها -إذا أقيمت على وجهها- لذة من لذائذ الحياة، تدبر حال المحبين للصلاة: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾.

علي الطنطاوي، نور وهداية ٣٤

٣) تأمل حالك في الليالي المباركة هل تشعر بلذة النوم وحب الفراش؟ أو أنك تأوي إلى فراشك قدر حاجتك؛ لتستعين بذلك على العبادة، فتلحظ أنك كلما استغرقك النوم قمت فزعًا؛ خوفًا من فوات هذه المغانم؟ تدبر هذه الآية؛ لتكتشف أي (عابد) أنت: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ﴾ الآية، فمن ضيع الليالي المباركة، فهو لما سواها أضيع.

أ. د. ناصر العمر

﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾

١)عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**يقول الله تعالى: أعددْتُ لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أُذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، ذخرًا، بله ما اطلعتم عليه**» (أي: مُدَّخرًا لهم فوق النعيم الذي أخبرتم به)، قال: اقرؤوا -إن شئتم-: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾[1].

٢)قال الحسن البصري ﷺ: أخفى قوم عملهم فأخفى الله لهم ما لم تر عين، ولم يخطر على قلب بشر.

تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣٦٥/٦

٣) ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ هذه لذة الخبر، فكيف بلذة النظر؟!

د. عادل الزرقي

﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُواْ فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُۖ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَآ أُعِيدُواْ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾

قال الفضيل بن عياض: والله ما طمعوا في الخروج؛ لأنَّ الأرجل مقيَّدة والأيدي موثَّقة، ولكن يرفعهم لهبُها، وتردُّهم مقامعها -نعوذ بالله من النار-.

الدر المنثور ٤٤٥/١٠

﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُواْۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾

١) قال ابن عيينة في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُواْ ﴾ لما أخذوا برأس الأمر، صاروا رؤوسًا،؛ وقال بعض العلماء: بالصبر واليقين، تنال الإمامة في الدين.

تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣٧٢/٦

٢) سر عجيب في قوله تعالى عن أئمة المتقين: ﴿يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا ﴾ (السجدة:٢٤) ليعلم أن هدايتهم بما أمر به سبحانه على لسان رسوله، لا بمقتضى عقولهم وآرائهم وسياساتهم وأذواقهم، وتقليد أسلافهم بغير برهان من الله؛ لأنه قال: ﴿يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا ﴾.

ابن القيم، رسالة ابن القيم إلى أحد إخوانه (١٨)

---

(١) أخرجه البخاري ح (٤٥٠٢)، ومسلم ح(٢٨٢٤).

٣) الطريق إلى الله خال من أهل الشك، ومن الذين يتبعون الشهوات، وهو معمور بأهل اليقين والصبر، وهم على الطريق كالأعلام: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾.

ابن القيم، الفوائد ٥٥

٤) ما رأيناه في سير الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين يؤكد أن عظم المنزلة مع ثقل الأحمال ومعاناة الصعاب ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾.

محمد الغزالي، خلق المسلم ١٢٢

٥) من ظن أن التربية تتوقف عند سن معين فقد وهم، بل هي مستمرة إلى زمن متقدم من عمر المؤمن؛ فإن القرآن أخبرنا أن أئمة الدين لم يبلغوا منزلتهم من الإمامة إلا بعد ابتلاء وتمحيص، فقال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾.

أ. د. عبدالكريم بكار، ١٧٥ بصيرة في تربية الأسرة

٦) عندما ترى الآخرين قد تخلوا عن تحمل مسؤولياتهم في أشد الأزمات التي تمر بها بلادهم وأمتهم؛ فاعلم أن الفرصة قد أصبحت مواتية لك لتكون من أئمة المتقين، فأقبل متدبرًا: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾.

أ. د. ناصر العمر

سُورَةُ الأَحْزَابِ

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١﴾﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾ ناداه بوصفه دون اسمه تعظيمًا له؛ فإنّ مواجهة العظماء بأسمائهم في النداء لا تليق.

القونوي، حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي ٧/ ١٥٥

﴿ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْ ۚ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥﴾﴾

كان يقال لزيد بن حارثة: زيد بن محمد، حتى نزلت: ﴿ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ﴾، فلما نزع عنه هذا الشرف، وعلم الله وحشته من ذلك؛ شرفه بخصيصة من بين الصحابة، فقال: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا﴾ (الأحزاب:٣٧)، ومن ذكره الله باسمه في كتابه حتى صار اسمه قرآنًا يتلى في المحاريب، نوه به غاية التنويه؛ فكان هذا تأنيس له، وعوض من الفخر بأبوته ﷺ له.

القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ١٤/١٩٤ (بتصرف)

﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ ۗ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ إِلَّآ أَن تَفْعَلُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِكُم مَّعْرُوفًا ۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا ﴿٦﴾﴾

عامي في بلدنا ينتسب إلى مذهب ضال -معروف بشتم الصحابة وأمهات المؤمنين- قرأ قوله تعالى: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ﴾، فتوقف قليلًا عند قوله: ﴿وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ﴾ فقال بفطرته: كيف نشتم أمهاتنا إن كنا مؤمنين؟ فكان ذلك سببًا في هدايته لمذهب أهل السنة ولله الحمد.

عادل المعاودة

﴿ إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا ﴿١٠﴾ ﴾

١) تأمّل في وصف الله لحال المسلمين في غزوة الأحزاب: ﴿ إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ ﴾، ثم تأمّل كيف قابلوا هذه الحال: ﴿ وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَٰذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ﴾ (الأحزاب:٢٢)، ثم انظر النتيجة: ﴿ وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا ۚ وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ ۚ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴾ الآيات (الأحزاب: ٢٥).

الشنقيطي، أضواء البيان (٢٣٤/٦-٢٣٥) (بتصرف)

٢) ﴿ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا ﴾ الظنون من الهواجس والخواطر التي لا يمكن لبشر أن يدفعها، فلا تعتبر منقصة في حق الصحابة، بل هم مؤمنون صادقون واثقون من نصر الله، لكن الله ذكر ذلك؛ ليبين الموقف النفسي الذي أصاب سكان المدينة عمومًا على اختلاف طبقاتهم الإيمانية آنذاك.

صالح المغامسي، سورة الأحزاب (شريط)

﴿ وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾ ﴾

من تدبَّر سورة الأحزاب، وجد طائفة من صفات مرضى القلوب، والتي تبرز عند ضعف المسلمين وقدوم الأحزاب عليهم، فمنها: التكذيب: ﴿ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ﴾، التخذيل: ﴿ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ ﴾ (الأحزاب:١٣)، الخوف: ﴿ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ ﴾، البخل: ﴿ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ ﴾، اتهام المسلمين بأنهم سبب المشكلة: ﴿ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ ﴾ (الأحزاب:١٩).

د. عبد الله الفوزان

﴿ قُل لَّن يَنفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٦﴾ ﴾

أخبر الله أن الفرار لا ينفع لا من الموت ولا من القتل، والتجربة تدل على ما دل عليه القرآن؛ فإن هؤلاء الذين فروا في هذا العام لم ينفعهم فرارهم، بل خسروا الدين والدنيا وهكذا سنة الله قديمًا وحديثًا.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى ٤٥٣/٢٨

﴿ ۞ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ۖ وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٨﴾ ﴾

الواثق بربه لا يصده المخذلون، ففي سورة الأحزاب: ﴿قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ۖ وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا﴾.

د. سعود الشريم

﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾

١) كان معاوية يستلم جميع أركان الكعبة، فقال له ابن عباس: إن النبي ﷺ لم يكن يستلم إلا الركنين! فقال معاوية: ليس شيء من البيت مهجور! فقال ابن عباس: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ فسكت معاوية ووافق ابن عباس رضوان الله عليهم أجمعين[1].

ويستفاد من هذا الموقف: أن فهم السنة من أعظم ما يعين على التدبر الصحيح.

د. عمر المقبل

٢) ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ من هدي هذه الآية أن وارث مقام التعليم يجب أن يكون قدوةً في سمته وأخلاقه وسيرته، تقيًا ورعًا، مجتنبًا للمحرمات بعيدًا عن الشبهات؛ فإذا كان كذلك، نفعهم بسيرته وأخلاقه أكثر مما ينفعهم بعلمه.

علي الطنطاوي، فصول في الدعوة والإصلاح ٢٩

٣) ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ هذا القرآن لن يكون له أثره في البشرية من النذارة والإنارة إلا من خلال نماذج بشرية حية، تشتعل قلوبها بحقائقه الإيمانية؛ حتى تستنير وتتوهج، ثم تنير.

د. فريد الأنصاري، مجالس القرآن ١٦٢

٤) لن نتقدَّم مرَّة أُخرى إلا إذا استعدنا ثقتَنا بأنفسنا، ولن نصل إلى هذا الهدف بتدمير نظمنا الاجتماعية، وتقليد حضارة أجنبية عن ديننا وليس عن محيطنا التاريخي والجغرافي فحسب، وقد بيَّن الله لنا الطريق في كتابه المبين: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ﴾.

د. صالح الحصين

---

(١) الطحاوي ح(٣٨٥٤).

٥) ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ معلوم أن الرسول ﷺ أسوة حسنة، وإنما جيء بكلمة (حسنة)؛ لتأكيد الأمر، وزيادة في الإيضاح، ودفعًا لأهل الهمم، حتى يقتدوا برسولهم ﷺ فقد كان يحمل التراب، ويرابط ويقاتل، ويبدأ بنفسه قبل أن يبدأ بغيره صلوات الله وسلامه عليه.

صالح المغامسي، سورة الأحزاب (شريط)

٦) من أعظم ما يسهل الاقتداء بالنبي ﷺ: خوف الله وتذكر الآخرة وكثرة الذكر ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾.

د. عبد المحسن المطيري

٧) تأس في كل حال:

إذا ضممت قوله تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ إلى ندائه ﷺ في حجة الوداع: «**خذوا عني مناسككم**»(١)؛ هان عليك ما تجده من مشقة ونصب -غير مقصود- في سبيل تتبع سنة نبيك ﷺ، بل ستجد في ذلك لذة يعجز الوصف عنها.

د. عمر المقبل

﴿ وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾ ﴾

تأمَّل سورةَ الأحزاب، فقد ذكر الله فيها أنواعًا من (الأحزاب) التي اجتمعت لعداوة المسلمين، فذكر فيها: الكافرين، والمنافقين، وأهل الكتاب، والذين في قلوبهم مرض، والمرجفين، والمعوقين، وأهل الجبن والبخل عن نصر الله وغيرهم، لكن لما استمسك المؤمنون بربهم، كانت النتيجة: ﴿ وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴾.

متدبر

﴿ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٧﴾ ﴾

لما أهوى المسلمون الأولون بجباههم إلى الأرض -حيث تطأ النعال- خضوعًا لله، جعل الله رؤوس الجبارين تنحني خضوعًا لهم، وتيجان الحكام تتهاوى على نعالهم، وجعلهم بالإسلام سادة الدنيا وأساتذتها. تدبر: ﴿ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا ﴾.

علي الطنطاوي، نور وهداية ٤١

---

(١) مسلم ح(١٢٩٧)، وأبو داود ح(١٩٧٠)، والنسائي ح(٣٠٦٢)، وأحمد ح(١٥٠٤١).

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾ ﴾

فيها وجوب تحديد الهدف والغاية، وما يلزم تجاه ذلك، وبيان العاقبة عاجلًا وآجلًا.

أ. د. ناصر العمر

﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾ ۞ وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعْمَلْ صَٰلِحًا نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾ ﴾

تأمل كيف عبر عند العذاب بقوله: ﴿يُضَٰعَفْ﴾ فلم يصرح بالمعذب، فلما ذكر إيتاء الأجر، قال: ﴿نُّؤْتِهَآ﴾؛ للتصريح بالمؤتي وهو الله، إشارة إلى كمال الرحمة والكرم، ولأن الكريم عند النفع يظهر نفسه وفعله، وعند الضر لا يذكر نفسه.

الرازي، مفاتيح الغيب ١٨٠/٢٥

﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ۚ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾ ﴾

١) علامة القلب المريض: ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ﴾ الذي في قلبه مرض شهوة الزنا مستعدٌّ ينتظر أدنى محرك يحركه؛ لأنَّ قلبه مريض لا يتحمل ما يتحمل الصحيح، ولا يصبر على ما يصبر عليه، وأدنى سبب يدعوه إلى الحرام يجيب دعوته.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن ٦٦٣ (تصرف يسير)

٢) ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ﴾ إذا كان هذا الطمع في أمهات المؤمنين، فلا بد أن يكون في غيرهن بطريق الأولى؛ فإن الله اختار لنبيِّه أفضل النساء وأعفهن، ومع ذلك أمرهنَّ بالحجاب ونهاهنَّ عن الخضوع بالقول صيانةً لهن، فغيرهنَّ أولى بالصيانة والتحفُّظ والبعد عن أسباب العهر والفتنة.

ابن جبرين، فتاواه ١٠٢/٥

﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ ﴾

سمى الله مكث المرأة في بيتها قرارًا ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ ﴾، وهذا المعنى من أسمى المعاني الرفيعة؛ ففيه استقرار لنفسها، وراحة لقلبها، وانشراح لصدرها، فخروجها عن هذا القرار يفضي إلى: اضطراب نفسها، وقلق وضيق صدرها، وتعرضها لما لا تحمد عقباه.

ابن باز، خطر مشاركة المرأة للرجل في ميدان عمله ٢٦

﴿ الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٩﴾ ﴾

١) إذا كمل خوف العبد من ربه، لم يخف شيئًا سواه، قال الله تعالى: ﴿ الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ ﴾، وإذا نقص خوفه، خاف من المخلوق، وعلى قدر نقص الخوف وزيادته يكون الخوف.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى (٩٤/١)

٢) حمل رسالة الإسلام لا يسلم من تهديدات القوى الدنيوية: ﴿ الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ ﴾.

إبراهيم السكران

﴿ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾ ﴾

١) من التطبيق العملي الذي كان يمارسه النبي ﷺ لقوله تعالى: ﴿ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ أنه كان يبشر أصحابه برمضان، ويقول: «**قد جاءكم شهر رمضان شهر مبارك، افترض الله عليكم صيامه، يفتح فيه أبواب الجنة، ويغلق فيه أبواب الجحيم، وتغل فيه الشياطين، فيه ليلة خير من ألف شهر، من حرم خيرها، فقد حرم**»[1].

٢) قال ابن عطية: قال لي أبي: هذه أرجى آية عندي في كتاب الله؛ لأن الله قد أمر نبيه أن يبشر المؤمنين بأن لهم عنده فضلًا كبيرًا، وقد بين الله تعالى الفضل الكبير في قوله: ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ ۖ لَهُم مَّا يَشَاءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴾.

المحرر الوجيز ٤٥٠/٤

(١) ابن أبي شيبة ح(٨٨٦٧)، وأحمد ح(٧١٤٨).

٣) أبشر.. أبشر بأعظم بشارة أنزلها ربك آمرًا نبيك ﷺ أن يبشر بها المؤمنين: ﴿ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴾؛ فلنحقق الإيمان في قلوبنا.

متدبر

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَـٰتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا ۖ فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٤٩﴾﴾

سمى الله الطلاق سراحًا، ووصفه بالجميل، وقيده بالإحسان، وأمر فيه بالتمتيع فقال: ﴿فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴾، ﴿أَوْ تَسْرِيحٌۢ بِإِحْسَـٰنٍ ﴾ (البقرة: ٢٢٩) فهل تدبر المطلقون ذلك؟

أ. د. إبراهيم الدوسري

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ ٱلَّـٰتِىٓ ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّـٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَـٰلَـٰتِكَ ٱلَّـٰتِى هَاجَرْنَ مَعَكَ وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِىِّ إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِىُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۗ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِىٓ أَزْوَٰجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٠﴾﴾

١) قال تعالى: ﴿وَبَنَاتِ عَمِّكَ ﴾فذكر العم مفردًا، ثم لما ذكر العمات قال: ﴿وَبَنَاتِ عَمَّـٰتِكَ ﴾ بالجمع، وكذلك قال: ﴿وَبَنَاتِ خَالِكَ ﴾ فردًا ﴿وَبَنَاتِ خَـٰلَـٰتِكَ ﴾ جمعًا، والحكمة في ذلك أن العم والخال -في الإطلاق- اسم جنس، كالشاعر والراجز، وليس كذلك في العمة والخالة، وهذا عرف لغوي؛ فجاء الكلام عليه بغاية البيان لرفع الإشكال، وهذا دقيق فتأملوه.

ابن العربي، أحكام القرآن ٣/٥٩٣

٢) قال تعالى في شأن المرأة التي وهبت نفسها: ﴿وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِىِّ ﴾ قال الزجاج: ولم يقل: (إن وهبت نفسها لك)؛ لأنه لو قال: (لك) جاز أن يتوهم أن ذلك يجوز لغير رسول الله ﷺ كما جاز في بنات العم وبنات العمات -والله أعلم-.

ابن الجوزي، زاد المسير ٣/٤٧٤

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَٱدْخُلُواْ فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَٱنتَشِرُواْ وَلَا مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِى ٱلنَّبِيَّ فَيَسْتَحْىِۦ مِنكُمْ ۖ وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْىِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ۚ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ۚ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُواْ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٣﴾ ﴾

١) ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ۚ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ البعد عن مظان الريب حزم ديني، وقد يجب في بعض المواطن، ويستحب في بعضها.

العز بن عبد السلام، شجرة المعارف والأحوال ٧٠

٢) ﴿ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ فلا يقل أحد غير ما قال الله! لا يقل أحد إن الاختلاط، وإزالة الحجب، والترخص في الحديث والمشاركة بين الجنسين أعون على تصريف الغريزة المكبوتة.. إلى آخر مقولات الضعاف المهازيل الجهال المحجوبين، لا يقل أحد هذا والله يقول: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ﴾ يقول هذا عن نساء النبي الطاهرات، وعن رجال الصدر الأول ممن لا تتطاول إليهن وإليهم الأعناق!

سيد قطب، في ظلال القرآن ٢٨٧٨/٥

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾

وعبر بالنبي دون اسمه ﷺ، على خلاف الغالب في حكايته تعالى عن أنبيائه عليهم السلام؛ إشعارًا بما اختص به ﷺ من مزيد الفخامة والكرامة وعلو القدر، وأكد ذلك الإشعار بـ(أل) إشارة إلى أنه المعروف الحقيق بهذا الوصف.

الألوسي، روح المعاني ٢٠٤/١٦

﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُواْ فَقَدِ ٱحْتَمَلُواْ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾ ﴾

﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُواْ ﴾ كتنقص أحد منهم وازدرائه لنسبه، أو بلده، أو خلقته، -وكل ذلك ليس من كسبه-؛ لذا كان العقاب شديدًا أليمًا: ﴿فَقَدِ ٱحْتَمَلُواْ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾، ويدخل في هذا اتهامه فيما هو بريء منه؛ فلنتفقد قلوبنا ولنحفظ ألسنتنا.

أ. د. ناصر العمر

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يُعۡرَفۡنَ فَلَا يُؤۡذَيۡنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ٥٩﴾

والجلباب الذي يكون فوق الثياب من ملحفة وخمار ورداء ونحوه، أي: يغطين بها وجوههن وصدورهن، ثم ذكر حكمة ذلك بقوله: ﴿ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يُعۡرَفۡنَ فَلَا يُؤۡذَيۡنَ﴾؛ لأنهن إن لم يحتجبن، ربما ظن أنهن غير عفيفات، فيتعرض لهن من في قلبه مرض، فيؤذيهن، وربما استهين بهن، فالاحتجاب حاسم لمطامع الطامعين فيهن.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن ٦٧١

﴿۞ لَّئِن لَّمۡ يَنتَهِ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ وَٱلۡمُرۡجِفُونَ فِي ٱلۡمَدِينَةِ لَنُغۡرِيَنَّكَ بِهِمۡ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلٗا ٦٠﴾

لما ذكر الله تعالى الحجاب: ﴿يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ﴾ أعقبها بقوله: ﴿لَّئِن لَّمۡ يَنتَهِ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ وَٱلۡمُرۡجِفُونَ﴾، وهكذا تجد آيات الحجاب مصاحبةً لآيات التحذير من المنافقين ومرضى القلوب، وقد تعدَّد هذا في سورة الأحزاب، وسورة النور، والواقع شاهد بذلك.

باسل الرشود

﴿وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعۡنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ٦٧ رَبَّنَآ ءَاتِهِمۡ ضِعۡفَيۡنِ مِنَ ٱلۡعَذَابِ وَٱلۡعَنۡهُمۡ لَعۡنٗا كَبِيرٗا ٦٨﴾

عند زيارتي لبعض البلاد التي تخلصت من الظالمين، وجدت أن بعض أعوان الطغاة يعيشون ندامة وبؤسًا، بسبب وقوفهم مع الظالمين، حيث أصبح ذلك مسبة وعارًا عليهم وعلى أهلهم، فطفقوا يتبرؤون منهم، ولكن هيهات وقد سجل التاريخ! فتدبرت حال أمثالهم يوم القيامة.

أ. د. ناصر العمر

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾

١) إن اللسان السائب حبل مرخي في يد الشيطان، يصرف صاحبه كيف يشاء! ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا﴾.

الغزالي، خلق المسلم ٦٨

٢) ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ ما رأيت شيئًا أذهب بالرشد، وأجلب للضر، وأقتل للتقوى، من اللسان السائب!

الغزالي، المحاور الخمسة ٢٠٩

٣) قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ وعد من الله لمن قال قولًا سديدًا أن يصلح عمله، ويغفر ذنبه، فهل ترانا نشتري إصلاح أعمالنا وغفران ذنوبنا بتسديد أقوالنا؟

متدبر

﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ ۖ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾﴾

١) تحدث ابن تيمية عن صفات الفرق الناجية قائلًا:

ولا يتبعون الظن وما تهوى الأنفس؛ فإن اتباع الظن جهل، واتباع هوى النفس بغير هدى من الله ظلم، وجماع الشر: الجهل والظلم؛ قال الله تعالى: ﴿وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ ۖ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾.

مجموع الفتاوى ٣/٣٤٨

٢) عجبًا لأناس يتسخطون من أقدار الله، مع أنهم يعرفون أنه الذي بيده ملكوت السموات والأرض، وأنه العليم الحكيم الخبير، بينما هم لا يحزنون لتقصيرهم وسوء تصرفاتهم، ولا يعاتبون أنفسهم على ذلك، تدبر هذه الآية التي تشخص طبيعة النفس البشرية لتتعامل معها وفق ذلك: ﴿وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ ۖ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾.

أ. د. ناصر العمر

سُورَةُ سَبَإٍ

﴿ وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٦﴾ ﴾

هذا دليل ظاهر أن الذي نراه مُعارضًا للنقل، ويقدم العقل عليه، ليس من الذين أوتوا العلم في قبيل ولا دبير ولا قليل ولا كثير.

ابن القيم، الصواعق المرسلة (٣/٨٥١)

﴿ ۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ ﴾

ذكر ابن العربي من معاني الفضل في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا﴾ حسن الصوت، ثم قال: والأصوات الحسنة نعمة من الله تعالى وزيادة في الخلق ومنة، وأحق ما لبست هذه الحلة النفيسة والموهبة الكريمة كتاب الله؛ فنِعمُ الله إذا صرفت في الطاعات، فقد قضي بها حق النعمة.

أحكام القرآن (٣/٧)

﴿ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ۖ وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ ۖ وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٢﴾ ﴾

تأمل في قول الله في قصة سليمان: ﴿ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ﴾، ولم يقل: (غدوها ورواحها شهران..)؟ لعل السرَّ في ذلك -والله أعلم-: أنَّ في هذا تحديدًا لمدة سيرها من أول النهار إلى منتصفه، ومن منتصفه إلى نهايته، بينما لو قيل: غدوُّها ورواحُها شهران، لم يتضح هذا الفرق الدقيق.

الشنقيطي، أضواء البيان (٣/٤٧٠) (بتصرف)

﴿ يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ ۚ ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾ ﴾

١) قال بعض السلف: لما قال الله ﷻ: ﴿ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا﴾، لم يأت عليهم ساعة من ليل أو نهار إلا وفيهم مصلٍّ يصلي.

جامع العلوم والحكم (٢/ ٨٥)

٢) قد تسلف أيادي بيضاء لبعض الناس، وتبذل جهدًا محمودًا في سوقها؛ حتى إذا استقرت في أيديهم، نظروا إليك جامدين، أو ودعوك بكلمات باردة، ثم ولوا عنك مدبرين! هل يغضبك هذا المسلك؟ هكذا صنعوا قبلًا مع ربك وربهم فقال: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ﴾.

محمد الغزالي، جدد حياتك (١٠٤)

٣) فيما قصه الله -في سورة سبأ- من شأن داود واشتغاله بالصناعات عبرة!

ذلك أن «الفقه في الدنيا جزء من العقل الذي يفقه الآخرة، ولن يستطيع نصرة الإيمان أبله ولا قاعد!

وعندما تحول المسلمون إلى عالم ثالث أو رابع، نال منهم خصومهم، وأمسوا معرة لدينهم!!».

محمد الغزالي، نحو تفسير موضوعي (٣٢٧)

﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِى مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ ۖ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ ۖ كُلُوا۟ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥ ۚ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ ﴾

إنها -والله- عبرة العبر، في وصل المبتدأ بالخبر، أين الجنتان عن يمين وشمال؟ وأين البلدة الطيبة؟ إنها رمال! وأين القرى الظاهرة والعمارة المتكاثرة؟ إنها اليوم قفار! وأين تقدير السير بالأميال لتيسير الاتصال؟ إنها اليوم مجاهل يضل فيها القطا، أجدبت الخمط والأثل، فضلًا عن العنب والنخل.

البشير الإبراهيمي، آثار البشير الإبراهيمي (٥٣١/٣)

﴿ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾

إياك أن تكون عند حسن ظن إبليس فيك!

د. عبدالرحمن الشهري

﴿ ۞ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ ﴾

﴿وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ فاستعملت (على) في جانب الحق، و(في) في جانب الباطل؛ لأنَّ صاحب الحقِّ كأنه مُسْتَعْلٍ يرقب نظره كيف شاء؛ ظاهرةً له الأشياء، وصاحب الباطل كأنه منغمسٌ في ظلام، ولا يدري أين توجَّه.

الزركشي، البرهان (١٧٥/٤)

﴿ قُلْ إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥ ۚ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٣٩﴾ ﴾

﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ﴾ من توقع أن تخلف عليه نفقته، سهل عليه بذلها، سواء وقع عليه إخلافها عاجلًا أو آجلًا.

العز بن عبد السلام، شجرة المعارف والأحوال (١٧٩)

﴿ ۞ قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ ۖ أَن تَقُومُوا۟ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا۟ ۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٤٦﴾ ﴾

١) قال ابن هبيرة في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ ۖ أَن تَقُومُوا۟ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ﴾ أن يكون قيامكم خالصًا لله ﷻ، لا لغلبة خصومكم؛ فحينئذ تفوزون بالهدى.

ذيل طبقات الحنابلة (١٤٨/٢)

٢) من أسرار هذا الدين ولطائفه أن باب عقيدته هو: التفكر! ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ ۖ أَن تَقُومُوا۟ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا۟﴾ آية في غاية الجمال والسمو! وإني أشهد أني مذ ذقتها، وجدت أنها بحر من الأسرار التربوية لا يعلم مداه إلا الله.

د. فريد الأنصاري، جمالية الدين (٥٦)

٣) ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ ۖ أَن تَقُومُوا۟ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا۟﴾ فائدة ذلك أن التفرغ لله تعالى في خلوةٍ لا يكدر صفوها أحد من الخلق، يتيح للقلب أن يتفاعل -في صفاء- مع معطيات التفكر، والشعور بمعية الله، وحقائق الكون الكبرى، ومثل ذلك لا يحصل في لغط النقاش الجماعي، وضوضاء الجدل المتعدد!

د. فريد الأنصاري، جمالية الدين (٥٧)

﴿ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ فِى شَكٍّ مُّرِيبٍۭ ﴿٥٤﴾ ﴾

١) شرب عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ماء باردًا، فبكى فاشتد بكاؤه، فقيل له: ما يبكيك؟! قال: ذكرت آية في كتاب الله: ﴿ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ ﴾، فعرفت أن أهل النار لا يشتهون إلا الماء البارد، وقد قال الله ﷻ: ﴿أَنْ أَفِيضُوا۟ عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ﴾ (الأعراف: ٥٠) .

تفسير ابن أبي حاتم (١٢ / ٢٨)

٢) وأعظم العذاب أن يُمنع الإنسان عن مراده كما قال الله تعالى: ﴿ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ ﴾؛ فكان هذا أجمع عبارة لعقوبات أهل جهنم.

أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين (٤/٤٩٦)

٣) موتٌ وفوتٌ:﴿ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ ﴾ فسرها بعض السلف: بأنهم اشتهوا التوبة ساعة الرحيل، قال الحسن البصري رحمه الله: «اتق الله يا ابن آدم، لا يجتمع عليك خصلتان: سكرة الموت، وحسرة الفوت».

تفسير ابن رجب (١/٣٠٤)

٤) إذا جاء الموت، وطويت صحائف الأعمال، ووجدت عِظَم ثواب الحسنات وعِظَم عقاب السيئات، تمنيت أن تُسَبِّح تسبيحة واحدة أو تصلي ركعة فلا تستطيع ﴿ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ ﴾.

علي الطنطاوي، نور وهداية (٤٩)

سُورَةُ فَاطِرٍ

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ٥ ﴾

تضمنت الآية غرورين:

- غرورًا يغتره المرء من تلقاء نفسه ويزين لنفسه من المظاهر الفاتنة التي تلوح له في هذه الدنيا ما يتوهمه خيرًا ولا ينظر في عواقبه بحيث تخفى مضاره في بادئ الرأي ولا يظن أنه من الشيطان.

- غرورًا يتلقاه ممن يغره وهو الشيطان.

وكذلك الغرور كله في هذا العالم بعضه يمليه المرء على نفسه وبعضه يتلقاه من شياطين الإنس والجن.

ابن عاشور، التحرير والتنوير (٢٢/ ٢٥٩)

﴿ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ٦ ﴾

الأمر باتخاذه عدوًا تنبيه على استفراغ الوسع في محاربته، ومجاهدته، كأنه عدو لا يفتر ولا يقصر عن محاربة العبد على عدد الأنفاس.

ابن القيم، زاد المعاد في هدي خير العباد (٣/٦)

﴿ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنٗاۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۖ فَلَا تَذۡهَبۡ نَفۡسُكَ عَلَيۡهِمۡ حَسَرَٰتٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ ٨ ﴾

١) بقدر ضعف الإيمان ونقص الإخلاص؛ ستبدو الأشياء التي حرَّم الله جميلة في العين والقلب، مهما كان قبحها في الواقع: ﴿ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنٗا ﴾، والذي زينها هو الشيطان؛ إذ تعهد بذلك أمام ربه: ﴿لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ٣٩ إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴾ (الحجر:٣٩-٤٠).

أ. د. ناصر العمر

٢) قد يعجب الإنسان من استمرار بعض الناس على خطأ ظاهر كيف خفي عليه؟ لكن يزول عجبه حين يقرأ: ﴿ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًاۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ ﴾؛ فحريّ بالعبد أن يسأل ربه أن يريه الحق حقًا، والباطل باطلًا، وأن يدخله في عباده المهتدين.

متدبر

﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ جَمِيعًاۚ إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥۚ وَٱلَّذِينَ يَمۡكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۖ وَمَكۡرُ أُوْلَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ ١٠ ﴾

١) المعصية تورث الذل ولا بد؛ فإن العز كل العز في طاعة الله تعالى، قال تعالى: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ جَمِيعًا ﴾ أي: فليطلبها بطاعة الله؛ فإنه لا يجدها إلا في طاعة الله.

ابن القيم، الجواب الكافي (٥٩)

٢) ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ جَمِيعًاۚ إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥۚ ﴾ من أطاع الله، فقد والاه فيما أطاعه فيه، وله من العز بحسب طاعته، ومن عصاه فقد عاداه فيما عصاه فيه، وله من الذل بحسب معصيته.

ابن القيم، الجواب الكافي (١٨٠)

٣) كل قول -ولو كان طيبًا- لا يصدِّقه عمل، لا يرفعُ إلى الله، ولا يحظى بقبوله، ودليل ذلك: ﴿ إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥۚ ﴾ أي: العمل الصالح يرفع الكلم الطيب، وهذا يبين لك سرًّا من أسرار قبول الخلق لبعض الواعظين، وإعراضهم عن آخرين.

د. محمد الخضيري

﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ جَعَلَكُمۡ أَزۡوَٰجٗاۚ وَمَا تَحۡمِلُ مِنۡ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلۡمِهِۦۚ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٖ وَلَا يُنقَصُ مِنۡ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِي كِتَٰبٍۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ١١ ﴾

تأمل هذه الآية: ﴿ وَمَا تَحۡمِلُ مِنۡ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلۡمِهِۦۚ ﴾ قف قليلًا، وتفكر! كم في هذه اللحظة من أنثى آدمية وغير آدمية؟ وكم من أنثى تزحف، وأخرى تمشي، وثالثة تطير، ورابعة تسبح! هي في هذه اللحظة تحمل أو تضع حملها؟! إنها بالمليارات! وكل ذلك لا يخفى على الله تعالى! فما أعظمه من درس في تربية القلب بهذه الصفة العظيمة: صفة العلم.

د. عمر المقبل

﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ۖ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ۖ وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾﴾

﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾ تأمل كيف بيّن شدة الاختلاف والتباين بين البحرين، ثم صرف أنظارنا إلى أجمل وأفضل ما فيها ﴿وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا﴾ الآية. فلو أننا ركزنا على الوجه المشرق لما نعايشه في حياتنا واستثمرنا ذلك بإيجابية وواقعية، لاختلفت نظرتنا للحياة مهما كانت الظروف المحيطة بنا.

أ. د. ناصر العمر

﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ ۚ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾ ۞ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ ۖ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾

١) العبد له في كل نفس ولحظة وطرفة عين عدة حوائج إلى الله، لا يشعر بكثير منها؛ فأفقر الناس إلى الله من شعر بهذه الحاجات، وطلبها من معدنها بطريقها ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ ۖ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾.

ابن القيم، طريق الهجرتين (٨٨)

٢) ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ ۖ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ الفقر إلى الله ﷻ هو عين الغنى به؛ فأفقر الناس إلى الله أغناهم به، وأذلهم له أعزهم، وأضعفهم بين يديه أقواهم، وأجهلهم عند نفسه أعلمهم بالله.

ابن القيم، طريق الهجرتين (٦٥)

٣) تدبرُ آية ينقل قرى رافضية عراقية إلى السنة:

صرح أحد المهتدين إلى السنة بأن سبب هدايته هو تدبره لقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ ۚ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾ ۞ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ﴾ لكن كيف تأثر بها؟

يقول هذا الأخ المهتدي: فلما تأملت قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ قلت: يا ناس علي فقير! والأئمة فقراء! ونحن فقراء إلى الله، فلماذا ندعوهم من دون الله؟ ومن هنا ابتدأت قصة الهداية للسنة، فلما ذاق طعمها، دعا إليها؛ فاهتدى على يده قرى شيعية بأكملها، فما أعظم بركات التدبر؟[1]

﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ ۖ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٢٢﴾﴾

شبه سبحانه من لا يستجيب لرسوله بأصحاب القبور، وهذا من أحسن التشبيه، فإن أبدانهم قبور قلوبهم! فقد ماتت قلوبهم وقبرت في أبدانهم.

ابن القيم، إغاثة اللهفان (١ / ٢٢)

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾

١) قال تعالى في سورة فاطر: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾، وقال في سورة البينة: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ﴾ إلى قوله: ﴿لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ﴾ (البينة: ٧-٨)، فاقتضت الآيتان: أنَّ العلماء هم الذين يخشون الله تعالى، وأن الذين يخشون الله تعالى هم خير البريَّة؛ فتبيَّن بهذا: أنَّ العلماء هم خير البرية.

ابن جماعة، تذكرة السامع والمتكلم (٦)

٢) ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ إذا أراد الإنسان أن يعرف أن علمه نافع، فلينظر إلى كسر هذا العلم لقلبه لله، فإن وجد أنه يزداد خشية لله ومعرفة به، ويذهب عنه طفرة الغرور، فقد انتفع بعلمه.

د. محمد الشنقيطي، شرح زاد المستقنع، باب صلاة التطوع

(١) صرح بذلك أحد الإخوة في قناة صفا الفضائية.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ يَرۡجُونَ تِجَٰرَةٗ لَّن تَبُورَ ٢٩ ﴾

١) قال خباب بن الأرت رضي الله عنه: فضّل الله ﷻ أهل التلاوة للقرآن بتلاوته، وأخبر أنهم يقومون بأمره فقال: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ يَرۡجُونَ تِجَٰرَةٗ لَّن تَبُورَ ﴾ يخبرهم أن تجارتهم في الآخرة هي الرابحة، وأنها لا تكسد عنده؛ حتى يوفيهم أجورهم من الجنة.

فهم القرآن للمحاسبي (٢٩٧)

٢) تجارة لا يمكن سرقتها..

تأمل قوله ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ ﴾ ماذا يرجون؟ ﴿يَرۡجُونَ تِجَٰرَةٗ لَّن تَبُورَ ﴾ يرجون تجارة لا يسطو عليها لص ولا سارق، ولا يخاف عليها من كساد، إنما هي رابحة لن تبور ﴿ لِيُوَفِّيَهُمۡ أُجُورَهُمۡ﴾ (فاطر:٣٠)، فهي تجارة رابحة -أيها الإخوان- فأين المشترون؟

د. عبدالكريم الخضير

﴿ ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَاۖ فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ وَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞ وَمِنۡهُمۡ سَابِقُۢ بِٱلۡخَيۡرَٰتِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ ٣٢ ﴾

١) قيل في سبب تقديم الظالم لنفسه على السابق بالخيرات -مع أن السابق أعلى مرتبة منه-؛ لئلا ييأس الظالم من رحمة الله، وأخر السابق؛ لئلا يعجب بعمله.

القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (٣٤٩/١٤)

٢) قدم الظالم لكثرته، ثم المقتصد وهو أقل ممن قبله، ثم السابقين وهم أقل، فإن قُلت: لِمَ قدم الظالم ثم المقتصد ثم السابق؟ قلت: للإيذان بكثرة الفاسقين وغلبتهم وأن المقتصدين قليل بالإضافة إليهم، والسابقون أقل من القليل.

القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (٣٤٩/١٤)

٣) قال الله تعالى: ﴿بِإِذۡنِ ٱللَّهِ ﴾ عند ذكر السابق إلى الخيرات؛ لئلا يغتر بعمله، بل ما سبق إلى الخيرات إلا بتوفيق الله تعالى ومعونته؛ فينبغي له أن يشتغل بشكر الله تعالى على ما أنعم به عليه.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن (٦٨٩)

﴿وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾﴾

١) قال إبراهيم التيمي: ينبغي لمن لم يحزن أن يخاف أن يكون من أهل النار؛ لأن أهل الجنة قالوا: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ﴾ وينبغي لمن لم يشفق أن يخاف أن لا يكون من أهل الجنة؛ لأنهم قالوا: ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِىٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ﴾ (الطور:٢٦).

حلية الأولياء (٢١٥/٤)

٢) قال الحسن البصري ﷺ: إن المؤمنين قوم ذلت - والله - منهم الأسماع والأبصار والأبدان؛ حتى حسبهم الجاهل مرضى، وهم -والله- أصحاب القلوب، ألا تراه يقول: ﴿وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ﴾ والله لقد كابدوا في الدنيا حزنًا شديدًا، والله ما أحزنهم ما أحزن الناس، ولكن أبكاهم وأحزنهم الخوف من النار.

التخويف من النار لابن رجب (٣٤)

﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ ۖ فَذُوقُواْ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾﴾

١) إلى من عاش إلى هذه اللحظات:

تأمل! ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ﴾ من عرف شرف العمر وقيمته، لم يفرط في لحظة منه؛ فلينظر الشاب في حراسة بضاعته، وليحتفظ الكهل بقدر استطاعته، وليتزود الشيخ للحاق جماعته، ولينظر الهرم أن يؤخذ من ساعته.

ابن الجوزي، تنبيه النائم الغمر على مواسم العُمُر(٥)

٢) ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ﴾ قال ابن الجوزي: إذا انتصف شهر رمضان، فقد ذهب نصف البضاعة في التفريط والإضاعة، والتسويف يمحق ساعة بعد ساعة، والشمس والقمر بحسبان، ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾ (البقرة:١٨٥) يا واقفًا في مقام التحيُّر، هل أنت على عزم التغير؟ إلى متى ترضى بالنزول في منزل الهوان، و﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾.

التبصرة لابن الجوزي (٨٩/٢)

٣) إنما حَسُنَ طولُ العمر ونفع؛ ليحصل التذكر والاستدراك، واغتنام الفرص، والتوبة النصوح، كما قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ﴾، فمن لم يُورِّثه التعمير وطول البقاء إصلاحَ معائبه، واغتنامَ بقية أنفاسه، فيعمل على حياة قلبه، وحصول النعيم المقيم، وإلا؛ فلا خير له في حياته.

ابن القيم، الفوائد (١٨٩)

٤) هو حديث يتكرر عن مضي عام وقدوم آخر، لكن انظر إلى بعض طرق القرآن وهو يربي أهله -حين يتحدث عن الزمن-! ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ﴾؟!

يا له من سؤال! وياحسرة المفرطين!

د. عمر المقبل

﴿اسْتِكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا ﴿٤٣﴾﴾

١) قال علي ﷺ: ثلاث هن راجعات إلى أهلها: المكر، والنكث، والبغي، ثم تلا قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾، وقوله: ﴿فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ﴾(الفتح: ١٠)، وقوله: ﴿إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰ أَنفُسِكُم﴾(يونس:٢٣).

محاضرات الأدباء (١/٣٥٤)

٢) ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ قال ابن القيم ﷺ: «وقد شاهد الناسُ عيانًا أنَّ مَن عاش بالمكر مات بالفقر»، ثم ذكر أمثلة كثيرة ومهمة كأنها تحكي واقع الناس اليوم، تحسن مراجعتها في أواخر المجلد الأول من «إغاثة اللهفان».

إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان (١/٣٥٨)

سُورَةُ يسٓ

﴿ إِنَّا نَحۡنُ نُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَنَكۡتُبُ مَا قَدَّمُواْ وَءَاثَٰرَهُمۡۚ وَكُلَّ شَيۡءٍ أَحۡصَيۡنَٰهُ فِيٓ إِمَامٖ مُّبِينٖ ١٢ ﴾

١) هل وقفت مع هذه الآية شارحًا للناس أثر الوقف في دعم مشاريع الأمة الخيرية باستقلال وحرية، ومبيِّنًا عظيم أجر الواقفين وديمومته؟ بل هل وضعت لك برنامجًا لإقامة وقف ينفعك في حياتك وبعد مماتك، كما تخطط بجد ومثابرة لبناء مسكن لك و لأولادك؟

أ. د. ناصر العمر

٢) تدبَّر كلمة: ﴿وَءَاثَٰرَهُمۡۚ﴾ تجد أنَّ للأعمال أثرًا بعد موت صاحبها حسنة كانت أم سيِّئة، وستكون ظاهرةً له يوم القيامة؛ فاحرص أن يكون لك أثرٌ في دنياك ترى نفعه يوم القيامة.

د. عبدالمحسن المطيري

٣) ابحث عن آثارك بعد موتك؛ فإن ربك يقول: ﴿وَنَكۡتُبُ مَا قَدَّمُواْ وَءَاثَٰرَهُمۡۚ﴾! يموت اثنان، فتأمل الفرق بين آثارهم: قارئ ومغن! ظالم وعادل! داعية للسنة وآخر للبدعة!

د. عمر المقبل

﴿ وَجَآءَ مِنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ رَجُلٞ يَسۡعَىٰ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ٢٠ ﴾

كثيرٌ من أبناء الإسلام يرى أنه لا يصلح لخدمة الدين إلا العلماء والدعاة الذين لهم باعٌ طويل في العلم والدعوة، فإذا قارن حالَه بحالهم، وجد مسافةً بعيدةً؛ فلا يلبث أن يضعف عزمه، وتفتر همَّته؛ فيعيش سلبيًا لا يقدم لدينه! لا، بل كل فرد مهما كانت حاله يصلح لنصرة دينه إذا سلك الطريق الصحيح في ذلك. قال تعالى: ﴿ وَجَآءَ مِنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ رَجُلٞ يَسۡعَىٰ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴾.. فاعتبر.

د. محمدالعواجي

﴿ ٱتَّبِعُواْ مَن لَّا يَسۡـَٔلُكُمۡ أَجۡرٗا وَهُم مُّهۡتَدُونَ ﴿٢١﴾ ﴾

فيها دلالة إلى أن تشوّف الداعي إلى ما في أيدي القوم، وتطلعه إلى أن ينال من وراء إرشاده شيئًا من متاع هذه الحياة؛ قادح في صدقه، وداخل في الريبة في إخلاصه.

محمد الخضر حسين، مجموعة مؤلفاته (٥/٢٢٩٨)

﴿ قِيلَ ٱدۡخُلِ ٱلۡجَنَّةَۖ قَالَ يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾

١) كم في هذه الآية من معان سامية؟ كظم للغيظ، وحلم عن الجهال، ورأفة بمن آذوه، والاشتغال عن الشماتة بهم والدعاء عليهم! ألا ترى كيف تمنى الخير لقتلته، والباغين له الغوائل وهم كفرة عبدة أصنام؟

القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (١٥/٢٠) (بتصرف)

٢) فليعلم المؤمن أن هذه الوحشة لا تدوم، بل هي من عوارض الطريق فسوف تبدو له الخيام وسوف يخرج إليه المتلقون يهنئونه بالسلامة والوصول إليهم؛ فيا قرة عينه إذ ذاك ويا فرحته إذ يقول: ﴿قَالَ يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ﴾.

ابن القيم، طريق الهجرتين (٢٨٦)

٣) أعظم أمنيات الداعية الصادق تحقيق السعادة للمدعوين، قال قتادة ﷺ: لا تلقى المؤمن إلا ناصحًا، لا تلقاه غاشًا؛ لَمَّا عاين ما عاين من كرامة الله؛ تمنى على الله أن يعلم قومه ما عاين من كرامة الله له.

تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/٦٨٦)

﴿ مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ تَأۡخُذُهُمۡ وَهُمۡ يَخِصِّمُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ تَوۡصِيَةٗ وَلَآ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِمۡ يَرۡجِعُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾

١) أما تستحي من استبطائك هجوم الموت، اقتداء برعاع الغافلين، الذين ﴿مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ تَأۡخُذُهُمۡ وَهُمۡ يَخِصِّمُونَ﴾، فيأتيهم المرض؛ نذيرًا من الموت فلا ينزجرون، ويأتيهم الشيب؛ رسولًا منه فما يعتبرون، ﴿يَٰحَسۡرَةً عَلَى ٱلۡعِبَادِۚ مَا يَأۡتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ﴾ (يس: ٣٠).

الغزالي، الإحياء (٤/ ٦٥)

٢) ﴿ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَآ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴾ كأن الوصية أهم ما يعنى به من يفجؤه الموت، فبادر إلى كتابة وصيتك من الآن؛ فإنك لا تدري ما يعرض لك.

د. عبد الرحمن الشهري

﴿ ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾

كنت في طريقي في هذه الإجازة لفعل الفاحشة وفجأة، تذكرت وقوفي بين يدي الله وتذكرت هذه الآية: ﴿ ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾ فغيرت مساري، ورجعت لبيتي، فحمدت الله على فضله أن عصمني من كبيرة من كبائر الذنوب بسبب تدبر هذه الآية.

متدبر

﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَٰمًا فَهُمْ لَهَا مَٰلِكُونَ ﴿٧١﴾ ﴾

ما الحكمة في التنصيص على الأنعام في هذه الآية؟ يقول القاسمي رحمه الله: «والسر في إفراده هذه النعمة، والتذكير بها دون غيرها من نعمه وأياديه، أن بها حياة العرب وقوام معاشهم؛ إذ منها طعامهم وشرابهم ولباسهم وأثاثهم وخباؤهم وركوبهم وجمالهم، فلولا تفضله تعالى عليهم بتذليلها لهم، لما قامت لهم قائمة».

محاسن التأويل (٢٤١/٧)

سُورَةُ الصَّافَّاتِ

﴿ وَقِفُوهُمْۖ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾

قال رجل لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ: كيف يحاسب الله العباد في يوم؟ قال علي ﷺ: يحاسبهم في يوم كما يرزقهم في يوم.

الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢/٤٣٥)

﴿ فَوَٰكِهُۖ وَهُم مُّكْرَمُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾

إذا قرأت قصص الكرم في التاريخ القديم أو الحديث، فإنك تتعجب جدًا من ذلك! وحينما قرأتُ قوله تعالى -عن أهل الجنة-: ﴿فَوَٰكِهُۖ وَهُم مُّكْرَمُونَ﴾، تصاغرت في عيني كل قصص الكرم وذهب الذهن كل مذهب، وإذا كان الذي سيكرمهم رب العالمين، فأي عبارة يمكن أن تصف هذا الكرم؟!

د. عمر المقبل

﴿ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ عِينٌ ﴿٤٨﴾ ﴾

من نعيم أهل الجنة: وصف نسائهن بأنهن: ﴿قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ﴾؛ لِمَا لغض البصر من جميل الأثر وهو جمال المرأة المعنوي، فكيف مع كثرة الفتن في هذه الدنيا؟!

د. عبدالله الغفيلي

﴿ قَالَ تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ﴿٥٦﴾ ﴾

كثير من الآباء لا يدركون خطورة القرناء على أبنائهم؛ فلا يتحققون من أفكارهم وتوجُّهاتهم، بل قد يكتفون بمظاهر قد تخدعهم، أو أسباب قدرية للعلاقة لا تنفعهم: كالقرابة والزمالة والجوار، وينسون أنَّ الحمو الموت، فتدبر قصة هذا القرين: ﴿ قَالَ تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ﴾، وتحقق من قرناء ابنك قبل فوات الأوان.

أ. د. ناصر العمر

﴿ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾ ﴾

ختمت قصة نوح بـ: ﴿ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ فكل من أحسن فالله يجزيه كما جزى نوحًا ﷺ، والذي جزاه الله بأمرين: بما ترك عليه في الآخرين، وبما سلمه في العالمين.

وكذلك من كان مؤمنًا بالله، محسنًا في عبادته، وإلى عباده، فالله يجزيه كما جزى نوحًا: ينجيه من الهلاك، ويُسلِّم عرضه من الذكر السيئ، ويلقي محبته وثناء الناس على ألسنة الخلق.

ابن عثيمين، تفسير سورة الصافات (١٨٢- ١٨٨)

﴿ إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾ ﴾

لن يكمل جمال مظهرك في العيد إلا بتحقق جمال مخبرك، ولن يتم ذلك إلا بسلامة القلب وخلوصه من الضغائن والبغضاء والآثام؛ فلنكن كأبينا إبراهيم ﷺ ﴿ إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾، وبذلك أمر الله نبينا محمد ﷺ: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ (المدثر:٤)؛ أي: قلبك.

أ. د. ناصر العمر

﴿ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾

١) من تأمل هذا الموضع حق التأمل، علم أن حسن الظن بالله هو حسن العمل نفسه؛ فإن العبد إنما يحمله على حسن العمل ظنه بربه أن يجازيه على أعماله، ويثيبه عليها ويتقبلها منه، فالذي حمله على العمل حسن الظن، فكلما حسن ظنه، حسن عمله.

ابن القيم، الجواب الكافي (٢٧)

٢) الثقة بالله شقَّت لموسى ﷺ البحر، وبرَّدت النار على إبراهيم ﷺ، ونجَّت محمدًا ﷺ في الغار.. هذه الثقة بالله لا يذوق حلاوتها إلا من عرف الله!

د. عبدالمحسن المطيري

﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾ ﴾

تأمل قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ ﴾ فقوله: ﴿مَعَهُ﴾ تبين أهمية مرافقة الأب لابنه ومصاحبته له، والذي يثمر- غالبًا- سمعًا وطاعة واستجابة؛ ولذا قال هذا الابن البار- لما عرض عليه أبوه أمر الذبح-: ﴿ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ﴾ .

متدبر

﴿ فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾ ﴾

قال الضحاك بن قيس: اذكروا الله في الرخاء، يذكركم في الشدة؛ إن يونس ﷺ كان عبدًا صالحًا، وكان يذكر الله، فلما وقع في بطن الحوت، سأل الله؛ فقال الله: ﴿ فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾ ﴾ وإن فرعون كان عبدًا طاغيًا ناسيًا لذكر الله تعالى، فلما أدركه الغرق، قال: (آمنت)؛ فقال الله: ﴿ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ ﴾ (يونس: ٩١)؛ فاجعل لك ذخائر خيرٍ من تقوى، تجد تأثيرها .

زاد المسير (٤/٦٠)

سُورَةُ صٓ

﴿ صٓۚ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ ۝١ ﴾

هنا ملمح جميل: تأمل كيف أضيفت كلمة ﴿ ذِى ﴾ إلى الذكر، والذكر هو القرآن، وكلمة (ذي) لا تضاف إلا إلى الأشياء الرفيعة التي يقصد التنويه بشأنها، أما قرأت قوله تعالى: ﴿ تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ۝٧٨ ﴾؟ (الرحمن: ٧٨)، وقوله: ﴿ وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ﴾؟ (الكهف: ٥٨)، ولا نجد وربك الغفور صاحب الرحمة؛ لأن الكلام عن الله ﷻ.

د. عويض العطوي

﴿ وَعَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ ۖ وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ۝٤ ﴾

﴿ وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴾ أعداء الرسل لا يعادونهم عداءً شخصيًا، وإنما عداءً منهجيًا؛ ويتفرع على هذا أنَّ الكافرين سيكونون أعداءً لكلِّ من يتبع الرسول ﷺ.

ابن عثيمين، تفسير سورة ص (٢٦)

﴿ وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُوا۟ وَٱصْبِرُوا۟ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ ۝٦ ﴾

١) ﴿ وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُوا۟ وَٱصْبِرُوا۟ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ ﴾ أي: له قصد ونية غير صالحة، وهذه شبهة لا تروج إلا على السفهاء؛ فإن من دعا إلى قول حق أو غير حق، لا يرد قوله بالقدح في نيته، وإنما يرد بمقابلته بما يبطله بالحجج والبراهين.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن (٧٠٩)

٢) عندما تنتصر في جولة مع الباطل، فاحذر أن تتصور انتهاء المعركة معه؛ فأهل الباطل أصبر على نصر باطلهم من صبر كثير من أهل الحق على نصرة الحق، وهذه الآيات تكشف الحقيقة: ﴿ وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُوا۟ وَٱصْبِرُوا۟ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ ﴾، ﴿ إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا ﴾ (الفرقان:٤٢).

أ. د. ناصر العمر

﴿مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْـَٔاخِرَةِ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ ﴿٧﴾﴾

هذه حجة من ليس عنده علم شرعي، تنهاه عن المنكر، فيقول: ما سمعنا بهذا، هذا دين جديد، ما زال الناس على عكس ما تقول... إلخ، والحجة في كتاب الله وسنة نبيه ﷺ.

ابن عثيمين، تفسير سورة ص (٤٤)

﴿إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾﴾

قال ابن عباس رضي الله عنهما: كان في نفسي شيء من صلاة الضحى، حتى وجدتها في القرآن: ﴿يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِشْرَاقِ﴾.

الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٥/ ١٦٠)

تعليق: وهذا محمول على أن ابن عباس لم تبلغه أحاديث صلاة الضحى.

﴿إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ ﴿٢٣﴾﴾

في قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ﴾ لباقة هذين الخصمين حيث لم تثر هذه الخصومة ضغينتهما؛ لقوله: ﴿هَٰذَآ أَخِى﴾ مع أنه قال في الأول: ﴿بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ (ص:٢٢)، لكن هذا البغي لم تذهب معه الأخوة.

ابن عثيمين، تفسير سورة ص (١١٦)

﴿قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ ۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ۗ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۩ ﴿٢٤﴾﴾

الإيمان والعمل الصالح من أعظم ما يضبط مسار المعاملات المالية؛ ألم يقل الله تعالى: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾، فأين دعاة الفصل بين الدين والحياة؟!

د. عمر المقبل

﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾﴾

١) فإن من لم يتدبر ولم يتأمل ولم يساعده التوفيق الإلهي، لم يقف على الأسرار العجيبة المذكورة في هذا القرآن العظيم.

الرازي، مفاتيح الغيب (٢٦/ ٣٨٩)

٢) يجب على من عَلِمَ كتاب الله أن يزدجر بنواهيه، ويخشى الله ويتقيه، ويراقبه ويستحييه؛ فإنه حُمِّلَ أعباءَ الرسل، وصار شهيدًا في القيامة على من خالف من أهل الملل، فالواجب على من خصه الله بحفظ كتابه: أن يتلوه حق تلاوته، ويتدبر حقائق عبارته، ويتفهم عجائبه، ويتبين غرائبه.

القرطبي، مقدمة الجامع لأحكام القرآن (٢/١)

٣) التأمل في القرآن: هو تحديق ناظر القلب إلى معانيه، وجمع الفكر على تدبره، وتعقله، وهو المقصود بإنزاله، لا مجرد تلاوته بلا فهم، ولا تدبر.

ابن القيم، مدارج السالكين (٤٠٥/١)

٤) لو علم الناس ما في قراءة القرآن بالتدبر، لاشتغلوا بها عن كل ما سواها، فإذا قرأه بتفكر حتى مر بآية وهو محتاج إليها في شفاء قلبه؛ كررها ولو مائة مرة ولو ليلة؛ فقراءة آية بتفكر وتفهم خير من قراءة ختمة بغير تدبر وتفهم.

ابن القيم، مفتاح دار السعادة (١٨٧/١)

٥) لا شيء أنفع للقلب من قراءة القرآن بالتدبر والتفكر؛ فإنه جامع لجميع منازل السائرين، وأحوال العاملين، ومقامات العارفين.

ابن القيم، مفتاح دار السعادة (١ /١٨٧)

٦) قال السعدي ﷺ معلقًا على قوله تعالى: ﴿لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ﴾: هذه الحكمة من إنزاله؛ ليتدبر الناس آياته فيستخرجوا علمها، ويتأملوا أسرارها وحكمها، فإنه بالتدبر فيه والتأمل لمعانيه، وإعادة الفكر فيها مرة بعد مرة؛ تدرك بركته وخيره، والقراءة المشتملة على التدبر أفضل من سرعة التلاوة التي لا يحصل بها هذا المقصود.

تيسير الكريم الرحمن (٧١٢)

٧) فما أولانا بتدبر كتابه الكريم تدبر من يريد العلم ومن هو مؤمن بهذا الكتاب العظيم وأنه كلام الله حقًا، قاصدين معرفة مراد ربهم ﷻ، والعمل بذلك عملًا بقوله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ مستشعرين قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَهۡدِي لِلَّتِي هِيَ أَقۡوَمُ﴾ (الإسراء: ٩)، وقوله: ﴿قُلۡ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدٗى وَشِفَآءٞ﴾ (فصلت: ٤٤).

ابن باز، مجموع فتاواه (٣٠٢/٢)

٨) سئل الشيخ ابن باز: هل هناك فرق في الأجر بين قراءة القرآن من المصحف أو عن ظهر قلب؟ فأجاب: لا أعلم دليلًا يفرق بينهما، وإنما المشروع التدبر وإحضار القلب، فإذا كانت القراءة عن ظهر قلب أخشع لقلبه وأقرب إلى تدبر القرآن، فهي أفضل، وإن كانت القراءة من المصحف أخشع لقلبه وأكمل في تدبره، كانت أفضل.

مجموع فتاوى ابن باز (٣٥٢/٢٤)

فتأمل -وفقك الله- كيف دار جواب الشيخ على حضور القلب والتدبر، فليتنا نتدبر هذا الجواب؛ لنتدبر أعظم كتاب.

﴿رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ ﴿٣٣﴾﴾

لما ألهت الخيل سليمان بن داود ﷺ عن صلاته، دعا بتلك الخيل، فجعل يقتلها، ويضرب أعناقها وسوقها؛ انتقامًا من نفسه لنفسه، فانتقم من نفسه التي لهت بهذه الصافنات الجياد عن ذكر الله؛ فإذا رأيت شيئًا من مالك يصدك عن ذكر الله، فتباعد عنه قدر استطاعتك، قبل أن يبعدك عن الله.

ابن عثيمين، شرح رياض الصالحين (١٤٨/١- ١٤٩)

﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾﴾

١) فبدأ بطلب المغفرة قبل طلب المُلك العظيم؛ وذلك لأنَّ زوال أثر الذنوب هو الذي يحصل به المقصود، فالذنوب تتراكم على القلب، وتمنعه كثيرًا من المصالح، فعلى المؤمن أن يسأل ربَّه التخلص من هذه الذنوب قبل أن يسأل ما يريد.

ابن عثيمين، تفسير سورة ص (١٦٧)

٢) في هذه الآية أدب من آداب الدعاء: وهو تعظيم الرغبة، وعلو الهمة في الطلب، فسليمان ﷺ لم يكتف بسؤال الله المغفرة، ولكنه -لعلو همته وعلمه بسعة فضل ربه- سأله مع ذلك ملكًا لا ينبغي لأحد من بعده، فأجاب الله دعاءه، وسخر له الريح، والشياطين، بل وله في الآخرة زلفى وحسن مآب.

د. محمد الحمد

﴿ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾ ﴾

١) قال الإمام سفيان بن عيينة ﷺ: إني قرأت القرآن فوجدت صفة سليمان ﷺ مع العافية التي كان فيها: ﴿ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴾ ووجدت صفة أيوب ﷺ مع البلاء الذي كان فيه: ﴿ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴾، فاستوت الصفتان، وهذا معافى، وهذا مبتلى، فوجدت الشكر قد قام مقام الصبر، فلما اعتدلا كانت العافية مع الشكر أحب إليَّ من البلاء مع الصبر.

تهذيب الكمال ١١/١٩٣

٢) قال تعالى في الثناء على أيوب ﷺ: ﴿إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴾ فأطلق عليه: ﴿نِعْمَ ٱلْعَبْدُ﴾ بكونه وجده صابرًا، وهذا يدل على أن من لم يصبر إذا ابتلي، فإنه: بئس العبد.

ابن القيم، عدة الصابرين (٦٠)

﴿ إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ ﴿٤٦﴾ ﴾

قال تعالى عن خيار رسله: ﴿ إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ ﴾، تذكُّر الدار الآخرة والتذكير بها، والعمل لها؛ من نعم الله الخالصة على أوليائه المصطفين الأخيار.

قال قتادة ﷺ: كانوا يذكِّرون الناس الدار الآخرة والعمل لها.

تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤/٥١)

﴿ جَنَّٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ ﴿٥٠﴾ ﴾

١) إنما قال: ﴿مُّفَتَّحَةً﴾ ولم يقل (مفتوحة)؛ لأنها تُفتح لهم بالأمر لا بالمس.

القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (١٥/٢١٩)

٢) ﴿ جَنَّٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ﴾ تأملها، تجد تحتها معنىً بديعًا، فهم إذا دخلوا الجنة لم تغلق أبوابها بل تبقى مفتحة، بعكس أبواب النار فهي موصدة على أهلها.

وفي تفتيح الأبواب إشارة إلى:

١- ذهابهم وإيابهم وتبوئهم من الجنة حيث شاؤوا.

٢- دخول الملائكة عليهم كل وقت بالتحف والألطاف.

٣- أنها دار أمن، لا يحتاجون إلى غلق الأبواب كما في الدنيا.

ابن القيم، حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح (٣٩)

﴿ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿٧٦﴾ ﴾

١) ليحذر كلَّ الحذر من طغيان: (أنا، ولي، وعندي)؛ فإن هذه الألفاظ الثلاثة ابتلي بها (إبليس، وفرعون، وقارون): ﴿أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ﴾ لإبليس، و﴿لِى مُلْكُ مِصْرَ﴾ (الزخرف:٥١) لفرعون، و﴿إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ﴾ (القصص:٧٨) لقارون.

ابن القيم، زاد المعاد (٢/٤٢٨)

٢) في قول إبليس: ﴿أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾ علق الشنقيطي على ذلك فقال: بل الطين خيرٌ من النار؛ لأن طبيعة النار الخفة والطيش والإفساد والتفريق، وطبيعة الطين الرزانة والإصلاح، تودعه الحبة فيعطيكها سنبلة، والنواة فيعطيكها نخلة، فانظر إلى الرياض الناضرة وما فيها من الثمار اللذيذة، والأزهار الجميلة، والروائح الطيبة؛ تعلم أن الطين خير من النار.

أضواء البيان (١/٣٣)

﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ ﴾

تعهد الشيطان أمام الله سبحانه: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ فتدبر كيف وصلت الحال: فمع أن الشيطان يعترف بالله ربًا، بل ويدعوه: ﴿رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ﴾ (ص: ٧٩) ثم يأتي (من بني آدم) من تعداه في الإجرام والغواية ﴿فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ (النازعات: ٢٤)! بل وينفي الألوهية مطلقًا: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى﴾ (القصص: ٣٨)!

فأي أمان بعد ذلك إلا لمن اصطفاه الله: ﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ﴾ (الحجر: ٤٢). فاللَّهُمَّ سلم سلم.

أ. د. ناصر العمر

سُورَةُ الزُّمَرِ

﴿ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ۚ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾ ﴾

١) انكشف لأرباب القلوب ببصيرة الإيمان وأنوار القرآن أن لا وصول إلى السعادة إلا بالعلم والعبادة، فالناس كلهم هلكى إلا العالمون، والعالمون كلهم هلكى إلا العاملون، والعاملون كلهم هلكى إلا المخلصون، والمخلصون على خطر عظيم ﴿ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ﴾.

أبو حامد الغزالي، الإحياء (٣٦٢/٤)

٢) حرارة الإخلاص تنطفئ رويدًا رويدًا، كلما هاجت في النفس نوازع الأثرة، وحب الثناء، والتطلع إلى الجاه وبُعد الصيت، والرغبة في العلو والافتخار ﴿ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ﴾.

محمد الغزالي، خلق المسلم (٦٣)

﴿ قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۗ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ ۗ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾ ﴾

١) قال عمر بن عبدالعزيز: ما أنعم الله على عبدٍ نعمةً فانتزعها منه، فعاضه من ذلك الصبر إلا كان ما عاضه الله أفضل مما انتزع منه، ثم قرأ: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾.

البيان والتبيين (٤٥٦/١)

٢) ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ ذكر بعض المفسرين أنها في الصائمين؛ لأن رمضان شهر الصبر.. وليس المراد الصبر عن المفطرات فحسب، بل يشمل الصبر عن كل ما يؤثر على الصيام، وبالأخص اللغو والمعاصي كما في الحديث: «**من لم يدع قول الزور والعمل به والجهل، فليس لله حاجة أن يدع طعامه وشرابه**»(١). فاحذر أن تفرِّط بوعد الله: «**الصوم لي وأنا أجزي به**»(٢).

أ. د. ناصر العمر

(١) البخاري ح (٦٠٥٧).

(٢) البخاري ح (٧٤٩٢)، ومسلم ح (١١٥١)، والنسائي ح (٢٢١١)، وأحمد ح(٩١١٢).

﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ۚ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿١٨﴾﴾

١) أهل العقول الراجحة والقلوب الزاكية يحسنون الاستماع لما ينفعهم، ويميزون بين الحسن والأحسن، ويتبعون الأحسن، وهؤلاء هم الذين استحقوا البشرى من ربهم، فما أعظمه من ثناء! وما أشد غفلة الكثير عن تدبر مثل هذه الآيات!

د. محمد القحطاني

٢) قال وهب بن منبه: من أدب الاستماع: سكون الجوارح، وغض البصر، والإصغاء بالسمع، وحضور العقل، والعزم على العمل، وذلك هو الاستماع كما يحب الله تعالى.

الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١١/ ١٧٦)

٣) كثيرًا ما يصفُ الناسُ الرَّجلَ الماهر في جمع حطام الدنيا بالذكاء، ورجاحة العقل، بخلاف الرجل الذي يجتهد في تحصيل أجور الآخرة بالعمل الصالح، والله سبحانه وصف المتقين والمتذكرين والعاملين والمهتدين بأنهم هم أصحاب العقول حقًّا: ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ۚ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾.

فهد العيبان

﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾﴾

١) وصف الله كتابه بأنه ﴿مَّثَانِيَ﴾ أي: تثنى فيه القصص والأحكام، والوعد والوعيد، وتثنى فيه أسماء الله وصفاته، وكذلك القلب يحتاج دائمًا إلى تكرر معاني كلام الله تعالى عليه، فينبغي لقارئ القرآن، المتدبر لمعانيه، ألاَّ يدع التدبر في جميع المواضع منه؛ فإنه يحصل له بسبب ذلك خير كثير، ونفع غزير.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن (٧٢٢)

٢) قال ابن جريج: إذا سمعوا ذكر النار والوعيد اقشعروا، ثم تلين جلودهم إذا سمعوا ذكر الجنة.

فهم القرآن للمحاسبي (٢٧٩)

٣) لما كان القرآن في غاية الجزالة والبلاغة، اقشعرت الجلود منه؛ إعظامًا له، وتعجبًا من حسن ترصيعه، وتهيبًا لما فيه.

القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (١٥/٢٥٠)

٤) ما قرأ العبدُ الآيات حاضر القلب متفكرًا متأمِّلًا، إلَّا وجدت العين تدمع والقلب يخشع، والنفس تتوهج إيمانًا تريد المسير إلى الله، وإذا بأرض القلب تنقلب خصبة طريَّة، قد اقشعر جلده وقلبه من خشية الله تعالى.

د. محمد المختار الشنقيطي، مجموعة دروس للشيخ على الشبكة

﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾

ومن تدبره وتدبر ما خالفه، عرف أن القدح كله فيما خالفه.

ابن القيم، الصواعق المرسلة (٣/ ١١٢٧)

﴿ وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ ۖ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾

١) تأمَّل في نفرة كثير من غلاة المدنية من نصوص القرآن والسنة، وابتهاجهم بذكر الأعلام والمفاهيم الغربية وقارنها بقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ ۖ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾.

إبراهيم السكران، مآلات الخطاب المدني (١٢٧)

٢) القلوب الميتة لا تطيق حب الله؛ فتتسلى بحب من سواه.

أ. د. ناصر العمر

﴿ وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِن سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۚ وَبَدَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾

١) قام ابن المنكدر يصلي من الليل، فكثر بكاؤه في صلاته، ففزع أهله، فأرسلوا إلى صديقه أبي حازم، فسأله: ما الذي أبكاك؟ فقال: مرَّ بي قوله تعالى: ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ ﴾! فبكى أبو حازم معه واشتد بكاؤهما، فقال أهل ابن المنكدر: جئنا بك؛ لتفرج عنه فزدته! فأخبرهم ما الذي أبكاهما.

صفوة الصفوة (٢/١٤٢)

٢) قال بكر العابد: سمعت الفضيل بن عياض يقول في قول الله ﷻ: ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟ يَحْتَسِبُونَ﴾ قال: أُتوا بأعمال ظنوها حسنات فإذا هي سيئات! قال بكر: فرأيت يحي بن معين بكى!

تاريخ بغداد (١٣/ ٢٦٢)

﴿۞ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾

١) قال ابن مسعود ﷺ: ما في القرآن آية أعظم فرجًا من آية في سورة الغرف -أي: الزُّمر-: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾.

الإتقان في علوم القرآن (١٤٩/٤)

يقول أحدُهم: كلَّما ضاقت بي الدنيا صلَّيت وقرأت هذه الآية، فاتسع كلُّ ضيق، وانفرج كل مضيق.

٢) قال ابن عباس ﷺ لابن عمرو بن العاص: أي آية في القرآن أرجى عندك؟ فقال: قول الله: ﴿يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟﴾، فقال ابن عباس : لكن أنا أقول: قول الله: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ﴾ (البقرة: ٢٦٠)، فرضي من إبراهيم قوله: ﴿بَلَىٰ﴾ فهذا لما يعرض في الصدور، ويوسوس به الشيطان.

تفسير ابن أبي حاتم (٢٨٨/٢)

٣) قال حميد بن هشام: قلتُ لأبي سليمان بن عطية: يا عم، لم تُشدِّد علينا، وقد قال الله: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ﴾؟ فقال: اقرأ بقية الآيات، فقرأت: ﴿وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ﴾ قال: اقرأ، فقرأت: ﴿وَٱتَّبِعُوٓا۟ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ﴾ الآيات، فمسح رأسي، وقال: يا بنيَّ، اتق الله وخفه وارجه.

تاريخ دمشق (٣٠٥/١٥)

٤) إنها الرحمة التي تسع كل معصية مهما كانت، إنها دعوة العصاة المبعدين في تيه الضلال إلى الأمل والثقة بعفو الله، فإذا ما تسلطت عليه لحظة يأس وقنوط، سمع هذا النداء الندي اللطيف الذي يعلن أنه ليس بين المسرف على نفسه إلا الدخول في هذا الباب الذي ليس عليه بواب يمنع، ولا يحتاج من يلج فيه إلى استئذان.

سيد قطب، في ظلال القرآن (٣٠٥٨/٥)

٥) كثيرون يتلون هذه الآية فتنصرف أفئدتهم إلى بعض من يعرفون ممن أسرف على نفسه، دون أن يشعروا أنهم معنيون بذلك ابتداءً! وهذا من أخطر أنواع الإسراف؛ لما في ذلك من التزكية للنفس، والغفلة عن محقرات الذنوب حتى يهلك.

أ. د. ناصر العمر

﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَتۡلُونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِ رَبِّكُمۡ وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنۡ حَقَّتۡ كَلِمَةُ ٱلۡعَذَابِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ٧١ قِيلَ ٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ ٧٢ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ طِبۡتُمۡ فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ٧٣﴾

١) في خواتيم سورة الزمر: قال الله تعالى: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا﴾ بينما قال في أهل الجنة: ﴿وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا﴾ السبب: أن في هذه الآية إشارة إلى الشفاعة الخاصة بالنبي ﷺ التي يشفع فيها لأهل الجنة حين يأتون فيجدون باب الجنة مغلقًا؛ فيشفع لهم ﷺ في دخولها، فيدخلونها.

ابن عثيمين، مجموع فتاوى ورسائل العثيمين (١٨٤/٣)

٢) قال في قدوم المتقين إلى الجنة زمرًا: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا﴾ أي: أنهم بعدما أذن الله لهم بدخول الجنة جاؤوها وقد وجدوا الأبواب مفتوحة تهيئة وترحيبًا بقدومهم، كما تفتح الأبواب قبل قدوم ضيف عزيز كريم.

فهل نحن قد استعددنا لقدوم رمضان وفتحنا له قلوبنا، وهيأنا أنفسنا للقيام بحقه، كما يستعد المضيف لتكريم ضيفه العظيم؟!

أ. د. ناصر العمر

سُورةُ غَافِرٍ

﴿ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ٧﴾

١) بشراك أيها التائب! ها هم حملة عرش الرحمن يدعون لك، وهم في السماء، وأنت في الأرض!

د. عمر المقبل

٢) ماذا نفعل مع من أساء إلينا ثم اعتذر؟

أنعفو عنه ثم ندعو له ونثني عليه فيمن حولنا!

انظر هذا الكرم والعفو والرحمة، ثم تأمل حالك ﴿ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ﴾ الآية.

أ. د. ناصر العمر

٣) قال تعالى عن الملائكة: ﴿يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ وفيها فائدتان:

١- أن الله لم يذكر عن الملائكة استغفارًا؛ لعدم حاجتهم له، بل هم يسبحون.

٢- أنهم قدَّموا بين يدي استغفارهم للمؤمنين تسبيحًا وتحميدًا، وهكذا ينبغي للداعي أن يكون.

أ. د. محمد أبو موسى، آل حم: غافر - فصلت (٣٦)

٤) قال خلف بن هشام: أتيت سليم بن عيسى؛ لأقرأ عليه، فكنت أقرأ عليه حتَّى بلغت يومًا سورة غافر، فلما بلغتُ إلى قوله تعالى: ﴿وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ بكى بكاءً شديدًا، ثم قال لي: يا خلف ألا ترى ما أعظم حقِّ المؤمن؟ تُراه نائمًا على فراشه والملائكة يستغفرون له.

وفيات الأعيان لابن خلكان (٢/٢٤٢)

٥) ﴿رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا﴾ تأمل كيف قدم حملة العرش في دعائهم الرحمة على العلم!

بقدر يقينك أن علمه وسع كل شيء؛ كن على يقين أن رحمته كذلك.

د. عبدالله بلقاسم

٦) في الآية دليل على أن صفة الإيمان إذا جمعت بين شخصين يجب أن تكون داعية للنصيحة، وأن يستغفر له بظهر الغيب، وإن تباعدت أماكنهم وتفاوتت أجناسهم.

السخاوي، تفسيره (٢/٢٥٠)

﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزْقًا ۚ وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ ﴾

مئات القتلى في تشيلي، ومئات الآلاف يجلون من مساكنهم في اليابان، ورعب في عدة دول من تسونامي جديد. . لكن ﴿وَمَا يَتَذَكَّرُ﴾ أي: ما يتعظ بهذه الآيات ﴿إِلَّا مَن يُنِيبُ﴾ «والإنابة: الرجوع عن الكفر والمعاصي، إلى الإيمان والطاعة»[1][2].

﴿ يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴿١٩﴾ وَٱللَّهُ يَقْضِى بِٱلْحَقِّ ۖ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَقْضُونَ بِشَىْءٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿٢٠﴾ ﴾

١) سوء الظن مثل سوء القول، فكما يحرم عليك أن تحدث غيرك بلسانك بمساوئ الغير، فليس لك أن تحدث نفسك وتسيء الظن بأخيك؛ فإن الله: ﴿ يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴾.

الغزالي، الإحياء (٣/١٥٠)

٢) روى الأعمش، عن ابن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿ يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ ﴾ إذا أنت نظرت إليها تريد الخيانة أم لا ﴿وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴾ إذا أنت قدرت عليها تزني بها أم لا قال: ثم سكت الأعمش، فقال لتلميذه: ألا أخبرك بالتي تليها؟ قال: قلت: بلى! قال: ﴿وَٱللَّهُ يَقْضِى بِٱلْحَقِّ ﴾ قادر أن يجزي بالحسنة الحسنة، وبالسيئة السيئة، إن الله هو السميع البصير.

حلية الأولياء (١/٣٢٣)

﴿وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٧﴾ ﴾

حينما هدد فرعون موسى بالقتل، قال موسى عليه السلام: ﴿إِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴾ فخص صفة الكبر وعدم إيمانه بالآخرة؛ لأنه إذا اجتمع في المرء التكبر والتكذيب بالجزاء، قلَّت مبالاته بعواقب أعماله؛ فكمُلت فيه أسباب القسوة، والجرأة على الناس.

ابن عاشور، التحرير والتنوير (٢٤/١٨٣)

---

(١) الشنقيطي، أضواء البيان (٦/٣٧٨).

(٢) تعليقًا على أحداث الزلزال العنيف الذي ضرب «تشيلي» ١٣ ربيع الأول ١٤٣١هـ الموافق: صبيحة يوم السبت ٢٧ فبراير ٢٠١٠ وكان مركز الزلزال قبالة شاطئ منطقة ماولي التشيلية على عمق ٣٥ كم تحت سطح البحر. وقد بلغت قوته ٨,٨ على مقياس «ريختر»، وقد خلف الزلزال مئات القتلى وأكثر من مليوني مشرد.

﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾ ﴾

١) قصة مؤمن آل فرعون وامرأة فرعون آسية، فيها رسالة للرجال والنساء: أنه يمكن أن نكون إيجابيين فاعلين حتى في أكثر البيئات طغيانًا؛ فلنكف عن كثرة التشكي، ولنقبل على العمل.

د. محمد السيد

٢) من التجارب النافعة لبعض العقلاء: عدم الانزعاج من النقد، أو إشغال النفس بقصد الناقد ونيته؛ وإنما يفيد مما فيه -بغض النظر عن قائله وأسلوبه-، وقد تأملتُ عموم دلالة آية غافر وتقسيمها العقلي؛ فازددت قناعة بهذا المنهج، فتدبرها: ﴿ وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ ﴾.

أ. د. ناصر العمر

٣) في قصة مؤمن آل فرعون - المذكورة في سورة «غافر» - إشارة إلى أن على كل واحد الإسهام في برامج الإصلاح، دعمًا وتسهيلًا، كل حسب موقعه، وبحسب استطاعته، فهذا شخص واحد لم تمنعه الظروف المحيطة به من أن يقول كلمة حق.. فـ «**لا تحقرن من المعروف شيئًا**»(١).

﴿ ۞ وَيَٰقَوْمِ مَا لِىٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدْعُونَنِىٓ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٤١﴾ ﴾

أرأيت أعقل من هذا السؤال؟ فإما نجاة وإما هلاك! لا طريق آخر: ﴿ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ﴿٣٧﴾ ﴾ (المدثر: ٣٧).

د. محمد العواجي

﴿ فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْ ۚ وَأُفَوِّضُ أَمْرِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٤٤﴾ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا۟ ۖ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ﴾

﴿ فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْ ۚ وَأُفَوِّضُ أَمْرِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ هذا ما قاله ذلك الرجل المؤمن في زمن الاستكبار والإعراض من قومه، بعد أن صدع بالحق، غير هائب ولا وجل، فماذا كانت العاقبة؟ ﴿ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا۟ ﴾، فمتى يدعو أناس في زمن أحوج ما تكون الأمة إلى علمهم ومواقفهم، قبل أن يحل بهم وبمجتمعهم سوء العذاب؟!

أ. د. ناصر العمر

---

(١) مسلم ح(٢٦٢٦)، وأبو داود ح(٤٠٨٤)، وأحمد ح(١٥٩٥٥).

﴿ ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ ٤٦ ﴾

قال ابن سيرين رحمه الله: كان أبو هريرة رضي الله عنه يأتينا بعد صلاة العصر فيقول: عرجت ملائكة، وهبطت ملائكة، وعُرض آل فرعون على النار! فلا يسمعه أحد إلا يتعوذ بالله من النار.

تفسير ابن رجب الحنبلي (٢/٢٢٨)

﴿ فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِبۡكَٰرِ ٥٥ ﴾

١) العبد مأمور أن يصبر على المقدور، ويطيع المأمور، وإذا أذنب استغفر.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى (٢/٣٢٦)

٢) لا تقع فتنة إلا من ترك ما أمر الله به؛ فإنه سبحانه أمر بالحق، وأمر بالصبر، فالفتنة إما من ترك الحق، وإما من ترك الصبر.

ابن تيمية، الاستقامة (١/٣٩)

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡ إِن فِي صُدُورِهِمۡ إِلَّا كِبۡرٞ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِۚ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ٥٦ ﴾

﴿إِن فِي صُدُورِهِمۡ إِلَّا كِبۡرٞ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِ﴾ فالمتكبر يريد أن يصل بتكبره ورده للحق إلى منزلة لم يصل إليها بعمله ومواهبه؛ حسدًا وبغيًا، وهذا وعد من الله بأنه لن يحقق ذلك، بل إنه بمقدار تكبره سينزل عن مرتبته التي هو فيها قبل تكبره، بخلاف ما كان يؤمله ويرتجيه من علو! جزاءً وفاقًا.

أ. د. ناصر العمر

﴿ لَخَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَكۡبَرُ مِنۡ خَلۡقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٥٧ ﴾

الإنسان إذا قاس نفسه بعالم الذرة فأخذته العزة لكبره، فليقسها بعالم الكواكب بالسماء؛ ليستشعر الهوان من صغره وضآلته، ولكن من طبيعة البشر الغرور: ﴿ لَخَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَكۡبَرُ مِنۡ خَلۡقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾.

علي الطنطاوي، نور وهداية (٥٨)

﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾

قال طاووس لعطاء: إياك أن تطلب حوائجك إلى من أغلق دونك بابه، ويجعل دونها حجابه، وعليك بمن بابه مفتوح إلى يوم القيامة، أمرك أن تدعوه ووعدك بالإجابة.

جامع العلوم والحكم (٢/٥٧٢)

﴿ هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾

الإخلاص يذكر في كتاب الله ﷻ كثيرًا: تارة يأمر الله تعالى به: ﴿فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾، وتارة يخبر أنَّ الجنة لأهله: ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَعْلُومٌ﴾ (الصافات:٤٠-٤١)، وتارة يخبر أنه لن ينجو من شَرَك إبليس -يعني: مصيدته- إلا من كان مخلصًا لله، ﴿وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾ (الحجر:٣٩-٤٠).

د. خالد السبت

﴿ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾

﴿جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ﴾ في إضافة الرسل إليهم ما يفيد أنهم يعرفونهم ويعرفون صدقهم، ثم إن كلمة ﴿جَاءَتْهُمْ﴾ تفيد أن هؤلاء الرسل لم يقولوا شيئًا من عند أنفسهم، وإنما جاؤوا بما جاؤوا به كما يجيء حامل الرسالة والأمانة.

أ. د. محمد أبو موسى، آل حم: غافر، فصلت (٣٠٠)

سُورَةُ فُصِّلَتْ

﴿ وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِىٓ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنۢ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَٱعْمَلْ إِنَّنَا عَـٰمِلُونَ ﴿٥﴾ ﴾

الحجاب يمنع رؤية الحق، والأكنَّة تمنع من فهمه، والوقر يمنع من سماعه.

ابن القيم، حادي الأرواح (٦٩)

﴿ ۞ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٩﴾ ﴾

وخلقها في يومين أدل على القدرة والحكمة من خلقها دفعة واحدة في طرفة عين؛ لأنه أبعد من أن يظن أنها خلقت صدفة، وليرشد خلقه إلى الأناة في أمورهم.

الماوردي، النكت والعيون (١٧٠/٥)

﴿ فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَقَالُوا۟ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ۖ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾ ﴾

لما احتجَّ قومُ عاد بقولهم: ﴿مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾، قيل لهم: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۖ﴾، وهكذا كل ما في المخلوقات من قوَّة وشدَّة تدل على أنَّ الله أقوى وأشدُّ، وما فيها من علم يدلُّ على أنَّ الله أعلم، وما فيها من علمٍ وحياةٍ يدلُّ على أنَّ الله أولى بالعلم والحياة؛ فمن تمام الحجة الاستدلال بالأثر على المؤثِّر.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى (٣٥٧/١٦)

﴿ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾

١) قال الحسن البصري ﷺ: إن قومًا ألهتهم الأماني حتى خرجوا من الدنيا وما لهم حسنة! ويقول أحدهم: إني أحسن الظن بربي وكذب، ولو أحسن الظن لأحسن العمل، وتلا قول الله تعالى: ﴿ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴾.

الجامع لأحكام القرآن (٣٥٣/١٥)

٢) التشاؤم أشعة مقطعية تكشف مقدار الخلل في قلب المتشائم: ﴿وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾.

أ. د. ناصر العمر

٣) عندما يفقد الإنسان التفاؤل، سينطلق في تصرفاته من قاعدة التشاؤم؛ وهنا يكون قد أساء الظن بربه، وجلب على نفسه من المصائب ما لا تطيق، قف متدبرًا هذه الآية، تدرك ماذا جنى المتشائمون عاجلًا وآجلًا: ﴿وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾.

أ. د. ناصر العمر

﴿۞ وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَآءَ فَزَيَّنُوا۟ لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿٢٥﴾﴾

إذا رأيت الإنسان على باطل ويتحدث عن ماضيه وحاضره بلغة المعجب والمفتخر وكأنه محسن؛ فاعلم أنه ممن احتوشته الشياطين، قال تعالى: ﴿وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَآءَ فَزَيَّنُوا۟ لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾.

ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (١٧٤/٧) (بتصرف)

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴿٢٦﴾﴾

١) اشتهر عند مشركي العرب أن القرآن ما خالط قلبًا إلا وجذبه إلى الحنيفية، وقاده إلى جنة الإسلام بسلاسل الإقناع والبرهان، فحملهم الحرص على عقائدهم، وحب البقاء على تقاليدهم على مقاومته بما يمكنهم، فكان أمثل رأي ارتأوه في ذلك ما قصّه الله علينا بقوله: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ﴾ فإذا كان القرآن قد أحيا أولئك الأقوام -مع شدة كراهتهم لهذا النوع من الحياة ومقاومتهم له بما علمنا من المقاومة، وكانوا منه في أمر مريج- فكيف لا يحيينا؟ ونحن نوقن بأنه كلام الله الذي ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾.

محمد رشيد رضا، مجلة المنار (٣٠٦/٢)

٢) في سماع القرآن تأثير عجيب، وقوة لا تقهر، اعترف بها الكفار، وأعلنوا أن إمكانية غلبتهم مرهونة برد هذا التأثير بطريقتين:

١- عدم السماع.

٢- إشاعة اللغو ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسْمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْاْ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾.

فتأمل -يا مؤمن- كيف قالوا: لا تسمعوا، ولم يقولوا لا تستمعوا؟ لماذا؟ لأن في ذلك اعترافًا منهم بقوة تأثير أدنى درجات الاستماع، وهو (السماع)، فكيف بما فوقه؟ وقالوا: ﴿وَٱلْغَوْاْ فِيهِ﴾ فأشعر ذكرُ اللغو (وهو الصياح والصفير) وذكرُ حرف الجر (في) بأن المقصود تداخل ذلك مع أصوات القرآن حتى يكون في أثنائه وخلاله! فأين نحن من هذا المؤثر العظيم؟ ولِمَ لا نجاهدهم به جهادًا كبيرًا؟

د. عويض العطوي

٣) في قول المشركين: ﴿لَا تَسْمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْاْ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾ كل هذه المحاصرة لصوت القرآن؛ حتى لا يصل إلى قلوبهم ولا إلى قلوب غيرهم، وهو متضمن الاعتراف بأن هذا القرآن قادر على اقتحام قلوبهم، وأن ينتزعهم من أنفسهم، وأنه هو هذا الدين، وأن الإفلات منه إفلات من هذا الدين.

أ. د. محمد أبو موسى، آل حم: غافر وفصلت (٣٩٩)

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْءَاخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِيٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾﴾

١) قال الزهري: تلا عمر هذه الآية على المنبر، ثم قال: استقاموا - واللهِ - للهِ بطاعته، ولم يروغوا روغان الثعالب!

تفسير القرآن العظيم لابن كثير (١٧٦/٧)

٢) من كان مشغولًا بالله وبذكره ومحبته في حال حياته، وجد ذلك أحوج ما هو إليه عند خروج روحه إلى الله، ﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾.

ابن القيم، طريق الهجرتين (٣٠٨)

٣) إنها آية من الروعة بمكان! فهي تصل -في إحساس المؤمن- الدنيا بالآخرة، وتملؤه سكينةً وسلامًا، فإنما قبضة الأرواح بالنسبة للمؤمن المستقيم رسل سلام من السلام! ﴿ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ ۙ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ ﴾ (النحل:٣٢).

د. فريد الأنصاري، جمالية الدين (٦٨)

﴿ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾ ﴾

وصف الله نعيم أهل الجنة بقوله: ﴿ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴾ وختمت الآية بهذين الاسمين: الغفور الرحيم؛ للإشارة إلى أن الله غفر لهم أو لأكثرهم اللمم وما تابوا منه، وأنه رحيم بهم؛ لأنهم كانوا يحبونه ويخافونه ويناصرون دينه.

ابن عاشور، التحرير والتنوير (٢٤/٢٨٧)

﴿ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ ﴾

١) ﴿ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ سبحان الله! إنسان بينك وبينه عداوة، وأساء إليك، فيقال لك: ادفع بالتي هي أحسن، فإذا استجبت لأمر الله ودفعت بالتي هي أحسن، يأتيك الثواب: ﴿ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ ﴾؟! الذي يقوله من؟ هو الله ﷻ مقلب القلوب، ما من قلب من قلوب بني آدم إلا بين أصبعين من أصابع الرحمن ﷻ يصرفه كيف يشاء.

ابن عثيمين، شرح رياض الصالحين (١/٢٧٨)

٢) ﴿ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ الدفع بأحسن الأقوال والأعمال موجب لحصول الألفة والاتفاق المقتضي للتعاون على مصالح الدنيا والدين.

العز بن عبد السلام، شجرة المعارف والأحوال (٢٠٩)

٣) وجدت هذه الآية في حياتي: ﴿ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴾ فكلما وقعت خصومه أو سوء فهم، تذكرت هذه الآية، واجتهدت في الإحسان، فأجد تسامحًا عجيبًا، وقناعة ورضا عن نفسي ولله الحمد.

متدبر

٤) ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ﴾ هذا أثر حسن الخلق مع الذي بينك وبينه عداوة؛ فكيف يكون أثره مع من لم يكن بينك وبينه عداوة، بل كيف أثره مع مَن لك معه إلفة وعشرة كزوج وأخ؟ فليكن بذل الخلق الحسن، بل الأحسن سجية لنا في مختلف أحوالنا.

٥) تأملوا أيُّها العارفون باللغة العربية كيف جاءت النتيجة بإذا الفجائية؛ لأن (إذا) الفجائية تدل على الحدوث الفوري في نتيجتها، ولكن ليس كلُّ أحد يوفق لذلك: ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ (فصلت:٣٥).

ابن عثيمين، مكارم الأخلاق ٢٩

﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾﴾

١) أن يخضع لك عدوك كأنه صديق؛ فهذا انتصار! وأن يعصمك الله من الشيطان؛ فهذا انتصار أكبر! قال ابن عباس ﷺ: أمر الله المؤمنين بالصبر عند الغضب، والحلم عند الجهل، والعفو عند الإساءة؛ فإذا فعلوا ذلك، عصمهم الله من الشيطان وخضع لهم عدوهم كأنه ولي حميم.

جامع البيان لابن جرير (٢٠/٤٣٢)

٢) الله يأمر بملاينة العدوِّ الإنسيِّ والإحسانِ إليه؛ لأن ذلك يؤثر فيه، ويأمر بالاستعاذة به من العدوِّ الشيطانيِّ؛ لأنه لا يقبل مصانعةً ولا إحسانًا، ولا يبتغي غيرَ هلاك ابن آدم؛ لشدَّةِ العداوة بينه وبين أبيه آدمَ من قبل.

ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ١١٠/١

٣) قال عمرو بن عثمان المكي: لقد عَلَّمَ الله نبيه ﷺ ما فيه الشفاء، وجوامع النصر، وفواتح العبادة، فقال: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾.

تاريخ بغداد (١٢/٢٢٣)

٤) ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ﴾ الله طرد إبليس من سماواته، ورجمه بالشهب الثواقب؛ فتفرغ اللعين لهذا الكيد العظيم، لا يدع للخير بداية إلا أربكها بقاصف الوساوس ونيران الفتن؛ فجعل الرحمن الاستعاذة لعباده المؤمنين نجاة وأمانًا من كل شيطان رجيم.

د. فريد الأنصاري، مجالس القرآن (١١٩)

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلذِّكۡرِ لَمَّا جَآءَهُمۡۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٞ ٤١ ﴾

١) ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٞ﴾ القرآن عزيز فأعطه أعز الأوقات، لا تكتف بما بين الأذان والصلوات، وأعرف بعض مشايخي يقف في طريق سفره؛ ليقرأ ورده.

د. عبدالكريم الخضير

٢) قد تمر أوقات تنهزم فيها الأمة وتضعف، لكن لا يمكن أن تمر لحظة واحدة ينهزم فيها هذا الكتاب؛ لأن الله يقول: ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٞ﴾.

د. محمد الراوي، سورة هود (شريط)

﴿وَلَوۡ جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَانًا أَعۡجَمِيّٗا لَّقَالُواْ لَوۡلَا فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥٓۖ ءَا۬عۡجَمِيّٞ وَعَرَبِيّٞۗ قُلۡ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدٗى وَشِفَآءٞۚ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٞ وَهُوَ عَلَيۡهِمۡ عَمًىۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُنَادَوۡنَ مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ ٤٤﴾

تأمل إخباره ﷺ عن القرآن بأنه نفسه شفاء: ﴿قُلۡ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدٗى وَشِفَآءٞ﴾، وقال عن العسل: ﴿فِيهِ شِفَآءٞ لِّلنَّاسِ﴾ النحل: ٦٩، وما كان نفسه شفاء أبلغ مما جعل فيه شفاء.

ابن القيم، مفتاح دار السعادة (١/٢٥٠)

﴿ مَّنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا فَلِنَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ أَسَآءَ فَعَلَيۡهَاۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ ٤٦ ﴾

﴿ مَّنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا فَلِنَفۡسِهِۦ﴾

﴿ مَّنِ ٱهۡتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهۡتَدِي لِنَفۡسِهِۦ﴾ (الإسراء:١٥).

﴿وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفۡسِهِۦ﴾ (فاطر: ١٨).

﴿وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفۡسِهِۦٓ﴾ (العنكبوت:٦).

أي شيء أبلغ من هذا الحشد من الآيات في تربية القرآن لأهله ليعتنوا بتربية نفوسهم، وتعبيدها لرب العالمين؟

أ. د. عبدالعزيز العويد

سُورَةُ الشُّورَىٰ

﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَالَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ اللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾﴾

من طرق التدبر: الاستدلال المركب من آيتين فأكثر، كهذا النموذج:

في قوله تعالى: ﴿وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ﴾ مع قوله: ﴿وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ﴾ (لقمان:١٥)، مع العلم بأحوال الصحابة ﷺ، وشدة إنابتهم، دليل على أن قولهم حجة، خصوصًا الخلفاء الراشدين ﷺ.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن (٧٥٤)

﴿وَالَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِى اللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُۥ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿١٦﴾﴾

فيها أكبر برهان على أن من آمن بالله ورسوله إيمانًا تامًا، وعلم مراد الرسول ﷺ قطعًا، تيقن ثبوت جميع ما أخبر به، وعلم أن ما عارض ذلك فهو باطل، وأنه ليس بعد الحق إلا الضلال.

السعدي، فتح الرحيم الملك العلام (١٧٠)

﴿اللَّهُ لَطِيفٌۢ بِعِبَادِهِۦ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ الْقَوِىُّ الْعَزِيزُ ﴿١٩﴾﴾

أوصى ابن قدامة ﷺ أحد إخوانه قائلًا: واعلم أن من هو في البحر -على اللوح- ليس بأحوج إلى الله وإلى لطفه ممن هو في بيته بين أهله وماله؛ فإذا حققت هذا في قلبك، فاعتمد على الله اعتماد الغريق الذي لا يعلم له سبب نجاة غير الله.

الوصية المباركة (٧٧)

﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴿٢٠﴾﴾

قال قتادة ﵀: من يُؤثِر دنياه على آخرته، لم يجعل الله له نصيبًا في الآخرة إلا النار، ولم يزدد بذلك من الدنيا شيئًا، إلا رزقًا قد فُرغ منه وقُسِم له: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ﴾.

الدر المنثور (٧/٣٤٣)

﴿ذَٰلِكَ ٱلَّذِى يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ۗ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٢٣﴾﴾

يتساءل كثيرون عن الدليل الشرعي على مقولة: إن من ثواب الحسنة الحسنة بعدها!

والجواب هو: قوله تعالى: ﴿وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا﴾.

تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٧/٢٠٤)

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُوا۟ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٢٥﴾﴾

لما كانت التوبة عملًا من الأعمال العظيمة التي قد تكون كاملة، وقد تكون ناقصة، وقد تكون فاسدة إذا كان الغرض منها دنيويًا، وكان محل ذلك القلب الذي لا يعلمه إلا الله؛ ختم هذه الآية بقوله: ﴿وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن (٧٥٨) (بتصرف يسير)

﴿وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۚ وَٱلْكَٰفِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿٢٦﴾﴾

﴿وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ أي: يستجيب دعاء المؤمنين لأنفسهم، ﴿وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ﴾ فيستجيب دعاءهم لإخوانهم، وهذا من بركة الصالحين، ومن سعة فضل الله ورحمته وكرمه، إذ يغري المؤمنين بالدعاء لأنفسهم ولإخوانهم؛ ليتفضل عليهم، قال سفيان: يا من أحب عباده إليه من سأله فأكثر سؤاله، ويا من أبغض عباده إليه من لم يسأله، وليس كذلك غيرك يا رب[1].

د. عبدالله السكاكر

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٧/ ١٥٣

﴿ وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْاْ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرُۢ بَصِيرٞ ﴿٢٧﴾ ﴾

١) قال قتادة رحمه الله: يقال: خير الرزق ما لا يطغيك، ولا يلهيك.

جامع البيان للطبري (٢١/٥٣٦)

٢) الآية دليلٌ على أنَّ كثرة المال سببٌ لفساد الدين إلاَّ من عصمَه الله، فهو معصوم مخصوص بالكرامة، كما كان أغنياءُ الصحابة، ومن لم يعصمه؛ فكثرةُ المال له مَهلكٌ.

القصاب، نكت القرآن (٤/١١٢)

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُواْ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥۚ وَهُوَ ٱلْوَلِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٨﴾ ﴾

١) كم في القرآن من بشائر ومفاتح تفاؤل! ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُواْ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ﴾ فها هي الأرض تسقى بعد جدبها؛ فلننتظر بشائر عزة الأمة ونصرها ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا﴾ يوسف: ١١٠، ولنتفاءل بعودة الغائب بعد طول عناء ﴿وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ﴾ يوسف: ٨٧، فأملوا خيرًا ﴿لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ﴾ الزمر: ٥٣ مهما طال الزمن واستحكم البلاء.

أ. د. ناصر العمر

٢) ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُواْ﴾؛ أي: يَئِسُوا من نزوله، ﴿وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥۚ وَهُوَ ٱلْوَلِيُّ ٱلْحَمِيدُ﴾، لنقف وقفة تدبُّر، ولنتذكر حالنا في العام الماضي حين قل المطر، والله لولا ربُّنا ومولانا ما نزلت قطرةٌ واحدةٌ من السماء، إنها وقفةٌ تورث ذلًّا، وافتقارًا، وإخباتًا للملك الرزَّاق الكبير.

٣) ومناسبة ختم الآية بهذين الاسمين الكريمين: ﴿ٱلْوَلِيُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ دون غيرهما؛ لمناسبتهما للإغاثة؛ لأنَّ الولي يحسن إلى مواليه، والحميد يعطي ما يُحمد عليه.

ابن عاشور، التحرير والتنوير (٢٥/١٥٨)

﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٖ ﴿٣٠﴾ ﴾

١) قيل لأبي سليمان الداراني: ما بال العقلاء أزالوا اللوم عمن أساءهم؟ قال: إنهم علموا أن الله إنما ابتلاهم بذنوبهم، ثم قرأ هذه الآية: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٖ﴾.

الآداب الشرعية لابن مفلح (٢/٢٩٥)

٢) المعاصي كلها إذا ظهرت ولم تنكر، ضرت العامة، وهي من أسباب الخذلان، وتسليط الأعداء، وحصول الكثير من المصائب، كما أنها من أسباب قسوة القلب وانتكاسه، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ﴾ (الشورى:٣٠)، ﴿أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلۡحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلُ فَطَالَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَمَدُ فَقَسَتۡ قُلُوبُهُمۡۖ وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ﴾ (الحديد:١٦).

ابن باز، مجموع فتاواه (١٨/٧)

٣) أثر المعاصي في الحرمان من العلم النافع معلوم بالنصِّ والواقع، كما قال الله سبحانه: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ﴾، ولا ريب أنَّ حرمان العلم النافع من أعظم المصائب.

ابن باز، فتاواه (٢٤٢/٦)

٤) يثير البعض جدلًا حول صحة الأثر: «ما نزل بلاء إلا بذنبٍ، وما رُفع إلا بتوبة»[1]، ومهما تُكلِّم في سنده، فمعناه صحيح قطعًا، ألم يتدبر هؤلاء قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ﴾؟ ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمۡ وَهُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ﴾ (الأنفال:٣٣).

أ. د. ناصر العمر

﴿وَٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُواْ هُمۡ يَغۡفِرُونَ ٣٧﴾

﴿وَإِذَا مَا غَضِبُواْ هُمۡ يَغۡفِرُونَ﴾ أذكر أنني في ليلة اختلفت مع زوجي وغضبت، وبعد أن خرج من المنزل أخذت المصحف؛ لأقرأ وبدون تعمد فتحت صفحة وبدأت أقرأ، حتى مررت بهذه الآية، ووالله لكأنني لأول مرة أعلم أنها آية من كتاب الله، فأعدتها مرارًا فوجدت بردها على قلبي، وهدأ غضبي وقررت الصفح عن شريك حياتي استجابة لأمر ربي.

متدبرة

﴿وَٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِرَبِّهِمۡ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمۡرُهُمۡ شُورَىٰ بَيۡنَهُمۡ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣٨﴾

١) قال الحسن ﷺ: ما تشاور قوم قط إلا هُدُوا، وأُرشِد أمرهم، ثم تلا: ﴿وَأَمۡرُهُمۡ شُورَىٰ بَيۡنَهُمۡ﴾.

الدر المنثور (٣٥٧/٧)

---

(١) المجالسة وجواهر العلم ح(٧٢٧).

٢) ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ حين يقرأ بعض الناس هذه الآية لا يكاد ينصرف ذهنه إلا إلى المجال العسكري أو السياسي! إن الشورى أسلوب حياة، ينبغي أن يمارس في الأسرة، والعمل وفي كل المجالات.

أ. د. عبدالكريم بكار، التواصل الأسري (١١)

﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴿٣٩﴾﴾

مدحهم بالانتصار؛ لأنهم لم يزيدوا عليه، إذ لو زادوا عليه، لكان تعديًا ولم يكن انتصارًا.

العز بن عبدالسلام، شجرة المعارف (٣٢٥)

﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿٤٠﴾﴾

قلوب أصلحها القرآن:

كان الحسن البصري يدعو ذات ليلة: اللَّهُمَّ اعف عمن ظلمني، فأكثر في ذلك؛ فقال له رجل: يا أبا سعيد، لقد سمعتك الليلة تدعو لمن ظلمك! حتى تمنيت أن أكون فيمن ظلمك، فما دعاك إلى ذلك؟ قال: قوله تعالى: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾.

ابن بطال، شرح البخاري (٦/٥٧٥)

﴿وَلَمَنِ انتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَٰئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ ﴿٤١﴾﴾

المظلوم وإن كان مأذونًا له في دفع الظلم عنه بقوله تعالى: ﴿وَلَمَنِ انتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَٰئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ﴾ فذلك مشروط بشرطين: أحدهما: القدرة على ذلك، والثاني: ألا يعتدي، فإذا كان عاجزًا، أو كان الانتصار يفضي إلى عدوان زائد؛ لم يجز.

ابن تيمية، الاستقامة (١/٤٠)

﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ۚ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٢﴾﴾

كتب عمر إلى عامل له: أما بعد؛ فلتجف يداك من دماء المسلمين، وبطنك من أموالهم، ولسانك عن أعراضهم، فإذا فعلت ذلك، فليس عليك سبيل، ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ﴾.

حلية الأولياء (٥/٣٠٧)

﴿ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿٤٣﴾ ﴾

العفو من أعظم وسائل التربية للنفس وإعدادها، والعفو تهيئة للقيادة، فالذي لا يستطيع أن يقود نفسه بالحلم والعفو والتجاوز، كيف سيستطيع أن يقود غيره من المسلمين؟ فلو التزمنا العفو -والله- لوجدنا من الخير ما لا يخطر على بال.

أ. د. ناصر العمر

﴿ لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ ﴾

١) بدأ بذكر الإناث، فقدم ما كانت تؤخره الجاهلية من أمر البنات؛ حتى كانوا يئدونهن؛ أي: هذا النوع المؤخر عندكم، مقدم عندي في الذكر، وتأمل كيف نكر سبحانه الإناث، وعرف الذكور؛ فجبر نقص الأنوثة بالتقديم، وجبر نقص التأخير بالتعريف فإن التعريف تنويه.

ابن القيم، تحفة المودود بأحكام المولود (٢١)

٢) في العطية من الله قُدمت الأنثى، وحق لها أن تفتخر بهذا التكريم، فمن رزق البنات، فعليه أن يشكر الله تعالى؛ لأنه سمى ذلك هبة، وفي هذا في رد على أولئك الجاهليين الذين كانوا ينتقصون من حق الأنثى، وينزعجون عندما يبشر أحدهم بها.

د. عويض العطوي، كيف نتدبر القرآن (شريط)

﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ ﴾

لا يموت قلب خالطت نبضه آيات القرآن، كما أنه لا حياة لقلب خلي منها: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾، ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا﴾ (الأنعام:١٢٢).

د. فريد الأنصاري، بلاغ الرسالة القرآنية (٤١)

سُورَةُ الزُّخْرُفِ

﴿ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٣ ﴾

تدبُّر الكلام إنما يُنتفع به إذا فُهِمَ، قال تعالى: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ فمن عرف الخير والشر فلم يتبع الخير ويحذر الشر، لم يكن عاقلًا؛ ولهذا لا يُعد عاقلًا إلا من فعل ما ينفعه واجتنب ما يضره.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى (١٥/١٠٨)

﴿ لِتَسْتَوُۥا عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ۝١٣ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ۝١٤ ﴾

١) ليستعذ المؤمن -وهو يقرأ هذه الآية- من مقام من يقول لقرنائه: تعالوا نتنزه على الخيل أو في بعض الزوارق؛ فيركبون حاملين مع أنفسهم أواني الخمر والمعازف، فلا يزالون يسقون حتى تميل طِلاهم -أعناقهم- وهم على ظهور الدواب، أو في بطون السفن وهي تجري بهم، لا يذكرون إلا الشيطان، ولا يمتثلون إلا أوامره!

الزمخشري، الكشاف (٤/٢٤٠)

٢) لما كان الركوب مباشرة أمر خطر واتصالًا بسبب من أسباب التلف؛ كان من حق الراكب ألَّا ينسى أنه منقلب إلى الله غير منفلت من قضائه، ولا يدع ذكر ذلك بقلبه ولسانه؛ حتى يكون مستعدًا للقاء الله بإصلاحه من نفسه.

الزمخشري، الكشاف (٤/٢٤٤)

٣) لما ذكر الباري نعمته على العباد بتيسير الركوب للأنعام والفلك، قال: ﴿ لِتَسْتَوُۥا عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ۝١٣ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ۝١٤ ﴾ ذكر فيها أركان الشكر الثلاثة، وهي:

- الاعتراف والتذكر لنعمة الله.
- والتحدث بها، والثناء على الله بها.
- والاستعانة بها على عبادته.

السعدي، تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن (١/٣٤٥)

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِي بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ (٢٦) إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ (٢٧) ﴾

١) قال إبراهيم عليه السلام: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى ﴾ ولم يقل (إلا الله)؛ لفائدتين:

١- الإشارة إلى علة إفراد الله بالعبادة؛ لأنه كما أنه منفرد بالخلق، فيجب أن يفرد بالعبادة.

٢- الإشارة إلى بطلان عبادة الأصنام؛ لأنها لم تفطركم حتى تعبدوها، وهذه من البلاغة التامة في تعبير إبراهيم عليه السلام.

ابن عثيمين، القول المفيد على كتاب التوحيد (١/١٥٠)

٢) من العدل وكمال العقل: عدم رد ما عليه المخالف جملة، إذا كان عنده شيء من الحق ولو كان كافرًا؛ تأمل دقة استثناء إبراهيم عليه السلام في خطابه لقومه: ﴿إِنَّنِي بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ (٢٦) إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى ﴾، وكذلك قال الفتية: ﴿وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ ﴾ (الكهف:١٦)، على القول بأن الاستثناء متصل في الموضعين.

أ. د. ناصر العمر

﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ (٣٢) ﴾

١) قال قتادة في قوله تعالى: ﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ فتلقاه ضعيف الحيلة، عيَّ اللسان، وهو مبسوط له في الرزق، وتلقاه شديد الحيلة، سليط اللسان، وهو مقتور عليه، قال الله -جل ثناؤه-: ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾، كما قسم بينهم صورهم وأخلاقهم تبارك ربنا وتعالى.

جامع البيان ٢٠/٥٨٤

٢) قال حاتم الأصم: رأيت الناس يذمُّ بعضُهم بعضًا، ويغتاب بعضُهم بعضًا، فوجدت أصلَ ذلك مِنَ الحسدِ في المال والجاه والعلم، فتأمَّلتُ في قوله تعالى: ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ ﴾؛ فعلمت أنَّ القسمةَ كانت من الله في الأزل، فما حسدت أحدًا، ورضيت بقسمة الله تعالى.

أيها الولد للغزالي (١٢١ - ١٢٨)

﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ ﴾

قال سفيان بن عيينة ﷺ: ليس مثل من أمثال العرب إلا وأصلُه في كتاب الله تعالى، قيل له: فأين قول الناس: أعط أخاك تمرةً، فإن أبى فجمرة؟ قال: في قوله: ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴾.

بحر العلوم (١١١/٤)

﴿ فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾ ﴾

١) ما كان الصدر الأول من سلفنا صالحًا بالجبلة والطبع، فالرعيل منهم -وهم الصحابة- كانوا في جاهلية جهلاء كبقية العرب، وإنما أصلحهم القرآن لما استمسكوا بعروته واهتدوا بهديه، ووقفوا عند حدوده، وحكموه في أنفسهم، فبذلك أصبحوا صالحين مصلحين، سادة في غير جبرية، وقادة في غير عنف.

البشير الإبراهيمي، آثاره (٢٢٧/٤)

٢) إذا أمر الرسول ﷺ بالاستمساك بالحق -وهو المؤيد بالوحي وبالآيات، المضمون له أعلى المقامات-، فكيف بمن ليس له مؤيدات ولا ضمانات، وقد احتوشته الشهوات والشبهات؟!

د. عبدالله السكاكر

٣) هل يظن عاقل -بعد هذه الآية- أنه ينجو أو يهتدي للحق أو يثبت على الصراط المستقيم بغير القرآن والسنة؟

فهد العيبان

﴿ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾

١) قال الحسن البصري ﷺ: استكثروا من الأصدقاء المؤمنين؛ فإن الرجل منهم يشفع في قريبه وصديقه، فإذا رأى الكفار ذلك قالوا: ﴿ فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾ ﴾.

تفسير معاني القرآن للنحاس (٢١٢/٦)

٢) مر بعض المتعففين على جارية تغني، فأعجبته وطرب، وقال: والله إني أحبك! فقالت: نفسي بين يديك فما يمنعك؟ فقال: يمنعني قول الله تعالى: ﴿ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴾، وأخاف أن تكون خلتنا اليوم عداوة يوم القيامة.

محاضرات الأدباء (٢٤٩/٢)

٣) سألني بعض من له دراية بعلوم الفلسفة، فقال: إن الحكماء يقولون: إن الصداقة لا تدوم إلا بين الفضلاء، فهل يوجد هذا المعنى في القرآن؟ فقلت له: نعم..! هو في قوله تعالى: ﴿ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴾، فهذا يدل على أن الفضلاء يستمرون على صداقتهم رغم الأهوال العظيمة.

محمد الخضر حسين، المجموعة الكاملة (٢/٧٥)

٤) الإسلام لم يهذِّب الحبَّ ويزكيه فحسب، بل جعله عبادة يتعبد بها المؤمن، ويستشعر لذَّتها، ويرجو بها رضوان ربه، فما أسوأ أن تزول هذه المعاني العظيمة، وتختزل هذه المحبة في وردةٍ حمراء سرعان ما تذبل، ويختصر زمن التعبير عنها في يوم واحد، تأمل في خلود حبِّ المتقين: ﴿ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴾.

أ. د. إبتسام الجابري

٥) ﴿ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ إنها قاعدة مُطَّردة في بيان مصير أيِّ نوع من العلاقات، فتخير أيها الطالب ويا أيتها الطالبة كيف تكون النهاية؟! فتش في زملاء الفصل، وفيمن ينشئ العلاقة أثناء الفسح، ونهاية الدوام، واختر اليوم صديقًا لا يعاديك يوم القيامة، وتذكَّر أن صحبة التقوى ثمارُها تمتد إلى عالم الآخرة، ألا ما أجمل التقوى حين تزين علاقاتنا، بل حياتنا كلها.

د. عمر المقبل

﴿ لَقَدْ جِئْنَٰكُم بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾

القرآن يتلى على الناس في دنياهم قبل أن يصلوا إلى أخراهم؛ لكي يسارعوا إلى اتباعه والعمل به، ولا يكونوا من أولئك الذين يقال لهم -وهم في عذاب جهنم خالدون-: ﴿ لَقَدْ جِئْنَٰكُم بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴾.

د. محمد الراوي، حديث القرآن عن القرآن (١٤)

سُورَةُ الدُّخَانِ

﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ٣﴾

١) ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍ﴾ في كثرة خيراتها، مباركة في سعة فوائدها ومبراتها، ومن بركتها: أنها تفوق ليالي الدهر، وأن من قامها إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه، أما يحق لك -أيها المؤمن- أن تجرد قلبك في هذه الليلة من جميع الأشغال؟ وأن تقبل بكليتك إلى طاعة ذي العظمة والجلال؟ وأن تعترف بذنوبك وفاقتك وافتقارك؟ وأن تتوسل إليه مخلصًا في خضوعك وانكسارك؟

السعدي، الفواكه الشهية في الخطب المنبرية (٢١٤)

٢) ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍ﴾ تدبر كيف جمع الله في ليلة القدر أنواع البركات: فالقرآن مبارك، ونزل في ليلة مباركة، وفي شهر مبارك، ومكان مبارك، ونزل به أكثر الملائكة بركة على أكثر البشر بركة، وواهب البركات كلها هو الله ﷻ؛ فحري بالمؤمن أن يجتهد لعله يدرك بركة هذه الليلة، فينعم ببركتها في الدنيا والبرزخ والآخرة.

د. عبدالله الغفيلي

٣) تأمل العلاقة الوثيقة بين الليل وبين القرآن في آيات كثيرة، وتتأكد في رمضان ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍ﴾، ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ﴾ (القدر:١)، ﴿وَقُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِۖ إِنَّ قُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِ كَانَ مَشۡهُودٗا﴾ (الإسراء: ٧٨)، ﴿قُمِ ٱلَّيۡلَ﴾ (المزمل: ٢)، فهل أنت تقضي ليلك في رمضان مع القرآن تاليًا متدبرًا؟ ﴿وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا﴾ (المزمل: ٤) وتأمل حال كثيرين في ليالي رمضان تحزن!!

أ. د. ناصر العمر

٤) ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍ﴾ كم مرت بك هذه الآية من مرّة؟ وكم مرة توقفت قليلًا؛ لتعدد ما تستطيع من بركاتها؟ فماذا أنت قائل؟!

﴿ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۝٤ ﴾

﴿ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴾ فتأمل في قوله (حكيم)؛ ليتبين للمؤمن أن أوامره محكمة متقنة، ليس فيها خلل ولا نقص ولا سفه ولا باطل، ذلك تقدير العزيز العليم.

ابن عثيمين، مجالس شهر رمضان (١٠٤/١)

﴿ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ وَمَا كَانُوا۟ مُنظَرِينَ ۝٢٩ ﴾

قال سعيد بن جبير: لم تبك عليهم السماء؛ لأنهم لم يكونوا يرفع لهم فيها عمل صالح، ولم تبك عليهم الأرض؛ لأنهم لم يكونوا يعملون فيها بعمل صالح.

الدر المنثور (٧/ ٤١٢)

﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ۝٤٩ ﴾

السياق يرشد إلى بيان المجمل، وتعيين المحتمل، وتخصيص العام، وتقييد المطلق، وتنوع الدلالة، وهو من أعظم القرائن الدالة على مراد المتكلم؛ فمن أهمله غلط في نظره، وغالط في مناظرته، فانظر إلى قوله: ﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴾ كيف تجد سياقه يدل على أنه الذليل الحقير.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن (٣٤)

سُورَةُ الجَاثِيَةِ

﴿ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزۡقٖ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَا وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ءَايَٰتٞ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ﴿٥﴾ ﴾

١) ﴿وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ءَايَٰتٞ﴾ في تنوع جهاتها، وفي قوتها، فلو أن جميع مكائن الدنيا كلها اجتمعت، وصارت على أقوى ما يكون من نَفْث هواء لا يمكن أن تحرك ساكنًا إلا فيما حولها فقط، لكن أن تصل من أقصى الشمال إلى الجنوب، أو بالعكس فلا.

ابن عثيمين، تفسير الفاتحة والبقرة (٢/٢١٦)

٢) ﴿وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ءَايَٰتٞ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ﴾ ألا إنَّ العاقل حقًّا إذا شاهد قُدرة الله في تصريف هذه الرياح وتقليبها شمالًا وجنوبًا، وليلًا ونهارًا، وما تحمله من أمطارٍ وأخطارٍ؛ أورثه ذلك تعظيمًا لله، وخوفًا من عذابِه، ولم يأمن مكر الله: ﴿أَمۡ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ حَاصِبٗاۖ فَسَتَعۡلَمُونَ كَيۡفَ نَذِيرِ﴾ (الملك:١٧).

د. عبدالله الغفيلي

﴿ يَسۡمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسۡتَكۡبِرٗا كَأَن لَّمۡ يَسۡمَعۡهَاۖ فَبَشِّرۡهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ﴿٨﴾ ﴾

وهذه الصورة البغيضةُ -مع أنَّها صورة فريق من المشركين في مكة- إلا أنها تتكرَّر في كلِّ عصر، فكم في الناس من يسمع آيات الله تتلى عليه ثم يُصرُّ مستكبرًا كأن لم يسمعها؟! لأنها لا توافق هواه، ولا تسير مع مألوفه، ولا تتمشى له مع اتجاه.

سيد قطب، في ظلال القرآن (٥/٣٢٢٥)

﴿ قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَغۡفِرُواْ لِلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ لِيَجۡزِيَ قَوۡمَۢا بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿١٤﴾ ﴾

زرت أحد العباد -في سن السبعين-، فذكر موقفًا حصل له أيام شبابه، حيث دخل سجن التوقيف مع خصم له، في قضية حقوقية، قال: والحق معي، وكان خصمي سفيهًا، وكنت أوقظه للصلاة، فقد كان مقصرًا فيها، وعندما أتى علينا وقت السحر؛ توضأت وأخذت المصحف وصليت، وبدأت بالجاثية، فلما بلغت قوله تعالى: ﴿قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَغۡفِرُواْ لِلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ﴾ تأثرت بها كثيرًا، وبكيت منها بكاء طويلًا، وعفوت عن خصمي بسببها.

متدبر

﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾ ﴾

١) قال مسروق عن رجل من أهل مكة: هذا مقام تميم الداري، لقد رأيته ذات ليلة حتى أصبح أو قرب أن يصبح، يقرأ آية من كتاب الله ويركع ويسجد ويبكي: ﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾.

الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٦/ ١٦٦)

٢) قال عبد الرحمن بن عجلان: بِتُّ عند الربيع بن خيثم ذات ليلة، فقام يصلي فمر بهذه الآية: ﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾، فمكث ليلته حتى أصبح، ما جاوز هذه الآية إلى غيرها ببكاء شديد.

الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٦ / ١٦٦)

٣) هل تعرف الآية التي تُسمَّى مبكاة العابدين؟ ﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ قال الثعلبي: «هذه الآية تُسمَّى: مبكاة العابدين».

كان الفضيل بن عياض إذا قرأ هذه الآية يقول لنفسه: «ليت شعري! مِن أيِّ الفريقين أنت؟!»، فما يقول أمثالنا؟

المحرر الوجيز (٥ / ٧٥)

٤) يا من يطمع في علو الدرجات من غير عمل صالح، هيهات هيهات: ﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾.

ابن رجب، اختيار الأولى (١١)

﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾

١) علق الحسن البصري ﷺ على هذه الآية: ﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ ﴾ فقال: هو المنافق لا يهوى شيئًا إلا ركبه!

ذم الهوى لابن الجوزي (١٧)

٢) مخالفة ما تهوى الأنفس شاقة، وكفى شاهدًا على ذلك حال المشركين وغيرهم ممن أصرّ على ما هو عليه؛ حتى رضوا بإهلاك النفوس والأموال ولم يرضوا بمخالفة الهوى، حتى قال تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾.

الشاطبي، الموافقات (٢/١٥٣)

٣) آية من كتاب الله كانت سببًا بعد -توفيق الله- في تركي لمعصية طالما نغصت علي حياتي، هي قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ اللَّهِ﴾.

متدبر

﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ الْمُبْطِلُونَ ﴿٢٧﴾﴾

﴿يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ الْمُبْطِلُونَ﴾ دخل سفيان الثوري المدينة يومًا، فوجد شيخًا اسمه «المعافري» يحدث الناس بما يضحكهم به، فقال له يا شيخ: اتق الله! أما تعلم أن لله يومًا يخسر فيه المبطلون؟! قال الراوي: فما زالت تُعرف في وجه المعافري حتى لقي ربه.

تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٧/٢٧٠)

فهل يعي هذا المعنى المبطلون، ومن ضيعوا أوقاتهم مع المبطلين؟

سُورَةُ الأَحْقَافِ

﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ ۖ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ (١٥) ﴾

١) قال مالك بن مِغوَل: شكى أبو مَعشَر أحدَ أبنائه إلى طلحة بن مُصرِّف، فقال: استعن عليه بهذه الآية: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ ۖ﴾.

حلية الأولياء (١٩/٥)

٢) تأمل قوله تعالى: ﴿وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا﴾ فلم يكتف بذلك، بل قال: (ترضاه) فيا لتلك الهمم العالية، ويا لعلو رغبات المخلصين!

متدبر

٣) ﴿وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ﴾ تأمل كيف جعل صلاح الذرية من صلاح النفس؛ لعظيم أثر الذرية على الإنسان في دنياه وآخرته.

أ. د. عبدالعزيز العويد

﴿ وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟ ۖ وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (١٩) ﴾

﴿ وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟ ﴾ فحظ كل واحد من صلاته بقدر خوفه وخشوعه وتعظيمه؛ فإن موضع نظر الله -سبحانه- القلوب، دون ظاهر الحركات.

أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين (١٦٣/١)

﴿ وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ (٢٠) ﴾

أتي عبد الرحمن بن عوف بطعام -وكان صائمًا-، فقال: قتل مصعب بن عمير وهو خير مني، كُفِّن في بُردةٍ، إن غُطِّي رأسه بدت رجلاه، وإن غطي رجلاه بدا رأسه، وقتل حمزة وهو خير مني، ثم بُسط لنا من الدنيا ما بُسط، وقد خشينا أن تكون حسناتُنا عُجِّلت لنا، ثم جعل يبكي حتى ترك الطعام[1].

وابن عوف من العشرة المبشرين بالجنة، لكن المؤمن يهضم نفسه.

---

(١) البخاري ح (١٢١٦).

﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا ۚ بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُم بِهِ ۖ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾﴾

١) ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا﴾ من حكمة الله تعالى أن الريح لم تأتهم هكذا، وإنما جاءتهم وهم يؤملون الغيث والرحمة؛ فكان وقعها أشد، ومجيء العذاب في حال يتأمل فيها الإنسان كشف الضر يكون أعظم وأعظم.

ابن عثيمين، شرح رياض الصالحين (١/٣٣٤)

٢) التحولات السلبية الكبرى التي تمر بالبلدان والأمم كالريح، تسبق بإرهاص وإنذار، وما لم يتعامل مع تلك المقدمات بجدية وحكمة وحزم؛ كان الدمار والبوار: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا﴾.

أ. د. ناصر العمر

٣) عندما تُصرف القلوب عما فُطرت عليه بمؤثرات الشبهات والشهوات؛ ستفسر الأحداث تفسيرًا مضادًا لأسبابها وآثارها، فلا تتعظ بالآيات والنذر؛ حتى يحل بها العذاب والهلاك، قف متدبرًا: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا﴾ ثم تأمل سبب ذلك: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ (الأعراف: ١٤٦).

أ. د. ناصر العمر

﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا ۖ فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾﴾

قال تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا ۖ فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾﴾، وقال: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ﴿١﴾﴾ (الجن: ١)، حين تقرأ كلام أولئك الجن عن القرآن يتملكك العجب! أفي جلسة واحدة صنع بهم القرآن كل هذا؟ مع أنهم يقينًا لم يسمعوا إلا شيئًا يسيرًا من القرآن! إنك -لو تأملت- لانكشف لك سر هذا: إنه استماعهم الواعي وتدبرهم لما سمعوه، وشعورهم أنهم معنيون بتلك الآيات، فمتى قال أحدنا: إنا سمعنا قرآنًا عجبًا؟

د. عمر المقبل

سُورَةُ مُحَمَّدٍ

﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّواْ ٱلْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنَّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ۚ ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَاْ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ ۗ وَٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٤﴾ ﴾

ما أعظم ما تسكبُه هذه الآية في قلب المتدبر لها من طمأنينة ويقين بحكمة الله وعلمه، وأنه سبحانه لا يَعجل لعجلة عباده، وأن من وراء ما يحصل حِكَمًا بالغةً، تتقاصر دونها عقول البشر وأفهامهم.

د. عمر المقبل

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾ ﴾

من استشعر التقوى في مقاصده، وأخلص النيَّة لله في أعماله، لم يسلمه الله إلى عدوِّه، ولم يُعْلِه عليه، وكان الظفر له على مَن ناوأه.

القصاب، نكت القرآن (١٥٠/٤)

﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ دَمَّرَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ۖ وَلِلْكَٰفِرِينَ أَمْثَٰلُهَا ﴿١٠﴾ ﴾

أمر الله بالسير، والسير ينقسم إلى قسمين: سير بالقدم، وسير بالقلب. أما السير بالقدم: فبأن يسير الإنسان في الأرض على أقدامه، أو راحلته لينظر ماذا حصل للكافرين وما صارت إليه حالهم. وأما السير بالقلب: فبالتأمل والتفكر فيما نقل من أخبارهم.

ابن عثيمين، شرح رياض الصالحين (٥٨٩/١)

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴿١٢﴾ ﴾

١) فوا أسفاه وواحسرتاه! كيف ينقضي الزمان، وينفد العمر، والقلب محجوب عن ربه؟ وخرج من الدنيا كما دخل إليها، وما ذاق أطيب ما فيها، بل عاش فيها عيش البهائم، وانتقل منها انتقال المفاليس، الذين ﴿ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴾.

ابن القيم، طريق الهجرتين (٢١١)

٢) هل يتميز الإنسان من الحيوان إلا بأنه يدرك غاية الحياة؟ أما من يأكل كما تأكل الأنعام، ويشرب كما تشرب، ويلد كما تلد، فهو مثلها أو أضل منها سبيلًا ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ﴾.

الطنطاوي، نور وهداية (٣٣)

٣) ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ﴾ ساووا الأنعام في العاجلة، وفاقتهم في الآجلة.

د. محمد الحمد

﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ ﴿١٥﴾﴾

لا يحتمل الإنسان ارتفاع حرارة جسمه ولو درجات قليلة! فكيف إذا جلبها لجوفه؟ تأمل: ﴿وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾ هذا ما حدث للأمعاء وهي في آخر الجوف؛ فما ظنك بما فوقها من أعضاء الجسم؟! نسأل الله العافية.

متدبر

﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ ﴿١٧﴾﴾

١) ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾ مثال تولّد الطاعة كمثل نواةٍ غرستها، فصارت شجرة، ثم أثمرت، فأُكِلَت ثمارُها، وغُرِسَت نواها، فكلما أثمر منها شيء، جنيت ثمره، وغرست نواه، وكذلك تداعي المعاصي، فليتدبر اللبيب هذا المثال، فمِن ثوابِ الحسنةِ الحسنةُ بعدها، ومن عقوبة السيِّئةِ السيئةُ بعدها.

ابن القيم، الفوائد (٣٥)

٢) الذي أُوصي به أبنائي الطلاب: تقوى الله في جميع الأحوال، والحرص على العلم، والعناية بالمقرَّرات والمذاكرة فيما بينهم، والإصغاء للمدرسين، والسؤال عما يشكل في الدرس بأسلوب حسن، ومن أهم أسباب التحصيل: إصلاح النية، وحفظ الوقت، والعمل بما عَلِمَ، وفي بعض الآثار: «مَن عَمِلَ بما عَلِمَ أورثه الله عِلْمَ ما لم يَعلم»[1]، وشاهده في كتاب الله: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾.

ابن باز، فتاواه (٦/٢٤٢)

(١) حلية الأولياء (٦/١٦٣).

٣) تأمّل كيف يكون الجزاءُ من جنس العمل في أمرين عظيمين يغفل عنهما أكثر الخلق: الزيغ والاهتداء، قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ زَادَهُمۡ هُدٗى وَءَاتَىٰهُمۡ تَقۡوَىٰهُمۡ ﴾، وقال: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴾ (الصف:٥).

د. محمد الخضيري

﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ﴿١٩﴾ ﴾

﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ ﴾ بالتوحيد يقوى العبد ويستغني؛ فلا يزول فقر العبد وفاقته إلا به، وإذا لم يحصل له، لم يزل فقيرًا محتاجًا مُعذَّبًا في طلبه، وإذا حصل مع التوحيد الاستغفار؛ حصل له غناه وسعادته وزال عنه ما يعذبه.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى (٥٦/١)

﴿ طَاعَةٞ وَقَوۡلٞ مَّعۡرُوفٞۚ فَإِذَا عَزَمَ ٱلۡأَمۡرُ فَلَوۡ صَدَقُواْ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡ ﴿٢١﴾ ﴾

استعد! فبعد أن تفتح قلبك، فلتكن عازمًا على تنفيذ ما يمر بك من أوامر، والكف عما يمر بك من نواهٍ، فهذا الصدق في البداية له أثره في النهاية، وتذكر: ﴿فَلَوۡ صَدَقُواْ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡ ﴾، وتذكر أنك إن تقدمت خطوة في هذا الطريق، فربك أكرم.

﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ ﴾

١) قرأ قارئ عند عمر: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ ﴾ وعنده شاب فقال: اللّهُمَّ عليها أقفالها، وبيدك مفاتيحها، لا يفتحها سواك، فعرفها له عمر، وزادته خيرًا.

جامع البيان للطبري (٥٨/٢٦)

٢) وإنك لتجد في بيت الله الحرام خمسين ألفاً بأيديهم المصاحف يقرؤون القرآن، ولكنك لا تجد خمسين منهم يفهمون معاني ما يقرؤون، وإني لا أنكر أن لقارئ القرآن أجرًا على كل حال، لكن الله يقول: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ ﴾ فمتى نكسر هذه الأقفال؛ حتى نفهم ما يقال؟.

علي الطنطاوي، روائع الطنطاوي (٤١/١)

٣) ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾ إنَّ المنادين بعزل القرآن عن نظم الحياة قومٌ أصيبوا بمرضٍ في قلوبهم، وتلك وراثة ورثوها من إخوانهم أهل الكفر والضلال والنفاق، فلقد ذكر الله عن الكفار أنهم إذا سمعوا القرآن استهزؤوا به: ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا ﴾ (لقمان:٧).

الشيخ عبدالعزيز آل الشيخ، خطب الشيخ (١٦٥)

٤) حتى هذه الآية: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾ نقرؤوها ونتجاوزها كغيرها من الآيات دون أن نشعر بها، فأي حرمان هذا؟!

متدبر

﴿ وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَٰهُمْ ۚ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٠﴾ ﴾

١) قال عثمان بن عفان: ما أسر أحد سريرة إلا أظهرها الله على صفحات وجهه وفلتات لسانه، وقد قال تعالى عن المنافقين: ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَٰهُمْ﴾، ثم قال: ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ﴾.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى (١٤/١١٠)

٢) قال تعالى عن المنافقين: ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَٰهُمْ﴾ثم قال: ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ﴾فمعرفة المنافق في لحن القول لا بد منها، وأما معرفته بالسيما فموقوفة على المشيئة.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى (١٤/ ١١٠)

٣) ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَٰهُمْ﴾ وقال: ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمُنكَرَ ﴾ (الحج:٧٢). وهذا أمر محسوس لمن له قلب؛ فإن ما في القلب من النور والظلمة والخير والشر يسري كثيرًا إلى الوجه والعين، وهما أعظم الأشياء ارتباطًا بالقلب.

ابن تيمية، الاستقامة (١/٣٥٥)

٤) قال الله عن المنافقين: ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ﴾ فهذا مقسم عليه، محقق لا شرط فيه؛ وذلك أن ظهور ما في قلب الإنسان على لسانه أعظم من ظهوره في وجهه، لكنه يبدو في الوجه بدوًا خفيًا يعلمه الله.

ابن تيمية، الاستقامة (١/٣٥٥)

٥) ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾ في مقالاتهم.. في بحوثهم.. في خطبهم ومحاضراتهم.. في نتائج مراكز أبحاثهم.. تتبعها فقط؛ فستجد الكثير من خططهم ومكرهم.

د. عبدالرحمن الشهري

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَا أَخْبَارَكُمْ ﴿٣١﴾﴾

علق الحافظ الذهبي على الابتلاء الذي تعرض له الإمام مالك -وربطه بهذه الآية- فقال: فالمؤمن إذا امتحن صبر، واتعظ، واستغفر، ولم يتشاغل بذم من انتقم منه، فالله حكم مقسط؛ ثم يحمد الله على سلامة دينه، ويعلم أن عقوبة الدنيا أهون وخير له.

سير أعلام النبلاء (٨١/٨)

﴿فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ ﴿٣٥﴾﴾

مظاهر الضعف في الأمة ينبغي ألا تعميها عمّا لها من عناصر القوّة، وأقواها: علو مبادئها ومعية الله: ﴿فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ﴾، وهذا ما أدركه أعداؤها على أرض الواقع في ميادين الجهاد، مما جعلهم يسعون للحوار بزخمٍ غير مسبوقٍ، وما ذاك إلا ليحصلوا في ميدان الحوار ما عجزوا عنه في ميدان القتال.

أ. د. ناصر العمر

﴿هَا أَنتُمْ هَٰؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ ۖ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِ ۚ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنتُمُ الْفُقَرَاءُ ۚ وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُم ﴿٣٨﴾﴾

انتصار الدين لا ينتظر أحدًا: كسر الغرور في العمل للإسلام يكون حين يدرك كل عامل بأن انتصار الدين ليس متوقفًا عليه أبدًا ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُم﴾.

محمد المنجد

سُورَةُ الفَتْحِ

﴿ سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا فَٱسْتَغْفِرْ لَنَاۚ يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًۢاۚ بَلْ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١١﴾ ﴾

١) قوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم﴾ و﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ﴾ (الكهف: ٥) فيقال: حيث ذكر الله سبحانه (يقولون بألسنتهم) و﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم﴾ (آل عمران: ١٦٧) فالمراد به أنه قول باللسان مجرد لا معنى تحته، فإنه باطل، والباطل لا حقيقة له، وإنما غايته وقصاراه أنه حركة لسان مجرد عن معنى، فليس وراء حركة اللسان به شيء.

ابن تيمية، جامع مسائل شيخ الإسلام (٣٤٠)

٢) انتبه! ما نطق به اللسان ولم يعقد عليه القلبُ، ليس بعمل صالحٍ كما قال تعالى: ﴿يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْۚ﴾.

محمد بن عبدالوهاب، تفسيره (٩)

﴿ ۞ لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ ﴾

١) ﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ إلى قوله: ﴿وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا﴾ دليل على أنَّ الله قد يثيب المؤمن رزقًا في الدنيا على العمل الصالح، ولا يحطُّ ذلك من درجة فضله، ويجعل ذلك من أطيب وجوهه، ألا ترى أن الغنائم أطيب وجوه الكسب، وأمطر الله على نبيِّه أيوب حين عافاه من بلائه جرادًا من ذهب لم تبتذله الأيدي.

القصاب، نكت القرآن (١٦١/٤)

٢) إذا أردتَ أن تعرف قيمةَ عمل القلب ومنزلتَه عند الله، فتأمل هذه الآية: ﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ﴾، فماذا ترتَّب على صدقهم وإخلاصهم؟ ﴿فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا﴾، فما أحوجنا لتفقُّد قلوبنا.

د. عمر المقبل

﴿ وَلَوْ قَٰتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوَلَّوُا۟ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٢٢﴾ سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ ﴾

لن تتخلَّف سنتُه عنَّا أو تتبدل، لكن نحن الذي بدَّلنا!

محمد الفراج

﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾ ﴾

١) قال أبو عروة: كنَّا عند مالك بن أنس، فذكروا رجلًا ينتقص الصحابة، فقرأ مالك هذه الآية: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ ﴾، حتى بلغ: ﴿ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ﴾، فقال مالك: من أصبح في قلبه غيظٌ على أحد من أصحاب رسول الله ﷺ، فقد أصابته الآية.

حلية الأولياء (٦/٣٢٧)

٢) تناقلت بعض وسائل الإعلام خبر موجة الجفاف والمسغبة التي أصابت المسلمين في بعض جهات أفريقيا (أثيوبيا، والصومال، وتشاد)، إنها داعية لحقِّ الأخوة بالاهتمام والدعاء، وفي جوع الصائم ذكرى بإخوانه، وهي فرصة للكرام المقتدين بخير الأنام في شهر الصيام؛ ليكونوا «**أجود بالخير من الرِّيح المرسلة**»[1]، ويكونوا كما كان أسلافهم: ﴿ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ﴾.

د. محمد الخضيري

٣) وصف الله الصحابة بقوله: ﴿ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ﴾ ولم يقل: (يبتغون أجرًا) ففيه اعتراف منهم بالتقصير، وطمع بالفضل الإلهي الذي لا منتهى ولا حد له، والذي هو أعظم من الأجرة التي يستحقونها على عملهم.

الرازي، مفاتيح الغيب (٢٨ / ٨٩)

٤) طوبى لمن تشبه بما نعت الله به نبيه ﷺ وأصحابه فقال: ﴿ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ﴾ «قد أثرت العبادة -من كثرتها وحسنها- في وجوههم حتى استنارت، فلما استنارت بالصلاة بواطنهم، استنارت بالجلال ظواهرهم».

السعدي، تيسير الكريم الرحمن (٧٩٥)

٥) ليس المزارع الحاذق من ينثر الحب في الفلاة؛ ليسقيه المطر أو تذروه الرياح! وإنما هو من يحسن اختيار الحب والتربة والماء، ويتعاهده حتى يؤتي أكله بإذن ربه: ﴿ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ ﴾.

أ. د. ناصر العمر

(١) البخاري ح(١٩٠٢)، ومسلم ح(٢٣٠٨)، والنسائي ح(٦٩٠٢)، وأحمد ح(٦١٦٢).

سُورَةُ الحُجُرَاتِ

لما أثنى الله على أصحاب رسوله في خاتمة سورة الفتح؛ جعل سورة الحجرات في تكميل إيمانهم وتأديبهم، فبدأ بالأدب مع الله، ثم مع رسوله، ثم مع المؤمنين، سواء من حضر منهم، ومن غاب، ومن تلبَّس بفسق.

د. محمد الخضيري

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُواْ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾ ﴾

١) يقول ابن عقيل الحنبلي: ما أخوفني أن أساكن معصية فتكون سببًا في سقوط عملي وسقوط منزلتي -إن كانت عند الله تعالى- بعدما سمعت قوله تعالى: ﴿لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ﴾؛ فإن هذا يدل على أن في بعض التسبب وسوء الأدب على الشريعة ما يحبط الأعمال، ولا يشعر العامل إلا أنه عصيان ينتهي إلى رتبة الإحباط. وقد علق ابن مفلح قائلًا: هذا يجعل الفطن خائفًا وجلًا من الإقدام على المآثم، وخوفًا أن يكون تحتها من العقوبة ما يماثل هذه.

الآداب الشرعية لابن مفلح (٣١٧/٢)

٢) إن كلمة واحدة من سوء الأدب مع الله أو مع رسوله ﷺ قد تحرق رصيد العبد الإيماني كله!

د.فريد الأنصاري، مجالس القرآن (٤٠٠)

٣) الأدب مع أهل الفضل من العلماء والأتقياء والمربين والحكماء الذين وقفوا حياتهم لخدمة الدين - تعليمًا ودعوة- يقتضي التوقير والاحترام، سواء في معاملتهم أو في طرق أبوابهم، ومراعاة أوقاتهم؛ لما في ذلك من مصلحة عامة للمسلمين.

د. فريد الأنصاري، مجالس القرآن (٣٦٩)

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصۡوَٰتَهُمۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمۡتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ لِلتَّقۡوَىٰۚ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ عَظِيمٌ ۝٣﴾

قال عمر بن الخطاب ﷺ: «إن الذين يشتهون المعاصي ولا يعملون بها ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمۡتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ لِلتَّقۡوَىٰۚ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ عَظِيمٌ﴾».. كم بين حال الذي: ﴿قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ﴾ (يوسف:٢٣)، وبين شيخٍ ضعيفٍ يُدعى لمثل ذلك فيجيب؟!

تفسير ابن رجب ٣١٨/١

﴿وَلَوۡ أَنَّهُمۡ صَبَرُواْ حَتَّىٰ تَخۡرُجَ إِلَيۡهِمۡ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ۝٥﴾

قارن بين تأدب السلف بهدي القرآن وبين فعل بعض الناس مع علمائهم:
قال الإمام أبو عبيد القاسم بن سلام: ما استأذنت قط على مُحدِّث! كنت أنتظر حتى يخرج إليّ، وتأولت قوله تعالى: ﴿وَلَوۡ أَنَّهُمۡ صَبَرُواْ حَتَّىٰ تَخۡرُجَ إِلَيۡهِمۡ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡ﴾.

الآداب الشرعية لابن مفلح (٦٩/٢)

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ ۝٦﴾

١) لا ترو للناس كل ما تسمعه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾ الواجب على من شرح الله صدره للإسلام أنْ إذا بلغته مقالةٌ ضعيفةٌ عن بعض العلماء أن لا يحكيها لمن يعمل بها، بل يسكت عنها وإن تيقَّن صحتها، فما أكثر ما يحكى عن الأئمة من ما لا حقيقة له.

ابن تيمية، بيان الدليل (١٥٧)

٢) في هذه الآية قاعدة من قواعد تدقيق الأخبار، ومن أولى ما يكون تبيُّن ما تنشره بعض وسائل الإعلام عن أهل الحسبة وغيرهم من القائمين بشؤون الناس، فمع إمكانية وقوع الخطأ من كلّ أحد، ألا ينبغي التبيُّن في أخبار تلك الوسائل:

١- لتلبُّس كثير منها بالفسق الفكري والأخلاقي.

٢- لأن بعض الكتّاب قد تكون له مواقف شخصية، فيجد في المنفذ الإعلامي فرصةً للتنفيس عما في نفسه.

٣- ثبوت الكذب أو التحريف والمبالغة في كثير من تلك الأخبار التي تذكر عن هذه الجهة أو تلك.

﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمۡ رَسُولَ ٱللَّهِۚ لَوۡ يُطِيعُكُمۡ فِي كَثِيرٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ لَعَنِتُّمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ٧﴾

قال أبو سعيد الخدري: لما قبض رسول الله ﷺ، أنكرنا أنفسنا، وكيف لا نُنكر أنفسنا، والله تعالى يقول: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمۡ رَسُولَ ٱللَّهِۚ لَوۡ يُطِيعُكُمۡ فِي كَثِيرٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ لَعَنِتُّمۡ﴾.

الدر المنثور (٧/٥٦٠)

﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَ أَخَوَيۡكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ١٠﴾

١) ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ﴾ قال محمد بن مناذر: كنت أمشي مع الخليل بن أحمد، فانقطع نعلي، فمشيت حافيًا، فخلع نعليه وحملها يمشي معي، فقلت له: ماذا تصنع؟ فقال: أواسيك في الحفاء.

الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع (٢/٢٤٢)

٢) إذا مرض المسلم عاده المسلمون، وإذا افتقر أعانوه، وإذا أحسن شكروه، وإذا كان مظلومًا نصروه، وإذا ظَلَم ردعوه؛ دينهم نصيحة وأمر بمعروف ونهي عن منكر؛ أليس الله يقول: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ﴾؟

علي الطنطاوي، فصول في الدعوة والإصلاح (٨٩)

٣) إن الإسلام لم يضع للمسلم الخيار في الوحدة، بل وضع هذه الوحدة الإسلامية موضع الأسس الكبرى من الدين، فقال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ﴾.

علي الطنطاوي، فصول في الدعوة والإصلاح (٢٨٦)

٤) ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ﴾ بقدر طاقة الإيمان في قلوبنا؛ نتخطى الحدود والجنسيات ونحبهم.

د. عبدالله بلقاسم

٥) يقول أحدُهم: لقيت بمنًى شابًّا غير عربيٍّ، يحمل شيخًا كبيرًا فوق ظهره، فأردت أن أشكره لبرِّه، فقلت:جزيت خيرًا لبرِّك بأبيك، فقال: لكنه ليس أبي، ولا من بلدي، قلت: فمن إذن؟ قال: وجدتُه بعرفة ليس معه أحدٌ، فحملته على ظهري إلى مزدلفة، ومنها إلى منى، قلت: لم فعلت ذلك؟! فقال: سبحان الله ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ﴾.

٦) من أعظم حواجب الرحمة: عدم القيام بحقوق المؤمنين، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ .

السعدي، تيسير الكريم الرحمن (٨٠٠)

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ۖ وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَـٰبِ ۖ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَـٰنِ ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿١١﴾﴾

١) هل المستهزئ يستشعر هذا المعنى؟

قال القرطبي معلقًا على قوله تعالى: ﴿لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ﴾ :

وبالجملة فينبغي ألا يجترئ أحد على الاستهزاء بمن يقتحمه بعينه إذا رآه رثَّ الحال، أو ذا عاهة في بدنه، أو غير لبيق في محادثته؛ فلعله أخلص ضميرًا، وأنقى قلبًا ممن هو على ضد صفته، فيظلم نفسه بتحقير من وقره الله، والاستهزاء بمن عظمه الله.

الجامع لأحكام القرآن (١٦/٣٢٥)

٢) ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ﴾ عسى أن يكون المسخور به خيرًا من الساخر، وهو الغالب والواقع؛ فإن السخرية لا تقع إلا من قلب ممتلئ من مساوئ الأخلاق.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن (٨٠١)

٣) ﴿وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَـٰبِ﴾ من أعظمِ التعييرِ: إظهارُ التعيير وإشاعته في قالب النصح، وقد عدَّ الله من خصال المنافقين إظهار أمرٍ حسنٍ ويراد به التوصل إلى غرض فاسد يقصده في الباطن.

ابن رجب، تفسير ابن رجب (١/٢٧٢)

٤) أركان الأخلاق:

١ - حفظ المراتب: كحفظ مرتبة النبي ﷺ: ﴿لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ﴾.

٢ - مراعاة العواقب: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا۟ حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾.

٣ - تحري المناقب، وتجنب المثالب: ﴿وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَـٰبِ﴾.

د. مصطفى البحياوي، تفسير سورة الحجرات (شريط)

٥) قال بعض السلف: «أصبِحُوا تائبين، وأمسُوا تائبين». علّق ابن رجب قائلًا: يشير إلى أن المؤمن لا ينبغي أن يصبح ويمسي إلا على توبة؛ فإنه لا يدري متى يفجأه الموت، فمن أصبح أو أمسى على غير توبة، فهو على خطر؛ لأنه يخشى أن يلقى الله غير تائب؛ فيحشر في زمرة الظالمين، قال الله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾.

تفسير ابن رجب الحنبلي (١/ ٣١٤)

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾

١) التحذير من الذنبِ وسببِه واضح في كتاب الله كما في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا﴾ فانظر لهذا الترتيب: إذا ظن الإنسان بأخيه شيئًا، تجسس عليه؛ فإذا تجسس، صار يغتابه.

ابن عثيمين، شرح رياض الصالحين (١٢١/٢)

٢) ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ﴾ هذه الآية أصلٌ في سد الذرائع وتعليم الورع؛ فلأجل بعض الظن نجتنب كثيره!

د.عبدالمحسن المطيري

٣) ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ﴾ أمر الله المؤمنين أن يجتنبوا الظن، وكأنه شيء ماثل للعيان يمر عليه الإنسان، فعلى العاقل أن يجتنبه تمامًا؛ لأن بعض هذا الظن أي القليل منه إثم، فلأجل هذا القليل يُترك الكثير، ولو أن الناس أخذوا بهذا التوجيه واجتنبوا الظن -إلا فيما غلبت أدلته- فلم يفكروا فيه؛ لأراحوا واستراحوا.

د. عويض العطوي، كيف نتدبر القرآن (شريط)

٤) ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ﴾ جرَّبتُ سوءَ الظن بالناس وحسن الظن بهم؛ فوجدت الأول قطعةً من لهب النار، والثاني نسيمًا من نعيم الجنة، تمشي به بين الناس محبوبًا متفائلًا نشيطًا باذلًا.

د. محمد الخضيري

٥) ﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ تأمل كيف نَفَّر القرآن من الغيبة على أبلغ وجه، إذ جعل المحبة متجهة إلى ما لا يميل إليه الطبع -وهو أكل لحم الميت-، وزاد الصورة شناعة أن جعل الميت إنسانًا، وأخًا لمن يأكله! ولا يقارف ذلك إلا حيوان متوحش، لا يخضع لتشريع، ولا عهد له بتهذيب.

الخضر حسين، المجموعة الكاملة (٨١٩/٢)

٦) كم هدمت الظنون السيئة من بيتٍ؟ وكم حطَّمت من قلبٍ؟ يعمد الواحد منَّا عند وجود أدنى شكٍّ بالتجسس أو الاختبار برسالة جوال أو بتدبير اتصال، وهذا كله بنص القرآن محرَّم ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾، وفي الحديث: «وَلا تَجَسَّسُوا»(١).

د. عصام العويد

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (١٣)﴾

ليس في كتاب الله آية واحدة يمدح فيها أحدًا بنسبه، ولا يذم أحدًا بنسبه، وإنما يمدح بالإيمان والتقوى، ويذم بالكفر والفسوق والعصيان.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى (٣٥/ ٢٣٠)

﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا ۖ قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم ۖ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (١٧)﴾

إلى من عاش مواسم الطاعة: تفقّد قلبك عند كل عبادة تتقرب بها إلى الله؛ خوفًا من أن يخالطها إعجاب أو منة بأن هذا منك فتهلك، فنعمة الله عليك ومنته بأن وفقك لهذه القربة، أعظم من أداءك لها! ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا ۖ قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم ۖ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾.

أ. د. ناصر العمر

(١) البخاري ح(٥١٤٣)، ومسلم ح(٢٥٦٣)، وأبو داود ح(٤٩١٧)، وأحمد ح(٧٨٥٧).

سُورَةُ قٓ

سورة ﴿ قٓ ﴾ ما من أحد يرددها، فيفتح مسامع قلبه لها إلا فتحت كل السدود التي تراكمت بسبب الذنوب. إن الآمر بقوله: ﴿ أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ ﴾ (ق: ٢٤)، هو نفسه القائل ﴿ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ (الحجر: ٤٦)، هو أيضًا الآمر: ﴿ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ ۖ فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴿٤٥﴾ ﴾ (ق: ٤٥)، فيا قارئ ﴿ قٓ ﴾ ق: ١، قد لا تنجو من الأولى وتظفر بالثانية إلا بالثالثة.

د. عصام العويد

﴿ قٓ ۚ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ ﴿١﴾ ﴾

قسم بالقرآن، والقسم به دلالة على التنويه بشأنه؛ لأن القسم لا يكون إلا بعظيم عند المقسم، فكان التعظيم من لوازم القسم.

ابن عاشور، التحرير والتنوير (٢٦/٢٧٦)

﴿ بَلْ عَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٢﴾ ﴾

عندما تخضع العقول تفكيرها: للإلف، والعادة، والتقليد، والهوى، دون تجرد لاتباع الحق، فإنها ستنكر البدهيات، وتعارض المُسلَّمات.

أ. د. ناصر العمر

﴿ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ ۖ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٌۢ ﴿٤﴾ ﴾

عبر بالانتقاص دون التعبير بالإعدام والإفناء؛ لأن للأجساد درجات من الاضمحلال تدخل تحت معنى النقص، فقد يفنى بعض أجزاء الجسد ويبقى بعضه، وقد يأتي الفناء على عامة أجزائه، وقد صح أن عجب الذنب لا يفنى، فكان فناء الأجساد نقصًا لا انعدامًا.

ابن عاشور، التحرير والتنوير (٢٦/٢٨٣)

﴿ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَهُمْ فِىٓ أَمْرٍ مَّرِيجٍ ﴿٥﴾ ﴾

١) ﴿ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَهُمْ فِىٓ أَمْرٍ مَّرِيجٍ ﴾ هكذا كل إنسان يرد الحق أول مرة، فليعلم أنه سيبتلى بالشك والريب في قبول الحق في المستقبل؛ ولهذا يجب علينا من حين نسمع أن هذا الشيء حق أن نقول: سمعنا وأطعنا.

ابن عثيمين، تفسير سورة ق (٧٥-٧٦)

٢) في هذه الآية: أن مما يفتح الله به على العبد في معرفة الأحكام الشرعية أن يكون مصدقًا موقنًا، فكلما كنت مصدقًا موقنًا، فاعلم أن الله سيفتح لك ما لا يفتحه لغيرك، وعليه: فالواجب على المرء أن يقبل الحق فور علمه به؛ لئلا يقع في أمر مريج.

ابن عثيمين، اللقاء الشهري (١/٥)

٣) في وصف رأي الكفار فيما جاء به النبي بأنه ﴿مَّرِيجٍ﴾ دلالة على أن رأيهم باطل ليس بصحيح؛ لأن الجزم الصحيح لا يتغير ولا يتبدل أما هم فكان أمرهم مضطربًا فهم كما قال الله: ﴿ إِنَّكُمْ لَفِى قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ ﴿٨﴾ ﴾ (الذاريات: ٨).

الرازي، مفاتيح الغيب (٢٨/١٣٣)

٤) إذا رأيت الرجل يتناقض في مواقفه وآرائه، فاعلم أنه لا ينطلق من قاعدة صلبة، أو رؤية واضحة، وإنما يعيش لحظته، وتتحكم به الظروف المحيطة؛ تأمل قوله سبحانه: ﴿فَهُمْ فِىٓ أَمْرٍ مَّرِيجٍ﴾، ثم تدبر ما بعدها من آيات تجد عجبًا!

أ. د. ناصر العمر

﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ ﴾

قد يقول قائل: إن كلمة ﴿فَوْقَهُمْ﴾ لا فائدة منها، لأن السماء معروفة أنها فوق، والحكمة في التنصيص عليها هنا؛ إشارة إلى عظمة هذه السماء، وأنها مع علوها وارتفاعها وسعتها وعظمتها تدل على كمال خلقه وقدرته ﷻ.

ابن عثيمين، تفسير سورة ق (٧٧)

﴿ تَبۡصِرَةٗ وَذِكۡرَىٰ لِكُلِّ عَبۡدٖ مُّنِيبٖ ٨ ﴾

١) شرط الله الإنابة في الفهم والتذكير؛ فقال تعالى: ﴿ تَبۡصِرَةٗ وَذِكۡرَىٰ لِكُلِّ عَبۡدٖ مُّنِيبٖ ﴾ وقال: ﴿وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ ﴾ وقال: ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾ فالذي آثر غرور الدنيا على نعيم الآخرة، فليس من ذوي الألباب؛ ولذلك لا تنكشف له أسرار الكتاب.

أبو حامد الغزالي، الإحياء (٥٢/٢)

٢) قيد الله التبصرة والذكرى للعبد بوصفه ﴿مُّنِيبٖ ﴾ وهو -الراجع إلى مولاه-؛ لأنه هو المنتفع بالذكرى، وفي قوله تعالى بعدها: ﴿رِّزۡقٗا لِّلۡعِبَادِ ﴾ ق: ١١، أطلق الوصف بغير تقييد؛ لأن الرزق حاصل لكل أحد، غير أن المنيب يأكل ذاكرًا شاكرًا للإنعام، وغيره يأكل كما تأكل الأنعام!.

الرازي، مفاتيح الغيب (١٣٦/٢٨)

٣) ذكر الله تعالى بعض آياته في الأرض، ثم قال: ﴿ تَبۡصِرَةٗ وَذِكۡرَىٰ لِكُلِّ عَبۡدٖ مُّنِيبٖ ﴾ أي: قدرنا الأرض، وألقينا فيها الرواسي، وأنبتنا فيها أصناف النبات الحسنة؛ لأجل أن نبصر عبادنا كمال قدرتنا على البعث وعلى كل شيء، وعلى استحقاقنا للعبادة دون غيرنا.

الشنقيطي، أضواء البيان (٤٢٤/٧)

﴿ أَفَعَيِينَا بِٱلۡخَلۡقِ ٱلۡأَوَّلِۚ بَلۡ هُمۡ فِي لَبۡسٖ مِّنۡ خَلۡقٖ جَدِيدٖ ١٥ ﴾

﴿أَفَعَيِينَا بِٱلۡخَلۡقِ ٱلۡأَوَّلِ﴾؟ هذه من براهين البعث؛ لأن من لم يعي بخلق الناس، ولم يعجز عن إيجادهم الأول لا شكَّ في قدرته على إعادتهم وخلقهم مرة أخرى؛ لأن الإعادة لا يمكن أن تكون أصعب من البدء.

الشنقيطي، أضواء البيان (٤٢٥/٧)

﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ وَنَعۡلَمُ مَا تُوَسۡوِسُ بِهِۦ نَفۡسُهُۥۖ وَنَحۡنُ أَقۡرَبُ إِلَيۡهِ مِنۡ حَبۡلِ ٱلۡوَرِيدِ ١٦ ﴾

فإياك أن تضمر في قلبك شيئًا يحاسبك الله عليه، أما الوساوس التي تطرأ على القلب، ولا يميل الإنسان إليها -بل يحاول دفعها- فلا تضره بل هي دليل إيمانه، فالشيطان إنما يلقي الوساوس على القلب السليم، أما غير السليم، فالشيطان لا يوسوس له؛ لأنه قد انتهى.

ابن عثيمين، تفسير سورة الحديد (٣٦٣)

﴿ إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ ﴾

﴿ إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴾ أي: الملكين الذين يكتبان الحسنات والسيئات، وفي بعض الآثار: أنت تجري في معصية الله وفيما لا يعنيك، ألا تستحي من الله ولا منهما؟!

ابن عجيبة الفاسي، البحر المديد (٢٦٩/٧)

﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ ﴾

١) في اللسان آفتان عظيمتان، إن خلص العبد من إحداهما لم يخلص من الأخرى: آفة الكلام، وآفة السكوت، وقد يكون كل منهما أعظم إثمًا من الأخرى في وقتها.

ابن القيم، الجواب الكافي (١٦١)

٢) فإذا كانت الأقوال تكتب، فالأفعال من باب أولى؛ فعليك أن تتقي الله ﷻ، ولا تخالفه، إذا سمعت الله يقول خبرًا، فقل: آمنت به وصدقت، وإذا سمعت الله يأمر بأمر، فقل: آمنت به وسمعًا وطاعة، أو نهيًا فقل: آمنت به وسمعًا وطاعة.

ابن عثيمين، تفسير سورة القمر (٢٩٧)

﴿ وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾ ﴾

١) لما احتضر أبو بكر، تمثلت عائشة ببيت من الشعر، فكشف أبو بكر عن وجهه، وقال: ليس كذا، ولكن قولي: ﴿ وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴾.

الإمام أحمد، الزهد (١٠٩)

٢) وصف الله تعالى شدة الموت في أربع آيات:

١ ـ ﴿ وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ﴾.

٢ ـ ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ ﴾ (الأنعام:٩٣).

٣ ـ ﴿ فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴾ (الواقعة:٨٣).

٤ ـ ﴿ كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِىَ ﴾ (القيامة:٢٦).

فرحم الله عبدًا أعد لذلك المصرع!

القرطبي، التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة (١٨/١)

﴿ مَّنْ خَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ﴾

١) ﴿ مَّنْ خَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ ﴾ قال الفضيل بن عياض: هو الرجل يذكر ذنوبه في الخلاء، فيستغفر الله منها.

تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤٠٦/٧)

ومما يدخل في هذا المعنى أحد السبعة الذين يظلهم الله في ظله: «**ورجل ذكر الله خاليًا ففاضت عيناه**»[1] أي: من تذكره لعظمة الله ولقائه، ونحو ذلك من المعاني التي ترد على القلب.

٢) من رجع عن المخالفات خوفًا من عذاب الله فهو تائب، ومن رجع حياء فهو منيب، ومن رجع تعظيمًا لجلال الله سبحانه فهو أوّاب.

ابن علان، دليل الفالحين (١/٩٠)

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ ﴿٣٦﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾﴾

١) من أوضح ما يكون لذوي الفهم: قصص الأولين والآخرين، قصص من أطاع الله وما فُعل بهم، وقصص من عصاه وما فعل بهم، فمن لم يفهم ذلك ولم ينتفع به، فلا حيلة فيه. كما قال تعالى: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ﴾؛ ولهذا قال بعدها: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾﴾.

محمد بن عبدالوهاب، مختصر سيرة الرسول (٨)

٢)من يؤتى الحكمة وينتفع بالعلم على منزلتين: إما رجلٌ رأى الحق بنفسه فقبله واتبعه؛ فذلك صاحب القلب، أو رجلٌ لم يعقله بنفسه، بل هو محتاج إلى من يعلمه ويبينه له ويعظه ويؤدبه؛ فهذا أصغى فألقى السمع وهو شهيد، أي: حاضر القلب.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى (٩/٣١١)

٣) ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ﴾ ولم يقل: (استمع)؛ لأن إلقاء السمع، أي: يرسل سمعه ولا يمسكه وإن لم يقصد السماع، أي: تحصل الذكرى لمن له سمع، وهو تعريض بتمثيل المشركين بمن ليس له قلب وبمن لا يلقي سمعه.

ابن عاشور، التحرير والتنوير (٢٦/٢٧٠)

٤)وفي قوله ﴿وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ إشارة إلى أن مجرد الإصغاء لا يفيد، ما لم يكن المصغي حاضرًا بفطنته وذهنه. وفي الآية ترتيب حسن؛ لأنه إن كان ذا قلب ذكي يستخرج المعاني بتدبره وفكره؛ فذاك، وإلا فلا بد أن يكون مستمعًا مصغيًا إلى كلام المنذر؛ ليحصل له التذكير.

النيسابوري، غرائب القرآن (٦/١٧٩)

(١) البخاري ح(٦٦٠)، ومسلم ح(١٠٣١)، والترمذي ح(٢٣٩١)، ومالك ح(٣٥٠٥)، وأحمد ح(٩٦٦٥).

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾ فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾ ﴾

فتأمل قوله تعالى: ﴿فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ فإن أعداء الرسول ﷺ نسبوه إلى ما لا يليق به، وقالوا فيه ما هو منزه عنه، فأمره الله ﷺ أن يصبر على قولهم، ويكون له أسوة بربه سبحانه، حيث قال أعداؤه فيه ما لا يليق.

ابن القيم، إغاثة اللهفان (٣٤٠/٢)

﴿ يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ ﴿٤٢﴾ ﴾

من السنة قراءة سورة (ق) في صلاة العيد، ومناسبة ذلك قوله تعالى فيها: ﴿ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ﴾، وقوله: ﴿كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ﴾ (ق:١١)، وقوله: ﴿ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ﴾ (ق:٤٤)، فخروج المرء للعيد يوم الزينة ينبغي أن لا ينسيه خروجه إلى عرصات الحساب، ولا يكون في ذلك اليوم بطرًا فخورًا، ولا يرتكب فسقًا ولا فجورًا.

الرازي، مفاتيح الغيب (١٢٥/٢٨)

﴿ يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴿٤٤﴾ ﴾

جعل الله لهذا المنظر مثلًا مقرَّبًا -مع بعد ما بين المثلين-، فالحج مظهر مصغر ليوم الحشر، يعيشه المرء، فيدفعه للعمل الصالح، وينشطه في مجال الخير، ويهزم باعث المعصية في نفسه، ويبقى ذكر الموت وما بعده بين عينيه، وفي هذا من الآثار العظيمة ما يلمسه كلُّ حاجٍّ مع نفسه.

د. ناصر الأحمد

﴿ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴿٤٥﴾ ﴾

﴿فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾ دعاء القنوت لا ينبغي الإطالة فيه، وجعله موعظة في سجع متكلَّف، وترنيم وتطريب، يستثير به عواطف الناس، ويستدعي بكاءهم، بما لا تجد معشاره أثناء قراءة القرآن، والقرآن أعظم واعظ.

علوي السقاف، مآخذ على بعض الأئمة (مقال على الشبكة)

سُورَةُ الذَّارِيَاتِ

﴿كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ۝١٧ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ۝١٨﴾

هذه سيرة الكريم يأتي بأبلغ وجوه الكرم، ويستقله، ويعتذر من التقصير.

الرازي، مفاتيح الغيب (١٧٥/٢٨)

﴿وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ۝٢١﴾

١) قال قتادة في الآية: من تفكر في خلقه، علم أنما لينت مفاصله للعبادة.

الدر المنثور(٦١٩/٧)

٢) تأمل كيفية خلق الرأس، وكثرة ما فيه من العظام، حتى قيل إنها خمسة وخمسون عظمًا، مختلفة الأشكال والمقادير والمنافع، وكيف ركبه ﷻ على البدن، وجعله عاليًا علو الراكب على مركوبه؟ ثم اقرأ قوله تعالى: ﴿وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ .

ابن القيم، مفتاح دار السعادة (١٨٩/١)

﴿وَفِى ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ۝٢٢ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ۝٢٣﴾

لقد أقسم ربنا في كتابه بكثير من مخلوقاته: أقسم بالشمس وضحاها، وأقسم بالليل، وبالفجر، فلما ذكر الرزق أقسم بذاته ﷻ فقال: ﴿وَفِى ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ۝٢٢ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ﴾.

علي الطنطاوي، نور وهداية (١٢٨)

﴿فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ۝٢٦﴾

في الآية ترغيب في أن يكون أهل الإنسان -ومن يتولى شؤون بيته- حازمين، مستعدين لكل ما يراد منهم من الشؤون والقيام بمهمات البيت؛ فإن إبراهيم في الحال بادر إلى أهله، فوجد طعام ضيوفه حاضرًا لا يحوج إلا إلى تقديمه.

السعدي، تيسير اللطيف المنان (٣٧٧)

﴿ فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿٢٩﴾ ﴾

سئل الضحاك عن قوله تعالى: ﴿عَجُوزٌ عَقِيمٌ﴾، و ﴿ٱلرِّيحَ ٱلْعَقِيمَ﴾ الذاريات: ٤١، و ﴿عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ﴾ (الحج: ٥٥)، فقال: ﴿عَجُوزٌ عَقِيمٌ﴾ التي لا ولد لها، و﴿ٱلرِّيحَ ٱلْعَقِيمَ﴾ التي لا بركة فيها ولا منفعة ولا تلقح، وأما ﴿عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ﴾ فيوم لا ليلة له.

الدر المنثور (٧/٦٢٠)

﴿ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ ﴿٣٣﴾ ﴾

استقراء عالم:

﴿لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ﴾ متى اتصلت (أرسل) بـ (على) فهي بمعنى المبالغة في المباشرة والعذاب، ومتى اتصلت بـ (إلى) فهي أخف.

ابن عطية، المحرر الوجيز (٥/١٦١)

﴿ فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾

١) ﴿فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ دون أن يقول: فأخرجنا لوطًا وأهل بيته؛ قصدًا للتنويه بشأن الإيمان والإسلام، أي: أن الله نجّاهم من العذاب لأجل إيمانهم بما جاء به رسولهم، لا لأجل أنهم أهل لوط.

ابن عاشور، التحرير والتنوير (٢٧/٢٩)

٢) قال قتادة ﷺ في قوله تعالى: ﴿فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾: لو كان فيها أكثر من ذلك، لنجاهم الله؛ ليعلموا أن الإيمان عند الله محفوظ لا ضيعة على أهله.

الدر المنثور (٧/٦٢٠)

٣) ﴿فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ فانتبه يا أخي الداعية، لا تجزع إذا دعوت، فلم يستجب لك من المائة إلا عشرة، فالرسل ﷺ يبقون في أممهم دهورًا كثيرة، ولا يتبعهم إلا القليل.

ابن عثيمين، تفسير سورة الذاريات (١٥٠)

﴿ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾

آيات ثلاث قلبت حياتي وقادت قلبي للإسلام:

﴿ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴾.

﴿ أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا ﴾ (الأنبياء:٣٠).

﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا ﴿٦﴾ وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴾ (النبأ:٦-٧).

لا يمكن لأحد أن يكتشف هذه الحقائق قبل (١٤ قرناً)! إن وراءها قدرة إلهية بلا شك.. فقادني ذلك للغوص في أعماق القرآن؛ حتى اكتشفت جملة من الحقائق أنارت أمامي الطريق[١].

ريتشاد فيرلي، كبير مفتشي فرقة مكافحة الإرهاب البريطانية

﴿ فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ ﴾

١) وسمَّى الله الرجوع إليه فرارًا؛ لأنَّ في الرجوع لغيره أنواع المخاوف والمكاره، وفي الرجوع إليه أنواع المحابِّ والأمن.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن (٨١١)

أفرُّ إليك منك وأين إلا إليك يفرُّ منك المستجير

٢) ﴿ فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ ﴾ هكذا يطمئن المؤمن؛ لأنه يعرف إلى أين يفر حين تصيبه مصيبة، أو يداهمه همٌّ، فأما في عالم الأشقياء فهم يهربون إلى المخدرات، فلا يجدون إلا الوبال، وإلى الشهوات المحرمة، فلا ينالون إلا الأوبئة التي حرمتهم الشهوات، فأين يذهبون؟! هم والله لا يدرون.

د. سفر الحوالي

﴿ كَذَٰلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٥٢﴾ أَتَوَاصَوْا بِهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾

دلالة على أنهم إنما اتفقوا؛ لأن قلوبهم تشبه قلوب بعض في الكفر والطغيان، فتشابهت مقالاتهم للرسل لأجل تشابه قلوبهم.

الشنقيطي، أضواء البيان (٦٧٠/٧)

(١) نشره عدد من الصحف، منها: الشرق الأوسط في عددها الصادر يوم السبت ٢٨ صفر ١٤٣١ هـ الموافق ١٣ فبراير ٢٠١٠ العدد ١١٤٠٠.

﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾

١) هنا فتش عن نفسك؛ هل أنت إذا ذُكِّرت بآيات الله وخُوِّفت من الله ﷻ، هل أنت تتذكر أم يبقى قلبك قاسيًا؟ إن كانت الأولى، فاحمد الله؛ فإنك من المؤمنين، وإن كانت الثانية، فحاسب نفسك، ولا تلومن إلا نفسك، وعليك أن ترجع إلى الله؛ حتى تنتفع بالذكرى.

ابن عثيمين، تفسير سورة الذاريات (١٦٦)

٢) إذا رأيت قلبك لا يتذكر بالذكرى فاتهمه؛ لأن الله يقول: ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ فالذكرى لا بد أن تنفع المؤمنين.

ابن عثيمين، تفسير جزء عم (١٨١)

﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾

أي: إلا لآمرهم بعبادتي فيعبدني من وفقته منهم لعبادتي، وأبتليهم وأختبرهم بالتكاليف ثم أجازيهم على أعمالهم، إن خيرًا فخير، وإن شرًا فشر.

وإنما قلنا إن هذا هو التحقيق في معنى الآية؛ لأنه تدل عليه آيات محكمات من كتاب الله، فقد صرح تعالى في آيات من كتابه أنه خلقهم ليبتليهم أيهم أحسن عملًا، وأنه خلقهم ليجزيهم بأعمالهم.

الشنقيطي، أضواء البيان (٦٧٣/٧)

﴿ فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ذَنُوبًا مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَٰبِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ ﴿٥٩﴾ ﴾

انظر كيف سمى الله تعالى السابقين بأزمان بعيدة أصحابًا لهؤلاء؛ وذلك لاتفاقهم في التكذيب، ورمي الرسل بما لا يستحقون، فهم أصحاب في الواقع، وإن تباعدت الأزمان والأماكن.

ابن عثيمين، تفسير سورة الذاريات (١٧٠)

سُورَةُ الطُّورِ

﴿وَٱلطُّورِ ۝١ وَكِتَٰبٖ مَّسۡطُورٖ ۝٢﴾

أقسم سبحانه بسيد الجبال، وسيد الكتب، ويكون ذلك متضمنًا للنبوتين المعظمتين: نبوَّة موسى ونبوَّة محمد، وكثيرًا ما يقرن بينهما وبين محلهما كما في سورة «التين».

ابن القيم، التبيان في أقسام القرآن (٢٦٥)

﴿وَٱلۡبَيۡتِ ٱلۡمَعۡمُورِ ۝٤﴾

١) وهذا البيت هو كعبة أهل السماء؛ ولهذا رأى نبيُّنا محمد ﷺ نبيَّ الله إبراهيم الخليل عليه السلام مسندًا ظهره إلى البيت المعمور؛ لأنه باني الكعبة الأرضية والجزاء من جنس العمل.

ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (٢٨٨/٤)

٢) إذا قرأت هذه الآية، وعلمت أن الله يقسم بهذا البيت الذي في السماء السابعة، ويدخله كل يوم سبعون ألف ملك، تيقَّنت أنَّ في السماء والأرض عباداً غيرك يعبدون الله، لكن ليس لك ولا لغيرك إلا الله، وأنه سبحانه غنيٌّ عن كلِّ خلقه، وكلُّ خلقه -بلا استثناء- فقير إليه شاء أم أَبى، وهذا الذي يتركه أثر القرآن في نفوسنا إذا تلوناه وتدبَّرناه.

صالح المغامسي

﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٞ ۝٧﴾

هذه والله جملة عظيمة مؤثرة، لكنها لا تؤثر إلا على قلب لين كلين الزبد أو أشد، أما القلب القاسي فلا يهتم بها، تمر عليه وكأنه حجارة.

ابن عثيمين، تفسير سورة الطور (١٧٨-١٧٧)

﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ ۚ كُلُّ ٱمْرِئٍۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴿٢١﴾ ﴾

دلت هذه الآية على أن شفقة الأبوة كما هي في الدنيا متوفرة كذلك في الآخرة؛ ولهذا طيب الله تعالى قلوب عباده بأنه لا يُوْلِهُم بأولادهم بل يجمع بينهم.

الرازي، مفاتيح الغيب (٢٨/ ٢٠٨)

﴿ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾

يقول جبير بن مطعم ﷺ سمعت النبي ﷺ يقرأ في المغرب بالطور، فلما بلغ هذه الآيات: ﴿ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ قال: كاد قلبي أن يطير[1]!

والسؤال: كم مرةً توقفنا عند هذه السورة، وهذه الأسئلة العظيمة القامعة لكل شبهة؟!

﴿ وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ۖ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾ ﴾

هذه الآية ينبغي أن يقررها كل مؤمن في نفسه؛ فإنها تفسح مضايق الدنيا.

ابن عطية، المحرر الوجيز (٥/١٩٤)

(١) البخاري ح(٤٨٥٤)، وابن ماجه ح (٨٣٢).

سُورَةُ النَّجْمِ

﴿وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ ۝٢﴾

١) الضلال يكون من غير قصدٍ من الإنسان إليه، والغي كأنه شيء يكتسبه الإنسان ويريده، فنفى الله تعالى عن نبيه ﷺ هذين الحالين، فلا هو ضل عن جهل، ولا غوى عن قصدٍ، تأمل: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ﴾.

ابن عطية، المحرر الوجيز (١٧٧/٥)

٢) فوصفَه بأنه ليس بضال وهو الجاهل، ولا غاوٍ وهو الظالم؛ فإن صلاحَ العبد في أن يعلمَ الحقَّ ويَعمَلَ به، فمن لم يَعلمِ الحقَّ، فهو ضالٌّ عنه، ومَن عَلِمَه فخالفَه واتبَعَ هَواه، فهو غاوٍ، ومَن علمه وعَمِل به، كان من أولي الأيدي عملًا ومن أولي الأبصار علمًا.

ابن تيمية، جامع المسائل (٣/ ٨٥)

﴿مَا زَاغَ ٱلۡبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ۝١٧﴾

جرت العادة أن الإنسان إذا دخل منزلًا غريبًا، تجده ينظر يمينًا وشمالًا في هذا المنزل، وخصوصًا إذا تغير تغيرًا عظيمًا، في هذه اللحظة لا بد أن ينظر ما الذي حدث، لكن لكمال أدب النبي ﷺ ورباطة جأشه، وتحمله ما لا يتحمله بشر سواه، صار في هذا الأدب العظيم؛ ولهذا قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (القلم: ٤).

ابن عثيمين، تفسير سورة النجم (٢١٢-٢١٣)

﴿إِنۡ هِيَ إِلَّآ أَسۡمَآءٞ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهۡوَى ٱلۡأَنفُسُۖ وَلَقَدۡ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلۡهُدَىٰٓ ۝٢٣﴾

١) افتراءات المشركين وكذبهم على رب العالمين إنما يدفعهم إليها أمران: الظن والهوى، وقد جُمعا في قوله تعالى: ﴿إِنۡ هِيَ إِلَّآ أَسۡمَآءٞ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهۡوَى ٱلۡأَنفُسُ﴾، وهما ما يصد المشركين عن اتباع الحق.

الإسكافي، درة التنزيل (٢٦٣)

٢) كل من خالف الرسول ﷺ، فلا بد أن يتبع الظن وما تهوى الأنفس: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ﴾.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى (٦٧/١٣)

٣) نعى القرآن على أقوام جريهم وراء الظنون التي ملأت عقولهم بالخرافات، وأفسدت حاضرهم ومستقبلهم بالأكاذيب، فقال: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ﴾.

الغزالي، خلق المسلم (٣٢)

﴿ فَلِلَّهِ ٱلْـَٔاخِرَةُ وَٱلْأُولَىٰ ﴿٢٥﴾ ﴾

بدأ بالآخرة؛ لأن ملك الله في الآخرة يظهر أكثر مما في الدنيا، فالدنيا فيها ملوك، وفيها رؤساء، وفيها زعماء، يرى العامة أن لهم تدبيرًا، لكن الآخرة لا يوجد فيها هذا ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴾ (غافر:١٦).

ابن عثيمين، تفسير سورة النجم (٢١٨-٢١٩)

﴿ أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾ ﴾

طلب بعض الولاة رجلًا، فأفلت منه، فأخذ أخاه، وقال له: إن جئت بأخيك وإلا ضربت عنقك، قال الرجل: أرأيت إن جئت بكتاب من أمير المؤمنين، تخلِّي سبيلي؟ قال الوالي: نعم، قال الرجل: فأنا آتيك بكتاب من العزيز الرحيم، وأقيم عليه شاهدين: موسى وإبراهيم: ﴿ أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾ قال الوالي: خلُّوا سبيله.. هذا رجل لقن حجته.

الوافي بالوفيات (٢٤٦/٧)

﴿ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾ ﴾

متضمنة لكنز عظيم، وهو أن كل مراد إن لم يُرَد لأجل الله، ويتصل به، وإلا فهو مضمحل، منقطع، فإنه ليس إليه المنتهى، وليس المنتهى إلا إلى الذي انتهت إليه الأمور كلها، فهو غاية كل مطلوب، وكل محبوب لا يحب لأجله فمحبته عناء وعذاب.

ابن القيم، الفوائد (٢٠٢)

سورة القمر

﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١﴾

خطب حذيفة بن اليمان بالمدائن، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١﴾ ألا وإن الساعة قد اقتربت، ألا وإن القمر قد انشق على عهد رسول الله ﷺ، ألا وإن الدنيا قد آذنت بفراق، ألا وإن اليوم المضمار، وغدًا السباق.

الدر المنثور (٧ /٦٧٢)

﴿وَكَذَّبُوا۟ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ ۝٣﴾

كل شيء إلى غاية؛ فالحق يستقر ظاهرًا ثابتًا، والباطل يستقر زاهقًا ذاهبًا.

ابن عطية، المحرر الوجيز (٥/ ٢١٢)

﴿خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ۝٧﴾

﴿يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ﴾ هذا من أدق التشبيهات؛ لأن الجراد المنتشر تجده يذهب يمينًا ويسارًا، لا يدري أين يذهب، فهم سيخرجون من الأجداث على هذا الوجه، بينما هم في الدنيا لهم قائد، ولهم أمير، ولهم موجه يعرفون طريقهم، وإن كان طريقًا فاسدًا.

ابن عثيمين، تفسير الحجرات-الحديد (٢٦٦)

﴿وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ۝١٢﴾

﴿وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا﴾ ولم يقل: (وفجرنا عيون الأرض)، فكأن الأرض كلها كانت عيونًا متفجرة، حتى التنور الذي هو أبعد ما يكون عن الماء لحرارته ويبوسته صار يفور، كما قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ﴾ (هود: ٤٠).

ابن عثيمين، تفسير الحجرات-الحديد (٢٧٠)

﴿ وَحَمَلْنَهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ ﴾

إنما ذكر الله تعالى مادة صنع السفينة، وأنها من الأخشاب والمسامير، أو الروابط التي تربط بين تلك الأخشاب؛ ليكون ذلك تعليمًا للبشر أن يصنعوا السفن على هذا النحو.

ابن عثيمين، تفسير الحجرات-الحديد (٢٧١)

﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾ ﴾

١) أنزل الله القرآن يحتوي على عجائب الحكم، فمن فتشه بيد الفهم، وحادثه في خلوة الفكر؛ استجلب رضا المتكلم به، وحظي بالزلفى لديه: ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾.

ابن الجوزي، صيد الخاطر (١٢٣)

٢) هو قرآن واحد يراه البلغاء أوفى كلام بلطائف التعبير، ويراه العامة أحسن كلام وأقربه إلى عقولهم، لا يلتوي على أفهامهم، ولا يحتاجون فيه إلى ترجمان وراء وضع اللغة، فهو متعة العامة والخاصة على السواء، ميسر لكل من أراد: ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾.

د. محمد دراز، النبأ العظيم (١٤٣)

٣) القرآن المجيد ليس صورة لنفسية فرد، ولا مرآة لعقلية شعب، ولا سِجلًا لتاريخ عصر، وإنما هو كتاب الإنسانية المفتوح، ومنهلها المورود، فمهما تتباعد الأقطار والعصور، ومهما تتعدد الأجناس والألوان واللغات، ومهما تتفاوت المشارب والنزعات، سيجد فيه كل طالب للحق سبيلًا ممهدًا، يهديه إلى الله، على بصيرة وبينة ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾.

د. محمد دراز، الدّين ١٧٢

٤) ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ قوله: ﴿لِلذِّكْرِ﴾ قيل في معناه أقوال، وأقربها للصواب: الادكار والاتعاظ، أي: أن من قرأه ليتذكر به ويتعظ به، سهل عليه ذلك واتعظ وانتفع، ومما يرجح هذا: قوله بعد ذلك: ﴿ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ يعني: هل أحد يدكر؟ مع أن الله سهل القرآن للذكر، أفلا يليق بنا وقد سهله الله للذكر أن نتعظ ونتذكر؟ بلى!

ابن عثيمين، تفسير الحجرات-الحديد(٢٧٣)

٥) ابذل من نفسك، واتعب في تحصيل القرآن، أما أن تتمنى وتسترخي وتخطط ولا تنفذ، فلا يمكن أن تحفظ بهذه الطريقة، أما قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ فالتيسير هذا لا ينافي المشقة عند بعض الناس، والله ﷻ إذا علم صدق النية من الشخص، أعانه عليه ويسره له.

د. عبد الكريم الخضير

٦) يا قائم رمضان: استجمع الفؤاد، وعش مع هذه الآيات في عظاتها! عش مع أهل الجنة في نعيمهم وسرورهم؛ حتى تتحرك النفس إلى الجنان، وعش مع أهل النار في جحيمهم وسعيرهم، فإن هذا يزكي الفؤاد حال تذكرهما، ويكسبه الرقة والخوف من رب العباد، فما تفكر عبد في آيات القرآن إلا تذكر: ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ فكن ذلك المدكر!

د. محمد المختار الشنقيطي

﴿ كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿١٨﴾ ﴾

ما فائدة تكرار قوله تعالى عن قوم عاد: ﴿ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴾، في ابتداء القصة وفي آخرها؟ الجواب: أن الأولى تخبر عن عذابهم في الدنيا والثانية عن عذابهم في الآخرة؛ وذلك أن الله اختص عادًا بذكر عذابين لها في قوله تعالى: ﴿لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَخْزَىٰ ۖ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ﴾ (فصلت: ١٦)، ويصح أن تكون الأولى قبل وقوع العذاب والثانية بعد وقوعه؛ توبيخًا لهم.

الإسكافي، درة التنزيل (٢٦٤)

﴿ إِنَّا مُرْسِلُوا۟ ٱلنَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ فَٱرْتَقِبْهُمْ وَٱصْطَبِرْ ﴿٢٧﴾ ﴾

١) ﴿ إِنَّا مُرْسِلُوا۟ ٱلنَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ ﴾ في هذا إشارة إلى أن الله تعالى قد يظهر للإنسان من الآيات ما يؤمن على مثله البشر؛ حتى إذا استكبر كان استكباره عن علم، فكان عقابه أشد وأوجع؛ ولهذا جعل الله الناقة فتنة؛ لأنها أظهرت الحق لهم، ولكن لم يقبلوه.

ابن عثيمين، تفسير الحجرات-الحديد (٢٨١)

٢) ﴿ إِنَّا مُرْسِلُوا۟ ٱلنَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ ﴾ انتبه لهذا الاستدراج من الله ﷻ، إذا يسر لك أسباب المعصية، فلا تفعل؛ فإن الله ربما ييسر أسباب المعصية للإنسان فتنة له.

ابن عثيمين، تفسير الحجرات-الحديد (٢٨١)

﴿ نِّعْمَةً مِّنْ عِندِنَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى مَن شَكَرَ ﴿٣٥﴾ ﴾

الشكر وقت الرخاء من أهم أسباب النجاة وقت الشدة، تأمل منة الله على نبيه لوط ﷺ بنجاته: ﴿ نِّعْمَةً مِّنْ عِندِنَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى مَن شَكَرَ ﴾.

د. عمر المقبل

﴿ بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوۡعِدُهُمۡ وَٱلسَّاعَةُ أَدۡهَىٰ وَأَمَرُّ ﴿٤٦﴾ ﴾

عن القاسم بن معن: أن أبا حنيفة قام ليلة بهذه الآية: ﴿ بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوۡعِدُهُمۡ وَٱلسَّاعَةُ أَدۡهَىٰ وَأَمَرُّ ﴾، يرددها ويبكي ويتضرع.

تاريخ بغداد (١٥/ ٤٨٩)

والسؤال: كم مرة مررنا بهذه الآية ولم تحرك فينا ساكنًا؟

﴿ وَمَآ أَمۡرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٞ كَلَمۡحِۭ بِٱلۡبَصَرِ ﴿٥٠﴾ ﴾

﴿ وَمَآ أَمۡرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٞ كَلَمۡحِۭ بِٱلۡبَصَرِ ﴾ إن شئت أن ترى عجائب ذلك فانظر إلى الزلازل التي تصيب مئات القرى، بل آلاف القرى، وبلحظة واحدة تعدمها! لو جاءت المعاول والآلات والقنابل، لم تفعل مثل فعل لحظة واحدة من أمر الله ﷻ!

ابن عثيمين، تفسير الحجرات-الحديد (٢٩٤)

﴿ وَكُلُّ صَغِيرٖ وَكَبِيرٖ مُّسۡتَطَرٌ ﴿٥٣﴾ ﴾

حتى الشوكة يشاكها الإنسان تكتب، حتى ما يزن مثقال ذرة من الأعمال يكتب، وإذا آمنت بذلك؛ -ويجب عليك أن تؤمن به- فإنه يجب عليك الحذر من المخالفة، فإياك أن تخالف بقولك، أو فعلك، أو تركك؛ لأن كل شيء مكتوب.

ابن عثيمين، تفسير الحجرات-الحديد (٢٩٧)

﴿ إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَنَهَرٖ ﴿٥٤﴾ فِي مَقۡعَدِ صِدۡقٍ عِندَ مَلِيكٖ مُّقۡتَدِرِۭ ﴿٥٥﴾ ﴾

من بركة الإقبال على القرآن حسن الخاتمة: فقد مات ابن تيمية ﷀ وقد وقف في القراءة عند قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَنَهَرٖ ﴿٥٤﴾ فِي مَقۡعَدِ صِدۡقٍ عِندَ مَلِيكٖ مُّقۡتَدِرِۭ ﴿٥٥﴾ ﴾، وآخر آية فسرها العلامة الشنقيطي هي: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡإِيمَٰنَ ﴾ (المجادلة: ٢٢) وغير ذلك كثير جدًا، فنسأل الله تعالى حسن الختام.

سُورَةُ الرَّحْمَٰن

تأمَّل قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ﴾ كيف جعل الخلق والتعليم ناشئًا عن صفة الرحمة، متعلقًا باسم الرحمن، وجعل معاني السورة مرتبطة بهذا الاسم، وختمها بقوله: ﴿تَبَٰرَكَ ٱسۡمُ رَبِّكَ ذِي ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ﴾ (الرحمن: ٧٨)، فالاسم الذي تبارك هو الاسم الذي افتتح به السورة؛ إذ مجيء البركة كلها منه، وبه وضعت البركة في كل مبارك، فكل ما ذُكر عليه، بورك فيه، وكل ما خلي منه، نزعت منه البركة.

ابن القيم، مختصر الصواعق (٢/١٢٤)

﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ۝٤﴾

١) في تقديم تعليم القرآن على خلق الإنسان إيذان بمكانته، وإعلام بشأنه وهدايته، ولولا فضل الله بتعليم القرآن، لكان الإنسان أسيرًا وعبدًا لدنياه، فليكن القرآن مقدمًا في حياتنا؛ لنبصر -على هداه- جميع أمرنا.

محمد الراوي، حديث القرآن عن القرآن (٤٦٣)

٢) ﴿خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ۝٤﴾ الإنسان بالأمس نطفة، واليوم هو في غاية البيان وشدة الخصام يجادل في ربه، وينكر قدرته على البعث، فالمنافاة العظيمة التي بين النطفة وبين الإبانة في الخصام -مع أن الله خلقه من نطفة وجعله خصيمًا مبينًا-: آية من آياته ﷻ، دالة على أنه المعبود وحده، وأن البعث من القبور حق.

الشنقيطي، أضواء البيان (٧/٧٣٥)

﴿وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلۡمِيزَانَ ۝٧ أَلَّا تَطۡغَوۡاْ فِي ٱلۡمِيزَانِ ۝٨ وَأَقِيمُواْ ٱلۡوَزۡنَ بِٱلۡقِسۡطِ وَلَا تُخۡسِرُواْ ٱلۡمِيزَانَ ۝٩﴾

١) قال قتادة في قوله تعالى: ﴿أَلَّا تَطۡغَوۡاْ فِي ٱلۡمِيزَانِ﴾ اعدل يا ابن آدم كما تحب أن يعدل عليك، وأوف كما تحب أن يوفى لك؛ فإن العدل يصلح الناس.

الدر المنثور (٧/ ٦٩٢)

٢) تقدم الميزان وتكرر في ثلاث آيات متتابعات في سورة الرحمن: ﴿وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلۡمِيزَانَ ﴿٧﴾ أَلَّا تَطۡغَوۡاْ فِي ٱلۡمِيزَانِ ﴿٨﴾ وَأَقِيمُواْ ٱلۡوَزۡنَ بِٱلۡقِسۡطِ وَلَا تُخۡسِرُواْ ٱلۡمِيزَانَ﴾؛ لأنه دين العدل، وبه قامت السماوات والأرض!

د. عبدالله الغفيلي

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٣﴾﴾

١) لما جاءت سورة الرحمن بذكر نعمٍ تجل عن الإحاطة بالوصف ويعجز العارف بها عن شكرها، تكرر قوله تعالى: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾، في عامة السورة؛ وذلك أنها نعم ظاهرة مشاهدة لكل مخلوق، ولا طمع لأحد في نسبتها لغير الله تعالى، فتتابع التكرار واشتد الإنكار على من كذب بشيء من ذلك.

الغرناطي، ملاك التأويل (١٠٦١)

٢) إذا تأملت سورة القمر، وجدت خطابها خاصًا ببني آدم، بل بمشركي العرب منهم فقط، فأتبعت سورة القمر بسورة الرحمن؛ تنبيها للثقلين، وإعذارًا إليهم، وتقريرًا على ما أودع سبحانه في العالم من العجائب، والبراهين الساطعة، فتكرر فيها التقرير والتنبيه بقوله تعالى: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾؛ خطابًا للجنسين، فبان اتصالها بسورة القمر أشد البيان.

ابن الزبير الغرناطي، نظم الدرر (٨/٢٩٣)

﴿يَسۡـَٔلُهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ كُلَّ يَوۡمٍ هُوَ فِي شَأۡنٖ ﴿٢٩﴾﴾

في قوله تعالى: ﴿يَسۡـَٔلُهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ من الإنس والجن والملائكة وكل المخلوقات ﴿كُلَّ يَوۡمٍ هُوَ فِي شَأۡنٖ ﴿٢٩﴾﴾ وفي هذا حفاوة بالدعاء والسؤال، والتعرض لنفحات ذي الجلال؛ فإنها مظنة تعجيل التبديل والتغيير، فإذا سألوه وألحوا في سؤالهم، كان من شأنه أن يجيب سائلهم، ويغير أحوالهم من الهوان والتخلف والجهل والمرض والفرقة والضياع إلى الرفعة والمجد والعلم والعافية والاتحاد، وهذه مناسبة اتصال أول الآية بآخرها.

د. سلمان العودة

﴿يُعۡرَفُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ بِسِيمَٰهُمۡ فَيُؤۡخَذُ بِٱلنَّوَٰصِي وَٱلۡأَقۡدَامِ ٤١﴾

في الآخرة لا تسجل القضية ضد مجهول! ﴿يُعۡرَفُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ بِسِيمَٰهُمۡ﴾ بعلامات تظهر عليهم: كالزرقة: ﴿وَنَحۡشُرُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ يَوۡمَئِذٖ زُرۡقٗا﴾ طه:١٠٢، وسواد الوجه: ﴿وَتَسۡوَدُّ وُجُوهٞ﴾ (آل عمران: ١٠٦).

د. سعد العتيبي

﴿وَلِمَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ٤٦﴾

يقول أحد الإخوة: كم من معصية في الخفاء منعني منها قوله تعالى: ﴿وَلِمَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ٤٦﴾، إنها آية واحدة تغني عن كثير من المواعظ[1].

﴿فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ لَمۡ يَطۡمِثۡهُنَّ إِنسٞ قَبۡلَهُمۡ وَلَا جَآنّٞ ٥٦﴾

قال الحسن ﷺ: قاصرات الطرف على أزواجهن لا يردن غيرهم، والله ما هن متبرجات ولا متطلعات.

الدر المنثور (١٤/١٤٣)

وفي هذا دلالة على عظم خلق الحياء، وأنه ممتد إلى عالم الآخرة.

(١) من آثار وبركات هذه الرسالة على إخواننا المشتركين، ما سطره بعض المشتركين - بارك الله فيه - حيث قال: (سبحان الله! أوشكت على أن أقترف معصية، فجاءت رسالتكم وفيها: ﴿وَلِمَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ٤٦﴾ فأعانتني على تركها، فجزاكم الله خيرًا، ولا تنسونا من دعائكم) انتهت رسالته.

ونقول: هكذا فليكن التدبر، وهل يراد من القرآن إلا تدبره والعمل به؟ فأكثر الله في المسلمين من أمثاله.

سُورَةُ الوَاقِعَةِ

١) قال مسروق: من أراد أن يعلم نبأ الأولين والآخرين، ونبأ أهل الجنة، ونبأ أهل النار، ونبأ أهل الدنيا، ونبأ أهل الآخرة، فليقرأ سورة الواقعة.

الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٧/١٩٤)

٢) هل تأملتَ كيف تحدَّثتْ (الواقعة) عن ثواب المؤمنين وعقوبة أصحاب الشمال؟ ففي الحديث عن ثواب المؤمنين لم يذكر سبب الثواب، وحينما ذكر عذاب أصحاب الشمال بين سبب تعذيبهم. والحكمة في ذكر سبب عذابهم، مع أنه لم يذكر في أصحاب اليمين سبب ثوابهم، فلم يقل: إنهم كانوا قبل ذلك شاكرين مذعنين؛ التنبيه على أن ذلك الثواب منه تعالى فضل، لا تستوجبه طاعة مطيع، وشكر شاكر، وأن العقاب منه تعالى عدلٌ، فإذا لم يعلم سبب العقاب يظن أن هناك ظلمًا.

روح البيان، إسماعيل حقي (٩/٣٢٨)

﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ۝١﴾

ابتدأ الله هذه السورة بجملة شرطية عن وقوع الساعة، حذف جوابها؛ ليذهب الذهن في تقديره كل مذهب، ويسلك في تفخيمه كل طريق!

ابن عثيمين، الضياء اللامع (٢/٣٦١)

﴿خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ۝٣﴾

١) قال زيد بن أسلم: من انخفض يومئذ؛ لم يرتفع أبدًا، ومن ارتفع يومئذ؛ لم ينخفض أبدًا.

الدر المنثور (٨/٥)

٢) في الآية تعظيم لشأن يوم القيامة، وترغيب وترهيب؛ ليخاف الناس في الدنيا من أسباب الخفض في الآخرة فيطيعوا الله، ويرغبوا في أسباب الرفع فيطيعوه أيضًا.

الشنقيطي، أضواء البيان (٧/٧٦٤)

٣) قال تعالى عن القيامة: ﴿خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ﴾ يعني: هي خافضة رافعة، فأهل العلم والإيمان هم الذين لهم الرفعة في الدنيا والآخرة، ومن سواهم فإنهم موضوعون بحسب بعدهم عن العلم والإيمان، وتخفض أهل الجهل والعصيان، وكم من إنسان في الدنيا رفيع الجاه، معظم عند الناس، يكون يوم القيامة من أحقر عباد الله؟!

ابن عثيمين، تفسير الحجرات- الحديد (٣٢٧، ٣٢٨)

﴿وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾﴾

قدم ذكر الفاكهة على اللحم؛ لأن الفواكه أعز، ولذلك جعل التخير للفاكهة، والاشتهاء للحم؛ ولأن الاشتهاء أعلق بالطعام منه بالفواكه، فلذة كسر الشهية بالطعام لذة زائدة على لذة حسن طعمه، وكثرة التخير للفاكهة فيه لذة أخرى هي لذة تلوين الأصناف فهم من لذة عظمى إلى مثلها.

ابن عاشور، التحرير والتنوير (٢٧/٢٩٥)

﴿عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾﴾

قال المفسرون: العروب هي العاشقة المتعشقة لزوجها، الغنجات حسنات الكلام مع أزواجهن على الفراش فالصالحة تجمع ولا بد صفتين وهما: تمام الحياء عند غير زوجها، وكمال اللعب والتكسر والتغنج والتعشق والخضوع إذا خلت ببعلها ولهن مثل الذي عليهن.

د. عصام العويد

﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾﴾

١) ﴿ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ﴾ حتى الكلمة الطيبة تلقيها، فالله يزرعها في القلوب.

متدبر

٢) ﴿لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا﴾، أي: بعد أن يخرج وتتعلق به النفوس يجعله الله حطامًا، ولم يأت التعبير بـ (لو نشاء لم ننبته)؛ لأن كونه ينبت وتتعلق به النفس، ثم يكون حطامًا أشد وقعًا على النفس من كونه لا ينبت أصلًا.

ابن عثيمين، تفسير الحجرات- الحديد (٣٤٣)

﴿ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾﴾

لم يقل: لو نشاء لم ننزِّل؛ لكن قال: لو نشاء جعلناه أجاجًا -أي: مالحًا لا يمكن أن يشرب-، فما الحكمة في اختيار هذه اللفظة: ﴿لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا﴾؟ لم يقل: لو نشاء لم ننزِّل؛ لأن حسرة الإنسان على ماء بين يديه، ولكن لا يستطيعه ولا يستسيغه أشد من حسرته على ماءٍ مفقودٍ.

ابن عثيمين، الباب المفتوح (٥/١٤٢)

﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ ﴿٧١﴾ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ﴿٧٢﴾ نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ ﴿٧٣﴾﴾

١) في قوله تعالى: ﴿نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ﴾ لطيفة، وهي: أن الله تعالى قدم كونها تذكرة على كونها متاعًا؛ ليعلم العبد أن الفائدة الأخروية أتم وبالذكر أهم.

الرازي، مفاتيح الغيب (٢٩/١٦١)

٢) كلما أَوْقَدْتَ نارًا تتدفأ بها، فتذكَّر قوله تعالى: ﴿نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ﴾ قال الشنقيطي: أي: أن في دار الدنيا إذا أحسُّوا شدَّة حرارتها، تذكَّروا بها نار الآخرة التي هي أشد منها حرًّا؛ لينزجروا عن الأعمال المقتضية لدخول النار.

أضواء البيان (٧/٧٩٦)

٣) ﴿نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ﴾ خص المقوين بالذكر وإن كانت منفعتها عامة للمسافرين والمقيمين؛ تنبيهًا لعباده -والله أعلم بمراده من كلامه- على أنهم كلهم مسافرون وأنهم فى هذه الدار على جناح سفر ليسوا هم مقيمين ولا مستوطنين وأنهم عابرو سبيل وأبناء سفر.

ابن القيم، طريق الهجرتين (١٤٢)

﴿۞ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾ إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾﴾

١) ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ﴾ بها يهتدى في ظلمات البر والبحر، ثم أتبعها بما يهتدى به في ظلمات الشرك والجهل: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ﴾ يهتدى به، فتأمل بين القسم وجوابه.

متدبر

٢) وصف القرآن بأنه كريم في قوله تعالى ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ﴾ فيه ميزة وهي: أن الكلام إذا قرئ وتردد كثيرًا، يهون في الأعين والآذان؛ ولهذا ترى من قال شيئًا في مجلس الملوك لا يذكره ثانيًا ولا يكرره، فقوله تعالى: ﴿كَرِيمٌ﴾ أي: لا يهون بكثرة التلاوة بل يبقى أبد الدهر كالكلام الغض والحديث الطري.

الرازي، مفاتيح الغيب (٢٩/١٦٦)

٣) القرآن كريم في ثوابه؛ فالحرف بعشر حسنات، والحسنة بعشر أمثالها، وهو كريم في آثاره على القلوب وصلاحها؛ فإن قراءة القرآن تلين القلب، وتوجب الخشوع لله ﷻ، وكريم في آثاره بدعوة الناس إلى شريعة الله ﷻ.

ابن عثيمين، تفسير الحجرات- الحديد (٣٤٧)

﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ٧٩﴾

١) كما أن اللوح المحفوظ الذي كتب فيه حروف القرآن لا يمسه إلا بدن طاهر، فمعاني القرآن لا يذوقها إلا القلوب الطاهرة، وهي قلوب المتقين.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى (١٣/٢٤٢)

٢) علق البخاري على قوله: ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ﴾، فقال: «لا يجد طعمه ونفعه إلا من آمن بالقرآن ولا يحمله بحقه إلا الموقن المؤمن». قال ابن حجر: «والمعنى: لا يجد طعمه ونفعه إلا من آمن به، وأيقن بأنه من عند الله، فهو المطهَّر من الكفر، ولا يحمله بحقه إلا المطهَّر من الجهل والشك، لا الغافل عنه الذي لا يعمل».

فتح الباري (١٣/٥٠٨) (بتصرف)

﴿تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ٨٠﴾

إشارة إلى أنه يجب علينا أن نعمل به؛ لأن الذي أنزله هو الرب المطاع الخالق الرازق، الذي يجب أن نطيعه بما أمر، وننتهي عما نهى عنه وزجر.

ابن عثيمين، تفسير الحجرات-الحديد(٣٤٩)

﴿ فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ٨٣ ﴾

ذكر الله الحلقوم دون المريء؛ لأن الحلقوم مجرى النفس، وبانقطاعه يموت الإنسان، فإذا بلغت الروح الحلقوم وهي صاعدة من أسفل البدن إلى هذا الموضع، حينئذ تنقطع العلائق من الدنيا، ويعرف الإنسان أنه أقبل على الآخرة، وانتهى من الدنيا.

ابن عثيمين، تفسير الحجرات- الحديد (٣٥١)

﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ٨٥ فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ٨٦ تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ٨٧ ﴾

عندما أقرأ وصف المحتضر -وهو على عتبات الآخرة- وروحه تودع الدنيا، أترك رهبة الصورة تغزو نفسي، وأنا مستكين: ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ٨٥ فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ٨٦ تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ٨٧ ﴾.

محمد الغزالي، المحاور الخمسة للقرآن الكريم (١١)

سورة الحديد

﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾﴾

إنما خلقها الله في ستة أيام -والله أعلم- لحكمتين:

١-أن هذه المخلوقات يترتب بعضها على بعض، فرتب الله تعالى بعضها على بعض حتى أحكمها، وانتهى منها في ستة أيام.

٢-أن الله علم عباده التؤدة والتأني، وأن الأهم إحكام الشيء لا الفراغ منه.

ابن عثيمين، تفسير الحجرات- الحديد (٣٦٥)

﴿يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ ۚ وَهُوَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٦﴾﴾

﴿وَهُوَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ إذا كنت تصدق بذلك، فهل يمكن أن تضمر في قلبك ما لا يرضاه الله؟ إن كنت مؤمنًا لا يمكن، فطهر قلبك من الرياء والنفاق، والغل على المسلمين، والحقد والبغضاء؛ لأن قلبك معلوم عند الله ﷻ.

ابن عثيمين، تفسير سورة الحجرات-الحديد (٣٧٣)

﴿هُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِۦٓ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٩﴾﴾

﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ أقرب الخلق إلى الله تعالى أعظمهم رأفة ورحمة، كما أن أبعدهم منه من اتصف بضد صفاته.

ابن القيم، الروح (٢٥١)

﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٠﴾﴾

١) بالشجاعة والكرم في سبيل الله فُضّل السابقون، قال تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ ۚ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا ۚ وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ﴾.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى (٢٨ / ١٥٨)

٢) إنزال الناس منازلهم، ومراعاة مراتبهم في الفضل منهج قرآني، تأمل: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ ۚ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا﴾؛ فليحذر أولئك الذين يتجاوزن من لهم سابقة في علم أو دعوة بحجة أنهم بشر، وأنهم غير معصومين... إلخ، تلك الدعاوى التي نهايتها أن لا يبقى للأمة أئمَّة يُقتدى بهم.

د. عمر المقبل

﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ ﴿١٣﴾﴾

﴿قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ﴾ حيث كان منهجم الخداع للمؤمنين في الدنيا، فكان الجزاء من جنس العمل، إذ لن يجدوا نورًا، وإنما سيجدون نارًا، وتأمل دقة اللفظ ممن خاطبهم، حيث قال: ﴿فَالْتَمِسُوا نُورًا﴾ ولم يقل: (فستجدون نورًا).

أ. د. ناصر العمر

﴿يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ ۖ قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ ﴿١٤﴾﴾

١) مرارة الانتكاس: ﴿يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ ۖ قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ أشدّ ما يكون من الحسرة والبلاء أن يُفتح للعبد طريقُ النجاة والفلاح؛ حتى إذا ظن أنه ناجٍ ورأى منازل السعداء، اقتُطِعَ عنهم وضُربت عليه الشقوة.

ابن القيم، طريق الهجرتين (٢/٨٨١-٨٨٢)

٢) ﴿وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾ كم مَنْ شارف مركبُه ساحلَ النجاة، فلما همَّ أن يرقى، لعِبَ به موج الهوى، فغرق.

ابن رجب، لطائف المعارف (٣٤٠)

﴿۞ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾﴾

١) ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾ (الحديد:١٦) قال ابن مسعود ﷺ: ما كان بين إسلامنا وبين أن عاتبنا الله بهذه الآية إلا أربع سنين[1].

فكم سَنة لنا في الإسلام، وربما في الاستقامة؟!

٢) أحضر قلبك.. فالقرآن أول ما نزل على القلب، فإن أنصت القلب وانفتح لخطاب الله؛ أنصتت تبعًا له بقية الجوارح، وإن أعرض؛ كانت كالرعية بلا راعٍ، ويوضح هذا لك أن الله عاتب المؤمنين بعدم خشوع قلوبهم عند سماع القرآن: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾.

﴿إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَٰتِ وَأَقْرَضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١٨﴾﴾

﴿وَأَقْرَضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ وصف الله القرض بأنه حسنٌ، وليكون كذلك فلا بد أن يجمع شرطين:

١- الإخلاص لله ﷻ.

٢- المتابعة لرسول الله ﷺ.

فالمرائي الذي ينفق ماله رياء لم يقرض الله قرضًا حسنًا.

ابن عثيمين، تفسير الحجرات-الحديد (٣٩٢)

﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿٢٠﴾﴾

العاقل إذا قرأ القرآن وتبصر عرف قيمة الدنيا، وأنها ليست بشيء، وأنها مزرعة للآخرة، فانظر ماذا زرعْتَ فيها لآخرتك؟ إن كنت زرعت خيرًا، فأبشر بالحصاد الذي يرضيك، وإن كان الأمر بالعكس، فقد خسرت الدنيا والآخرة.

ابن عثيمين، شرح رياض الصالحين (٣/٣٥٨)

(١) مسلم ح(٣٠٢٧).

﴿ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾ ﴾

الزهد المشروع هو ترك كل شيء لا ينفع في الدار الآخرة، وثقة القلب بما عند الله، وفي الأثر: «الزهادة في الدنيا ليست بتحريم الحلال ولا إضاعة المال، ولكن الزهادة في الدنيا أن لا تكون بما في يديك أوثق مما في يدي الله، وأن تكون في ثواب المصيبة إذا أنت أصبت بها أرغب فيها لو أنها أبقيت لك»؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ ﴾.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى (٦٤١/١٠)

﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ ۚ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾ ﴾

فيه إشارة لأولي الألباب إلى الوسائل التي تتيح الغلبة والقوة، وإشارة أخرى إلى أن الحق لا ينتصر بالحماس الجاهل، فمن فقد عدالة المبدأ وخبرة القدير المدرب، فلا يلومن إلا نفسه!

محمد الغزالي، المحاور الخمسة (٦٥)

﴿ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ۖ فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾

قال عبد الرحمن بن عمر: ذُكِر عند عبد الرحمن بن مهدي قوم من أهل البدع، واجتهادهم في العبادة، فقال: لا يقبل الله إلَّا ما كان على الأمر والسُّنة؛ ثم قرأ: ﴿ وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ ﴾، فلم يقبل ذلك منهم، ووبَّخهم عليه، ثم قال: الزم الطريق والسنة.

حلية الأولياء (٨/٩)

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٨﴾ ﴾

تأمل حيث جعل الله تحقيق التقوى من أجل غايات الصيام، ثم انظر لأثر التقوى في حياتك، ومن أعظم ذلك أن يجعل الله لك نورًا تمشي به في الظلمات، مع الرحمة وتكفير السيئات، وقف مليًا مع: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾.

أ. د. ناصر العمر

سُورَةُ المُجَادلَةِ

سورة المجادلة ورد في كل آية منها اسم الجلالة (الله)، دون الربوبية (رب)، وقد ورد (٤٠) مرة، وهو -أي اسم الجلالة (الله)- يغلب وروده في مقام الأحكام الشرعية، ومقام تربية المهابة.

د. مساعد الطيار

﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ ۝١﴾

بينما عمر بن الخطاب يسير على حماره لقيته امرأة، فقالت: قف يا عمر! فوقف، فأغلظت له القول، فقال رجل: يا أمير المؤمنين ما رأيت كاليوم! فقال: وما يمنعني أن أستمع إليها وهي التي استمع الله لها، فأنزل فيها ما نزل: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾.

الدر المنثور (٧٠/٨)

﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّاۖ فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًاۚ ذَٰلِكَ لِتُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۚ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِۗ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝٤ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ كُبِتُواْ كَمَا كُبِتَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۚ وَقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٍۚ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ۝٥﴾

١) ما الفرق بين قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِۗ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، وقوله بعدها: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ كُبِتُواْ كَمَا كُبِتَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۚ وَقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٍۚ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾؟ الفرق أن الكافرين على نوعين: فالكافر غير المحاد لله ورسوله له عذاب أليم، أما الكافر المحاد والمعادي لله ورسوله فله مع العذاب الأليم الكبت والإذلال والقهر والخيبة في الدنيا والآخرة، فناسبت كل خاتمة ما ذكر قبلها.

الإسكافي، درة التنزيل (٢٧٢)

٢) وصف الله عذابه للكفار بأنه ﴿عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ فإن قيل: وهل هناك عذاب غير مهين؟ قيل: المهين هو المورث صاحبه ذلة وهوانًا، ويخلد فيه صاحبه لا ينتقل من هوانه إلى عز وكرامة أبدًا، وهو المختص بالكفار، وأما الذي هو غير مهين، فهو ما كان تمحيصًا لصاحبه، كأهل الكبائر الذين يعذبون في الآخرة ليمحصوا، فإن ذلك وإن كان عذابًا فهو غير مهين؛ لأن الغاية تمحيصه من آثامه ثم يورد معدن العز والكرامة ويخلد في نعيم الجنان.

الطبري، جامع البيان (٢ / ٢٥٤)

﴿ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ ۚ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٦﴾ ﴾

١) لو رمى العبد بكل معصية حجرًا في داره، لامتلأت داره في مدة يسيرة قريبة من عمره، ولكنه يتساهل في حفظ المعاصي، والملكان يحفظان عليه ذلك: ﴿أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ﴾.

أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين (٤/٤٠٦)

٢) اجتمعت كلمةٌ إلى نظرة، إلى خاطر قبيح وفكرة، في كتاب يحصي حتى الذرَّة، والعصاةُ عن المعاصي في سكرة؛ فجنوا ما جنوا ثمار ما غرسوه: ﴿أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ﴾.

ابن الجوزي، التبصرة (٣٥٩)

٣) إن المسلم الحق يغالي بالوقت مغالاة شديدة، فإذا سمح بضياعه وترك العوادي تنهبه؛ فهو ينتحر بهذا المسلك الطائش: ﴿أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾.

محمد الغزالي، خلق المسلم (٢٠٥)

﴿ إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيْسَ بِضَآرِّهِمْ شَيْـًٔا إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾ ﴾

الحزن يضعف القلب، ويوهن العزم، ويضر الإرادة، ولا شيء أحب إلى الشيطان من حزن المؤمن ﴿إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ فالحزن مرض من أمراض القلب، يمنعه من نهوضه وسيره وتشميره.

ابن القيم، طريق الهجرتين (٢٧٩)

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا۟ فِى ٱلْمَجَٰلِسِ فَٱفْسَحُوا۟ يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُوا۟ فَٱنشُزُوا۟ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾ ﴾

١) دل قوله تعالى: ﴿فَٱفْسَحُوا۟ يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ على أن كل من وسع على عباد الله أبواب الخير والراحة، وسع الله عليه خيرات الدنيا والآخرة، ولا ينبغي للعاقل أن يقيد الآية بالتفسح والتوسع في المجلس، بل المراد منه إيصال أي خير إلى المسلم، وإدخال السرور في قلبه.

الرازي، مفاتيح الغيب (٢٩/٢٣٤)

٢) إذا كان جزاء الفسح في المكان، هو توسعة الرزق في الدنيا، وتوسعة المنازل في الجنة، وهي لا تضر الفاسحَ شيئًا، ولا تكلفه جهدًا، فكيف بمن فرج عن مسلم كربة، أو دفع عنه مسغبة، أو قضى له حاجة؟!

د. صالح البهلال

٣) كيف بمن يسعى لإخوانه؟!

﴿فَٱفۡسَحُواْ يَفۡسَحِ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ﴾ يوسع الله حياتك بحركة يسيرة تتحركها ليقعد أخوك؛ كيف بمن يسعى ويركض من أجلهم؟!

د. عبدالله بلقاسم

٤) ﴿إِذَا قِيلَ لَكُمۡ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلۡمَجَٰلِسِ فَٱفۡسَحُواْ﴾ لا يبعد أن يدخل في إشارات هذه الآية فسح المجال للمتحدث، وترك الاستئثار بالحديث في المجلس، والبعد عن مقاطعة من يشرع بحديث، أو تكذيبه، أو إكمال كلامه، والله أعلم.

د. محمد الحمد، هداية آيات (٤٣)

٥) لما أمر الله عباده بأدبين من آداب المجالسة فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمۡ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلۡمَجَٰلِسِ فَٱفۡسَحُواْ يَفۡسَحِ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ﴾ أعقبهما بقوله: ﴿يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ﴾ فدل على أن أهل العلم أولى من أخذ بهذين الأدبين، وأنهم أولى من تؤدب معهم بهما، وأن مجالسهم أولى المجالس بالقيام بهما.

د. محمد الخضيري

٦) قال تعالى: ﴿يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ﴾ ولم يقل (يرفعكم)؛ ليدل ذلك على فضيلة الإيمان والعلم عمومًا، وأن بهما تحصل الرفعة في الدنيا والآخرة، ويدل على أن من ثمرات العلم والإيمان: سرعة الانقياد لأمر الله، وأن هذه الآداب ونحوها إنما تنفع صاحبها، ويحصل له بها الثواب إذا كانت صادرة عن العلم والإيمان.

السعدي، المواهب الربانية (٢١)

٧) من عمل بهذا القرآن تصديقًا وطاعة وتخلقًا، فإن الله تعالى يرفعه به في الدنيا وفي الآخرة؛ وذلك لأن هذه القرآن هو أصل العلم، ومنبع العلم، وكل العلم، وقد قال الله تعالى: ﴿يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ﴾.

ابن عثيمين، شرح رياض الصالحين (٦٤٦/٤)

٨) كم من عالم لا يرتفع بعلمه! وذلك لضعف إيمانه، وقلة إخلاصه، وضعف عنايته بأمر قلبه، لا لقلة علمه، وذلك أن الله وعد بالرفعة من جمع الإيمان والعلم فقال: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ وهذا سر ارتفاع قدر أفراد من العلماء من بين سائر أهل العلم.

د. محمد الخضيري

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نَٰجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةً ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ ۚ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾

من أبين النَّسْخ في القرآن: نَسْخُ وجوب الصدقة عند مناجاة الرسول ﷺ وقد أجمع العلماء عليه. ويبقى السؤال: ما حكمة ذكره وقد نسخ وزال المقصود منه بموت الرسول؟

فيقال: ليبقى لورثة رسول الله ﷺ من أهل العلم هيبة وقدر فلا يجترأ عليهم ولا يؤذون بكثرة الأسئلة، والمناجاة في كل وقت فلا جفاء ولا غلو.

د. محمد الخضيري

﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ ۖ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٨﴾﴾

قال تعالى عن المنافقين: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ﴾ وهذا يقتضي توغلهم في النفاق ورسوخه فيهم وأنه باق في أرواحهم بعد بعثهم؛ لأن نفوسهم خرجت من عالم الدنيا متخلقة به، فإن النفوس إنما تكتسب تزكية أو خبثًا في عالم التكليف.

ابن عاشور، التحرير والتنوير (٥٢/٢٨)

﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾﴾

١) ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ﴾ إنما يثبت الإيمان بملاحظة أسبابه وأدلته، وبملازمة الطاعات وأنواع القربات.

العز بن عبد السلام، شجرة المعارف والأحوال (٥٩)

٢) وفي قوله تعالى: ﴿رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ﴾ سر بديع وهو أنه لما سخطوا على القرائب والعشائر في الله تعالى؛ عوضهم الله بالرضا عنهم، وأرضاهم عنه بما أعطاهم من النعيم المقيم، والفوز العظيم والفضل العميم.

ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (٣٩٦/٤)

٣) تدبر هذه الآية كاملة:

﴿لَّا تَجِدُ قَوۡمٗا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ يُوَآدُّونَ مَنۡ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوۡ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمۡ أَوۡ أَبۡنَآءَهُمۡ أَوۡ إِخۡوَٰنَهُمۡ أَوۡ عَشِيرَتَهُمۡۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٖ مِّنۡهُۖ وَيُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾

حيث جعل جزاءهم عظيمًا مقابل البراءة من أقرب الناس إليهم، إذ لا تفعل ذلك إلا النفوس المؤمنة القوية: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٖ مِّنۡهُ﴾ فكان العطاء سخيًا وافرًا، توج ذلك برضوانه عليهم، وبأن جعلهم من حزبه المقربين، عوضًا عن تركهم لتحزبات الجاهلية بالباطل: ﴿أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾.

أ. د. ناصر العمر

سورة الحشر

﴿ هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ ﴿٢﴾ ﴾

الاعتماد في الحماية والنصرة على المخلوقين من أعظم أسباب الخذلان في أحرج الأوقات، تدبر: ﴿وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ﴾.

أ. د. ناصر العمر

﴿ مَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٧﴾ ﴾

﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾ يؤلمني جدًا عندما يقال لشخص: قال رسول الله كذا وكذا، فيقول لك: هل فيه خلاف؟ سبحان الله! المخالف قد يكون معذورًا في مخالفة النص لتأويله، أو عدم علمه، لكن أنت غير معذور، وإذا عذر المتبوع، فليس للتابع عذر.

ابن عثيمين، لقاء الباب المفتوح (الجلسة الأولى من عام ١٤١٣هـ)

﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿٨﴾ ﴾

١) قال أبو بكر بن عياش: أبو بكر الصديق ﷺ هو خليفة رسول الله في القرآن؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿٨﴾﴾ فمن سماه الله صادقًا، فليس يكذب، وقد ناداه الصحابة: فقالوا: يا خليفة رسول الله!

سير أعلام النبلاء (٢٨/١٦)

٢) والصادقون في هذه الآية الذين جمعوا بين صدق اللسان وصدق الأفعال؛ لأن أفعالهم في أمر هجرتهم إنما كانت وفق أقوالهم.

ابن عطية، المحرر الوجيز (٢٦١/٥)

﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَٰنَ مِن قَبۡلِهِمۡ يُحِبُّونَ مَنۡ هَاجَرَ إِلَيۡهِمۡ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمۡ حَاجَةٗ مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٞۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ٩﴾

١) إذا أردت أن تعرف بعض مزايا الأنصار النادرة، فقف وتأمل: ﴿يُحِبُّونَ مَنۡ هَاجَرَ إِلَيۡهِمۡ﴾ فعبر بـ(الحب) دون غيره كـ(القبول والرضا والإكرام)؛ لأن الناس -غالبًا- يتضايقون ممن يفد إليهم من بلاد أخرى، بل قد لا يتحمل بعضهم ضيفًا عزيزًا بضعة أيام، فكيف بمن سيشاركهم الإقامة والمعيشة؟.

أ. د. ناصر العمر

٢) سئل أبو الحسن البوشنجي عن الفتوّة -أي: الرجولة التي يتفاخر بها بعض الناس- فقال: الفتوّة عندي في آية من كتاب الله، وخبر عن النبيِّ ﷺ، فالآية قوله تعالى: ﴿يُحِبُّونَ مَنۡ هَاجَرَ إِلَيۡهِمۡ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمۡ حَاجَةٗ مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٞۚ﴾، والخبر: «**لا يؤمن العبدُ حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه**»[1]، فمن اجتمعتا فيه، فله الفتوّة.

شعب الإيمان للبيهقي (٢٦١/٣)

٣) ﴿وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمۡ حَاجَةٗ مِّمَّآ أُوتُواْ﴾ أحسن ما قيل فيه: لا يحسدون إخوانهم على فضل ما أعطاهم الله.

ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (٦٩/٨)

٤) يؤسفنا كثيرًا أن يقع المسلمون في التكالب العظيم على جمع الدنيا وهم يقرؤون قول الله ﷻ: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾؛ فإن هذه القضية العامة الكلية تدل بمنطوقها على حصول الفلاح لمن وقاه الله شح نفسه، وتدل بمفهومها على حصول الخسارة لمن لم يوق شح نفسه، وهذا هو الواقع.

ابن عثيمين، فتاوى نور على الدرب (١/ ٥)

(١) البخاري ح(١٣)، ومسلم ح(٤٥)، والترمذي ح(٢٥١٥)، والنسائي ح(٥٠١٦)، وأحمد ح(١٢٨٠١).

٥) عندما يذكر الله فضل قوم أو كرامةً لأحد أوليائه يبين أن من أراد أن يسلك طريق هؤلاء، فله مثلهم، فحين ذكر فضل الأنصار قال: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾. وبعد أن بين سبب نجاة يونس قال: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ الأنبياء:٨٨، وفي سياق ذكر سبب شفاء أيوب قال: ﴿وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ﴾ الأنبياء:٨٤. فما أكرمه من إله!

أ. د. ناصر العمر

﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾

١) قال سعد بن أبي وقاص ﷺ: الناس على ثلاث منازل، فمضت منزلتان، وبقيت واحدة:

١- ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟﴾ (الحشر:٨) هؤلاء المهاجرون، وهذه منزلة قد مضت.

٢- ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ (الحشر:٩)، وهؤلاء الأنصار وهذه منزلة قد مضت.

٣- ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾، فأحسن ما أنتم عليه كائنون، أن تكونوا بهذه المنزلة التي بقيت.

مختصر منهاج السنة (١/٢٣٤)

٢) بلغ ابن عمر أن رجلًا نال من عثمان فدعاه فأقعده بين يديه فقرأ عليه: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ الحشر:٨، قال: مِن هؤلاء أنت؟ قال: لا. ثم قرأ: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾، قال: مِن هؤلاء أنت؟ قال: أرجوا أن أكون منهم، قال: لا والله ما يكون منهم من يتناولهم وكان في قلبه الغل عليهم.

الدر المنثور (٨/١١٣-١١٤)

٣) ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ لا يعرفون وجوههم ولا أسماءهم ولا متى وأين وفي أي زمن ولدوا، ويدعون لهم، ويسمونهم إخواننا.

د. عبد الله بن بلقاسم

٤) في قوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾ إشارة إلى أنه يحسن بالداعي إذا أراد أن يدعو لنفسه ولغيره أن يبدأ بنفسه، ثم يُثَنِّي بغيره، ولهذا الدعاء نظائر كثيرة في الكتاب والسنة.

د. محمد الحمد

٥) ﴿وَالَّذِينَ جَاءُو مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ سبحان الله! أخوة الإيمان تبقى حتى بعد الوفاة، فتذكرُ أموات المسلمين بالخير، فتترحم عليهم، وترجو لمحسنهم، وتدعو لمسيئهم أن يشمله الله بعفوهِ، ومن تدبر القرآن، وجده يهدي إلى هذه المحبة.

د. محمد المختار الشنقيطي، مجموعة دروس للشيخ على الشبكة

٦) ﴿وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ ذَكَرَ الله في هذا الدعاء نَفْيَ الغل عن القلب الشاملِ لقليل الغل وكثيره، الذي إذا انتفى، ثبت ضده وهو المحبة بين المؤمنين والموالاة والنصح، ونحو ذلك مما هو من حقوق المؤمنين.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن (٨٥١)

٧) إن الخصومات إذا غارت جذورها، وتفرعت أشواكها، شَلَّت زهرات الإيمان الغض، وأذوت ما يوحي به من حنان وسلام ﴿وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾.

محمد الغزالي، خلق المسلم (٧٥)

٨) من عظمة منهج أهل السنة في حبهم لجميع الصحابة ﷺ أنهم ليس في قلوبهم غِلٌّ على أحد منهم؛ لأن الله أنزل في كتابه: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُو مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾، مع ما سبق في علمه سبحانه أن يقع بينهم ما يقع، فسلِمت قلوب أهل السنة من ذلك، ومَرِضت قلوبُ آخَرين.

د. عمر المقبل

﴿لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴿١٣﴾﴾

المنافق يُخوِّف بالناس، والمؤمن يُخوِّف بالله، تأمل: ﴿لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ﴾.

القصاب، نكت القرآن (٤/٢٦١)

﴿لَا يُقَٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍۭ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾﴾

١) قال تعالى عن اليهود: ﴿بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ﴾ يعني: أن البأس الشديد الذي يوصفون به إنما يكون إذا كان بعضهم مع بعض، فأما إذا قاتلوكم لم يبق لهم ذلك البأس والشدة؛ لأن الشجاع يجبن والعزيز يذل عند محاربة الله ورسوله، كما قال تعالى قبلها: ﴿لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِم مِّنَ ٱللَّهِ﴾ (الحشر: ١٣).

الرازي، مفاتيح الغيب (٢٩/٢٥٢)

٢) وحدة الحق على قِلّتها ستكون أعلى وأعز من وحدة الباطل على كثرتها؛ ذلك أن وحدة المحقين تستند إلى مبادئ باقية خالدة، وأن وحدة المبطلين قد أسست على جرف هار من المنافع الوقتية الزائلة: ﴿بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ﴾.

محمد دراز، من خلق القرآن (٥)

٣) قال قتادة في قوله تعالى: ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ﴾: كذلك أهل الباطل مختلفة شهادتهم، مختلفة أهواءهم، مختلفة أعمالهم، وهم مجتمعون في عداوة أهل الحق.

الدر المنثور (٨/١١٦)

٤) تفرق القلوب واختلافها من ضعف العقل، قال تعالى: ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ﴾ وعلّل ذلك بقوله: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ﴾، ولا دواء لذلك إلا بإنارة العقل بنور الوحي؛ فنور الوحي يحيي من كان ميتًا، ويضيء الطريق للمتمسّك به.

الشنقيطي، أضواء البيان (٣/٥٣)

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾﴾

النظر في سالف الأعمال وسيلة إلى الشكر على ما حسن منها، وإلى الاستغفار والتوبة مما قبح منها.

العز بن عبد السلام، شجرة المعارف والأحوال (٦٨)

﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١٩﴾ ﴾

١) التعريف بالله من أهم عوامل نجاح الخطاب الدعوي، وإنما الغفلة تقع للناس بسبب نسيانهم ربهم الذي خلقهم، فبدل أن يعبدوه يعبدون أهواءهم ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾.

د. فريد الأنصاري، مجالس القرآن (٣٠٧)

٢) (٤٠) عامًا عشتُها مع المخدرات، لم أعرف فيها للحياة طعمًا، وتقطعت حبالي بيني وبين ربي، وبين أكثر عباده، ولم يردني إلى الله إلا آية واحدة سمعتها، فوقرت في قلبي، فشعرت أنها تختصر معاناتي طوال هذه السنين كلها، إنها قول العليم الخبير: ﴿نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ ﴾.

أحد التائبين من المخدرات

٣) قال تعالى: ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾، ثم قال بعدها: ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ﴾ الحشر: ٢١، ذكر هذه الآية بعد بيان حال الفاسقين ينبه على أن ما أوقع الفاسقين في الهلكة إنما هو إهمالهم القرآن الكريم والتدبر فيه، وذلك من نسيانهم الله تعالى.

ابن عاشور، التحرير والتنوير (١١٦/٢٨)

﴿ لَا يَسْتَوِىٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۚ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾

فهم لا يستوون في حياتهم ومماتهم.. لا يستوون في أخلاقهم..لا يستوون في أقوالهم وأفعالهم.. لا يستوون في نياتهم..لا يستوون في همّهم وهمتهم.. فتفقد نيتك وأقوالك وأفعالك.

د. عمر المقبل

﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾

١) قال الضحاك في الآية: لو أنزل هذا القرآن على جبل فأمرته بالذي أمرتكم به وخوَّفته بالذي خوفتكم به إذًا لخشع وتصدع من خشية الله، فأنتم أحق أن تخشوا وتذلوا وتلين قلوبكم لذكر الله.

الدر المنثور (١٢١/٨)

٢) فهذا حال جبال الحجارة الصلبة، وهذه رِقَّتُها وخشيتها وتدكدكها من جلال ربِّها، فيا عجبًا من مضغة لحم أقسى من هذه الجبال تسمع آيات الله تتلى عليها ويذكر الرب ﷻ فلا تلين ولا تخشع ولا تنيب فليس بمستنكر على الله ﷻ ولا يخالف حكمته أن يخلق لها نارًا تذيبها إذ لم تلن بكلامه وذكره وزواجره ومواعظه، فمن لم يلن لله في هذه الدار قلبه ولم ينب إليه ولم يذبه بحبه والبكاء من خشيته؛ فليتمتع قليلًا فإن أمامه الملين الأعظم.

ابن القيم، مفتاح دار السعادة (١/٢٢١)

٣) ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾ المقصود من ذكر الجبل وخشوعه هنا تنبيه الإنسان على قسوة قلبه، وقلة خشوعه عند تلاوة القرآن، وإعراضه عن تدبر زواجره.

زكريا الأنصاري، فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن (١/٥٥٩)

٤) ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ أي: لأجل أن يتفكروا. ويستفاد من هذه الآية فائدة أصولية وهي: أن كل مثل في القرآن، فهو إثبات للقياس؛ لأن المقصود بالمثل: انتقال الذهن من هذا إلى هذا.

ابن عثيمين، شرح أصول في التفسير (٥١)

سُورَةُ المُمْتَحَنَةِ

﴿ ۞ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً ۚ وَٱللَّهُ قَدِيرٌ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾ ﴾

﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً﴾ إرشاد إلى أنه لا ينبغي للإنسان أن يفرط في العداوة، وأن لا يقطع حبال الصلة مع المخالفين والمناوئين، بل يحسن به أن يعتدل في ذلك، وأن يترك فرصة للتصالح والتقارب ولو كانت ضئيلة.

د. محمد الحمد، هداية آيات (١٣)

﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ ﴾

من كفَّ أذاه من الكفار، فإن المسلمين يقابلونه بالإحسان والعدل ولا يحبونه بقلوبهم؛ لأنَّ الله قال: ﴿أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ﴾، ولم يقل: توالونهم وتحبونهم، بل قال الله تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ﴾ (المجادلة:٢٢)، فالصلة الدنيوية شيء، والمودة شيء آخر.

د. صالح الفوزان

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا۟ مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْقُبُورِ ﴿١٣﴾ ﴾

كلما تراكمت الذنوب، طُبع على القلوب، وعند ذلك يعمى القلب عن إدراك الحق وصلاح الدين، ويستهين بأمر الآخرة، ويستعظم أمر الدنيا، ويصير مقصور الهم عليها ﴿قَدْ يَئِسُوا۟ مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْقُبُورِ﴾.

الغزالي، الإحياء (٣/ ١٢)

سورة الصف

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ٢ ﴾

١) كما يستدل بقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ﴾ وما بعدها، على أن من تكلم بالحق وعمل بخلافه أنَّه ممقوت مذموم، فهو -أيضًا- دليل على أنَّ الحمد والعواقب الحميدة لمن تَوافَقَ ظاهره وباطنه، وأقواله وأفعاله.

السعدي، فتح الرحيم الملك العلام (١٦٩)

٢) أنزل الله القرآن؛ ليكون دستورًا نتبعه، ونظامًا نطبقه، فاكتفى أناس منا بتلاوة ألفاظه والتطريب في قراءته، وافتتاح الحفلات واختتامها به، وبين تلاوة الافتتاح وتلاوة الاختتام، ما لا يرضي الله ولا يوافق الإسلام: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ﴾.

علي الطنطاوي، فصول في الدعوة والإصلاح (١٠٦)

﴿ وَإِذۡ قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُم مُّصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَمُبَشِّرَۢا بِرَسُولٖ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِي ٱسۡمُهُۥٓ أَحۡمَدُۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ قَالُواْ هَٰذَا سِحۡرٞ مُّبِينٞ ٦ ﴾

قال عمرو بن مرَّة: خمسة سُمُّوا قبل أن يكونوا: محمد ﴿ وَمُبَشِّرَۢا بِرَسُولٖ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِي ٱسۡمُهُۥٓ أَحۡمَدُ ﴾، ويحيى ﴿ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسۡمُهُۥ يَحۡيَىٰ ﴾ (مريم:٧)، وعيسى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٖ مِّنۡهُ ٱسۡمُهُ ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ﴾ (آل عمران:٤٥)، وإسحاق ويعقوب ﴿ فَبَشَّرۡنَٰهَا بِإِسۡحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسۡحَٰقَ يَعۡقُوبَ ﴾ (هود:٧١).

الإتقان في علوم القرآن (٦٧/٤)

﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ۝٨ ﴾

لا تتعب ذهنك بهذيانات الملحدين؛ فإنها عند من عرفها من هوس الشياطين، وخيالات المبطلين، وإذا طلع فجر الهدى، وأشرقت النبوة، فعساكر تلك الخيالات والوساوس في أول المنهزمين ﴿وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾.

ابن القيم، مفتاح دار السعادة (١/ ٢١٥)

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّـۧنَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُواْ ظَٰهِرِينَ ۝١٤ ﴾

هذه الآية حجة واضحة في وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إذ لا يشك أحدٌ أنَّ نصر الله إنما هو نصر دينه، ولا يكون نصرُه إلَّا بالمعونة على إقامة أمره ونهيه وعلوهما، والأخذ على يديّ من يريد ذله وإهانته.

القصاب، نكت القرآن (٤/٢٩٤)

سُورَةُ الجُمُعَةِ

﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ ﴾

١) في قوله: ﴿مِّنْهُمْ﴾ فائدتان:

الأولى: أنه كأمته الأمية، لم يقرأ كتابًا، ولا خطه بيمينه، ومع ذلك أتى بهذا القرآن الذي ما سمعوا بمثله، وهذا برهان صدقه.

والثانية: التنبيه على معرفتهم بنسبه، وشرفه، وعفته، وصدقه، بل لم يكذب قط، فمن لم يكذب على الناس، أفيكذب على الله؟!

ابن رجب، تفسير ابن رجب (٤٢٧/٢) (بتصرف)

٢) رتَّب الله أتباعَ الرسول في الذكر على مراتبهم في الفضل، تأمل: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾ هذا في الصحابة، ثم قال في التابعين: ﴿وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ﴾، وهذا كقوله تعالى: ﴿وَٱلسَّـٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَـٰنٍ﴾ (التوبة:١٠٠).

حافظ الحكمي، معارج القبول (١٢٠١/٣)

٣) ابتدئ بالتلاوة في قوله تعالى: ﴿يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ﴾؛ لأن أول تبليغ الدعوة بإبلاغ الوحي، وثَنَّى بالتزكية؛ لأن ابتداء الدعوة بالتطهير من الرجس المعنوي وهو الشرك وما يعْلق به من مساوئ الأعمال والطباع.

ابن عاشور، التحرير والتنوير (٢٠٩/٢٨)

٤) ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾ هذه الأمة حرَّر القرآنُ أرواحَها من العبودية للأوثان الحجرية والبشرية، وحرر أبدانها من الخضوع لجبروت الكسروية القيصرية، وجلَّا عقولها على النور الإلهي، وطهَّر نفوسها من أدران الإسفاف.

محمد البشير الإبراهيمي، آثاره (١٥٩/١)

﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ ثُمَّ لَمۡ يَحۡمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلۡحِمَارِ يَحۡمِلُ أَسۡفَارَۢاۚ بِئۡسَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥﴾ ﴾

١) قال ميمون بن مهران: الحمار لا يدري أسفر على ظهره أم زبيل، فهكذا اليهود. وفي هذا تنبيه من الله تعالى لمن حمل الكتاب أن يتعلم معانيه ويعلم ما فيه؛ لئلا يلحقه من الذم ما لحق هؤلاء.

الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢٠/٤٥٦)

٢) ﴿كَمَثَلِ ٱلۡحِمَارِ يَحۡمِلُ أَسۡفَارَۢاۚ﴾ الحمار لا ينتفع بالأسفار ولو نشرت بين عينيه، وفيه إشارة إلى أن مِن موجبات نقل النبوة عن بني إسرائيل كلية: أنهم وصلوا إلى حدِّ الإياس من انتفاعهم بأمانة التبليغ والعمل، فنقلها الله إلى قوم أحق بها وبالقيام بها.

عطية سالم، تتمة أضواء البيان (٨/١٩٦)

٣) ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ ثُمَّ لَمۡ يَحۡمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلۡحِمَارِ يَحۡمِلُ أَسۡفَارَۢاۚ ﴾ قال الضحاك: كتبًا لا يدري ما فيها! ولا يدري ما هي! هذا مثل ضربه الله لهذه الأمة، أي: وأنتم إن لم تعملوا بهذا الكتاب، كان مثلكم كمثلهم.

الدر المنثور (١٤/٤٥٧)

٤) قاس من حَمَّله -سبحانه- كتابه ليؤمن به ويتدبره، ويعمل به ويدعو إليه، ثم خالف ذلك -ولم يحمِلْه إلا على ظهر قلب-، فقراءته بغير تدبر ولا تفهُّم ولا اتباع ولا تحكيم له وعمل بموجبه؛ كحمار على ظهره زاملة أسفار، لا يدري ما فيها، وحظه منها حملها على ظهره ليس إلا.

ابن القيم، إعلام الموقعين (١/١٢٧)

٥) ضرب الله مثل الذي لا ينتفع بما أوتي؛ بالحمار يحمل أسفارًا، ولعل من حِكَمِ ذكر هذا المثل في سورة الجمعة ألا يكون حظُّ الخطيب والمأموم من خطبة الجمعة كحظهما قبلها!

﴿ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓاْ إِن زَعَمۡتُمۡ أَنَّكُمۡ أَوۡلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلۡمَوۡتَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٦﴾ وَلَا يَتَمَنَّوۡنَهُۥٓ أَبَدَۢا بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡۚ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧﴾ ﴾

لما زعم اليهود أنهم أبناء الله وأحباءه، وأنه لن يدخل الجنة إلا من كان هودًا أو نصارى، دعوا إلى المباهلة والدعاء على أكذب الطائفتين منهم أو من المسلمين، فلما نكلوا عن ذلك، علم كل أحد أنهم ظالمون؛ لأنهم لو كانوا جازمين بما هم فيه، لكانوا أقدموا على ذلك؛ فلما تأخروا، علم كذبهم.

ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (١/٣٣٢)

﴿قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ ۖ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾

١) إننا نرى الأموات تمر بنا مواكبهم كل يوم، ولكنا نظن أن الموت كُتب على الناس كلهم إلا علينا، ونبصر القبور تملأ الأرض، ولا نفكر أننا سننزل يومًا إلى القبر.

الطنطاوي، نور وهداية (١٢)

٢) فيا صاح! إنك راحل إلى الله حتمًا، وما عمرك هذا المتناثر بين يديك صباح مساء، إلا دلالة صريحة على السير الحثيث، فبعد قليل ستنتهي الرحلة، ونقف على محطة القبر -أنا وأنت- لنلج عالم البرزخ، في انتظار أجيال الخلائق لليوم الموعود.

د. فريد الأنصاري، مجالس القرآن (١٤٧-١٤٨)

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩﴾﴾

١) قال الشافعي: السعي في هذا الموضع: العمل، لا السعي على الأقدام -أي: الإسراع-، قال الله ﷻ: ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ﴾ (الليل:٤)، وقال: ﴿وَمَنْ أَرَادَ ٱلْءَاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ (الإسراء:١٩)، وقال: ﴿وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا﴾ (الإنسان:٢٢)، وقال: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾ (النجم:٣٩)، وقال: ﴿وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ﴾ (البقرة:٢٠٥).

معرفة السنن والآثار للبيهقي (١٦٣/٥)

٢) ﴿إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ﴾ إذا أمر الله بترك البيع الذي ترغب فيه النفوس، وتحرص عليه؛ فترك غيره من الشواغل من باب أولى، كالصناعات وغيرها.

السعدي، خلاصة تفسير القرآن (١٥٣)

٣) في سورة الجمعة مثال لقاعدة شرعية، وهي: (الوسائل لها أحكام المقاصد) أي: إنه قد يمنع من المباح إذا كان يفضي لترك واجب أو فعل محرم، مثاله: قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ﴾.

السعدي، القواعد الحسان (١٣٨)

﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾ ﴾

١) روي عن عمر أنه قال: لا يقعد أحدُكم عن طلب الرزق، ويقول: اللَّهُمَّ ارزقني، وقد علم أنَّ السماء لا تمطر ذهبًا ولا فضةً، وأن الله تعالى إنما يرزق الناس بعضهم من بعض، وتلا قول الله ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩﴾ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾ ﴾.

وصية نافعة للشيخ فيصل المبارك (٤)

٢) ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ﴾ ينبغي للمؤمن الموفق وقت اشتغاله في مكاسب الدنيا أن يقصد بذلك الاستعانة على قيامه بالواجبات، وأن يكون مستعينًا بالله في ذلك، طالبًا لفضله، جاعلًا الرجاء والطمع في فضل الله نصب عينيه؛ فإن التعلق بالله والطمع في فضله من الإيمان ومن العبادات.

السعدي، خلاصة تفسير القرآن (١٥٤)

٣) ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ﴾ كأنك ذهبت للمسجد؛ لتأخذ شحنة إيمانية تعينك وتسيطر على كلِّ حواسِّك في حركتك في التجارة، وفي الإنتاج، وفي الاستهلاك، وفي كل ما ينفعك وينمي حياتك، وحين يأمرك ربك أن تفرغ لأداء الصلاة لا يريد من هذا الفراغ أن يعطل لك حركة الحياة، إنما ليعطيك الوقودَ اللازم لتصبح حركة حياتك على وفق ما أراده الله.

الشعراوي، تفسير الشعراوي (١٧/ ١٠٢٧٩)

٤) إذا فتح الله لك باب رزق، فلا تعجبنَّ بذكائك، أو تظن أنك رزقت بحذقك، بل تذكر أنَّ ذلك من فضل الله عليك، تأمل: ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ﴾، فإنما هو فضل الله ورزقه، وكم من بَليد رُزق من حيث لا يحتسب، وذكيٍّ جنى عليه ذكاؤه؟

د. عمر المقبل

٥) الشريعة جامعة بين القيام بحق الله تعالى كالصلاة والذكر، وبين القيام بمصالح النفس كالسعي في الرزق، وذلك ظاهر من قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾.

متدبر

﴿ وَإِذَا رَأَوْاْ تِجَٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمًاۚ قُلْ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ ٱللَّهْوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِۚ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١﴾ ﴾

١) المشروع أن يخطب يوم الجمعة قائمًا -خلافًا لبعض من ابتدع الجلوس-، واستدل الشافعي على ذلك، فقال: «قال الله جل ثناؤه: ﴿ وَإِذَا رَأَوْاْ تِجَٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمًاۚ ﴾، فلم أعلم مخالفًا أنها نزلت في خطبة النبي ﷺ يوم الجمعة».

الأم (١/٢٢٩)

٢) دلت الآية على أنه ينبغي للعبد -المقبل على عبادة الله- وقت دواعي النفس لحضور اللهو والتجارات والشهوات أن يذكرها بما عند الله من الخيرات، وما لمؤثر رضاه على هواه.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن (٨٦٣)

٣) ذكر الله التجارةَ في معرض الحطّ من شأنها حيث شغلت عن طاعة: ﴿ وَإِذَا رَأَوْاْ تِجَٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمًاۚ ﴾، ولما أخذوا بأدب الشريعة في إيثار الواجبات الدينية، ذكرها ولم يهضم من حقِّها شيئًا، فقال سبحانه: ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ (النور:٣٧).

محمد الخضر حسين، الحرية (٣٢)

٤) المال غاد ورائح، فرحم الله عبدًا كسب فتطهر، واقتصد فاعتدل، ورزق فأنفق، ولم ينس نصيبه من الدنيا، ويا خيبة من طغى عليه ماله، وأضاع دينه وكرامته، وكان من الذين قال الله فيهم: ﴿ وَإِذَا رَأَوْاْ تِجَٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمًاۚ ﴾.

د. سعود الشريم

٥) ﴿قُلْ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ ٱللَّهْوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِۚ﴾ أطلق العنان لخيالك، واستعرض ما شئت من أنواع اللهو والتجارة التي ملأت دنيا الناس اليوم.. كلها -والله- لا تساوي شيئًا أمام هبة إلهية، أو منحة ربانية تملأ قلب العبد سكينة وطمأنينة بطاعة الله، أو قناعة ورضا بمقدور الله، هذا في الدنيا، وأما ما عند الله في الآخرة فأعظم من أن تحيط به عبارة.

د. عمر المقبل

٦) من تدبر قوله تعالى: ﴿قُلْ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ ٱللَّهْوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِ﴾، استحى من الله أن تكون أيام عشر ذي الحجة كغيرها من الأيام.

د. عمر المقبل

سُورَةُ المُنَافِقُونَ

﴿ ۞ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٤﴾ ﴾

١) ما حرمه الله وكرهه مما فيه جمال إنما حرم وكره؛ لاشتماله على مكروه يبغضه الله أعظم مما فيه من محبوبه، وكذلك الصور الجميلة من الرجال والنساء، فإن أحدهم إذا كان خلقه سيئًا -بأن يكون فاجرًا، أو كافرًا معلنًا أو منافقًا -، كان البغض أو المقت لخلقه ودينه مستعليًا على ما فيه من الجمال، كما قال تعالى عن المنافقين: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ﴾ .

ابن تيمية، الاستقامة (٤٤٥/١)

٢) في قوله تعالى عن المنافقين: ﴿ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ ﴾ شُبهوا بالخشب لذهاب عقولهم، وفراغ قلوبهم من الإيمان، ولم يكتف بجعلها خشبًا، حتى جعلها مسندة إلى الحائط؛ لأن الخشب لا ينتفع بها إلا إذا كانت في سقف أو مكان ينتفع بها، وأما إذا كانت مهملة فإنها مسندة إلى الحيطان أو ملقاة على الأرض.

أبو حيان، البحر المحيط (٢٧٦/١٠)

٣) إن الرجل فاسد الذمة، أو ساقط المروءة، لا قوة له ولو لبس جلود السباع، ومشى في ركاب الملوك ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ ﴾.

الغزالي، خلق المسلم (٩٠)

٤) ما الحكمة من قراءة سورة «المنافقون» في الجمعة؟ مناسبتها ظاهرة، ومنها:

١- أن يُصحّح الناسُ قلوبهم ومسارهم إلى الله تعالى كلَّ أسبوع.

٢- أن يقرع أسماع الناس التحذير من المنافقين كل جمعة؛ لأن الله قال فيها عن المنافقين: ﴿ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ ﴾.

ابن عثيمين، الشرح الممتع (٦٨/٥)

٥) ﴿هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ﴾ يتعجب المرء لأول وهلة من هذا الوصف! فكأنه لا عدو سواهم! مع أنهم يصلون، ويصومون، ويحجون، وقد يتصدقون، ويزول التعجب إذا عرفت حقيقتهم، فقلوبهم انطوت على حقد وبغض لهذا الدين وأهله، وحب لأعدائه، يدرك ذلك بكرههم للجهاد ولمزهم للعلماء والمصلحين، مع إعجاب وإشادة برؤوس الضلال والمنافقين: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾﴾ (البقرة: ١١ - ١٢).

أ. د. ناصر العمر

﴿هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا ۗ وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٧﴾﴾

﴿لَا تُنفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا﴾ ظنوا أنهم لولا أموالهم لما اجتمع المسلمون لنصر دين الله! فمن أعجب العجب أن يدَّعي أحرص الناس على خذلان الدين مثل هذه الدعوى، ولا يروج هذا إلا على من لا علم له بحقائق الأمور: ﴿وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ﴾.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن (٨٦٥)

﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾﴾

عزة المؤمن مهما خبت نارها، فإن جذوتها باقية إذا هبت عليها ريح الإيمان توقدت، وعلا لهيبها، ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾.

الطنطاوي، ذكريات الطنطاوي (١٣٣/١)

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (٩) ﴾

١) اختار لفظ ﴿تُلْهِكُمْ﴾ ولم يقل (تشغلكم)، والحكمة في ذلك أن من الشغل ما هو محمود؛ فقد يكون شغلًا في حق، كما جاء في الحديث: «**إن في الصلاة لشغلًا**»[1]، وكما قال تعالى: ﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ﴾ (يس:٥٥)، أما الإلهاء فمما لا خير فيه؛ وهو مذموم على وجه العموم، فاختار ما هو أحق بالنهي.

د. فاضل السامرائي، لمسات بيانية (١٧٩)

٢) قال أبو حازم ﷺ: «كل ما شَغَلك عن الله من مال أو ولد، فهو عليك شؤم»!

تفسير ابن رجب (٢/٤٧٥)

٣) في الآية تحذير من فتنة المنافقين الذين غفلوا عن ذكر ربهم، إذ هذه علامتهم؛ ولذا فإن كثرة ذكر الله أمان من النفاق، والله تعالى أكرم من أن يبتلي قلبًا ذاكرًا بالنفاق، وإنما ذلك لقلوب غفلت عن ذكر الله ﷻ.

ابن القيم، الوابل الصيب (١١٠)

﴿ وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ (١٠) ﴾

الآية فيها دليل على أن المرء ممنوع من ماله عند حضور أجله، وغير مسلَّط على إنفاذ إرادته فيه، كهيئة ما كان في صحته، وأن لا سبيل له على أكثر من ثلثه الذي أباح الله له على لسان رسوله.

القصاب، نكت القرآن (٤/٣٠٤)

(١) البخاري ح(١٢١٦)، وأبو داود ح(٩٢٣)، وابن ماجه ح(١٠١٩)، وأحمد ح(٣٥٦٣).

سورة التغابن

﴿ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَٰلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٩﴾ ﴾

اشتر نفسك اليوم؛ فإنَّ السوق قائمة، والثمن موجود، والبضائع رخيصة، وسيأتي على تلك السوق والبضائع يومٌ لا تصل فيه إلى قليلٍ ولا كثير ﴿يَوْمُ التَّغَابُنِ﴾ (التغابن:٩)، وذلك يوم ﴿يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ﴾ (الفرقان:٢٧).

ابن القيم، الفوائد (٤٩)

﴿ مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾ ﴾

١) قال إبراهيم الحربي: «أجمع عقلاء كلِّ ملة: أنه من لم يجر مع القدر، لم يتهنأ بعيشه»، ومصداق ذلك في القرآن: ﴿ مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ ﴾.

سير أعلام النبلاء (٣٦٧/١٣)

٢) ﴿وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ﴾هذا أفضل جزاء يعطيه الله لأهل الإيمان، كما قال تعالى في الأخبار: أن المؤمنين يثبتهم الله في الحياة الدنيا وفي الآخرة.

وأصل الثبات: ثبات القلب وصبره، ويقينه عند ورود كل فتنة، فقال: ﴿ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ﴾(إبراهيم:٢٧).

السعدي، تيسير الكريم الرحمن (٨٦٧)

٣) تأمل: ﴿وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ﴾ بعد: ﴿ مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ فمن حزن حُزنًا غير مشروع، فَلِنقص إيمانه؛ إذ الإيمان موجِبٌ لاطمئنان القلب وثباته عند المصائب، وعد من الله لا يتخلف؛ فتفقد إيمانك وقلبك.

أ. د. ناصر العمر

٤) ما يحدث في بعض مدن وقرى منطقة المدينة وما حولها من زلازل، إنما هي بقدر الله، ومن أعظم ما يُسلِّي المؤمن -وهو يعيش هذه المصيبة، أو يسمع عنها- علمه ويقينه بذلك؛ فإن هذا مما يطمئن القلب، كما قال تعالى: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ ﴾، قال بعضهم: يهد قلبه، ويهدأ قلبه[1].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ ۚ وَإِن تَعْفُوا۟ وَتَصْفَحُوا۟ وَتَغْفِرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ ﴾

١) ﴿عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ﴾ ليس المراد من هذه العداوة ما يفهمه كثير من الناس: أنها عداوة البغضاء والمحادة، بل إنما هي عداوة المحبة الصادة للآباء عن الهجرة، والجهاد، والتعلم، والصدقة، وغير ذلك من أمور البر وأعمال الخير.

ابن القيم، عدة الصابرين (٥١)

٢) في الآية عزاءٌ لمن بُلي بزوج مؤذ، أو ولد عاقٍّ، فصبر على أذاهما، وعفا وصفح عن زلَّاتهما، وفي موعود الله من الغفران ما يُهوِّن عليه ذلك.

القصاب، نكت القرآن (٢٩٤/٤)

﴿ إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ ﴾

١) سؤال يحتاج إلى تدبر: عزى أحدهم صديقًا له أصيب في وفاة ابن له، فقال له: أيسرك وهو بلية وفتنة، ويحزنك وهو صلاة ورحمة؟

وقصَدَ المعزي بقوله (بليّة وفتنة): أن الله وصف الأولاد بقوله: ﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾.

وقصَدَ بقوله (صلاة ورحمة) أن الله تعالى قال -عن الصابرين على المصائب-: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ﴾ (البقرة:١١٥).

برد الأكباد عند فقد الأولاد (٣٥)

٢) ﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ فلما ذكر فتنة الأموال والأولاد التي مالت بأكثر الخلق عن طريق الاستقامة، قال مذكرًا لهم ما يفوتهم إن افتتنوا بها، وما يحصل لهم إن سلموا من فتنتها ﴿وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾.

السعدي، القواعد الحسان (١١٨)

(١) أرسلت إبان الزلازل التي أصابت مناطق العيص شمال غرب المدينة.

٣) تأمل كيف وصى الله الأبناء ببر والديهم والإحسان إليهم في آيات عديدة، وبأسلوب عظيم، بينما لا نجد مثله بتوصية الآباء بأبنائهم إلا فيما يخص إقامة الدين وتحقيق العدل، بل نجد التحذير من عداوتهم وفتنتهم: ﴿إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ﴾، ﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾؛ لأن الآباء جبلوا على حب أبنائهم حبًا فطريًا قد يوصل إلى الإضرار بدينهم، فهل نقوم بحق آبائنا برًا وإحسانًا كما أمرنا الله؟

أ. د. ناصر العمر

﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ وَٱسْمَعُواْ وَأَطِيعُواْ وَأَنفِقُواْ خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ ۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾﴾

هل قوله تعالى: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ تخفيف أم تكليف؟ يحتمل الأمرين، فإن قلنا المعنى: لا تقصّروا عما تستطيعون؛ فهذا تكليف، وإن قلنا إن المعنى: لا يلزمكم فوق ما تستطيعون؛ فهو تخفيف، وأكثر الناس يستدلون بهذه الآية في التخفيف دون التكليف.

ابن عثيمين، التعليق على السياسة الشرعية ١٤٨

﴿إِن تُقْرِضُواْ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾﴾

إذا كان في الزراعة موسم للبذار، وفي التجارة موسم للاستيراد، وفي السنة المدرسية موسم للاستعداد للامتحان، ففي سوق الصدقات موسم تزيد فيه الأرباح، هو رمضان، فاغتنموه: ﴿إِن تُقْرِضُواْ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾.

الطنطاوي، نور وهداية (٥١)

سُورَةُ الطَّلَاقِ

١) أكد تعالى ذكر التقوى وثمراتها بين آيات الطلاق والعِدد في سورة الطلاق؛ لأن أحكام الطلاق وضبط العِدة من أحق الأشياء بالمراعاة وتأكيد الوصية؛ لكثرة ما فيها من الانتصار للنفس وقصد الإضرار وتعدي حدود الله تعالى.

الإسكافي، درة التنزيل (١٢٨٤) (بتصرف)

٢) من نظر في آيات القرآن الكريم وجد أن البيوت مضافة إلى النساء في ثلاث آيات من كتاب الله تعالى، مع أن البيوت للأزواج أو لأوليائهن؛ وإنما حصلت هذه الإضافة -والله أعلم- مراعاة لاستمرار لزوم النساء للبيوت، فهي إضافة إسكان ولزوم للمسكن والتصاق به، لا إضافة تمليك.

د. بكر أبو زيد، حراسة الفضيلة (١٢٧)

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحۡصُواْ ٱلۡعِدَّةَۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ رَبَّكُمۡۖ لَا تُخۡرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخۡرُجۡنَ إِلَّآ أَن يَأۡتِينَ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖۚ وَتِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدۡ ظَلَمَ نَفۡسَهُۥۚ لَا تَدۡرِي لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحۡدِثُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ أَمۡرٗا ١﴾

١) ﴿لَا تُخۡرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخۡرُجۡنَ﴾ إن الذي يجري حين الغضب من خروج المرأة من بيتها أو إخراجها من قبل زوجها؛ مخالفة سافرة لهذا الأمر الإلهي، قد يقول الزوج أو الزوجة: كيف نجتمع في بيت واحدٍ وقد جُرحت وأهنت؟ فالجواب: ﴿لَا تَدۡرِي لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحۡدِثُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ أَمۡرٗا﴾.

د. عصام العويد

٢) أضاف البيتَ إلى المرأة، وكما أن فيه دلالةً على قرار المرأة ببيتها؛ ففيه أهمية إعطائها مزيدًا من الصلاحية في تدبير أمور البيت، واتخاذ القرارات فيه من أثاث ومطبخ وزينة، وهذا نوع من العدل، إذ هو المتناسب مع الأمر بقرارها في البيت، حتى في حال طلاقها طلاقًا رجعيًا.

متدبرة

﴿ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾ ﴾

١) ﴿ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ ﴾ ﴿ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ ﴾ (البقرة:٢٢٩) في حسن المصاحبة والمفارقة حفظ للوداد، وبعد من البغضاء والعداوة، إذ جبلت القلوب على حب من أحسن إليها، وبغض من أساء إليها.

العز بن عبد السلام، شجرة المعارف والأحوال (٢٠٢)

٢) ﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ﴾ قال ابن مسعود ﷺ: مخرجه أن يعلم أنه من قِبَل الله، وأن الله هو الذي يعطيه، وهو يمنعه، وهو يبتليه، وهو يعافيه، وهو يدفع عنه.

فتح القدير (٣٤٠/٥)

٣) قيل لرجل من الفقهاء: ﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ فقال الفقيه: والله إنه ليجعل لنا المخرج وما بلغنا من التقوى ما هو أهله، وإنه ليرزقنا وما اتقيناه كما ينبغي، وإنه ليجعل لنا من أمرنا يسرًا وما اتقيناه، وإنا لنرجو الثالثة: ﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا ﴾ (الطلاق:٥).

حلية الأولياء (٢٤٨/٤،٢٤٩)

٤) كثير من الناس لا يفهم من الرزق - في قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ - إلا الرزق المالي ونحوه من المحسوسات، ولكن الرزق أوسع من ذلك؛ تأمل ماذا يقول ابن الجوزي: «ورزق الله قد يكون بتيسير الصبر على البلاء».

صيد الخاطر (٣٠٣)

٥) ضاق بي أمر أوجب غمًا لازمًا دائمًا، وأخذت أفكر في الخلاص منه بكل حيلة، فما استطعت، فعرضت لي هذه الآية: ﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ﴾، فعلمت أن التقوى سبب للمخرج من كل غم، فما كان إلا أن هممت بتحقيق التقوى فوجدت المخرج!.

ابن الجوزي، صيد الخاطر (١٤٣)

٦) قال بعضهم: ما افتقر تقيٌّ قط، قالوا: لم؟ قال: لأن الله يقول: ﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾، والآية اقتضت أن المتقي يُرزق من حيث لا يحتسب، ولم تدل على أن غير المتقي لا يرزق، فالكفار قد يرزقون بأسباب محرَّمة، وقد لا يرزقون إلا بتكلف، وأهل التقوى

يرزقهم الله من حيث لا يحتسبون، ولا يكون رزقهم بأسباب محرمة، والتقي لا يحرم ما يحتاج إليه من الرزق، وإنما يُحمى من فضول الدنيا، رحمةً به.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى (١٦/٥٢)

٧) قد ضمن الله للمتقين أن يجعل لهم مخرجًا مما يضيق على الناس، وأن يرزقهم من حيث لا يحتسبون؛ فإذا لم يحصل ذلك، دل على أن في التقوى خللًا، فليستغفر الله، وليتب إليه[1].

ابن أبي العز الحنفي، شرح الطحاوية (٤١١)

٨) حُكِي عن بعض العلماء أنه قيل له: اقرأ سورة الواقعة؛ ليأتيك الرزق! فقال: لولا أن أهجر سورة من القرآن، لم أتلها في المستقبل إذا كنا لا نقرأ إلا لجلب الرزق!

علق الشيخ الخضر حسين قائلًا: وقد تكون قراءة القرآن للتعبد والتدبر مؤدية إلى تيسير ما عسر؛ من حيث إنها طاعة خالصة لله: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُ﴾.

الموسوعة الكاملة (٢/٦٢)

٩) ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُ﴾ كل من تدبر موارد التقوى في القرآن والسنة، علم أنها سبب كل خير في الدنيا والآخرة ومفتاحه، وإنما تأتي المصائب والبلايا والمحن والعقوبات بسبب الإهمال أو الإخلال بالتقوى وإضاعتها، أو إضاعة جزء منها.

ابن باز، مجموع فتاواه (٢/٢٨٣)

١٠) من أهم أسباب تحصيل العلم: تقوى الله، والحذر من المعاصي، قال الله سبحانه: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُ﴾، والمخرج من الجهل من أهم المخارج المطلوبة، كما أنَّ العلم من أفضل الرزق الذي ينتج عن التقوى.

ابن باز، مجموع فتاوى ومقالات الشيخ (٢٧/٢٩٤)

١١) ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مِنۡ أَمۡرِهِۦ يُسۡرٗا﴾ إذا رأيت أمورك متيسرة ومسهلة، وأن الله يعطيك من الخير -وإن كنت لا تحتسبه- فهذه لا شك بشرى، وإذا رأيت عكس ذلك، فصحح مسارك، فإن فيك بلاء، وأما الاستدراج فيقع إذا كان العبد مقيمًا على المعصية.

ابن عثيمين، تعليقه على القواعد الحسان (٥٣)

١٢) حقِّق لنفسك التقوى كي تنقلب أمامك المعادلة فجأةً؛ فتحظى بالفرج والرزق من حيث لا تدري ولا ترجو ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُ﴾.

د. سعود الشريم

---

(١) قد يظن البعض أن ها هنا تناقضًا، وليس كذلك، فلكل رسالة محمل: فالأولى غلب على صاحبها الرجاء فقال ما قال، والثانية غلب على قائلها التحقيق والخوف، والله أعلم.

﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا۟ عَلَيْهِنَّ ۚ وَإِن كُنَّ أُو۟لَٰتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا۟ عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ۚ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ۖ وَأْتَمِرُوا۟ بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ ۖ وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُۥٓ أُخْرَىٰ ﴿٦﴾﴾

القرآن يرسم منهجًا مطردًا للتعامل فيما بين الناس من حقوق، وذلك بأن يكون بـ(المعروف)، ﴿وَأْتَمِرُوا۟ بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ﴾ وكثيرون يفقهون هذا الأصل، بل ويحتجون به إذا طالبهم الآخرون بحقوقهم، فما بالهم لا يراعونه عندما يطلبون حقوقهم من الآخرين؟! أفلا يتدبرون: ﴿وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ يَأْتُوٓا۟ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ﴾ (النور: ٤٩ الآيات).

أ. د. ناصر العمر

﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ ۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ۚ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا ۚ سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴿٧﴾﴾

١) ﴿سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ الطلاق:٧، لو استجمعت يأس العالَم في قلبك، لذهب به الإيمان بهذه الآية.

د. عبدالله بلقاسم

٢) ﴿سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ لا ينقضي عجبك من مجيء هذه الآية بعد تلك الأحوال الصعبة، والمضائق التي يمر بها الزوجان من طلاق، ونزاع على رضاع، وضيق في الرزق، فهي بشارة جلية، وطمأنة إلهية؛ فهل بعد هذا يسيطر اليأس أو القنوط على من قدر عليهما الطلاق؟ إنها آية تسكب الأمل، وتبعث على الفأل، فما على العبد إلا أن يحسن الظن بربه، ويفعل الأسباب، ثم ليبشر.

د. عمر المقبل

﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴿١٠﴾ رَّسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ قَدْ أَحْسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزْقًا ﴿١١﴾﴾

﴿قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴿١٠﴾ رَّسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ﴾ هذا دين رفيع لا يعرض عنه إلا مطموس، ولا يعيبه إلا منكوس، ولا يحاربه إلا موكوس؛ فإنه لا يدع شريعة الناس إلا من أخلد إلى الأرض واتبع هواه.

سيد قطب، في ظلال القرآن (٢٣٥/٧)

سُورَةُ التَّحْرِيمِ

﴿وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ ۖ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَا ۖ قَالَ نَبَّأَنِىَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿٣﴾﴾

١) قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا﴾ فيه جواز إسرار بعض الحديث للزوجات، وأنه يلزمهن كتمانه، وإذا أذنب أحد في حقك، فلك أن تعاتبه، ولكن ينبغي عدم الاستقصاء في التثريب وذكر الذنب.

د. محمد الخضيري

٢) الكريم يتغافل عن تقصير أهله وصحبه، ولا يستقصي حقوقه، قال الحسن البصري ﷺ: ما استقصى كريم قط! قال الله تعالى عن نبينا -لما أخطأت بعض أزواجه-: ﴿عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ﴾.

معالم التنزيل للبغوي (٨/١٦٤)

٣) الخوض في التفاصيل الدقيقة في الحوار حول أي موضوع كثيرًا ما يسبب الحرج لبعض الحاضرين؛ ولهذا كان التغافل والإغضاء من صفات النبلاء، وهو شيء نتعلمه من نبينا ﷺ.

أ. د. عبدالكريم بكار، التواصل الأسري (٥٣)

﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ۖ وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ﴿٤﴾﴾

﴿وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ الله وجنوده في السماء والأرض مع النبي ﷺ في مشكلة أسرية! ما أعظم قدره عند ربه!

د. عبدالله بن بلقاسم

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾﴾

١) ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ إن من أكبر أسباب الانحراف التي وجدتها خلال اشتغالي بالقضاء واطلاعي على الآلاف المؤلفة من القضايا، ومما رأيت وما سمعت من أحوال الناس، من أكبر هذه الأسباب: غياب الأب عن أولاده أكثر النهار، فلا يكاد يراهم ولا يرونه إلا يوم الجمعة.

علي الطنطاوي، فصول في الدعوة والإصلاح (١٤٧)

٢) ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارًا﴾ جاءت كلمة ﴿نَارًا﴾ منكرةً؛ دلالة على عظمها وفظاعتها؛ كونها نارًا كاف للخوف منها، لكنها مع ذلك وُصفت بوصفين عظيمين: ﴿وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ﴾، ﴿عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ﴾، ألا ما أشد هذا الوصف وما أفظعه؛ حتى قيل: إنه أعظم وصف للنار فيما يتعلق بالمؤمنين.

د. عويض العطوي

٣) ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ﴾ ما أشد هذا الوصف وأفظعه! ولو تأملنا لوجدنا أن هذه النار الفظيعة لم تكن عقابًا على تقاعس في الجهاد، ولا على ترك شيء من أركان الإسلام، وإنما جاءت في مسئولية التربية، مسئولية النفس والأهل، فهل يعي المربون ذلك؟!.

د. عويض العطوي، كيف نتدبر القرآن (شريط)

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيُدۡخِلَكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ يَوۡمَ لَا يُخۡزِي ٱللَّهُ ٱلنَّبِيَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥۖ نُورُهُمۡ يَسۡعَىٰ بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَبِأَيۡمَٰنِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتۡمِمۡ لَنَا نُورَنَا وَٱغۡفِرۡ لَنَآۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٨﴾

قال ابن عباس ﵄: ليس أحد من الموحدين إلا يعطى نورًا يوم القيامة، فأما المنافق فيطفأ نوره، والمؤمن يشفق مما يرى من إطفاء نور المنافق فهو يقول: ﴿رَبَّنَآ أَتۡمِمۡ لَنَا نُورَنَا﴾.

الدر المنثور (٨/ ٢٢٨)

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡۚ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ٩﴾

وهذا في الحقيقة من رحمة الله بعباده؛ فإن الله إنما أرسل محمدًا رحمة للعالمين، وهو سبحانه أرحم بعباده من الوالدة بولدها، لكن قد تكون الرحمة المطلوبة لا تحصل إلا بنوع من ألم وشدة تلحق بعض النفوس.

ابن تيمية، الاستقامة (١/٤٤٠)

﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمۡرَأَتَ نُوحٖ وَٱمۡرَأَتَ لُوطٖۖ كَانَتَا تَحۡتَ عَبۡدَيۡنِ مِنۡ عِبَادِنَا صَٰلِحَيۡنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمۡ يُغۡنِيَا عَنۡهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗا وَقِيلَ ٱدۡخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ١٠﴾

قوله سبحانه: ﴿تَحۡتَ﴾ إعلام بأنه لا سلطان للمرأة على زوجها، وإنما السلطان للزوج عليها، فالمرأة لا تجعل في مقابل الندية بالرجل، فضلًا عن أن تعلو عليه، ففي ذلك خلاف الفطرة والشرع.

د. بكر أبو زيد، حراسة الفضيلة (١٩)

﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١١﴾﴾

١) لكل أخت تشكو كثرة المغريات حولها، أو تعاني من ضعف الناصر على الحق، اعتبري بحال امرأة جعلها الله مثلًا لكل مؤمن ومؤمنة إلى يوم القيامة، إنها امرأة فرعون، التي لم يمنعها طغيان زوجها، ولا المغريات حولها، أن تعلق قلبها بربها، فأثمر ذلك: الثبات، ثم الجنة، بل وصارت قدوة لنساء العالمين.

د. عمر المقبل

٢) لا عذر لامرأة مسلمة أن تبرر تقصيرها وعدم استقامتها بفساد أهل بيتها، أو بيئتها، وما تواجهه من ضغوط؛ فهذه امرأة فرعون بلغت الكمال لثباتها - مع ما بلغه فرعون وملأه من إسراف وظلم عظيم- فتدبر قصتها في سورة التحريم؛ تجد تلك الحقيقة المذهلة.

أ. د. ناصر العمر

٣) ﴿رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ﴾ كم قرأت هذه الآية وسمعتها؟ هل استوقفك فيها أمر قلَّ أن نتدبره؟ سألت هذه المرأة الصالحة أن يكون البيتُ عند ربِّها قبل أن تسأله أن يكون في الجنة، أو أن تقتصر عليه، وقد جعلها الله مثلًا للمؤمنين، وشهد لها نبيُّنا بالكمال، وأنها من خير نساء العالمين؛ فهل دعونا بمثل ذلك؟

أ. د. ناصر العمر

﴿وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ ﴿١٢﴾﴾

لقوة يقين مريم عليها السلام وتبتلها للعبادة، وتحصين فرجها، جعلها الله قدوة لنبي كريم، بل وأجرى لها من الكرامات ما جعلها أسوة ومضرب مثل للمؤمن، ورفع ذكرها في العالمين، وجعل لها لسان صدق في الآخرين.

أ. د. ناصر العمر

سُورَةُ المُلْكِ

﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝١﴾

فإذا ظهر للعبد من سر الربوبية أن الملك والتدبير كله بيد الله كما قال تعالى: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾، فلا يرى نفعًا ولا ضرًا، ولا حركة ولا سكونًا، ولا قبضًا ولا بسطًا، ولا خفضًا ولا رفعًا إلا والله فاعله وخالقه، وقابضه وباسطه، ورافعه وخافضه، فهذا الشهود هو سر الكلمات الكونيات.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى (١/٨٩)

﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ۝٢﴾

﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ ابتلانا الله بحسن العمل، لا بالعمل فقط، ألم يكن أصحاب رسول الله ﷺ يسألونه: أي العمل أفضل؟ ففهمهم ﷺ يدل على التنافس في جودة العمل لا مجرد كثرته.

﴿ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ۝٤﴾

إنما قال ﴿ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ﴾؛ ولم يقل (مرتين)؛ لأن كلمة (مرتين) تحصر النظر في مرتين، بينما ﴿كَرَّتَيْنِ﴾ تفيد التكرار مرة بعد مرة.

ابن عاشور، التحرير والتنوير (٢٩/ ١٩)

﴿قَالُوا۟ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ ۝٩﴾

من سنن أهل الباطل وعاداتهم الذميمة: أنهم يرمون أهل الحق بما هم أولى به، انظر إلى قوله سبحانه عن أهل النار: ﴿قَالُوا۟ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ﴾.

د. عبدالمحسن العسكر

﴿وَقَالُواْ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ١٠﴾

العقل الصحيح هو الذي يعقل صاحبه عن الوقوع فيما لا ينبغي، كما قال تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾، أما العقل الذي لا يزجر صاحبه عما لا ينبغي، فهو عقل دنيوي يعيش به صاحبه، وليس هو العقل بمعنى الكلمة.

الشنقيطي، العذب النمير (١٦١/١)

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ١٢﴾

الشاب المؤمن بالغيب هو الذي يرى رفاقه يسلكون طريق الفسوق، وهو يميل إليه، بل يعالج في نفسه مثل حر النار من الرغبة فيه، ويقاوم نفسه ويكبت رغبته، ويترك هذه اللذة الحاضرة؛ طمعًا باللذة الموعودة في الآخرة: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾.

علي الطنطاوي، فصول في الدعوة والإصلاح (٦٧)

﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُواْ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ١٥﴾

١) إن الله هو الذي قسم الأرزاق، وكتب لكل نفس رزقها وأجلها، ولكنه ما قال لنا اقعدوا حتى يأتي الرزق إليكم، بل قال: ﴿فَٱمْشُواْ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِۦ﴾.

علي الطنطاوي، نور وهداية (١٢٨)

٢) نحن لا نتوكل التوكل الذي لم يأمر به الإسلام، بل نمشي في مناكب الأرض، نمشي مشيًا لا نسعى سعيًا؛ لأن الله قال في مجال الرزق: ﴿فَٱمْشُواْ فِى مَنَاكِبِهَا﴾ وقال في مجال العبادة: ﴿فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ (الجمعة: ٩)، هذا هو الفهم الصحيح لمسألة الرزق.

علي الطنطاوي، نور وهداية (١٣٢-١٣٣)

﴿أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِى سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ٢٢﴾

١) شبه الكافر في ركوبه ومشيه على الدين الباطل بمن يمشي في الطريق الذي فيه حفر وارتفاع وانخفاض، فيتعثر ويسقط على وجهه، كلما تخلص من عثرة، وقع في أخرى.

الجمل، حاشية الجمل على الجلالين (٤٢٧٧)

٢) «استطلاعات الرأي» تعمل في أي مجتمع كعلامات طريق تُرشد وتلفت نظر المسؤولين للصالح العام.. وفي المقابل يؤدي فقدُها إلى انتشار العشوائية في المجتمع، والفرق بين الطريقتين يمثله قوله تعالى: ﴿أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾.

الكاتب فهد الأحمدي

﴿قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٩﴾﴾

لما كانت الأعمال - وجودها وكمالها- متوقفة على التوكل؛ خص الله التوكل من بين سائر الأعمال، وإلا فهو داخل في الإيمان، ومن جملة لوازمه.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن (٨٧٨)

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍ ﴿٣٠﴾﴾

قال صالح بن أحمد بن حنبل: كان أبي ﷺ إذا خَرَجَتِ الدلوُ ملأى، قال: الحمد لله، قلت: يا أبت، أي شيء الفائدة في هذا؟ فقال: يا بني، أما سمعت الله تعالى يقول: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍ﴾؟.

ابن الجوزي، مناقب الإمام أحمد (٣٨٢)

سُورَةُ القَلَمِ

﴿نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ ۝١﴾

قال قتادة رحمه الله: القلم نعمة من الله عظيمة، لولا القلم، ما قام دين ولم يصلح عيش، والله أعلم بما يصلح خلقه.

الدر المنثور (٨/ ٢٤٢)

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ۝٤﴾

١) سبحان من أعطى ثم أثنى..

فسبحان الله ما أعظم شأنه، وأتم امتنانه، انظر إلى عميم لطفه، وعظيم فضله، كيف أعطى ثم أثنى، فهو الذي زينه بالخلق الكريم، ثم أضاف إليه ذلك، فقال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ﴾.

الغزالي، الإحياء (٢/ ٣٥٨)

٢) من المعلوم أن أحب خلق الله إليه المؤمنون، فإذا كان أكملهم إيمانًا أحسنهم خلقًا؛ كان أعظمهم محبة له -سبحانه- أحسنهم خلقًا، والخلق الدين، كما قال الله تعالى ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ﴾.

ابن تيمية، الاستقامة (٤٤٣/١)

٣) ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ﴾ أي: دين وهدي عظيم؛ وذلك أنه ﷺ كان خلقه القرآن، تلاوة وتدبرًا، وعملًا بأوامره، وتركًا لنواهيه، وترغيبًا في طاعة الله ورسوله، ودعوة إلى الخير، ونصيحة لله ولعباده، إلى غير ذلك من وجوه الخير.

ابن باز، مجموع فتاواه (١٧/٩)

﴿فَلَا تُطِعِ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ۝٨ وَدُّواْ لَوۡ تُدۡهِنُ فَيُدۡهِنُونَ ۝٩ وَلَا تُطِعۡ كُلَّ حَلَّافٖ مَّهِينٍ ۝١٠﴾

١) قوله تعالى لنبيه: ﴿فَلَا تُطِعِ ٱلۡمُكَذِّبِينَ﴾ أبلغ في الإكرام والاحترام؛ فإن قوله: لا تكذب، ولا تحلف، ولا تشتم، ولا تهمز، ليس هو مثل قوله: لا تطع من يكون متلبسًا بهذه الأخلاق؛ لما فيه من الدلالة على تشريفه وبراءته من تلك الأخلاق.

ابن تيمية، دقائق التفسير (١٥/٥)

٢) ﴿ فَلَا تُطِعِ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴾ ﴿ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴾ من فوائدها: أن النهي عن طاعة المرء نهي عن التشبه به بالأولى؛ فلا يطاع المكذب والحلاف، ولا يعمل بمثل عملهما.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى (١٦/٦٣- ٦٤)

٣) امتهان الحلف والإكثار منه مذموم، فقد وصف الله بها أقوامًا مقبوحين فقال: ﴿ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴾ وبين في مواطن كثيرة أن ذلك من أبرز صفات المنافقين: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّواْ ﴾ (المنافقون:٢) ﴿ وَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ ﴾ الآية (التوبة:٥٦) وما يزالون على ذلك إلى يوم القيامة: ﴿ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ ﴾ (المجادلة:١٨) فعظم ربك، واحفظ يمينك.

د. محمد الخضيري

﴿ سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ ﴿١٦﴾ ﴾

عبر بالوسم على الخرطوم -وهو الأنف- عن غاية الإذلال والإهانة؛ لأن السمة على الوجه شين وإذالة، فكيف بها على أكرم موضع منه؟!

الزمخشري، الكشاف (٤/١١٧)

﴿ إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُواْ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ ﴾

نيران النوايا الرديئة التي عصفت بقلوبهم أحرقت جنتهم، فعلينا أن نتأكد من خلو قلوبنا من تلك النوايا.

د. عبد الله بن بلقاسم

﴿ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾ قَالُواْ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾

ما أجمل أن ينطلق اللسان بالاعتراف بالذنب، وإن كان صاحبُه نادمًا في قلبه، تأمّل قول أصحاب الجنة الذين أقسموا على حرمان حق الفقراء: ﴿ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾ قَالُواْ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴾.

القصاب، نكت القرآن (٤/٣٨٣)

﴿ عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَآ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾

إياك أن يكسر الذنب حسن ظنك، فسيعطيك الله بعد الذنب والتوبة أكثر.

د. عبدالله بلقاسم

﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٣٤﴾ ﴾

أضيفت الجنات إلى النعيم؛ لأنه ليس فيها إلا النعيم الخالص الذي لا يشوبه ما ينغصه كما يشوب جنات الدنيا، فساكنها منعم في بدنه، ومنعم في قلبه، قال تعالى: ﴿ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴾ (الحجر:٤٨).

د. عبدالمحسن العسكر

﴿ أَمْ لَكُمْ أَيْمَٰنٌ عَلَيْنَا بَٰلِغَةٌ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ ﴿٣٩﴾ سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ ﴿٤٠﴾ ﴾

لقد قطع خوف الخاتمة ظهور المتقين، وكأن المسيئين الظالمين قد أخذوا توقيعًا بالأمان: ﴿ أَمْ لَكُمْ أَيْمَٰنٌ عَلَيْنَا بَٰلِغَةٌ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ ﴿٣٩﴾ سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ ﴾.

ابن القيم، الجواب الكافي (٩٢)

﴿ فَذَرْنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴿٤٥﴾ ﴾

١) كل أمة عذبت بنوع عذاب على أيدي الملائكة: كصيحة جبريل ﷺ بثمود، وإرسال الريح على عاد، والخسف بقارون، وقلب جبريل ديار قوم لوط، إلا من كذب بهذا القرآن، فقد تولى الله عقابهم بنفسه، قال تعالى: ﴿ فَذَرْنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴾.

ابن الجوزي، صيد الخاطر (١٩٧)

٢) الباطل مهما انتفش، فهو مستدرج: ﴿ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴾.

د. محمد الراوي، تعليق على سورة هود (شريط)

٣) الانهيار الكبير في الاقتصاد الربوي الرأسمالي تجلت فيه آية عظمى ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾، فالآن أين دعاة الليبرالية الذين زخرفوا للدول والشعوب اللهث خلف الدولار واقتصاد الغرب الغني؟ فأراهم الله بأبصارهم حقيقة ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا﴾ (البقرة:٢٧٦)، وتأمل كلمة ﴿يَمْحَقُ﴾، إنه الإعجاز حتى في اللفظ.

د. عصام العويد

٤) تأمل: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾ يغتر الظالمون بإمهال الله لهم، فيتدرجون في طغيانهم، ويستمرئون ذلك؛ حتى يوقنوا أن سياستهم عين العدل، فإذا أمنوا العقوبة، أخذهم الله ﴿بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (الأنعام:٤٤ - ٤٥).

أ. د. ناصر العمر

﴿لَّوْلَا أَن تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴿٤٩﴾﴾

هذا نبي الله، ومع هذا فلم ينجُ من كربته إلا بنعمة الله وفضله ورحمته، فمَن الناسُ بعده؟

د. عمر المقبل

﴿وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ ﴿٥١﴾﴾

أي: يعينونك بأبصارهم، بمعنى يحسدونك؛ لبغضهم إياك.. وفي هذه الآية دليل على أن العين إصابتها وتأثيرها حق بأمر الله ﷻ.

ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (٨/٢٠١)

سُورَةُ الحَاقَّةِ

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌۢ بِٱلْقَارِعَةِ ۝٤﴾

عادة القرآن تقديم ذكر عاد على ثمود إلا في بعض المواضع، ومنها: في سورة الحاقة فإنه قال:﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌۢ بِٱلْقَارِعَةِ﴾، وسبب ذلك -والله أعلم- أن السورة لما ابتدأت بذكر ﴿بِٱلْقَارِعَةِ﴾ - وهي التي تقرع أسماع الناس من شدة صوتها- قدم ذكر ﴿ثَمُودُ﴾؛ لأن العذاب الذي أصابهم من قبيل القرع إذ أصابتهم الصواعق المسماة في بعض الآيات بالصيحة.

ابن عاشور، التحرير والتنوير (١٥ / ٢٧٥)

﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ ۝١٩﴾

للنجاح لذة وله نشوة، تأمل نداء الناجحين ﴿هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ﴾ إنه نداء بصوت عال تغمره البهجة: تعالوا جميعًا هذا كتابي خذوه فاقرؤوه! وبمثلها يصدح المجتهد حين يستلم شهادة التفوق على الأقران، فإن أردت إكسير النجاح الذي لا ينضب في الحياتين؛ فقف طويلًا مع التعليل في قوله: ﴿إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ۝٢٠﴾ (الحاقة: ٢٠).

أ. د. ناصر العمر

﴿فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝٢١﴾

١) تأمل سر التعبير عن العيشة بأنها راضية في قوله: ﴿فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾، فالوصف بها أحسن من الوصف بالمرضية؛ فإنها اللائقة بهم، فكأن العيشة رضيت بهم كما رضوا بها، وهذا أبلغ من مجرد كونها مرضية فقط، فتأمله.

ابن القيم، التبيان في أقسام القرآن (٦٤)

٢) ﴿فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾ عبر عن تمام رضى صاحب العيشة برضى عيشته على الحقيقة؛ وذلك أن رضى من يلقاه ويحيط به ويخدمه مؤثر في رضاه، فكما أن رضى الوالدين في الدنيا والأولاد والزوج بل والخدم يجعل الإنسان في غاية الرضا؛ فكيف بأثر رضى من حوله عليه في الآخرة، وتاج ذلك رضى الله عنه: ﴿وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ (التوبة:٧٢).

أ. د. ناصر العمر

﴿كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾﴾

١) خرج ابن عمر ومعه أصحاب له، ووضعوا سفرة لهم، فمر بهم راعي غنم، فدعاه ابن عمر؛ ليأكل، فقال: إني صائم! فقال ابن عمر: أتصوم في مثل هذا اليوم الحار الشديد سمومه وأنت في هذه الجبال ترعى هذه الغنم؟ فقال: إني والله أبادر أيامي الخالية!

الدر المنثور (٨/ ٢٧٢)

٢) قال قتادة ﷺ: أيامكم هذه أيام خالية فانية، تؤدي إلى أيام باقية، فاعملوا في هذه الأيام، وقدموا خيرًا إن استطعتم، ولا قوة إلا بالله.

الدر المنثور (٨/ ٢٧)

﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣٤﴾﴾

كان أبو الدرداء ﷺ يحض امرأته على تكثير المرق لأجل المساكين، ويقول: خلعنا نصف السلسلة بالإيمان، أفلا نخلع نصفها الآخر؟!

رموز الكنوز للرسعني (٨/٢٦٥)

سُورَةُ المَعَارِجِ

﴿ فَٱصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ﴿٥﴾ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا ﴿٦﴾ وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا ﴿٧﴾ ﴾

الحقيقة واحدة، ولكن بقدر صفاء النفوس وخلوصها تكون قدرتها على التعامل الإيجابي مع الأحداث مهما عظمت، وبمقدار ما فيها من غبش تعمى عن رؤية الواقع والمستقبل على وجهه الصحيح!

أ. د. ناصر العمر

﴿ ۞ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ ﴾

إذا أردت معرفة الرجل الهلوع فهو: الذي إذا أصابه الجوع مثلًا أظهر الاستجاعة، وإذا أصابه الألم أسرع الشكاية، وإذا أصابه القهر أظهر الاستكانة، فلا احتمال لديه ولا إفضال.

ابن القيم، بدائع التفسير (٣/١٩٧)

﴿ وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾ ﴾

١) قال تعالى في سورة الذاريات: ﴿ وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴾ (الذاريات: ١٩)، وقال في سورة المعارج: ﴿ وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴾، فزاد في الآية الثانية كلمة ﴿مَّعْلُومٌ ﴾؛ فلماذا؟ لعل السبب -والله أعلم- أنه في سورة المعارج: ﴿ وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴾ (المعارج٢٤)، قال: ﴿مَّعْلُومٌ ﴾؛ لأن المقصود الزكاة المحددة، والحديث قبلها عن الفرائض والواجبات: ﴿ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴾ (المعارج: ٢٢)، أما في سورة الذاريات: ﴿ وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿١٩﴾ ﴾ (الذاريات: ١٩)، فالآيات قبلها في بيان فضل المتطوعين زيادة على الواجب: ﴿ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ (الذاريات: ١٦ - ١٧)، فناسب الإطلاق في الإنفاق بلا تقييد؛ حيث المراد ما زاد على الواجب.

الغرناطي، ملاك التأويل (١٠٣٦)

٢) هكذا نقل الإسلام إسعاف البائسين من أن يكون منّة تذلّ كرامتهم إلى أن يكون حقًا يأخذونه مرفوعي الرأس، موفوري الكرامة.

د. مصطفى السباعي، أخلاقنا الاجتماعية (٤٨)

﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴿٢٨﴾﴾

إياك أن تأمن من عذاب الله، وتطمئن من محاسبته؛ فإنه سبحانه لما ذكر صفات المؤمنين في سورة المعارج، أعقبها بقوله ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ﴾، فلا يأمن عذابه أحد، ولو بلغ من العبادة ما بلغ، إلا من أمنه الله.

د. عبدالمحسن العسكر

سُورَةُ نُوحٍ

﴿ قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ۝٢ ﴾

من أدب النصيحة وأساليبها النافعة: أن يضيف الناصح المنصوح إلى نفسه؛ ليأخذ قوله مأخذ الجد والصدق المتطلب الخير له؛ لأن المرء لا يريد لمنصوحه إلا خيرًا؛ ولذا قال نوح عليه السلام حين دعوته لقومه: ﴿ قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ﴾.

د.عبدالمحسن العسكر

﴿ ثُمَّ إِنِّي دَعَوۡتُهُمۡ جِهَارٗا ۝٨ ثُمَّ إِنِّيٓ أَعۡلَنتُ لَهُمۡ وَأَسۡرَرۡتُ لَهُمۡ إِسۡرَارٗا ۝٩ ﴾

تنويع أسلوب الدعوة: ﴿ ثُمَّ إِنِّي دَعَوۡتُهُمۡ جِهَارٗا ۝٨ ثُمَّ إِنِّيٓ أَعۡلَنتُ لَهُمۡ وَأَسۡرَرۡتُ لَهُمۡ إِسۡرَارٗا ﴾ من الحكمة الجمع بين الإعلان والإسرار؛ إزالةً لما يقع في نفس المدعو من اتهام الداعي بأنه ما أراد من دعوته علانيةً إلا تلويث عرضه، والإزراء بسمعته.

محمد الخضر حسين، الأعمال الكاملة (٢٣٠٠/٥)

﴿ فَقُلۡتُ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارٗا ۝١٠ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا ۝١١ وَيُمۡدِدۡكُم بِأَمۡوَٰلٖ وَبَنِينَ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ جَنَّٰتٖ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ أَنۡهَٰرٗا ۝١٢ مَّا لَكُمۡ لَا تَرۡجُونَ لِلَّهِ وَقَارٗا ۝١٣ ﴾

١) صعد أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه المنبر؛ ليستسقي فلم يزد على الاستغفار، وقراءة آيات الاستغفار، ومنها قوله تعالى: ﴿ فَقُلۡتُ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارٗا ۝١٠ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا ﴾، ثم قال: لقد طلبت الغيث بمجاديح السماء التي يستنزل بها المطر.

تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢٣٣/٨)

٢) انهارت الأسهم، وغلت الأسعار، وأعدمت ملايين الطيور، ونفقت آلاف الإبل، وأجدبت الأرض، كل هذا من البلاء، ولو تحققنا بهذه الآية، لجاء الفرج ممن لا يخلف الوعد: ﴿ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّـٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَـٰرًا ﴿١٢﴾ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ ﴾.

متدبر

﴿ مِّمَّا خَطِيٓـَٔـٰتِهِمْ أُغْرِقُوا۟ فَأُدْخِلُوا۟ نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا۟ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارًا ﴿٢٥﴾ ﴾

هذه الآيةُ ومثيلاتُها دالة دلالة صريحة على أن ما يُصيبنا من كوارث إنما هو بسبب خطايانا. ومحاولة بعض الناس الهرب عن معاني مثل هذه الآيات والتشكيك فيها إنما هو مصادمةٌ لصريح القرآن، وغفلة عن تدبر معانيه والانتفاع بها، وتطمين للمذنبين، وادعاء للكمال في النفس والمجتمع، وهو علامة على قسوة القلب، ﴿ فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا۟ وَلَـٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ (الأنعام:٤٣).

فهد العيبان

سُورَةُ الجِنِّ

﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ۝٢﴾

﴿يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ﴾ جعلوا السبب الداعي لهم إلى الإيمان وتوابعه: ما علموه من إرشادات القرآن، المشتملة على المصالح والفوائد واجتناب المضار، فهذا هو الإيمان النافع، المثمر لكل خير، المبني على هداية القرآن، بخلاف إيمان العوائد، والمربى والإلف ونحو ذلك؛ فإنه إيمان تقليد تحت خطر الشبهات والعوارض الكثيرة.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن (٨٩٠)

﴿وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقًا ۝١٦﴾

من أحب تصفية الأحوال، فليجتهد في تصفية الأعمال: يقول تعالى: ﴿وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقًا﴾ قال أبو سليمان الداراني: «من صفَّى صُفِّي له، ومن كدَّر كُدِّر عليه». علق ابن الجوزي فقال: «وإنما يَعرف الزيادة من النقصان المحاسب لنفسه؛ فاحذر من نفار النعم، ومفاجأة النقم، ولا تغتر ببساط الحلم؛ فربما عجل انقباضه».

صيد الخاطر (٦)

﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ۝١٨﴾

في بعض الأمكنة والأزمنة: كان القرآن يُقرأ على الأموات دون الأحياء، ويعد تفسيره خطيئة، إذ ساد عند بعضهم أنَّ تفسير القرآن صوابه خطأ وخطأه كفر، فالقارئ يقرأ: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾، والناس حول ضريح الولي المدفون في ناحية المسجد يدعون بأعلى أصواتهم: يا سيدي مدد! ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ۝٢٤﴾ (محمد)؟

أبو بكر الجزائري، الدعاء ومنزلته (٣١٥)

﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا۟ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿١٩﴾﴾

انظر إضافة النبي باسم العبودية إلى الله في قوله: ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ﴾، ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾ (الإسراء:١)، ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ﴾ (الفرقان:١)، ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾ (البقرة:٢٣)؛ لأن كلَّ ما نُسب إلى المحبوب فهو محبوب؛

لما انتسبتُ إليك صرتُ معظمًا وعلوتُ قدرًا دون من لم يُنسب

ابن القيم، روضة المحبين (٢٧٠)

﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾﴾

١) قال الواحدي: وفي هذا دليل على أن من ادعى أن النجوم تدله على ما يكون من حياة، أو موت، أو غير ذلك؛ فقد كفر بما في القرآن.

مفاتيح الغيب للرازي (٣٠/٦٧٨)

٢) إنك قد لا تتعجب أن يدعي الغيب بعضُ السحرة، أو من ينتسب إلى مذهبٍ ضالٍّ يتكسب من ورائه، وربما غلَّف دعواه تلك باسم الدين، لكن تتعجب ممن يصدِّق هؤلاء في كذبهم، وهم يقرؤون قول ربهم: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾، ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ (محمد: ٢٤).

د. عمر المقبل

﴿لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًۢا ﴿٢٨﴾﴾

تفخر أكبر مراكز الإحصاء العالمية بجمع المعلومات في جانب معين، ويفوتها أنواع كثيرة من المعرفة، ولا تتجاوز بضعة قرون من الزمن، وربما بَنَت معلوماتها المستقبلية على توقعات تصيب وتخطئ، وكل هذا يتضاءل جدًّا حين يقرأ المؤمنُ كلام ربه الذي أثنى على نفسه، فقال: ﴿وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًۢا﴾، فلا ماض، ولا حاضر، ولا مستقبل يخرج عن هذه الآية.

د. عمر المقبل

سُورَةُ المُزَّمِّلِ

اختبر حفظك..

إن الذي لا تلتهب مواجيده بأشواق التهجد لا يكون من أهل سورة المزمل حقًّا!

كما أن الذي لا تحترق نفسه بجمر الدعوة والنذارة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ ليس من المتحققين بسورة المدثر!

د. فريد الأنصاري، هذه رسالات القرآن فمن يتلقاها (مقالة)

﴿قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝٢﴾

إذا كان الله ﷻ قد سمى الصلاة تسبيحًا، فقد دل ذلك على وجوب التسبيح. كما أنه لما سماها قيامًا في قوله تعالى ﴿قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ دل على وجوب القيام، وكذلك لما سماها قرآنًا في قوله تعالى ﴿وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ﴾ دل على وجوب القرآن فيها، ولما سماها ركوعًا وسجودًا في مواضع؛ دل على وجوب الركوع والسجود فيها.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى (٢٢/٥٥١)

﴿أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ۝٤﴾

١) تدبر عملي:

قال الحسن البصري ﵀: مر رجل من أصحاب النبي ﷺ على رجل يقرأ آية ويبكي ويرددها، فقال: « ألم تسمعوا إلى قول الله تعالى: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾، قال: هذا الترتيل».

مصنف ابن أبي شيبة ٢٢٦/٧

٢) حتى يرق قلبك!

﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾ أي: تمهل وفرِّق بين الحروف لتبين، والمقصد أن يجد الفكر فسحة للنظر، وفهم المعاني، وبذلك يرق القلب، ويفيض عليه النور والرحمة.

ابن عطية، المحرر الوجيز (٣٨٧/٥)

٣) في هذه الآية دليل على أنه لا بد للقارئ من الترتيل؛ لتقع قراءته عن حضور القلب، وذكر المعاني، فلا يكون كمن يعثر على كنز من الجواهر عن غفلة وعدم شعور.

النيسابوري، غرائب القرآن (٣٧٨/٦)

٤) والحكمة في الترتيل: التمكن من التأمل في حقائق الآيات ودقائقها، فعند الوصول إلى ذكر الله يستشعر عظمته وجلاله، وعند الوصول إلى الوعد والوعيد يحصل الرجاء والخوف ويستنير القلب بنور الله، وبعكس هذا فإن الإسراع في القراءة يدل على عدم الوقوف على المعاني.

المراغي، تفسير المراغي (١١٢/٢٩)

٥) إنما أمره بالترتيل؛ لأن ترتيل القرآن به يحصل التدبر والتفكر، وتحريك القلوب به، والتعبد بآياته، والتهيؤ والاستعداد التام له.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن (٨٩٣)

﴿ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ۝٥ ﴾

١) سئل مالك عن مسألة، فقال: لا أدري، فقال له السائل: إنها مسألة خفيفة سهلة، وإنما أردت أن أُعلِمَ بها الأمير، وكان السائلُ ذا قدر؛ فغضب مالك، وقال: مسألة خفيفة سهلة؟ ليس في العلم شيء خفيف، أما سمعت قول الله تعالى: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾.

الشاطبي، الموافقات (٤٧٠/٥)

٢) ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ هذه الجملة معترضة بين الأمر بالقيام والترتيل، وبين التعليل بذكر صفة صلاة الليل، ففيها دليل على أن قيام الليل من أعظم ما يعين على القيام بالتكاليف الشاقة، وهذا شأن الصلاة فرضها ونفلها؛ فإنها مما أمر بالاستعانة به كما قال تعالى: ﴿وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾ (البقرة: ٤٥).

د. عبدالمحسن العسكر

﴿ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْـًٔا وَأَقْوَمُ قِيلًا ۝٦ ﴾

١) مدارسة جبريل للنبي ﷺ كانت ليلًا، فدلَّ على استحباب الإكثار من التلاوة في رمضان ليلًا؛ فإن الليل تنقطعُ فيه الشواغلُ، وتجتمعُ فيه الهممُ، ويتواطأ فيه القلبُ واللسانُ على التدبر، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْـًٔا وَأَقْوَمُ قِيلًا﴾.

ابن رجب، لطائف المعارف (١٦٩)

٢) صلاة الليل أعون على تذكر القرآن، والسلامة من النسيان، وأعون على المزيد من التدبر؛ ولذا قال سبحانه: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِىَ أَشَدُّ وَطْـًٔا وَأَقْوَمُ قِيلًا﴾ قال ابن عباس ﷺ: ﴿وَأَقْوَمُ قِيلًا﴾: أدنى أن يفقهوا القرآن، وقال قتادة ﷺ: أحفظ للقراءة.

ابن عاشور، التحرير والتنوير (٢٩ /٢٤٦)

٣) أمر الله نبيه ﷺ في بداية سورة المزمل بترتيل القرآن في قيام الليل، وهي دعوة لتدبر القرآن، إذ لا يخفى عظم أثر الترتيل في إحداث التدبر، خصوصًا في ظلمة الليل، حيث السكون، وحضور القلب، والاعتبار.

أ. د. إبتسام الجابري

٤) رمضان بإطلالته المباركة فرصة ومنحة لأن يُطَهِّر المسلمُ نفسه بالنهار؛ ليعدَّها لتلقي هدايات القرآن في قيام الليل: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِىَ أَشَدُّ وَطْـًٔا وَأَقْوَمُ قِيلًا﴾، وناشئة الليل: ساعاته، فهي أجمع للقلب على التلاوة، فكأن الصيام في النهار تخلية، والقيام بالقرآن في الليل تحلية.

د. سعود الشريم، خطبة: رمضان شهر القرآن

﴿وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴿١٠﴾﴾

١) ﴿وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ الصبر على ما يقولون يتضمن شيئين: الأول: عدم التضجر مما يقول هؤلاء، وأن يتحمل ما يقوله أعداؤه فيه، وفيما جاء به، والثاني: أن يمضي في الدعوة إلى الله، وأن لا يتقاعس.

ابن عثيمين، تفسير سورة ق (١١١)

٢) أمر الله تعالى في كتابه بالصبر الجميل، والصفح الجميل، والهجر الجميل، فسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية يقول: الصبر الجميل هو الذي لا شكوى فيه ولا معه، والصفح الجميل هو الذي لا عتاب معه، والهجر الجميل هو الذي لا أذى معه.

ابن القيم، مدارج السالكين (٢/ ١٦٠)

٣) ﴿وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾ الله جميل يحب الجمال، حتى في الهجر والقطيعة مع الكفار، فأي عذر لمن يكدر صفو الوصل بالمنة والأذى مع الأقارب والأرحام؟!

أ. د. ناصر العمر

﴿إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا وَجَحِيمًا ١٢﴾

قرأها سليمان التيمي فقال: قيودًا والله ثقالًا لا تُفَكُّ أبدًا، ثم بكى.

الدر المنثور (٣١٩/٨)

﴿۞ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ ۚ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ ۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ ۙ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ۚ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ۚ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌۢ ٢٠﴾

١) قال عمر بن الخطاب: ما من حال يأتيني عليه الموت -بعد الجهاد في سبيل الله- أحبُّ إلي من أن يأتيني وأنا بين شُعبتي رحلي ألتمس من فضلِ الله، ثم تلا هذه الآية: ﴿وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾.

الدر المنثور (٨/ ٣٢٣)

٢) بشرى لمن يسعى في طلب الرزق الحلال بالتجارة ونحوها، ذكرها الله تعالى في قوله: ﴿وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ﴾ فقد كان بعض الصحابة يتأول من هذه الآية فضيلة التجارة والسفر لأجلها، حيث قرن الله بين المجاهدين والمكتسبين المال الحلال؛ يعني أن الله ما ذكر هذين السببين لنسخ تحديد القيام إلا تنويهًا بهما؛ لأن في غيرهما من الأعذار ما هو أشبه بالمرض، ودقائق القرآن ولطائفه لا تنحصر.

ابن عاشور، التحرير والتنوير (٢٦٦/٢٩)

٣) ﴿وَأَقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ عبر الله بالقرض، وهو الغني ﷻ، والحكمة في أن يقول هذا ﷻ؛ ليبين أن أجرهم مضمون، كما أن القرض مضمون، وسيردُّ عليه الحسنة بعشر أمثالها، إلى سبعمائة ضعف، إلى أضعاف كثيرة.

ابن عثيمين، تفسير سورة الحديد (٣٩٣)

٤) تأمل آخر آية من سورة المزمل، وما فيها من التأكيد على قراءة القرآن مهما كانت الظروف، من مرض وسفر وقتال في سبيل الله! فهل يعتبر المقصرون في قراءة القرآن بسبب أعمال لا تداني هذه الأعذار؟

متدبر

سُورَةُ المُدَّثِّرِ

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢﴾

من أول ما نزل بعد ﴿ٱقْرَأْ﴾ قوله سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ﴾، فانظر كيف قدم ذلك على تشريع أشياء كثيرة من العبادات وغيرها، فقف عندها، ثم قف، ثم قف، ترى العجب العجيب، ويتبيَّن لك ما أضاع الناسُ من أصل الأصول، وهو التوحيد والدعوة إليه.

محمد بن عبدالوهاب، رسائل الشيخ الشخصية (١٧١/١)

﴿وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ۝٦﴾

هل أعجبتك كثرة عملك؟

تأمل قوله تعالى: ﴿وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ﴾ قال الحسن ﷺ: لا تستكثر عملك الصالح.

جامع البيان للطبري ٤١٥/٢٣

﴿إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ۝١٨ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ۝١٩ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ۝٢٠ ثُمَّ نَظَرَ ۝٢١ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ۝٢٢ ثُمَّ أَدْبَرَ وَٱسْتَكْبَرَ ۝٢٣﴾

١) الوليد بن المغيرة كان يفكر: ﴿إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ﴾، لكن أين قاده تفكيره؟ الفكر الذي لا يقود للجنة، وينقذ من النار؛ وبالٌ على صاحبه!

د. عمر المقبل

٢) مع أهمية (التفكير) وأثره في الحياة، فيجب أن يُبنى على أصول صحيحة، ومنطلقات شرعية، وتجرد سالم من المؤثرات الصارفة؛ وإلا كان وبالًا على صاحبه في العاجل والآجل. تدبر: ﴿إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ۝١٨ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ۝١٩ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ۝٢٠ ثُمَّ نَظَرَ ۝٢١ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ۝٢٢ ثُمَّ أَدْبَرَ وَٱسْتَكْبَرَ ۝٢٣﴾.

أ. د. ناصر العمر

٣) إذا لم ينطلق التفكير من عقل حر متجرد للحق، عازم على الرشد، وإنما كان محاطًا بأسوار من الحسابات الأرضية والتخوفات الوهمية، فلن يصل بصاحبه إلى نتيجة سوية، وإنما سيضطرب في تفكيره ويزداد (توهمًا) بصواب مسيره، وصحة طريقه، تدبر هذه الآية وما بعدها: ﴿إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ﴾؛ لترى إلى أي نهاية صاحبها وصل؟

أ. د. ناصر العمر

﴿وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا كَذَٰلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ (٣١)﴾

١) إذا رأيت أن (علم الغيب) لا يزيد إيمانك ويقينك وثباتك، فراجع قلبك؛ خشية أن يكون قد أشرب فتنة، تدبر: ﴿وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾.

أ. د. ناصر العمر

٢) الجنود التي يخذل بها الباطل، وينصر بها الحق، ليست مقصورة على نوع معين من السلاح، بل هي أعم من أن تكون مادية أو معنوية، وإذا كانت مادية فإن خطرها لا يتمثل في ضخامتها، فقد تفتك جرثومة لا تراها العين بجيش عظيم: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾.

الغزالي، فقه السيرة (١/١٧٥)

﴿لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ (٣٧)﴾

تدبر هذه الآية، يتضح لك أنه لا مجال للتوقف بحال، فتفَقَّد إيمانك وعملك، فإن لم تكن تتقدم، فإنك يقينًا تتأخر.

أ. د. ناصر العمر

﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ (٣٨) إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ (٣٩)﴾

أي: كل نفس مرتهنة بعملها السيئ إلا أصحاب اليمين، فإنه قد تعود بركات أعمالهم الصالحة على ذراريهم، كما في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ﴾ أي: ألحقنا بهم ذرياتهم في المنزلة الرفيعة في الجنة، وإن لم يكونوا قد شاركوهم في الأعمال، بل في أصل الإيمان.

ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (٣/٣٨٤)

﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ (٤٩) كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ (٥٠) فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ (٥١)﴾

شبه هؤلاء في إعراضهم ونفورهم عن القرآن بحمير رأت أسودًا، أو رماة ففرت منهم، وهذا من بديع القياس والتمثيل، فإن القوم في جهلهم بما بعث الله به رسوله كالحمير، وهي لا تعقل شيئًا، فإذا سمعت صوت الأسد أو الرامي نفرت منه أشد النفور، وهذا غاية الذم لهؤلاء.

ابن القيم، إعلام الموقعين (١/١٦٤)

سُورَةُ القِيَامَةِ

﴿ وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ ۝٢ ﴾

قال الحسن البصري ﵀: إن المؤمن لا تراه إلا يلوم نفسه، ما أردت بكلمتي؟ ما أردت بأكلتي؟ ما أردت بحديثي نفسي؟ ولا أراه إلا يعاتبها، وإن الفاجر يمضي قدمًا لا يعاتب نفسه.

الدر المنثور (٨/ ٣٤٣)

﴿ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ ۝٤ ﴾

١) قرأ الحسن ﵀ هذه الآية، فقال: إن الله أعفَّ مطعم ابن آدم ولم يجعله خفًّا ولا حافرًا، فهو يأكل بيديه ويتقي بها، وسائر الدواب إنما يتقي الأرض بفمه.

الدر المنثور (٨/٣٤٤)

٢) ﴿ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ ﴾ أي: أطراف أصابعه وعظامه، وذلك مستلزم لخلق جميع أجزاء البدن؛ لأنها إذا وجدت الأنامل والبنان، فقد تمت خلقة الجسد.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن (٨٩٨)

﴿ بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ۝١٤ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ۝١٥ ﴾

١) استحضار العبد لخطاياه وذنوبه؛ تجعله لا يرى لنفسه على أحد فضلًا، فيرى أن من سلَّم عليه أو لقيه بوجه منبسط، فقد أحسن إليه، فما أطيب عيشه! وما أنعم باله! خلافًا لمن يرى لنفسه على الناس حقوقًا من الإكرام يطلبها منهم، ويذمهم على ترك القيام بها.

ابن القيم، مفتاح دار السعادة (٢/٨٤٣-٨٤٤)

٢) حين يقرؤك الآخرون؛ يرون فيك جانبك الظاهر، ولن يغوص إلى ذاك الخفي سواك، ولن تكون هناك قناة أخرى تبث تردداته إلاك ﴿ بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ۝١٤ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ﴾.

د. سلمان العودة، طفولة قلب (٣٦٣)

٣) عند تلاوة هذه الآية: ﴿ بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ﴾، قف متدبرًا متأملًا، ثم اسأل نفسك بصدق وتجرد: هل جميع همومك خاضعة لهَمِّ هذا الدين؟ أو (هو) مجرد هم من تلك الهموم؟

أ. د. ناصر العمر

﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ ﴾

١) من الآداب التي أدَّب الله بها نبيه ﷺ أنْ أمره بترك الاستعجال على تلقي الوحي؛ فهكذا ينبغي لطالب العلم ولسامعه أن يصبر على معلمه حتى ينتهي، ثم يسأل عما أشكل عليه منه.

ابن القيم، بدائع التفسير (١/٢٣٠)

٢- إذا كان الله تعالى نهى نبيه ﷺ عن الاستعجال بقراءة القرآن مع وجود سبب معتبر، فماذا يقول من يَهذُّهُ بلا فهم ولا تدبُّر، أو علة لها حظ من النظر؟

أ. د. ناصر العمر

٣) رتل ولا تعجل!

تأمل هذه الآية التي خوطب بها نبيك ﷺ: ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴾ فالترتيل هو الطريقة الشرعية للدخول إلى عالم التدبر، وقد كرر الله الأمر به في مواضع: ﴿ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴾ (المزمل: ٤)، ﴿ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ ﴾ (الإسراء: ١٠٦)، فإياك والهذرمة وسرعة القراءة التي تفقدك لذة التدبر!

﴿ كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾ وَتَذَرُونَ ٱلْءَاخِرَةَ ﴿٢١﴾ ﴾

اختيار ﴿ وَتَذَرُونَ ﴾ على (تَدَعون) له سببه؛ ذلك أن الفعل (وذر) في عموم معانيه يفيد الذم، والموقف موقف ذم، فإنهم يحبون العاجلة ويذرون الآخرة، فاختار الفعل الذي يقال في عموم معانيه للذم، وهو اختيار فَنِّيٌّ رفيع.

د. فاضل السامرائي، لمسات بيانية (٢١٧- ٢١٨)

﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍۭ بَاسِرَةٌ ﴿٢٤﴾ ﴾

١) قال ابن عقيل: تسمع: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴾ فتهش لها كأنها فيك نزلت، وتسمع بعدها: ﴿ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍۭ بَاسِرَةٌ ﴾ فتطمئن أنها لغيرك، ومن أين ثبت هذا الأمر؟ ومن أين جاء الطمع؟ الله.. الله.. وما هذه إلا خدعة تحول بينك وبين التقوى.

الآداب الشرعية (١/١٧٧)

٢) إن روح الإنسان لتستمتع بلمحة من جمال الإبداع الإلهي في الكون أو النفس، فكيف بها وهي تنظر -لا إلى جمال صنع الله- ولكن إلى جمال ذات الله؟

ألا إنه مقام يحتاج أولًا إلى مد من الله، ويحتاج ثانيًا إلى تثبيت من الله؛ ليملك الإنسان نفسه، فيثبت، ويستمتع بالسعادة التي لا يحيط بها وصف، ولا يتصور حقيقتها إدراك!

سيد قطب، في ظلال القرآن (٦/٣٧٧٠- ٣٧٧١)

٣) إن في اليوم الآخر لموعدًا يملؤه ضياء ونورًا، موعدًا عمل له الأنبياء والصديقون! وتعلق به العاملون أولًا وآخرًا! إنه: رؤية الله ذي الجلال والجمال! ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾.

د. فريد الأنصاري، جمالية الدين (٨٧)

﴿وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ (٢٩)﴾

لنستعد! ﴿وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ﴾ يجتمع عليه كرب الموت وهول المطلع. قال الضحاك ﷺ: «هو في أمر عظيم، الناس يجهزون بدنه، والملائكة يجهزون روحه».

تفسير السمعاني (٦/١٠٩)

﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ (٣٠)﴾

مَن لك إذا ألـمَّ الألـمُ وسكت الصوت، وتمكَّن الندم، ووقع الفوت، وأقبل لأخذ الروح ملكُ الموت، وجاءت جنوده، وقيل: من راق؟ ونزلت منزلًا ليس بمسْكون، وتعوَّضت بعد الحركات السكون، فيا أسفًا لك كيف تكون؟ وأهوال القبر لا تطاق، أكثر عمرك قد مضى، وأعظم زمانك قد انقضى، أفي أفعالك ما يَصلحُ للرِّضا إذا التقينا يوم التلاق؟

ابن الجوزي، التبصرة (١/٢١٧) (بتصرف)

﴿أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ (٣٤) ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ (٣٥)﴾

هذا ليس من باب التكرار، بل هو وعيد ودعاء، يعني: قرب منك ما يُهلك قربًا بعد قرب، كما تقول: غفر لك ثم غفر الله لك، أي: غفر لك مغفرة بعد مغفرة، فليس هذا بتكرار محض، ولا من باب التأكيد اللفظي، بل هو تعدد الطلب لتعدد المطلوب، ونظيره: اضربه ثم اضربه.

ابن تيمية، جامع مسائل شيخ الإسلام (٣٥٦-٣٥٧)

سُورَةُ الإِنسَانِ

﴿هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ لَمۡ يَكُن شَيۡـٔٗا مَّذۡكُورًا ١﴾

كان السلف لعظم خوفهم من الله، وشدة قلقهم من لحظة وقوفهم أمام الله ﷻ، يتمنون أنهم لم يخلقوا، كما قال الفاروق رضي الله عنه لما سمع رجلًا يقرأ: ﴿هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ لَمۡ يَكُن شَيۡـٔٗا مَّذۡكُورًا﴾، فقال عمر: ليتها تمت، أي: ليتني لم أكن شيئا مذكورًا!

معالم التنزيل للبغوي (٨/٢٨٩)

﴿إِنَّا هَدَيۡنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرٗا وَإِمَّا كَفُورًا ٣﴾

جمع بين الشاكر والكفور، ولم يقل: إما شكورًا، وإما كفورًا مع اجتماعهما في صيغة المبالغة، فنفى المبالغة في الشكر وأثبتها في الكفر؛ لأن شكر الله تعالى لا يؤدى مهما كثر، فانتفت عنه المبالغة، ولم تنتف عن الكفر المبالغة، فإن أقل الكفر مع كثرة النعم على العبد يكون جحودًا عظيمًا لتلك النعم.

القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (٢١/٤٥٠)

﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذۡرِ وَيَخَافُونَ يَوۡمٗا كَانَ شَرُّهُۥ مُسۡتَطِيرٗا ٧ وَيُطۡعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسۡكِينٗا وَيَتِيمٗا وَأَسِيرًا ٨ إِنَّمَا نُطۡعِمُكُمۡ لِوَجۡهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمۡ جَزَآءٗ وَلَا شُكُورًا ٩﴾

١) اعلم أن مجامع الطاعات محصورة في أمرين: التعظيم لأمر الله تعالى، وإليه الإشارة بقوله: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذۡرِ﴾ والشفقة على خلق الله، وإليه الإشارة بقوله: ﴿وَيُطۡعِمُونَ ٱلطَّعَامَ﴾.

الرازي، مفاتيح الغيب (١٦ / ٢٢٢)

٢) نعم القدوة هم:

﴿وَيُطۡعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾ كان حماد بن أبي سليمان يفطّر في كل ليلة في شهر رمضان خمسين إنسانًا، فإذا كانت ليلة الفطر كساهم ثوبًا ثوبًا وأعطاهم مائة مائة.

الإخوان لابن أبي الدنيا (٢١١)

٣) ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا﴾ فمن طلب من الفقراء الدعاء أو الثناء، خرج من هذه الآية؛ ولهذا كانت عائشة إذا أرسلت إلى قوم بهدية تقول للمرسول: اسمع ما دعوا به لنا؛ حتى ندعو لهم بمثل ما دعوا، ويبقى أجرنا على الله.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى (١١/ ١١١)

٤) هل تريد بابًا من أبواب العمل الخالص؟ إنها محبة المساكين والإحسان إليهم؛ لأن نفعهم في الدنيا لا يرجى غالبًا، تأمل قال تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا﴾.

ابن رجب، اختيار الأولى في شرح حديث اختصام الملأ الأعلى (١٠٢)

٥) ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا﴾ قال ابن عباس ﵄: كذلك كانت نياتهم في الدنيا حين أطعموا.

وقال مجاهد: أما إنهم ما تكلموا به، ولكن علمه الله منهم، فأثنى به عليهم؛ ليرغب في ذلك راغب.

الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٩ / ١٣٠)

٦) ولا يزال في أمة محمد ﷺ أناس يؤثرون على أنفسهم، ويعرفون للسائل والمحروم حقه في أموالهم، ويعطون لا يريدون جزاء ولا ثناء، ما انقطعوا ولا ينقطعون إلى يوم القيامة، لسان حالهم: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا﴾.

علي الطنطاوي، ذكريات الطنطاوي (٢/٦٨)

٧) ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا﴾ الإرادة عمل قلبي؛ فاحذر أن تقول بلسانك: لا أريد شكرًا، وقلبك يتلظى على من أحسنت عليه؛ لأنه لم يشكرك.

د. صالح البهلال

﴿فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾﴾

١) من خاف الله في الدنيا، وأخذ أُهبته من طاعة ربه، أمَّنه من أهوال يوم القيامة، ووقاه الفزع الأكبر، تأمل قوله سبحانه عن طائفة من عباده المحسنين في سورة الإنسان: ﴿فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ﴾.

القصاب، نكت القرآن (٤/٤٦٢)

٢) تأمل قوله تعالى: ﴿وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا﴾ فالنضرة تعلو صفحة الوجه، والسرور لذة قلبية لا ترى، فجمع الله أكمل النعيم وأتمه، ظاهرًا وباطنًا، وإذا كان الرائي لأهل الدنيا المترفين -ممن تنعموا واختلطوا بأسيادهم وكبرائهم- يرى أثر ذلك عليهم، فكيف بحال من تنعم بصحبة النبيين، وتلذذ برؤية وجه رب العالمين؟

د. محمد الخضيري

﴿وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾﴾

١) قرأ رجل على أبي سليمان الداراني سورة الإنسان، فلما بلغ: ﴿وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾ قال أبو سليمان: بما صبروا على ترك الشهوات في الدنيا.

تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٨/٢٩٠)

٢) دخل في ذلك: الصبر على كلِّ مصيبةٍ ورزيَّةٍ، بفقد مال، وموت حميم وقريب، ومضض الفقر، والأوجاع والأمراض، وأشباه ذلك إذا جرع غصصه، وصبر على آلامه، وسلَّم فيها لحُكم ربه.

القصاب، نكت القرآن (٤/٦٦٣)

٣) من فسح لنفسه في اتباع الهوى، ضيق عليها في قبره ويوم معاده، ومن ضيق عليها بمخالفة الهوى، وسع عليها في قبره ومعاده، وقد أشار الله تعالى إلى هذا في قوله: ﴿وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾؛ فلما كان في الصبر -الذي هو حبس النفس عن الهوى- خشونة وتضييق، جازاهم على ذلك نعومة الحرير وسعة الجنة.

ابن القيم، روضة المحبين (٤٨٠)

﴿مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۖ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١٣﴾﴾

شدة البرد من زمهرير جهنم - كما صح بذلك الخبر عن النبي - ولكمال نعيم أهل الجنة؛ فإن الله تعالى نفى عنهم الحر المزعج، والبرد المؤلم، فقال سبحانه: ﴿لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا﴾، فهل يتذكر صاحب القرآن هذا حينما يقرصه البرد؟! جعلنا الله وإياكم من أهل ذلك النعيم(١).

(١) أرسلت في وقت شدة البرد التي مرت بالبلاد عام ١٤٢٩هـ.

﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴿١٤﴾﴾

قال مجاهد في تفسير قوله تعالى: ﴿وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا﴾ أدنيت منهم يتناولونها، إن قام ارتفعت بقدره، وإن قعد تدلت حتى يتناولها، وإن اضطجع تدلت حتى يتناولها، فذلك تذليلها.

الدر المنثور (٣٧٤/٨)

﴿۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ﴿١٩﴾﴾

١) ﴿إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا﴾ قال بعضهم: هذا من التشبيه العجيب؛ لأنَّ اللؤلؤ إذا كان متفرقًا كان أحسن في المنظر لوقوع شعاع بعضه على بعض.

الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن (٣٧٣/٤) (بتصرف)

٢) تأمل.. هذا وصف الخدم، فما ظنك بالمخدومين؟! لا شك أن حالهم ونعيمهم أعظم وأعلى! جعلنا الله وإياك من أهل ذلك النعيم.

د. عمر المقبل

﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾﴾

من أساليب القرآن البديعة: الإيجاز، تأمل قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾ أي: عظيمًا لا غاية بعده في السعة والجمال والدوام، ففي الآية إيجاز بليغ تذهب فيه النفس كل مذهب!

د. عبدالمحسن العسكر

﴿عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾﴾

لما ذكر تعالى زينة الظاهر بالحرير والحلي، قال بعده: ﴿وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ أي: طهَّر بواطنهم من الحسد والحقد والغل والأذى وسائر الأخلاق الرديئة، فحلَّى الظاهر والباطن.

ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (٥٥١/٤)

﴿إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ﴿٢٢﴾﴾

لم يُكتَف في إكرام أهل الجنة وثوابهم بالإكرام بالفعل، والثواب المحسوس، بل إنهم يكرمون بالقول؛ ولذلك لما قال سبحانه: ﴿وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ (الإنسان:٢١)، قال لهم على سبيل الحفاوة والإكرام: ﴿إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا﴾، وهذا له نظائر في القرآن كقوله تعالى: ﴿وَنُودُوا أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (الأعراف:٤٣).

د. عبدالمحسن العسكر

﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَٱسۡجُدۡ لَهُۥ وَسَبِّحۡهُ لَيۡلٗا طَوِيلًا ٢٦ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلۡعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمۡ يَوۡمٗا ثَقِيلٗا ٢٧﴾

١) من طال وقوفه في الصلاة ليلًا ونهارًا لله، وتحمل لأجله المشاق؛ خف عليه الوقوف في ذلك اليوم، وإن آثر الراحة هنا والدعة والبطالة والنعمة؛ طال عليه الوقوف هناك، واشتدت مشقته عليه، وقد أشار الله إلى ذلك في قوله: ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَٱسۡجُدۡ لَهُۥ وَسَبِّحۡهُ لَيۡلٗا طَوِيلًا ٢٦ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلۡعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمۡ يَوۡمٗا ثَقِيلٗا﴾.

ابن القيم، اجتماع الجيوش الإسلامية (٣٧)

٢) يوم القيامة يوم ثقيل، لا ينجو فيه -برحمة الله- إلا صاحب العمل الدؤوب في ليل طويل: ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَٱسۡجُدۡ لَهُۥ وَسَبِّحۡهُ لَيۡلٗا طَوِيلًا ٢٦ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلۡعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمۡ يَوۡمٗا ثَقِيلٗا﴾ وقيام رمضان فرصة للتعود عليه.

د. عبدالمحسن المطيري

﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمٗا ٣٠﴾

إنما بيَّن الله ذلك في كتابه من أجل ألَّا يعتمد الإنسان على نفسه وعلى مشيئته، بل يعلم أنها مرتبطة بمشيئة الله؛ حتى يلجأ إلى الله في سؤال الهداية لما يحب ويرضى، فلا يقول الإنسان: أنا حر، أريد ما شئت، وأتصرف كما شئت. نقول: الأمر كذلك، لكنك مربوط بإرادة الله ﷻ.

ابن عثيمين، تفسير جزء عم (٣٧)

سُورَةُ المُرْسَلَاتِ

﴿ عُذْرًا أَوْ نُذْرًا ﴿٦﴾ ﴾

قال قتادة ﷺ: عذرًا لله على خلقه، ونُذرًا للمؤمنين ينتفعون به، ويأخذون به.

جامع البيان للطبري ٢٦ / ٦٥٣

﴿ لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ ﴿١٢﴾ لِيَوْمِ الْفَصْلِ ﴿١٣﴾ ﴾

من المؤكد أنه لن يتم حسم كل القضايا هنا، سيبقى الكثير منها عالقًا ليوم الفصل!

د. عبد الله بن بلقاسم

﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٥﴾ ﴾

١) فلا أحسنَ من هذا التكرار في هذا الموضع، ولا أعظم منه موقعًا، فإنه تكرَّر عشرَ مرات، ولم يُذكَر إلا في أثر دليل أو مدلول عليه عقيبَ ما يوجب التصديق به، فتأمَّل!

ابن القيّم، التبيان في أقسام القرآن، ص١٤٧

٢) ومن الويل عليهم؛ أنهم تنسد عنهم أبواب التوفيق، ويُحرمون كل خير، فإنهم إذا كذبوا هذا القرآن الذي هو أعلى مراتب الصدق واليقين على الإطلاق ﴿ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن ١٩٢٦

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾

قال قتادة ﷺ: عليكم بحُسن الركوع، فإنّ الصلاة من الله بمكان!

الطبري، جامع البيان ٢٦/٦٧٨

﴿ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾

إن القرآن أحسن حديث؛ في بيانه، وحججه، ومواعظه، ووعده، ووعيده، وشرائعه، وأخباره، فمن لم يهتد بالقرآن، لم ينفعه أيُّ حديث بعده، فلا هدى بعد هدى القرآن، ولا بيان بعد بيانه!

د. عبدالمحسن العسكر، تفسير جزء تبارك، ص ٣٩٠

سُورَةُ النَّبَإِ

﴿فَذُوقُوا۟ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ٣٠﴾

قال عبد الله بن عمرو: ما نزلت على أهل النار آية قط أشد منها ﴿فَذُوقُوا۟ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾، فهم في مزيد من عذاب الله أبدًا.

الدر المنثور ٨/ ٣٩٧

﴿لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّٰبًا ٣٥﴾

من ترك اللغو وابتعد عنه، فقد استعجل شيئًا من نعيم الجنة.

د. عبدالمحسن المطيري

سُورَةُ النَّازِعَاتِ

﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ٤٠ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ٤١﴾

١) قال حاتم الأصم: رأيت الخلق يقتدون أهواءهم، ويبادرون إلى مرادات أنفسهم، فتأملت قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ٤٠ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾، وتيقَّنت أنَّ القرآن حق صادق، فبادرت إلى خلاف نفسي، وتشمَّرت بمجاهدتها، وما متعتها بهواها؛ حتى ارتاضت بطاعة الله تعالى وانقادت.

أيها الولد للغزالي (١٢١ - ١٢٨)

٢) ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ٤٠ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ يحتاج المسلم إلى أن يخاف الله، وينهى النفس عن الهوى، ونفس الهوى والشهوة لا يعاقب عليه -إذا لم يتسبَّب فيها-، بل على اتباعه والعمل به، فإذا كانت النفسُ تهوى وهو ينهاها، كان نهيُه عبادةً لله، وعملًا صالحًا، و﴿مَقَامَ رَبِّهِۦ﴾؛ أي: قيامه بين يديه تعالى للجزاء.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى (١٠/٦٣٥)

٣) ﴿وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝٤٠ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ إذا سمعت من الإذاعة حديثًا دينيًا، وسمعت من الأخرى أغنية لفلان أو فلانة، وتركت الأغنية للحديث، فأنت قوي الإرادة؛ لأنك سلكت الطريق الصعب، إنك تكون قد صعدت، والصعود إلى العلى صعب، أما الهبوط فهو هيّن.

علي الطنطاوي، نور وهداية (٢٤٠)

٤) ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝٤٠ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ أتظنُّ أن المسلم وهو يغالب شهواته، ويجاهد نفسه على الطهر والعفاف لا يجيش في نفسه الهوى؟ كلا، بل يتحرك في نفسه من النوازع مثل ما في نفوس الفجار أو أشد، ولكنه يخاف مقام ربه؛ فينهى النفس عن الهوى.

د. سلمان العودة

٥) مهر الجنة: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝٤٠ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ إلى صاحب القلب القاسي! إلى متى وأنت تعبد هواك، تعبد الدرهم والدينار؟ فمتى يصفو لك توحيد؟ سارع قبل فجأة الموت.

صالح المغامسي

﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ۝٤٦﴾

١) كان الحسن البصري إذا قرأ: ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا﴾ قال: ابن آدم! هذه الدنيا إنما هي غدوة أو روحة، أما تصبر عن المعصية؟

آداب الحسن البصري (١٠٠)

٢) ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا﴾ تنطوي هذه الحياة الدنيا التي يتقاتل عليها أهلها ويتطاحنون، فإذا هي عندهم عشية أو ضحاها! أفمن أجل عشية أو ضحاها يضحون بالآخرة؟ ألا إنها الحماقة الكبرى التي لا يرتكبها إنسان يسمع ويرى!

سيد قطب، في ظلال القرآن (٧ / ٤٥٠)

٣) إذا كانت الدنيا كلها -في عمر الزمان- إنما هي ﴿عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا﴾، فكيف بليال معدودات من عمر الدنيا كلها؟ والمؤمن يستعمل هذا المعنى في أمثال مواسم الطاعات؛ ليغتنم كل لحظة فيها، ويغار أن يمضي وقت منها في غير قربة، ولسان حاله يقول: ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ﴾ (طه: ٨٤).

د. عمر المقبل

سُورَةُ عَبَسَ

﴿أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ ۝٢﴾

ذكر ابن أم مكتوم في قصته في سورة عبس بوصفه ﴿ٱلۡأَعۡمَىٰ﴾ولم يذكر باسمه؛ ترقيقًا لقلب النبي عليه؛ ولبيان عذره عندما قطع على النبي حديثه مع صناديد مكة؛ وتأصيلًا لرحمة المعاقين، أو ما اصطلح عليه في عصرنا بذوي الاحتياجات الخاصة.

د. محمد الخضيري

﴿ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ۝٢٢﴾

إنما قال: ﴿إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ﴾؛ لأن وقت البعث غير معلوم لأحد، فهو موكول إلى مشيئة الله تعالى، متى شاء أن يحيي الخلق أحياهم.

القاسمي، محاسن التأويل (٩/٤٠٩)

﴿فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ۝٢٤﴾

تدبر عملي..

ألم يمر بك قوله تعالى: ﴿فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ﴾؟ فكم مرةٍ نظرت إلى طعامك؟ جرّب لترى أثر ذلك في قلبك! وكم مرة سمعت: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلۡإِبِلِ كَيۡفَ خُلِقَتۡ﴾ (الغاشية:١٧)؟ ثم بادرت لتنظر في عظمة خلقها!

إن تنفيذها لسهلٌ ويسير، وإن أثرها في القلب لعظيم.

د. عمر المقبل

﴿ يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ ﴾

ابتدأ بالأخ! ومن عادة العرب أن يبدؤوا بالأهم، والحكمة في ذلك أن الابتداء يكون في كل مقام بما يناسبه، فتارة يقتضي الابتداء بالأعلى، وتارة بالأدنى، وهنا المناسبة تقتضي الابتداء بالأدنى؛ لأن المقصود بيان فراره عن أقاربه مفصلًا شيئًا بعد شيء، فلو ذكر الأقرب أولًا، لم يكن في ذكر الأبعد فائدة طائلة، فإنه يعلم أنه إذا فر من الأقرب، فر من الأبعد.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى (١٦/ ٧٤) (بتصرف)

﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾ ﴾

١) قدَّم الله في (سورة عبس) ذكر الوجوه المسفرة على الوجوه التي وصفها بالغبرة والقترة، بعكس ما وقع في (سورة النازعات) من تقديم أهل الهوى على أهل الهدى، وسرُّ التقديم المذكور؛ لأن سورة عبس أقيمت على عماد التنويه بشأن رجل من أفاضل المؤمنين، والتحقير لشأن عظيم من صناديد المشركين، فكان حظُّ الفريقين مقصودًا مسوقًا إليه الكلام، وكان حظ المؤمنين هو الملتفت إليه ابتداء، وأما «النازعات» فقد بُنيت على تهديد المنكرين للبعث، فكان السياق للتهديد والوعيد وتهويل ما يلقونه يوم الحشر.

ابن عاشور، التحرير التنوير (١٣٧/٣٠)

٢) قسمات وجوه الطلاب بعد تسليم ورقة الاختبار تشعرك بما تُكِنُّه صدورهم، وهو شيء مؤقت.. فما ظنك بالوجوه حين تؤخذ الكتب -يوم القيامة- باليمين والشمال؟ إما وجوه ﴿ مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴾، أو ﴿ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴾ (عبس:٤٠-٤١)، وما بعد ذلك: نعيم لا ينفد، أو عذاب مؤبَّد، فهل من معتبر؟

سُورَةُ التَّكْوِيرِ

﴿إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ ۝١ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتۡ ۝٢ وَإِذَا ٱلۡجِبَالُ سُيِّرَتۡ ۝٣﴾

قرأ قارئ هذه الآيات، وفي الحاضرين أبو الوفاء بن عقيل، فقال له قائل: قد نشر الله الموتى للبعث والحساب، وزوج النفوس بقرنائها بالثواب والعقاب، فلم هدم الأبنية وسير الجبال ودك الأرض وفطر السماء ونثر النجوم وكور الشمس؟ فأجابه ابن عقيل: إنما بنى لهم الدار للسكنى والتمتع، وجعلها وجعل ما فيها للاعتبار والتفكر، والاستدلال عليه بحسن التأمل والتذكر، فلما انقضت مدة السكنى وأجلاهم من الدار، خرَّبها؛ لانتقال الساكن منها.

ابن القيم، بدائع الفوائد (٤/٢٦٩)

﴿وَإِذَا ٱلۡمَوۡءُۥدَةُ سُئِلَتۡ ۝٨﴾

سؤال الموؤدة لا يعارض الآيات النافية السؤال عن الذنب؛ لأنها سئلت عن أي ذنب كان قتلها؟ وهذا ليس من ذنبها، والمراد بسؤالها هنا توبيخ قاتلها وتقريعه؛ لأنها تقول: لا ذنب لي، فيرجع اللوم على من قتلها ظلمًا.

الشنقيطي، أضواء البيان (٧/٥٠٤)

﴿إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ ۝٢٧ لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ ۝٢٨﴾

١) فيها إشارة إلى أن الذين لم يتذكروا بالقرآن ما حال بينهم وبين التذكر به إلا أنهم لم يشاؤوا أن يستقيموا، بل رضوا لأنفسهم الانحراف، ومن رضي لنفسه الضلال حُرم من الهداية: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾ (الصف:٥).

ابن عاشور، التحرير والتنوير (٣٠/١٦٦)

٢) ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ﴾ وفي الآية إشارة إلى أن من الخطأ أن يوزن حال الدين الإسلامي بميزان أحوال بعض المسلمين أو معظمهم -كما يفعله بعض أهل الأنظار القاصرة من الغربيين وغيرهم- إذ يجعلون وجهة نظرهم التأمل في حالة الأمم الإسلامية، ويستخلصون من استقرائها أحكامًا كلية يجعلونها قضايا لفلسفتهم في كنه الديانة الإسلامية.

ابن عاشور، التحرير والتنوير (٣٠/١٦٧)

سُورَةُ الانفِطَارِ

﴿ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ ﴿٣﴾ ﴾

في الكوارث الطبيعية من سيول ونحوها تذكرة ببعض ما سيكون يوم المعاد! لقد رأى الناس أثر تهدُّم بعض السدود فيما يقع من فواجع! فإذا كان هذا أثرًا لاجتماع سيل عارض من ماء، فكيف سيكون الحال إذا جاء زمان: ﴿ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ ﴾؟ هي مواقف نحياها، فالموفق يعتبر، ومن لم يعتبر، فليبحث عن قلب؛ فإن برودة الحس في أمثال هذه الأحداث علامة على قسوة القلب.

أ. د. إبتسام الجابري

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ ﴾

١) حدثني أحد طلابي من الجنسية الفرنسية عن رحلته إلى الإسلام، فقال: حين سمعت قوله ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ ﴾ شدتني براعة الاستهلال، والعلو والثقة والقوة المطلقة التي يمتلكها قائل هذا الكلام، فأيقنت أنه ليس خطابًا بشريًا، فكانت هذه الصدمة البلاغية أول خطوات رحلتي إلى الإسلام.

أستاذ في جامعة أم القرى

٢) تأمَّل في سرِّ التعبير بقوله: ﴿ بِرَبِّكَ ﴾ دون قوله: (بالله) في قوله سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ﴾؛ فإنَّ في هذه اللفظة من معاني الملك والرعاية والرفق التي تناسب تذكر الإنسان بنعم الله عليه، وتذكير باستحقاقه تعالى لطاعة مربوبيه.

ابن عاشور، التحرير والتنوير (١٧٥/٣٠)

٣) أعد النظر في نفسك، وتأمل حكمة اللطيف الخبير في تركيب البدن، ووضع هذه الأعضاء مواضعها منه، وإعدادها لما أعدت له، وإعداد هذه الأوعية المعدة لحمل الفضلات وجمعها؛ لكيلا تنتشر في البدن فتفسده، ثم انظر إلى قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ۝٦ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ﴾.

ابن القيم، مفتاح دار السعادة (١ /٢٦٢)

﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ۝١٣ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ۝١٤﴾

١) كل من عدل في ولاية من هذه الولايات فساسها بعلم وعدل وأطاع الله ورسوله بحسب الإمكان؛ فهو من الأبرار الصالحين، وكل من ظلم وعمل فيها بجهل؛ فهو من الفجار الظالمين، إنما الضابط قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ۝١٣ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ﴾.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى (٢٨ / ٦٨)

٢) لا تظن أن قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ۝١٣ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ﴾ يختص بيوم المعاد فقط، بل هؤلاء في نعيم في دورهم الثلاثة: الدنيا، والبرزخ، والآخرة، وأولئك في جحيم في دورهم الثلاثة! وأي لذة ونعيم في الدنيا أطيب من بر القلب، وسلامة الصدر، ومعرفة الرب تعالى، ومحبته، والعمل على موافقته؟!

ابن القيم، الجواب الكافي (٨٤)

سُورَةُ المُطَفِّفِينَ

﴿ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١ ﴾

١) قال سلمان الفارسي: «الصلاة مكيال، من وفَّى، وُفِّي له، ومن طفف، فقد علمتم ما قال الله في المطففين»، وهذا من عمق علم السلف بالقرآن، حيث عمَّم معنى الوعيد الوارد في قوله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾، ولم يقصره على التطفيف في البيع والشراء فحسب.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى (١٥/٢٣٥)

٢) نزل قوله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ في تطفيف المكاييل والموازين الحسية، ويدخل في هذا الوعيد التطفيف المعنوي كمن يعتذر لنفسه ولا يعتذر لغيره، ويمدح طائفة بشيء لا يمدح به الأخرى، ولا يذكر للفاضل إلا العيوب والهفوات، وهذا القياس تطبيق لقوله: ﴿ اللَّهُ الَّذِي أَنزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ ﴾ (الشورى: ١٧)، فالقرآن توزن به الأمور، ويقاس ما لم يذكر على ما ذكر.

د. محمد الخضيري

﴿ كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ۝١٤ ﴾

١) قال حذيفة بن اليمان ﷺ: القلب مثل الكف، فيذنب الذنب فينقبض منه، ثم يذنب الذنب فينقبض منه؛ حتى يجتمع، فإذا اجتمع طبع عليه، فإذا سمع خيرًا دخل في أذنيه؛ حتى يأتي القلب فلا يجد فيه مدخلًا، فذلك قوله: ﴿ كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾.

الدر المنثور (٨/٤٤٦)

٢) قال علي ﷺ: إن الإيمان ليبدو لمعة بيضاء، فإذا عمل العبد الصالحات، نَمَت، فزادت؛ حتى يبيض القلب كله، وإن النفاق ليبدو نكتة سوداء، فإذا انتهك الحرمات، نمت وزادت؛ حتى يسود القلب كله، فيُطبع عليه، فذلك هو الختم وتلا قوله تعالى: ﴿ كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾.

الإحياء للغزالي (١/٢٣٥)

٣) انتبه قبل أن يموت قلبك!

قال الحسن البصري في قوله: ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ الذنب على الذنب حتى يعمى القلب؛ فيموت.

جامع البيان للطبري (٢٠١/٢٤)

٤) كلّما تراكمت الذنوب، طبع على القلوب؛ وعند ذلك يعمى القلب عن إدراك الحق وصلاح الدين ويستهين بأمر الآخرة ويستعظم أمر الدنيا ويصير مقصور الهم عليها: ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾.

الغزالي، الإحياء (٣ /١٢)

٥) قست القلوب وغلب عليها حب الدنيا، وملأتها مشاغل الحياة وهمومها ولذاتها، فلا بد أن نحتال عليها حتى نذكّرها بربها وبآخرتها، وأن ندور من حولها لنجد الباب الموصل إليها؛ لئلا نكون ممن قال الله فيهم: ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾.

علي الطنطاوي، فصول في الدعوة والإصلاح (١٠٥)

﴿ كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ﴾

١) قال الشافعي: في هذه الآية دليل على أن المؤمنين يرونه ﷻ يومئذ.

فعلق ابن كثير على كلمة الشافعي قائلًا: وهذا الذي قاله الإمام الشافعي في غاية الحسن، وهو استدلال بمفهوم هذه الآية، كما دل عليه منطوق قوله تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ (القيامة: ٢٢ - ٢٣).

تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣٥١/٨)

٢) قال الحسين بن الفضل: كما حجبهم في الدنيا عن توحيده، حجبهم في الآخرة عن رؤيته.

معالم التنزيل للبغوي (٣٦٦/٨)

٣) حجاب دنيوي وأخروي!

أعظم عذاب أهل النار هو حجابهم عن ربهم ﷻ، ولما كانت قلوبهم قاسيةً لا يصل إليها شيء من نور الإيمان وحقائق العرفان، كان جزاؤهم على ذلك في الآخرة حجابهم عن رؤية الرحمن، والعارفون خوفهم في الدنيا من احتجابه عن بصائرهم، وفي الآخرة من احتجابه عن نواظرهم.

ابن رجب، تفسير ابن رجب (٥٥٠/٢)

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ كَانُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا
ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُوا۟ فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ﴿٣٢﴾ وَمَآ أُرْسِلُوا۟
عَلَيْهِمْ حَٰفِظِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٣٥﴾ هَلْ
ثُوِّبَ ٱلْكُفَّارُ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾﴾

الدنيا ليست نهاية المطاف: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ كَانُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَضْحَكُونَ﴾ هل انتهى الأمر؟ لا: ﴿فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ﴾.

سُورَةُ الانشِقَاقِ

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ ﴿٦﴾﴾

لا أرى أن نسمي الإجازة عطلة؛ لأنه ليس في أيام الإنسان المسلم المؤمن عطلة، بل ولا غير المؤمن، كل يعمل، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ﴾ نعم هي عطلة من الدراسة النظامية، لكن لو سُمِّيت بدلًا من العطلة إجازة، فهذا جيد.

ابن عثيمين، لقاءات الباب المفتوح (١٧/٢٩)

﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا ﴿١١﴾﴾

كما أنه جعل كتاب الله وراء ظهره في الدنيا، جعل الله كتاب عمله وراء ظهره في الآخرة خزيًا وعارًا.

ابن عثيمين، شرح عقيدة أهل السنة والجماعة (شريط ٧)

سُورَةُ البُرُوجِ

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَتُوبُواْ فَلَهُمۡ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمۡ عَذَابُ ٱلۡحَرِيقِ ١٠﴾

١) يقول أحد الدعاة: رأيت مغنيًا مشهورًا طالما فتن الشباب والفتيات، فقررت ألّا أدعه؛ حتى أنصحه، فسلمت عليه، وألهمني الله أن ألقي في أذنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَتُوبُواْ فَلَهُمۡ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمۡ عَذَابُ ٱلۡحَرِيقِ﴾، ثم ذهبت، فوالله ما مرت أيام إلا وقرأت خبر توبته في الصحف، فما أجمل الوعظ بالقرآن إذا صادف انتقاء حسنًا، وقلبًا واعيًا!

٢) قال الحسن ﷺ: انظروا إلى هذا الكرم والجود، هم قتلوا أولياءه وأهل طاعته، وهو يدعوهم إلى التوبة!

تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٩٤/٦)

٣) لا تيأس من التوبة: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَتُوبُواْ﴾ انظر إلى سعة حلم الله تعالى؛ فهؤلاء يحرقون أولياءه ثم يعرض عليهم التوبة بقوله: ﴿ثُمَّ لَمۡ يَتُوبُواْ﴾.

محمد بن عثيمين، تفسير القرآن الكريم (٣٣٦/١)

٤) الذين أحرقوا المؤمنين في الأخدود سيحرقون، ولكن أين؟ في جهنم ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَتُوبُواْ فَلَهُمۡ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمۡ عَذَابُ ٱلۡحَرِيقِ﴾ أحرقوا المؤمنين في الدنيا؛ فأُحرقوا في الآخرة، وما أعظم الفرق بين حريق وحريق.

د. عبدالوهاب الطريري

﴿وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطُۢ ٢٠﴾

أوضاع أهلنا المستضعفين في أنحاء الأرض أمر يستوجب منا الفزع لربنا والتضرع إليه أن يفرج كربتهم، وأن ينتقم من عدوهم؛ فإن عدوهم مهما بلغت قوته فليس بشيء أمام قوة الجبار ﷻ، ألسنا نقرأ قوله تعالى في سورة البروج: ﴿إِنَّ بَطۡشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ١٢ إِنَّهُۥ هُوَ يُبۡدِئُ وَيُعِيدُ ١٣ وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلۡوَدُودُ ١٤ ذُو ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡمَجِيدُ ١٥ فَعَّالٞ لِّمَا يُرِيدُ ١٦ هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلۡجُنُودِ ١٧ فِرۡعَوۡنَ وَثَمُودَ ١٨ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي تَكۡذِيبٖ ١٩ وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطُۢ ٢٠﴾، إذا لم تَسْكُبْ هذه الآيات -وأمثالها- القوة في قلوبنا لنترجمها إلى دعاء صادق، فأي شيء إذًا؟ ألا فلننطرح بين يدي ربنا، ونستنصر لإخواننا في صلواتنا ودعواتنا.

سُورَةُ الطَّارِقِ

﴿يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ ۝٩﴾

١) وفي التعبير عن الأعمال بـ(السر) لطيفة، وهو أن الأعمال نتائج السرائر، فمن كانت سريرته صالحة كان عمله صالحًا، فتبدو سريرته على وجهه نورًا وإشراقًا، ومن كانت سريرته فاسدة كان عمله تابعًا لسريرته، فتبدو سريرته على وجهه سوادًا وظلمة، وإن كان الذي يبدو عليه في الدنيا إنما هو عمله لا سريرته.

ابن القيم، التبيان في أقسام القرآن (٦٤)

٢) صدرك صندوق لأكثر أعمالك، وسيفتح هذا الصندوق: ﴿يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ﴾ فانظر ما الذي سيفتح عليه الصندوق؟ أيسرك أن يفتح وفيه رياء أم حسد أم شيء يكدر سلامته؟ هنيئًا لمن قيل له أنت ممن: ﴿أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ (الشعراء:٨٩).

د. عمر المقبل

٣) هل يسرك أن يعلم الناس ما في صدرك - مما تحرص على كتمانه ولا تحب نسبته إليك -؟! قطعًا لا تحب، بل ستتبرأ منه لو ظهر. إذن قف مع هذه الآية متدبرًا، وتأمل ذلك المشهد العظيم: ﴿يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ ۝٩﴾، ﴿وَحُصِّلَ مَا فِى ٱلصُّدُورِ ۝١٠﴾ (العاديات: ١٠)، أتريد النجاة من هذا كله؟ إذن حاول أن تأتي ربك كما أتى الخليل ﷺ ربه تعالى: ﴿إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ۝٨٤﴾ (الصافات:٨٤)، وهنا؟ «لن ترى ما يسوؤك!».

أ. د. ناصر العمر

﴿فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ۝١٠﴾

تأمل كيف نفت هذه الآية كلَّ سببٍ يمكن أن يكون للإنسان يوم القيامة، فإنه نفى القوة وهي ما عند الإنسان من داخله، ونفى الناصر وهو ما له من خارجه.

البغوي، معالم التنزيل (٨/٣٩٥) (بتصرف)

سُورَةُ الأَعْلَىٰ

١) قرأ ابن مسعود ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ فلما بلغ ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾ ترك القراءة وأقبل على أصحابه، فقال: آثرنا الدنيا على الآخرة، فسكت القوم، فقال: آثرنا الدنيا؛ لأنا رأينا زينتها ونساءها، وطعامها وشرابها، وزويت عنا الآخرة، فاخترنا هذا العاجل، وتركنا الآجل.

الدر المنثور (٨/ ٤٨٧)

٢) اتفقت سورتا الأعلى والغاشية في كلمة ﴿فَذَكِّرْ﴾ مما يدل على أن السورتين تركزان على التذكير بعظم حق الله، استدلالًا بآياته، وتخويفًا من شدة عذابه؛ ولذا قال: ﴿ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ﴾ (الأعلى:١٢)، ﴿ٱلْعَذَابَ ٱلْأَكْبَرَ﴾ (الغاشية: ٢٤)، مما يبعث المؤمن على الحرص على تزكية نفسه، والحذر من الإعراض عن شرع ربه.

د. محمد الربيعة

﴿وَٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحْوَىٰ ﴿٥﴾﴾

هذا مثل للحياة الدنيا، ولعاقبة الكفار ومن اغتر بالدنيا، فإنهم يكونون في نعيم وزينة وسعادة، ثم يصيرون إلى شقاء في الدنيا والآخرة، كالمرعى الذي جعله غثاء أحوى -أي هشيمًا متغيرًا -.

ابن تيمية، دقائق التفسير (٥/٧٤-٧٥)

﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٩﴾﴾

١) أي: ذكِّر حيث تنفع التذكرة، ومن هاهنا يؤخذ الأدب في نشر العلم، فلا يضعه عند غير أهله[1].

ابن كثير، تفسير القرآن العظم (٨/٣٨٠)

٢) ﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ﴾ من مفهوم هذا أنها إن ضرت، فترك التذكير الموجب للضرر الكثير هو المتعين.

السعدي، القواعد الحسان (٨٢)

١- وليس مراد الحافظ ـ فيما يظهر ـ أن التذكير لا يُفعل إلا إذا ظُنَّ قبولُه، بل المراد: أن يذكر الإنسان بما يفهمه الشخص المقصود بالتذكير؛ حتى لا يترتب على ذلك تكذيب الموعظة أو ردها بسبب عدم فهمها، كما يدل لذلك إيراد ابن كثير لأثر علي ﷺ: (ما أنت بمحدّث قومًا حديثًا لا تبلغه عقولهم إلا كان فتنة لبعضهم).

٣) من الخطأ أن يبرر البعض ترك القيام بالدعوة استدلالًا بهذه الآية: ﴿ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ ﴾ دون النظر في الآية الأخرى: ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (الذاريات: ٥٥). فالدعوة نافعة حالًا أو مآلًا، لكن قد تطرأ أسباب يكون من الحكمة تأخير التذكير لعارض، وبهذا نجمع بين الآيتين.

أ. د. ناصر العمر

﴿ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ﴿١٠﴾ وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى ﴿١١﴾ ﴾

قال قتادة ﷺ: والله ما خشي الله عبد قط إلا ذكره، ولا يتنكب هذا الذكر زهدًا فيه وبغضًا لأهله إلا شقي بَيِّنُ الشقاء.

جامع البيان للطبري (٣١٧/٢٤)

﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾ ﴾

استنبط بعضهم زكاة الفطر والتكبير والصلاة من هذه الآية، قال السعدي في هذا: إنه وإن كان داخلًا في اللفظ وبعض جزئياته، فليس هو المعنى وحده.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن (٩٣٠)

﴿ بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَٱلْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٧﴾ ﴾

١) قال مالك بن دينار: لو كانت الدنيا من ذهب يفنى، والآخرة من خزف يبقى، لكان الواجب أن يُؤثر خزف يبقى، على ذهب يفنى؛ فكيف والآخرة من ذهب يبقى، والدنيا من خزف يفنى؟!

الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢٤/٢٠)

٢) السعيد يرغبه الله في الآخرةِ حتى يقول: لا شيء غيرها، فإذا هضم دنياه وزهد فيها لآخرته، لم يحرمه الله بذلك نصيبه من الدنيا، ولم ينقصه من سروره فيها، والشقي يرغبه الشيطان في الدنيا حتى يقول: لا شيء غيرها، فيجعل الله له التنغيص في الدنيا التي آثر، مع الخزي الذي يلقى بعدها.

ابن المقفع، الأدب الكبير والأدب الصغير (٩)

سُورَةُ الغَاشِيَةِ

﴿عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ۝٣ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ۝٤﴾

مرَّ الفاروق براهب، فوقف ونودي الراهب، فقيل له: هذا أمير المؤمنين، فاطلع فإذا بالراهب من الضرِّ والاجتهاد وترك الدنيا شيء عظيم، فلما رآه عمر بكى، فقيل له: إنه نصراني، فقال: قد علمتُ، ولكنِّي رحمته، ذكرت قوله الله: ﴿عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ۝٣ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً﴾، فرحمت نصبه واجتهاده وهو في النار.

الدر المنثور (٨/٤٩١)

﴿لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً ۝١١﴾

في وصفه تعالى للجنة بقوله: ﴿لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً﴾ دلالة على أن نقاء الجو الذي يعيش المرء فيه من العبارات الخادشة والقبيحة من أنواع النعيم؛ فينبغي على المسلم أن يُنزِّه لسانه وسمعه عن اللغو، ويربي نفسه وأهله على الطيب من القول.

د. عبدالرحمن الشهري

﴿لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ۝٢٢﴾

من الجهلة من يضع هذه الآية في غير موضعها، فيريد أن يتخذها حجة على حرية التدين بين جماعات المسلمين! وشتان بين أحوال أهل الشرك وأحوال المسلمين، فمن يلحد في الإسلام -بعد الدخول فيه-، يستتاب، فإن لم يتب، قتل، وإن لم يقدر عليه، فعلى المسلمين أن ينبذوه، ويعاملوه معاملة المحارب.

ابن عاشور، التحرير والتنوير (٣٠/٢٧٢)

﴿فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ ۝٢٤﴾

قال أهل العلم: وإنما قال: الأكبر؛ لأنهم عذبوا في الدنيا بالجوع والقحط والأسر والقتل.

القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (٢٠/٣٧)

سُورَةُ الفَجْرِ

﴿وَالْفَجْرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ۝٢﴾

١) ﴿وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾ يا عبد الله؛ لُذ بالجناب ذليلًا، وقف على الباب طويلًا، واتخذ في هذه العشر سبيلًا، واجعل جناب التوبة مقيلًا، واجتهد في الخير تجد ثوابًا جزيلًا، قل في الأسحار: أنا تائب، ناد في الدجى: قد قدم الغائب.

ابن الجوزي، التبصرة (٢/ ١٢٧)

٢) ﴿وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾ سبحان من فضل هذه الأمة، وفتح لها على يدي نبيها نبي الرحمة أبواب الفضائل الجمة، فما من عمل عظيم يقوم به قوم ويعذر عنه آخرون إلا وقد جعل الله عملًا يقاومه، أو يفضل عليه، فتتساوى الأمة كلها في القدرة عليه.

ابن رجب، لطائف المعارف (٢٤٩)

٣) من أسرار التعبير بهذه الجملة: ﴿وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾: هي ليال معلومة للسامعين، موصوفة بأنها عشر، ولم يقل (الليالي العشر)؛ لأن في تنوينها تعظيمًا، وليس في ليالي السنة عشر ليال متتابعة عظيمة مثل عشر ذي الحجة التي هي وقت مناسك الحج، ففيها غالبًا الإحرام، ودخول مكة، وأعمال الطواف، وفي ثامنتها ليلة التروية، وتاسعتها ليلة عرفة، وعاشرتها ليلة النحر، فتعين أنها الليالي المرادة بليال عشر.

ابن عاشور، التحرير والتنوير (١٦/٣١٨)

٤) هذه الأيام التي كان الصحابة يجتهدون فيها بالعبادة، فهي أفضل الأيام على الإطلاق؛ لأنه يجتمع فيها ما لم يجتمع في غيرها من أمهات العبادات: من صلاة وصيام وصدقة، ولا يتأتى هذا الاجتماع في غير هذه الأيام، وعلى رأس العبادات التي فيها الحج.

محمد المنجد، عشر ذي الحجة (محاضرة)

﴿ هَلۡ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٞ لِّذِي حِجۡرٍ ٥ ﴾

١) في قوله تعالى في أول سورة الفجر: ﴿ هَلۡ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٞ لِّذِي حِجۡرٍ ﴾ أي: عقل، فنأخذ منها معنى يحسن التنبيه إليه: وهو أن القرآن يخاطب العقول، وبالتالي فلا تناقض بين هداية القرآن ودلالة العقل، بل العقل الرشيد الصادق لا تخطئ دلالته؛ ولهذا أحالنا القرآن عليه: ﴿لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ١٦٤﴾ (البقرة)، ﴿لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (الأعراف:١٧٦).

د. سلمان العودة

٢) سمي العقل حِجْرًا؛ لأنه يعقل صاحبه ويحجره عما لا يليق به شرعًا وعرفًا، لكن مهمة العقل ليست مجرد المنع والحجر، بل إن من لوازم منعه عما لا يليق به: أن يصرفه إلى ما خلق له من الإبداع والتفكير والإنتاج؛ ولذا أكَّد القرآن على ذلك: ﴿لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (الأعراف:١٧٦)، ﴿أَفَلَا يَعۡقِلُونَ ﴾ (يس:٦٨).

أ. د. ناصر العمر

﴿ فَأَمَّا ٱلۡإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبۡتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكۡرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَكۡرَمَنِ ١٥ ﴾

قال مجاهد في الآية: ظن الإنسان كرامة الله في كثرة المال، وهوانه في قِلَّته، وكذب! إنما يُكرم بطاعته من أكرم، ويهين بمعصيته من أهان.

الدر المنثور (٤١٨/١٥)

﴿ وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلۡمِسۡكِينِ ١٨ ﴾

تأمل الإتيان بصيغة الجمع في قوله: ﴿ وَلَا تَحَٰٓضُّونَ ﴾ ففي ذلك إشارة إلى أنه ينبغي أن يكون هناك مجهود جماعي في الحث على الإطعام، ويؤكد هذا أن القرآن -في الفترة المكية- أبرز قضية العناية بحقوق الناس، وخاصة الضعفاء؛ لأن حفظ الحقوق يحفظ المجتمعات، وبالإطاحة بها تنهار المجتمعات من داخلها.

د. سلمان العودة

﴿ وَتُحِبُّونَ ٱلۡمَالَ حُبّٗا جَمّٗا ٢٠ ﴾

القرآن يضع أيدينا من أول يوم على موطن الداء، ومكمن المرض العضال، إنه مرض ذو شعبتين: شعبة تنخر في نفسية الفرد، وشعبة تفت في كيان الأمة والدولة.

محمد دراز، من خلق القرآن (٣٥)

﴿ كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾ ﴾

حدثني أحد الإخوة بقصة ثلاثة أطفال من أسرة واحدة، كان أكبرهم حافظًا للقرآن ويتحدث الفصحى، وفي لحظة لعب فتحت أمهم الإذاعة، فإذا القراءة لسورة الفجر، فتفاجأت بأن الابن الأكبر ترك اللعب، وجلس يستمع التلاوة، بينما استمر البقية يلعبون، فسألته عن ترك اللعب فقال: أشعر أني أطير في السماء، وسمعتُ قوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا﴾ فخفتُ واقشعر جلدي فتركتُ اللعب.

د. محمد الربيعة

﴿ وَجِاْىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ ۚ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾ ﴾

من أهمته ذنوبه، صارت نصب عينيه ولم ينسها، ومن لم تهمه ذنوبه، هانت عليه فنسيها ولم يذكرها إلى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ﴾.

ابن رجب، مجموع رسائل ابن رجب (١/٣٦٣)

﴿ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى ﴿٢٤﴾ ﴾

١) إنما قال: لحياتي، ولم يقل: (لهذه الحياة) على معنى أن الحياة كأنها ليست إلا الحياة في الدار الآخرة، قال تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ﴾ أي: لهي الحياة.

الرازي، مفاتيح الغيب (٣١/ ١٦٠)

٢) العبد إذا أعرض عن الله واشتغل بالمعاصي، ضاعت عليه أيام حياته الحقيقية التي يجد غبَّ إضاعتها يوم يقول: ﴿يَٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى﴾.

ابن القيم، الجواب الكافي (٥٥)

﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴾

١) من لم تطمئن نفسه في هذه الدنيا بشريعة الله وحكمه، فلن يكون مطمئنًا في الآخرة، ولن يستمع لذلك النداء العظيم: ﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى﴾ فاطمئن هنا؛ لتطمئن هناك.

د. عمر المقبل

٢) ﴿فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى﴾ هل تأملت سر تقديم ﴿فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى﴾؟ رفقة عباد الله نعيم في حد ذاته، فكيف إذا كانت هذه الرفقة في جنة الله؟

د. محمد القحطاني

سُورَةُ البَلَدِ

﴿ أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ ۝٧ ﴾

أي موعظة هذه التي تقول للمرائي: قِف! وللزاني: عِف! وللسارق: كُف! ولكل عاص: خِف ثم خِف! أما تستشعر نظر من لا يخفى عليه شيء جَلَّ أو لطف؟.

د. عمر المقبل

﴿ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ۝٨ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ۝٩ ﴾

تدبرٌ تترجمه الدموع: قرأ الفضيل ﷺ هذه الآية: ﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ۝٨ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ﴾، فبكى، فسئل عن بكائه، فقال: هل بتَّ ليلةً شاكرًا لله أن جعل لك عينين تبصر بهما؟ هل بتَّ ليلةً شاكرًا لله أن جعل لك لسانًا تنطق به؟ وجعل يعدِّدُ من هذا الضرب.

جامع العلوم والحكم (٢ / ٧٥)

﴿ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ۝١٠ ﴾

اختيار كلمة (النجدين) في هذه السورة بينما في السور الأخرى جاء التعبير ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ﴾ (الإنسان: ٣) و﴿ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ﴾ (عبس: ٢٠) وغيرها؛ لمناسبتها جو السورة، فإن سلوك النجد فيه مشقة وصعوبة؛ لما فيه من صعود وارتفاع، فهو مناسب للمكابدة والمشقة التي خلق الإنسان فيها، ومناسب لاقتحام العقبة وما فيه من مشقة وشدة.

د. فاضل السامرائي، لمسات بيانية في نصوص من التنزيل (٢٦٤)

﴿ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ۝١٥ ﴾

فيها تعليم أن الصدقة على القرابة أفضل منها على غير القرابة، كما أن الصدقة على اليتيم الذي لا كافل له أفضل من الصدقة على اليتيم الذي يجد من يكفله.

القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (٢٢/٣٠٣)

﴿ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ ۝١٧ ﴾

﴿وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ التخلق بالصبر مِلَاك فضائل الأخلاق كلها، فإن الارتياض بالأخلاق الحميدة لا يخلو من حمل المرء نفسه على مخالفة شهوات كثيرة، ففي مخالفتها تعب يقتضي الصبر عليها؛ حتى تصير مكارم الأخلاق ملكة لمن راض نفسه عليها.

ابن عاشور، التحرير والتنوير (٣٠/٥٣٣)

سُورَةُ الشَّمْسِ

﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠ ﴾

النفس إن تركتها، كانت سفيرة إبليس لديك وعونه عليك، وإن ألزمتها الموعظة الدائمة والندم على كل ذنب، صارت لوامة، وإن استمر ذلك منها؛ حتى صار عادة لها، ابتعد الشيطان عنها؛ فصارت نفسًا مطمئنة ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴾.

علي الطنطاوي، نور وهداية (١٢٥)

﴿ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَٰهَا ۝١٣ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا ۝١٤ ﴾

إذا كان هذا عذابه لهؤلاء، وذنبهم مع الشرك عقر الناقة التي جعلها الله آية لهم؛ فمن انتهك محارم الله واستخف بأوامره ونواهيه وعقر عباده وسفك دماءهم، كان أشد عذابًا.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى (١٦/ ٢٥٠)

سُورَةُ اللَّيْلِ

﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ ﴾

١) ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ﴾ وقال: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾ النحل: ١٢٨ هذان الأصلان هما جماع الدين العام كما يقال، التعظيم لأمر الله، والرحمة لعباد الله؛ فالتعظيم لأمر الله يكون بالخشوع والتواضع وذلك أصل التقوى، والرحمة لعباد الله بالإحسان إليهم.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى (١٤/ ٢١٤)

٢) قال الشيخ السعدي ﷺ: هذه الآيات جمعت جميع الأسباب التي تنال بها السعادة؛ فأسبابها ثلاثة: فعل المأمور ﴿أَعْطَىٰ﴾، واجتناب المحظور ﴿وَٱتَّقَىٰ﴾، وتصديق ما أخبر به الله ورسوله ﴿ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴾. فمن جمعها ﴿ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ﴾.

تيسير اللطيف المنان (٣٣٢)

﴿ فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ﴿١٤﴾ ﴾

قال الإمام مالك: قرأ عمر بن عبد العزيز في الصلاة سورة الليل، فلما بلغ: ﴿فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ﴾، خنقته العبرة، فسكت، ثم قرأ فنابه ذلك، ثم قرأ فنابه ذلك، وتركها وقرأ: ﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ﴾.

شرح صحيح البخاري لابن بطال (٢/٣٤٤)

﴿ لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى ﴿١٥﴾ ﴾

قال أبو أمامة: لا يبقى أحد من هذه الأمة إلا أدخله الله الجنة، إلا من شرد على الله كما يشرد البعير السوء على أهله، فمن لم يصدقني فإن الله تعالى يقول: ﴿لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى﴾ الذي كذب بما جاء به محمد ﷺ وتولى عنه.

الدر المنثور (٨/ ٥٣٧)

﴿ وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى ﴿١٧﴾ الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ ﴾

١) ومما يبين الحب لله والحب لغير الله: أن أبا بكر رضي الله عنه كان يحب النبي ﷺ مخلصًا لله، وأبو طالب عمه كان يحبه وينصره لهواه لا لله، فتقبل الله عمل أبي بكر وأنزل فيه: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى﴾ الآيات، وأما أبو طالب فلم يتقبل عمله، بل أدخله النار؛ لأنه كان مشركًا عاملًا لغير الله.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى (١١/٥٢٥)

٢) دلّ القرآن على تفضيل أبي بكر رضي الله عنه، فإن قوله تعالى: ﴿ وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى ﴿١٧﴾ الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ ﴾، نزل في أبي بكر بإجماع المفسرين، والأتقى: أفعل تفضيل، فإذا ضممت إلى ذلك قوله تعالى: ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ (الحجرات: ١٣)، تبين لك أن أبا بكر أفضل هذه الأمة بعد رسول الله .

الرازي، التفسير الكبير (٣١ / ٢٠٤)

٣) تدبر سورتي: (الليل) و(الحجرات)؛ حيث وصف الله أبا بكر بأنه: (الأتقى)، و(الأكرم)، فكان جزاؤه بأنه: (سيرضى)، مع أن عمره في الإسلام قرابة: (٢٥) سنة.

فماذا حققت من تلك الصفات، التي أهلته لأن يدخل من أي أبواب الجنة شاء؛ لتفوز بالدخول من أحد هذه الأبواب؟

أ. د. ناصر العمر

سُورَةُ الضُّحَىٰ

﴿وَالضُّحَىٰ ١ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ٢﴾

نزلت على النبي ﷺ نورًا وأُنسًا.. صلاة الضحى والليل تبعثان في النفس سرورًا وأُنسًا، وهما من أعظم العلاجات لكشف الهموم.

د. محمد الربيعة

﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ٣﴾

انقطع الوحي عن النبي ﷺ ليلتين أو ثلاثًا فحزن كثيرًا؛ لأن القرآن كان زاده في الطريق الطويل، ونوره في الظلمات، فأنزل الله تسلية له: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾. فعجبًا لمن يودع القرآن ويهجره أيامًا وأسابيعَ بحجة انشغاله عنه! ما أقلَّ بركةَ عملٍ يشغلك عن كتاب ربك!

أ. د. ناصر العمر

﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ٦ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ٧ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ ٨﴾

١) فلم يقل: فآواك فهداك فأغناك؛ لأنه لو قال ذلك، لصار الخطاب خاصًا بالنبي ﷺ، وليس الأمر كذلك، فإن الله آواه وآوى به، وهداه وهدى به، وأغناه وأغنى به.

ابن عثيمين، تعليق على القواعد الحسان (٥٢)

٢) ﴿وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ﴾ وقد أغناه الله غناءين: أعظمهما غنى القلب إذ ألقى في قلبه قلة الاهتمام بالدنيا، وغنى المال حين ألهم خديجة مشاركته في تجارتها.

ابن عاشور، التحرير والتنوير (٣٧٨/١٦)

٣) تذكر جيدًا عظمة هذا القرآن الذي تقرأه، وأنه لا حياة لقلبك، ولن يرى النور، ولن ينفك من الجهل، ولن ينعم بالهداية إلا بهذا الكتاب، فأنت بدونه: ميت، وأعمى، وجاهل، وضال.

تأمل: ﴿ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ﴾، و ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ ﴾ (الشورى: ٥٢).

﴿ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿١٠﴾ ﴾

١) السائل منكسر بالفقر وذل السؤال؛ فإذا ضممت إلى ذلك سوء الرد، تضاعف كسره، فإن لم تحسن إليه بالبذل، فلا أقل من حسن الرد.

العز بن عبد السلام، شجرة المعارف والأحوال (٢٣٨)

٢) كم يفوت علينا من الخير عندما نقصر المعنى على بعض أفراده، ومن ذلك هذه الآية حينما نحصر معناها في سائل المال! بينما المعنى أشمل من ذلك وأعم، وأعظمه السؤال عن العلم والدين، فهل يدرك المفتون والمعلمون أنهم مخاطبون بهذه الآية؟ فليترفقوا بالسائلين؛ استجابة لأمر الله، وتحدثًا بنعمة الله عليهم.

أ. د. ناصر العمر

سُورَةُ الشَّرْحِ

المتدبر لمناسبة مجيء سورة الشرح بعد «الضحى» ينكشف له كثير من المعاني المقررة في السورة، ومنها ما في قوله: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦﴾، فمجموع السورتين يعطيان مثالًا حيًا لتقرير هذه السنة، فسورة الضحى تمثل جوانب العسر التي عانها نبينا ﷺ؛ ليعقبها جوانب اليسر في (الشرح) حتى إذا انتهى المثل، يأتي التعقيب بأن مجيء اليسر بعد العسر سنة لا تتخلف.

د. فلوة الراشد

﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝٢ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ۝٣﴾

١) عن حفص بن حميد قال: قال لي زياد بن حدير: اقرأ علي، فقرأت عليه: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝٢ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ۝٣﴾ فقال: يا ابن أم زياد، أنقض ظهر رسول الله؟! - أي: إذا كان الوزر أنقض ظهر الرسول فكيف بك؟! - فجعل يبكي كما يبكي الصبي.

حلية الأولياء (١٩٧/٤)

٢) هل تشعر بثقله؟ ﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝٢ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ﴾ هكذا الذنب: يثقل الظهر ويوهنه لمن بقي في قلبه إحساس.. أما رسولنا ﷺ فقد غُفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فماذا عنّي وعنك؟ تحسس مفاصل روحك، هل تشعر بصريرها؟

د. عمر المقبل

﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ۝٤﴾

١) قال قتادة ﷺ: رفع الله ذكره في الدنيا والآخرة، فليس خطيب ولا متشهد ولا صاحب صلاة إلا ينادي أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا رسول الله .

تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤٣٠/٨)

٢) أهل السنة يموتون ويحيا ذكرهم، وأهل البدعة يموتون ويموت ذكرهم؛ لأن أهل السنة أحيوا ما جاء به الرسول؛ فكان لهم نصيب من قوله: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾، وأهل البدعة شنئوا ما جاء به الرسول؛ فكان لهم نصيب من قوله: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى (٥٢٨/١٦)

٣) من القواعد العامة (التخلية قبل التحلية)، وقد وردت في القرآن كثيرًا في مثل قوله تعالى: ﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝٢ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ﴾، وهذا مقام التخلية، فلما خلَّاه بوضع الوزر عنه، حلَّاه برفع الذِّكْر: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾، واعتبر هذا في القرآن في كلمة التوحيد وغيرها، تجده كثيرَ الوقوع في القرآن.

د. مساعد الطيار

٤) كما أن الشانئ والشاتم هو الأنقص والأبتر، فإن مَن حمى جناب النبي ﷺ، ودافع عنه، له نصيب وافر من الرفعة وعلو المكانة؛ نظرًا لعلو ورفعة منزلة مَن دافع عنه، تدبر: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾.

أ. د. ناصر العمر

﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦﴾

١) أشد عسر واجهه النبي ﷺ كان عناد قومه وعدم استجابتهم له، فوعده الله بيسرين مقابل عسر واحد، فجاء اليسر الأول متدرجًا بإسلامهم آحادًا، ثم اكتمل اليسر الثاني بالنصر والفتح ودخول الناس في دين الله أفواجًا؛ فلا تيأس مهما واجهك من عسر وشدة، فهي محنة في طياتها منح.

أ. د. ناصر العمر

٢) تمر بنا أحيانًا ضائقة قد تبكينا أو حتى تدمينا ألمًا، ولكني أعزي نفسي بهذه الآية: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾ فوجدت الراحة التامة، حتى وأنا في أحلك الظروف أبتسم؛ لأني أعلم يقينًا أن بعد العسر يسرين.

متدبر

﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ۝٨﴾

١) هذه خطة لحياة المسلم وضعت للنبي، وهي: فإذا فرغت من عمل ديني، فانصب لعمل دنيوي، وإذا فرغت من عمل دنيوي، فانصب لعمل ديني أخروي، فالمسلم يحيا حياة الجد والتعب، فلا يعرف وقتًا للهو والبطالة قط.

أبو بكر الجزائري، أيسر التفاسير (٥/٥٨٩)

٢) في آخر يوم من الاختبارات كنت أفكِّرُ بما سأفعله في الإجازة -من نوم وراحة زائدة-، فلم يقطع هذه الأفكار إلا صوت الإمام وهو يقرأ في صلاة المغرب: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب﴾، فعلمت أن المؤمن لا عطلة له عن طاعة الله، بل يتنقل من طاعة إلى طاعة.

متدبر

سُورَةُ التِّينِ

سورة التين يتجلى فيها الحسن والكمال: في الثمار، والبلدان، والخلقة والفطرة؛ فما ذكر فيها هو الأحسن في بابه وجنسه.

د. محمد القحطاني

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾﴾

من تدبر قول الحكيم جلّ وعلا: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ لم يتجرأ أن يسخر من إنسان خلقه الله، ولا أن يحتقر خلقة مدحها الله.

د. محمد القحطاني

﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨﴾﴾

١) وهذا تقريرٌ لمضمون السورة؛ من إثبات النبوّة، والتوحيد، والمعاد، وحُكمه بتضمن نصره لرسوله على من كذَّبه.. بالحجة والقدرة والظهور عليه.

ابن القيم، التبيان في أقسام القرآن، ص٤٧

٢) فهل تقتضي حكمته أن يترك الخلق سُدى لا يؤمرون ولا يُنهون، ولا يثابون ولا يُعاقبون؟! أم الذي خلق الإنسان أطوارًا بعد أطوار، وأوصل إليهم من النعم والخير والبر ما لا يحصونه لا بُدّ أن يعيدهم إلى دار هي مستقرهم وغايتهم؟!

السعدي، تيسير الكريم الرحمن ١٩٨١

سُورَةُ العَلَقِ

١) إذا جهل القلب عظمة الرب، تجرَّأ فخاض ثم انغمس؛ فافتح لقلبك أبواب المعرفة بربك من خلال: إدامة النظر في كونه، وإطالة التدبر في آي كتابه، بهذا افتتح العليم كتابه في سورة العلم (اقرأ).

د. عصام العويد

٢) سورة العلق بدئت بـ: ﴿ٱقۡرَأۡ﴾ (العلق:١)، مفتاح العلم الذي بُيِّن بآية: ﴿عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ﴾ (العلق:٥)، وختمت بآية: ﴿وَٱسۡجُدۡ وَٱقۡتَرِب ۩﴾ (العلق:١٩)؛ ففيها بيان المنهج الحق الذي ضل عنه اليهود الذين لم يعملوا بعلمهم، والنصارى الذين عبدوا الله على جهل وضلال، فالطريق المستقيم: عبادة الله وحده على علم وبصيرة، مع توحيد مصدر التلقي المشار اليه بقوله: ﴿كَلَّا لَا تُطِعۡهُ﴾ (العلق: ١٩).

أ. د. ناصر العمر

﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ٥﴾

١) في هذه الآيات الخمس تسع مسائل مرتبطة ببعضها ارتباط السبب بالمسبب، والعام بالخاص، والدليل بالمدلول عليه، وكلها من منهج هذا الكتاب المبارك، وكلها مسائل عظيمة الدلالة، وأشار ابن تيمية أنها وأمثالها من السور التي فيها العجائب؛ لما جاء فيها من افتتاح الرسالة.

عطية سالم، تتمة أضواء البيان (٢/٤٣٤)

٢) في قوله تعالى: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ١﴾ إشارة إلى أن مركز القوة والحضارة والتقدم انتقل -من خلال الرؤية الإسلامية- من القوة المالية والبدنية إلى العلم والمعرفة.

أ. د. عبدالكريم بكار

٣) ﴿ٱقۡرَأۡ﴾ أول كلمة نزلت، تأمل في دلالتها، وحروفها: قراءة، ورقي، ورقية، فالقراءة: بوابة العلم. وهو رقي ورفعة: ﴿يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖ﴾ (المجادلة: ١١)، ويوم القيامة يقال: «اقرأ وارق»[1]. وهو أيضًا: رقية وشفاء. فما أعجب هذا القرآن! أربعة أحرف حوت سعادة الدارين.

أ. د. ناصر العمر

٤) من تدبر القرآن تبين له أن الرب العظيم يذكر عباده كثيرًا بنعمة الخلق والإيجاد، وأن تذكر هذه النعمة، يثمر ثمرات جليلة، منها: استحقاق الخالق ﷻ للعبادة بجميع أنواعها، والإيمان بالبعث والنشأة الآخرة، وإثبات حكمة الله وعلمه في شرعه وقدره، ولزوم التواضع وترك الكبر؛ ولعل هذا من أسرار بدء الوحي بقوله تعالى: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ٢﴾.

د. محمد القحطاني

٥) من لطائف اسم الربوبية (رب): أنه يظهر في بداية الوحي لمحمد ﷺ: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ﴾، ولموسى عليه السلام: ﴿إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ﴾ (طه: ١٢).

د. مساعد الطيار

٦) من أسرار التنصيص على صفة الخلق في قوله: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ﴾: أن ينبه الإنسان إلى أنه بهذا العلم (وهو القرآن) تكتمل في سرك وباطنك، كما كمل الله صورتك، فالذي كمّل صورتك بخلقه، هو الذي أنزل القرآن لتكتمل به سيرتك، فما أسعد من جمع الله له بين: كمال الصورة، وجمال السيرة!

د. مصطفى البحياوي، مجالس صوتية في تفسير سورة الحجرات

﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ ٦ أَن رَّءَاهُ ٱسۡتَغۡنَىٰٓ ٧ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجۡعَىٰٓ ٨﴾

١) ومن الطغيان طغيان العلم، فالمرء قد يزداد عنده العلم حتى تكسبه تلك الزيادة طغيانًا فيتعدى على غيره، ولا يسلك مع الناس سبيل الشرع في العدل في اللفظ؛ لأن من أراد أن يقيم الأقوال فهو قاض، والقاضي يجب عليه أن يحكم بالعدل؛ لا أن يحكم بالهوى.

صالح آل الشيخ، شرح العقيدة الطحاوية (٦٩٣/٢)

(١) الترمذي ح(٢٩١٥)، وأحمد ح(٦٧٩٩).

٢) من أخطر أسباب طغيان الإنسان: غناه وإقبال الدنيا عليه مع نسيانه ربه ولقائه. تأمل قول ربك: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ ٦ أَن رَّءَاهُ ٱسۡتَغۡنَىٰٓ ٧ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجۡعَىٰٓ ٨﴾، فمتى اجتمعت هذه الأسباب على العبد، فقد أحاط به الهلاك من كل جانب إن لم يتداركه ربه برحمته وتوفيقه.

د. محمد القحطاني

﴿أَلَمۡ يَعۡلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ١٤﴾

١) يا لها من آية تخلع القلب، أيها المتمادي في المعاصي، أيها المقيم على الذنب العظيم، أيها الناسي لرب الناس: إنَّ الله يرى!

د. عبدالمحسن المطيري

٢) آية تهز الوجدان، وتفعل في النفس ما لا تفعله سلطات الدنيا كلها، إنها تضبط النوازع، وتكبح الجماح، وتدعو إلى إحسان العمل، وكمال المراقبة، فما أجمل أن يستحضر كل أحد هذه الآية إذا امتدت عينه إلى خيانة، أو يده إلى حرام، أو سارت قدمه إلى سوء، وما أروع أن تكون هذه الآية نصب أعيننا إذا أردنا القيام بما أنيط بنا من عمل[1].

د. محمد الحمد

﴿كَلَّا لَا تُطِعۡهُ وَٱسۡجُدۡ وَٱقۡتَرِب ۩ ١٩﴾

العلم النافع إنما هو العلم المقرِّب إلى الله، الباعث على مراقبة الله، أما ترى سورة العلم (سورة العلق) بدأت بالوسيلة: ﴿ٱقۡرَأۡ﴾، وختمت بالغاية: ﴿وَٱقۡتَرِب﴾ وبينهما جاء الدواء لكل أنوع الجهل: ﴿أَلَمۡ يَعۡلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ﴾ (العلق:١٤).

د. عصام العويد

(١) من الآثار الحسنة لهذه الرسالة التي وصلتنا من الإخوة المشتركين، أن أحدهم قال: كنت أتهاون، بل لا أبالي بإطلاق بصري، وخاصة في وجه الخادمة التي عندنا، وأزعم أن هذا صعب، ولا يمكن، فلما قرأتُ هذه الرسالة سهل عليّ غض البصر، فتركتُ إطلاق البصر، فجزاكم الله خيرًا.

سُورَةُ القَدْرِ

سورة القدر على قصرها، إلا أنها تضمنت تعظيم هذه الليلة من عدة أوجه، منها:

١- نزول القرآن فيها.

٢- أنه تكرر فيها اسم الليلة ثلاث مرات، وفخم شأنها بالسؤال عنها ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ﴾.

٣- مجيء ﴿أَمۡرٍ﴾، ﴿سَلَٰمٌ﴾ بصيغة التنكير التي تدل على التعظيم.

٤- التنصيص على نزول الروح (وهو جبريل) مع أنه من جملة الملائكة.

التحرير والتنوير، تفسير سورة القدر (بتصرف)

﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ١﴾

١) عظم القرآن من ثلاثة أوجه:

١- أن أسند إنزاله إليه وجعله مختصًا به دون غيره.

٢- أنه جاء بضميره دون اسمه الظاهر، شهادة له بالنباهة، والاستغناء عن التنبيه عليه.

٣- الرفع من مقدار الوقت الذي أنزل فيه.

الزمخشري، الكشاف (٤/٧٨٠)

٢) كم طارت نفوس الصالحين شوقًا لقيام هذه الليلة التي عظّم الله قدرها! أليست هي التي نزل فيها أشرف كلام؟ وجعلها الله خيرًا من ألف شهر؟ وفيها تتنـزل ملائكة الله؟ تا الله إنَّ المتاجر فيها مع الله لهو الرابح.. أليس من يحرم فضلها محروم؟

د. عمر المقبل

﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ ٢﴾

١) إذا كانت ساعات الليل -في هذه الليالي- نحوًا من (١٠ ساعات)، فإن هذا يعني أن الساعة الواحدة تعادل أكثر من (٨ سنوات)، وأن الثانية الواحدة فقط تعادل نحوًا من (٥٠ يومًا)، فيا لطول حسرة المفرطين! ويا أسفى على المتخلفين عن ركب المشمرين!

د. عمر المقبل

٢) كم من شرف عظيم تميزت به هذه الليلة؟ شرف المنزل فيها، وشرف الزمان، وشرف العبادة، وشرف المتنزلين، وشرف العطاء بلا حدود، ومسك ذلك: ﴿ سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطۡلَعِ ٱلۡفَجۡرِ ۝٥ ﴾ فيا لطول حسرة المفرطين! ويا أسفى على من تخلف عن ركب المشمرين!.

أ. د. ناصر العمر

﴿لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ ۝٣﴾

١) هل تدري كم تساوي ألف شهر في مقياس الساعات؟ إنها تعادل ٧٢٠,٠٠٠ ساعة، أي أكثر من ٤٣,٢٠٠,٠٠٠ دقيقة، أي أن دقيقة من دقائق ليلة القدر في ليالينا هذه = ٧٠,٢٤٤ دقيقة في غيرها! فيا حسرة على المفرطين!

قال ابن الجوزي: ﴿لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ﴾ والله ما يغلو في طلبها عشر، لا والله ولا شهر، لا والله ولا دهر!

التبصرة (١٠٦/٢)

علق العلامة السعدي على كلامه قائلًا: وصدق ﷺ، فلو أنفق الإنسان عمره في طلبها لما قدرها حق قدرها!

شرح السعدي لعمدة الأحكام (٦٦٩/٢)

٢) سباق الزمن مع ليلة القدر:

لو عُرضت على أحدنا المساهمة في صفقة ربحها المضمون عشرة أضعاف، لركض إليها ركضًا! فكيف يفرط أحدنا بصفقة الربح فيها مضاعف ألف مرة؟! ﴿لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ﴾ إن هذا لهو الغبن العظيم.

د. عمر المقبل

﴿ تَنَزَّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذۡنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمۡرٖ ۝٤ ﴾

﴿ تَنَزَّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا ﴾ نزول الملائكة في الأرض عنوان على الرحمة والخير والبركة؛ ولهذا إذا امتنعت الملائكة من دخول شيء، كان ذلك دليلًا على أن هذا المكان الذي امتنعت الملائكة من دخوله قد يخلو من الخير والبركة، كالمكان الذي فيه صور محرمة.

ابن عثيمين، تفسير جزء عم (٢٧١)

﴿سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطۡلَعِ ٱلۡفَجۡرِ ٥﴾

١) استدل بعضهم على أن ليلة القدر هي (ليلة ٢٧) بأن كلمة ﴿هِيَ﴾ في سورة القدر تعد الكلمة (رقم ٢٧)، وهذا خطأ؛ ولو كان لما خفي على نبي الأمة وأصحابه وسلفه، وليس هو بمعهود العرب، ويخالف أدلة أخرى، وقد انتقده بعض العلماء كابن حزم.

ابن حزم، المحلى (٧/٣٥)

٢) ذكرت ليلة القدر في سورة القدر خمس مرات، واشتملت على خمس فضائل: إنزال القرآن، وأنها خير من ألف شهر، وأن الملائكة والروح (جبريل) تتنزل فيها، وفيها يفرق كل أمر، وأنها سلام هي حتى مطلع الفجر، فهل نقدرها حق قدرها، ونعظمها كما عظم الله شأنها؟

د. محمد الربيعة

٣) خصَّ الله تعالى ليلة القدر بالتسمية، وأفردها بسورة كاملة، وذكر فيها خمس فضائل لها، ألا يستحق ذلك منا أن نفردها أيضًا بعبادتنا، فنتفرغ من أشغالنا وأسواقنا ولهو العيد؟ هي ليلة، فاحذر أن تتحسَّر، فقريبًا ﴿مَطۡلَعِ ٱلۡفَجۡرِ﴾.

سُورَةُ البَيِّنَةِ

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ ٧﴾

قال أبو هريرة رضي الله عنه: أتعجبون من منزلة الملائكة من الله؟ والذي نفسي بيده لمنزلة العبد المؤمن عند الله يوم القيامة أعظم من منزلة ملك! واقرؤوا إن شئتم ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ﴾.

الدر المنثور (٨/ ٥٨٩)

سُورَةُ الزَّلْزَلَةِ

﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝١﴾

قال: محمد بن كعب القرظي: لأن أقرأ في ليلتي حتى أصبح بـ(إذا زلزلت، والقارعة) لا أزيد عليهما، وأتردد فيهما وأتفكر، أحب إلي من أن أهذَّ القرآن ليلتي هذًا، أو قال: أنثره نثرًا.

حلية الأولياء (٣/٢١٤)

﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧﴾

١) قال أبوالدرداء رضي الله عنه: فلا تحقرن شيئًا من الشر أن تتقيه، ولا شيئًا من الخير أن تفعله؛ فإن الله يقول: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾.

الدر المنثور (٨/ ٥٩٧)

٢) إياك أن تستصغر ذرات الطاعات؛ فالتضرع والاستغفار بالقلب حسنة لا تضيع عند الله أصلًا، بل الاستغفار باللسان أيضًا حسنة؛ إذ حركة اللسان بها عن غفلة خير من حركة اللسان في تلك الساعة بغيبة مسلم، أو فضول كلام، بل هو خير من السكوت، قال تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ﴾.

أبو حامد الغزالي، الإحياء (٤/٤٨) (بتصرف يسير)

٣) اندرجت المصالح كلها، دقها وجلها، قليلها وكبيرها، جليلها وخطيرها، في هاتين الآيتين: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ﴾ و ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ﴾ (النحل:٩٠).

العز بن عبدالسلام، القواعد الصغرى (٢٠١)

٤) إذا كان الزارع يتعب نفسه في الحرث والبذر؛ أملًا بيوم الحصاد، فإن الدنيا مزرعة الآخرة، فازرعوا فيها من الصالحات؛ لتحصدوا ثمرتها حسنات يوم يقوم الحساب. ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ﴾.

الطنطاوي، نور وهداية (٩)

سُورَةُ العَادِيَاتِ

﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا ۝١﴾

أقسم الله على شدة جحود الإنسان بالعاديات ضبحًا، ومناسبة ذلك تذكير الجاحد بأن الخيل لا ينسى فضل مالكه عليه، فيورد نفسه المهالك لأجله؛ تقديرًا لنعمة المنعم، فلا تكن البهيمة خيرًا وأوفى منك أيها الإنسان.

د. محمد الخضيري

﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ۝٦﴾

١) قال قتادة والحسن ﷺ: الكفور للنعمة.

الدر المنثور (١٥/٦٠٥)

وفي هذا تسلية للمرء إذا وجد قلة الوفاء من الخلق، فإذا كان جنس الإنسان كنودًا جحودًا لربه وهو الذي أوجده وأمده، وما به من نعمة فهي من الله؛ فكيف لا يكون فيه شيء من ذلك الجحود مع سائر الخلق وهم نظراؤه وأقرانه[1]؟

٢) قال الفضيل بن عياض: الكنود: الذي تُنسيه سيئةٌ واحدة حسناتٍ كثيرةً، ويعامل الله على عقد عوض.

المحرر الوجيز (٥/٤٨٦)

﴿۞ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي ٱلْقُبُورِ ۝٩ وَحُصِّلَ مَا فِي ٱلصُّدُورِ ۝١٠﴾

١) مناسبة الآيتين لبعضهما أن بعثرة ما في القبور إخراج للأجساد من بواطن الأرض، وتحصيل ما في الصدور إخراج لما تكنه فيها، فالبعثرة بعثرة ما في القبور عما تكنه الأرض، وهنا عما يكنه الصدر، والتناسب بينهما ظاهر.

ابن عثيمين، تفسير جزء عم (٢٩٨-٢٩٩)

٢) آه للمرائي من يوم: ﴿وَحُصِّلَ مَا فِي ٱلصُّدُورِ﴾.

ابن الجوزي، صيد الخاطر (٣٦٦)

---

(١) أرسل أحد الإخوة وهو إمام مسجد يقول: جاءت هذه الرسالة في اليوم نفسه الذي شكاني فيه أحد جماعة مسجدي بشكوى كيدية أنني أطيل الصلاة -مخالفًا إجماع جماعة المسجد- وليس هذا هو الشديد على نفسي، بل الأشد أن هذا الذي شكاني هو شخص أحسنتُ إليه كثيرًا، فجاءت هذه الرسالة سلوة عظيمة، وبردًا على قلبي، وهذه -والله- من بركات القرآن الكريم.

سُورَةُ القَارِعَةِ

سورة القارعة تحذرك من الأعمال التي تخسف بالموازين يوم القيامة: كالرياء والغيبة والنميمة. فإنك قد تأتي بأعمال صالحة تحبطها مثل تلك الأعمال.

د. عبدالرحمن الشهري

﴿ يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ﴿٤﴾ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ﴿٥﴾ ﴾

١) إنما ضم بين حال الناس وبين حال الجبال، كأنه تعالى نبّه على أن تأثير تلك القرعة في الجبال هو أنها صارت كالعهن المنفوش، فكيف يكون حال الإنسان عند سماعها؟!

فالويل ثم الويل لابن آدم إن لم تتداركه رحمة ربه!

الرازي، مفاتيح الغيب ٣٢/ ٢٦٧

٢) لو تصوَّرتَ هذا المشهد، يخرج الناس من قبورهم على هذا الوجه، لتصورت أمرًا عظيمًا لا نظير له!

ابن عثيمين، تفسير جزء عم، ص٣٠١

﴿ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٧﴾ ﴾

في تدبري للقرآن وجدتُ أنّ تضمين شيءٍ معنى شيءٍ آخر يجمع له المعنيَين.. فـ ﴿رَّاضِيَةٍ﴾ بمعنى مرضيَّة تجمع للعِيشة رضاها هي، ورضا عايشِها بها.

د. صالح العايد

سُورَةُ التَّكَاثُرِ

﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ۝٢﴾

١) قال حمزة الكناني: خَرّجتُ حديثًا واحدًا عن النبي ﷺ من نحو مئتي طريق؛ فداخلني لذلك من الفرح غير قليل، وأُعجبت بذلك، فرأيت يحي بن معين في المنام، فقلت: يا أبا زكريا، خرّجتُ حديثًا من مئتي طريق! فسكتَ عني ساعة، ثم قال: أخشى أن تدخل هذه تحت: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾.

سير أعلام النبلاء (١٦/١٨٠)

٢) ثقافة «التكاثر» في عدد المصلين، والمشاهدين، والحاضرين، والحافظين والمشتركين... والتي نقلت الكثرة والقلة من كونها «نبضًا» إلى كونها «معيارًا» للنجاح والفشل، وقلبت «المتبوع» إلى «تابع»؛ جاءت: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾؛ لتعرّي حقيقة هذه «اللهاية» والتي سيتلوها (علم اليقين)، فلقد تكرر لفظ (العلم) و(الرؤية) في التكاثر ست مرات!

د. عصام العويد

٣) قال ميمون بن مهران: كنت جالسًا عند عمر بن عبدالعزيز فقرأ: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ۝٢﴾، فبكى، ثم قال يا ميمون! ما أرى المقابر إلا زيارة؛ ولا بد للزائر أن يرجع إلى منزله في الجنة أو النار!

الرقة والبكاء لابن أبي الدنيا (٨٢)

٤) ﴿حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ۝٢﴾ إذا كانت الإقامة في القبر مجرد زيارة مع أنها قد تمتد آلاف السنين؛ فبم نصف إقامتنا في الدنيا التي لا تتجاوز عدد سنين؟ تأمل ﴿قَالُواْ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ ۝١١٣﴾ المؤمنون: ١١٣، فيا طول حسرة المفرطين!

أ. د. ناصر العمر

﴿ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ۝٨ ﴾

١) يا من تتقلب في النعم، انتبه!

﴿لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ۝٨﴾ هذا السؤال يعم الكافر والمؤمن، إلا أن سؤال المؤمن تبشير بأن يجمع له بين نعيم الدنيا ونعيم الآخرة؛ وسؤال الكافر تقريع أنْ قابل نعم الدنيا بالكفر والمعصية.

الماوردي، النكت والعيون (٦/٣٣٢)

٢) لما اشتغل الكفار بالتكاثر بنعيم الدنيا ولذاتها عن طاعة الله وشكره؛ سألهم عن هذا النعيم يوم القيامة؛ ليبيِّن لهم أنَّ ما ظنوه سببًا لسعادتهم هو من أعظم أسباب شقائهم في الآخرة.

الرازي، مفاتيح الغيب (٣٢/٧٧)

٣) ﴿ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ۝٨ ﴾ قال ابن تيمية رحمه الله: أي: عن الشكر على النعيم فيطالب العبد بأداء شكر الله على النعيم؛ فإن الله تعالى لا يعاقب على ما أباح وإنما يعاقب على ترك مأمور وفعل محذور.

الآداب الشرعية لابن مفلح (٣/١٩٨)

سُورَةُ العَصْرِ

﴿وَٱلْعَصْرِ ① إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ② إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ③﴾

١) سورة العصر على اختصارها هي من أجمع سور القرآن للخير بحذافيره والحمد لله الذي جعل كتابه كافيًا عن كل ما سواه شافيًا من كل داء هاديًا إلى كل خير.

ابن القيم، مفتاح دار السعادة (١/ ٥٧)

٢) الله قد أقسم بالعصر (الذي هو الزمان) على أن الإنسان لفي خسر، إشارة إلى أن هذه الخسارة تأتي حتمًا مع الزمان، وليست خسارة مال يعوَّض ولا خسارة حبيب يُنسى، إنها خسارة الحياة نفسها.

الطنطاوي، نور وهداية (٢٥)

٣) تدبر سورة العصر: ﴿وَٱلْعَصْرِ ① إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ﴾ ثم استثنى من الخسران من اتصف بصفات أربع، فهم الرابحون، وليس من تلك الصفات تحقق نتائج ما يتواصون به من الحق، وإنما الغاية تواصيهم بذلك، وصبرهم على ما يصيبهم. وفقه هذه الحقيقة للانتصار من أعظم عوامل الثبات والاطراد والتفاؤل.

أ. د. ناصر العمر

٤) أمران متلازمان: ﴿وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ لا بد من التواصي بالحق والصبر؛ فالتواصي بالحق بدون الصبر كما يفعله الذي يعبد الله على حرف، والتواصي بالصبر بدون الحق كقول الذين قالوا: ﴿أَنِ ٱمْشُوا۟ وَٱصْبِرُوا۟ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ﴾ (ص:٦) كلاهما موجب للخسران.

ابن تيمية، تفسير ابن تيمية (٧/ ١٨٢)

سُورَةُ الهُمَزَةِ

﴿يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ ۝٣﴾

فيها تصوير لشدة حبه للمال، حين يظن أن لا حياة له بلا مال؛ فلذلك يحفظه من النقصان ليبقى حيًّا، ومن كان كذلك استحق الوعيد بالويل في أول السورة؛ لأنه بهذا عبدٌ للمال على الحقيقة، وفي الحديث الصحيح: «تَعِسَ عبدُ الدِّينار»[1].

الرازي، مفاتيح الغيب (٨٨/٣٢)

﴿نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ ۝٦ ٱلَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ ۝٧ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ۝٨﴾

١) الأخلاق السيئة هي السموم القاتلة، والمهلكات الدامغة، والمخازي الفاضحة، والرذائل الواضحة، والخبائث المبعدة عن جوار رب العالمين، المنخرطة بصاحبها في سلك الشياطين، وهي الأبواب المفتوحة إلى ﴿نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ ۝٦ ٱلَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ﴾.

الغزالي، الإحياء (٣/ ٤٩)

٢) ﴿ٱلَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ﴾ لما كانت أفئدتهم محل الاعتقادات الباطلة، ومنطلق الهمز واللمز للمؤمنين، كان جزاؤها التحطيم والإحراق بنار الله الموقدة.

وهذا هو الدواء الشافي تجاه كتب ومحفوظات أهل الأهواء بإتلافها وإحراقها وتأديب حامليها؛ حماية للأمة من شرها وشرهم.

أ. د. ناصر العمر

٣) ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ۝٨﴾ أي: مغلقة الأبواب لا يُرجى لهم فرج -عياذًا بالله-! تأمل لو أن إنسانًا كان في حجرة أو في سيارة، ثم اتقدت النيران فيها، وليس له مهرب ولا مخرج، ما حاله؟ حسرة عظيمة لا يمكن أن يماثلها حسرة! والله تعالى أخبرنا بهذا لا لمجرد تلاوته، بل لنحذر من هذه الأوصاف الذميمة الواردة في هذه السورة (سورة الهمزة).

ابن عثيمين، تفسير جزء عم (٣١٧)

(١) البخاري ح(٢٨٨٧).

سُورَةُ الفِيلِ

هذه السورة ردٌّ على الملحدين؛ كيف؟ لأن الملحدين ذكروا في الزلازل والرياح والصواعق -وسائر الأشياء التي عذب الله تعالى بها الأمم- أعذارًا ضعيفة، أما هذه الواقعة، فلا تجرى فيها تلك الأعذار؛ لأنه ليس في شيء من الطبائع والحيل أن تُقْبِلَ طيرٌ معها حجارة، فتقصد قومًا دون قوم فتقتلهم.

الرازي، مفاتيح الغيب (٣٢/٩٢)

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ۝١﴾

١) إذا تدبَّرت سياق قصة أصحاب الفيل أدركت أنَّ من أعظم الحِكَم في تولي الله الدفاع عن بيته ألا تكون للمشركين يدٌ على بيته، ولا سابقة في حمايته، بحميتهم الجاهلية، حتى إذا ما دعاهم النبي ﷺ لم يكن لهم سبب للاعتزاز بحماية بيت الله؛ ولذا ستفهم التعجب الذي بدئت به السورة: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ﴾.

سيد قطب، في ظلال القرآن (٦/٣٩٨٠) (بتصرف)

٢) لم يتكرَّر في القرآن ذكر إهلاك أصحاب الفيل كبقية القصص لوجهين:

١- أنَّ هلاك أصحاب الفيل لم يكن لأجل تكذيب رسول من الله.

٢- أن لا يتخذ من المشركين غرورًا بمكانة لهم عند الله كغرورهم بقولهم المحكي في قوله تعالى: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾ (الحج:١٩).

ابن عاشور، التحرير والتنوير (٣٠/٤٧٨)

٣) ما الحكمة من إهلاك أصحاب الفيل، وعدم إهلاك من يقصد الكعبة في آخر الزمان؟ «لأنَّ قصة أصحاب الفيل مقدمة لبعثة الرسول ﷺ التي يكون فيها تعظيم البيت، أما في آخر الزمان؛ فإن أهل البيت إذا أهانوه وأرادوا فيه بإلحاد بظلم، ولم يعرفوا قدره، حينئذ يسلط الله عليهم من يهدمه؛ حتى لا يبقى على وجه الأرض».

ابن عثيمين، تفسير جزء عم (٣٢٠)

٤) قف متدبرًا لهذه الآية: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ﴾ ففيها تبكيت لكفار مكة، وإيماء إلى عجز آلهتهم عن الدفاع عن الكعبة عندما جاء أبرهة لهدمها، فالذي حماها هو ربك وليست أربابهم، فأي آلهة تلك التي لا تدافع عن البيت العظيم، بل ولا عن نفسها ومن يعبدها! فالأجدر أن يقال لهم ولها كما قال إبراهيم: ﴿أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (الأنبياء:٦٧).

أ. د. ناصر العمر

﴿أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ﴿٢﴾﴾

هذا منهج إلهي مطرد، وسنة ربانية جارية تجاه كل جبار ومفسد في الأرض.

تدبر هذه الآيات وأمثالها تدرك حقيقة: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ (يونس:٨١)، ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُفْتَرِينَ﴾ (الأعراف:١٥٢)، ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ (الأنبياء:١٨).

فلِم الانهزام أمام الباطل؟ ﴿إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ (الإسراء:٨١).

أ. د. ناصر العمر

﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴿٥﴾﴾

١) كم في هذه السورة من دلالة على قدرة الله وعظمته؟ طيور صغيرة ألقت حجارة بحجم الحمصة على رجال، وأفيال عظيمة، فصارت إلى ما قاله الله: ﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾ أي: كزرع أكلته الدواب ووطئته بأقدامها حتى تفتَّت.

د. عمر المقبل

٢) تأمل هذا الأسلوب البديع: ﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾ فلم يقل: «كروث الدواب»؛ لنتعلم حسن الخطاب وأدب الألفاظ، وهو منهج مطرد في القرآن، كما في قصة امرأة العزيز: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ۖ وَهَمَّ بِهَا﴾ (يوسف:٢٤)، فلنتدبر هذه الآيات وأمثالها ونلتزم بها؛ لنكون من أولئك الذين ﴿وَهُدُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَهُدُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ﴾ (الحج:٢٤).

أ. د. ناصر العمر

سُورَةُ قُرَيْشٍ

﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ①﴾

١) ألف الله قريشًا بنعم شتَّى، فحبس عنهم الفيل، وعطف عليهم قلوب الناس، وفتح لهم التجارة، وأطعمهم من جوع، وآمنهم من خوف، ومع ذلك لم يستجب أكثرهم أول الأمر؛ فلا يتعجب الداعية إذا أعرض الناس عن الله مع نعمه عليهم.

ابن الجوزي، زاد المسير (٣١٤/٨)

٢) ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ﴾ ما سرُّ تقديم الله تعالى تأليفه قريشًا على الأمر بعبادته؟ قال أهل العلم: إنما قدم للاهتمام به، إذ هو من أسباب أمرهم بعبادة الله، وشكره على نعمه الكثيرة عليهم.

ابن عاشور، التحرير والتنوير (٤٨٦/٣٠)

﴿فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ③ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ④﴾

١) ﴿فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ﴾، ولم يقل: فليعبدوا الله؛ لما يومئ إليه لفظ: ﴿رَبَّ﴾ من استحقاقه الإفراد بالعبادة دون شريك. وأضيف ﴿رَبَّ﴾ إلى ﴿هَٰذَا ٱلْبَيْتِ﴾ (قريش:٣) دون أن يقال: (ربهم) للإيماء إلى أن البيت هو أصل نعمة الإيلاف بأن أمر إبراهيم ببناء البيت الحرام، فكان سببًا لرفعة شأنهم بين العرب.

ابن عاشور، التحرير والتنوير (٤٩٢/٣٠)

٢) تأمل كيف ربط بين السبب والمسبب في قوله: ﴿فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ③ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم﴾ وهذا ظاهر في أول آية في المصحف: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، والمعنى: أنه سبحانه مستحق للحمد؛ لأنه رب العالمين وخالقهم ورازقهم، وقرَّر هذا في أول نداء في المصحف: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ﴾، ثم بيَّن السبب بقوله: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ﴾ الآية (البقرة:٢١).

عطية سالم، تتمة أضواء البيان (١١١/٩)

٣) قال تعالى في سورة النمل: ﴿رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِى حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ﴾ (النمل:٩١)، وقال هنا: ﴿فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ﴾؛ لأن السياق هنا لبيان عظمة البيت، بينما في «النمل» المقام مقام بيان عموم ملكه؛ لئلَّا يدعي المشركون أنَّه رب البلدة فقط.

ابن عثيمين، تفسير جزء عم (٣٢٢)

٤) ﴿فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ﴿٣﴾ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ﴾ الكريم يأسره المعروف، ويشكر الإحسان، ولذا قرن سبحانه الأمر بعبادته بذكره لنعمه؛ لتنقاد لذلك نفوس عباده.

د. عبدالله السكاكر

سُورَةُ المَاعُونِ

﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ﴿١﴾ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ﴿٢﴾﴾

١) هذا إيذانٌ بأنَّ الإيمانَ بالبعث والجزاء هو الوازع الحق الذي يغرس في النفس جذور الإقبال على الأعمال الصالحة؛ حتى يصير ذلك لها خلقًا إذا شبت عليه، فزكت وانساقت إلى الخير بدون كلفة، ولا احتياج إلى آمر، ولا إلى مخافة ممن يقيم عليه العقوبات حتى إذا اختلى بنفسه، وأمن الرقباء، جاء بالفحشاء والأعمال النكراء!

ابن عاشور، التحرير والتنوير (٤٩٦/٣٠)

٢) الإيمان باليوم الآخر ليس اعتقادًا مجردًا، بل يحمل صاحبه على إطعام اليتيم والمسكين، كمن قال الله فيهم: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ (الإنسان:٨)، وماذا يرجون؟ ﴿إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا﴾ (الإنسان:٩-١٠).

عطية سالم، تكملة أضواء البيان (١١٤/٩)

﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝٥﴾

١) سمَّاهم مصلين، لكنهم ساهون عن فعلها، أو عن وقتها، أو عن أدائها بأركانها وشروطها، أو عن الخشوع وتدبر معانيها، فاللفظ يشمل هذا كلَّه، منِ اتَّصف بشيء من ذلك، فله قسط من هذه الآية، ومن اتصف بجميع ذلك، فقد تم نصيبه منها، وكمل له النفاق العملي.

ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (٦٨١/٤)

٢) اعلم أرشدك الله لطاعته أن مقصود الصلاة وروحها ولبها هو إقبال القلب على الله تعالى فيها، فإذا صليت بلا قلب فهي كالجسد الذي لا روح فيه، ويدل على هذا قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝٥﴾.

محمد بن عبدالوهاب، تفسير سورة الفاتحة (١)

﴿ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ۝٦﴾

جمع هؤلاء: تكذيبًا بالبعث وانتقاصًا لحقوق ضعفة الخلق وتفريطًا في الصلاة وشغفًا بالدنيا جعلتهم يتعلقون بحقير الأواني.. وهم -مع هذا- يراءُون، ولو فتَّشت، لوجدت أنَّ أقل الناس عملًا مثمرًا لهم نصيب وافر من هذه الصفات أو بعضها.

﴿وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ۝٧﴾

﴿وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ﴾ يمنعون الناس منافع ما عندهم، من القليل والكثير، وإذا أريد بالماعون الإناء، فهم لما هو أعظم منه أشد منعًا.

جامع البيان للطبري (٦٦٥/٢٤) (بتصرف)

سُورَةُ الكَوْثَرِ

١) أبانت سورة الكوثر -مع اختصارها- عن حقيقة الخير الكثير الذي لا يتحقق إلا بأمرين:

١- تتابع العطاء.

٢- دفع المنغصات.

فالعاقل لا ينشغل في دينه أو دنياه بطلب الأول دون الثاني.

د. عصام العويد

٢) تدبر ترتيب سورة الكوثر، تجد التسلسل العجيب!

إذا أعطاك الله خيرًا عظيمًا -وأعظمه هذا الدين- وسخرك لدعوة الناس إليه وتعليمهم إياه، فتفرغ لعبادة ربك العبادة الشاملة، ولا تلتفت إلى ما يكيده خصومك لك من أذى حسي ومعنوي، ولا تقلق بسبب ذلك؛ فعاقبتهم خسار وبوار ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ (الكوثر:٣).

أ. د. ناصر العمر

﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ۝١﴾

١) دلت الآية على أنه أعطاه الخير كله كاملًا موفرًا وإن نال منه بعض أمته شيئًا كان ذلك الذي ناله ببركة اتباعه والاقتداء به.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى (١٦/٥٣٠)

٢) لا يُزهد في الدنيا شيء مثل تذكر نعيم الله تعالى، فأي شيء في الدنيا يُستعاض به عن الكوثر؟

﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ۝٢﴾

١) ومن فوائد الالتفات - أي من ضمير الغيبة إلى ضمير الخطاب- في الآية أنها دالة على أن ربك مستحق لذلك، وأنت جدير بأن تعبده وتنحر له.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى (١٦/٥٣٣)

٢) لما ذكر الله منَّته على نبيه: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾، أمره بشكرها، فقال: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾، وهو دليل على أن من أعظم صور الشكر: العمل -عمل القلب وعمل الجوارح- ﴿ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا﴾ (سبأ:١٣).

٣) ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾، النحر أفضل من الصدقة التي في يوم الفطر، ولهذا أمر الله نبيَّه ﷺ أن يشكر نعمته عليه بإعطائه الكوثر، بالصلاة له والنحر، كما شرع ذلك لإبراهيم خليله عليه السلام عند أمره بذبح ولده، وافتدائه بذبح عظيم.

ابن رجب، فتح الباري (١/١٦١)

٤) ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾ إنما خص هاتين العبادتين بالذكر؛ لأنهما من أفضل العبادات وأجل القربات، ولأن الصلاة تتضمن الخضوع في القلب والجوارح لله، وتنقلها في أنواع العبودية، وفي النحر تقرب إلى الله بأفضل ما عند العبد من النحائر، وإخراج للمال الذي جبلت النفوس على محبته والشح به.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن (٩٣٦)

٥) ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾ ولم يقل: فصل لنا؛ لما في لفظ الرب من الإيماء إلى استحقاقه العبادة لأجل ربوبيته فضلًا عن فرط إنعامه.

ابن عاشور، التحرير والتنوير (٣٠/٥٠٣)

٦) لما كانت الصلاةُ والنحر أكثر العبادات التي يصرفها المشركون لأوثانهم، خُصَّتا بالذكر في قوله: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾، وأبرز مقصودهما وغايتهما: ﴿لِرَبِّكَ﴾، ولذا لم يقل: فصلِّ وانحر؛ ليستقر المعنى وهو: فصل لربك، وانحر لربك، وحده لا شريك له، مراغمًا المشركين الذين جعلوا صلاتهم ونحرهم لغير الله.

ابن عاشور، التحرير والتنوير (٣٠/٥٧٤) (بتصرف)

٧) ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴾ أي: تقرب إليه بالنحر، والنحر يختص بالإبل، والذبح للبقر والغنم، لكنه ذكر النحر؛ لأن الإبل أنفع من غيرها بالنسبة للمساكين؛ ولهذا أهدى النبي ﷺ في حجته مائة بعير، ونحر منها ٦٣ بيده، وأعطى علي بن أبي طالب الباقي فنحرها.

ابن عثيمين، تفسير القرآن (٤٦/٢)

﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ۝٣﴾

١) وصفه بكونه شانئًا، كأنه- تعالى - يقول: هذا الذي يبغضك لا يقدر على شيء آخر سوى أنه يبغضك، والمبغض إذا عجز عن الإيذاء، فحينئذ يحترق قلبه غيظًا وحسدًا؛ فتصير تلك العداوة من أعظم أسباب حصول المحنة لذلك العدو.

الرازي، مفاتيح الغيب (١٧/ ٢٥٢)

٢) من آثر كلام الناس وعلومهم على القرآن والسنة، فلولا أنه شانئٌ لما جاء به الرسول ما فعل ذلك، حتى إن بعضهم لينسى القرآن بعد أن حفظه! ويشتغل بقول فلان وفلان.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى (٥٢٧/١٦)

٣) من شنآنه ﷺ بغض ما جاء به، وقد علق ابن تيمية على هذه الآية فقال: الحذر الحذر أيها الرجل، من أن تكره شيئًا مما جاء به الرسول ﷺ، أو ترده لأجل هواك، أو انتصارًا لمذهبك، أو لشيخك، أو لأجل اشتغالك بالشهوات، أو بالدنيا، فإن الله لم يوجب على أحد طاعة أحد إلا طاعة رسوله.

ابن تيمية، دقائق التفسير (٣١٢/٦)

٤) ولم يقل: إن شانئك أبتر، بل أبرز الضمير (هو) لإفادة الحصر، فكأنه لا مقطوع ولا مذموم سواه. وإذا كان شانئه ﷺ داخلًا في الآية دخولًا أوليًّا، فإن شانئَ سنته والداعين إليها له من ذلك نصيب بقدر بُغضِه وكرهه.

ابن عاشور، التحرير والتنوير (٥٠٥/٣٠)

سُورَةُ الكَافِرُون

١) معرفة العلاقة بين كثير من السور المتتابعة في المصحف له أثر في التدبر، فسورة النصر بعد الكافرون يفيد بأن النصر ثمرة من ثمار الثبات على المبادئ دون أي تنازل ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾ (الكافرون:٦).

وسورة قريش بعد الفيل فإهلاك من أراد بالكعبة شرًا ونجاة قريش نعمة كبرى تقتضي أن ﴿ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ ﴾ (قريش:٣) لا أن يعبدوا الأصنام التي لا تضر ولا تنفع.

أ. د. ناصر العمر

٢) سورتا الكافرون والإخلاص وردت قراءتهما مقترنتين في مواضع: مثل ركعتي الفجر، وجاءت فيهما فضائل، مثل كون الإخلاص تعدل ثلث القرآن.. فكان تدبرهما حقًّا على كلِّ قارئ.

﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ۝١ ﴾

فيها تصريح بكفرهم وتسميتهم بتسمية الله لهم، وبعضهم يتخاذل؛ فلا يستطيع أن يسميهم إلا لقب (الآخر).

متدبر

﴿ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢ ﴾

١) كان نبيُّنا ﷺ يقرن بين سورة الكافرون والإخلاص في مواضع، ففي سورة الإخلاص: التوحيد القولي العلمي، وفي سورة الكافرون: التوحيد القصدي العملي: ﴿ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴾، وبهذا يتميَّز من يعبد الله ممن يعبد غيره، وإن كان كلاهما يقرُّ بأن الله ربُّ كل شيء.

ابن تيمية، اقتضاء الصراط المستقيم (٢/٣٩٤)

٢) ﴿ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴾ في حالتي هذه، ﴿ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ﴾ (الكافرون:٤) في المستقبل، ففيه من قوة العبارة والثقة ما يقطع محاولاتهم بأن يتنازل عند دينه.

ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (٤/٦٩٠)

﴿وَلَآ أَنتُمْ عَـٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٣﴾

نزلت في أشخاص معينين، أي: لم تعبدوا الله في الحاضر، ولن تعبدوه في المستقبل، وهذا من علامات النبوة وصدق الوحي، فقد مات جميع هؤلاء على كفرهم دون أن يعبدوا الله.

أ. د. ناصر العمر

﴿وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝٤ وَلَآ أَنتُمْ عَـٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٥ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ۝٦﴾

١) لا تلفيق ولا ترقيع، فالمادة الأولى: الصفاء وتوحيد المنهج، وإلا فلن يعجز نبينا ﷺ عن جمع العرب بفكرة اقتصادية، أو أدبية، أو فكرية، أو حزب شعبي، أو طموح أرضي.

د. عائض القرني

٢) ﴿وَلَآ أَنتُمْ عَـٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ﴾ (الكافرون:٣)، ﴿فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ﴾ (التوبة:٧٧)، ﴿لَّن تَخْرُجُوا۟ مَعِىَ أَبَدًا وَلَن تُقَـٰتِلُوا۟ مَعِىَ عَدُوًّا﴾ (التوبة:٨٣)، ﴿لَّمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًۢا﴾ (النساء:١٣٧)، عند تأمل هذه الآيات وأمثالها تجد أنها تتفق على حلول سخط الله بأقوام عصوه، فحال بين قلوبهم وبين الهداية: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ﴾ (الأنفال:٢٤)؛ فلنستجب له قبل فوات الأوان.

أ. د. ناصر العمر

٣) كنت في الهند ومعي صديقي فدخلنا سوقًا شعبيًا كبيرًا ينتشر فيه بيع الأصنام، بدأت أتأمل في هذا المنظر، وإذ بلساني ينطق: ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ إلى نهاية السورة، وكأني لأول مرة أقرأها، ولم أزل أرددها وكأني أحدثهم، حتى خرجنا من هذا السوق، أما صديقي فهو مستمر في البكاء من عظمة هذا الموقف.

متدبر

سُورَةُ النَّصرِ

١) فَسَّر بعضُ الصحابة من جلساء عمر ﷺ من أنه قد أمرنا إذا فتح الله علينا المدائن والحصونَ أن نحمد الله ونشكره ونسبِّحه -يعني: نصلِّي ونستغفره-، وهو معنى مليح صحيح، وثبت له شاهد من صلاة النبي ﷺ يوم فتح مكة وقت الضحى ثماني ركعات.

ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (٦٩٢/٤)

٢) وجه استنباط ابن عباس من أن سورة النصر فيها إشارة إلى أجل النبي ﷺ: أنَّ حياتَه فاضلةٌ، وقد عُهِدَ أن الأمور الفاضلة تختم بالاستغفار، كالصلاة والحج، فأمر الله لرسوله بالحمد والاستغفار - في هذه الحال- إشارة إلى أن أجله قد انتهى؛ لذا كان ﷺ يكثر من التسبيح والحمد في صلاته.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن (٩٣٦)

٣) رسالة للدعاة الذين يقبضون ثمن نجاحهم!

فَسَّر عمر وابن عباس ﷺ سورة النصر بأجَلِ النبي ﷺ، ومن أسرار ذلك - والله أعلم-: أن الانتصار تعقبه غنائم جمة؛ فحتى لا يتعجل شيئًا من غنيمة الدنيا المتحققة تلقائيًا، توفاه قبل أن يتنعم بشيء من مكاسب الانتصار الدنيوية.

أ. د. ناصر العمر

﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ٣ ﴾

١) عن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ يُكْثِرُ أن يقول في ركوعه وسجوده: «**سُبحانك اللَّهُمَّ ربَّنا وبحمدِكَ، اللَّهُمَّ اغفر لي**»، يتأول القرآن[1]، والمعنى: أنه يفعل ما أمره القرآن به، وهذا من التدبر العملي.

٢) ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ﴾ جمع بين التسبيح والاستغفار؛ إذ في الاستغفار محو الذنوب، وفي التسبيح طلب الكمال.

د. عبدالمحسن المطيري

٣) كم بين قوله تعالى: ﴿ لَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ أَلَّا يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ﴾ (الشعراء:٣)، وقوله: ﴿ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ﴾؟ إنها سنوات قليلةٌ لا تساوي شيئًا في أعمار الأجيال.

متدبرة

(١) أخرجه البخاري ح(٧٨٤)، ومسلم ح(٤٨٤).

سُورَةُ المَسَدِ

﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١﴾

فيها أن الأنساب لا عبرة بها، بل صاحب الشرف يكون ذمه على تخلفه عن الواجب أعظم، كما قال تعالى: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا﴾ (الأحزاب: ٣٠).

ابن تيمية، مجموع الفتاوى (١٦/ ٦٠٢)

﴿مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢﴾

قيلت هذه الآية لَـمَّـا ادَّعى أبو لهب أنه سيفتدي من العذاب بماله وولده، كما قال ابن عمِّه: ﴿لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا﴾ (مريم:٧٧)، فقيل له: ﴿وَنَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا﴾ (مريم:٨٠)، فسبحان الله! تأمل كيف تشابهت قلوب أعداء الرسل في اغترارهم بأموالهم وأولادهم.

متدبر

﴿سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣﴾

في هذه السورة دليل على النبوَّة، فإنه نزل قوله تعالى: ﴿سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴾ (المسد:٣)، فأخبر عنهما بالشقاء وعدم الإيمان، لا ظاهرًا ولا باطنًا، ولا سرًّا ولا علنًا، فكان هذا من أقوى الأدلة الباهرة على النبوَّة الظاهرة.

ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (٨/٥١٧)

وقد كان تأمُّلُ هذا المعنى سببًا في إسلام أحد العلماء الأمريكان.

﴿وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ۝٤﴾

١) فيه عبرة لكل متعاونين على الإثم، أو على إثم مَّا، أو عدوان مَّا.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى (١٦/ ٦٠٣)

٢) إنها المرأة حين تعين زوجها على كفره وعناده؛ ولذا ستكون عونًا عليه في عذابه في نار جهنم! قارن هذا بحال خديجة، فإنها لما هيَّأت بيتًا هادئًا هانئًا لزوجها ﷺ، بُشِّرَت ببيتٍ في الجنة، لا صخب فيه ولا نصب، فما أعظم أثر المرأة في حياة زوجها.

ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (٥١٥/٨) (بتصرف)

٣) ﴿وَٱمۡرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ﴾ كانت تحمل الحطبَ والشوك فتضعه في طريق النبيِّ ﷺ، فلما حصل لأبي لهب وعيدٌ مقتبس من كنيته، جعل لامرأته وعيدًا اقتبس لفظُه من فعلها.

ابن عاشور، التحرير والتنوير (٦٠٥/٣٠) (بتصرف)

﴿فِي جِيدِهَا حَبۡلٞ مِّن مَّسَدِۭ ٥﴾

١) روي أنَّ أُمَّ جميل -امرأةَ أبي لهبٍ- باعت «عقدًا» لها ثمنه ١٠٠٠٠ درهم أنفقتها في الباطل، فكان الجزاء ﴿حَبۡلٞ مِّن مَّسَدِۭ﴾ في جيدها؛ أي: في نفس موضع العقد، فالذي يهدي نار السجائر للناس من حوله أما فكَّر لحظةً في نوع الهدية التي يتلقَّاها فمه يوم القيامة؟!

د. عصام العويد

٢) تأمل في قوله تعالى: ﴿فِي جِيدِهَا حَبۡلٞ مِّن مَّسَدِۭ﴾ إذ جعل لامرأة أبي لهب وعيدًا موافقًا لفعلها في الدنيا، حيث ستحمل ما يوقد به على زوجها الذي أطاعته في الصد عن الدين وأذية الدعاة إليه. ومن عظيم الخزي لهما أن جعل شدة عذاب الزوج على يد أحب الناس إليه، وأن جعلها سببًا لعذاب أعز الناس عليها.

د. محمد العواجي

سُورَةُ الإِخْلَاصِ

١) حاول بعض الفصحاء والبلغاء في الأندلس أن يَنْظِم شيئًا يُشبه القرآن، فنظر في سورة (الإخلاص)؛ ليحذو على مثالها وينسج -بزعمه- على منوالها، قال: فاعترتني خشية ورقة؛ حملتني على التوبة والإنابة.

الشفا (١/٢٠٨)

٢) سورة الإخلاص ثلث القرآن كما صحَّ الحديث [1]؛ لأنَّ علوم القرآن ثلاثة: توحيد، وأحكام، وقصص، وقد اشتملت هذه السورة على تقرير التوحيد تمام التقرير؛ فهي ثلث القرآن.

ابن جزي، التسهيل (٣/٣٧١)

٣) هل تحفظ سور الإخلاص والمعوذات حقًا؟ إن الذي لا يكابد منـزلة الإخلاص، ولا يجاهد نفسه على حصنها المنيع، ولا يتخلق بمقام توحيد الله في كل شيء رغبًا ورهبًا؛ فليس بحافظ حقًا لسورة الإخلاص! وإن الذي لا يذوق طعم الأمان عند الدخول في حمى «المعوذتين»، لا يكون قد اكتسب سورتي الفلق والناس!

د. فريد الأنصاري، هذه رسالات القرآن فمن يتلقاها (مقالة)

٤) سورة الكافرون فيها توحيد العبادة، وسورة الصمد فيها توحيد الربوبية والأسماء والصفات، وتسميان سورتي الإخلاص؛ ولذا تشرع قراءتهما في أول اليوم في سنَّة الفجر وفي ركعتي الطواف، وفي آخر الوتر؛ تحقيقًا للتوحيد وتجديدًا له.

د. محمد الخضيري

٥) الحج كله توحيد!

ألا ترى أن الحاج يفتتح حجه بـ «لبيك اللَّهُمَّ لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك» ويختمه بركعتي طواف الوداع التي يقرأ فيهما بسورتي الإخلاص والتوحيد، وأفضل ما يقوله الواقفون بعرفة كلمة التوحيد، وهذا من أبلغ ما يكون في بيان علاقة الحج بالتوحيد.

د. محمد الخضيري

---

(١) أخرج الحديث البخاري ح(٦٦٤٣)، ومسلم ح(٨١١)، وأبو داود ح(١٤٦١)، والترمذي ح(٢٨٩٦)، والنسائي ح(٩٩٥)، وابن ماجه ح(٣٧٨٧).

﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢﴾

١) ربما ظن بعضهم أنَّ السياق أن يقول: (هو الله الأحد الصمد)، ولكنها فُصِلَت عن التي قبلها؛ لأنَّ هذه الجملة مسوقة لتستقر في النفوس ولتعظم، فكانت جديرة بأن تكون كل جملة مستقلة بذاتها.

ابن عاشور، التحرير والتنوير (٣٠/٤٥٠)

٢) ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾ أي: الذي يصمد إليه في الأمور، ويستقل بها، ﴿وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ (الإخلاص: ٤)؛ أي: لا مثل له.

جامع البيان للطبري (٢٤/٦٩٢-٦٩٤) (بتصرف)

فهل لنا أن يكون الله تعالى -الذي لا مثل له- أول من نلتفت إليه في كل حاجة نحتاجها، في شدَّةٍ أو رخاء، أو رغبةٍ، أو رهبة؟

﴿لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ۝٣﴾

فيها ردٌّ على أكثر فرق الضلالة، وعلى رأسهم اليهود الذين يقولون: عزير ابن الله، والنصارى الذين يقولون: المسيح ابن الله، وغيرهم من فرق الضلال.

السيوطي، الإكليل (٣٠٢)

سُورَةُ الفَلَقِ

اشتملت سورتا الفلق والناس على ثلاثة أصول للاستعاذة:

أ- نفس الاستعاذة. ب- المستعاذ به. ج- المستعاذ منه.

فبمعرفة ذلك تعرف شدَّة الضرورة إلى هاتين السورتين، وأن حاجة العبد إليهما أعظم من حاجته إلى النَّفَس والطعام والشراب واللباس.

ابن القيم، التفسير القيم (٢/٦٠/٢)

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ① مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ②﴾

١) في الاستعاذة بهذه الصفة تفاؤل، وتذكير بالنور بعد الظلمة، والسعة بعد الضيق، والفرج بعد الانغلاق، والفلق كل ما يفلقه الله تعالى، كالنبات من الأرض، والجبال عن العيون، والسحاب عن المطر، والأرحام عن الأولاد، والحب والنوى وغير ذلك، وكله مما يوحي بالفرج المشرق العجيب.

أبو السعود العمادي، إرشاد العقل السليم (٩/٢١٤) (بتصرف)

٢) ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ والفلق هو: النور الذي يزيل الظلام ﴿فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ﴾ (الأنعام:٩٦)، فهذا المطلع القوي يفيد التفاؤل عند مواجهة الأمور العظيمة، كهذه الشرور المذكورة في السورة. كما أنها تضمنت شرورًا تقع غالبًا في الليل، فقابلها بالنور الذي يفلقها ويزيل أثرها كما يزيل الصبح أثر الظلام.

أ. د. ناصر العمر

٣) ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ① مِن شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ كثيرون يقرؤونها وهم يستحضرون في أذهانهم شرور غيرهم، بينما الواجب أن يستحضروا التعوذ من شرور أنفسهم ابتداءً، كما في خطبة الحاجة: «**ونعوذ بالله من شرور أنفسنا**»[١]، وحديث: «**أعوذ بك من شر نفسي ومن شر الشيطان وشِرْكِهِ**»[٢]؛ فقدم شر نفسه على شر الشيطان.

أ. د. ناصر العمر

---

(١) رواه أبو داود ح (١٠٩٧)، والترمذي ح(١١٠٥)، والنسائي ح(٣٢٧٧)، وابن ماجه ح(١٨٩٢).

(٢) أخرجه الترمذي ح (٣٣٩٢)، وأحمد ح (٦٣).

٤) ما أعظم الاستعاذة بهذه الصفة العظيمة (رب الفلق)، وما تشتمل عليه من قوَّةٍ وغلبةٍ وسلطانٍ على ظلمات الشرور والسحرة والحاسدين. وتأمل لفظة الفلق وما يقابلها من انغلاقِ الليل، وانغلاق عقد السحرة، وانغلاق قلوب الحاسدين.

متدبر

٥) ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ هل رأيت شيئًا يبعث الطمأنينة والأمن من الشرور مثل هذا؟ إنك لا تستعيذ من شيء بأعظم من الذي خلقه.

﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣﴾

١) ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾ أي: الليل إذا دخل، ومن تأمل أنواع الشرور، وجد أكثرها في الليل، وفيه انتشار الشياطين، وأهل الغفلة والبطالة، فحريٌّ بالمسلم اغتنامه بالعبادة، وتجنب السهر فيما لا ينفع، وخصوصًا في الأسواق ونحوها.

عطية سالم، تتمة أضواء البيان (١٦٠/٩) (بتصرف)

٢) ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾ غاسق هو الليل، وقد أمر الله بالاستعاذة من شر ما خلق، وإنما خص الليل؛ لأن أكثر المعاصي تقع في الليل، وأكثر السرقات في الليل، والهوام تخرج في الليل، والشياطين تنتشر في الليل، وهنا معنى لطيف ذكره العلماء: أن السحر أكثر ما يكون تأثيره على الإنسان في الليل.

د. عمر العيد، المعوذات (شريط)

﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ۝٤ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥﴾

١) اقتران الحسد بالسحر هنا يشير إلى وجود علاقة بين كلٍّ من السحر والحسد، وأقل ما يكون هو التأثير الخفي الذي يكون من الساحر بالسحر، ومن الحاسد بالحسد، مع الاشتراك في عموم الضرر، فكلاهما إيقاع ضرر في خفاء، وكلاهما منهيٌّ عنه.

عطية سالم، تتمة أضواء البيان (٦٤٠/٩)

٢) العائن حاسد خاص، وهو أضر من الحاسد؛ ولهذا جاء في السورة ذكر الحاسد دون العائن؛ لأنه

أعم، فكل عائن حاسد ولا بد، وليس كل حاسد عائنًا، فإذا استعاذ العبد من شر الحسد دخل فيه العين، وهذا من شمول القرآن الكريم وإعجازه وبلاغته.

ابن القيم، بدائع الفوائد (٢/ ٢٣٣)

٣) اقترن الحاسد والساحر في السورة؛ لأنَّ مقصدهما الشر للناس، والشيطان يقارن الساحر والحاسد ويحادثهما ويصاحبهما، ولكن الحاسد تعينه الشياطين بلا استدعاء منه للشيطان، وأما الساحر فهو يطلب من الشيطان أن يعينه ويستعينه؛ فلهذا -والله أعلم- قرن في السورة بين شرِّ الحاسد وشر الساحر؛ لأنَّ الاستعاذة من شرِّ هذين تعم كلَّ شر يأتي من شياطين الإنس والجن، فالحسد من شياطين الإنس والجن، والسحر من النوعين، وبقي قسم ينفرد به شياطين الجن وهو الوسوسة في القلب، فذكره في سورة الناس.

عطية سالم، تتمة الأضواء (١٦٢/٩)

سُورَةُ النَّاسِ

١) ذكر الله تعالى في سورة الناس صفة الألوهية والربوبية والملك، كما ذكرها في سورة الفاتحة: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ (الفاتحة:٢-٤)، ومن اللطائف: أنهما أول سورة وآخر سورة؛ فينبغي لمن نصح نفسه أن يعتني بمعاني هذه الصفات.

محمد بن عبدالوهاب، تفسيره (١١)

٢) عدد أحرف سورتي الفلق والناس (١٥٣) حرفًا فقط، وعدد أحرف سورتي هود ويوسف (١٤٧٨١) حرفًا، ومع هذا فالمعوذتان أفضل بنص الحديث الصحيح، كتاب ربنا كتاب معاني، ومع هذا ما زال بعضُنا يركض في حفظه وتلاوته يستكثر الحسنات في غفلة عن المعاني العظيمات.

د. عصام العويد

٣) في سورة الفلق يستعيذ القارئ بصفة الربوبية مرَّة واحدة من أربعة أشياء، بينما يستعيذ في سورة الناس بثلاث صفات لله ﷻ من شرِّ شيءٍ واحد -وهو الشيطان-، وما ذاك إلا لشدَّة خطر الشيطان، فهلَّا استشعرنا عظمة صفات ربِّنا ونحن نستعيذ به من عدوِّنا؟

ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (٥٣٩/٨) (بتصرف)

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾

من المعلوم أن الله رب جميع الخلائق، وإنما قال رب الناس مع أنه رب جميع مخلوقاته؛ للدلالة على شرفهم، ولكون الاستعاذة وقعت من شر ما يوسوس في صدورهم.

الشوكاني، فتح القدير (٥/ ٦٤٢)

﴿مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ۝٤ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝٦﴾

١) قال قتادة رحمه الله: إن من الناس شياطين، فنعوذ بالله من شياطين الإنس والجن.

الدر المنثور (٨٠٩/١٥)

٢) قال العلامة ابن باديس: والسر في التعبير بـ: ﴿يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ﴾، بدلًا من (قلوب الناس)؛ لأن القلب محلى العقل، ومقر الإيمان، وقد يكون محصنًا بالإيمان فلا يستطيع الوسواس أن يَظْهَره، ولا يستطيع له نقبًا.

تفسير ابن باديس (٣٨٤/١)

٣) ﴿ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾ بين الله تعالى نوع الموسوس، بأنهم من الجنة والناس؛ لأنَّه ربما غاب عن البال أنَّ مِنَ الوسواسِ ما هو شرٌّ من وسواس الشياطين، وهو وسوسة الناس، وهو أشد خطرًا، وهُمْ بالتعوُّذِ منهم أجدر؛ لأنهم منهم أقرب وهو عليهم أخطر، وأنهم في وسائل الضرِّ أدخل وأقدر.

ابن عاشور، التحرير والتنوير (٥٥٦/٣٠)

٤) علَّق الوسوسة هنا بالصدر، الذي هو موضع القلب، وهو محل العقل والتقوى والصلاح والفساد، فحَرِيٌّ بالعبد أن يُطهِّر قلبَه، وما تطهَّرتِ القلوبُ بمثل ذكر الله، وتدبر كتابه، والإخلاص له، والتوبة إليه.

عطية سالم، تتمة الأضواء (١٧٩/٩)

تأملات في

أسماء الله الحسنى (١)

١) (القيوم) ﷻ: الذي قام بنفسه فلم يحتج إلى أحد، ولا قيام لغيره إلا به، وإذا ضممت هذا الاسم إلى اسمه (الحي) تبين أن الحي جامع لصفات ذاته و(القيوم) جامع لصفات أفعاله، ومن آثار الإيمان به:

- التبرؤ من الحول والقوة والافتقار الدائم له سبحانه.
- الجمع بين الاسمين (الحي القيوم) له أثر خاص في إجابة الدعوات وكشف الكربات.

ينظر: سنن النسائي (١٣٠٠)

٢) (الحميد) ﷻ، الذي حمد نفسه في أوسع دوائر الزمن: ﴿لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْآخِرَةِ﴾ (القصص:٧٠) وحمد نفسه في أوسع دوائر المكان: ﴿وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ (الروم: ١٨) افتتح أول الخلق بحمد نفسه: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ (الأنعام:١) وختم الخلق بحمد نفسه: ﴿وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ (الزمر:٧٥) إنه ربك الذي يرضى عنك إذا حمدته على لقمة تأكلها، أو شربة تشربها.

جامع البيان للطبري (٢١/٣٤٤) (بتصرف)

---

(١) قام بصياغة هذه الرسائل وإعدادها: د. عمر بن عبدالله المقبل مع الاستفادة من كتب كثيرة، أهمها كتابان:

١- فتح الرحيم، للعلامة ابن سعدي.

٢- ولله الأسماء الحسنى، للشيخ عبدالعزيز الجليّل.

٣) (النصير/خير الناصرين) ﷻ: الذي وعد عباده بالنصر في الدنيا والآخرة، أما في الدنيا فبإعلاء كلمتهم ومنهجهم كما صنع بداود وسلمان ونبينا ﷺ، أو بانتقامه من أعدائه كما صنع بقوم نوح وبفرعون وجنوده.

جامع البيان للطبري (٦ / ١٢٦)، (١١ / ١٨٣) (بتصرف)

٤) ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ (محمد: ١٩) فينبغي للمسلمين أن يعرفوا أسماء الله وتفسيرها، فيعظموا الله حق عظمته، ولو أراد رجل أن يتزوج إلى رجل أو يزوجه أو يعامله طلب أن يعرف اسمه واسم أبيه وجده، وسأل عن صغير أمره وكبيره؛ فالله الذي خلقنا ورزقنا -ونحن نرجو رحمته ونخاف سخطه- أولى أن نعرف أسماءه ونعرف تفسيرها.

قوام السنة الأصفهاني، الحجة في بيان المحجة (١/١٣٤)

٥) (الرؤوف) تباركت أسماؤه: المتصف بالرأفة، وهي أعلى معاني الرحمة التي شملت الخلق كلهم في الدنيا، ولن تشمل إلا بعضهم في الآخرة، قال القرطبي ﷬: الرأفة لا ألم فيها بوجه من الوجوه، بخلاف الرحمة فقد تكون مؤلمة في الحال، وعاقبتها لذة، ألا ترى أن الله قال: ﴿وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ﴾ (النور:٢) ولم يقل: رحمة؛ فإن ضرب العصاة على معصيتهم رحمة لهم لا رأفة بهم.

الأسنى في شرح الأسماء الحسنى (١/١٧٣) (بتصرف)

٦) (الكبير) الذي صغر دون جلاله كل كبير، فلا شيء أعظم منه، وإذا أردت أن تعرف مكانة هذا الاسم من الشريعة، فتأمل حب الله تعالى لهذا الذكر العظيم: (الله أكبر) وكم هي المواطن التي شرع فيها الذكر؟ حتى سمى بعض النصارى -كما قال ابن تيمية- عيد المسلمين (عيد الله أكبر)؛ لظهور التكبير فيه، وليس هذا لأحد من الأمم أهل الكتاب ولا غيرهم غير المسلمين، فلنكبر الله قولًا وعملًا.

ابن تيمية، الجواب الصحيح (٥ / ٢٣٢) (بتصرف)

٧) (الله) ﷻ.. دال على جميع الأسماء الحسنى، والصفات العليا، فإنه دال على إلهيته المتضمنة لثبوت صفات الإلهية له، مع نفي أضدادها عنه؛ ولهذا يضيف الله تعالى سائر الأسماء الحسنى إلى هذا الاسم العظيم، كقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ (الأعراف:١٨٠) ويقال: الرحمن والرحيم والعزيز والحكيم من أسماء الله، ولا يقال: الله من أسماء الرحمن ونحو ذلك، فعلم أن اسمه (الله) مستلزم لجميع معاني الأسماء الحسنى، دال عليها بالإجمال، والأسماء الحسنى تفصيل وتبيين لصفات الإلهية التي اشتق منها اسم (الله)، واسم الله دال على كونه مألوهًا معبودًا تألهه الخلائق محبة وتعظيمًا وخضوعًا وفزعًا.

ابن القيم، مدارج السالكين (٣٢/١)

٨) إذا تتبعت اسم (الرب) في القرآن، وجدته قد ارتبط بخمسة أسماء من أسماء الله الحسنى فقط، وهي: (الرحمن، الرحيم، الغفور، الغفار، العزيز) وفي (مدارج السالكين) بيان لشيء من حكم هذا الارتباط.

مدارج السالكين (٣٥/١)

٩) (الرحمن) من أعطى اسم الرحمن حقه، عرف أنه متضمن لإرسال الرسل وإنزال الكتب أعظم من تضمنه إنزال الغيث، وإنبات الكلأ، وإخراج الحب؛ فاقتضاء الرحمة لما تحصل به حياة القلوب والأرواح أعظم من اقتضائها لما تحصل به حياة الأبدان.

ابن القيم، مدارج السالكين (٨/١)

١٠) (الأول) ﷻ، وقد فسره ﷺ بقوله: «**أنت الأول فليس قبلك شيء**»[١] يقول ابن القيم رحمه الله: فعبوديته باسمه الأول، تقتضي التجرد من مطالعة الأسباب والوقوف أو الالتفات إليها، وتجريد النظر إلى مجرد سبق فضله ورحمته، وأنه هو المبتدئ بالإحسان من غير وسيلة من العبد، إذ لا وسيلة له في العدم قبل وجوده، أيُّ وسيلة كانت هناك وإنما هو عدم محض؟ وقد أتى عليه حين من الدهر لم يكن شيئًا مذكورًا؟ فمنه سبحانه الإعداد ومنه الإمداد، وفضله سابق على الوسائلِ، والوسائلُ من مجرد فضله وجوده، لم تكن بوسائل أخرى، فمن نزّل اسمه الأول على هذا المعنى؛ أوجب له فقرًا خاصًا وعبودية خاصة.

طريق الهجرتين (٢٠، ٢١)

(١) مسلم ح(٢٧١٣)، وأبو داود ح(٥٠٥١)، والترمذي ح(٣٤٠٠)، وابن ماجه ح(٣٨٣١)، وأحمد ح(٨٩٦٠).

١١) (الآخر) ﷻ: وقد فسره ﷺ بقوله: «**وأنت الآخر فليس بعدك شيء**»(١) فهو الباقي بعد فناء الخلق، «والتعلق بالآخر تعلق بالحي الذي لا يموت ولا يزول، فالمتعلق به حقيق أن لا ينقطع، بخلاف المتعلق بغيره مما له آخر يفنى به، وهذا مما يوجب الاضطرار إلى عبودية الله، ودوام الافتقار إليه، فإليه تنتهي الأسباب، فليس وراء الله شيء يقصد أو يعبد».

طريق الهجرتين (٢٠-٢١) (بتصرف)

١٢) (الظاهر) ﷻ: وقد فسره ﷺ بقوله: «**وأنت الظاهر فليس فوقك شيء**»(٢) فلا شيء أعلى منه، والتعبد بهذا الاسم «يجمع القلب على المعبود، ويجعل له ربًا يقصده في حوائجه، وملجأ يلجأ إليه، فإذا استقر ذلك في قلبه، وعرف ربه باسمه الظاهر، استقامت له عبوديته، وصار له معقل وموئل يلجأ إليه ويهرب إليه كل وقت إليه».

ابن القيم، طريق الهجرتين (٣٢)

١٣) (الباطن) ﷻ: وقد فسره ﷺ بقوله: «**وأنت الباطن فليس دونك شيء**»(٣) فلا يخفى عليه شيء من بواطن الأمور وإن دقَّت، «فمن تيقن إحاطته بالعوالم، وقرب العبيد منه، وظهور البواطن له، وبدو السرائر، وأنه لا شيء بينه وبينها، فإنه سيعامل ربه بهذا المقتضى، ويطهر سريرته، ويزكي باطنه».

طريق الهجرتين (٢٦) (بتصرف)

١٤) (الرحيم) ورد في (١٢٣ موضعًا)، أكثرها مقترن باسم الله (الغفور)، وهو أخص من (الرحمن) فالرحيم متعلق بالمرحوم، بخلاف الرحمن فهو متعلق بصفة الرحمة الواسعة، وليتضح هذا المعنى تأمل الآيتين التاليتين: ﴿وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمٗا﴾ (الأحزاب:٤٣)، و﴿إِنَّهُۥ بِهِمۡ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾ (التوبة: ١١٧) فقد تعلق اسم الله (الرحيم) بالمرحومين -وهم المؤمنون- ولم يأت في النصوص أبدًا قوله: (رحمن بهم)؛ لأن اسم الرحمن يشمل البر والفاجر والمسلم والكافر والإنسان والحيوان.

بدائع الفوائد (٢٤/١) (بتصرف)

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) سبق تخريجه.

١٥) حقيقة الإيمان: أن يعرف الرب الذي يؤمن به، ويبذل جهده في معرفة أسمائه وصفاته؛ حتى يبلغ درجة اليقين، وبحسب معرفته بربه يكون إيمانه، فكلما ازداد معرفة بربه، ازداد إيمانه وكلما نقص، نقص، وأقرب طريق يوصله إلى ذلك، تدبر صفاته وأسمائه من القرآن.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن (٣٥)

١٦) (الرب) هو المربي جميع عباده بالتدبير وأصناف النعم، وأخص من هذا تربيته لأصفيائه بإصلاح قلوبهم وأرواحهم وأخلاقهم.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن (٩٤٥)

١٧) تربية الله تعالى لخلقه نوعان:

تربية عامة: فهي خلقه سبحانه للمخلوقين، ورزقهم، وهدايتهم لما فيه مصالحهم، التي فيها بقاؤهم في الدنيا.

تربية خاصة: فهي تربيته لأوليائه بالإيمان، وتوفيقهم له، وتكميله لهم، ودفع الصوارف عنهم، والعوائق الحائلة بينهم وبينه، وحقيقتها: تربية التوفيق لكل خير، والعصمة عن كل شر؛ ولعل هذا المعنى هو السر في كون أكثر أدعية الأنبياء بلفظ الرب، فإن مطالبهم كلها داخلة تحت ربوبيته الخاصة.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن (٣٩، ٩٤٥)

١٨) (الواحد/ الأحد) الذي توحد بجميع الكمالات، وتفرد بكل كمال، ومجد، وحمد، وحكمة، ورحمة، وغيرها من صفات الكمال فليس له فيها مثيل ولا نظير، فهو الأحد في حياته، وقيوميته، وعلمه، وجلاله، وجماله، وغيرها من صفاته، موصوف بغاية الكمال، فيجب على العبيد توحيده: اعتقادًا، وقولًا، وعملًا، بأن يعترفوا بكماله المطلق، وتفرده بالوحدانية، ويفردوه بأنواع العبادة.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن (٩٤٥)، بهجة قلوب الأبرار (١٦٥)

١٩) (اللطيف) ﷻ: الذي يوصل رحمته لخلقه بالطرق الخفية، فيلطف بهم من حيث لا يعلمون، ويسبب لهم مصالحهم من حيث لا يحتسبون، ولا يخفى عليه شيء من أعمالهم. وإذا أردت أن ترى شيئًا من آثار هذا الاسم العظيم، فتأمل خاتمة قصة يوسف: ﴿إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ﴾ (يوسف:١٠٠) أي: يوصل بره وإحسانه إلى العبد من حيث لا يشعر، ويوصله إلى المنازل الرفيعة من أمور يكرهها.

السعدي، تيسير الكريم الرحمن (٤٠٥) (بتصرف)

٢٠) (الفتاح) ﷻ.. الذي يحكم بين عباده بشرعه..

الذي فتح لعباده جميع أبواب الخير: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا﴾ (فاطر: ٢).

ألم تر كيف فتح لبعض عباده أبوابًا من الرزق لا تخطر على البال؟ وفتح على قلوب آخرين، فملأها بالعلم الرباني، والحقائق الإيمانية؟

وتاج ذلك كله: فتح القلب لمحبته والإقبال عليه سبحانه، والفهم عنه وعن رسوله، نسأل الله الكريم من فضله.

السعدي، فتح الرحيم (٤٢)

٢١) (الجبار) ﷻ.. الذي يجبر الكسير، ويغني الفقير، ويجبر المريض والمبتلى، ويجبر جبرًا خاصًا قلوب المنكسرين لجلاله، الخاضعين لكماله، الراجين لفضله ونواله، بما يفيضه على قلوبهم من المحبة وأنواع المعارف الربانية، والفتوحات الإلهية، والهداية والإرشاد والتوفيق والسداد.

السعدي، فتح الرحيم الملك العلام (٢٦)

٢٢) (الودود) ﷻ.. يتودد إلى خلقه بصفاته الجميلة، وآلائه الواسعة، الخفية والجلية.. يحب أولياءه ويحبونه.

أرأيت كيف يشرد العبد عن ربه فيتجرأ على حدوده، ويترك الواجبات، وربه يستره، ويمده بالنعم، ثم يقيض له من الأسباب ما يرده إلى مولاه؟ فيتوب ثم يغفر له تلك الجرائم، بل ويعيد عليه حبه ووده؟ وهذا -والله أعلم- سر اقتران الودود بالغفور في قوله: ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ﴾ (البروج:١٤).

السعدي، فتح الرحيم الملك العلام (٤٩- ٥٠) (بتصرف)

٢٣) ما السر في اقتران اسم الله (القدوس) باسم (الملك) في القرآن والسنة؟! لعل السر في ذلك: أن من صفات هذا الملك أنه قدوس، وهذا إشارة إلى أنه سبحانه مع كونه ملكًا مدبرًا متصرفًا في كل شيء، فهو قدوس منزه عما يعتري الملوك من النقائص، التي أشهرها الاستبداد والظلم والاسترسال مع الهوى والمحاباة.

ابن عاشور، التحرير والتنوير (٢٨/١٠٧)

٢٤) من معاني (القدوس) ﷻ: ذو البركة والفضل، ومنه: ﴿ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ﴾ (المائدة: ٢١) أي: المباركة. ومن آثار «القدوس»: أن يكون أولياؤه قديسين -أي مباركين- كما جاء في الإنجيل: أن النبي الخاتم يفتح مكة بعشرة آلاف من القديسين.

د. سلمان العودة، مع الله (٥٧-٥٩) (بتصرف)

٢٥) (السلام) ﷻ: كثيرون يعلمون أن معنى (السلام) السالم في ذاته وأسمائه وصفاته من كل نقص وعيب، وأنه الذي يسلم عباده، ومع ذلك تتعجب ممن يرددون هذا الاسم ثم تتحول حياتهم إلى حرب لا تهدأ مع الأقربين والأبعدين، وعلى كافة المستويات: النفسية والسلوكية والفكرية والأسرية.

د. سلمان العودة، مع الله (٦١)

٢٦) (الوارث) ﷻ: الباقي بعد فناء خلقه، والمسترد أملاكهم بعد موتهم، ومن أعظم آثار الإيمان بهذا الاسم:

١- الاجتهاد في العمل الصالح المؤدي للجنة التي لا يورثها الله إلا للمتقين.

٢- أن الباطل مهما انتفش، فإلى زهوق، وسيورث الله عباده المتقين أرضه؛ ليقام عليها حكم الله: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ (الأنبياء: ١٠٥).

ولله الأسماء الحسنى (١٨٢-١٨٤) (بتصرف)

٢٧) (المتكبر) ﷻ: المتعالي والمتكبر على عتاة خلقه إذا نازعوه العظمة فيقصمهم، فمن فقه معنى هذا الاسم، أورثه ذلك:

- التواضع لله، والانكسار بين يديه.

- الانقياد للشرع، والإذعان للحق.

- كل متكبر جبار من الخلق فسيقصمه المتكبر ﷻ، وهذا يورث التواضع للعباد، وإلا فسيرى المتكبرون يوم القيامة كأمثال الذر يطأهم الناس.

ولله الأسماء الحسنى (٢٢٧-٢٣٢)

٢٨) (الكريم) ﷻ.. الذي يبدأ النعمة قبل الاستحقاق، ويتبرع بالإحسان من غير استثابة، ويغفر الذنب، ويعفو عن المسيء.. يقول الزجاجي ﷺ: «الكريم: الجواد، والعزيز، والصفوح، هذه ثلاثة أوجه للكريم في كلام العرب، كلها مما يوصف الله به ﷻ» ا.هـ.

ولله الأسماء الحسنى (٥٨٩)

٢٩) لن تحتاج إلى عناء لتأمل شيئًا من معاني وآثار اسم الله:

(الرحمن) فقط تأمل قوله تعالى: ﴿وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖ﴾، (الأعراف:١٥٦) فإيجادك، ورزقك، وصحتك، وتسخير المخلوقات لك، ولباسك، ونومك، وجوارحك، وغير ذلك، كلها من آثار هذا الاسم (الرحمن) ﷻ، فرحم الله عبدًا ترجم شكره إلى عمل.

٣٠) (الملك) ﷻ.. وليس في الوجود ملك ينفذ أمره في كل ما يريد إلا (الملك) سبحانه، فله النهي والتصرف بقوله وأمره، تمَّ ملكه بكمال غناه عن خلقه، أما ملوك الأرض فلا يستغنون عن مستشارين وأعوان، تأمل: ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمۡلِكُونَ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا لَهُمۡ فِيهِمَا مِن شِرۡكٖ وَمَا لَهُۥ مِنۡهُم مِّن ظَهِيرٖ﴾ (سبأ:٢٢).

٣١) من مظاهر كمال ملك (الملك ﷻ):

- أنه هو الذي يؤتي الملك من يشاء وينزعه ممن يشاء، فلم يدم لأحد ملك ولن يدوم إلا ملكه سبحانه.

- أن أي ملك مهما اتسع ملكه لا يستطيع أن يملك نفسه ملكًا تامًا، ولقد عبر عن ذلك أحد زعماء أوروبا حين قال -بعد انتصاره في الحرب العالمية-: «ملكنا العالم ولم نملك أنفسنا».

٣٢) (القدوس) ﷻ: المتصف بالكمال، المنزه عن كل نقص وعيب، حتى ولو كان كمالًا في حق المخلوق، فالنوم -مثلًا- كمال في حق المخلوق لكنه نقص في حق الخالق؛ ولهذا ورد في الحديث الجمع بين «السبوح والقدوس» أي: أننا ننزه عن كل نقص، المطهر من كل ما لا يليق بجلاله.

٣٣) من آثار الإيمان باسم الله (السلام):

- سلامة أقوال المؤمنين وأفعالهم من الفحش والبذاءة: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا﴾(الفرقان: ٦٣).

- ربنا سلام يحب السلام، وسيلقى أولياءه في جنته بالسلام، ورسول السلام يقول: **«أفلا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم»**[(١)].

(١) مسلم ح(٥٤)، وأبو داود ح(٥١٩٣)، والترمذي ح(٢٦٨٨)، وابن ماجه ح(٦٨).

٣٤) (المؤمن) ﷻ: ومعنى هذا الاسم يدور على معان، منها:

١- المصدق لرسله وأنبيائه فيما بلغوا عنه، الذي يقيم لهم الشواهد على صدقهم.

٢- الذي أمن خلقه من أن يظلمهم. وهذا يروى عن ابن عباس(١).

٣- الذي يؤمن خوف عبده الذي لجأ إليه بصدق في كشف كربته، ويؤمنهم يوم الفزع الأكبر.

٣٥) (الحي) ﷻ: وإذا قرن باسمه (القيوم) فهو الاسم الأعظم في قول بعض العلماء، ومن آثار الإيمان بهذا الاسم:

- التوكل الصادق: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾ (الفرقان:٥٨).

- تعظيم الله وإجلاله حينما يتذكر العبد كمال خالقه بكمال حياته، ويدرك نقصه وضعفه حين يعلم أن الخلق كلهم سيموتون، فسبحان الحي الذي لا يموت.

٣٦) (العظيم) ﷻ: ألم يستوقفك كثرة ورود هذا الاسم في أدعية نبيك ﷺ؟ إنَّ تأمل معناه ليورث في النفس:

١- خضوعًا واستكانةً وتذللًا لعظمة الله! تأمل في أركان وواجبات وأذكار الصلاة! فستجدها تدور على تعظيم العظيم.

٢- تعظيمًا لشعائر الله كالصلاة والحج وسائر الشعائر ولو كانت من السنن كالعيدين.

٣- تعظيمًا لحرمات الله وحدوده.

٣٧) (العلي/ الأعلى/ المتعال) ﷻ: أسماء يفسر بعضها بعضًا ويستشعر المؤمن وهو يتدبر معانيها:

- علو الله تعالى بذاته وأسمائه وصفاته.

- الخضوع والإخبات لهذا العلي العظيم.

- الحذر من العلو في الأرض بغير الحق.

- تنزيه الله تعالى عن كل ذم ألحقه به الظالمون، تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا.

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٨/٨٠.

٣٨) (الحكيم) ﷻ.. أتقن كل شيء خلقه وشرعه.. فلا يخلق شيئًا عبثًا، ولا يشرع شيئا سدى.. وفي أقدار الله أسرار وأسرار.. تأمل -مثلًا-: أين تربي موسى ﷺ؟ ثم كيف انتهت قصته مع فرعون؟ تدبرها وغيرها من القصص.. تجدها كلها ناطقة بحكمة أحكم الحاكمين.

٣٩) (السميع) ﷻ.. الذي تمدح بسعة سمعه من فوق سبع سماوات لخبر امرأة جاءت تجادل في زوجها، وعائشة في ناحية الحجرة لا تسمع!

السميع الذي أجاب دعوة يوسف: ﴿فَٱسۡتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنۡهُ كَيۡدَهُنَّۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ (يوسف:٣٤) فيَا كُلَّ مهموم! ويَا كُلَّ مكروب! ربك يحب أن يسمع دعاءك وشكواك.. فارفعها.. فإنما هي (كن) ويأتي الفرج.

٤٠) (الرزاق) ﷻ.. هل رأيت نملة تسحب حبة إلى بيتها؟ أو طائرًا يجوب الفضاء وفي فمه قطعة من طعام؟ أو جنينا في بطن أمه؟ من الذي رزقها كلها؟ أما إذا اطمأن قلبك بذكره، أو نزلت عليك سكينة عند مصيبة، أو أنعم عليك ربك بالرضا بمر القضاء.. فهذا رزق القلوب، وهو البحر الذي لا ساحل له!.

٤١) (الوهاب) ﷻ: تأخر الولد عنه (٢٠ سنة)، فدعا ربه، فوهبه ولدًا.. يسرف على نفسه بالمعاصي، فيأوي إلى كنف الله، فيهبه منه رحمة تسكب السكينة والإيمان في قلبه.. يخاف من زيغ قلبه، فيتذكر أن الثبات على الحق من أعظم المنن، فيلهج بـ ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغۡ قُلُوبَنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَيۡتَنَا وَهَبۡ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةًۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ﴾ (آل عمران: ٨).

٤٢) (الغني) ﷻ.. هو لا يتذكر هذا الاسم عند رؤية أصحاب الملايين فحسب، بل هو يهتز حينما يرى ملايين الناس في عرفة ورمضان -في الحرمين- رافعي أيديهم يسألونه حاجاتهم بكل ذل وافتقار، وفيهم الملوك والتجار والفقراء، وكأنه يسمع نداء ربه ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ﴾ (فاطر:١٥) وحينما يتذكر أن أشرف الغنى غنى القلب لم يملك إلا الانكسار بين يدي مولاه.

٤٣) (الشهيد) ﷻ..

فهو أعظم شاهد على توحيده، وعلى بلاغ رسله..

الشهيد.. الذي إذا تذكر العبد شهادته عليه، استحيا منه أن يراه على معصيته..

ولو تدبرت هذه الآية جيدًا؛ لازداد فهمك لمعنى اسم الشهيد:

﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ﴾.

﴿وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ﴾.

﴿وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ﴾.

﴿إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ (يونس: ٦١).

٤٤) (الواسع) ﷻ..

هل تتذكر قول عائشة ﵂ -في قصة المجادلة-: «الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات؟! لقد جاءت المجادلة إلى النبي ﷺ، وإني لفي ناحية البيت ما أسمع قولها»![1].

ألم تتأمل سعة السماء؟

ألا ترى كم وسع الله عليك في رزق بدنك وقلبك؟

سبحانك ربنا! يا من شمل فضله الواسع جميع خلقه!

٤٥) (المجيد) ﷻ.. عظيم الصفات، الذي تمجد بأفعاله، فمجده خلقه لعظمته.. يتذكر العبد هذا المعنى، وهو يقرأ في (الفاتحة): ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ (الفاتحة: ٤) وكأنه يسمع مولاه يجيبه: مجدني عبدني.

يا الله! ما أعظمه من شرف أن نقف هذا الموقف؛ ليجيبنا الرب بهذا الجواب الذي يملأ القلب تعظيمًا وحبًا للحميد المجيد.

٤٦) (الخبير) ﷻ: المحيط ببواطن الأشياء وخوَافيها كما أحاط بظواهرها.. لقد وعظ الله عباده بهذا الاسم في مواضع عدة.. فوعظ المطْلِقين لأبصارهم في الحرام بهذا الاسم (النور:٣٠)، ووعظ أصحاب الإرادات السيئة بهذا الاسم (النساء:١٣٥)، فتفقد قلبك -يا عبد الله- فإنه موضع نظر الرب الخبير، وفتش عن إراداتك ونواياك.

(١) ابن ماجه ح(١٨٨).

٤٧) (القوي) ﷻ: قلب بصرك في السماء التي فوقك! وتأمل في الزلازل والفيضانات! لو سألتها لأجابتك: هذا صنع القوي جل في علاه.

ترى.. كم مر بك من سير الأقوياء بأبدانهم أو بسلطانهم؟ أين وكيف هم الآن؟ ولذا لما افتخرت عاد بقوتها، قيل لهم: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ (فصلت: ١٥)؟!

٤٨) (المتين) ﷻ: الذي تناهى في قوته وقدرته، فتكفل برزق جميع المخلوقات، وأوصله إليهم برًا وبحرًا وجوًا، وهذا ما لا يقدر عليه إلا الله المتين ﷻ.

٤٩) (العزيز) ﷻ: عز كل شيء فقهره، وغلب الأشياء فلا ينال جنابه لعزته وعظمته، يشهد العبد العزة إذا تمسك بدينه: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (المنافقون:٨)، ﴿فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ (فاطر:١٠)، ويشهدها العبد حين يأتي القدر على خلاف مراده، ويشهدها في مقام تَذَلّلِهِ بين يدي مولاه العزيز تبارك وتقدس.

٥٠) (القاهر/ القهار) ﷻ: العالي على خلقه، الذي خضعت له الرقاب، وذلت له الجبابرة، وعنت له الوجوه كلها.. من فهم هذا الاسم حقًا، لم يلج من بوابة الشرك: ﴿ءَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ (يوسف: ٣٩)، بل تعلق قلبه بربه القهار، وتوكل عليه، وقطع العلائق بالأسباب المقهورة.

٥١) (القدير/ المقتدر) ﷻ: أوجد المخلوقات، ودبرها وأحكمها بقدرته، يحي ويميت، ويقلب الأحوال والقلوب بقدرته، لا يمنعه ولا يعجزه من فعل ما يريده شيء..

إذا هالك منظر السماء بغير عمد، أو تنوع المخلوقات في البر والبحر، أو رأيت آثار الزلازل والأعاصير، فتذكر قدرته.. فهنيئًا لمن أورثه هذا الاسم قوة تعلق بربه، وصدق توكل عليه.

٥٢) (الخالق/ الخلاق) ﷻ.. هل تأملت في خلق الله لك؟

ألم تحاول أن تتخيل خلقك لو كان على غير هذه الصورة؟!

هل أجلت نظرك فيما حولك من مخلوقات؟ وهل تفكرت لحظة في ذلك التنويع العجيب في أصناف مخلوقات البحر؟ من الذي أبدع صنعها؟ من الذي أحسن خلقها؟

إنه ﴿الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ﴾ (الحشر:٢٤).

٥٣) (الحافظ/ الحفيظ) ﷻ: يحفظ السماوات والأرض حتى لا تزول ولا تندثر: ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَا﴾ (البقرة: ٢٥٥)، ويحفظ أعمال عباده ويحصيها في كتاب: ﴿لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً﴾ (الكهف:٤٩)، ويحفظ عبده من المهالك والمعاطب، وأعلى صور الحفظ التي نسأل الله إياها: حفظه لأوليائه عما يضر إيمانهم، أو يزلزل يقينهم من الشبهات والفتن.

٥٤) (الولي) ﷻ: الذي تولى شؤون خلقه عامة، وتولى خواص خلقه، وهم أولياؤه، فهو ينصرهم ويتولاهم بعونه وتوفيقه، ومن أعظم آثار توليهم أنه: ﴿يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ (البقرة:٢٥٧)، فكيف نكون من أوليائه؟ الجواب في هذه الآية: ﴿إِنۡ أَوۡلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُتَّقُونَ﴾ (الأنفال:٣٤) الذين: ﴿لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ (يونس:٦٢-٦٤).

٥٥) (الكافي) ﷻ: الذي يكفي عباده؛ فيرزقهم، ويحفظهم، ويدفع عنهم الملمات، الذي يكفي بمعونته عن غيره، ولا يكفي منه أحد، كما قال تعالى: ﴿أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عباده﴾ (الزمر:٣٦) بالجمع كما في القراءة الأخرى، إنه الله الكافي الذي أجاب دعاء الغلام حين قال: «**اللَّهُمَّ اكفنيهم بما شئت**»[1]، فكفاه.

٥٦) (المولى) ﷻ: ناصر أوليائه، خاذل أعدائه: ﴿أَنتَ مَوۡلَىٰنَا فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ (البقرة: ٢٨٦)، وهو تعالى مولى الخلق كلهم باعتبار كمال ملكه، وتمام قهره للخلق: ﴿ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوۡلَىٰهُمُ ٱلۡحَقِّ﴾ (الأنعام:٦٢)، فاحرص أن تكون من أهل الولاية الأولى، فهم: ﴿لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾ (يونس:٦٢)، واحذر أن تعادي أحدًا منهم، فمن عادى وليًا لله، فقد آذن ربَّه بالحرب!

---

(١) مسلم ح(٣٠٠٥)، وأحمد ح(٢٣٩٣١)، والنسائي ح(١١٥٩٧).

٥٧) (الوكيل) ﷻ: الذي تكفل بأرزاق خلقه وحاجاتهم، ومحياهم ومماتهم: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ (الأنعام:١٠٢) المدبر لشؤون خلقه، لا يشغله شيء عن شيء، المحيط بكل شيء علمًا سبحانه وبحمده.

٥٨) (الصمد) تقدست أسماؤه: السيد المطاع، الذي تصمد له الخلائق في أمورها، وينزل الخلق حوائجهم به، ولا أحد فوقه.. صمدت إليه القلوب رغبة ورهبة ﴿يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ﴾ (الرحمن:٢٩)، أحب أحد الصحابة سورة (الصمد) فأحبه الله، فتفقد حب هذه السورة ومعانيها في قلبك!.

٥٩) (الهادي) ﷻ: هدى خلقه، فعرفوه بربوبيته، وألوهيته، وأسمائه وصفاته، وأقام منارات الهداية في طريق السائرين إليه وإلى الدار الآخرة، فأجل ما أعطي العبد أن يحقق الله دعاءه اليومي: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ (الفاتحة:٦).

الهادي.. الذي هدى البهائم وألهمها لتقوم بمصالحها وتتقي مهالكها، فسبحان من ﴿أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ (طه:٥٠).

٦٠) (الحكم) خير الحاكمين ﷻ: الذي يقضي بين عباده فيما كانوا فيه يختلفون بالقسط، فلا يظلم مثقال ذرة، ولا يجازي أحدًا بأكثر من ذنبه، هو الحكَم وإليه الحُكم، لا يجد المؤمن في نفسه حرجًا من حكمه ﷻ -وإن خالف هواه-، بل لسان حاله -لو دُعي لغير حُكمه- أن يقول: ﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا﴾ (الأنعام: ١١٤).

٦١) (البر) ﷻ: اللطيف بعباده، يحسن إليهم، ويصلح أحوالهم.. هل تفكرت في النعم التي تتقلب فيها؟ إنها جميعًا من آثار بره بك ﷻ.. أما بره بأوليائه فهو أعظم البر.. وأجل ثمرات ذلك أن يبلغهم دار السلام، ألم تسمع قوله تعالى عن أهل الجنة: ﴿إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ﴾ (الطور:٢٨)؟

٦٢) (الحليم) جل في علاه.. ألم تر كيف يسرف العبد على نفسه، وربه يرخي عليه ستره، ويحلم عنه؟!

فوالله لولا عفوه ما ترك على ظهرها من دابة!

إنَّ عِلم المؤمن بحلم الله يغلق عليه باب اليأس من رحمة الله، كما أنه يجعله يحذر غضب الحليم سبحانه!

٦٣) (التواب) ﷻ.. جاء هذا الاسم على صيغة المبالغة؛ ليشمل تكرر توبته على عباده، الذين يتكرر منهم الخطأ والذنب! فعجبًا لمن يقنطه الشيطان من ذنوبه مهما عظمت وهو يعلم أن من أسماء ربه: التواب الرحيم!

٦٤) (الشاكر/الشكور) ﷻ: يزكو عنده القليل من العمل الصالح، ويعفو عن الزلل، ولا يضيع أجر من أحسن عملًا، بل يضاعفه أضعافًا كثيرة، وقد يجزي الله العبد على العمل بأنواع من الثواب العاجل قبل الآجل .. أفلا يورثنا هذا حبًا لربنا وحياء منه على تقصيرنا في شكره قولًا وعملًا؟

٦٥) (البصير) تقدس اسمه: الذي أحاط بصره بكل شيء، فيرى دبيب النملة السوداء، على الصخرة الصماء، في الليلة الظلماء، ويرى جميع أعضائها الباطنة والظاهرة، وسريان القوت في أعضائها الدقيقة، ويرى نياط عروقها، ويرى ما هو أصغر وأدق من ذلك .. فهل يورثك هذا العلم بعظيم بصره مراقبة له في سرك وعلنك؟

٦٦) (القريب) ﷻ: فهو قريب من خلقه بعلمه وخبرته، وهو قريب من عابديه وسائليه ومجيبيه، وهذا القرب يقتضي محبتهم ونصرتهم وحسن وثوابهم ..

فيا عبد الله! هذا ربك القريب يقول -وهو الغني-: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ﴾ (البقرة: ١٨٦) فأرِ الله من نفسك خيرًا.

٦٧) (المجيب) جلا وعلا: الذي يجيب المضطر إذا دعاه، ويغيث الملهوف إذا ناداه، حتى ولو كان في حالة اضطراره مشركًا .. فكيف إذا كان الداعي مؤمنًا موحدًا؟ إن الله لا يخفى عليه شيء من أحوالنا، لكنه يحب -وهو الغني عنا- أن يسمع دعاءنا، وأن نظهر له اضطرارنا.

٦٨) (المحيط) جل في علاه: الذي أحاط بكل شيء: علمًا، وقدرة، ورحمة، وقهرًا، وهذا يورث العبد:

١ - خوفًا من الله وحياء منه.

٢ - الحذر من ظلم العباد والاعتداء عليهم؛ لأنه تعالى محيط به، فما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها.

٣ - عدم تضخيم قوة الأعداء مهما بلغت، مع الأخذ بأسباب دفع شرهم.

٦٩) (الحسيب) ﷻ: بمعنى الكافي عبده همومه وغمومه، وأخص من ذلك أنه الحسيب للمتوكلين، وهو الذي يحفظ أعمال عباده ويحاسبهم، إن خيرًا فخير وإن شرًا فشر، الحاسب لعباده.

فرحم الله عبدًا حاسب نفسه قبل أن تحاسب، وتذكر لحظة يبهت فيها أهل الإجرام حين يوضع الكتاب الذي لا يغادر صغيرة ولا كبيرة!

٧٠) (المبين) ﷻ: الذي أبان لعباده الأدلة في الآفاق وفي الأنفس على وجوده ووحدانيته، وهو المبين -سبحانه- الذي أظهر الحق للخلق، وأبانه لهم على ألسنة رسله، وفي كتبه التي أعظمها القرآن الذي وصفه الله بأنه (مبين) و(تبيان) وكل هذا الذي يثمر في قلب المؤمن طمأنينة على قيام الحجة في الفطرة وفي الوحي المنزل.

القرآن غيرني

١) كنت متهاونة في أمر الصلاة، وأعيش في ضيق، وتمر بي أزمات ومشاكل لا طاقه لي بها، وأتمنى أن أجد حلًا.. وفي أحد الأيام سمعت قوله تعالى: ﴿وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾ (البقرة: ٤٥) فانتبهت و قلت لنفسي: إن ربي يأمرني أن أستعين بالصبر والصلاة، وأنا لا أزال مفرطة؛ فكانت نهاية التفريط في تعلقي بالصلاة.

٢) كنت فيما مضى غافلًا لاهيًا لا أفكر إلا في مصالحي .. وذات مرة -وأنا أصلي- سمعت الإمام يتلو قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ﴾(البقرة:١٤٦) وكنت ممن يحفظون من كتاب الله لكني مقصر في العمل، فخشع قلبي لها، ومن ذلك الحين بدأت حياتي تتغير، وبدأت أخشع في صلاتي، ولله الحمد والمنة.

٣) أقرضت قريبة لي ٥٠٠٠ آلاف ريال، فلما تذكرت قوله تعالى: ﴿وَأَن تَصَدَّقُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ (البقرة:٢٨٠)، سامحتها؛ فعوضني الله أن قيض لي أحد أقاربي، فسدد عنّي أقساطًا بأكثر من ١٠٠,٠٠٠ ريال.

٤) هذه الآية غيرتني ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ (آل عمران:٩٢)، فعندما تأملتها، قلت لنفسي: أنا لن أدخل الجنة حتى أنفق مما أحبه، كنت أحب النوم فصرت أترك منه جزءًا كبيرًا وأقوم الليل، ولمّا أضعف، أتذكر الآية!

٥) تغيرت حياتي بسبب قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾(آل عمران:١٤٢) فقد كنت مقصرة، وأظن أن الالتزام صعب، فتدبرت هذه الآية، فأثرت فيّ كثيرًا، وتفكرت ماذا سيصيبني مقابل ما حصل للصحابة، وما هي الصعوبة التي أمامي؟ لا شيء! وأحسست أن الله شكر لي التغيير اليسير مني، ووفقني للالتزام بالشرع كله بإذنه تعالى.

٦) كنت يومًا أقرأ: ﴿وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا﴾ (آل عمران:١٩٥) فاستوقفتني ﴿وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي﴾ وسألت نفسي: هل أوذيت في سبيل الله؟ فحزنت، وخشيت ألَّا أنال حظًا من الآية، وعزمت أن أتحرك وأبذل لديني، وأتحمل التبعات؛ حتى أنال الجزاء الوارد في ختام الآية.

٧) بعد سلوكي طريق الاستقامة هجرني القريب، ولامني البعيد، وأحسست بالوحشة، بدأت بلوم نفسي لعلني أخطأت الطريق، وفي يوم بلغ الأمر مبلغه، وأنا أقرأ حزبي من القرآن استوقفتني آية: ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا﴾(النساء:٢٧)؛ فعاد السكون إلى قلبي وأحسست ببرد اليقين.

٨) كنت واقعة في ذنب يشق علي تركه، وفي كل مرة ارتكبه يتملكني شعور بالضيق الشديد، وفي أحد الأيام فتحت المذياع؛ فإذا بقول الله ﷻ: ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ﴾ (النساء:١٠٨) يرتله أحد القراء بصوت مؤثر جدًا؛ فاقشعر جسمي، وكان ذلك اليوم الحد الفاصل بين المعصية والإنابة إلى الله.

٩) كنت أستغفر وأتوب باستمرار؛ فجاءني الشيطان قائلًا: كل هذا الاستغفار! ولا فرج ولا إجابة! فتركت وساوسه، فقرأت رسالة عظيمة من ربي، وهي قوله تعالى: ﴿مَّا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَآمَنتُمْ﴾(النساء:١٤٧) فقلت: نعم! والله إن ربنا لغني عنا، وعن تعذيبنا! إنما هي ذنوبنا التي نسينا كثيرًا منها، فأدمت الاستغفار، والحمد لله.

١٠) حدث بيني وبين أحد إخوتي سوء تفاهم؛ فأرسل رسالة جوال تحمل: اتهامات باطلة، وظنونًا سيئة، وكلمات مؤلمة؛ فغضبت وكدت أن أدفع الإساءة بمثلها، فقرأت قول أحد ابني آدم: ﴿ لَئِنْۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ ﴾ (المائدة:٢٨) الآية؛ فعلمت أن المؤمن يجب أن يجعل خوف الله نصب عينيه، ولا تغلبه حظوظ النفس، وتأخذه العزة بالإثم؛ فآثرت كظم غيظي، والعفو عنه، والإحسان إليه.

١١) من أعظم الأشياء التي كانت تصدني عن التوبة: تلبيس الشيطان عليّ في القنوط من رحمة الله، وأني صاحب ذنب لا يُغتفر؛ حتى قرأت: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٤﴾﴾ (المائدة:٧٣) فإذا كان الله فتح باب التوبة لمن نسب له الصاحبة والولد، فكيف بمن دونه!

١٢) حاولت -بعد عدة محاولات- الامتثال لقول الحق ﷻ: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ (الأعراف:٥٦)؛ فوجدت ما سرني، مع أني لم أحسن إلا بالقليل، إلا أن رحمة الله كانت أسبق، فسبحانه جل في علاه.

١٣) ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ﴾ (يونس:٣) كنت سابقًا أهتم في شؤون الحياة كثيرًا، وأرهق نفسي بذلك، وعندما تفكرت في هذه الآية؛ أيقنت أن الله ﷻ هو المدبر المتصرف في خلقه، وأن على المؤمن أن يتوكل على الله، ويعمل بالأسباب .

١٤) إني أُحدِّث عن نفسي: لقد وجدت التوبة علاجًا لداء الضيق والهموم والغموم التي أورثتها الذنوب! هكذا أوحت لي هذه الآية: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ (التوبة:١١٨).

١٥) مما أثر فيّ ذلك الخطاب المليء رقة وعطفًا، من ذلك الأب المكلوم، والمفجوع بفقد ولديه: ﴿يَٰبَنِيَّ ٱذْهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾ (يوسف:٨٧) أبعد كل هذا يناديهم بكلمة ولا ألطف منها: (يا بني)!

أهذه رحمة أب بأبنائه الذين أخطؤوا عليه؟! فكيف هي إذن رحمة أرحم الراحمين؟!

١٦) طفلة صغيرة (عمرها خمس سنوات) ضربها أخوها الذي يكبرها قليلًا، وحينما أرادت الأم أن تعاقب الابن؛ فوجئت بصغيرتها تقول: لقد سامحته كما فعل يوسف وسامح إخوته! (وكانت الأم قد قصت عليها قصة يوسف قبل ذلك).

١٧) كان لي موعد بعد صلاة العشاء مع معصية، وفي صلاة العشاء قرأ الإمام قوله تعالى: ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ (إبراهيم:٣٤)؛ فتذكرت ما أنا فيه من الخير والنعيم .. واستحييت، فأحمد الله على التوبة.

١٨) كنت كثيرة العصيان في أوقات الخلوة، وأشعر بالندم لحالي، وبعد فترة كنت مع رفقة صالحة، وتذكرت أمري، ودعوت الله أن يغفر لي، وأمسكت المصحف؛ فوقعت عيني على قوله: ﴿رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِى نُفُوسِكُمْ إِن تَكُونُوا۟ صَـٰلِحِينَ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا﴾ (الإسراء:٢٥) فبكيت، وعزمت على تزكية نفسي؛ لتكون أهلًا للمغفرة.

١٩) آية عشت معها، وأصبحتْ منهجًا في حياتي: ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ (الإسراء:٣٦) فإذا حدثتني نفسي -خصوصًا إذا كنت خاليًا وعلى النت- أن أرى ما لا يرضيه، جاءت هذه الآية أمامي؛ لتردعني.

٢٠) كان بيني وبين الصُّحبة الصالحة بعض المشاكل، حتى وسوس لي الشيطان ترْكهم، فقرأت قوله تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم﴾ (الكهف: ٢٨)؛ فكان ذلك أعظم مثبِّت لي معهم، وعلمت أنه «**إنما يأكل الذئب من الغنم القاصية**»[1].

٢١) عالجت مشكلة ضعف الخشوع في صلاتي بتذكر هذه الآية: ﴿وَعُرِضُوا۟ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا﴾ (الكهف: ٤٨) فكلما تذكرت الوقوف بين يدي الله والعرض عليه -وأنا أصلي-، زاد خشوعي حينها؛ لأن صفة العرض في الصلاة تشبه صفة العرض يوم القيامة.

(١) الحاكم ح(٧٦٥).

٢٢) كنت لا أعرف طريق المسجد! والحياة عندي عبث في عبث! فسمعت يومًا قارئًا يقرأ قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا ﴾ (الكهف:١٢٤) فتأملت في حالي؛ فأحسست حقًا أن كل ما كنت فيه من لهو وعبث وضلال ليس إلا لهثًا وراء سعادة زائفة! معيشة ضنكًا؛ فأطفأت السيجارة، وأشعلت أنوار الإيمان، أسأل الله الثبات.

٢٣) كادت الشهوة ترديني الهاوية -عياذًا بالله-؛ حتى تدبرت قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴾ (الكهف:١٣١) جعلت أردد وأتدبر: ﴿ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴾؛ فصغرت في عيني الشهوة.

٢٤) عندما أسمع أو أقرأ هاتين الآيتين: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ﴾ (الأنبياء:٩٠)، و: ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿١٢﴾ ﴾ (الواقعة:١٠-١٢)، أتساءل: كم سبقَنا إلى الرحمن من سابق، وتعب في مجاهدته نفسه، لكنه الآن صار من المقربين! فأعود إلى نفسي وأحتقرها إذا تذكرت شديد تقصيرها، وأقول: يا ترى أين أنا؟!

٢٥) وقع بيني وبين زوجة أخي سوء تفاهم، وهي التي أخطأت في حقي، وبدأتُ أدعو ربي كيف أتصرف؟ فوصلتني من جوال تدبر رسالة عن قوله تعالى: ﴿ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ (المؤمنون:٩٦) فعملت بها، والآن أمورنا أحسن.

٢٦) هذه الآية: ﴿ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴾ (النور:١٥) غيّرت حياتي .. فأصبحتْ عباداتي وشؤون حياتي اليومية -مع زوجي وأبنائي ومع الصغير والكبير بل والقريب والبعيد- على أساس تعظيم شأن كل طاعة ومعروف وإحسان وبر، مهما صغر ولم يؤبه به، وكذا تعظيم المعصية أو الإثم والسيئة والأذى مهما قلل أو احتقر شأنها الآخرين، فصرت أنصح وآمر وأنكر بها.

٢٧) كنت ممن أقوم ببعض المعاصي طاعة لزوجي مع أنها محرمة؛ تجنبًا لغضبه، حتى قرأت ذات مرة الآية: ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾(النور:٦٣)؛ فارتجف قلبي، وارتعدت فرائصي، وبكيت خوفًا، وعاهدت الله ألا أعصيه ولو غضب زوجي.

٢٨) حفظت القرآن وعمري (١١ عامًا)، ثم ضيعت ما حفظت، ثم وقفت يومًا متدبرًا لهذه الآية: ﴿ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوۡمِى ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ مَهۡجُورٗا ﴾ (الفرقان:٣٠) فعقدت العزم مستعينًا بالله؛ فراجعت القرآن وأتقنته، وحصلت على إجازتين في الإقراء، وأصبحت إمام وخطيب جامع.

٢٩) كنت أصلي بالناس في صلاة التراويح، فلما قرأت في سورة العنكبوت قوله تعالى: ﴿ أَوَلَمۡ يَكۡفِهِمۡ أَنَّآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحۡمَةٗ وَذِكۡرَىٰ لِقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴾ (العنكبوت:٥١) تأثرت كثيرًا، وبكيت بكاء وجدت له طعمًا ولذة، وطال وقوفي عندها، وأنا أتأمل كفاية القرآن، وما فيه من الرحمة والذكرى.

٣٠) لقد تأثرت بآية في كتاب الله، وكانت سبيلي للهداية وهي قوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَا ﴾ (العنكبوت:٦٩) فقد كنت أرددها في نفسي وأنا ذاهبة للكلية وخارجة منها، وفي أغلب أحوالي، مع خوف واستشعار لهذه الآية، والحمد تغير حالي، واهتديت بفضل الله، وأصبحت حافظة لكتاب الله، نسأل الله الثبات.

٣١) كانت لي قصة مع هذه الآية: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَا ﴾ (العنكبوت:٦٩)، فقد كنت طالبة بالتحفيظ وتدبرتها، وأثرت على سلوكي، فجاهدت؛ حتى بَلَّغني ربي مستوى ومكانة عالية في قلوب الجميع، ولله الحمد.

٣٢) كنت معجبًا جدًا بالغرب وحضارته، وفي يوم من الأيام كانت جدتي معي في سيارتي، فأخذت أحدثها عن حضارة الغرب وتقدمهم، فتلت علي قوله تعالى من سورة الروم: ﴿ يَعۡلَمُونَ ظَٰهِرٗا مِّنَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ عَنِ ٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ غَٰفِلُونَ ﴾ (الروم:٧)؛ فأيقنت أن لا شيء يعدل الإيمان.

٣٣) كنت كغيري أقرأ القرآن بسرعة وهذرمة، وكان همي آخر السورة! وكنت أقرأ في الساعة الواحدة ثلاثة أجزاء، فلما استمعت إلى كلمات أحد مشايخي عن التدبر، وأثره في صلاح القلب، بدأت أدرّب نفسي على ذلك، فصرت -والله الشاهد- لا أجد لذة للقراءة إلا بالتدبر؛ حتى إني قد أبقى في الجزء الواحد نحو ثلاث ساعات، فأدركت شيئًا من معاني: ﴿لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ ﴾ (ص:٢٩).

٣٤) أنا طالب علم، وذات مرة توقَّفْتُ عند قوله تعالى: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْأَخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (الزمر:٩)، فبكيت كثيرًا على ضياع ليال كثيرة في هذه الليالي الشاتية الطويلة، وأنا لم أشرّف نفسي بالانتصاب قائمًا لربي ولو لدقائق، فكان هذا البكاء مفتاحًا لبداية أرجو أن لا تتوقف؛ حتى ألقى ربي.

٣٥) كلما أحاطني اليأس، وسكبت عيني أدمعي، وأقض الألم مضجعي، أتذكر هذه الآية: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (الزمر:١٠) راجية ما عند ربي من ثواب، ست سنوات من المرض! ها أنا أحتسب آلامها وأوجاعها؛ بما هو عند الله من ثواب، مستشعرة هذه الآية العظيمة.

٣٦) آية تستوقفني كثيرًا: ﴿ أَفَمَن يَتَّقِى بِوَجْهِهِۦ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ (الزمر:٢٤) يا له من مشهد فظيع من مشاهد المعذبين في جهنم! الأيدي مغلولة فلا يتهيأ له أن يتقي النار إلا بوجهه! إنه مشهد يكفي لردع العاصي عن معصيته، لو تخيل أنه ربما يقع له.

٣٧) جلست مرة مع شباب ممن انغمسوا في قراءات فكرية منحرفة، وسمعتهم يستشهدون لأفكارهم بمقولات الفيلسوف الفلاني والمفكر الفلاني؛ ممن لم يشموا رائحة الوحي! -والابتسامة تعلو وجوههم!- فقلت لهم: هذه الأفكار موجودة في القرآن، ثم تلوت الآيات، فتمعرت وجوههم، فتذكرت عندها قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾ (الزمر:٤٥)! فكانت هذه من عوامل هدايتي الفكرية.

٣٨) أشهد أن آية غيرت حياتي ..

كنت مولعًا بسماع الأغاني الغربية، وذات مرة وأنا أسير بسيارتي ثم أقفلت المسجل؛ فإذا بقارئ في إذاعة القرآن يقرأ: ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ (الزمر:٥٣)، فشعرت أن الله سبحانه يدعوني إلى التوبة، ومنذ ذلك الحين والأغاني من أبغض الأشياء إلى قلبي بفضل الله.

٣٩) لي ابن صغير، عندما أعِدُه بشيء ولا أنفذه، أو إذا شعر أني أكذب؛ يذكرني: ﴿ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴾(الزمر:٦٠) أتريدين هذا المصير؟!

فما أجمل أن نجعل لأولادنا شعارات قرآنية نتحاكم إليها!

٤٠) ثلاث سنين قضيتها في العلاجات والأطباء والأعشاب؛ لأرزق بطفل، وفي يوم ما وبعد أن قاربت الوصول إلى اليأس، كنت أقرأ قوله تعالى: ﴿ لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ ﴾ (غافر:٥٧)؛ فقلت: إذا كان خلق السماوات والأرض أكبر من خلق الناس، فهو قادر على أن يخلق جنينًا في رحمي، وما هي إلا أيام معدودات حتى حملت، وأنعم الله علي بطفلتي الجميلة، فله الحمد والشكر.

٤١) كلما قرأت هذه الآية: ﴿فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ ﴾ (الشورى: ٧) أو سمعتها أو ذكرتها؛ أحس قلبي يتقطع، إذ لا أعلم من أي الفريقين سأكون؟ أسأل الله أن يجعلنا من الذين: ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾.

٤٢) ﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ (الجاثية:٢١) والله الذي لا إله غيره، لقد جربت الحالتين، فلمست الفرق الذي أثبتته هذه الآية؛ حين نَفَت التماثل بين حالة العاصي وحالة المؤمن.

٤٣) ﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ (الجاثية:٢١) هذه الآية كانت درسًا لي، عندما قرأتها شعرت كأني المخاطبة.

أريد الجنة، وأريد رؤية الله سبحانه! لكن أين العمل؟!

ومن لحظتها قررت الاجتهاد في العمل الصالح.

٤٤) في ظل التقلبات والاضطرابات العالمية والإقليمية، ما قرأت هذه الآية إلا أضافت إلى نفسي نوعًا من الاطمئنان، وهي قول الحق تعالى: ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ (الفتح:٤).

٤٥) كنت أعاني من هم وضيق، فسمعت شرحًا لقصة موسى، ورأيت كيف أنه لمّا أحسن للفتاتين، وسقى لهما، ودعا ربه أتاه الفرج، وكانت عندنا مستخدمة بالمدرسة فقيرة؛ فأحسنت إليها، وطلبت من الله الإحسان؛ ففرج الله همي وشرح صدري، وصدق الله تعالى: ﴿ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴾(الرحمن:٦٠).

٤٦) يقع مني ندم كثير على أشياء كثيرة وقعت في الماضي، فتأتي هذه الآية: ﴿ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ ﴾ (الحديد:٢٣)؛ لتكون بلسمًا شافيًا لقلبي.

٤٧) كثيرًا ما أشعر بتأنيب لنفسي عند كسلي في القيام بما يجب من مثلي وأنا أقرأ قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ (الصف:٢) فكنت إذا قلت قولًا، ثم تكاسلت في فعله أهذب نفسي بهذه الآية، فأفعل هذا الأمر من غير تكاسل، ولله الحمد.

٤٨) كنت على أحد الأرصفة مع زملائي، وصدري أضيق من سَمِّ الخياط! فأتى أحد الدعاة -لا أعرفه من قبل- فوعظنا وقرأ قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴾ (الملك:١٠) فتأملتها، ووقفت معها كثيرًا، وكانت سبب رجوعي إلى الله.

٤٩) ﴿ يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ ﴾ (الطارق:٩) كل إنسان ستظهر سريرته وينكشف مخبؤه وسيظهر مستوره.. يا له من يوم..حقًا لمّا تدبرت هذه الآية حركت مكامن الخوف عندي، رغم أني أحفظها وأرددها. وصرت أتقي الله في خلوتي وفيما أحفظه في سريرتي.

٥٠) تقول إحدى الأخوات: إن آية: ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ ﴾(البلد:٤) أعطتني يقينًا أن هذه الدنيا ممر امتحان وعبر، وهنيئًا لمن صبر، وحمد ربه وشكر، وإنه لا تكتمل فرحة فيها ولا بد من نكد إما من: زوج، أولاد، جار، مرض، فقر؛ فارتحت ورضيت بما قسم لي ربي من الابتلاءات؛ لأن غايتي رضى الله.

٥١) يقول أحد الإخوة: «كنت قبل رمضان مدمنًا على مشاهدة الأفلام، ومع رمضان تبت إلى الله تعالى، وكنت أجد لذة لتوبتي وأنا أستمع للقرآن في التراويح والقيام، وبعد رمضان كلَّما وجدت من نفسي ضعفًا، ألجأ للقرآن، فأجد لذة أعظم وأطول وأعمق من تلك التي أجدها في الأفلام».

٥٢) تجربتي هذا العام في رمضان كانت مختلفة عن كلِّ الأعوام السابقة، وذلك بفضل الله، ثم بفضل خدمة تدبر، التي جعلتني أقرأ كثيرًا من تفسير الآيات، فمن خلال قراءتي للتفسير شعرت بفرق رائع وأنا أتدبر معاني القرآن، وأصبح كتاب التفسير مقارنًا لمصحفي.

٥٣) رمضان كان بدايتي الحقيقية مع التدبر، فبعد أن سمعت محاضرة لأحد المشايخ في إذاعة القرآن حول التدبر ركزت عليه، بحيث لا أنتقل من الآية حتى تؤثر في قلبي، فوجدت العجب العجاب، ووجدت حياة لقلبي، وتعلقًا بالله لم أجدها في حياتي (٣٧ سنة)، مع أنني مع الالتزام وطلب العلم منذ بضع عشرة سنة، فجعلت هذا ديدني في رمضان، فبدل أن كنت أقرأ في الساعة (٣ أجزاء)، صرت أقرأ الجزء في ساعة أو ساعتين.

لطائف القراءات (١)

١) قوله تعالى: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ في كلمة ﴿مَٰلِكِ﴾ قراءتان:

(مَالِك) بالألف، و(مَلِك) بدون ألف:

فلفظ (مَالِك) داخل تحت (مَلِك) كما قال تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ﴾ (آل عمران:٢٦)، وأما توجيه قراءة (مَلِك) أن الملِك أخص من المالك وأمدح؛ لأنه قد يكون المالك غير مَلِك، ولا يكون الملِك إلا مالِكًا.

ابن خالويه، الحجة في القراءات (٦٢)

٢) ﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيۡطَٰنُ عَنۡهَا﴾ (البقرة:٣٦)، ففي كلمة: ﴿فَأَزَلَّهُمَا﴾ قراءتان:

الأولى: بإثبات الألف والتخفيف (فأَزَالَـهُما) ومعناها: من الزوال والانتقال عن الجنة.

والثانية: بحذف الألف مع التشديد: ﴿فَأَزَلَّهُمَا﴾، والمعنى: من الزَّلل والخطأ، ويحتمل أن يكون المعنى: من (زلَّ) عن المكان إذا تنحى، فتتحد القراءتان في المعنى.

ابن زنجلة، حجة القراءات (٩٤)

٣) ﴿وَٱتَّخِذُواْ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبۡرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾ (البقرة:١٢٥)، فيها قراءتان:

الأولى: (واتَّخِذُوا) بكسر الخاء، أي: أمر باتخاذه مصلى.

الثانية: (واتَّخَذُوا) بفتح الخاء، والمعنى: أن هذا إخبار عن ولد إبراهيم عليه السلام أنهم اتخذوا من مقام أبيهم إبراهيم مصلى.

الطبري، جامع البيان (٢/٥٢٢-٥٢٤)

---

(١) قام بإعداد هذه الرسائل الشيخ: د. محمد بن عمر الجنايني، دكتوراه في القراءات القرآنية، مجاز بالقراءات العشر الكبرى والصغرى، ومدير ملتقى الرسائل الجامعية بملتقى أهل التفسير.

٤) كلمة: ﴿كَبِيرٌ﴾ في قوله تعالى عن الخمر والميسر: ﴿قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا﴾ (البقرة::٢١٩)، فيها قراءتان:

١- (كبير) بالباء، أي: إثم عظيم.

٢- (كثير) بالثاء، والمعنى: أن الخمر تحدث مع شربها آثامًا كثيرة، وفي الوقت نفسه كبيرة، من قتل أو فحش وسب وعداوة وخيانة، أو تفريط في الفرائض أو غير ذلك.

فسبحان من رحم عباده بتحريمها.

الطبري، جامع البيان (٦٧٨/٣)

٥) كلمة ﴿يَطْهُرْنَ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ﴾ (البقرة:٢٢٢)، فيها قراءتان:

١- (يَطْهُرْنَ) بسكون الطاء وضم الهاء، والمعنى: انقطاع دم الحيض.

٢- (يَطَّهَّرْنَ) بتشديد الطاء والهاء، والمعنى: الاغتسال بعد انقطاع دم الحيض.

الطبري، جامع البيان (٧٣١/٣-٧٣٢)

وإذا ضممت القراءتين إلى بعضهما تبين أنه لا يجوز إتيان الزوجة إلا بعد اغتسالها، لا بمجرد انقطاع حيضها.

وفي هذا ما يدل بوضوح على عناية الإسلام بالنظافة التامة.

٦) قوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّىٓ إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةًۢ بِيَدِهِۦ﴾ (البقرة:٢٤٩)، ففي كلمة (غُرْفَةً) قراءتان:

١) (غُرْفَةً) بضم الغين.

٢) (غَرْفَةً) بفتح الغين.

وقد ذكر في معنى القراءتين أن ما كان باليد فهو (غَرْفَةً) بالفتح، وما كان بإناء فهو (غُرْفَةً) بالضم.

ابن خالويه، الحجة في القراءات (٩٩)

٧) ﴿وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا﴾ (البقرة:٢٥٩)، ففي (نُنشِزُهَا) قراءتان:

١- (نُنشِزُهَا) بالزاي، أي: نرفعها، من (النشز) وهو المرتفع من الأرض، والمعنى: وانظر إلى العظام كيف نرفعها من أماكنها من الأرض على جسم صاحبها ليحي بعد موته.

٢- (نُنشِرُهَا) بالراء، من النشر وهو الإحياء، والمعنى: وانظر إلى عظام حمارك -التي ابيضت من مرور الزمان عليها- كيف نحييها!

الطبري، جامع البيان (٤/٦١٥-٦١٧)

٨) في كلمة (فَصُرْهُنَّ) من قوله تعالى: ﴿قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا﴾ (البقرة:٢٦٠)، قراءتان:

١- (فَصُرْهُنَّ) بضم الصاد، أي أمِلْهن واجمعهن، والعرب تقول: (صُر وجهك إلي) أي أقبل عليّ واجعل وجهك إليّ.

٢- (فَصِرْهُنَّ) بكسر الصاد، أي قطعهن وشققهن ومزقهن.

الطبري، جامع البيان (٤/٦٣٤-٦٣٦) (بتصرف)

٩) قوله تعالى: ﴿كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ﴾ البقرة:٢٨٥، ففي كلمة: (وكُتُبِهِ) فيها قراءتان:

١- (وكُتُبِهِ) جمع كتاب، وهي مناسبة للجمع قبلها وبعدها في (ملائكته) و (رسله).

٢- (وكِتَابِه) ولهذه القراءة وجهان:

الأول: أن الكتاب هنا المراد به القرآن.

الثاني: أن المراد به جميع الكتب؛ لأن (كتاب) مفرد فإذا أضيف صار عامًا.

الطبري، جامع البيان (٥/١٤٨) (بتصرف)

١٠) قال تعالى عن أم مريم: ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ﴾ (آل عمران:٣٦).

ففي كلمة: ﴿وَضَعَتْ﴾ قراءتان:

١- (وضَعَتْ) بفتح العين وسكون التاء، من إخبار الله تعالى عن أم مريم، والتاء فيها للتأنيث.

٢- (وضَعْتُ) بسكون العين وضم التاء، حكاية عن أم مريم ما أخبرت به عن نفسها، ويؤيد هذه القراءة أنها قالت: ﴿رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَىٰ﴾ (آل عمران:٣٦)، كأنها أخبرت الله بأمر هو أعلم به منها، فتداركت ذلك بقولها: (والله أعلم بما وضعتُ).

ابن خالويه، الحجة في القراءات (١٠٨)

١١) ﴿وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمۡ تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمۡ تَدۡرُسُونَ﴾ (آل عمران:٧٩)، ففي كلمة: ﴿تُعَلِّمُونَ﴾ قراءتان:

١- (تُعَلِّمون) بضم التاء، وفتح العين، وكسر اللام المشددة، من التعليم، وهذه القراءة أبلغ في المدح؛ لأن المعلم لا يكون معلمًا حتى يكون عالمًا بما يعلمه للناس.

٢- (تَعْلَمُون) بفتح التاء وإسكان العين وفتح اللام، أي: بعلمكم الكتاب، وهي مناسبة لقوله: (تدرسون).

ابن خالويه، الحجة في القراءات (١٢٢) (بتصرف)

١٢) في كلمة ﴿قَرۡحٞ﴾ من قوله تعالى: ﴿إِن يَمۡسَسۡكُمۡ قَرۡحٞ فَقَدۡ مَسَّ ٱلۡقَوۡمَ قَرۡحٞ مِّثۡلُهُۥ﴾ (آل عمران:١٤٠)، قراءتان:

١- (قَرْح) بفتح القاف.

٢- (قُرْح) بضم القاف.

قال الفراء: كأن (القُرح) بالضم، ألم الجراحات، وكأن (القَرح) بالفتح، الجراح نفسها.

معاني القرآن (١/٢٣٤)

١٣) في كلمة (قَاتَل) من قوله تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٞ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ (آل عمران: ١٤٦)، قراءتان:

١- (قاتل) بفتح القاف وألف بعدها، وهي أبلغ في المدح من القراءة الأخرى؛ لأنها تشمل المقاتل والمقتول، كما قال تعالى: (وقاتلوا وقتلوا).

٢- (قُتِلَ) بضم القاف وكسر التاء، أي وكم من نبي قتل قبل محمد ﷺ ومعه ربيون كثير فما وهنوا لقتل نبيهم وما ضعفوا، وفيها عتاب لمن أدبر عن القتال يوم أحد حين أشيع قتله ﷺ.

ابن زنجلة، حجة القراءات (١٧٥)

١٤) ﴿فَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأُوذُواْ فِي سَبِيلِي وَقَٰتَلُواْ وَقُتِلُواْ﴾ (آل عمران:١٩٥)، من القراءات المتواترة في هذه الآية:

١- ﴿وَقَٰتَلُواْ وَقُتِلُواْ﴾ أي أنهم قاتلوا وهم أحياء ثم قتلوا.

٢- (وقُتِلُوا وقَاتَلُوا) فإن قيل: كيف يقَاتلون وقد قُتلوا؟

فالجواب: أن المعنى قُتِلَ بعضهم، وبقي الآخرون يُقَاتِلُون، وفي هذا إشارة -والله أعلم- إلى أنه لما كان مقصدهم واحدًا عُبر عن قتل بعضهم بقتل جميعهم.

ابن زنجلة، حجة القراءات (١٨٧) (بتصرف)

١٥) ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبۡتُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ..﴾ الآية النساء:٩٤، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾ في قوله: ﴿فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾ قراءتان:

١- (فَتبَيَّنُوا) من البيان، أي: استوضحوا.

٢- (فَتَثَبَّتُوا) من التثبت، أي: فتأنوا حتى تتيقنوا صحة الخبر.

ابن خالويه، الحجة في القراءات (١٢٦)

هذا أمر بالتثبت في الجهاد والتعامل، فكم جنى التعجل على أهله من آفات! وكم ستضيق دائرة الشحناء والقطيعة لو امتثلنا هذا الأمر؟

١٦) قوله تعالى: ﴿ فَبِمَا نَقۡضِهِم مِّيثَٰقَهُمۡ لَعَنَّٰهُمۡ وَجَعَلۡنَا قُلُوبَهُمۡ قَٰسِيَةٗ﴾ (المائدة:١٣).

قرئت ﴿قَٰسِيَةٗ﴾ على وجهين:

١- (قاسِيَة) من قست تقسو، إذا كانت يابسة صلبة لا تعي الخير ولا تفعله، كقوله تعالى: ﴿فَوَيۡلٞ لِّلۡقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم﴾ (الزمر:٢٢).

٢- (قَسِيَّة) بدون ألف وبتشديد الياء، ومعناها: فاسدة عاتية لا خير فيها.. والمعنيان كلاهما خطير على القلب.

نعوذ بالله من فساد القلوب وقسوتها.

١٧) ﴿إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۖ يَقُصُّ ٱلۡحَقَّۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلۡفَٰصِلِينَ﴾ (الأنعام:٥٧) قرئت (يقُصُّ):

١- (يَقُصُّ الحق) بضم القاف والصاد، من القصص؛ لأن جميع ما أنبأ به فهو من أقاصيص الحق.

١- (يَقْضِ الحق) بالضاد من القضاء، والمعنى: يقضي القضاء الحق، أو: يقضي بالحق، ويؤيد هذه القراءة قوله في آخر الآية: (وهو خير الفاصلين)؛ لأن الفصل إنما يكون في القضاء.

ابن زنجلة، حجة القراءات (٢٥٤)

١٨) ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَآئِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ (الأنعام:١١٩)، ففي (يضلون) قراءتان:

١- (يُضلّون) بضم الياء: أي مضلون لغيرهم.

٢- (يَضلّون) بفتح الياء: أي ضالون في أنفسهم.

الطبري، جامع البيان (٩/٥١٥)

وفي كلا القراءتين تنبيه على خطر الهوى!

وإن كان الإضلال أكثر خطرًا؛ لأن المضل يتحمل إثمه وإثم من أضله.

والضال في نفسه قد يضل غيره من حيث لا يشعر، حين يكون ممن يُقتدى به في ضلاله.

١٩) قوله تعالى: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ (الأنعام:٩٢)، في قوله (ولتنذر) قراءتان:

١- (وَلِتُنذِر) بالتاء، أي لتنذر أنت يا محمد أهل مكة، ويدل على هذه القراءة قوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ﴾ (النازعات:٤٥).

٢- (ولِيُنذِر) بالياء، أي لينذر الكتاب أهل مكة، ويدل على هذه القراءة قوله في أول الآية: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ﴾ (الأنعام:٩٢).

ابن خالويه، الحجة في القراءات (١٤٥)

٢٠) قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ﴾ (الأنعام:١٥٩) كلمة (فرقوا) فيها قراءتان:

١- (فَرَّقُوا) من التفريق، أي جعلوه فرقًا، ويدل على هذه القراءة قوله: (وكانوا شيعًا).

٢- (فَارَقُوا) من المفارقة، أي تركوه وانصرفوا عنه.

والمعنيان متقاربان؛ لأنهم إذا فرَّقوا الدين فقد فارَقُوه.

ابن خالويه، الحجة في القراءات (١٥٢)

٢١) ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾ (الأعراف:٢٠١)، ففي (طائف) قراءتان:

١- (طَائِف) بالألف: الذي يمشي حول المكان ينتظر الإذن له، وأطلق هنا على الخاطر الذي يخطر في النفس ويبعث على فعل المنهي عنه، شبه ذلك الخاطر في مبدأ جولانه في النفس بحلول الطائف قبل أن يستقر.

٢- (طَيْف) بالياء، ومعناه: ما يتخيل في القلب، أو يرى في النوم مما يوسوسه الشيطان للإنسان.

ابن زنجلة، حجة القراءات (٣٠٥)

٢٢) في جملة (أولا يرون) من قوله تعالى: ﴿أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ﴾ (التوبة:١٢٦)، قراءتان:

١- (أولا يَرون) بالياء، أي أو لا يرى المنافقون أنهم يفتنون، أي يمتحنون بالمرض وغيره في كل عام مرة أو مرتين.

٢- (أولا تَرون) بالتاء، أي أنتم معشر المؤمنين أنهم يفتنون، يعني المنافقين.

ابن زنجلة، حجة القراءات (٣٢٦)

٢٣) قال تعالى عن يوم القيامة: ﴿هُنَالِكَ تَبْلُواْ كُلُّ نَفْسٍ مَّآ أَسْلَفَتْ..﴾ (يونس:٣٠)، في (تبلو) قراءتان:

١- (تَبْلُو) من البلاء، أي: الاختبار والمعنى: «ستلاقي كل نفس جزاء ما أسلفت من خير أو شر».

٢- (تَتْلُو) بتاءين، أي: تقرأ ما أسلفت، وقيل: تتبع كل نفس ما أسلفت.

الطبري، جامع البيان (١٢/١٧٣)

ومع اختلاف المعنيين إلا أن مؤداهما واحد، فماذا أعددت -رحمك الله- ليوم العرض على الله؟

٢٤) ﴿هُوَ ٱلَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ (يونس:٢٢)، ففي قوله: ﴿يُسَيِّرُكُمْ﴾ قراءتان:

١- (يُسَيرِكم) من التسيير، أي: يجعلكم تسيرون فيهما.

٢- (يَنشُركم) بفتح الياء وسكون النون وضم الشين، من النشر بمعنى: التفريق، أي: يفرقكم في البر والبحر.

الأزهري، معاني القراءات (٤١/٢)

فهنيئًا لمن مشى في مناكب الأرض، أو ركب البحار متذكرًا فضل الله عليه بتيسير التنقل، وجعله فرصة لمزيد من شكر النعم.

٢٥) أثنى الله تعالى على نبيه يوسف بقوله: ﴿إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ (يوسف:٢٤)، وقد قرئت بفتح اللام: (المخْلَصِين) وكسرها: (المخْلِصِين)، فمن فتحها فمعناه: الذين أخلَصَهم الله لعبادته وكرامته، ومن كسرها فمعناه: الذين أخلَصُوا أنفسهم ودينهم لله.

قال ابن جرير: وذلك أن من أخلَصه الله لنفسه فاختاره، فهو مخلِص توحيده لله، ومن أخلَص توحيده، فهو ممن أخلَصه الله.

الطبري، جامع البيان، (٥٠/١٦)

٢٦) في كلمة (آيات) من قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ﴾ (يوسف:٧)، كلمة (آيات) فيها قراءتان:

١- (آيَات) على الجمع، وهي تدل على كثرتها وتنوعها، ففيها آيات للسائلين في شتى المجالات: الإيمانية، والعقدية، والسياسية، والتربوية، والاقتصادية، والاجتماعية.

٢- (آيَة) أي عبرة، فجعل أمر يوسف كله عبرة وآية.

ابن زنجلة، الحجة في القراءات (١٩٣) (بتصرف)

٢٧) ﴿ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّواْ فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿١٤﴾ لَقَالُوٓاْ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَٰرُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ﴾ (الحجر:١٤-١٥)، في كلمة: ﴿سُكِّرَتْ﴾ قراءتان:

١- (سُكِّرت) بتشديد الكاف، أي: سُدَّت وغُطّيت.

٢- (سُكِرَت) بتخفيف الكاف: أي سُحِرَت وحُبست، فكأن المعنى: لا ينفذ نورها ولا تدرك الأشياء على حقيقتها فكأنها حبست.

ابن زنجلة، حجة القراءات (٣٨٢)

فانظر إلى أثر إصرارهم على التعامي عن الحق والتمادي في الغي والضلال!

٢٨) في كلمة (زكية) من قوله تعالى في سورة الكهف: ﴿أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا﴾ الكهف:٧٤، قراءتان:

١- (زكيّة) بغير ألف، قيل في معناها: أذنبت ثم تابت.

٢- (زَاكِية) بالألف، وهي التي لم تذنب قط.

ابن زنجلة، حجة القراءات (٤٢٤)

٢٩) في كلمة (لأَهَبَ) من قوله تعالى في قصة مريم: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا﴾ (مريم:١٩)، قراءتان:

١- (لأَهَبَ) بالهمزة، على الحكاية، والمعنى: أنني رسول من عند الله أرسلني لأهب لك، فالفعل لله سبحانه، وجبريل يحكي عن الله.

٢- (لِيَهَبَ) بالياء، أي ليهب الله لك، ولم يكن جبريل الذي يهب بل الله يهب، والمعنى: أرسلني الله ليَهَبَ لك.

ابن زنجلة، حجة القراءات (٤٤٠)

٣٠) ﴿وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا فَٰرِهِينَ﴾ (الشعراء:١٤٩)، ففي كلمة: (فارهين) قراءتان:

١- (فَارِهين)، والفاره: الحاذق بالشيء، أي: حاذقون بنحتها.

٢- (فَرِهِين) أي يتخذون تلك البيوت المنحوتة في الجبال أشرًا وبطرًا، من غير حاجة لسكناها.

الطبري، جامع البيان (١٧/٦٢١)

فكأن قراءة (فَرِهين) ثمرة لقراءة (فَارِهين) كعادة كثير من المجتمعات التي تصاب بالبطر والاستعلاء بعد التمكن المادي.

٣١) ﴿ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ﴾ (الصافات: ١٢) قرئت:

١- (عَجِبتَ) بفتح التاء، معناها: بل عجبتَ يا محمد من جهلهم وتكذيبهم وهم يسخرون منك.

٢- (عَجِبتُ) بضم التاء، فيها إثبات صفة العَجَب -بفتح العين والجيم- لله تعالى على ما يليق به سبحانه، يقول الشنقيطي: «فهي إذًا من آيات الصفات على هذه القراءة».

أضواء البيان (٣٠٨/٦)

٣٢) في كلمة (عباد) من قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَـٰدُ ٱلرَّحْمَـٰنِ إِنَـٰثًا ﴾ (الزخرف:١٩)، قراءتان:

١- (عِباد) جمع عبد، وفي هذه القراءة تكذيب على من زعم أن الملائكة بنات الله.

٢- (عِند) ظرف مكان، وفيه دلالة على رفع منزلتهم وقربهم.

ابن زنجلة، حجة القراءات (٦٤٧)

فأفادتنا القراءتان: إثبات عبوديتهم، وعظيم منزلتهم.

٣٣) ﴿وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾ (التكوير:٢٤)، في كلمة (ضنين) قراءتان متواترتان:

١- (بضنين) بالضاد، معناه: البخيل، أي: لا يبخل بما آتاه الله من العلم والقرآن، ولكن يرشد ويعلم.

٢- (بظنين) بالظاء، معناه، المتهم، أي: ما هو على الغيب بمتهم، بل هو الثقة فيما يخبر عن الله تعالى.

ابن زنجلة، حجة القراءات (٧٥٢)

قائمة المصادر والمراجع

١) إتحاف أهل الإيمان بدروس شهر رمضان، د. صالح الفوزان، دار المسلم (الرياض)، ط٢ (١٤١٤هـ).

٢) الإتقان في علوم القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي، اعتنى به: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (١٣٩٤هـ).

٣) آثار ابن باديس، عبد الحميد محمد بن باديس الصنهاجي، اعتنى به: عمار طالبي، دار ومكتبة الشركة الجزائرية، ط١ (١٣٨٨هـ).

٤) آثار محمد البشير الإبراهيمي، اعتنى به: د. أحمد طالب الإبراهيمي، دار الغرب الإسلامي (تونس)، ط١ (١٩٩٧م).

٥) اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية، ابن قيم الجوزية أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب، اعتنى به: عواد عبد الله المعتق، مطابع الفرزدق (الرياض)، ط١ (١٤٠٨هـ).

٦) أحكام القرآن، القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي، اعتنى به: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية (بيروت)، ط٣ (١٤٢٤هـ).

٧) أحكام القرآن، أحمد بن علي أبو بكر الرازي الجصاص، اعتنى به: محمد صادق القمحاوي، دار إحياء التراث العربي (بيروت)، (١٤٠٥هـ).

٨) الإحكام في أصول الأحكام، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي، اعتنى به: أحمد شاكر، دار الآفاق الجديدة (بيروت).

٩) إحياء علوم الدين، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، دار المعرفة (بيروت).

١٠) أخبار لحفظ القرآن الكريم، أبو القاسم ابن عساكر علي بن الحسن، اعتنى به: خير الله الشريف، دار الفرائد (دمشق)، ط١ (١٩٩٦م).

١١) اختيار الأولى في شرح حديث اختصام الملأ الأعلى، أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب، اعتنى به: جسم الفهيد الدوسري، مكتبة دار الأقصى (الكويت)، ط١ (١٤٠٦هـ).

١٢) الإخلاص والنية، ابن أبي الدنيا أبو بكر عبد الله بن محمد، اعتنى به: إياد خالد الطباع، دار البشائر ط١ (١٤١٣هـ).

١٣) أخلاق العلماء، أبو بكر محمد بن الحسين الآجري، اعتنى به: الشيخ إسماعيل بن محمد الأنصاري، رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد (الرياض).

١٤) أخلاق أهل القرآن، أبو بكر محمد بن الحسين الآجري، اعتنى به: المكتب السلفي لتحقيق التراث، دار الكتب العلمية (بيروت)، ط٣ (١٤٢٤هـ).

١٥) الأخلاق والسير في مداواة النفوس، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي، دار الآفاق الجديدة (بيروت)، ط٢ (١٣٩٩هـ).

١٦) الإخوان، أبو بكر ابن أبي الدنيا عبد الله بن محمد، اعتنى به: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية (بيروت)، ط١ (١٤٠٩هـ).

١٧) آداب الحسن البصري، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، اعتنى به: سليمان الحرش، دار الصديق (بيروت)، ط١ (١٤٢٦هـ).

١٨) الآداب الشرعية والمنح المرعية، أبو عبد الله محمد بن مفلح بن محمد شمس الدين المقدسي، دار عالم الكتب (بيروت).

١٩) الأدب الصغير والأدب الكبير، عبد الله بن المقفع، دار صادر (بيروت).

٢٠) الأذكار، أبو زكريا يحيى بن شرف النووي، اعتنى به: عبد القادر الأرناؤوط، دار الفكر (بيروت)، (١٤١٤هـ).

٢١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى، دار إحياء التراث العربي (بيروت).

٢٢) الاستقامة، أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، اعتنى به: د. محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط١ (١٤٠٣هـ).

٢٣) أسرار التكرار في القرآن (البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان)، أبو القاسم برهان الدين الكرماني محمود بن حمزة بن نصر، اعتنى به: عبد القادر أحمد عطا، دار الفضيلة.

٢٤) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين الجكني الشنقيطي، دار الفكر (بيروت)، (١٤١٥هـ).

٢٥) الاعتصام، أبو إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي، المكتبة التجارية الكبرى (مصر).

٢٦) إعجاز القرآن، أبو بكر الباقلاني محمد بن الطيب، اعتنى به: أحمد صقر، دار المعارف (مصر)، ط٥ (١٩٩٧م).

٢٧) إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن قيم الجوزية أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب، اعتنى به: محمد عبد السلام إبراهيم، دار الكتب العلمية (بيروت)، ط١ (١٤١١هـ).

٢٨) إغاثة اللهفان في حكم طلاق الغضبان، ابن قيم الجوزية أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب، اعتنى به: محمد عفيفي، المكتب الإسلامي (بيروت) ومكتبة فرقد الخاني (الرياض)، ط٢ (١٤٠٨هـ).

٢٩) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، ابن قيم الجوزية أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب، اعتنى به: محمد حامد الفقي، مكتبة المعارف (الرياض).

٣٠) اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، اعتنى به: ناصر بن عبد الكريم العقل، دار عالم الكتب (بيروت)، ط٧ (١٤١٩هـ).

٣١) اقتضاء العلم العمل، الخطيب البغدادي أبو بكر أحمد بن علي، اعتنى به: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي (بيروت)، ط٤ (١٣٩٧هـ).

٣٢) الإكليل في استنباط التنزيل، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي، اعتنى به: سيف الدين عبد القادر الكاتب، دار الكتب العلمية (بيروت)، (١٤٠١هـ).

٣٣) آل حم: غافر -فصلت (دراسة في أسرار البيان)، أ.د. محمد أبو موسى، مكتبة وهبة (القاهرة)، ط١ (١٤٣٠هـ).

٣٤) الأم، أبو عبد الله محمد -بن إدريس الشافعي، دار المعرفة (بيروت)، (١٤١٠هـ).

٣٥) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي)، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر البيضاوي، اعتنى به: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي (بيروت)، ط١ (١٤١٨هـ).

٣٦) أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، جابر بن موسى أبو بكر الجزائري، مكتبة العلوم والحكم (المدينة النبوية)، ط٥ (١٤٢٤هـ).

٣٧) أيها الولد، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، اعتنى به: علي محيي الدين علي القره داغي، دار البشائر الإسلامية (بيروت)، ط٤ (١٤٣١هـ).

٣٨) بحر العلوم (تفسير السمرقندي)، أبو الليث نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي، اعتنى به: د. محمود مطرجي، دار الفكر (بيروت).

٣٩) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، ابن عجيبة الفاسي، اعتنى به: أحمد عبد الله القرشي رسلان، الناشر: الدكتور حسن عباس زكي (القاهرة)، (١٤١٩هـ).

٤٠) البداية والنهاية، أبو الفداء إسماعيل بن كثير، اعتنى به: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، ط١ (١٤٠٨هـ).

٤١) بدائع التفسير (الجامع لما فسره الإمام ابن قيم الجوزية)، اعتنى به: يسري السيد محمد وصالح أحمد الشامي، دار ابن الجوزي (المملكة العربية السعودية - الدمام)، ط٢ (١٤٣١هـ).

٤٢) بدائع الفوائد، ابن قيم الجوزية أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب، دار الكتاب العربي (بيروت).

٤٣) البدهيات في القرآن الكريم، أ.د. فهد بن عبد الرحمن الرومي، الجامعة الإسلامية (المدينة النبوية)، السنة ٢٧ العددان ١٠٣ و ١٠٤ - ١٤١٦ / ١٤١٧هـ.

٤٤) برد الأكباد عند فقد الأولاد، ابن ناصر الدين محمد بن عبد الله، اعتنى به: مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، ط١ (١٤١٨هـ).

٤٥) البرهان في تناسب سور القرآن، ابن الزبير الغرناطي، اعتنى به: محمد شعباني، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية (المغرب)، (١٤١٠هـ).

٤٦) البرهان في علوم القرآن، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، اعتنى به: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية و مطبعة عيسى البابى الحلبي وشركائه، ط١ (١٣٧٦هـ).

٤٧) بستان الواعظين ورياض السامعين، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، اعتنى به: أيمن البحيري، مؤسسة الكتب الثقافية (بيروت)، ط٢ (١٤١٩هـ).

٤٨) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، اعتنى به: محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي (القاهرة)، (١٤١٦هـ).

٤٩) بلاغ الرسالة القرآنية (من أجل إبصارٍ لآيات الطريق)، د. فريد الأنصاري، دار السلام (القاهرة)، ط١ (١٤٣٠هـ).

٥٠) البيان والتبيين، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، دار الهلال (بيروت)، (١٤٢٣هـ).

٥١) تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي، اعتنى به: عمر عبد السلام التدمري، دار الكتاب العربي (بيروت)، ط٢ (١٤١٣هـ).

٥٢) تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي أبو بكر أحمد بن علي، اعتنى به: د. بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي (بيروت)، ط١ (١٤٢٢هـ).

٥٣) تاريخ دمشق، ابن عساكر أبو القاسم علي بن الحسن، اعتنى به: عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر (بيروت)، ط١ (١٤١٩هـ).

٥٤) تاريخ قضاة الأندلس (المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا)، أبو الحسن علي بن عبد الله الأندلسي، اعتنى به: لجنة إحياء التراث العربي في دار الآفاق الجديدة (بيروت)، ط٥ (١٤٠٣هـ).

٥٥) تأويل مشكل القرآن، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، اعتنى به: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية (بيروت).

٥٦) التبرج وخطر مشاركة المرأة للرجل في ميدان عمله، عبد العزيز بن باز، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد (المملكة العربية السعودية)، ط١ (١٤٢٣هـ).

٥٧) التبصرة، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، دار الكتب العلمية (بيروت)، ط١ (١٤٠٦هـ).

٥٨) التبيان في آداب حملة القرآن، أبو زكريا يحيى بن شرف الدين النووي، الوكالة العامة للتوزيع (دمشق)، ط١ (١٤٠٣هـ).

٥٩) التبيان في أقسام القرآن، ابن قيم الجوزية أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب، اعتنى به: محمد حامد الفقي، دار المعرفة (بيروت).

٦٠) التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد)، الطاهر ابن عاشور، الدار التونسية للنشر (تونس)، (١٩٨٤م).

٦١) تحفة الحبيب على شرح الخطيب (حاشية البجيرمي على الخطيب)، سليمان بن محمد بن عمر البُجَيْرَمِيّ، دار الفكر، (١٤١٥هـ).

٦٢) تحفة المودود بأحكام المولود، ابن قيم الجوزية أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب، اعتنى به: عبد القادر الأرناؤوط، مكتبة دار البيان (دمشق)، ط١ (١٣٩١هـ).

٦٣) التخويف من النار والتعريف بحال دار البوار، أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب، اعتنى به: بشير محمد عيون، مكتبة المؤيد (الطائف) ودار البيان (دمشق)، ط٢ (١٤٠٩هـ).

٦٤) التذكار في أفضل الأذكار، شمس الدين القرطبي أبو عبد الله محمد بن أحمد، دار الكتب العلمية (بيروت)، ط١ (١٤٠٦هـ).

٦٥) تذكرة السامع والمتكلم في أدب العلم والمتعلم، بدر الدين محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة، اعتنى به: محمد بن مهدي العجمي، دار البشائر (بيروت)، ط٣ (١٤٣٣هـ).

٦٦) تذكرة أولي النهى والعرفان بأيام الله الواحد الديان وذكر حوادث الزمان، إبراهيم بن عبيد آل عبد المحسن، مكتبة الرشد (الرياض)، ط١ (١٤٢٨هـ).

٦٧) التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة، شمس الدين القرطبي أبو عبد الله محمد بن أحمد، اعتنى به: د. الصادق بن محمد بن إبراهيم، دار المنهاج (الرياض)، ط١ (١٤٢٥هـ).

٦٨) تراث أبي الحسن الحَرَالِّي المراكشي في التفسير، الحرالي أبو الحسن علي بن أحمد، اعتنى به: محمادي بن عبد السلام الخياطي، منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي (الرباط)، ط١ (١٤١٨هـ).

٦٩) التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي الكلبي، اعتنى به: د. عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم (بيروت)، ط١ (١٤١٦هـ).

٧٠) تصنيف الناس بين الظن واليقين، د. بكر بن عبد الله أبو زيد، دار العاصمة (الرياض).

٧١) التعبير القرآني، د. فاضل بن صالح السامرائي، دار عمَّار (عمَّان)، ط٩ (١٤٣٥هـ).

٧٢) تفسير ابن أبي حاتم (تفسير القرآن العظيم)، ابن أبي حاتم أبو محمد عبد الرحمن بن محمد، اعتنى به: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز (المملكة العربية السعودية)، ط٣ (١٤١٩هـ).

٧٣) تفسير ابن باديس (في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير)، عبد الحميد محمد بن باديس الصنهاجي، اعتنى به: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية (بيروت)، ط١ (١٤١٦هـ).

٧٤) تفسير ابن رجب الحنبلي (الجامع لتفسير الإمام ابن رجب الحنبلي)، اعتنى به: طارق بن عوض الله بن محمد، دار العاصمة (الرياض)، ط١ (١٤٢٢هـ).

٧٥) تفسير ابن عرفة، أبو عبد الله محمد بن محمد ابن عرفة، اعتنى به: د. حسن المناعي، مركز البحوث بالكلية الزيتونية (تونس)، ط١ (١٩٨٦م).

٧٦) تفسير آل عمران، محمد بن صالح العثيمين، دار ابن الجوزي (المملكة العربية السعودية - الدمام)، ط٣ (١٤٣٥هـ).

٧٧) تفسير الإمام الشافعي، اعتنى به: د. أحمد بن مصطفى الفرَّان، دار التدمرية (المملكة العربية السعودية)، ط١ (١٤٢٧هـ).

٧٨) تفسير الراغب الأصفهاني، الراغب الأصفهاني أبو القاسم الحسين بن محمد، اعتنى به: د. محمد عبد العزيز بسيوني وآخرون، [(ج١: كلية الآداب - جامعة طنطا)، (ج٢-٣: دار الوطن (الرياض))، (ج٤-٥: جامعة أم القرى (مكة المكرمة))].

٧٩) تفسير السمعاني، أبو المظفر منصور بن محمد السمعاني، اعتنى به: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن (الرياض)، ط١ (١٤١٨هـ).

٨٠) تفسير الشعراوي، محمد متولي الشعراوي، مطابع أخبار اليوم، (١٩٩٧م).

٨١) تفسير الفاتحة والبقرة، محمد بن صالح العثيمين، دار ابن الجوزي (المملكة العربية السعودية - الدمام)، ط١ (١٤٢٣هـ).

٨٢) تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، محمد رشيد بن علي رضا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (١٩٩٠م)

٨٣) تفسير القرآن العظيم (تفسير السخاوي)، أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الصمد علم الدين السخاوي، اعتنى به: موسى علي موسى مسعود و د. أشرف محمد عبد الله القصاص، دار النشر للجامعات

(القاهرة)، ط١ (١٤٣٠هـ).

٨٤) تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير)، أبو الفداء إسماعيل بن كثير، اعتنى به: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة (الرياض)، ط٢ (١٤٢٠هـ).

٨٥) تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير)، أبو الفداء إسماعيل بن كثير، اعتنى به: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية (بيروت)، ط١ (١٤١٩هـ).

٨٦) تفسير القرآن الكريم: (الحجرات، ق، الذاريات، الطور، النجم، القمر، الرحمن، الواقعة، الحديد)، محمد بن صالح العثيمين، دار الثريا (الرياض)، ط١ (١٤٢٥هـ).

٨٧) التفسير القيم (تفسير ابن القيم للقرآن الكريم)، اعتنى به: مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية بإشراف الشيخ إبراهيم رمضان، دار ومكتبة الهلال (بيروت)، ط١ (١٤١٠هـ).

٨٨) تفسير الكواشي (تبصرة المتذكر وتذكرة المتبصر)، موفق الدين أبو العباس أحمد بن يوسف الكواشي، الجامعة الإسلامية (المدينة النبوية).

٨٩) تفسير المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي، مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر، ط١ (١٣٦٥هـ).

٩٠) تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)، أبو البركات عبد الله بن أحمد النسفي، اعتنى به: يوسف علي بديوي، دار الكلم الطيب (بيروت)، ط١ (١٤١٩هـ).

٩١) تفسير آيات من القرآن الكريم (مطبوع ضمن مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب، الجزء الخامس)، محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي، اعتنى به: د. محمد بلتاجي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية (الرياض).

٩٢) تفسير جزء عم، محمد بن صالح العثيمين، اعتنى به: فهد بن ناصر السليمان، دار الثريا (الرياض)، ط٢ (١٤٢٣هـ).

٩٣) تفسير سورة الصافات، محمد بن صالح العثيمين، دار الثريا (الرياض)، ط١ (١٤٢٤هـ).

٩٤) تفسير سورة النساء، محمد بن صالح العثيمين، دار ابن الجوزي (المملكة العربية السعودية - الدمام)، ط٢ (١٤٣٣هـ).

٩٥) تفسير سورة ص، محمد بن صالح العثيمين، دار الثريا (الرياض)، ط١ (١٤٢٥هـ).

٩٦) تفسير شيخ الإسلام ابن تيمية (الجامع لكلام الإمام ابن تيمية في التفسير)، اعتنى به: إياد بن عبد اللطيف القيسي، دار ابن الجوزي (المملكة العربية السعودية - الدمام)، ط١ (١٤٣٢هـ).

٩٧) تفسير عبد الرزاق الصنعاني، أبو بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني، اعتنى به: د. محمود محمد

عبده، دار الكتب العلمية (بيروت)، ط١ (١٤١٩هـ).

٩٨) تفسير مقاتل بن سليمان، أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي، اعتنى به: عبد الله محمود شحاته، دار إحياء التراث (بيروت)، ط١ (١٤٢٣هـ).

٩٩) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري، اعتنى به: مصطفى بن أحمد العلوي ومحمد عبد الكبير البكري، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية (المغرب)، (١٣٨٧هـ).

١٠٠) تنبيه النائم الغمر على مواسم العمر، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، اعتنى به: محمد بن ناصر العجمي، دار البشائر الإسلامية.

١٠١) تهذيب الكمال في أسماء الرجال، أبو الحجاج يوسف بن عبد الرحمن المزي، اعتنى به: د. بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة (بيروت)، ط١ (١٤٠٠هـ).

١٠٢) التواصل الأسري (كيف نحمي أسرنا من التفكك)، أ. د. عبد الكريم بكار، دار وجوه (الرياض)، ط٣ (١٤٣٢هـ).

١٠٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، اعتنى به: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة (بيروت)، ط١ (١٤٢٠هـ).

١٠٤) تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد (المملكة العربية السعودية)، ط١ (١٤٢٢هـ).

١٠٥) جامع البيان عن تأويل آي القرآن (تفسير ابن جرير الطبري)، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، اعتنى به: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي و د. عبد السند حسن يمامة، دار هجر، ط١ (١٤٢٢هـ).

١٠٦) جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثًا من جوامع الكلم، أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب، اعتنى به: شعيب الأرناؤوط وإبراهيم باجس، مؤسسة الرسالة (بيروت)، ط٧ (١٤٢٢هـ).

١٠٧) جامع المسائل لابن تيمية، اعتنى به: محمد عزيز شمس، إشراف: بكر بن عبد الله أبو زيد، دار عالم الفوائد، ط١ (١٤٢٢هـ).

١٠٨) جامع بيان العلم وفضله، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري، اعتنى به: أبو الأشبال الزهيري، دار ابن الجوزي (المملكة العربية السعودية - الدمام)، ط١ (١٤١٤هـ).

١٠٩) الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)، شمس الدين القرطبي أبو عبد الله محمد بن أحمد، اعتنى به: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية (القاهرة)، ط٢ (١٣٨٤هـ).

١١٠) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، الخطيب البغدادي أبو بكر أحمد بن علي، اعتنى به: د.

محمود الطحان، مكتبة المعارف (الرياض)، (١٤٠٣هـ).
١١١) جدد حياتك، محمد الغزالي السقا، دار نهضة مصر، ط١ .
١١٢) جلاء الأفهام في فضل الصلاة على محمد خير الأنام، ابن قيم الجوزية أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب، اعتنى به: شعيب وعبد القادر الأرناؤوط، دار العروبة (الكويت)، ط٢ (١٤٠٧هـ).
١١٣) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، اعتنى به: علي بن حسن و عبد العزيز بن إبراهيم وحمدان بن محمد، دار العاصمة (الرياض)، ط٢ (١٤١٩هـ).
١١٤) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي (الداء والدواء)، ابن قيم الجوزية أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب، دار المعرفة (المغرب)، ط١ (١٤١٨هـ).
١١٥) الجواهر الحسان في تفسير القرآن (تفسير الثعالبي)، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الثعالبي، اعتنى به: محمد علي معوض وعادل أحمد عبد الموجود، دار إحياء التراث العربي (بيروت)، ط١ (١٤١٨هـ).
١١٦) حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، دار المدني (القاهرة).
١١٧) حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي (عناية القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي)، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي، دار صادر (بيروت).
١١٨) حديث القرآن عن القرآن، محمد بن عبد الرحمن الراوي، مكتبة العبيكان (الرياض)، ط١ (١٤١٥هـ).
١١٩) الحديقة، محب الدين الخطيب، اعتنى به: سليمان بن صالح الخراشي، دار العاصمة (الرياض) والمكتبة السلفية (القاهرة)، ط٢ (١٤٣٢هـ).
١٢٠) حراسة الفضيلة، د. بكر بن عبد الله أبو زيد، دار العاصمة (الرياض)، ط١١ (١٤٢٦هـ).
١٢١) حسن الظن بالله، ابن أبي الدنيا أبو بكر عبد الله بن محمد، اعتنى به: مخلص محمد، دار طيبة (الرياض)، ط١ (١٤٠٨هـ).
١٢٢) الحسنة والسيئة, أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، دار الكتب العلمية (بيروت).
١٢٣) الحلم، ابن أبي الدنيا، اعتنى به: محمد عبد القادر أحمد عطا، مؤسسة الكتب الثقافية (بيروت)، ط١ (١٤١٣هـ).
١٢٤) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد الأصبهاني، دار الفكر (بيروت)، (١٤١٦هـ).
١٢٥) خلق المسلم، محمد الغزالي السقا، دار نهضة مصر، ط١ .
١٢٦) الدر المنثور في التفسير بالمأثور، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي، دار الفكر

(بيروت)، (١٩٩٣م).

١٢٧) درء تعارض العقل والنقل، أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، اعتنى به: د. محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط٢ (١٤١١هـ).

١٢٨) درة التنزيل وغرة التأويل، الخطيب الإسكافي أبو عبد الله محمد بن عبد الله الأصبهاني، اعتنى به: د. محمد مصطفى آيدين، جامعة أم القرى (مكة المكرمة)، ط١ (١٤٢٢هـ).

١٢٩) دستور الأخلاق في القرآن الكريم، د. محمد بن عبد الله دراز، مؤسسة الرسالة (بيروت)، ط١٠ (١٤١٨هـ).

١٣٠) الدعاء ومنزلته من العقيدة الإسلامية، جيلان بن خضر العروسي، رسالة ماجستير في الجامعة الإسلامية (المدينة النبوية)، (١٤١٠هـ).

١٣١) دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب، محمد الأمين الجكني الشنقيطي، مكتبة ابن تيمية (القاهرة)، ط١ (١٤١٧هـ).

١٣٢) دقائق التفسير (الجامع لتفسير ابن تيمية)، اعتنى به: د. محمد السيد الجليند، مؤسسة علوم القرآن (دمشق)، ط٢ (١٤٠٤هـ).

١٣٣) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان البكري، اعتنى به: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة (بيروت)، ط٤ (١٤٢٥هـ).

١٣٤) الدِّين، د. محمد بن عبد الله دراز، دار القلم (الكويت).

١٣٥) ذم الهوى، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، اعتنى به: مصطفى عبد الواحد.

١٣٦) ذيل طبقات الحنابلة، أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب، اعتنى به: د. عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، مكتبة العبيكان (الرياض)، ط١ (١٤٢٥هـ).

١٣٧) الرحلة في طلب الحديث، الخطيب البغدادي أبو بكر أحمد بن علي، اعتنى به: نور الدين عتر، دار الكتب العلمية (بيروت)، ط١ (١٣٩٥هـ).

١٣٨) الرد على المنطقيين، أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، دار المعرفة (بيروت).

١٣٩) رسالة ابن القيم إلى أحد إخوانه، ابن قيم الجوزية أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب، اعتنى به: عبد الله بن محمد المديفر، مطابع الشرق الأوسط (الرياض)، ط١ (١٤٢٠هـ).

١٤٠) الرسالة التبوكية (زاد المهاجر إلى ربه)، ابن قيم الجوزية أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب، اعتنى به: د. محمد جميل غازي، مكتبة المدني (جدة).

١٤١) رسالة الحجاب (مطبوع مع رسالة في الدماء الطبيعية للنساء)، محمد بن صالح العثيمين.

١٤٢) رسالة في الدماء الطبيعية للنساء، محمد بن صالح العثيمين، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف

والدعوة والإرشاد (المملكة العربية السعودية)، ط١ (١٤٢١هـ).
١٤٣) رسائل ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي، اعتنى به: إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر (بيروت)، ط١ (١٩٨٣م).
١٤٤) الرسائل الشخصية (مطبوع ضمن مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب، الجزء السادس)، محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي، اعتنى به: صالح بن فوزان الفوزان ومحمد بن صالح العيلقي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية (الرياض).
١٤٥) الرضا عن الله بقضائه، ابن أبي الدنيا أبو بكر عبد الله بن محمد، اعتنى به: ضياء الحسن السلفي، الدار السلفية (الهند - بومباي)، ط١ (١٤١٠هـ).
١٤٦) الرقة والبكاء، ابن أبي الدنيا أبو بكر عبد الله بن محمد، اعتنى به: محمد خير رمضان يوسف، دار ابن حزم (بيروت)، ط٣ (١٤١٩هـ).
١٤٧) ركائز الإيمان بين العقل والقلب، محمد الغزالي السقا، دار نهضة مصر، ط١ .
١٤٨) رموز الكنوز في تفسير الكتاب العزيز، عز الدين عبد الرزاق بن رزق الله الرسعني، اعتنى به: أ.د. عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، مكتبة الأسدي (مكة المكرمة)، ط١ (١٤٢٩هـ).
١٤٩) روائع إقبال، أبو الحسن علي الحسني الندوي، دار الفكر (دمشق)، ط١ (١٣٧٩هـ).
١٥٠) روائع الطنطاوي، علي بن مصطفى الطنطاوي، اعتنى به: إبراهيم مضواح الألمعي، دار المنارة (المملكة العربية السعودية - جدة)، ط١ (١٤٢١هـ).
١٥١) روح البيان في تفسير القرآن، إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي، دار الفكر (بيروت).
١٥٢) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، اعتنى به: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية (بيروت)، ط١ (١٤١٥هـ).
١٥٣) الروض الأنف في شرح السيرة النبوية، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي، اعتنى به: عمر عبد السلام السلامي، دار إحياء التراث العربي (بيروت)، ط١ (١٤٢١هـ).
١٥٤) روضة المحبين ونزهة المشتاقين، ابن قيم الجوزية أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب، دار الكتب العلمية (بيروت)، (١٤٠٣هـ).
١٥٥) زاد المسير في علم التفسير، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، اعتنى به: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي (بيروت)، ط١ (١٤٢٢هـ).
١٥٦) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن قيم الجوزية أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب، مؤسسة الرسالة (بيروت) ومكتبة المنار الإسلامية (الكويت)، ط٢٧ (١٤٢٥هـ).
١٥٧) الزهد والرقائق، أبو عبد الرحمن عبد الله بن المبارك، اعتنى به: حبيب الرحمن الأعظمي، دار

الكتب العلمية (بيروت).
١٥٨) الزهد والورع والعبادة، أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، اعتنى به: حماد سلامة ومحمد عويضة، مكتبة المنار (الأردن)، ط١ (١٤٠٧هـ).
١٥٩) الزهد، أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني، اعتنى به: ياسر بن إبراهيم بن محمد وغنيم بن عباس بن غنيم، دار المشكاة (مصر - حلوان)، ط١ (١٤١٤هـ).
١٦٠) الزهد، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، اعتنى به: محمد عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية (بيروت)، ط١ (١٤٢٠هـ).
١٦١) زهرة التفاسير، أبو زهرة محمد بن أحمد بن مصطفى، دار الفكر العربي.
١٦٢) سر تأخر العرب والمسلمين، محمد الغزالي السقا، دار نهضة مصر، ط١ .
١٦٣) السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، شمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني، مطبعة بولاق -الأميرية- (القاهرة)، (١٢٨٥هـ).
١٦٤) السنة، أبو بكر أحمد بن محمد الخلال، اعتنى به: عطية بن عتيق الزهراني، دار الراية (الرياض)، ط٢ (١٩٩٤م).
١٦٥) سير أعلام النبلاء، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي، اعتنى به: شعيب الأرناؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة (بيروت)، ط٣ (١٤٠٥هـ).
١٦٦) شرح السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، اعتنى به: شعيب الأرناؤوط ومحمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي (دمشق)، ط٢ (١٤٠٣هـ).
١٦٧) شرح العقيدة السفارينية، محمد بن صالح العثيمين، دار الوطن (الرياض)، ط١ (١٤٢٦هـ).
١٦٨) شرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز الحنفي، اعتنى به: شعيب الأرناؤوط ود. عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة (بيروت)، ط١٠ (١٤١٧هـ).
١٦٩) الشرح الممتع على زاد المستقنع، محمد بن صالح العثيمين، دار ابن الجوزي (المملكة العربية السعودية - الدمام)، ط١ (١٤٢٢هـ).
١٧٠) شرح رياض الصالحين، محمد بن صالح العثيمين، دار الوطن (الرياض)، (١٤٢٦هـ).
١٧١) شرح صحيح البخاري، ابن بطال أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك، اعتنى به: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد (الرياض)، ط٢ (١٤٢٣هـ).
١٧٢) شرح عمدة الأحكام، عبد الرحمن السعدي، اعتنى به: أنس بن عبد الرحمن بن عبد الله العقيل، دار النوادر (دمشق)، ط١ (١٤٣٠هـ).

١٧٣) شرح مقدمة التفسير لابن تيمية، محمد بن صالح العثيمين، اعتنى به: أ.د. عبد الله بن محمد بن أحمد الطيار، دار الوطن (الرياض)، ط١ (١٤١٥هـ).

١٧٤) شرح منظومة الآداب الشرعية، موسى بن أحمد الحجاوي، اعتنى به: نور الدين طالب، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد (المملكة العربية السعودية).

١٧٥) شعب الإيمان، أبو بكر البيهقي أحمد بن الحسين بن علي، اعتنى به: د. عبد العلي عبد الحميد حامد، مكتبة الرشد (الرياض) والدار السلفية (الهند - بومباي)، ط١ (١٤٢٣هـ).

١٧٦) الشفا بتعريف حقوق المصطفى، أبو الفضل القاضي عياض بن موسى اليحصبي، دار الفيحاء (عمَّان)، ط٢ (١٤٠٧هـ).

١٧٧) شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، ابن قيم الجوزية أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب، دار المعرفة (بيروت)، (١٣٩٨هـ).

١٧٨) الشكر، ابن أبي الدنيا أبو بكر عبد الله بن محمد، اعتنى به: بدر البدر، المكتب الإسلامي (الكويت)، ط٣ (١٤٠٠هـ).

١٧٩) الصارم المسلول، أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، اعتنى به: محمد محيي الدين عبد الحميد، الحرس الوطني السعودي (المملكة العربية السعودية).

١٨٠) صفة الصفوة، أبو الفرج ابن الجوزي عبد الرحمن بن علي، اعتنى به: أحمد بن علي، دار الحديث (القاهرة)، (١٤٢١هـ).

١٨١) الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة، ابن قيم الجوزية أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب، اعتنى به: علي بن محمد الدخيل الله، دار العاصمة (الرياض)، ط١ (١٤٠٨هـ).

١٨٢) صيد الخاطر، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، اعتنى به: حسن المساحي، دار القلم (دمشق)، ط١ (١٤٢٥هـ).

١٨٣) الضياء اللامع من الخطب الجوامع، محمد بن صالح العثيمين، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد (الرياض)، ط١ (١٤٠٨هـ).

١٨٤) طريق الهجرتين وباب السعادتين، ابن قيم الجوزية أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب، دار السلفية (القاهرة)، ط٢ (١٣٩٤هـ).

١٨٥) العاقبة في ذكر الموت، ابن الخراط عبد الحق بن عبد الرحمن الأشبيلي، اعتنى به: خضر محمد خضر، دار الأقصى (الكويت)، ط١ (١٤٠٦هـ).

١٨٦) العبودية، أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، اعتنى به: محمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي (بيروت)، ط٧ (١٤٢٦هـ).

١٨٧) عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، ابن قيم الجوزية أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب، دار ابن كثير (دمشق) ومكتبة دار التراث (المدينة المنورة)، ط٣ (١٤٠٩هـ).

١٨٨) العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير، محمد الأمين الجكني الشنقيطي، اعتنى به: خالد بن عثمان السبت، دار عالم الفوائد (مكة المكرمة)، ط٢ (١٤٢٦هـ).

١٨٩) العقود الدرية من مناقب شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، محمد بن أحمد بن عبد الهادي، اعتنى به: محمد حامد الفقي، دار الكتاب العربي (بيروت).

١٩٠) العقيدة الواسطية، أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، اعتنى به: أبو محمد أشرف بن عبد المقصود، أضواء السلف (الرياض)، ط٢ (١٤٢٠هـ).

١٩١) العلم، أبو خيثمة زهير بن حرب النسائي، اعتنى به: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي (بيروت)، ط٢ (١٤٠٣هـ).

١٩٢) غرائب القرآن ورغائب الفرقان، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري، اعتنى به: زكريا عميرات، دار الكتب العلمية (بيروت)، ط١ (١٤١٦هـ).

١٩٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، اعتنى به: محمد فؤاد عبد الباقي ومحب الدين الخطيب، دار المعرفة (بيروت).

١٩٤) فتح الباري شرح صحيح البخاري، أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب، اعتنى به: محمود بن شعبان بن عبد المقصود وآخرون، مكتبة الغرباء الأثرية (المدينة النبوية)، ط١ (١٤١٧هـ).

١٩٥) فتح البيان في مقاصد القرآن، أبو الطيب محمد صديق خان، اعتنى به: عبد الله إبراهيم الأنصاري، المكتبة العصرية (بيروت)، (١٤١٢هـ).

١٩٦) فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن، زكريا بن محمد الأنصاري، اعتنى به: محمد علي الصابوني، دار القرآن الكريم (بيروت)، ط١ (١٤٠٣هـ).

١٩٧) فتح الرحيم الملك العلام في علم العقائد والتوحيد والأخلاق والأحكام المستنبطة من القرآن، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، اعتنى به: عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر، دار ابن الجوزي (المملكة العربية السعودية - الدمام)، ط٣.

١٩٨) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي بن محمد الشوكاني، دار ابن كثير (دمشق)، ودار الكلم الطيب (بيروت)، ط١ (١٤١٤هـ).

١٩٩) فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ، اعتنى به: محمد حامد فقي،

مطبعة السنة المحمدية (القاهرة)، ط٧ (١٣٧٧هـ).

٢٠٠) الفجور السياسي، د. فريد الأنصاري، دار السلام (القاهرة)، ط٢ (١٤٣٢هـ).

٢٠١) الفروع (ومعه تصحيح الفروع لعلاء الدين علي بن سليمان المرداوي)، أبو عبد الله محمد بن مفلح بن محمد شمس الدين المقدسي، اعتنى به: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة (بيروت)، ط١ (١٤٢٤هـ).

٢٠٢) فصول في الدعوة والإصلاح، علي بن مصطفى الطنطاوي، اعتنى به: مجاهد مأمون ديرانية، دار المنارة (المملكة العربية السعودية - جدة)، ط١ (٢٠٠٨م).

٢٠٣) فضائل القرآن، أبو بكر جعفر بن محمد الفريابي، اعتنى به: يوسف عثمان فضل الله جبريل، مكتبة الرشد (الرياض)، ط١ (١٤٠٩هـ).

٢٠٤) فقه السيرة، محمد الغزالي السقا، اعتنى به: محمد ناصر الدين الألباني، دار القلم (دمشق)، ط١ (١٤٢٧هـ).

٢٠٥) فهم القرآن ومعانيه، أبو عبد الله الحارث بن أسد المحاسبي، اعتنى به: حسين القوتلي، دار الكندي ودار الفكر (بيروت)، ط٢ (١٣٩٨هـ).

٢٠٦) الفواكه الشهية في الخطب المنبرية، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، الرئاسة العامة لإداراة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد (الرياض)، ط١ (١٤١٢هـ).

٢٠٧) الفوائد، ابن قيم الجوزية أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب، دار الكتب العلمية (بيروت)، ط٢ (١٣٣٩هـ).

٢٠٨) في العقلية الليبرالية، عبد العزيز بن مرزوق الطريفي، دار الحجاز (مصر - الإسكندرية)، ط١ (١٤٣٢هـ).

٢٠٩) في ظلال القرآن، سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي، دار الشروق (بيروت)، ط١٧ (١٤١٢هـ).

٢١٠) قاعدة في المحبة، أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، اعتنى به: د. محمد رشاد سالم، مكتبة التراث الإسلامي (القاهرة).

٢١١) قالوا عن الإسلام، د. عماد الدين خليل، الندوة العالمية للشباب الإسلامي (الرياض)، ط١ (١٤١٢هـ).

٢١٢) قناديل الصلاة، د. فريد الأنصاري، دار القرويين (المغرب - الدار البيضاء)، (١٤٢٠هـ).

٢١٣) قواعد الأحكام في مصالح الأنام، العز بن عبد السلام، اعتنى به: طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية (القاهرة)، (١٤١٤هـ).

٢١٤) القواعد الحسان لتفسير القرآن، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، مكتبة الرشد (الرياض)، ط١ (١٤٢٠هـ).

٢١٥) القواعد الصغرى (الفوائد في اختصار المقاصد)، العز بن عبد السلام، تحقيق : د. صالح بن عبد العزيز بن إبراهيم آل منصور، دار الفرقان للنشر والتوزيع، ط١ (١٤١٧هـ).

٢١٦) القول المفيد على كتاب التوحيد، محمد بن صالح العثيمين، دار ابن الجوزي (المملكة العربية السعودية - الدمام)، ط٢ (١٤٢٤هـ).

٢١٧) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو الزمخشري، دار الكتاب العربي (بيروت)، ط٣ (١٤٠٧هـ).

٢١٨) كشف المعاني في المتشابه من المثاني، بدر الدين محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة، اعتنى به: د. عبد الجواد خلف، دار الوفاء (مصر - المنصورة)، ط١ (١٤١٠هـ).

٢١٩) كلمة الإخلاص وتحقيق معناها، أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب، اعتنى به: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي (بيروت)، ط٤ (١٣٩٧هـ).

٢٢٠) لباب التأويل في معاني التنزيل (تفسير الخازن)، الخازن علاء الدين علي بن محمد، اعتنى به: علاء الدين علي بن محمد، دار الكتب العلمية (بيروت)، ط١ (١٤١٥هـ).

٢٢١) اللباب في علوم الكتاب، ابن عادل الحنبلي، اعتنى به: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية (بيروت)، ط١ (١٤١٩هـ).

٢٢٢) لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف، أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب، دار ابن حزم، ط١ (١٤٢٢هـ).

٢٢٣) لطائف قرآنية، د. صلاح عبد الفتاح الخالدي، دار القلم (دمشق)، ط١ (١٤١٢هـ).

٢٢٤) لمحات الأنوار وري الظمآن لمعرفة ما ورد في ثواب قارئ القرآن، محمد بن عبد الواحد الغافقي، اعتنى به: د. رفعت فوزي عبد المطلب، دار البشائر الإسلامية، ط١ (١٤١٨هـ).

٢٢٥) لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، د. فاضل بن صالح السامرائي، دار عمَّار (عمَّان)، ط٣ (١٤٢٣هـ).

٢٢٦) مآلات الخطاب المدني، إبراهيم بن عمر السكران، مركز الفكر المعاصر (الرياض)، ط١ (١٤٣٥هـ).

٢٢٧) المتمنين، ابن أبي الدنيا أبو بكر عبد الله بن محمد، اعتنى به: محمد خير رمضان يوسف، دار ابن حزم (بيروت)، ط١ (١٤١٨هـ).

٢٢٨) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، أبو الفتح ضياء الدين ابن الأثير نصر الله بن محمد، اعتنى به: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية (بيروت)، (١٤٢٠هـ).

٢٢٩) مجالس القرآن، د. فريد الأنصاري، دار السلام (القاهرة)، ط٢ (١٤٣١هـ).

٢٣٠) مجالس شهر رمضان، محمد بن صالح العثيمين، الجامعة الإسلامية (المدينة النبوية)، (١٤٠٨هـ).

٢٣١) المجالسة وجواهر العلم، أبو بكر أحمد بن مروان الدينوري، اعتنى به: مشهور بن حسن آل سلمان، جمعية التربية الإسلامية (البحرين) ودار ابن حزم (بيروت)، (١٤١٩هـ).

٢٣٢) مجموع الفتاوى لابن تيمية، اعتنى به: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف (المدينة النبوية)، (١٤١٦هـ).
٢٣٣) مجموع رسائل الحافظ ابن رجب الحنبلي، اعتنى به: أبو مصعب طلعت بن فؤاد الحلواني، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر.
٢٣٤) مجموع فتاوى ابن باز، عبد العزيز بن باز، اعتنى به: محمد بن سعد الشويعر.
٢٣٥) مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، اعتنى به: فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان، دار الوطن (الرياض) ودار الثريا (الرياض)، (١٤١٣هـ).
٢٣٦) محاسن التأويل (تفسير القاسمي)، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي، اعتنى به: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية (بيروت)، ط١ (١٤١٨هـ).
٢٣٧) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، الراغب الأصفهاني أبو القاسم الحسين بن محمد، دار الأرقم بن أبي الأرقم (بيروت)، ط١ (١٤٢٠هـ).
٢٣٨) المحاور الخمسة للقرآن الكريم، محمد الغزالي السقا، دار نهضة مصر، ط١ .
٢٣٩) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية الأندلسي أبو محمد عبد الحق بن غالب، اعتنى به: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية (بيروت)، ط١ (١٤٢٢هـ).
٢٤٠) المحلى بالآثار، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي، دار الفكر (بيروت).
٢٤١) مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة لابن القيم، اختصره: ابن الموصلي، اعتنى به: سيد إبراهيم، دار الحديث (القاهرة)، ط١ (١٤٢٢هـ).
٢٤٢) مختصر سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم، محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي، وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد (المملكة العربية السعودية)، ط١ (١٤١٨هـ).
٢٤٣) مختصر قيام الليل وقيام رمضان وكتاب الوتر، أصل الكتب الثلاثة للمؤلف: أبو عبد الله محمد بن نصر المروزي، اختصرها: أحمد بن علي المقريزي، حديث أكاديمي (باكستان - فيصل أباد)، ط١ (١٤٠٨هـ).
٢٤٤) مختصر منهاج السنة، أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، اختصره: الشيخ عبد الله بن محمد الغنيمان، دار الصديق (صنعاء)، ط٢ (١٤٢٦هـ).
٢٤٥) مختصر منهاج القاصدين، نجم الدين أبو العباس أحمد بن عبد الرحمن بن قدامة المقدسي، اعتنى به: محمد أحمد دهمان، مكتبة دار البيان (دمشق)، (١٣٩٨هـ).
٢٤٦) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ابن قيم الجوزية أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب، اعتنى به: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي (بيروت)، ط٣ (١٤١٦هـ).

٢٤٧) المدخل إلى السنن الكبرى، أبو بكر البيهقي أحمد بن الحسين بن علي، اعتنى به: د. محمد ضياء الرحمن الأعظمي، دار الخلفاء للكتاب الإسلامي (الكويت).

٢٤٨) المرأة الاسفنجية، عبد الملك القاسم، دار القاسم (الرياض).

٢٤٩) مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي، اعتنى به: د. عبد المحسن بن عبد العزيز العسكر، دار المنهاج (الرياض)، ط١ (١٤٢٦هـ).

٢٥٠) مشكلات في طريق الحياة الإسلامية، محمد الغزالي السقا، دار نهضة مصر، ط١ .

٢٥١) معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول، حافظ بن أحمد بن علي الحكمي، اعتنى به: عمر بن محمود أبو عمر، دار ابن القيم (المملكة العربية السعودية - الدمام)، ط١ (١٤١٠هـ).

٢٥٢) معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي)، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، اعتنى به: محمد عبد الله النمر وآخران، دار طيبة، ط٣ (١٤١٧هـ).

٢٥٣) معاني القرآن، أبو جعفر أحمد بن محمد النحاس، اعتنى به: محمد علي الصابوني، جامعة أم القرى (مكة المكرمة)، ط١ (١٤٠٩هـ).

٢٥٤) معرفة السنن والآثار، أبو بكر البيهقي أحمد بن الحسين بن علي، اعتنى به: عبد المعطي أمين قلعجي، جامعة الدراسات الإسلامية (باكستان) ودار الوعي (حلب) ودار قتيبة (دمشق)، ط١ (١٤١٢هـ).

٢٥٥) معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي، اعتنى به: بشار عواد معروف و شعيب الأرناؤوط وصالح مهدي عباس ، مؤسسة الرسالة (بيروت)، ط١ (١٤٠٤هـ).

٢٥٦) مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، فخر الدين الرازي أبو عبد الله محمد بن عمر، دار إحياء التراث العربي (بيروت)، ط٣ (١٤٢٠هـ).

٢٥٧) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، ابن قيم الجوزية أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب، دار الكتب العلمية (بيروت).

٢٥٨) المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني أبو القاسم الحسين بن محمد، اعتنى به: صفوان عدنان داودي، دار القلم، ط١ (١٤١٢هـ).

٢٥٩) مقدمة ابن خلدون، عبد الرحمن بن خلدون، اعتنى به: عبد الله محمد الدرويش، دار البلخي (دمشق)، ط١ (١٤٢٥هـ).

٢٦٠) مكارم الأخلاق، محمد بن صالح العثيمين، دار الوطن (الرياض)، ط١ .

٢٦١) ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل، أبو جعفر أحمد بن إبراهيم الغرناطي، اعتنى به: عبد الغني محمد علي الفاسي، دار الكتب العلمية (بيروت).

٢٦٢) من أسرار التنزيل، فخر الدين الرازي أبو عبد الله محمد بن عمر، اعتنى به: عبد القادر أحمد عطا، دار المسلم (مصر).

٢٦٣) من خلق القرآن، د. محمد بن عبد الله دراز، اعتنى به: عبد الله إبراهيم الأنصاري، إدارة الشؤون الدينية بدولة قطر، (١٣٩٩هـ).

٢٦٤) مناقب الإمام أحمد، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، اعتنى به: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، ط٢ (١٤٠٩هـ).

٢٦٥) مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزُّرْقاني، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركائه، ط٣.

٢٦٦) المنتقى من فرائد الفوائد، محمد بن صالح العثيمين، دار الوطن (الرياض)، (١٤٢٤هـ).

٢٦٧) الموافقات، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي، اعتنى به: مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، ط١ (١٤١٧هـ).

٢٦٨) المواهب الربانية من الآيات القرآنية، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، اعتنى به: د. عمر المقبل، دار الحضارة (الرياض)، ط٢ (١٤٣٦هـ).

٢٦٩) موسوعة الأعمال الكاملة للشيخ محمد الخضر حسين، اعتنى به: علي الرضا الحسيني، دار النوادر (دمشق)، ط١ (١٤٣١هـ).

٢٧٠) ميراث الصمت والملكوت، عبد الله بن عبد العزيز الهدلق، ط١ (١٤٣١هـ).

٢٧١) النبأ العظيم، د. محمد بن عبد الله دراز، اعتنى به: أحمد مصطفى فضلية، دار القلم، (١٤٢٦هـ).

٢٧٢) نحو تفسير موضوعي، محمد الغزالي السقا، دار نهضة مصر، ط١ .

٢٧٣) نظرات لغوية في القرآن الكريم، أ.د. صالح بن حسين العايد، دار كنوز إشبيليا (الرياض)، ط٣ (١٤٢٥هـ).

٢٧٤) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر البقاعي، دار الكتاب الإسلامي (القاهرة).

٢٧٥) النفقة على العيال، ابن أبي الدنيا أبو بكر عبد الله بن محمد، اعتنى به: د. نجم عبد الرحمن خلف، دار ابن القيم (المملكة العربية السعودية - الدمام)، ط١ (١٤١٠هـ).

٢٧٦) النكت الدالة على البيان في أنواع العلوم والأحكام، أحمد محمد بن علي بن محمد الكَرَجي القصَّاب، اعتنى به: علي بن غازي التويجري و آخران، دار ابن القيم ودار ابن عفان، ط١ (١٤٢٤هـ).

٢٧٧) النكت والعيون (تفسير الماوردي)، أبو الحسن الماوردي علي بن محمد، اعتنى به: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية (بيروت).

٢٧٨) نور وهداية، علي بن مصطفى الطنطاوي، اعتنى به: مجاهد مأمون ديرانية، دار المنارة (المملكة العربية السعودية - جدة)، ط٢ (١٤٢٩هـ).

٢٧٩) نونية ابن القيم (الكافية الشافية)، ابن قيم الجوزية أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب، مكتبة ابن تيمية (القاهرة)، ط٢ (١٤١٧هـ).

٢٨٠) الهدى والبيان في أسماء القرآن، صالح بن إبراهيم البليهي، ط٢ (١٤٠٣هـ).

٢٨١) هذه مفاهيمنا، صالح بن عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ، إدارة المساجد والمشاريع الخيرية (الرياض)، ط٢ (١٤٢٢هـ).

٢٨٢) هكذا علمتني الحياة، مصطفى بن حسني السباعي، المكتب الإسلامي، ط٤ (١٤١٨هـ).

٢٨٣) الوابل الصيب من الكلم الطيب، ابن قيم الجوزية أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب، اعتنى به: سيد إبراهيم، دار الحديث (القاهرة)، ط٣ (١٩٩٩ م).

٢٨٤) الوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي، اعتنى به: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث (بيروت)، (١٤٢٠هـ).

٢٨٥) وحي القلم، مصطفى صادق الرافعي، دار الكتب العلمية (بيروت)، ط١ (١٤٢١هـ).

٢٨٦) الوصية المباركة، أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي، اعتنى به: أم عبد الله بنت محروس العسيلي، دار تيسير السنة، ط١ (١٤١١هـ).

٢٨٧) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أبو العباس شمس الدين ابن خلكان، اعتنى به: إحسان عباس، دار صادر (بيروت)، ط١ (١٩٩٤ م).

التصنيف الموضوعي [1]

الموضوع	التدبرات
العقيدة	
الإيمان بالله	
توحيد الألوهية	
أهمية التوحيد	(١١٠/٣)، (١٣٩/﴿١٥١﴾)، (٢٠٠/﴿٧١﴾)، (٢٠١/﴿٨٨﴾)، (٢٧٢/﴿٥٠﴾)، (٣١٨/﴿٢﴾)، (٣٥٩/﴿١٠٤﴾/١)، (٣٦٧/﴿٩٠﴾/٣)، (٣٨٥/٤)، (٣٩٥/﴿٣١﴾/١)، (٣٩٧/٢)، (٤٨٩/٣)، (٥٤٠/﴿١٩﴾)، (٦٩٦/٥).
خطر الشرك	(١٠٩/﴿٢٥٤﴾)، (١٣٩/﴿١٥١﴾)، (٢٩١/﴿٣٨﴾/٢)، (٣٠٩/﴿٣٥﴾)، (٣٥٩/﴿١٠٤﴾/٢)، (٣٦٣/﴿٣٠﴾)، (٣٦٧/﴿٩٠﴾/٣)، (٣٨١/﴿٢٢﴾)، (٣٩٢/﴿٢٦﴾/١)، (٣٩٥/﴿٣١﴾/١)، (٣٩٦/﴿٣١﴾/٢)، (٦٥٢/٢)، (٦٥٨/﴿٤﴾)، (٦٦٤/١)، (٦٩٢/٣).

(١) **تنبيهات لاستخدام الفهرس الموضوعي:**

- العزو إلى رقم الصفحة، ثم رقم الفائدة، أو رقم الآية، وأحيانًا لأجل التمييز بين أرقام الفوائد يتم العزو إلى رقم الصفحة ثم رقم الآية ثم رقم الفائدة (رقم الصفحة/رقم الفائدة) أو (رقم الصفحة/رقم الآية ﴿٨٨﴾/رقم الفائدة) أو (رقم الصفحة/ ﴿٨٨﴾).

- عند وضع الرمز ۞ فهو للدلالة على التدبرات التي تكون في أول السورة وليس لها ارتباط بأرقام الآيات (رقم الصفحة/۞) أو (رقم الصفحة/۞/رقم الفائدة).

- إذا تم العزو إلى رقم الصفحة ثم رقم الآية فقط، فإن هذا يشمل جميع التدبرات المتعلقة بالآية (رقم الصفحة/ ﴿٨٨﴾).

الموضوع	التدبرات
النفاق	(٥٠/﴿١٠﴾،﴿٨﴾)، (٥١/﴿١٤﴾)، (٥٢/٣)، (١٣٤/﴿١١٨﴾/١)، (١٦٥/﴿٧٣﴾)، (١٦٦/﴿٧٩﴾/١)، (١٦٨/٢)، (١٧٥/﴿١٤٣﴾)، (٢٣٧/٢)، (٢٤٥/﴿٤٢﴾)، (٢٤٧/﴿٤٧﴾)، (٢٥٠/﴿٧٩﴾)، (٢٥١/﴿٨٣﴾/١)، (٢٥٨/﴿١٢٥﴾)، (٤٧٤/﴿١٢﴾)، (٥٤١/﴿٣٠﴾/١،٢،٤)، (٥٤٢/٥)، (٥٤٨/٣)، (٥٧٨/﴿١٣﴾)، (٥٨٤/﴿١٨﴾)، (٦٠١/٢،٤)، (٦٠٢/٥)، (٦٨٧/﴿٧﴾).
الرياء	(٤٢/٦)، (٢١٣/١)، (٢٥٤/﴿١٠٨﴾)، (٢٦٠/﴿٢٥﴾)، (٤٢٤/﴿٢٣﴾)، (٤٣٦/﴿٨٤﴾/١)، (٤٥٣/﴿٦٢﴾)، (٤٦٣/﴿٤٠﴾)، (٦٧٧/﴿١٠﴾/٢)، (٦٧٩/﴿٢﴾/١،٢)، (٦٨٧/﴿٦﴾).
توحيد الربوبية	(٢٥/﴿٢١﴾)، (٥٧/١)، (١١٠/٤)، (١٤٧/﴿١٩٠﴾/١،٢)، (١٥٢/١)، (٦١٤/﴿١﴾)، (٦٧١/٤،٥).
أسماء الله وما تضمنته من الصفات	
العليم	(١١١/٩)، (٢٦٥/﴿٦١﴾)، (٣٦٩/﴿٧﴾)، (٣٨٨/﴿١١٠﴾)، (٤٨٨/﴿١١﴾)، (٥٢٢/﴿٢٥﴾)، (٦٢٨/﴿٢٨﴾).
عالم الغيب	(١٩٩/﴿٥٩﴾)، (٢٥٢/﴿٩٠﴾)، (٤٦٨/﴿٣٤﴾/٢)، (٦٢٨/﴿٢٧﴾).
الحكيم	(٥٨/﴿٦٥﴾)، (٢٣٧/﴿٤٤﴾)، (٥١٥/﴿٩﴾)، (٥٣٢/﴿٤﴾)، (٥٧٧/﴿٤﴾).
الرحمن والرحيم	(٤١/﴿٣﴾)، (٥٤/﴿٣٧﴾)، (١٤١/١)، (١٥٤/١)، (١٥٩/﴿٢٩﴾)، (٢٢٢/٢)، (٢٣٧/١)، (٢٣٩/﴿٦٣﴾)، (٢٥٤/﴿١٠٣﴾)، (٣٣٢/﴿١١﴾)، (٣٧٠/١)، (٤٦٤/١)، (٤٧٧/﴿٣١﴾)، (٥١٠/٥)، (٥١٨/﴿٣٢﴾)، (٥٢٣/﴿٢٨﴾/٢)، (٥٤٨/٦)، (٦١٢/﴿٩﴾).
السميع	(١٤٥/١).
الحفيظ	(٣٠٢/١)، (٣٠٣/٢)، (٣٢٥/﴿٩٦﴾/٢)، (٤٢٨/﴿٥٣﴾).
الرزاق	(٣١٣/﴿٢١﴾)، (٤٥٩/﴿٦٠﴾)، (٥٢٨/﴿٣٢﴾/١)، (٥٥٧/﴿٢٣﴾).

الموضوع	التدبرات
الخلاق	(٣١٩/١)، (٣٢٢/﴿٧٩﴾)، (٥٦٩/٢)، (٥٧٧/﴿٤﴾)، (٦٦٩/﴿٤﴾)، (٦٧١/٦).
الهادي	(٣٧١/﴿٥٠﴾)، (٤٥٩/﴿٦٠﴾).
القريب	(٨٣/٢)، (٨٤/٤).
الملك	(١١١/٨)، (٥٦٤/﴿٢٥﴾).
العلي العظيم	(١١١/١٠،١١)، (١٩٥/﴿١٨﴾)، (٣٩١/٢،٣)، (٤٠١/﴿٧٤﴾).
القدير	(٢٦٧/٢)، (٣٧٠/﴿٣٩﴾)، (٥٣٣/١،٢)، (٤٢٨/﴿٥٣﴾)، (٥٦٨/﴿٥٠﴾)، (٦٨٤/١).
الجواد الكريم	(٧٤/﴿١٥٧﴾/١)، (١١٣/﴿٢٦١﴾)، (١٢٥/٥)، (٣٨٥/﴿٨٩﴾/١)، (٥٧٠/﴿٢٩﴾)، (٦١٧/﴿٤﴾/١).
الحليم	(١٤٥/٢)، (٦٥٤/٢).
عدل الله	(١١٥/١)، (١١٦/٣)، (٣١١/١)، (٣٢٣/﴿٨٨﴾)، (٥٧٢/۞/٢).
لطف الله بأوليائه	(٢٣/٦)، (٦٣/﴿١٠٦﴾)، (٧٨/﴿١٨٣﴾/١)، (٩٣/٧،٩)، (٤٧٣/﴿٥﴾).
نصر الله لأوليائه	(٣٥/٩)، (٥٧/٢)، (١١٤/﴿٢٧٠﴾)، (٢٣٣/﴿١٧﴾)، (٣٩٩/٢)، (٤٠٩/﴿٩٦﴾/٢)، (٤٤٧/﴿٤﴾)، (٤٥٧/﴿٤٥﴾/٣)، (٥٥٨/١،٢).
كمال أسماء الله وصفاته	(١٤٥/٤)، (٢٢٦/﴿١٨٠﴾)، (٣٢٥/٤)، (٤٠٤/﴿١٤﴾/٢)، (٥١٥/﴿١٥﴾)، (٥٦٩/۞).
الإيمان بالكتب	
التمسك بكتاب الله والاستغناء به	(٦٠/﴿٧٥﴾)، (١٦٣/١،٢)، (١٦٧/٧)، (٢١٥/﴿٧٩﴾)، (٢١٨/٢)، (٢٢٤/٢)، (٣٣٠/﴿٩﴾/١)، (٣٧٦/﴿١٢٣﴾)، (٣٧٧/١)، (٣٧٩/﴿١٣٤﴾)، (٤٥٨/١،٢)، (٥٢٩/﴿٤٣﴾).
مكانة القرآن	(١٨٦/٢)، (١٩٦/﴿٢٦﴾)، (٣٣٠/﴿٩﴾/١)، (٣٣١/٢)، (٥٠٧/﴿٢٨﴾).

الموضوع	التدبرات
إعجاز القرآن	(٦/١٥)، (١٣/٢٤)، (٣٠/٤-٦)، (١٨/٣٢)، (٦١/﴿٨٧﴾)، (١١٣/﴿٢٦٠﴾)، (١٩٧/٣،٤)، (٢١١/٢)، (٢٦٨/﴿١﴾/١)، (٢٧٢/١،٣)، (٣٦٢/٣)، (٤١٨/٩)، (٥٥٩/﴿٤٧﴾)، (٥٦٦/٢،٣)، (٥٩٦/١)، (٦٩٢/﴿٣﴾)، (٦٩٦/١).
حفظ الله للقرآن	(١٨٦/﴿٤٤﴾)، (٣١٣/١،٢)، (٣٢٧/﴿١٠٣﴾).
الإيمان بالرسل	
اتباع سنة النبي ﷺ	(٧١/﴿١٤٣﴾/٢)، (١١٨/﴿٢٨٥﴾/١)، (١٢٤/﴿٣١﴾/٢،٣)، (١٣٩/١)، (١٤١/٤)، (١٦٤/٣)، (١٦٧/٥)، (١٨٣/﴿٢٧﴾)، (١٩٨/﴿٥٠﴾)، (٢٠٩/١)، (٢٣٤/١)، (٢٤١/١)، (٢٤٥/٢)، (٢٧٧/١)، (٣٣٩/﴿٧٩﴾)، (٣٦٠/﴿١١٠﴾)، (٣٦٤/﴿٣١﴾/٢)، (٣٧٤/﴿٩٤﴾)، (٤٠٦/﴿٥١﴾/٣)، (٤٢٠/﴿٥٤﴾)، (٤٢١/﴿٦٣﴾/١)، (٤٣٦/﴿٨٤﴾/٢)، (٤٧٥/﴿٢١﴾/١)، (٤٧٦/٥،٦)، (٤٩٩/﴿٤﴾)، (٥١٤/﴿٨٣﴾)، (٥٦٤/٢)، (٥٨٠/﴿٢٧﴾)، (٥٨٦/﴿٧﴾)، (٥٩٠/٤)، (٦١٠/﴿١١﴾)، (٦١٤/﴿٢﴾)، (٦٥٨/﴿٤﴾)، (٦٦٧/﴿٤﴾/٢)، (٦٨٨/﴿١﴾/١)، (٦٩٠/٢-٤).
حقوق المصطفى ﷺ	(٦٩/﴿١٣٤﴾)، (١٧٢/﴿١١٥﴾)، (٢٤٩/﴿٦٦﴾/٢،٣)، (٦٦٨/٤).
نصرة الله لنبيه ﷺ	(١٤٦/﴿١٨٦﴾/١)، (١٧٩/٦)، (٢٣٣/﴿١٢﴾)، (٢٤١/٢)، (٢٤٥/﴿٤٠﴾/١)، (٣١٦/﴿٩٥﴾/١)، (٦٦٩/﴿٨﴾/١)، (٦٩٤/﴿٣﴾).
الإيمان باليوم الآخر	
الموت	(٦٢/﴿٩٥﴾)، (١٥١/﴿١٩٨﴾)، (٢٠٦/٢)، (٤٨٦/٤)، (٤٩٦/٢)، (٥٥٤/﴿١٩﴾/١،٢)، (٥٧٦/﴿٨٧﴾،﴿٨٣﴾)، (٥٩٨/﴿٨﴾/٢)، (٦٠٣/﴿١٠﴾)، (٦٣٧/﴿٣٠﴾،﴿٢٩﴾).
القبر	(٣١٩/﴿٧﴾)، (٣٣٨/﴿٧٢﴾)، (٦٣٧/﴿٣٠﴾)، (٦٧٩/٣،٤).

الموضوع	التدبرات
البعث	(٣١١/﴿٤٢﴾/١)، (٥٥٣/﴿١٥﴾)، (٥٦٥/﴿٧﴾)، (٦٤٦/﴿٢٢﴾)، (٦٦٩/﴿٨﴾/٢)، (٦٧٨/﴿٥﴾/٢)، (٦٨٦/١،٢).
الحساب	(١١٨/﴿٢٨٤﴾/٢)، (٣٣٢/﴿١٤﴾/١)، (٣٥٠/﴿٤٩﴾/١،٢)، (٤٢٤/﴿٢٤﴾/٢)، (٤٩٧/﴿٢٤﴾)، (٥٦٨/﴿٥٣﴾)، (٦٤٣/﴿١٣﴾)، (٦٤٨/﴿٨﴾)، (٦٨٠/١).
القيامة	(٤١/﴿٤﴾/١،٢)، (٣٦٤/١)، (٣٩٠/٣)، (٤٢٤/﴿٢٤﴾/١)، (٥٦٥/﴿١﴾)، (٥٧١/﴿٤١﴾)، (٥٧٢/﴿٣﴾/١،٢)، (٥٧٣/٣)، (٦١٢/﴿٨﴾)، (٦٣٩/١)، (٦٤٧/٢)، (٦٤٨/﴿٣﴾)، (٦٥٣/﴿٣٦﴾)، (٦٥٥/﴿١٠﴾).
الجنة	(٢٥/١٨)، (٢٦٠/﴿٢٤﴾)، (٣٥٨/﴿٨٨﴾)، (٣٦٠/١،٢)، (٤٧١/﴿١٧﴾/١،٢)، (٤٩٢/﴿٣٤﴾/١،٢)، (٤٩٧/﴿٤٢﴾)، (٥٠٣/﴿٥٠﴾/٢)، (٦١٩/﴿٣٤﴾)، (٦٢١/١،٢)، (٦٣٧/٢،٣)، (٦٤٠/﴿١١﴾/٢)، (٦٤٠/﴿١٣﴾)، (٦٤١/﴿١٤﴾-﴿٢٢﴾)، (٦٥٢/١).
النار	(٥٢/﴿٢٤﴾)، (١٤٦/٤)، (١٦٣/﴿٥٦﴾)، (٣١٢/﴿٥٠﴾)، (٣٥٩/﴿١٠١﴾/١)، (٣٨٧/﴿٩٨﴾)، (٤٣٠/﴿٦٥﴾)، (٤٧١/﴿٢٠﴾)، (٤٨٦/١،٢)، (٥٣٩/﴿١٥﴾)، (٥٨١/٢)، (٦١٢/٢،٣)، (٦٣٢/﴿١٢﴾)، (٦٤٠/﴿١٣﴾)، (٦٤٤/﴿٣٠﴾)، (٦٥٨/﴿٢٤﴾)، (٦٨٢/٣).
الإيمان بالقدر	
الرضا بأقدار الله	(١٠٢/﴿٢١٦﴾/٣)، (١٤٠/﴿١٥٤﴾)، (٢٦٧/﴿١٠٧﴾)، (٢٦٩/١،٣)، (٣٢٢/﴿٧١﴾)، (٣٢٦/٢)، (٣٥٢/٣)، (٣٥٦/١،٢)، (٣٦٦/٢)، (٣٧٨/﴿١٣٠﴾)، (٦٠٥/٤)، (٦٤٢/﴿٣٠﴾).
الاعتراض على أقدار الله	(٣٦/٩)، (١٤٠/٢)، (٤٨٢/﴿٧٢﴾/٢)، (٦٠٤/١)، (٦٠٤/٣).
الفرق والأديان	(١٢٢/﴿١٩﴾)، (١٢٨/﴿٧٢﴾)، (١٨٩/٢)، (١٩٠/﴿٨٢﴾)، (٢٣٨/﴿٥٦﴾)، (٤٣٥/﴿٦٣﴾)، (٤٣٦/﴿١٠٥﴾)، (٥٥٩/﴿٥٣﴾)، (٥٨٨/٢)، (٥٨٩/٨)، (٥٩٠/١،٣)، (٥٩٧/﴿٧﴾)، (٦٥٨/﴿٢٢﴾)، (٦٩٧/﴿٣﴾)، (٦٩٤/﴿٢﴾)،

الموضوع	التدبرات
طرق أهل الضلال	(١٦/٢٤)، (٥٥/﴿٤٢﴾/٣،٢)، (٤٣٥/﴿٧٤﴾)، (١/٤٦٦)، (٦١٤/﴿٩﴾).
جماعة المسلمين وإمامهم	(٣/٦٧)، (١٣٢/﴿١٠٥﴾/١)، (٢١٦/﴿٨٧﴾)، (٢/٢٦١)، (٢/٢٧١)، (٢٧٨/﴿١١٩﴾)، (٣٧٢/﴿٦٤﴾)، (١/٤٤٠)، (١/٤٥١)، (١/٦٥٠).
الولاء والبراء	(٩/٤٨)، (٦٣/﴿١٠٥﴾/٢)، (٧٠/﴿١٣٧﴾)، (١٢٣/﴿٢٨﴾)، (١٢٧/﴿٥٥﴾)، (١٢٨/﴿٦٨﴾)، (٢/١٣٤)، (١/١٥٦)، (١/١٦٨)، (١/١٧١)، (١٧٨/﴿٢﴾/٤)، (١٨٠/﴿٨﴾)، (١٨٢/﴿٢٥﴾)، (١/١٨٧)، (٢٠٣/﴿١٠٨﴾/١)، (٢٥٧/﴿١١٩﴾)، (٢٧٤/﴿٨١﴾/١)، (٣٣٨/﴿٧٥﴾/١)، (٣٤٤/﴿١٩﴾/١)، (٣٤٦/﴿٢٢﴾/٢)، (٢/٣٤٨)، (٣٥٠/﴿٥٠﴾/١،٢)، (٣/٣٥١)، (٣٧٤/﴿٩٧﴾)، (١/٤٢٥)، (٤٣٠/﴿٧٢﴾/١)، (٤٩٩/﴿٤﴾)، (٥٨٥/٢،٣)، (٥٩٣/﴿٨﴾،﴿٧﴾)، (٢/٦١٨)، (٦٣١/﴿١٠﴾/٢،٣)، (٦/٦٨٩)، (٦٩١/﴿٢﴾،﴿١﴾)، (١/٦٩٢).
البدع والمحدثات	(٧٥/١،٢)، (٢/١٢٤)، (٢/١٧٨)، (٧/١٧٩)، (٢٠٣/﴿١٠٨﴾/٢)، (٣/٢٣٦)، (٣٤٥/﴿٢١﴾)، (٣٥٩/﴿١٠٤﴾/٢)، (٥٨٠/﴿٢٧﴾).
الشريعة	
الطهارة	(١/٦٦)، (٦/٨٦)، (١٠٣/﴿٢٢٢﴾/٢)، (١٨٠/﴿٦﴾).
الصلاة	(٥٦/٣،٥،٧)، (٨/٥٧)، (٧٣/﴿١٥٣﴾/٢)، (١٠٦/﴿٢٣٨﴾/٢،٣)، (١٦٢/﴿٤٣﴾)، (١٧٠/﴿١٠٢﴾)، (١٧٤/﴿١٤٢﴾/١،٢)، (١٨٠/﴿١٢﴾)، (٢٢٠/﴿١٤٣﴾/٢)، (٢٤٧/١،٢)، (٢٧٤/﴿٨٧﴾/١)، (٣٣٩/﴿٧٨﴾/١،٢)، (١/٣٧٨)، (٣٧٩/﴿١٣٢﴾/١،٣)، (٤١٩/﴿٣٧﴾)، (٤٥٧/﴿٤٥﴾/١،٢)، (٤٥٨/﴿٤٥﴾/٤)، (٢/٤٧٠)، (٥٣٦/﴿١٩﴾)، (٥٥٦/﴿٤٥﴾)، (٥٩٨/﴿٩﴾/٢)، (٣/٥٩٩)، (١١/٦٠٠)، (٦٤٢/﴿٢٧﴾/١،٢)، (٦٤٣/﴿٤٨﴾)، (٦٥١/﴿١﴾/١)، (٦٨٧/﴿٥﴾)، (٤/٦٨٩).

الموضوع	التدبرات
الصدقة والزكاة	(٢٢/١)، (٤٩/﴿٣﴾)، (٧٤/﴿١٥٨﴾)، (١٠٦/﴿٢٤٥﴾)، (١١٤/٢،٣)، (١١٥/﴿٢٧١﴾)، (١١٥/٢)، (١٣٠/﴿٩٢﴾)، (١٧٢/﴿١١٤﴾)، (٢٤٣/﴿٣٥﴾،﴿٣٤﴾)، (٢٤٨/﴿٦٠﴾)، (٢٦٠/﴿٢٥﴾)، (٤٦٣/﴿٣٩﴾)، (٤٨٥/﴿٣٩﴾)، (٤٩٤/١)، (٥٧٩/﴿١٨﴾)، (٦٠٦/﴿١٧﴾)، (٦٢٢/﴿٣٤﴾)، (٦٣٢/٣)، (٦٣٨/٢)، (٦٣٩/٣-٧)، (٦٥٧/﴿١٥﴾)، (٦٦٠/﴿١٨﴾)، (٦٦٢/﴿١٥﴾)، (٦٦٦/١).
الصيام وشهر رمضان	(٢٣/٨)، (٢٦/٢٨)، (٧٩/٣-٦)، (٨٠/٨،٣،٤)، (٨١/١-٤)، (٨٢/١٠،١٢)، (٨٣/١٥)، (٨٦/٧،٨)، (٨٨/١٧)، (٨٨/﴿١٨٩﴾/١،٢)، (١٤٦/٣)، (٢٤٦/﴿٤٦﴾/٢)، (٣٠٢/٤)، (٤٠٧/٦)، (٤٠٩/﴿١٠٠﴾/١)، (٤٦٠/٦)، (٤٩٢/﴿٣٧﴾/٢)، (٥٠٥/﴿١٠﴾/٢)، (٥٠٩/٢)، (٥٣١/٣)، (٥٨٠/﴿٢٨﴾).
الاعتكاف	(٦٦/﴿١٢٥﴾/٣،٤)، (٨٦/٩،١٠)، (٨٧/١١،١٢).
الحج	(٣٤/٢٦)، (٣٥/٧)، (٩٠/﴿١٩٦﴾)، (٩١/﴿١٩٧﴾)، (٩٥/﴿١٩٨﴾)، (٩٥/﴿١٩٩﴾)، (٩٦/﴿٢٠٠﴾/١،٣)، (٩٧/﴿٢٠٣﴾)، (١٣٠/﴿٩٧﴾)، (١٣٦/﴿١٣٤﴾/١)، (١٣٩/٢)، (١٦٩/﴿٩٥﴾)، (١٧٤/﴿١٤٢﴾/٣)، (١٧٧/١)، (١٧٨/٣)، (١٩١/﴿٩٤﴾)، (١٩٢/﴿٩٧﴾)، (٢٠١/﴿٩٠﴾/١)، (٢٠١/﴿٩٠﴾/١)، (٢٤٣/﴿٣٦﴾)، (٢٩٦/٢)، (٣١٠/﴿٣٧﴾)، (٣٢٥/﴿٩٢﴾/٢)، (٣٢٦/﴿٩٧﴾/٤)، (٣٤٩/٤)، (٣٨٧/﴿٩٢﴾)، (٣٩٢/﴿٢٦﴾،﴿٢٥﴾)، (٣٩٣/﴿٢٧﴾)، (٣٩٤/﴿٢٨﴾)، (٣٩٥/﴿٣٠﴾،﴿٢٩﴾)، (٣٩٦/٣)، (٣٩٦/﴿٣٥﴾)، (٣٩٧/﴿٣٦﴾)، (٣٩٨/٤،٣،١)، (٣٩٩/٦،٥)، (٤٠٢/﴿٧٨﴾/٣،٢)، (٤٧٦/٧)، (٥٥٦/﴿٤٤﴾)، (٦٠٠/٦)، (٦٨٩/٤)، (٦٩٠/٧)، (٦٩٦/٥).
البيع	(٧٢/﴿١٥٢﴾/١)، (٣٤٤/﴿١٩﴾/٢)، (٣٧١/﴿٥٢﴾)، (٦٣٢/٢،١).
الربا	(١١٥/﴿٢٧٥﴾)، (١١٥/١،٣)، (١١٦/٤،٢)، (١١٦/﴿٢٧٩﴾)، (٢٥٨/٢)، (٤٣٠/٢)، (٤٦٣/﴿٣٩﴾)، (٦٢٠/٣).
النكاح	(٣٠٤/﴿٣٨﴾/٣،١)، (٤٥٢/﴿٢٩﴾).

الموضوع	التدبرات
الطلاق	(١٠٤/﴿٢٢٩﴾/١)، (١٠٦/﴿٢٣٨﴾/٤)، (٣٤٣/١)، (٤٧٩/﴿٤٩﴾)، (٦٠٧/١)، (٦٠٨/١)، (٦١٠/﴿٧﴾/٢).
الجهاد	(٢٢/٢)، (٧٣/﴿١٥٤﴾)، (١٩٦/﴿٢٦﴾)، (٢٥٥/﴿١١١﴾/٣).
الرخصة والعزيمة	(٨٣/١٤)، (٩٠/٦)، (٩٨/٧)، (١١٩/﴿٢٨٦﴾/٢)، (٢٥٢/﴿٩١﴾/١)،
التحايل على الشريعة	(٥٩/﴿٦٦﴾)، (٨٢/٨)، (٩١/١١)، (٩٨/٩)، (١٢٢/﴿٧﴾)، (٤٦٦/٤).
الحكم بما أنزل الله	(٧٨/﴿١٧٩﴾/٢)، (١٦٧/٦)، (١٨٧/١،٣)، (١٨٩/﴿٦٦﴾)، (٢٧٤/﴿٨٧﴾/٢)، (٢٩١/١)، (٤٠٠/﴿٤١﴾)، (٤١١/﴿٢﴾/٢).
الفتوى	(٢٩١/﴿٤٣﴾)، (٣٢٨/﴿١١٦﴾)، (٣٤٦/﴿٢٢﴾/٣).
قواعد في الشريعة	(٥٤/٢)، (٨٨/﴿١٨٩﴾)، (٨٩/٣)، (١٧٥/﴿١٦٠﴾/١)، (٢٤٤/٣)، (٢٩٢/﴿٤٧﴾)، (٣٥٤/﴿٦٧﴾)، (٤٠٢/﴿٧٧﴾/٢)، (٤١٧/٣)، (٥٤٩/٢)، (٥٨٦/﴿٧﴾)، (٥٩٢/٤)، (٥٩٨/٣)، (٦٠١/١)، (٦٠٦/﴿١٦﴾)، (٦٢٩/﴿٢﴾).
القرآن وعلومه	
بلاغة القرآن	
التشبيه	(٧٠/﴿١٣٨﴾)، (٣٤٩/﴿٤٥﴾)، (٤٩٠/﴿٢٢﴾)، (٦١٥/﴿٢٢﴾/١)، (٦٣٤/﴿٥١﴾)، (٦٤١/﴿١٩﴾/١).
الإيجاز وجمع المعاني المتعددة	(٣٩/١)، (٦٣/﴿١٠٤﴾/٢)، (٧٧/﴿١٧٧﴾)، (٧٨/﴿١٧٩﴾/١)، (٩١/٩)، (١٤٩/١)، (١٦٣/﴿٥٨﴾)، (١٧٧/﴿١﴾)، (١٨٠/١)، (٢١١/﴿٣١﴾/٢)، (٢٧٣/﴿٥٦﴾/٢)، (٢٨٣/٧)، (٣١٩/﴿٨﴾)، (٣٢٤/﴿٩٠﴾/١،٢)، (٣٦٦/﴿٦٢﴾)، (٣٧٦/﴿١١٩﴾)، (٤٤٠/﴿١٨﴾/٢)، (٤٤٧/﴿٧﴾/١)، (٤٥٣/﴿٧٧﴾)، (٤٦٩/١)، (٦٤١/﴿٢٠﴾)، (٦٧٠/﴿٥﴾/١)، (٦٧٦/٣)، (٦٨١/١).

الموضوع	التدبرات
العموم	(٢١٦/﴿٨٥﴾)، (٢٧٣/﴿٥٦﴾/٢)، (٣١٤/﴿٣٠﴾)، (٣١٩/﴿٨﴾)، (٣٤٨/﴿٣٩﴾)، (٦٩٩/﴿٥﴾/٢).
التكرار	(١٩١/﴿٩٣﴾)، (٢٥٦/﴿١١٧﴾/٢)، (٣٢١/﴿٥١﴾)، (٤٨٣/﴿١٢﴾)، (٥٦٧/﴿١٨﴾)، (٥٧٠/﴿٩﴾/٢)، (٥٧٠/﴿١٣﴾/١،٢)، (٦٣٧/﴿٣٥﴾)، (٦٤٣/١).
التأكيد	(٥٠/﴿٨﴾)، (٦٠/﴿٧٩﴾/١)، (٩١/٨)، (١٥٤/﴿٧﴾)، (٢٠٩/﴿١٦٥﴾)، (٢١٨/﴿١٢٢﴾)، (٢١٩/﴿١٤٢﴾)، (٤٥٦/﴿٤١﴾).
التقديم والتأخير	(٦٦/﴿١٢٥﴾/٢)، (٧٧/﴿١٧٣﴾)، (١١٠/٥)، (١٢٠/٧)، (١٦٥/﴿٦٩﴾)، (٢٥٥/٣)، (٣٢٨/٢)، (٣٤٩/٣)، (٣٩٣/﴿٢٧﴾/٣)، (٤٩١/﴿٣٢﴾/١،٢)، (٥٢٦/﴿٤٩﴾)، (٥٦٤/﴿٢٥﴾)، (٥٦٩/﴿٤﴾/١)، (٥٧٣/﴿٢١﴾)، (٥٧٤/﴿٧٣﴾/١)، (٥٩٦/٢)، (٦٤٧/﴿٣٥﴾)، (٦٤٧/١)، (٦٨٥/﴿١﴾/٢).
دقة اختيار الألفاظ	(٥٢/٣)، (٥٤/١)، (٧٢/﴿١٤٦﴾)، (٧٧/٣)، (١١٧/٢)، (١٢٧/﴿٥٢﴾)، (١٥٣/﴿٦﴾)، (١٥٥/﴿١٢﴾)، (٢١٨/﴿١٢٠﴾)، (٢١٩/﴿١٣١﴾)، (٢٢٢/﴿١٥٤﴾)، (٢٣٢/﴿١١﴾)، (٢٣٨/﴿٥٦﴾)، (٢٥٦/﴿١١٨﴾/١)، (٢٧١/١)، (٢٨٣/٤)، (٢٨٦/﴿٢٥﴾/٢)، (٣٠٧/﴿٢١﴾)، (٣١٠/٣)، (٣٣٥/﴿٤٥﴾/١)، (٣٨٢/﴿٤٦﴾)، (٣٨٩/﴿٢﴾/٢)، (٤٧٩/٢)، (٥٠٣/﴿٥٠﴾/١)، (٥٥١/﴿٤﴾)، (٥٥٢/﴿٦﴾)، (٥٥٥/﴿٣٧﴾/٤)، (٥٦٥/﴿١٢﴾)، (٥٧٣/﴿٦٥﴾/٢)، (٥٧٤/﴿٧٠﴾)، (٥٧٦/﴿٨٣﴾)، (٥٧٨/﴿١٣﴾)، (٥٨٧/﴿٩﴾/١)، (٦٠٣/١)، (٦١٤/﴿٤﴾)، (٦٢١/١)، (٦٣٦/﴿٢١﴾)، (٦٤٦/﴿٢﴾)، (٦٤٩/٢)، (٦٥٥/١)، (٦٦٥/١)، (٧٠٢/٢).

الموضوع	التدبرات
لطائف بيانية	(٥١/١٧/٢)، (٥٢/١٩)، (٥٣/٢)، (٥٤/٤١)، (٦٠/٧٩)، (٦٣/١٠٥)، (٦٦/١٢٤/٣)، (٦٩/١٣٣/١)، (٧٨/١٧٨/١)، (٨٠/١)، (٨٥/١)، (٨٨/١٨٨/٢)، (١١٣/٢٦٠)، (١١٦/٢٨٠)، (١١٩/٢٨٦/٣)، (١٢٠/٤،٦)، (١٢٧/٤٥)، (١٤٩/٧)، (١٥٠/١٩٥/٣)، (١٥٣/٥/٣،٤)، (١٥٧/٢٣)، (١٦٤/٦٤)، (١٦٥/٧٥)، (١٦٨/٨٧)، (١٧١/١١٢)، (١٧٩/٥)، (١٨٥/١)، (١٩٤/١٣)، (١٩٧/١)، (٢٠٠/٨٢،٧٨)، (٢١٢/٤٧)، (٢١٤/٤)، (٢١٥/٧٨)، (٢٢٦/١٧٩/١)، (٢٤٢/٢٦)، (٢٤٧/٥١)، (٢٦٦/٩٩)، (٢٧٣/٥٦/١)، (٢٨٣/٦)، (٢٨٢/٢٣)، (٢٨٤/٢٤/١،٣)، (٢٨٦/٣،٢)، (٢٨٧/٤-٦)، (٢٨٧/٨)، (٢٨٨/٢٦/٣،١)، (٢٨٨/٣٠/١)، (٢٩٧/٢)، (٣٣٠/٢،٣)، (٣٣٤/٣٥)، (٣٤٢/٢)، (٣٤٤/١٨/٣)، (٣٤٧/١)، (٣٥٥/٤)، (٣٦٧/٩٠/١)، (٤١٩/٤)، (٤٣٠/٤)، (٤٣٩/١٠)، (٤٤٠/١٨/٣)، (٤٤٤/٢)، (٤٦٤/٤٩)، (٥٢٨/٢٧/١)، (٥٥٨/٢٩)، (٥٧٢/١)، (٦١٧/١٠/١)، (٦٣٨/٣)، (٦٤٩/١)، (٦٨٨/٢/١)، (٦٨٩/٥)، (٦٩٥/٤/٣)، (٦٩٧/١).
المناسبات في الآيات	(٦٨/٣)، (٩٨/١١)، (٩٩/١٢)، (١٠٤/٢٣٠/٢)، (١١٠/٢،٦)، (١١١/٧)، (١٦٠/٢)، (١٨٤/٣٨)، (١٩٣/١١٨/٣)، (٢٣٦/٤)، (٤١٢/١٠)، (٤٢٧/٣)، (٤٣٠/٣)، (٤٥٣/٧٢)، (٤٦٩/٤)، (٤٧٩/١)، (٥٢٢/٢٥)، (٥٢٣/٢٨/٢)، (٥٧٠/٢٩)، (٥٧٤/٣)، (٥٨١/٥)، (٦٨٣/١/١)، (٧٠١/١).
المناسبات بين الآيات	(٤٩/٢/٢)، (٦٧/١٢٦/١،٢)، (٧٠/١٣٦)، (٨٧/١٣)، (٨٨/١٨٨/١)، (٩٥/١٩٨/١)، (١٠٦/١)، (١١٣/٢)، (١٢٧/٤٧)، (١٣٦/١٣٤/٢)، (١٨٧/٢)، (٢٠٧/١)، (٢٢٨/٢٠٠)، (٣١٩/٢)، (٣٤٧/٣٢)، (٣٥١/٥٨)، (٣٥٢/٦١)، (٣٥٤/١)، (٣٧٦/١٢٢)، (٣٨٢/٣٧)، (٣٨٣/٧٠)، (٣٨٤/٨٨/١)، (٤٢٢/٢)، (٤٢٨/٦١)، (٤٢٩/٦٣/٢)، (٥٥١/۞)، (٥٧٤/٧٧/١)، (٥٩١/١٩/٣)، (٦٢٣/٢٥/١)، (٦٧٧/١٠/١)، (٦٧٨/٥/١).

الموضوع	التدبرات
المناسبات في السور	(١٠٠/﴿٢٠٨﴾)، (١١٩/٥)، (١٢١/١٠،١٣)، (١٥٢/﴿١﴾/١)، (١٩٢/﴿١١١﴾/١)، (٣١٨/۞)، (٣١٨/﴿٥﴾/١)، (٣٢٣/﴿٨١﴾/٢)، (٣٤٢/۞)، (٣٦٨/۞)، (٣٨٩/۞/٢،١)، (٤٠١/١)، (٤٠٣/﴿١﴾/١)، (٤١٨/٩)، (٤٣٢/﴿٧٧﴾)، (٥٤٥/۞)، (٥٥٦/﴿٤٢﴾)، (٥٦٩/۞)، (٥٧٠/﴿١٣﴾/٢)، (٥٨١/۞)، (٦٠٧/۞/١)، (٦٢١/﴿٤﴾)، (٦٤٧/١)، (٦٥٦/۞/٢)، (٦٦٢/﴿١٠﴾)، (٦٦٧/۞)، (٦٧٠/۞/٢)، (٦٨٦/٣)، (٦٩١/﴿٢﴾/١).
قصص القرآن	(٢٤/١١)، (٣١/١٢)، (٣٤/٢٧)، (١٨٣/١)، (٢١٠/﴿١٢﴾)، (٢١٠/﴿٢٧﴾/١)، (٢٢٦/٧)، (٢٧٨/﴿١٢٠﴾)، (٢٧٩/٢)، (٢٨١/﴿٢١﴾)، (٣٠٠/﴿١١١﴾)، (٣٤٧/﴿٣٢﴾)، (٤٨٤/﴿١٥﴾)، (٥٣٧/١)، (٥٥٥/١)، (٥٦١/﴿٤﴾/١)، (٥٦٦/﴿١٣﴾)، (٥٩٤/﴿٦﴾)، (٦٢١/﴿٤﴾)، (٦٨٣/﴿١﴾/٢)، (٦٨٤/٤)،
أمثال القرآن	(٥١/١)، (٥٣/﴿٢٦﴾)، (٥٩/﴿٦٨﴾)، (١٩٧/٢)، (٢٦١/﴿٣٩﴾/١)، (٣٠٦/﴿١٨﴾)، (٣٠٧/﴿٢٥﴾)، (٣٩٠/﴿٤﴾)، (٤٣٨/٣)، (٤٥٦/﴿٤٣﴾)، (٥٢٩/﴿٣٦﴾)، (٥٣٠/٣)، (٥٣٩/١)، (٥٩٢/٤)، (٦١٦/٢)، (٦٣٤/﴿٥١﴾)، (٦٥٦/﴿٥﴾).
قواعد في نظم القرآن	(٦٥/﴿١٢١﴾)، (٦٩/﴿١٣٥﴾)، (٧٩/٦)، (١٤٣/﴿١٦٧﴾)، (٢١١/﴿٣٢﴾)، (٢٢٦/٣)، (٢٦٢/﴿٤٧﴾)، (٢٦٨/﴿٣﴾/١)، (٢٨٩/﴿٣٢﴾/١)، (٣٢٨/﴿١٢٠﴾)، (٤٣٨/٢)، (٤٤٥/﴿٥٨﴾)، (٥٤٣/﴿١١﴾/١)، (٥٥٨/﴿٣٣﴾)، (٥٨١/۞)، (٥٨٨/٥)، (٥٩٨/﴿٩﴾/١)، (٦٦٨/٣)، (٦٧٨/﴿٧﴾)، (٦٨٥/﴿٤﴾/٢)
القَسَم في القرآن	(٢٩/١٣،١٤)، (٥٥١/﴿١﴾)، (٥٥٧/﴿٢٣﴾)، (٥٦١/﴿٢﴾)، (٥٧٤/﴿٧٧﴾/١)، (٦١٧/﴿١﴾)، (٦٨١/٢).
الوقف والابتداء	(١٢٩/﴿٧٨﴾)، (١٩٤/﴿٣﴾).

الموضوع	التدبرات
التربية في القرآن	
منهج التربية	(٣٩/٢)، (٤٦/٨)، (١٥٥/﴿١٦﴾)، (١٥٩/١)، (١٧٢/﴿١١٤﴾)، (٣٦٢/﴿٢٣﴾)، (٤١١/﴿٢﴾)، (٤١٥/﴿٢٢﴾/٢)، (٤٥١/﴿٢٥﴾/٣)، (٤٧٢/٥)، (٤٩٣/٤)، (٥١٩/﴿٣٤﴾/٤)، (٥٢٠/﴿٤٦﴾).
أصول وقواعد في التربية	(٦٢/﴿١٠٤﴾/١)، (١٠٤/﴿٢٣١﴾)، (١٦٩/﴿٩٤﴾)، (٢٣٠/﴿١﴾/١)، (٢٤٠/﴿٦٩﴾)، (٢٤٦/﴿٤٣﴾/٢)، (٢٨٩/﴿٣١﴾/٢)، (٢٨٩/﴿٣٢﴾/٢)، (٣٤٦/١)،
تربية الأبناء	(٦٥/﴿١٢٤﴾/١)، (٦٩/٢)، (١٠٥/﴿٢٣٣﴾/١)، (١٢٥/٤،٣)، (٢٧٩/﴿٥﴾/١)، (٢٩٤/﴿٦٧﴾)، (٣٠٣/﴿٢٣﴾)، (٣٢١/﴿٢٥﴾)، (٣٤٩/١،٢)، (٣٥٧/٥)، (٣٦٣/٢)، (٣٦٥/٣-١)، (٤٢١/﴿٥٨﴾/١،٢)، (٤٤٠/﴿٢٠﴾/٣)، (٤٩٧/﴿٥٦﴾)، (٤٩٨/﴿١٠٢﴾)، (٥٢٦/٢)، (٥٣٦/﴿١٥﴾/٣)، (٥٦٢/﴿٢١﴾)، (٦٠٥/﴿١٥﴾،﴿١٤﴾)، (٦١١/﴿٦﴾/١)، (٦١٢/٣).
المرأة والحياة الزوجية	(٢٤/١٥)، (٨٥/٤-٢)، (١٠٤/﴿٢٢٩﴾/٢)، (١٠٥/﴿٢٣٣﴾/٢)، (١٥٢/٣،٢)، (١٥٣/﴿٤﴾)، (١٥٦/﴿١٩﴾/٣،٢)، (١٦٠/[٣٤)، (١٧٣/﴿١٢٩﴾)، (٢٢٧/﴿١٨٩﴾)، (٣١٢/﴿٤٥﴾)، (٣٢٢/﴿٨١﴾/١)، (٣٦٢/﴿١٧﴾)، (٣٦٣/٢)، (٣٧٥/﴿١٧٧﴾)، (٣٧٧/٣)، (٣٨٥/﴿٩٠﴾/١)، (٣٨٦/٦)، (٤٣٢/٣)، (٤٤٢/﴿٢٥﴾/١)، (٤٤٤/﴿٤٤﴾)، (٤٥٠/﴿٢٥﴾/١)، (٤٥١/﴿٢٥﴾/٢)، (٤٥٢/﴿٢٩﴾)، (٤٦٢/﴿٢١﴾)، (٤٧٧/٢)، (٤٧٨/﴿٣٣﴾)، (٤٨١/﴿٥٩﴾)، (٤٩٧/﴿٤٨﴾)، (٥١٩/﴿٣٤﴾/٤)، (٥٢٤/﴿٣٧﴾)، (٥٥٧/﴿٢٦﴾)، (٥٧١/﴿٥٦﴾)، (٥٧٣/﴿٣٧﴾)، (٦٠٥/﴿١٤﴾)، (٦٠٧/۞/٢)، (٦٠٧/﴿١﴾)، (٦١١/﴿٣﴾)، (٦١٢/﴿١٠﴾)، (٦١٣/١،٢)، (٦٩٥/﴿٤﴾/٢).
تدبر القرآن	

الموضوع	التدبرات
كيفية التدبر والنماذج في ذلك	(٦/١٢)، (١١/١٦)، (١٩/١٧)، (١٨/٢٠-٢٤)، (٥/٨١)، (٣/٨٤)، (١/١٥١)، (٢/١٦١)، (٢٠٦/﴿١٢٥﴾/١)، (٢٢٩/﴿٢٠٤﴾/٢)، (١/٣٤٥)، (٤٢٣/﴿١٥﴾)، (٤/٥٠١)، (٥٠٦/﴿٢٣﴾/٢)، (٥٢١/﴿١٣﴾)، (٥٣٢/﴿٤٩﴾)، (٥٣٧/﴿٢٩﴾)، (٤/٥٥٥)، (٥٩٨/﴿٩﴾/١)، (٦٠٠/﴿١١﴾/١)، (٤/٦٣٠)، (٦٥٢/﴿١٥﴾/١)، (١/٦٧٥)، (٦٩٣/۞/٣،٢).
ضوابط التدبر	(١/٢٠)، (٢/٢٩)، (٤٢٠/﴿٤٩﴾)، (١/٦٧٥).
موانع التدبر	(٨/١٥)، (٢/١٩)، (٤/٤٩)، (٢٤٠/﴿٧٠﴾/١)، (٢٧٧/﴿١٠٣﴾)، (٣/٣٥٩)، (٤٢٠/﴿٤٩﴾)، (٥١٥/﴿٥﴾)، (١/٥٤٠)، (١/٥٥٣)، (٥٧٥/﴿٧٩﴾)، (٦٣٦/﴿٢٤﴾/١)، (٦٤٨/﴿٢٨﴾/١).
الترغيب في التدبر	(٨/٥،٧،٩،١١)، (٩/١٣،١٤)، (١٢/٢،٤،٥)، (٩/١٦)، (٢/٢١)، (٩/٢٣)، (٧/٣٠)، (١/٦٨)، (١١/١٢١)، (٣/١٤٥)، (٢/١٤٨)، (١٦٧/٢،٣)، (١/٢٠٢)، (٢٠٣/﴿١٠٤﴾)، (٢/٢٠٥)، (٢٠٨/﴿١٥٣﴾/٢)، (٣/٢٢٣)، (٢/٢٣٠)، (٢٣١/٤،٥)، (٣٤٠/٤،٣)، (٢/٣٦٨)، (٣٦٨/﴿٤﴾)، (٤٠٨/﴿٦٨﴾)، (١/٤١٨)، (٥٠٠/﴿٢٩﴾)، (٤/٥٠٧)، (٥٢٦/﴿٥٢﴾)، (٥٦٦/٤،١)، (٦/٥٦٧)، (٥٦٨/﴿٥٥﴾)، (٥٩١/﴿٢١﴾/١)، (٦٣١/﴿٦﴾/٣)، (١/٦٦٠)، (٦٧٠/۞/١).
ذم عدم التدبر	(٧/٢،٣)، (٩/١٦)، (١٠/١٩)، (١٣/١٨)، (٢١/٨)، (٢٢/٩)، (٣٠/١٠)، (١٤/٣١)، (٥٣/﴿٢٩﴾)، (٦٠/﴿٧٨﴾)، (١١٩/﴿٢٨٦﴾/١)، (١٥١/﴿٢٠٠﴾/٢)، (١٦٦/﴿٧٩﴾/٢)، (١٦٦/﴿٨٢﴾/١)، (١/١٧٦)، (١٧٨/﴿٣﴾/١)، (٣/٢٢٦)، (٦/٢٣١)، (٢٣٣/﴿٢١﴾)، (١/٢٧٦)، (٣٤١/﴿١٠٩﴾/١)، (٣٦٨/﴿٢﴾/١)، (٤٢٦/﴿٣٠﴾/١)، (٤٣١/﴿٧٣﴾)، (٤٥٨/﴿٥١﴾/١)، (١/٥٠٠)، (٥٣٧/﴿٢٩﴾)، (٥٤٠/﴿٢٤﴾/٢)، (٥٦٢/﴿٣٧﴾)، (٥٤١/﴿٢٤﴾/٤)، (٢/٥٧٩)، (٣/٥٩١)، (٣/٥٩٢)، (٢/٥٩٤)، (٥٩٧/٤،١)، (٦٢٧/﴿١٨﴾)، (٦٥٣/﴿١١﴾).

الموضوع	التدبرات
الأمور المساعدة على التدبر	(١٣/٤،١٩)، (١٥/٥)، (١٦/١٠،١٢،١٣)، (١٧/١٧)، (١٨/٢٥)، (١٩/٢٨،٢٩)، (٣٢/١٩)، (٣٦/١٠)، (٣٧/١٥)، (٤٠/٥)، (١٣٧/﴿١٣٨﴾)، (١٥٧/﴿٢٥﴾)، (١٩٣/﴿١١٨﴾/٣)، (١٩٤/۞)، (١٩٤/﴿٣﴾)، (٢٠٢/﴿٩٢﴾/٢)، (٢٤٠/﴿٧٠﴾/١)، (٢٨٠/﴿٧﴾)، (٢٩٣/﴿٥٣﴾/١)، (٣٢١/﴿٦٥﴾)، (٣٢٧/٢)، (٢٣٤/٢)، (٣٤١/٣)، (٣٨٠/﴿٣﴾)، (٤٢٠/٢)، (٤٣٧/﴿١٩٤﴾)، (٤٧٥/٣،١)، (٥٠٦/﴿١٨﴾/٢)، (٥٠٦/﴿٢٣﴾/١)، (٥٣٢/﴿٤٩﴾)، (٦٢٩/٢)، (٦٣٠/٥،٣)، (٦٣٠/﴿٦﴾/١)، (٦٩١/۞/١).
الآداب	
الأدب مع الله تعالى	(٤٧/٢)، (٦٨/﴿١٢٨﴾)، (١٩٣/﴿١١٦﴾/٢)، (٢١١/١)، (٣٥٧/٤،٣)، (٤٣٥/﴿٨٠﴾)، (٥٥٧/﴿١٨﴾).
الأدب مع النبي	(٥٤٥/﴿٢﴾/٢،١).
الأدب مع كتاب الله	
الحياة مع القرآن	(٩/١٧،١٨)، (١٣/٣)، (١٤/٧)، (١٧/١٥،١٦)، (٢٠/١)، (٢١/٢)، (٢٨/١١)، (٣٠/٩)، (٣١/١٣)، (٣٢/١٧)، (٣٤/١،٢،٤)، (٧٤/﴿١٥٦﴾/٣)، (٧٤/﴿١٥٧﴾/٢)، (١٣٣/﴿١١٧﴾)، (١٤٢/﴿١٦٤﴾)، (٢٣٩/﴿٦٥﴾)، (٢٦٣/﴿٥٨﴾/١)، (٢٧٠/﴿١٧﴾)، (٣٢٧/﴿١١١﴾)، (٣٣١/٦،٤)، (٣٦١/١)، (٣٦٩/﴿١٣﴾)، (٣٨٥/﴿٨٩﴾/٢)، (٣٩٧/١)، (٤١٦/﴿٢٨﴾)، (٤٢٣/﴿١٠﴾)، (٤٦١/٢)، (٤٦٥/﴿٥٠﴾/٢)، (٥٢٦/﴿٥٢﴾)، (٥٢٧/١)، (٥٤١/﴿٢٤﴾/٣)، (٥٤٦/﴿٥﴾)، (٥٦٤/﴿٣٨﴾)، (٥٨١/﴿١﴾)، (٦٥٣/﴿٦﴾)، (٦٦٥/﴿٣﴾)، (٦٩٦/۞/٣).

الموضوع	التدبرات
تعظيم القرآن	(١٥/٣)، (١٧/١٧،١٨)، (٢٠/٦)، (٢١/٥)، (٢٣/٥)، (٢٦/٢٥)، (٢٨/١٠)، (٣١/١٥،١٦)، (٣٤/٢٦)، (٣١٢/﴿٥٢﴾)، (٣١٥/﴿٨٨﴾/١)، (٣٢٣/١)، (٣٤٠/﴿٨٢﴾/٢)، (٣٦٨/﴿٤﴾)، (٤٢٢/﴿٢﴾)، (٤٢٦/﴿٣٠﴾/٢)، (٥٠٧/٣)، (٥٠٧/﴿٢٨﴾)، (٥١٦/﴿٢٦﴾)، (٥٢٠/﴿٤١﴾)، (٥٦٢/﴿٣٧﴾)، (٥٧٥/﴿٧٧﴾/٢)، (٦١٩/١)، (٦٤٣/﴿٥٠﴾)، (٦٦٦/٣)، (٦٧٣/﴿١﴾/١).
قيام الليل بالقرآن	(١٤/٢)، (١٦/١٠)، (١٩/٢٦)، (٣٧/١٤)، (٤١/﴿٥﴾/٢)، (١٣٣/﴿١١٣﴾)، (١٩٣/﴿١١٨﴾/٢)، (٢٢٩/﴿٢٠٤﴾/٣)، (٣٠٨/٢)، (٤٢٩/﴿٦٢﴾)، (٥٣٤/﴿٢١﴾/١،٢)، (٥٦٨/﴿٤٦﴾)، (٦٣٠/٢)، (٦٣٠/﴿٦﴾/١)، (٦٣١/﴿٦﴾/٢،٤).
التأثر بالقرآن	(١٥/٧)، (٢٧/١،٢،٣،٦)، (٢٨/١٢)، (٢٩/١٣-١٥)، (٣١/١١)، (٣٢/٢١)، (٣٥/٥،٨)، (٣٦/١٢)، (٣٧/١٦)، (٤١/﴿٥﴾/١)، (٤٤/١٣)، (١١٦/﴿٢٨١﴾/١)، (١١٨/﴿٢٨٤﴾/١)، (١٤٢/٢)، (١٨٩/١)، (١٩١/﴿٨٣﴾)، (٢١٢/﴿٤٤﴾)، (٢٦٨/۞)، (٢٨٦/١٠)، (٣٠٤/﴿٣٣﴾)، (٣٠٧/﴿٢٦﴾)، (٣٦٥/﴿٥٨﴾)، (٣٨٠/﴿١﴾)، (٤١٣/٤)، (٤٣٨/٤)، (٤٤٦/﴿٩٢﴾)، (٤٧٣/﴿٦﴾)، (٤٩٦/﴿٦٥﴾)، (٥٠٧/﴿٤٧﴾/١)، (٥١٦/﴿٢٦﴾)، (٥٣٣/﴿١٤﴾)، (٥٣٤/٣)، (٥٣٥/٣)، (٥٣٥/﴿٢٧﴾)، (٥٣٧/﴿٢٩﴾)، (٥٦٢/﴿٣٧﴾)، (٥٩١/٢)، (٦٢٩/١)، (٦٦١/﴿٢٢﴾)، (٦٦٤/﴿١٤﴾)، (٦٦٧/﴿٣﴾/١).
التأني في قراءة القرآن	(٩/١٥)، (١٢/٦،٧)، (١٣/١)، (١٤/٦)، (١٧/١٤)، (٢٠/٥)، (٢٧/٧)، (٣٥/٦)، (٣٩/٤)، (١٩٣/﴿١١٨﴾/١)، (٣٤١/﴿١٠٦﴾)، (٣٧٤/١)، (٣٧٥/٢،٣)، (٤٣١/﴿٧٣﴾)، (٦٢٩/﴿٤﴾)، (٦٣٦/﴿١٧﴾/٢،٣)، (٦٧٦/﴿١﴾/١).
العمل بالقرآن	(٨/٦،١٢)، (١٠/٢١)، (٣٧/١٤)، (٧٣/﴿١٥٢﴾/٢)، (٧٣/﴿١٥٣﴾/٢)، (٨٢/١١)، (١٢١/١٢)، (١٣٦/٣)، (١٤٧/﴿١٨٧﴾/٢)، (١٦٢/﴿٤٧﴾)، (٤٢٦/٣)، (٤٥٩/١)، (٤٧٨/﴿٤٧﴾/١)، (٥١٨/﴿٣٤﴾/٣)، (٥٢٥/﴿٤٠﴾)، (٥٢٩/﴿٤٣﴾/١)، (٥٣٠/﴿٧٨﴾)، (٥٣٣/﴿١٤﴾،﴿٨﴾)، (٥٧٥/﴿٨٠﴾)، (٥٨٣/٧)، (٥٩٧/٣،٤)، (٦٤٣/﴿٦﴾)، (٦٩٣/۞/١)، (٦٩٣/﴿٣﴾/١).

الموضوع	التدبرات
كان خلقه القرآن	(٣/١٣)، (٤/٢١)، (٨/٣٠)، (٢٠/٣٢)، (٤٠٩/﴿٩٦﴾/٢)، (٤٩٨/﴿٨٤﴾)، (٣/٦١٧).
الرجوع إلى القرآن وتعاهد القرآن	(١٠،٨/٨)، (٣/١٢)، (٨،٢/١٤)، (٢٧/١٩)، (٣/٢٠)، (٧،٦/٢١)، (١٤/٢٤)، (٤/٢٧)، (١٣/٣١)، (١٣/٣٦)، (١٧/٣٧)، (٤/٨١)، (٧/٨٢)، (٢،١/١٦٣)، (٣/١٧٦)، (٢٦٠/﴿٣٢﴾)، (٣/٣٠٢)، (٣٢٣/﴿٨٩﴾)، (١/٣٢٥)، (٣/٣٣١)، (٢/٣٦٨)، (٢/٣٧٧)، (٤٠٥/﴿٤٩﴾)، (٤/٤٢٦)، (٥٠٠/﴿١٨﴾)، (٥٢٠/﴿٤٤﴾)، (٤/٦٣٢).
بر الوالدين	(٢٩٩/﴿٩٤﴾)، (١/٢٩٩)، (٣-١/٣٣٣)، (٣٣٤/﴿٢٨﴾)، (٣٦٤/﴿٤٥﴾)، (٤٦٧/﴿١٤﴾)، (٣/٦٠٦).
حق المسلم على المسلم	(٢٥٢/﴿٨٤﴾)، (٢٧١/﴿٣٠﴾)، (٦/٥١١)، (٢/٥٤٧)، (٦/٥٤٨).
غض البصر	(٢٠٣/﴿١١٠﴾/١)، (٤١٦/﴿٣٠﴾)، (٧/٤١٨)، (٤٩٧/﴿٤٨﴾).
صلة الرحم	(٤/١٥٢)، (٢٣٠/﴿١﴾/٢)، (٣٠٣/﴿٢١﴾).
النصيحة	(٢٠/١٠)، (٢٥/٣٣)، (٤٤٩/﴿٢٠﴾/١)، (٣/٤٩٥)، (٦٢٥/﴿٢﴾).
آداب عامة	(١٣٥/﴿١٢١﴾)، (١٥٤/﴿٨﴾)، (١/١٦١)، (١٦٨/﴿٨٦﴾)، (٣١٥/﴿٨٥﴾)، (٣٥٢/﴿٦٢﴾/٢)، (٣٥٣/﴿٦٢﴾/٤)، (٣٥٦/﴿٧٦﴾)، (٣٥٨/﴿٩٥﴾)، (٢٧٥/﴿٨٨﴾/٣)، (٤٠٩/﴿٩٦﴾/١)، (٤١٢/﴿١٥﴾/٢)، (٢/٤٣٢)، (٣/٤٤١)، (١/٤٨٠)، (١/٥١١)، (١/٥١٩)، (١،٤/٥٤٨)، (٣/٥٤٩)، (٥٦٣/﴿١٧﴾)، (٥٧٨/﴿١٠﴾/٢)، (٦١٠/﴿٦﴾)، (٦١١/﴿٣﴾/١)، (٦٥١/﴿١﴾/٢).

الموضوع	التدبرات
آداب الكلام	(٦١/﴿٨٣﴾)، (٦٥/﴿١١٨﴾)، (١٠٣/﴿٢٢٣﴾)، (١١٣/﴿٢٦٣﴾)، (١٢٣/﴿٢٣﴾)، (١٨٦/﴿٤٢﴾)، (٢٢١/٢)، (٢٤٦/﴿٤٣﴾/١)، (٢٩٢/﴿٤٥﴾)، (٢٩٥/٢)، (٢٩٥/﴿٨١﴾)، (٢٩٩/٣)، (٣١٤/﴿٥٣﴾)، (٣١٦/﴿٩٩﴾/١)، (٣٣٦/١-٣)، (٣٦٧/﴿٩٠﴾/٢)، (٤٠٨/﴿٧٠﴾)، (٤١٢/﴿١٥﴾/٢،١)، (٤٣٨/٢)، (٤٤٨/١)، (٤٥١/٤)، (٤٦٧/﴿١٩﴾/٢)، (٤٧٣/﴿١﴾)، (٤٧٧/﴿٣١﴾)، (٤٨٠/﴿٥٨﴾)، (٤٨١/﴿٧١﴾)، (٥٥٠/﴿١٣﴾)، (٥٥٤/﴿١٨﴾/١)، (٥٨٣/٤)، (٦١٨/٣)، (٦٤٤/﴿٣٥﴾)، (٦٥٨/﴿١١﴾)، (٦٦٦/١)، (٦٧١/١)، (٦٨٤/٢).
آداب الحوار	(٩٣/٦)، (١٢٨/﴿٦٦﴾)، (٣٤٨/﴿٤٢﴾)، (٤٢٠/﴿٤٩﴾)، (٥٠٠/﴿٢٣﴾)، (٥٢٨/﴿٢٧﴾/٢)، (٥٣٢/﴿٣٩﴾)، (٦١١/٣).
آداب العلم والتعليم	(٧/١)، (٢٦/٢٣)، (٤٨/١٠)، (٥٥/﴿٤٢﴾/١)، (٥٥/﴿٤٤﴾)، (١١٨/٤)، (١٢٠/٥)، (١٢٩/﴿٧٩﴾)، (١٤٤/﴿١٨٠﴾)، (١٤٧/﴿١٨٧﴾/١)، (١٤٨/٣)، (١٥٣/١)، (١٦٢/﴿٤٤﴾،﴿٣٧﴾)، (١٧٩/٢)، (١٨١/١،٢)، (١٨٨/﴿٦٣﴾)، (٢١٢/﴿٣٣﴾)، (٢٢٤/﴿١٧٦﴾/١)، (٢٢٥/٢،٥،٦)، (٢٥٧/١)، (٣٠٣/٣)، (٣٣٨/١)، (٣٤١/٢،١)، (٣٥١/﴿٦٠﴾)، (٣٥٣/﴿٦٦﴾،﴿٦٥﴾)، (٣٥٤/﴿٦٨﴾)، (٣٥٤/﴿٦٩﴾/٢)، (٣٥٧/٦)، (٣٦٣/﴿٣١﴾/١)، (٣٧٤/١)، (٣٧٥/٣،٢)، (٣٩٤/١،٢)، (٤٢٨/٢)، (٤٤١/٢)، (٤٤٣/﴿٣٦﴾/١)، (٤٤٩/﴿٢٢﴾/١)، (٤٥١/﴿٢٦﴾/٢)، (٤٥٤/﴿٨٠﴾)، (٤٦٩/٢)، (٤٧٥/٢)، (٤٩٠/٢)، (٥٠٦/﴿١٨﴾/١)، (٥٢٤/٣)، (٥٣٩/﴿١٧﴾/٢)، (٥٤٥/٣)، (٥٤٦/﴿٥﴾)، (٥٤٦/١)، (٥٧٨/﴿١٠﴾/٢)، (٥٨٣/٥)، (٥٨٤/٨)، (٥٨٤/﴿١٢﴾)، (٦٠٩/١٠)، (٦٣٠/﴿٥﴾/١)، (٦٣٦/﴿١٧﴾/١)، (٦٥٦/﴿٩﴾/١)، (٦٦٦/٢)، (٦٧١/١)، (٦٧٢/﴿١٩﴾).

الموضوع	التدبرات
الأخلاق	
الأخلاق الحميدة	
العفو	(٤/١٣٧)، (٣/١٨١)، (٢٩٨/﴿٩٢﴾/٢)، (٢/٢٩٩)، (٣١٥/﴿٨٥﴾)، (٤١٥/﴿٢٢﴾/١)، (٢/٥١٠)، (٥١٨/﴿٣٤﴾)، (٥٢٥/﴿٤٠﴾)، (٥٢٦/﴿٤٣﴾).
الأناة	(٢/١٨٤)، (٥/٣٤٥)، (٣٦٣/﴿٢٨﴾/١)، (٥١٥/﴿٩﴾).
التَّواضع	(٢/٢٧٢)، (٣٢٠/﴿٢٣﴾)، (٤/٣٧٥)، (٤٥٠/﴿٢٤﴾/١)، (٥٣٦/﴿٢٠﴾).
الحِلْم	(٢٧٣/﴿٧٥﴾)، (٢٧٥/﴿٧٨﴾/٣)، (٢٩٤/﴿٧٧﴾)، (٤٩٥/﴿٢٧﴾/١).
سلامة الصَّدر	(٢٥/٣٣)، (٣/٥٨٨)، (٦،٨/٥٨٩)، (٤/٥٩٠)، (٦٤١/﴿٢١﴾).
الصَّبْر	(٥٥/﴿٤٦﴾/٢)، (٧٤/﴿١٥٦﴾/١)، (١/١٠١)، (١٠٨/﴿٢٥٠﴾)، (٢٩٥/﴿٨٣﴾/١)، (٢٩٦/﴿٨٤﴾)، (١/٣٠٥)، (٣٠٦/﴿١٢﴾)، (٣/٣١١)، (٣٢٩/﴿١٢٧﴾)، (٣٨٤/﴿٨٣﴾/١)، (٤٢٧/﴿٤٢﴾)، (١/٤٣٢)، (٤٦٥/﴿٦٠﴾)، (٤٦٧/﴿٣١﴾)، (٥٠٣/﴿٤٤﴾/٢)، (٥٠٥/﴿١٠﴾/١)، (٥٥٦/﴿٣٩﴾)، (٥٦٢/﴿٤٨﴾)، (٦٢٣/﴿١٩﴾)، (٦٣١/﴿١٠﴾/١،٢)، (٦٤٠/﴿١٢﴾)، (١/٦٤٥)، (٦٦٢/﴿١٧﴾).
الصِّدْق	(٤/١٥)، (٢٤٠/﴿٧٠﴾/٢)، (٢٥٧/﴿١١٩﴾)، (٢٦٠/﴿٣٨﴾)، (٣٣٤/﴿٣٤﴾)، (٤/٣٦٥)، (٥٤٠/﴿٢١﴾)، (٥٨٧/﴿٨﴾/٢).
العدل	(٣/١١٢)، (٢٩٥/﴿٧٩﴾/١)، (١/٣٨٢)، (٥٢٥/﴿٤١﴾،﴿٣٩﴾)، (٥٦٩/﴿٩﴾/١).
العفة	(٣/١٥٩)، (٢٨٢/﴿٢٣﴾/٢)، (٥٢٩/﴿٦٧﴾/٢)، (٥٧١/﴿٥٦﴾).
القناعة	(٣٢٦/﴿٩٧﴾/١)، (٥٢٣/﴿٢٧﴾)، (٢/٦٦٥).
الورع	(٤/٣٤٥)، (٤٠٤/﴿٣﴾/٢).

الموضوع	التدبرات
الأخلاق الذميمة	
الحسد	(٦٤/﴿١٠٩﴾/٢)، (٢٧٩/٣)، (٢٩٨/﴿٩١﴾)، (٣٧٩/٥)، (٥٢٨/﴿٣٢﴾/٢)، (٥٨٧/٣)، (٦٢٠/﴿٥١﴾)، (٦٩٠/١)، (٧٠٠/﴿٥﴾).
الخيانة	(٢٦/٢٧)، (٢٣٤/﴿٢٨﴾)،
السخرية والاستهزاء	(٥٤٨/﴿١١﴾/١-٣)، (٦٨٢/١).
الكبر	(٢٥/١٧)، (٥١/﴿١٣﴾)، (٥٣/﴿٣٤﴾)، (٥٧/١)، (٦٥//٢)، (١٠٠/﴿٢٠٦﴾)، (١٢٩/﴿٧٣﴾/٢)، (١٥٨/﴿٢٨﴾/١)، (٢١٨/﴿١٢٣﴾)، (٢٢٠/﴿١٤٦﴾/١)، (٢٧٠/﴿٢٩﴾)، (٢٧٢/﴿٥٠﴾)، (٣٤٨/﴿٣٧﴾)، (٤٣٣/﴿٣٥﴾)، (٥١٣/﴿٥٧﴾،﴿٥٦﴾).
الكذب	(١٩٥/﴿٢٤﴾)، (٥٤٣/﴿١١﴾/٢).
الظُّلم	(١٦٨/﴿٨٥﴾)، (١٧١/﴿١١٠﴾)، (١٩٩/﴿٥٢﴾)، (٢٤١/﴿١٣﴾)، (٢٤٤/﴿٧﴾)، (٢٨٠/﴿١٠﴾)، (٣١١/٣،٢)، (٣٥١/﴿٥٩﴾)، (٥٢٥/﴿٤٢﴾).
العُجب	(٢٢/٤)، (٦٧/﴿١٢٧﴾)، (٧٦/٣)، (٨٣/١٣)، (٩٦/﴿١٩٩﴾/٣)، (١١٩/٤)، (١٥٠/٢)، (١٥٩/﴿٢٨﴾/٢،٣)، (٣٢٧/١)، (٤٠٦/﴿٦٠﴾/٣)، (٤٠٧/٤)، (٤٥٤/﴿٧٨﴾)، (٤٦٨/﴿٣٣﴾)، (٦٣٣/﴿٦﴾)، (٦٣٦/﴿٢٤﴾/١)، (٦٧٩/﴿٢﴾/١).
سوء الظن	(٥١١/١)، (٥٤٩/٤،٣،١)، (٥٥٠/٦).
العجز	(٢٤٥/﴿٤٢﴾).
الغِيبَة	(٥٥٠/٥).
الفحش	(٢٢/٣).
الغش	(٢٤/١٦)

الموضوع	التدبرات
الرقائق والسلوك	
الإخلاص	(٤٣/١٢)، (٩٥/﴿١٩٨﴾/١)، (٩٦/﴿٢٠٠﴾/٢)، (١١٠/٣)، (١١٣/١)، (١٣٩/﴿١٥١﴾)، (١٦١/﴿٣٥﴾)، (١٨٣/﴿٢٧﴾)، (٢٣٣/﴿٢٣﴾)، (٢٥٣/﴿٩٢﴾/١)، (٢٥٤/﴿١٠٧﴾)، (٢٧٨/﴿١٢٣﴾)، (٢٨٥/٥-٨)، (٣٢٥/﴿٩٦﴾/٢)، (٣٩٠/﴿١١﴾)، (٣٩٨/﴿٣٧﴾/٢)، (٤٠١/﴿٧٣﴾)، (٤٧١/﴿١٧﴾/٢)، (٤٨٥/١)، (٤٨٧/١)، (٥٠٥/﴿٣﴾)، (٥١٤/﴿٦٥﴾)، (٥٣٨/﴿٧﴾)، (٦١٤/﴿٢﴾)، (٦١٨/﴿١٧﴾).
العبودية	(٣٩/٣)، (٤٢/٤،٧)، (٤٤/١٤،١٥)، (٤٨/٨)، (٥٢/﴿٢٣﴾،﴿٢١﴾)، (٥٥/﴿٤٦﴾/١)، (٦٠/﴿٧٤﴾/٢)، (٧٣/﴿١٥٣﴾/١)، (١١٨/﴿٢٨٥﴾/٢)، (١٢٤/﴿٣٥﴾/١)، (١٢٥/﴿٣٨﴾/٢)، (١٢٦/﴿٤٣﴾)، (١٣٩/﴿١٤٧﴾)، (١٧٥/﴿١٤٧﴾/١)، (٢٠٩/٣)، (٢٢٩/﴿٢٠٥﴾/١)، (٢٥٩/﴿١٤﴾)، (٢٨٣/٩)، (٣١٤/﴿٣٢﴾)، (٣١٦/﴿٩٩﴾/٣،٢)، (٣١٧/٦،٥)، (٣٢٢/﴿٦٨﴾)، (٣٣٨/﴿٦٥﴾)، (٣٦١/٢)، (٣٨٦/٣)، (٣٩١/٥)، (٤٠٦/﴿٥١﴾/٣)، (٤٣١/﴿٧٢﴾/٢)، (٤٤٧/﴿٦﴾/١)، (٤٥٧/﴿٤٥﴾/٣)، (٤٧٠/٣)، (٤٧٦/﴿٢٧﴾)، (٤٨٨/﴿١٠﴾/٢،٣)، (٤٨٩/﴿١٥﴾/٢،١)، (٥١٣/١)، (٥١٧/﴿٣١﴾/٢)، (٥٤٤/٣)، (٥٥٣/٢)، (٥٥٧/١)، (٥٥٩/﴿٥٠﴾)، (٥٦٠/﴿٥٦﴾)، (٥٦١/٢)، (٦١٣/﴿١٢﴾)، (٦٢٨/﴿١٩﴾)، (٦٣٨/١)، (٦٥٩/١)، (٦٧٦/٢)، (٦٧٧/﴿١﴾).
التقوى	(٤٩/﴿٢﴾/٣)، (٨٧/١٤-١٦)، (٩٤/١٢،١٤)، (٩٨/٨)، (١٣٣/﴿١١٥﴾)، (٢٣٠/﴿١﴾/١)، (٣١٧/٦)، (٣٩٦/﴿٣٢﴾/٢)، (٣٩٨/٣)، (٣٩٩/٧)، (٣٩٨/﴿٣٧﴾/٣)، (٤٠٦/٤)، (٥٢٧/﴿٣﴾)، (٥٣٨/﴿٧﴾)، (٥٤٠/﴿٢١﴾)، (٥٤٦/﴿٣﴾)، (٥٥٠/﴿١٣﴾)، (٥٧١/﴿٤٦﴾)، (٦٠٨/٢-٦)، (٦٠٩/١٢،٩،٧)، (٦٩٤/﴿١﴾).

الموضوع	التدبرات
الفوز والفلاح	(٥٠/٥)، (٥٦/٣)، (١٣٣/١١٥)، (١٣٧/١)، (١٦١/٣٥)، (٢٥٥/١١١/٢)، (٢٦٣/٥)، (٢٦٥/٦٢)، (٤٠٣/۞)، (٤٠٣/٢)، (٤١٨/٨)، (٤٣٦/٣)، (٤٣٧/٢)، (٤٧١/٢٤/١)، (٤٧٩/٣)، (٤٨٥/١)، (٤٩٥/٢)، (٥٧٨/١٠/١)، (٥٨٧/٤)، (٥٩٤/١)، (٦٢١/١٩)، (٦٦٣/٢).
محبة الله تعالى ورسوله ﷺ	(١٤/١)، (١٧/١٨)، (٥٦/٦)، (٦١/٩٣)، (٧٦/٤،٥)، (١٢٣/١)، (١٢٤/٣)، (١٣٥/١٢١)، (١٨١/١٨)، (١٨٨/٥٤)، (٢٢١/١)، (٢٣٣/٣٣/١)، (٢٤٥/٢،٣)، (٢٤٩/٦٦/١)، (٢٦٠/٢٥)، (٢٧٣/٧٨/١)، (٣٠٨/٣١)، (٣٢٥/٣)، (٣٤٤/١٨/٢)، (٣٩٣/٢٦/٣)، (٤٥٥/٥)، (٤٧٠/١)، (٥٠٧/٢)، (٥٧٧/٩)، (٥٨٥/٣،٢)، (٦١٧/٢)، (٦٣٧/٣،٢)، (٦٦٤/١).
الترغيب والترهيب	(٤٠/٣)، (١٨٤/٣٧)، (١٩٢/٩٨)، (٢١٦/٩٧)، (٢٢٤/١٦٩)، (٢٦٣/٤)، (٢٨٩/٣٣/١)، (٣٠١/٦)، (٣٨٣/٢)، (٣٨٧/٨)، (٥٠٨/٣)، (٦٥٠/٢)، (٦٥٧/١١).
الخوف	(٢٥/١٧)، (١٧٢/٢)، (١٩٥/١٥)، (٢١٦/٩٩)، (٢٤١/٢٤)، (٢٧٦/١٠٢)، (٣١٣/٣)، (٣٣٦/٥٩/١)، (٣٣٧/٣،٢)، (٣٣٧/٦٠)، (٣٣٩/٧٥/٢)، (٣٥٩/١٠١/٢)، (٣٧٣/٨٢)، (٣٨٦/٧)، (٣٩٠/٣)، (٤٠٥/١)، (٤٠٦/٦٠/٢،١)، (٤٠٧/٥)، (٤١٣/١)، (٤٣٠/٦٥)، (٤٣٥/٨٢)، (٤٣٨/٥)، (٤٧٨/٣٩/١)، (٤٧٩/٣)، (٥١٣/٤٦)، (٥٤٥/١)، (٥٥٩/١)، (٥٦١/٧)، (٥٨٩/١٣)، (٦٢٠/٤٩)، (٦٢٤/٢٨)، (٦٣٩/١)، (٦٤٤/٣٠)، (٦٦٢/٧)، (٦٩٤/١).
الرجاء	(١٠٢/٢١٨)، (١١٧/١)، (١٧٠/٢)، (١٩٩/٥٤)، (٢٠٧/١٤٧)، (٢١٦/٩٦)، (٢٢٢/١٥٦/١)، (٢٥٣/١٠٢)، (٤٠٩/٣)، (٤٢٥/٢٦)، (٤٧٨/٤٧/٢)، (٤٩١/٢٩)، (٥٠٨/٥٣/٢،١)، (٥١٧/٣١/٢)، (٥٩٩/٢)، (٦١٣/٣).

الموضوع	التدبرات
محاسبة النفس	(٢٥/٢٠)، (١٤٣/٣)، (١٤٤/﴿١٧٨﴾)، (١٧٣/﴿١٣٦﴾)، (٢٤٦/٣)، (٢٥١/﴿٨٣﴾/٢)، (٢٥٣/﴿٩٢﴾/٢)، (٢٥٣/﴿١٠٢﴾/٢)، (٢٦٤/٦)، (٣٣٢/﴿١٤﴾/٢)، (٣٥٠/٣)، (٣٦٤/٢)، (٣٦٦/١)، (٤٠٦/﴿٦٠﴾/٣)، (٤١٣/٢)، (٤٢٤/﴿٢٣﴾/١)، (٤٢٥/٢)، (٤٣٧/١)، (٤٩٤/٣)، (٥٠٩/٥)، (٥١١/٢)، (٥١٢/٢)، (٥٢٣/﴿٣٠﴾/١)، (٥٣٦/﴿٢٠﴾)، (٥٤٣/﴿١٨﴾/٢)، (٥٥٠/﴿١٧﴾)، (٥٧٤/﴿٧٣﴾/٣)، (٥٩٠/﴿١٨﴾)، (٦٢٧/﴿١٦﴾)، (٦٣٥/﴿٢﴾)، (٦٣٥/﴿١٥﴾/١)، (٦٣٦/﴿١٥﴾/٣)، (٦٥٥/٣،٢)، (٦٦١/﴿٢٣﴾).
التوبة	(٢٢/٤)، (٧٥/﴿١٦٠﴾)، (١٠٣/١)، (١٤٠/﴿١٥٥﴾)، (١٥٥/١)، (١٥٦/﴿١٧﴾/٢)، (٢٢٩/﴿٢٠١﴾/٢)، (٢٥٣/﴿١٠٢﴾/٢)، (٢٥٦/﴿١١٢﴾)، (٢٥٦/﴿١١٧﴾/٢)، (٢٥٦/﴿١١٨﴾/٢)، (٢٦٨/﴿٣﴾/١)، (٢٩٨/﴿٨٨﴾/٢)، (٣٠٨/١)، (٣٨١/﴿٢٨﴾)، (٤١٨/٨)، (٤٤٥/﴿٦٢﴾)، (٤٨٦/٣)، (٥٠٩/٤)، (٥١٠/١)، (٥٤٩/٥)، (٥٥٥/﴿٣٣﴾/٢)، (٦١٨/﴿٢٩﴾)، (٦١٩/﴿٣٢﴾)، (٦٥٤/٢،٣).
الاستغفار	(٢٢/٤)، (٢٧/٥)، (٩٦/﴿١٩٩﴾/٢)، (١١٩/٤)، (١٢٢/﴿١٧﴾)، (١٣٧/﴿١٣٥﴾)، (١٧٠/﴿١٠٣﴾)، (١٧١/٢)، (٢٣٦/٣-٥)، (٢٦٨/﴿٣﴾/١)، (٤٤٨/﴿١٦﴾)، (٥٥٤/﴿٣٣﴾/١)، (٦٢٥/﴿١٣﴾).
المراقبة	(٣١٠/﴿٣٨﴾)، (٣٩٢/﴿٢٥﴾/٢)، (٤٣٧/﴿٢١٩﴾)، (٥٥٤/﴿١٨﴾/٢)، (٦٧٢/﴿١٤﴾).
التسليم	(٥٩/﴿٧١﴾)، (٦٢/٢)، (١١٩/﴿٢٨٥﴾/٣)، (١٦٤/﴿٦٥﴾)، (١٦٧/٤)، (١٧٦/﴿١٧١﴾)، (٢٠٤/٣،٤)، (٢٢٨/﴿١٩٩﴾/١)، (٢٣١/﴿٦﴾)، (٣٧٨/﴿١٣٠﴾)، (٤٤٨/﴿٧﴾/٢)، (٤٧٤/﴿١٦﴾،﴿١٠﴾)، (٤٨٣/﴿٦﴾)، (٥٥٢/١)، (٦٦١/﴿٢٩﴾/١).

الموضوع	التدبرات
تزكية النفوس	(٢٢/٢٥)، (٢٢/٣٣)، (١٢/٣٦)، (٥/٤٢)، (٩/٤٣)، (٤/٤٧)، (٢/٤٩)، (٤/١٨٥)، (٢١٢/﴿٤٣﴾)، (٢٢٧/﴿١٩٦﴾)، (٢٣٣/﴿٢١﴾)، (٢٤٨/﴿٥٨﴾)، (٢٤٩/﴿٦٢﴾)، (٣/٢٥٣)، (٤/٢٧٥)، (٣/٢٩٠)، (٢٩٣/﴿٥٣﴾/٢)، (٣٤٣/﴿١٠﴾)، (١/٣٦٥)، (٥/٤٠٧)، (٤٠٧/﴿٦٣﴾)، (١/٤١٣)، (٢/٤١٤)، (٤١٥/﴿٢٣﴾/١)، (٣/٤١٩)، (٤٢٩/﴿٦٣﴾/١)، (٣/٤٣١)، (٤٣٦/﴿٨٤﴾/١)، (٤٣٦/﴿٨٩﴾)، (٣/٤٤٢)، (٣/٤٩٣)، (٢/٤٩٤)، (٥٢٣/﴿٣٠﴾/١)، (٥٥٤/﴿١٧﴾)، (٥٧٧/﴿٦﴾)، (١/٥٧٩)، (٥٨٤/﴿١٨﴾)، (٥٩١/﴿٢٠﴾)، (٢/٥٩٢)، (٥/٥٩٧)، (٦١٤/﴿٢﴾)، (٦٣٥/﴿١٥﴾/٢)، (٦٦٣/﴿١٠﴾)، (١/٦٧٦)، (٣/٦٩٨)، (٤/٧٠٢).
الهدى	(٤٥/٤،٥)، (٥/٤٧)، (٥٤/﴿٣٨﴾)، (١٣/٨٣)، (٣/١١٢)، (١/١٢٨)، (١٣٠/﴿٩١﴾)، (٢٣٥/﴿٢٩﴾/١)، (٦/٤١٩)، (٤٢٣/﴿٩﴾)، (٥٥٠/﴿١٧﴾)، (٦٢٧/﴿٢﴾)، (٦٤٢/﴿٣٠﴾)، (٦٤٣/﴿٥٠﴾).
الضلال	(٦٢/﴿٩٦﴾)، (٦٤/﴿١٠٩﴾/١)، (٤/٧٣)، (٨٩/﴿١٩١﴾)، (١١٢/[٢٥٧])، (٤/١١٦)، (١٢٣/﴿٢٤﴾)، (١٧٤/﴿١٤٠﴾/٣)، (٣/١٨٥)، (١/١٨٩)، (١٩٣/﴿١١٦﴾/٣)، (١٩٥/﴿٢٤﴾)، (٢٠٠/﴿٧٠﴾)، (٢٠٥/﴿١٢٣﴾)، (٢٠٦/﴿١٢٥﴾/١)، (٢٠٧/﴿١٤٨﴾)، (٢٢٠/﴿١٤٦﴾)، (٣/٢٢٧)، (٢٢٧/﴿١٨٦﴾)، (٦/٢٤٤)، (٢٥٢/﴿٨٥﴾)، (٢٥٥/﴿١١٠﴾)، (٢٦١/﴿٤٣﴾/١)، (٢٦٢/﴿٥٧﴾/١)، (٢٧٦/﴿٩٨﴾)، (١/٣٠٢)، (٣٤٢/﴿٧﴾)، (٤/٣٦٣)، (٣٧٢/﴿٧١﴾)، (٣٧٧/﴿١٢٣﴾/٤)، (٣٧٧/﴿١٢٤﴾/٤)، (٣٨٠/﴿٥﴾)، (١/٣٩١)، (٤٠٥/﴿٣٤﴾)، (٢/٤١٠)، (٤٥٣/﴿٥١﴾)، (٤٥٥/﴿١٢﴾)، (٢/٤٦١)، (٤٨٧/﴿٨﴾)، (٤٩٣/﴿٤٣﴾)، (٤٩٩/﴿٦﴾)، (٥٠٨/﴿٤٧﴾/٢)، (٥١٦/﴿٢٥﴾)، (٥٦٣/﴿٢﴾)، (٣/٥٦٤)، (٥٩٧/﴿٥﴾/٢)، (٦٠٢/﴿٧﴾)، (٦٣٣/﴿٢٣﴾/١-٣)، (٢/٦٤٣)، (٦٧٧/﴿٦﴾/٢)، (٢/٦٨٠)، (٢/٦٩٢).

الموضوع	التدبرات
خطوات الشيطان	(٧٦/﴿١٦٨﴾)، (٢/٢١٠)، (٤،٣/٢١١)، (٢٧٣/﴿٧٨﴾/٢)، (٥/٢٨٣)، (٣٣٨/﴿٦٤﴾)، (٣٧٢/﴿٧٢﴾/١)، (٤١٤/﴿٢١﴾/١)، (٤٢٥/﴿٢٩﴾)، (٤٨٤/﴿٢٠﴾)، (٤٨٧/﴿٦﴾،﴿٥﴾)، (٥٠٤/﴿٨٢﴾)، (٥١٦/﴿٢٥﴾)، (٢/٥١٩)، (٢/٦٥٧)، (٣/٧٠١).
اتباع الهوى واتباع الشهوات	(٤/٢٠)، (٧١/﴿١٤٥﴾)، (٤/٢٢٥)، (٢٧٩/۞/١)، (٢/٢٩٠)، (١/٣١٠)، (٣١٥/﴿٧٢﴾)، (٦/٣٤٧)، (٣٦٦/﴿٥٩﴾)، (٣٧٧/﴿١٢٧﴾)، (٣/٤٠٠)، (٤٥٢/﴿٥٠﴾)، (٢،٣/٤٦٦)، (١/٤٧٧)، (١/٤٨٢)، (٥٣٤/﴿٢٣﴾)، (٥٥١/﴿٢﴾)، (٥٦٣/﴿٢٣﴾)، (٥٧٨/﴿١٤﴾/٢)، (٣/٦٤٠)، (٦٤٤/﴿٤١﴾).
جزاء البعد عن الله	(٥٠/﴿١٠﴾)، (١/١١٥)، (١٥١/﴿١٩٧﴾/٢)، (١٨٧/﴿٥١﴾)، (١٩٤/﴿٧﴾)، (٢٠٣/﴿١١٠﴾/٢)، (٤/٢٢٥)، (٣،٢/٢٢٧)، (٢٥٨/﴿١٢٥﴾)، (٢٧١/﴿٣٦﴾)، (٣٠٤/﴿٣٢﴾)، (٤/٣٩١)، (٥٣٢/﴿٢٩﴾)، (٣/٥٤٠)، (٥٧٨/﴿١٤﴾/١)، (٦١٨/﴿١٦﴾)، (٢/٦٤٣)، (٦٥٢/﴿١٥﴾/٣)، (٣/٦٨٣)، (٢/٦٩٢)، (٦٩٥/﴿٥﴾).
شؤم المعصية	(٧٥/﴿١٦١﴾)، (١٣٢/﴿١١٢﴾/١)، (١/١٧٢)، (١٧٥/﴿١٥٥﴾/١)، (١٧٦/﴿١٦٠﴾/٢)، (٢،١/١٨١)، (٣/١٨٤)، (١/٢١٤)، (٢١٧/﴿١٠٠﴾)، (٢٣٨/﴿٥١﴾/١)، (٢٣٨/﴿٥٣﴾)، (٣/٢٧٤)، (٩/٢٨٥)، (١/٢٩٧)، (٢/٥٢٤-٤)، (٢/٤٥٩)، (١/٤٨٨)، (٥٩٣/﴿١٣﴾)، (٦٢٦/﴿٢٥﴾)، (٦٥١/﴿١٤﴾/٢،١)، (٦٥٢/﴿١٤﴾/٣)، (٦٦١/﴿٢٤﴾/٢).
الزهد وذم الدنيا	(١٠٠/﴿٢١٢﴾)، (١٣٨/﴿١٤٠﴾/١)، (٢١٧/﴿١٠٢﴾)، (٣/٢٢٥)، (٢٦٢/﴿٤٥﴾)، (٩/٢٦٤)، (٣١٤/﴿٤٨﴾)، (٣١٥/﴿٨٨﴾)، (٣٣٢/﴿١٩﴾/١)، (٣٤٢/﴿٧﴾)، (٢/٣٧٨-٤)، (٤٣٧/﴿١٢٨﴾)، (٢/٤٤٣)، (٤٥٠/﴿٢٤﴾/٢)، (٢/٤٦١)، (٥٢٢/﴿٢٠﴾)، (٥٧٩/﴿٢٠﴾)، (٥٨٠/﴿٢٣﴾)، (٦٠٠/﴿١١﴾/٥،٤)، (٦٤٥/﴿٤٦﴾/٢،٣)، (٦٥٦/۞/١)، (١/٦٥٧)، (٦٦٠/﴿٢٠﴾)، (٦٦١/﴿٢٤﴾/١)، (٦٨٢/﴿٣﴾)، (٦٨٨/﴿١﴾/٢).

الموضوع	التدبرات
الغفلة	(١٢٤/﴿٣٥﴾/٢)، (١٧٢/١)، (١٩٦/٢)، (٢٢٢/﴿١٥٧﴾/١)، (٢٥٩/﴿١٢﴾)، (٢٦٣/٣)، (٣١٤/﴿٣٢﴾)، (٣٢٦/٣)، (٣٣٧/٤)، (٣٤٠/١)، (٣٤٦/٤)، (٣٤٧/٦،٥)، (٤٦٤/﴿٤٤﴾)، (٤٩٥/﴿٥٠﴾/١)، (٥٠٦/٣)، (٥٣٧/٣،٢)، (٥٣٨/﴿١٢﴾)، (٥٦٠/﴿٥٥﴾)، (٥٨٢/﴿٦﴾)، (٥٩٨/﴿٨﴾/١)، (٦١٩/﴿٤٠﴾)، (٦٤٩/﴿٣﴾)، (٦٦٧/﴿٣﴾/٢).
الذكر	(٧/٣)، (٦٧/﴿١٢٧﴾)، (٧٣/٣)، (٨٢/٨)، (٩٥/٣)، (١٢٦/﴿٤١﴾)، (١٤٨/٢)، (١٩٥/﴿١٧﴾)، (٢١٣/٤)، (٢٢٩/﴿٢٠٥﴾/٢)، (٢٣٠/﴿٢﴾/١)، (٢٣١/٣)، (٢٥٩/﴿٣﴾)، (٣٠٥/﴿٥﴾/٢)، (٣١٦/﴿٩٩﴾/٢)، (٣٣٠/﴿١﴾/١)، (٣٣٥/﴿٤٤﴾)، (٣٧٣/﴿٨٤﴾/٢)، (٣٨١/﴿٢٠﴾)، (٣٨٤/﴿٨٨﴾/٢)، (٤١٠/٢)، (٤٧٠/﴿١٤﴾)، (٤٩٨/﴿١٤٤﴾)، (٤٩٩/﴿١﴾)، (٥٠٢/﴿٣٣﴾)، (٥٢٧/٢)، (٦٠٣/٣،٢)، (٦٩٣/﴿٣﴾/٢).
الدعاء	(٧/١)، (٤٤/١،٢)، (٤٦/٦)، (٦٦/﴿١٢٤﴾/٢)، (٧٦/١)، (٨٣/١)، (٨٤/٥-٧)، (٩٧/﴿٢٠١﴾)، (١٠٢/﴿٢١٦﴾/١)، (١٢٦/٦)، (١٤٨/٥)، (١٤٩/٨)، (١٥٠/﴿١٩٥﴾/١)، (١٦٠/﴿٣٢﴾/٣)، (٢١٣/﴿٥٥﴾)، (٢١٤/٢،٣)، (٢٢٠/﴿١٤٣﴾/١)، (٢٣٢/﴿١٠﴾)، (٢٣٤/٣)، (٢٦٦/﴿٨٦﴾)، (٢٩٦/٣)، (٣٤٠/﴿٨٠﴾)، (٣٦١/﴿٤﴾،﴿٣﴾)، (٣٦٩/٢)، (٣٧٠/٥)، (٣٨٤/١)، (٣٨٤/﴿٨٨﴾/٣)، (٣٨٦/٥)، (٤٣٢/﴿٧٧﴾)، (٤٥٠/٢)، (٤٥٠/﴿٢٤﴾/٤،٣)، (٤٥٤/﴿٨٢﴾)، (٥٠٢/﴿٣٥﴾)، (٥١٠/٣)، (٥١٤/﴿٦٠﴾)، (٥٢٢/﴿٢٦﴾)، (٥٣٦/١)؛ (٥٨٩/٤)، (٦٩٣/٣).
الاعتصام بالله	(٢٥/١٩)، (١٦٥/١)، (٢٨١/١)، (٢٨٣/٨)، (٣٢٦/﴿٩٨﴾/١)، (٣٤٣/﴿١٤﴾)، (٣٦٦/﴿٨٢﴾)، (٣٨٤/﴿٣٨﴾/٢)، (٤٠١/﴿٧٣﴾)، (٤١٩/٢)، (٤٢٨/﴿٥٥﴾)، (٤٣٣/﴿٤٥﴾)، (٤٧١/﴿٢٤﴾/٢)، (٥١٩/﴿٣٦﴾/٤،٣،١)، (٥٢١/﴿١٩﴾)، (٥٢٣/﴿٢٧﴾/٢)، (٦٩٧/٢)، (٦٩٩/٥)، (٧٠١/﴿٦﴾/١).

الموضوع	التدبرات
التوكل والاستعانة بالله	(١٢/٢٤)، (١١،١٠/٤٣)، (٢٦٦/﴿٨٦﴾)، (٣٢٧/﴿٩٩﴾)، (١/٣٥٢)، (٣٦٦/﴿٨٢﴾)، (١/٣٩٣)، (٤٣٣/﴿١٤﴾)، (٤٣٤/﴿٥٢﴾)، (٢/٤٣٤)، (٥٨٦/﴿٢﴾)، (١/٥٩٩)، (٢/٦١٥)، (٦١٦/﴿٢٩﴾).
الخشوع	(٣،٤/٣٩٧)، (٤٠٣/﴿٣﴾/١).
التفكر	(١٤٧/﴿١٩٠﴾/٢)، (٦،٤،١/١٤٨)، (٢٠٢/﴿٩٦﴾)، (٢٥٩/﴿٣﴾)، (٣٠٠/﴿١٠٥﴾)، (٣٠١/۞،﴿٤﴾،﴿٢﴾)، (٣/٣٠٩)، (١/٣١٩)، (٣٢٠/﴿١٦﴾)، (٣٢٢/﴿٧٩﴾)، (١/٤٠٠)، (١/٤٠٤)، (٤٢٠/﴿٤٤﴾)، (٤٦٢/﴿٢٢﴾)، (٤٦٥/﴿٥٠﴾/٢)، (٢،٣/٤٨٥)، (٤٩٦/﴿٧١﴾)، (٢/٥٠٤)، (٥٣٣/﴿٥﴾)، (٥٣٨/﴿١٠﴾)، (٥٥٣/﴿٨﴾/٣)، (٥٥٧/﴿٢١﴾)، (٦٣٥/﴿٤﴾)، (٦٤٦/﴿٢٤﴾)، (٣/٦٥٠)، (٦٦٠/﴿٥﴾)، (٦٧٠/۞/١).
الحمد والشكر	(٥/٧٣)، (١/٤٠)، (١٢،٩/٨٢)، (٣/١١٧)، (٣/١٣٥)، (١٦٣/﴿٤٨﴾)، (١/١٧٨)، (٢١٥/﴿٦٩﴾)، (٧/٢٦٤)، (١٠/٢٨٤)، (٣/٢٩١)، (٢/٣٠٢)، (٣٠٥/﴿٥﴾)، (٣٠٦/﴿١١﴾)، (١،٢/٣٠٨)، (٤/٣٠٩)، (٣٢٠/﴿١٨﴾)، (٣٢٨/﴿١٢١﴾)، (٤٤٦/﴿٩١﴾)، (٤٨٣/﴿١٠﴾)، (١،٢/٤٨٤)، (٤٦١/﴿١٨﴾)، (٣/٤٩١)، (٥٠٣/﴿٤٤﴾/١)، (٣/٥٢٧)، (٥٦٧/﴿٣٥﴾)، (٤/٥٩٩)، (٦١٦/﴿٣٠﴾)، (٦٣٥/﴿٤﴾/١)، (٦٣٨/﴿٣﴾)، (٦٦٢/﴿٩﴾)، (٦٧٧/﴿٦﴾/١)، (٣/٦٨٠)، (٦٨٥/﴿٤﴾/١)، (٤/٦٨٦)، (٢،٣/٦٨٩).
المسابقة والمسارعة في الخيرات	(٧٢/﴿١٤٨﴾/١،٢)، (١٢٧/﴿٤٤﴾)، (١٣٦/﴿١٣٣﴾)، (١٤٢/﴿١٦٣﴾/١)، (١٤٦/﴿١٨٥﴾/١)، (١٦٩/﴿٩٧﴾)، (١/١٩٦)، (٢٣٨/﴿٥١﴾/٢)، (٤/٢٤٤)، (٣٧٣/﴿٨٤﴾)، (٤/٣٨٦)، (٤٠٧/﴿٦١﴾)، (٤٠٩/﴿١٠٠﴾/٢)، (٤٣٣/﴿٥١﴾)، (٢/٤٤٩)، (٣/٤٦٨)، (٤/٤٨٦)، (٣/٤٩١)، (٤٩٢/﴿٣٧﴾/١)، (٦٠٤/﴿٩﴾)، (٦٢٢/﴿٢٤﴾)، (٦٣٤/﴿٣٧﴾)، (٤/٦٧٦).

الموضوع	التدبرات
الإحسان	(١/٨٩)، (١٠٥/﴿٣٧﴾/١)، (٤/١٥٠)، (١/١٦١)، (٢/١٧٧)، (٢/٢١٤)، (٢/٢٥٢)، (٢٦٩/﴿٣﴾/٢)، (٢٨٢/﴿٢٢﴾)، (١/٢٩٨)، (٣/٣٢٤)، (٣٤٧/﴿٣٠﴾)، (٣٦٧/﴿٩٦﴾/١)، (٤٤٨/﴿١٤﴾)، (٤٩٧/﴿٨٠﴾)، (٥١٨/﴿٣٤﴾).
اليقين	(٦٤/﴿١١١﴾)، (٤/١١٤)، (١٦٦/﴿٧٦﴾/٢)، (١٧٥/﴿١٤٣﴾)، (١٩٠/﴿٧٧﴾)، (٢٦٠/﴿٣٢﴾)، (٢٦٦/﴿٩٤﴾)، (٢٩٩/﴿١٠٣﴾)، (٣٠١/۞،﴿٢﴾)، (١/٣٠٣)، (٣٧٢/﴿٧٢﴾)، (٣/٤٣٤)، (٤٤٦/﴿٧٩﴾)، (٤٥٩/﴿٦٤﴾)، (٢/٤٧٤)، (٤٧٥/﴿١٨﴾)، (٥٢١/﴿١٦﴾)، (٥٥٢/﴿٥﴾)، (١/٦٣٤).
البصيرة	(٤/٢٢)، (٥٠/﴿١٢﴾)، (١/٥٨)، (١/١١٤)، (١٥٠/﴿١٩٧﴾/١)، (١/٢٢٧)، (٢٢٨/﴿٢٠١﴾/١)، (١/٢٣١)، (٢/٢٣٥)، (٢٤٨/﴿٥٥﴾)، (٢٦١/﴿٤٣﴾)، (٢٨١/﴿١٧﴾)، (٢٩٩/﴿١٠٣﴾)، (٣١٥/﴿٧٢﴾)، (٤٠٠/٤،٢)، (٤٢٧/﴿٤٤﴾)، (٢/٤٣٨)، (٤٤٢/﴿٢٥﴾/٢)، (٤٤٥/﴿٦٩﴾)، (٤٦٧/﴿١٩﴾/١)، (٥١٢/﴿٤١﴾)، (٥٤١/﴿٣٠﴾)، (٢/٥٤٦)، (٦٢٣/﴿٧﴾)، (٤/٦٥٢)، (٦٦٠/﴿١٥﴾)، (٦٧٧/﴿٦﴾/١)، (٢/٦٧٩).
الثبات	(١/٤٦)، (٣/٤٧)، (٧/٤٨)، (٧٥/﴿١٥٩﴾)، (١/١٠٧)، (٤/١٠٨)، (١٤٧/﴿١٨٦﴾/٢)، (١٨٢/﴿٢٣﴾/١)، (٢/١٨٣)، (١٩٥/﴿١٥﴾)، (١٩٦/﴿٣٣﴾)، (٢٦٥/﴿٦٥﴾/١)، (٢٦٦/﴿٧١﴾)، (٢٦٩/﴿٦﴾/٢)، (٣/٢٨٤)، (٣٠٧/﴿٢٧﴾)، (٤٢٧/﴿٣٢﴾)، (٤٦٣/﴿٣٠﴾)، (١/٥١٧)، (١/٥٨٤)، (٢/٦٠٤)، (٦٨١/٤،٣).
مجاهدة النفس	(٢/٨٠)، (٢/١٠١)، (١٣٨/﴿١٤٢﴾/٢)، (٤/١٤٦)، (١/١٥١)، (١٧٣/﴿١٣٥﴾)، (٣/٢٠٨)، (٤/٢٤٦)، (٢٥١/﴿٨١﴾/١)، (٢٥٨/﴿١٢٣﴾)، (١/٤٠٢)، (٤٥٦/﴿١٧﴾)، (٤٥٩/﴿٦٩﴾/٣)، (٤/٤٦٠)، (٤/٤٧٢)، (٤/٥٣٤)، (٥/٥٦٦)، (٦١٥/﴿١٢﴾)، (١/٦١٥)، (١/٦٢٢)، (١/٦٤٤)، (٦٤٥/﴿٤١﴾/٣،٤)، (١/٦٤٥)، (٦٦٨/﴿٨﴾/١).

الموضوع	التدبرات
هدايات في السير إلى الله والدار الآخرة	(٤٤/٣)، (٤٦/٧،٩)، (٤٨/٤٦)، (٥٧/٩)، (٥٨/٢)، (٦٢/﴿١٠٢﴾/١)، (٧٦/﴿١٦٧﴾)، (٧٧/٢)، (٩٨/١٠)، (١٠٧/٣)، (١٥٨/٥)، (١٧٧/٣)، (١٨٢/٢)، (٢٠٤/﴿١١٦﴾/١)، (٢٠٦/٣)، (٢٠٨/﴿١٥١﴾/٢)، (٢٠٨/﴿١٥٣﴾)، (٢٢٦/٢)، (٢٤٦/﴿٤٦﴾/١)، (٢٥٤/١)، (٢٧٠/﴿٢٧﴾)، (٢٧٣/﴿٧٨﴾/٢)، (٢٧٦/﴿٩٨﴾)، (٢٧٧/٢)، (٢٩٣/﴿٥٦﴾)، (٣٠٤/٢)، (٣٠٦/﴿٧﴾)، (٣١٤/﴿٦٥﴾)، (٣١٧/٤)، (٣٣٢/﴿١٩﴾/٢)، (٣٣٣/﴿٢١﴾)، (٣٣٤/﴿٣٦﴾)، (٣٤١/﴿٨٤﴾)، (٣٧٥/﴿١١٥﴾)، (٤٤٩/﴿١٧﴾)، (٤٥٣/﴿٦٩﴾)، (٤٦٠/٥)، (٤٧٢/٣)، (٤٧٧/﴿٢٩﴾)، (٥٢٢/﴿٢٣﴾)، (٥٤٣/﴿١٨﴾/١)، (٥٥٣/﴿١٦﴾)، (٥٦٤/﴿٤٢﴾)، (٥٦٥/﴿٣﴾)، (٥٨٢/٣)، (٥٨٢/﴿١٠﴾)، (٥٨٨/١)، (٦٠٩/١١)، (٦٣٢/٢،١)، (٦٥٢/٥)، (٦٦٣/﴿٧﴾)، (٦٧٠/۞/٢)، (٦٧٢/﴿٨﴾/٢)، (٦٨٦/١)، (٦٨٨/۞/٢،١)، (٦٩٩/﴿٣﴾)، (٧٠٢/٣).
الدعوة	
أصول وقواعد في الدعوة	(٢٦/٢١)، (٣٩/١)، (٥٤/﴿٤٠﴾)، (٦٢/﴿١٠٤﴾/١)، (١٤١/﴿١٥٩﴾/٣)، (١٨٥/٢)، (٢٠٤/﴿١١٦﴾/٢)، (٢١٨/٣)، (٢٢٣/﴿١٦٤﴾)، (٢٢٨/﴿١٩٩﴾/٢)، (٢٦١/﴿٤١﴾)، (٢٧٢/﴿٥٠﴾)، (٢٧٥/٥)، (٢٩٠/﴿٣٧﴾)، (٣٠٠/٢)، (٣٠٤/﴿٤٠﴾)، (٣٠٥/﴿٤﴾)، (٣١٦/﴿٩٥﴾/٢)، (٣٢٩/٣،٢)، (٣٣١/٥)، (٣٣٦/٤)، (٣٤٨/﴿٣٧﴾)، (٣٥٧/﴿٨٣﴾)، (٣٥٩/﴿١٠٤﴾/١)، (٣٧٠/٣،٢)، (٣٧١/٣)، (٣٧٩/٢)، (٤٠٤/﴿٢٥﴾)، (٤٠٨/﴿٦٩﴾)، (٤٢٨/٣)، (٤٣٥/﴿٧٣﴾)، (٤٥٢/﴿٣٤﴾)، (٤٦٧/﴿١٧﴾)، (٤٨٨/٣)، (٤٩٥/٣)، (٥٠٣/﴿٤٦﴾)، (٥٥٨/٣)، (٥٩١/﴿١٩﴾/١)، (٥٩٤/١)، (٦٢٥/﴿٩﴾،﴿٢﴾)، (٦٥٦/﴿٩﴾)، (٦٨١/٤،٣)، (٦٨٥/﴿١﴾/١)، (٦٩٣/٣)، (٦٩٣/﴿٣﴾/٣).

الموضوع	التدبرات
صفات الداعية	(٢٦/٢٤)، (٦٨/٢)، (٩٦/﴿٢٠٠﴾/٣)، (١٠٠/﴿٢٠٨﴾)، (١٣٢/﴿١٠٤﴾)، (١٣٣/﴿١١٤﴾)، (١٤١/﴿١٥٩﴾/٢)، (١٤٩/﴿١٩٢﴾)، (٢٠٤/﴿١١٦﴾/٢)، (٢٢٤/﴿١٧٠﴾/١)، (٢٢٨/٢)، (٢٦٥/١)، (٢٦٦/﴿٧١﴾)، (٣٠٩/﴿٣٦﴾)، (٣٥٥/﴿٧١﴾/١،٢)، (٣٦١/﴿١١﴾)، (٣٦٩/﴿٣٣﴾/١)، (٤٤١/﴿٢٢﴾/٤)، (٤٤٨/﴿٩﴾/١)، (٤٤٩/﴿٢٠﴾/٣)، (٤٦٥/٢)، (٤٧٠/﴿١٥﴾)، (٤٩٥/﴿٢١﴾)، (٤٩٥/٣)، (٥٠٤/﴿٧٦﴾/١)، (٥٩٦/٣)، (٦٣١/١).
الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر	(٥٨/﴿٥٥﴾)، (١٣٢/٢)، (١٧٣/﴿١٤٠﴾)، (١٨٣/٣)، (١٩٠/﴿٧٩﴾)، (٢١٥/﴿٨٣﴾)، (٢٢٣/﴿١٦٥﴾)، (٢٣٤/﴿٢٥﴾)، (٢٥٠/﴿٧١﴾/٢)، (٢٧٧/﴿١١٧﴾)، (٣٠٤/﴿٤٠﴾)، (٣٢٩/﴿١٢٥﴾/١)، (٣٥٥/٣)، (٣٥٦/﴿٧٤﴾/٢)، (٣٧٤/﴿٨٥﴾)، (٣٨٨/﴿١١٢﴾)، (٤٠١/﴿٧٢﴾)، (٤٣١/٤)، (٥٠٠/﴿٧﴾)، (٥٩٥/﴿١٤﴾)، (٦٥٦/﴿٩﴾).

قضايا متفرقة

التغريب واستهداف المرأة	(٧١/﴿١٤٣﴾/٢)، (١٢٤/﴿٣٦﴾)، (١٥٨/﴿٢٧﴾)، (١٥٩/﴿٣٢﴾/٢)، (٢٠٤/﴿١١٢﴾/٢)، (٢١٠/٢)، (٢١١/٣،٤)، (٢٥٨/١)، (٣٠٨/﴿٢٨﴾)، (٣٣٧/٥)، (٣٣٨/﴿٧٠﴾)، (٤١١/﴿١﴾/١)، (٤١٣/﴿١٩﴾/٣)، (٤١٤/٤)، (٤١٥/﴿٢٣﴾/٢)، (٤١٧/١،٢،٤،٥)، (٤٢١/﴿٦٠﴾)، (٤٤٤/﴿٤٤﴾)، (٤٧٥/٤)، (٤٨٠/٢)، (٤٨١/﴿٦٠﴾)، (٥٠٠/﴿٢٤﴾)، (٥٠٧/﴿٤٥﴾/١)، (٥٣٠/٤).
علو الدين	(١٣٣/٢)، (١٣٧/﴿١٣٩﴾)، (١٧٩/٦)، (١٨٨/﴿٥٦﴾)، (٢٤٢/﴿٣٢﴾،﴿٣٣﴾)، (٣٩٩/١)، (٤٨٥/﴿٢٤﴾)، (٥٤٢/﴿٣٥﴾)، (٥٩٥/﴿٨﴾)، (٦٠١/٣)، (٦١٩/﴿٤٥﴾/٢)، (٦٤٨/٢).
كمال الدين	(٧١/﴿١٤٤﴾)، (٧٨/﴿١٧٩﴾/٢)، (١٦٧/٦)، (١٧٥/﴿١٦٠﴾/١)، (١٧٨/﴿٣﴾/٤)، (١٨٦/١)، (١٨٧/٣)، (٢٠٦/﴿١٤٥﴾)، (٢٠٩/٢)، (٢٧٤/﴿٨٧﴾/٢)، (٣٠٨/﴿٢٨﴾)، (٣١١/﴿٤٤﴾)، (٣٢٠/﴿١٦﴾)، (٣٣١/٢)، (٤١٧/٦)، (٤٣٠/﴿٦٧﴾/١)، (٤٦٨/﴿٣٤﴾/١)، (٥٠٠/﴿٢٤﴾)، (٥٤٩/١)، (٥٩٩/٥)، (٦١٠/﴿١١﴾)، (٦٢٤/٢).

الموضوع	التدبرات
الوسطية	(٥٩/٦٨)، (١٣٠/٩٥)، (٥٩٣/٧)، (٦٠٠/٣).
السماحة	(٢٢٣/٢)، (٢٨٠/١٢)، (٤٠٢/٧٨/٢).
نصرة الأمة	(٢٦/٢٦)، (٣٥/٩)، (٨٩/٢)، (١٢٠/٨)، (٢١/٦،٧)، (١٠٧/٢)، (١٣٥/١٢٠/٢)، (١٣٥/١٢٣/١،٢)، (١٣٨/٣)، (١٣٨/١٤٢/١)، (١٥١/٣)، (١٥٣/٢)، (١٧٥/١٥٥/٢)، (١٨٨/٥٦)، (٢٠١/٨٩)، (٢٠٥/١٢٤)، (٢١٨/٢)، (٢١٩/١٣٧)، (٢٣٧/٤٦)، (٢٣٨/٦٠/١)، (٢٣٩/٢)، (٢٥٥/١٠٩/٢)، (٢٥٧/٢)، (٢٥٩/١٦)، (٢٦١/٢)، (٢٦٥/٢)، (٢٧٦/٢)، (٢٧٧/١١٧)، (٢٨٨/٣٠/٢)، (٢٩٤/٦٠)، (٢٩٧/٤)، (٣٠٠/١)، (٣٠٤/٣٢)، (٣٦١/١)، (٣٦٧/٩٨)، (٣٧١/٤٦)، (٣٧٢/٦١)، (٣٨٣/٥٥)، (٣٨٨/١٠٥)، (٣٩٩/٣٨)، ، (٤٢٣/٨)، (٤٢٦/٣١)، (٣٢٧/٥٢)، (٤٣٤/٢)، (٤٣٩/١٨/١)، (٤٤٧/٦)، (٤٤٨/٩/٢)، (٤٥١/٢٦/٢،٣)، (٤٥٢/٢)، (٤٦٤/٤٧)، (٤٧٢/٦)، (٤٧٥/٤)، (٤٧٦/٢٥)، (٤٧٨/٣٩/٢)، (٤٨٤/٣)، (٤٩٤/٢٠)، (٤٩٩/٢)، (٥١٢/٣)، (٥١٢/٤٥)، (٥١٨/٢)، (٥٢٩/٤٣/١)، (٥٤٢/٣٨)، (٥٤٤/٢٣)، (٥٨٠/٢٥)، (٥٨٧/٤)، (٦٠٢/٨)، (٦٢٠/٣)، (٦٣٤/٢)، (٦٥٤/٢٠)، (٦٦٨/٦/١).
مصائب الأمة	(٣٥/٩)، (١٤٠/١)، (١٤١/١٥٦/٣)، (١٤٢/١٦٥/١)، (١٥٩/٢٩)، (١٧٠/١)، (٢٩٣/٥٥/١)، (٣٥١/٥٩)، (٣٨٨/٢)، (٤٠١/٧٢)، (٤١٢/١١/١)، (٤٢٠/١)، (٤٦٣/٤١)، (٥٢٣/٢٨/١)، (٥٣٨/٤)، (٦٦٨/٦/٢).
الفساد	(٦٥/١١٤/١)، (٢٦٦/٩١)، (٤١٢/١١/٢)، (٤١٤/٥)، (٤٤٥/٤٨)، (٤٤٩/١٩)، (٤٦٣/٤١)، (٤٨١/٦٨)، (٥١١/٢٧)، (٦٢٠/٤)، (٦٥٤/٤)، (٦٦٣/١٤)، (٦٨٢/٢)، (٦٨٤/٢).

الموضوع	التدبرات
الفتن والابتلاء	(٧٤/﴿١٥٦﴾/٢)، (١٠١/٣-٥)، (١١٢/٢)، (١٣٨/﴿١٤٠﴾/٢)، (١٤٤/﴿١٧٩﴾)، (١٦٤/﴿٦٦﴾)، (١٧٢/﴿١١٣﴾)، (١٩٧/﴿٤٢﴾)، (١٩٨/﴿٤٥﴾،﴿٤٣﴾)، (٢٣٦/٥)، (٢٣٨/﴿٦٠﴾/١)، (٢٤٧/﴿٤٩﴾)، (٢٥٦/﴿١١٧﴾/١)، (٢٦٧/١)، (٢٨٦/١)، (٣٠٠/﴿١١٠﴾)، (٣٠٣/﴿٣١﴾)، (٣٨١/﴿٣٥﴾)، (٤٠٨/﴿٧٦﴾)، (٤٥٥/﴿٣﴾)، (٤٦١/٢)، (٥١٣/٢)، (٥٤٢/﴿٣١﴾)، (٥٦٧/﴿٢٧﴾)، (٦٠٠/٢)، (٦٠٥/﴿١٥﴾/٢).
الحكمة وحسن التدبير	(١٠٤/﴿٢٣٠﴾/١)، (١٠٧/﴿٢٤٧﴾)، (١٧٣/﴿١٢٩﴾)، (٢١٧/١)، (٢٢١/٣)، (٢٥٠/١)، (٢٧٤/﴿٨١﴾)، (٢٧٥/١)، (٢٧٩/٣)، (٢٨٩/﴿٣١﴾/١)، (٢٩٠/﴿٣٨﴾/١)، (٢٩٢/﴿٥٠﴾)، (٢٩٣/﴿٥٥﴾/١)، (٢٩٤/﴿٦٢﴾)، (٢٩٦/١)، (٢٩٨/﴿٩٣﴾)، (٣٤٤/﴿١٩﴾/٣)، (٣٦٢/١)، (٣٧٠/٤)، (٣٧٢/﴿٦٥﴾)، (٣٨٣/﴿٨٠﴾)، (٤٥١/﴿٢٥﴾/٣)، (٤٥١/١)، (٦١٥/﴿١٠﴾).
علو الهمة	(٢٥٥/١)، (٤٣١/﴿٧٤﴾/١،٢)، (٥٣٦/٢).
الاستشارة	(١٤١/٥)، (١٤٢/٦)، (٤٤٢/﴿٣٣﴾/١،٢)، (٥٢٤/﴿٣٨﴾).
التفاؤل وحسن الظن بالله	(١٤٣/﴿١٧٤﴾)، (١٨٢/﴿٢٦﴾/١)، (٢٦٤/٨)، (٢٩١/﴿٤٠﴾/٢)، (٢٩٦/٢)، (٢٩٧/٤،٦)، (٣٣٣/٤)، (٤٤٤/﴿٤٧﴾)، (٤٨٩/﴿١٢﴾)، (٤٩٨/﴿٨٧﴾)، (٥١٢/١)، (٥١٥/﴿٢٣﴾)، (٥٢٣/﴿٢٨﴾/١)، (٦١٠/١)، (٦١٩/﴿٣٢﴾)، (٦٩٨/١،٢)، (٦٩٩/٥).
الرؤى	(٢٩١/﴿٤٣﴾)، (٢٩٢/﴿٤٤﴾).
الصحبة الصالحة	(٣٤٦/﴿٢٨﴾/١،٢)، (٤٣٦/﴿١٠١﴾)، (٥٢٩/﴿٦٧﴾/١)، (٥٣٠/٤،٥)، (٦٦١/﴿٢٩﴾/٢).
الصحبة السيئة	(١٩٩/﴿٦٨﴾)، (٢١٠/﴿١٣﴾)، (٣٤٦/﴿٢٨﴾/٣)، (٣٥٨/﴿٩٤﴾)، (٥٢٩/﴿٦٧﴾/٢)، (٥٣٠/٣،٤)، (٥٦٠/﴿٥٩﴾).

الموضوع	التدبرات
الأخوة	(٧٨/﴿١٧٨﴾/٢)، (٢٢١/﴿١٥١﴾)، (٢٤٩/﴿٧١﴾/١)، (٣٦٤/﴿٥٣﴾)، (٤١٠/﴿١٠١﴾)، (٤٤٠/﴿٢٠﴾/٢)، (٤٥٢/﴿٣٥﴾/١)، (٤٥٦/﴿٣٢﴾)، (٥٠٠/﴿٢٣﴾)، (٥١١/٦)، (٥١٨/١)، (٥٢٩/﴿٦٧﴾/١)، (٥٤٤/٢)، (٥٤٧/﴿١٠﴾)، (٥٨٢/١﴿١١﴾)، (٥٨٣/٣،٢)، (٥٨٧/﴿٩﴾/٢)، (٥٨٨/٣)، (٥٨٩/٥-٧)، (٥٩٠/٢).
الفضائل	
فضل الإسلام وأهله	(٧٠/١)، (٧٩/٢)، (١٣٠/﴿٩١﴾)، (٣٤٣/﴿١٦﴾)، (٣٦٧/﴿٩٦﴾/٢)، (٥١٠/٤)، (٥٩٦/﴿٢﴾/٤)، (٦٣٤/﴿٣٩﴾)، (٦٥٩/٢)، (٦٧٥/﴿٧﴾).
فضل الصلاة	(١٢٦/﴿٣٩﴾)، (١٨٠/﴿١٢﴾).
فضل الصيام وشهر رمضان	(٢٦/٢٨)، (٣٦/١١)، (٨٢/١٢)، (٨٣/١٥،١٦).
فضل ليلة القدر	(٨٦/٥)، (٣٩٦/﴿٣٢﴾/١)، (٥٣١/٤،٢،١)، (٦٧٣/۞)، (٦٧٣/٢)، (٦٧٣/﴿٤﴾،﴿٣﴾،﴿٢﴾)، (٦٧٥/٣،٢).
فضل الحج	(٢٩٦/٢)، (٣٩٤/٢)، (٣٩٥/٥).
فضل عشر ذي الحجة	(٢٠١/﴿٩٠﴾/١)، (٢٤٣/١)، (٣٩٥/٦)، (٦٥٩/٤،٣).
فضل العلم	(١٢٢/﴿٢١﴾)، (١٧٩/١)، (٢٠١/﴿٨٣﴾)، (٢٠٥/١،٣)، (٢٥٧/٣)، (٢٦٣/﴿٥٧﴾/٢)، (٣٥٢/﴿٦٠﴾/٢)، (٤٢٤/﴿٢٠﴾)، (٤٣٢/٤)، (٤٣٩/﴿١٥﴾)، (٤٤١/١)، (٤٤٣/﴿٤٠﴾/١)، (٤٦٥/﴿٥٦﴾)، (٤٩٠/١)، (٥٦٩/﴿٤﴾/١)، (٥٨٣/٦)، (٥٨٤/٨)، (٦٣٠/﴿٥﴾/١)، (٦٧٠/﴿٥﴾/٢).

الموضوع	التدبرات
فضل القرآن	(١/١٠)، (٢٤/٣٣)، (٢/٤٠)، (١/١١٠)، (١٤٢/﴿١٦٤﴾)، (٣/١٤٩)، (١/١٧٦)، (١/٢٠٢)، (٢٢٩/﴿٢٠٤﴾/١)، (٢٦٣/﴿٥٨﴾/٢)، (٩/٢٦٤)، (١/٣٦٨)، (٣٨٥/﴿٩٠﴾/٢)، (٤٩١/﴿٢٩﴾)، (٥٦٨/﴿٥٥﴾)، (٣/٥٧٥)، (٤/٥٩٦)، (٣/٦٧١)..
فضل تدبر القرآن	(٤/١٠)، (١-٥/١١)، (٢،٣/١٣)، (٥/١٤)، (٣/٢١)، (٩/٢٨)، (١/٢٩)، (٢٣/٣٣)، (٤/٢٣١)، (٣/٤٥٨)، (٥٦٨/﴿٥٥﴾)، (٨/٦٠٩).
فضائل الآيات والسور	(٩/١٢١)، (٣٦٨/۞)، (١/٤٠١)، (٤١١/﴿١﴾/٢)، (٣/٤١٩)، (٢/٤٤٧)، (٤٦٩/۞)، (٥٥١/۞)، (٥٧٢/۞/١)، (٥٨١/۞)، (٦٢٩/۞)، (٦٣٣/﴿٢﴾)، (٦٦٥/﴿٢﴾)، (٦٦٩/۞)، (٦٧٣/۞/١)، (٦٧٨/۞)، (١/٦٨١)، (٦٨٣/۞)، (٦٩١/۞/٢)، (٦٩٦/۞/٢،٤)، (٦٩٨/۞)، (٧٠١/۞/١،٢).
فضائل الأنبياء	(١/٢٨٤)، (١١/٢٨٦)، (٢٩٠/﴿٣٦﴾)، (٤٨٠/﴿٥٦﴾)، (١/٥٠٩)، (٥٤٧/﴿٧﴾)، (٥٦٣/﴿١٧﴾)، (٢/٥٦٣)، (٦١١/﴿٤﴾).
فضائل الصحابة	(١٣١/﴿١٠١﴾)، (٤/٢٤٥)، (٣٨٧/﴿١٠١﴾)، (٦،٧/٤١٤)، (٤١٦/﴿٢٥﴾)، (١/٤٣٤)، (٥٢١/﴿١٣﴾)، (١،٤/٥٤٤)، (١/٥٨٦)، (١،٣/٥٨٧)، (٢/٥٨٨)، (٢/٥٩٦)، (٢،٣/٦٦٤).
فضائل الصالحين	(١/١٢٥)، (٢/٣٢٠)، (٢/٣٦٢)، (٣٦٧/﴿٩٦﴾/١)، (٦١٣/﴿١٢﴾)،

لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ

الفهرس

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٥
كلمات في التدبر	٧

رقم السورة	اسم السورة	الصفحة
١	الفاتحة	٣٩
٢	البقرة	٤٩
٣	آل عمران	١٢٢
٤	النساء	١٥٢
٥	المائدة	١٧٧
٦	الأنعام	١٩٤
٧	الأعراف	٢١٠
٨	الأنفال	٢٣٠
٩	التوبة	٢٤١
١٠	يونس	٢٥٩
١١	هود	٢٦٨

رقم السورة	اسم السورة	الصفحة
١٢	يوسف	٢٧٩
١٣	الرعد	٣٠١
١٤	إبراهيم	٣٠٥
١٥	الحجر	٣١٣
١٦	النحل	٣١٨
١٧	الإسراء	٣٣٠
١٨	الكهف	٣٤٢
١٩	مريم	٣٦١
٢٠	طه	٣٦٨
٢١	الأنبياء	٣٨٠
٢٢	الحج	٣٨٩
٢٣	المؤمنون	٤٠٣
٢٤	النور	٤١١
٢٥	الفرقان	٤٢٢
٢٦	الشعراء	٤٣٣
٢٧	النمل	٤٣٩
٢٨	القصص	٤٤٧
٢٩	العنكبوت	٤٥٥

رقم السورة	اسم السورة	الصفحة
٣٠	الروم	٤٦١
٣١	لقمان	٤٦٦
٣٢	السجدة	٤٦٩
٣٣	الأحزاب	٤٧٣
٣٤	سبأ	٤٨٣
٣٥	فاطر	٤٨٧
٣٦	يس	٤٩٤
٣٧	الصافات	٤٩٧
٣٨	ص	٤٩٩
٣٩	الزمر	٥٠٥
٤٠	غافر	٥١٠
٤١	فصلت	٥١٥
٤٢	الشورى	٥٢١
٤٣	الزخرف	٥٢٧
٤٤	الدخان	٥٣١
٤٥	الجاثية	٥٣٣
٤٦	الأحقاف	٥٣٦
٤٧	محمد	٥٣٨

رقم السورة	اسم السورة	الصفحة
٤٨	الفتح	٥٤٣
٤٩	الحجرات	٥٤٥
٥٠	ق	٥٥١
٥١	الذاريات	٥٥٧
٥٢	الطور	٥٦١
٥٣	النجم	٥٦٣
٥٤	القمر	٥٦٥
٥٥	الرحمن	٥٦٩
٥٦	الواقعة	٥٧٢
٥٧	الحديد	٥٧٧
٥٨	المجادلة	٥٨١
٥٩	الحشر	٥٨٦
٦٠	الممتحنة	٥٩٣
٦١	الصف	٥٩٤
٦٢	الجمعة	٥٩٦
٦٣	المنافقون	٦٠١
٦٤	التغابن	٦٠٤
٦٥	الطلاق	٦٠٧

رقم السورة	اسم السورة	الصفحة
٦٦	التحريم	٦١١
٦٧	الملك	٦١٤
٦٨	القلم	٦١٧
٦٩	الحاقة	٦٢١
٧٠	المعارج	٦٢٣
٧١	نوح	٦٢٥
٧٢	الجن	٦٢٧
٧٣	المزمل	٦٢٩
٧٤	المدثر	٦٣٣
٧٥	القيامة	٦٣٥
٧٦	الإنسان	٦٣٨
٧٧	المرسلات	٦٤٣
٧٨	النبأ	٦٤٤
٧٩	النازعات	٦٤٤
٨٠	عبس	٦٤٦
٨١	التكوير	٦٤٨
٨٢	الانفطار	٦٤٩
٨٣	المطففين	٦٥١

رقم السورة	اسم السورة	الصفحة
٨٤	الانشقاق	٦٥٣
٨٥	البروج	٦٥٤
٨٦	الطارق	٦٥٥
٨٧	الأعلى	٦٥٦
٨٨	الغاشية	٦٥٨
٨٩	الفجر	٦٥٩
٩٠	البلد	٦٦٢
٩١	الشمس	٦٦٣
٩٢	الليل	٦٦٣
٩٣	الضحى	٦٦٥
٩٤	الشرح	٦٦٧
٩٥	التين	٦٦٩
٩٦	العلق	٦٧٠
٩٧	القدر	٦٧٣
٩٨	البينة	٦٧٥
٩٩	الزلزلة	٦٧٦
١٠٠	العاديات	٦٧٧
١٠١	القارعة	٦٧٨
١٠٢	التكاثر	٦٧٩

رقم السورة	اسم السورة	الصفحة
١٠٣	العصر	٦٨١
١٠٤	الهمزة	٦٨٢
١٠٥	الفيل	٦٨٣
١٠٦	قريش	٦٨٥
١٠٧	الماعون	٦٨٦
١٠٨	الكوثر	٦٨٨
١٠٩	الكافرون	٦٩١
١١٠	النصر	٦٩٣
١١١	المسد	٦٩٤
١١٢	الإخلاص	٦٩٦
١١٣	الفلق	٦٩٨
١١٤	الناس	٧٠١

الموضوع	الصفحة
تأملات في أسماء الله الحسنى	٧٠٣
القرآن غيرني	٧١٩
لطائف القراءات	٧٢٩
قائمة المصادر والمراجع	٧٣٩
التصنيف الموضوعي	٧٥٩
الفهرس	٧٩٣

تمَّ بحمد الله

9786035064019
SR: 30